الموسوعة الإسلامية

فى تربية الأولاد

إعداد

حامد أحمد الطاهر

المجلد الأول

ضياء سعيدة







الموسوعة الإسلامية

في تربية الأولاد

تأليف

حامد أحمد الطاهر

الجزء الأول

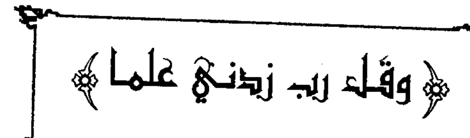
دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر / القاهرة

تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨

محمول - ٠١٢٧٤١٨٣٤٨



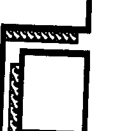



* الكتاب: الموسوعة الإسلامية في تربية الأولاد ج (١)
* المؤلف: تأليف/ حامد أحمد الطاهر
* سنة الطبع: الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م
* الناشر: دار الفجر للتراث - القاهرة
* عدد الصفحات: ٤٣٠ صفحة
* رقم الإيداع: ٢٠٠٧ / ٩١٥٦

دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر/ القاهرة





تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨

محمول - ٠١٢٧٤١٨٣٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له، نحمده حمد الشاكرين، ونشكره شكر الحامدين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فلا يزال حلم إخراج كائن عقدي مستقيم الإيمان، فاضل الأخلاق حُلمًا يراود الدعاة والعلماء والمصلحين الذينْ يقدرون لأمر التربية قدره، ويعرفون منزلته، ويفتقدونه حين يغيب من المجتمعات الإسلامية التي غرقت حتى آذانها في وحل التربية الخاطئة التي أنتجت جيلاً مشوه العقيدة، منحرف الأخلاق، فاقد الهدف في حياته إلاَّ من أمور دنياه، إلاَّ مَنْ رحم ربي.

إن أمة الإسلام في هذا الزمان الذي نحياه تعاني جدبًا من نوعٍ خاص، إنه جدب تسبب فيه نضوب نبع القدوة والأسوة، وانحراف المسلم عن دينه وابتعاده عنه بمسافات طويلة جعلته فاقد الصلة الحميمة بالسماء والنبوة، فإذا به ضال الطريق، مشتت الأفكار، إمّعة كلما نعق الناعق تبعه وتولاَّه، إسفنجة تمتص كل شيء من أي شيء، في أي وقت، لأنه الآن بلا هوية، ومظاهر هذا الانحراف أكثر من أن تعد وتُحصى، فالأمر أوضح من أن تتبعه أو تحاول رصده، فقد شفّ عن ذاته، فلم يحتج لمن ينادي عليه فيروجه!!

ومن هنا كان لزامًا على كل من ارتاد مجال الكتابة في المناهج لإسلامية السلفية أن يُفْرد للحديث عن التربية أجزاءً وأجزاءً تُعْنَى بإظهار المنهج الإسلامي الصحيح في تربية الصغار منذ اللحظة الأولى التي يفكر فيها الزوجان في الارتباط وإنجاب

الصغـار، وحتى مرحلة الشباب التي ينتـهي معهـا الدور الأكبر للوالدين في حـياة ولديهما أو ابنتيهما.

وقد جاءت محـاولات عديدة وكثيرة في هذا المضمار منهـا ما لاقى نجاحًا باهرًا، ومنها ما يزاحم، ومنها ما زال يبحث عن القارئ لم يصل إليه، ومنها ما هو في طي النسيان، ومنها ما يحاول أصحابه إظهار صوتهم من خلال سطور دونوها ليعلنوا عن مذهبهم في تربية الصغار.

والحق أن من عني بالكتابة في مجال التربية جميعًا (أقصد الإسلاميين) كانوا على قلب رجلٍ واحدٍ في استـخراج منهج التربية من الكتاب، والسنة، وأفعـال الصحابة وآثارهم، أو كتبَ الفـقه التي أفـردت حديثًا عن اختيار الـزوج والزوجة، وطبيـعة العلاقة بين الولي ومَن يربيـهم من منظور (الحقوق والواجبات) التي افتـرضها الشرع الحكيم على المربي ليحصل في النهـاية على بغيته: مسلمٌ مـوحدٌ، فاضل الأخلاق، حسن السيرة، جيد السلوك.

ومنهم من أضاف كـلامًا لأهل علم النفس، أو الصحـة النفسية، وأقـوال أساتذة التربيـة حتى تنوعت الكتابات داخل كل سِفْـرٍ من هذه الأسفار التربوية التـي يحمد لأصحابها المحـاولة إن لم يكن بعضهم من كبار القوم قد حاز شـرف قبول الكتاب، واتساع دائرة القُرَّاء له.

والحق أنني لم أجد نفسي راضيًـا عن منهج نهجته في أحد كتـبي قدر ما رضيت عن هذا الكتاب الذي اقتطع من عـمري عامين وربما أكثر ليخـرج بهذه الصورة التي أسأل الله تعـالى أن تكون صورة طيـبة تحمل قـبولاً من الله تعـالى، ثم رواجًا لدى القارئ الكريم.

وكعادة السلفيين فـإنهم يستمدون مادة كتبهـم من الكتاب والسنة، وآثار الصحابة والتابـعين وهو منهج أثبت نجاحـه وانتصـاره على بقيـة المناهج الأخرى، ولذا فـقد رضيناه لنا منهجًا نتبـع فيه سلفنا فلا نُعقهم ولا نخالفهم طالما الأمر كـان صحيحًا، والكل يُؤخذ منه ويرد إلا المعصوم ﷺ.

ثم مزجت هذا كله بأقوال أهل الريادة في مضمار التربية؛ إذ الأحفاد أعلم بعصرهم من الأجداد، فما كان لنا أن نهدر الجهد المبذول على مدى العقود الماضية والمعاصرة، والتي جدّت فيها أمراض تربوية، وعلل إعلامية، وطواعين فكرية، شخّص هؤلاء الكرام هذه الأمراض والعلل والطواعين، وحددوا علاجها، وأجادوا الحديث عنها كثيرًا، فخشيت أن أترك ما لا غِنَى له عنه لأحدٍ من الناس فيضيع مني قنصٌ ثمين، ويضيع على القارئ غُنْم ما بعده غُرْم.

ثم خلطت بين هذا وذاك، وأضفت بعض الأمور كالآتي:

(١)وضعت نموذجًا لتعليم الآداب والأخلاق، وعرض بعض المواقف لذلك.

(٢)عرض بعض القصص والأناشيد المناسبة لكل سن.

(٣)وضع إرشادات ووصايا لكل مرحلة.

(٤)وكتبت ملحقًا للأسئلة المحرجة التي يمكن أن يطرحها الصغار وكيفية الإجابة عنها.

(٥)ثم عرضت ملحقًا طبيًّا لما يمكن أن يصيب الصغار من أمراض، وكيفية التعامل معها حتى حضور الطبيب.

(٦)ثم ألحقت ملحقًا آخر لبعض الأمراض النفسية التي يمكن أن يتعرض لها الصغير.

(٧)وبين هذا وذاك كنت قد عرضت بعض الأسئلة والتدريبات عقب كل قصة أو درس يمكن تعلمه ليكون درسًا عمليًّا عميم الفائدة عظيمها، فتتحقق الإفادة من هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون لَبِنَة في صلاح هذه الأمة، وإرشادًا للآباء والأمهات نحو تربية إسلامية صحيحة.

فاللهم تقبل مني، واعف عني، واغفر زلاتي برحمتك يا أرحم الراحمين.

☆ ☆ ☆

وكتبه

راجي عفو ربه ومولاه

أبو أنس الدمنهوري

حامد بن أحمد الطاهر البسيوني



الثَّرى والثُّريا

أسرار تفوق جيل الصحابة رضي الله عنهم

لا يخفى على أحد تلك الحالة المزرية التي تعيشها أمة الإسلام، ولا يخفى على أحد تلك الجروح والقروح التي تسارع نزولها بجسد الأمة وقلبها، حتى تحوَّل حاضر الأمة إلى مجموعة من المحن والبلايا، وحتى صارت أمة الإسلام كالمعلقة لا هي متزوجة ولا هي مُطلَّقة، فصارت الأمة في الثرى بعد أن كانت بالثُّريَّا، وشتَّان ما بين الثَّرَى والثُّريا.

فأمَّا الثَّرَى: فهو التراب: رمز الذِّلة والمهانة، والضياع والهلكة.

وأمَّا الثُّريَّا: فنجم بعيدٌ في السماء: رمز العلو والسُّمو، والرِّفْعة والعزَّة.

وكان لزامًا علينا أن نطوف في صحراء الثَّرى باحثين عن أسرار السُّمو والعلو إلى الثريَّا، ونحن أعلم الناس بدائنا، فالطبيب مهما كانت مهارته في معرفة الداء، فإن المريض بمرضه أعلم، وهو يتسلى بالكلام لينسى كثيرًا من الآلام التي يئن تحت وطأتها.

إن نظرة في حال أمتنا الآن، ونظرة أخرى في ماضيها: تلك إذًا كرتان، ومن بعدها ينقلب البصر إلينا خاسئًا وهو حسير من طول الأسى والحزن، فأمة الإسلام في كل عامٍ تُفْتن مرةً أو مرتين، وأهلها لا يتوبون إلى الله، ولا هم يستغفرون، فترى الأمة لا تكاد تقدم رِجلاً إلى الأمام حتى تعود آلاف الخُطى إلى الوراء حتى صارت أمة الإسلام كالخادمة بين الأمم، تُوالي أمة لتغيظ الأخرى، كخادمة عاهرة سخَّرت نفسها لخدمة زوجة لتغيظ ضرتها، فأُشْرِبَ المسلمون الذُّلَّ، ورضوا بالمهانة، واستحبوا الحياة على الممات، فرضوا بفتات الدُّنيا في إسفاف وانحطاط، ولم يجد الشرف في قلوبنا منزلاً فغادرها بعيدًا، لما رأى الذُّلَّ قد عشش في أركانها، فصرنا نحسب كل صيحة علينا، ونتوهم كل حركة من العدو موتًا يهجم علينا.

وَلَوْ أنَّ برغُوثًا علـى ظهـر قـملة ... رأته تميم من بعـيـد تـولّت[(١)]

ووسط الزحام تاهت عـقيدة التوحيـد- إلاَّ في قلوب رحمها ربي- فـهجم العدو فطوقنا بأطواق الحديد، وراح يسومنا العذاب الشديد، وأخرجنا من زمرة السادة إلى حظائر العبيد.

فَـسَـلُوا دِجْلَـةَ عَـمَّـا دَهَـاهَا ... أَوْدَعُـوها فكَفَـاهَـا مَـا دَهَـاهَا

ومن ثَمَّ غطَّانا سحاب الذلة والهوان؛ إذ تركنا طريق العزة حين ولينا ظهورنا لمنهج الله تعالى لاهثين وراء الحضارة المادية، فإذا السُّوس منا فينا، وإنما دُعِيَ العدو إلى فريسة فتقدما.

لقد فعلت الأمة الإسلامية ما يوجب الذل والهوان، يتضح ذلك جليًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا تَبايَعْتُمْ بِالْعِينَة، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُم الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذُلاًّ لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[(٢)] . والحال ناطقة بهذا لا مراء، ولو استرسل المرء مع خواطره لخشي أن يُفْضي به التفكير إلى اليأس فيضلَّ، فيلتصق بالثرى، أو يُجنَّ فيُرفع عنه القلم فيستريح، وما كلاهما بمريح، كأن لسان الحال والمقال:

بِي مِنكَ مَـا لَوْ غَـدَا بالشَّمْسِ مـا ... طَلَعَـت أَوْ بِالبَـرْقِ مـا وَمَـضَـا

وإذا كانت الحال هكذا، فوجب علينا أن نعود لنبحث عن أسباب السمو إلى الثريا، وهو ما يتوفر في سماء القرن الأول الهجري التي نرى التطواف فيها علوًا وسموًا ورفعة لا مثيل لها.

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثم الذين يَلُونَهُم، ثم الذين يَلُونَهُم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[(٣)] .

---

(١) البيت في ديوان الحماسة.

(٢) صحيح: الإسناد: أبو داود (٣٤٦٢) في البيوع، والعينة: حيلة يفعلها أعداء الله وهي الآن (حرق البضائع).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٦٥١) في فضائل الصحابة، مسلم (٢٥٣٣/ ٢١٠ - ٢١٢) في فضائل الصحابة.

وروى عمران بن حُصين رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «خيرُ أُمتي قَرْني، ثم الذين يَلُونَهُم، ثم الذين يَلُونَهُم...» الحديث[1].

والقرن: أهل زمان واحدٍ متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة.

أو هم: من اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل. ويُطلق أيضًا على مدة من الزمان تساوي مائة عام.

و«قرني»- كما في الحديث- هو زمن النبي ﷺ وصحابته الذي امتد إلى مائة وعشرين سنة، وآخر القرون الثلاثة: (قرن تابعي التابعين) كان إلى حدود العشرين ومائتين (٢٢٠هـ)[2] حيث ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رءوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم يزل في الأمر نقصٌ حتى الآن[3]. فصحابة رسول الله ﷺ خير الأمة، هم أهل الثُّريا تعلقوا بها وسموا إليها، فهم القدوة والأسوة من بعد رسول الله ﷺ، فلو قُدِّر للأرض أن تنطق لقالت: إنها مُذْ دحاها الله وبراها، ومهدها وطحاها، وسوَّاها لم تر أمة على الحق أصدق من صحابة رسول الله ﷺ.

والله لولا النقل الصحيح المتواتر لقلنا: هذا خيالٌ هذا محالٌ. لكنهم جيل المصاحف، جيل المحاريب، جيل السَّبع الطِّوال، جيل العقيدة فلا محال هم حقيقة لا خيال.

ولكن، وقبل عرض سيرة هؤلاء الكرام، والبحث عن أسرار تفوقهم يتساءل السائل فيقول: لماذا لم تَعُد الأمةُ تُخرج مثل جيلِ الصحابة في هذا الكم العجيب من رجال العقيدة؟!

وقبل الإجابة لابد أن نثبت أمرين:

الأول: أن القرآن هو القرآن لم يتغير ولم يتبدل ولم يندثر، فلا زال محفوظًا بحفظ الله تعالى له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٥٠) في فضائل الصحابة، مسلم (٢٥٣٥/ ٢١٤) في فضائل الصحابة.

(٢) هو زمن المأمون الخليفة العباسي (ت٢١٨هـ).

(٣) نقلاً عن فتح الباري (٥، ٦/ ٧) باختصار.

والثاني: أن سيرة رسول الله ﷺ، وسنته، وحديثه لا يزالون في حفظ يعيش لهم الجهابذة الثقات الأثبات من العلماء، فلم يغب إلا شخص رسول الله ﷺ فقط، فهل غياب شخص النبي ﷺ هو السبب والسر في أن الأمة لم تعد تخرج جيلاً مثل جيل الصحابة؟

لو كان الأمر هكذا لما جعل الله عز وجل رسالة النبي ﷺ آخر الرسالات، ولما جعل الإسلام خاتم الأديان، وإن الله تعالى قد تكفَّل بحفظ الذِّكر، وبيَّن أن الإسلام ودعوته باقيان إلى يوم القيامة، فغيبة رسول الله ﷺ ليست السر إذن، فما السر إذن؟ هل تغيَّر النهج الذي تربوا عليه؟ إن الجوهرة مهما مرَّت عليها الأزمان هي جوهرة يرتفع ثمنها ولا ينخفض، والمسك كلما حفظه صاحبه في صرته كلما طابت رائحته وزكت، لم يتغير شيء إذن، فيعود السؤال: لماذا هم أهل الثريا؟ ونحن أهل الثرى؟

إن أسرار تفوق جيل الصحابة على غيرهم من الأجيال نجمعه في عدة نقاط لعلها أن تكون نافعة ناجعة، وهي كالآتي:

أولاً: لأن جيل الصحابة قصر مصدر التلقي على القرآن والسُّنَّة لا سواهما:

فقد جعل أصحاب رسول الله ﷺ مصدر التلقي الوحيد لهم الذي يتقلبون في رياضه، وينهلون من منابعه: الكتاب والسُّنَّة لا سواهما، وقد كانت حضارة الفرس والروم مجاورتين لهما، وعلى الرغم من ذلك لم يلتفتوا إلى حضارتهما المادية ولم ينظروا في التوراة أو في الإنجيل؛ بل كان منهجهم الذي استقوا منه: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فخلصت نفوسهم لله، واستقام عودهم على منهجه وحده.

ولم يزل النبي ﷺ يثبت ذلك المنهج في قلوبهم، ويحذرهم من كل مصدر آخر، ففي رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب- يقصد التوراة- فقرأه- أي: عمر- على النبي ﷺ؛ فغضب فقال: **«أَمُتَهَوِّكُونَ[1] فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقٍّ فتكذبوا به، أو بباطل**

---

(١) في النهاية قال: متهوكون: مترددون أو متحيرون.

فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلاَّ أن يتبعني»[١].

فكان درسًا حيًّا للصحابة ومَن بعدهم أن الإسلام أرض يهطل فيها المطر، وما سواها خراب بَلَقَعٌ بورٌ، لا تصلح للعيش أو الحياة، وقد بعثها ﷺ صريحة لا تقبل المزايدة أو الشك كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«تركت فيكم شَيْئين لنْ تَضِلُوا بعدهما: كتاب اللهِ وسُنَّتي، ولن يَفْتَرِقا حتى يردا عليَّ الحَوْضَ»**[٢].

وفي رواية أبي هريرة أيضًا أنه ﷺ قال: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَنْ أبى»** قيل: ومَنْ يأبى يا رسول الله؟ قال: **«مَنْ أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار»**[٣].

وها هو المحدث الثقة ميمون بن مهران رحمه الله يطلقها: إياكم وكل هوى يُسمى بغير الإسلام.

لقد فهم الصحابة هذا فهمًا جيدًا فتعلقوا بالثريا، أمَّا أهل الثرى- أفراد هذا الجيل، ونحن منهم- فقد خرجنا نبحث عن كل شيء إلاَّ الوحي، فصرنا كالبهائم تدوس على الجواهر بأقدامها ولا تنتبه إليها لأنها من جنس ما لا يؤكل.

إن السؤال يلح هنا على الجميع: هل يخطئ الوحي؟ هل يخطئ النبي ﷺ معاذ الله أن يخطئا، فلِمَ إذن نتركه ونذهب إلى غيره حيث الكفر البواح، والغرق في قاع بركة منتنة من جراثيم الأهواء، وحيات البدع والمستحدثات، حتى صارت الحال كجيفة هدهد ميت وضعت في جورب مسافر أبحر في شدة الحر لم يمسه الماء أَشْهُرًا.

لقد التصقت الأمة بالثرى يوم بحثت عن كل منهج غير منهج الوحي: كتابًا كان أو سنة، ويا للعجب: حين يُنادى بالعودة إلى الكتاب والسُّنّة والاتباع، فنسمع من

---

(١) **حسن الإسناد**: رواه أحمد (١٥٠٩٤) في المسند بتحسين محققه، قلت: وهو ضعيف لوجود: مجالد بن سعيد الهمداني، وهو ليس بالقوي في الحديث، لكن له شاهد عند ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧) وعند الدارمي والبزار.

(٢) **صحيح الإسناد**: الحاكم (١/ ٩٣) في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي، وانظر الصحيحة (١٧٦١) للألباني.

(٣) رواه البخاري (٧٢٨٠) في الاعتصام، باب (٢) متفردًا به عن مسلم.

يقول: أنتم خياليون، تعتمدون على الماضي، تربطون أنفسكم بالموتى، ولا ندري منذ متى صار إبليس ناصحًا؟!

أفلا ينظر هؤلاء إلى ما نحن فيه؟ إنَّا لنجني العواصف بعد أن زرعنا في أرضنا الريح، ولقد ارتكبنا أكبر الخطايا يوم أن تركنا الكتاب والسُّنة فلم نحصد إلا كل شر!! حصدنا جيلاً يؤمن تمام الإيمان بأن المسلم خُلِق خلقة الأرنب لا أنياب له، ولا مخالب، وأن العدو خُلِق أسدًا لا قدرة ولا طاقة لنا به، وجفَّت الصُّحف، ورفعت الأقلام، ولا مُبدِّل غير الله.

وعندئذ باع المسلم دينه بعرض من الدنيا، راح يلعن الشيطان ويتبع خطواته، فألبسنا الكفن يوم العُرس، وناحت علينا النوائح ليلة الزفاف، وعُـزِّينا في مواكب الفرح، زعموا أنهم سيداوونا من الفقر فعالجونا بالذُّلِ، زعموا أن سيداوونا من الحمى فأصابونا بالطاعون، ومن هنا فنحن جيل الثرى، وهم جيل الثريا.

ثانيًا: أن جيل الصحابة تمسك بالاتباع، وجعل من القرآن الكريم والسنة النبوية منهج تلق وتنفيذ لا منهج تحصيل ومتعة:

فحوَّل صحابة رسول الله ﷺ آي القرآن، وكلام النبي ﷺ إلى منهج عملي؛ بل في صورة أشخاص يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، بينما جاءت الأجيال التالية لأجيال الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان فالتصق جيلنا بالثرى، بينما علا جيل الصحابة حتى جاوز الثريا.

إن القرآن- وإن لم يتغير ولم يتحرف- فهو كالسيف يعمل بغير بطل، والعين لا تعمل بغير إنسان، وقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨). فإمَّا الشريعة وهدى الله تعالى، وإما أهواء الذين لا يعلمون، إما هدى الله تعالى، وإما خطوات الشيطان.

فَهِمَ صحابة رسول الله ﷺ أن القرآن لابد له من ترجمة عملية كبرهان ودليل على صحة إيمانهم به، فإذا بهم يقرءونه، ويفهمونه، ثم يعملون به، هذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول- بعد وفاة رسول الله ﷺ-: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن

أزيغ»(١) .

لقد كانت هذه الآية كفيلة بقتل الصحابة رُعبًا، فكلهم كان يخشاها إذ قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣) .

وبمثل هذا رجح إيمان أبي بكر على إيمان الأمة، إن وضعا في ميزان لرجح ميزانه وحده.

هذا قوله، أما فعله رضي الله عنه فإنه صادق كقوله: «لما كان رسول الله ﷺ في مرضه الذي تُوفي فيه جهَّز عليه السلام جيشًا لغزو الروم على تخوم(٢) البلقاء، وجعل اللواء لأسامة بن زيد رضي الله عنه، وكان أصغر الصحابة رضي الله عنهم في الجيش، ويتوفى النبي ﷺ تاركًا الجيش على أهبة الاستعداد، فأراد الصحابة من أبي بكر رضي الله عنه أن يعيد جيش أسامة لينتفع به المسلمون في حرب أهل الردة، أو أن يغيره بقائد آخر يكبره سنًا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله الذي لا إله غيره، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، ولو أن السباع حول المدينة، ولو لم يبق في القُرى غيري، ما رددت جيشًا وجَّهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ». فأرسل أبو بكر رضي الله عنه جيش أسامة، فكانت العرب تريد الرِّدَّة فيقولون: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين(٣) فثبت الجميع على الإسلام بحمد الله عز وجل.

وساعة ارتد العرب، وأراد الصحابة- وفيهم عمر رضي الله عنه- من أبي بكر ألاَّ يقاتل العرب لعدم قوة المسلمين لهم إذا بأبي بكر رضي الله عنه يقول: «والله لأقاتلَنَّ مَنْ فرَّق بين الزكاة والصلاة، فإن الزكاة حق المال، ولو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٣٠٩٣) في فرض الخمس، مسلم (١٧٥٩/ ٥٢ - ٥٤) في الجهاد والسير.

(٢) تخوم: حدود.

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٦٩٧، ٦٩٨).

(٤) رواه البخاري (١٤٠٠) في الزكاة، مسلم (٢٠) في الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لقد كان شعاره رضي الله عنه: لا أطيع رسول الله حيًّا وأعصيه ميتًا!! فقاد سفينة الأمة بجرأة ومهارة، ومهد الطريق لمن بعده، إذ ذاق حلاوة الإيمان حين رضي بالله ورسوله وحكمهما، **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً»**[1].

وهذه سهلة بالدعوى واللسان، صعبة عند الاختبار والامتحان، لقد كان الصحابة يقرءون هذه الآية جيدًا ويعرفون ما فيها ويعملون به: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥). ثم هم يقرءون الآية الأخرى ليعملوا بها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦). فرفعوا شعار: بِمَ أمر ربنا؟ لا: لِمَ أمر ربنا؟ فلا تنطع ولا تعمق، ولا سؤال عن حكمة، ولا تمييع لدين الله، ولا تضييع لأمره بين القيل والقال وكثرة السؤال.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «يَرْحَمُ اللهُ نساء المهاجرات الأُول؛ لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١). شققْن مروطهن[2] فاختمرن بها»[3]. فلنعم الاستجابة لأمر الله تعالى.

وعن أبي أسيد الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج من المسجد يومًا فوجد الرجال قد اختلطوا مع النساء في الطريق، فقال ﷺ للنساء: **«اسْتأْخِرْنَ؛ فإنه ليس لَكُنَّ أنْ تَحْقُقْنَ الطريق، عليكُنَّ بحافات الطريق»**. يقول أبو أسيد رضي الله عنه: «فكانت المرأة تَلْتَصِقُ بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لُصوقها به»[4].

فالمسألة بالنسبة للصحابة الكرام: نكون بالإسلام، وبغيره لا نكون.

يخرج عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يريد مسجد رسول الله ﷺ- كما عند البيهقي في الدلائل- بينما رسول الله ﷺ يخطب الصحابة، فسمع عبد الله وهو

---

(١) رواه مسلم (٣٤/٥٦) في الإيمان عن العباس عم رسول الله ﷺ.

(٢) **مروطهن:** ج (مرط) وهو الإزار، واختمرن: غطين وجوههن.

(٣) رواه البخاري (٤٧٥٨) في التفسير.

(٤) **حسن الإسناد:** أبو داود (٥٢٧٢) في الأدب.

خارج المسجد رسولَ الله ﷺ وهو يقول: «اجلسوا». فجلس عبد الله مستسلمًا لأمر رسول الله ﷺ- وهو لا يعلم حكمة الأمر- حتى فرغ النبي عليه السلام من الخطبة، فلما أخبروه بخبر عبد الله قال عليه السلام: «زادك الله حرصًا على طواعية الله ورسوله ﷺ». ويبلغ الانصياع لله ولرسوله ﷺ وأمرهما ذروته كما يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ قال: «بينما الناس يصلون الصُّبح في مسجد قُباء، إذ جاءَ جاء فقال: أنزل الله على النبي ﷺ قرآنًا أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، فتوجَّهُوا إلى الكعبة»[1]. لقد تحولوا وهم في الصلاة لم يقطعوها كما تدل الروايات- فاستداروا وهم يصلون- مستجيبين لأمر الله طواعية لله عز وجل ولرسوله ﷺ

وها هو أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يوم أنزلت: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢). كان أحبُّ ماله إليه «بَيْرُحاء»، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخل إليها فيشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت الآية قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢). وإن أحبَّ أموالي إليَّ «بيرحاء» وإنها صدقة لله، أرجو بِرَّها وذُخْرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال ﷺ: «بخٍ، ذلك مالٌ رابحٌ، وقد سمعتُ ما قُلْتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[2]. وهو هو أبو طلحة لما كبرت سنه وبلغ السبعين فقرأ قول الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٤١). فقال لأولاده: أيْ بَنِيَّ جهزوني. قالوا: نحن نغزو عنك، قد عذرك الله. فقال: أيْ بَنِيَّ، والله ما أرى الله إلا قد استنفرنا شيوخًا وشبانًا فجهزوني.

يُشْبِهُ الرَّعْدَ إذا الرَّعْدُ رَجَفْ ★ يُشْبِهُ البَرْقَ إِذَا البَرْقُ خَطَفْ

لقد جهزوه فركب البحر غازيًا في سبيل الله، فتوفاه الله وهو في السفينة فلم يجدوا جزيرة لدفنه مدة سبعة أيامٍ فما تغيّرت جثته ولا أنْتنت.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨٨) في التفسير، مسلم (٥٢٦/ ١٣، ١٤) في المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) رواه البخاري (١٤٦١) في الزكاة، مسلم (٩٩٨/ ٤٢، ٤٣) في الزكاة عن أنس رضي الله عنه.

لو كــان دلـيــلاً لكان ليـلة قــدره   ولو كــان يومًــا لكــان يومي عــيــده

ومن بعدهم جاء جـيل التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، هذا هو الإمام مالك رحـمه الله يقول: إنما أنا بشـر أُخْطِئُ وأُصيبُ، فانـظروا رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. ويدخل رجل على الشافعي فيسأل عن حديث فيقـول الشافعي: إنه صحيحٌ. فقال قائلٌ: أتقول به يا أبا عبـد الله؟ فاضطرب الشافـعي وقال: يا هذا، أرأيتني نصرانيًّا؟! أرأيتني خارجًا من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زِناراً؟! أروي حديثًا عن رسول الله ﷺ ولا أقول به؟! ثم قال: اشهدوا أنـي متى رويت حديثًا عن رسول الله ﷺ ولم أعمل به فـإن عقلي قد ذهب(١) .

بهذا عزُّوا و سادوا وكانوا جيل الثـريا بحق، حتى جاء من يستهين بأحكام الشرع ولا يقيمها حق إقامتها فصار أفـراد الجيل في الثرى متمرغين فيه متلذذين به، يقفون عند أقوال المشايخ والطوائف وما يأمر به الهوى، حتى صار المسلم إمام نفسه، وهواه قائده وسائقـه، ولأن يلقى الله العبد بكل ذنب خلا الشـرك خيرٌ له من أن يلقى الله تعالى وهذه حاله.

ولو أراد أفراد هذا الجيل أن يلحقوا بركب الصحابة فعليهم أن يعلموا أن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ تعني: كمال الانقـياد والتسليم، والخضوع والانصياع، والذلة لأمر الله تعالى ونواهـيه، ولو خالف المرء رأي شيخـه وطائفته وهواه: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧). فإن لم يجد المسلم جوابًا لمسألة في الكتاب أو السنة انصرف إلـى أقوال الصحابة، حَيث فِعْـل الصحابة والسلف هو الفيصل دائمًا في التفرقة بين السُّنة والبـدعة، ويرحم الله عامرًا الشَّعبي يوم سُئل عن مسألة فـقال: قال فيهـا عمر كذا، وقال علي فـيها كذا. فقـال السائل: وأنت يا أبا عمرو ما تقول؟ فقال: وما تصنع بقولي بعد أن سمعت مقالة عمر وعلي؟

إن التمـسك بالسُّنة مع سف التراب خيـرٌ من التفريط فـيها ولو غَمـضة عين من

---

(١) مـفتـاح الجنة (٦) للسيـوطي، أبو نعيم (٩/ ١٠٦) فـي الحلية، البـيهـقي (١/ ١٧٤) في مناقب الشافعي بسند صحيح إليه.

عيش في الترف والثراء، وملء البطون، وخليج صاف خير من بحر كدر.

ثالثًا: أن جيل الصحابة كان لديه التميز في معاداة الكفر وأهله، فصحَّ عندهم مفهوم الولاء والبراء:

ففهم صحابة رسول الله ﷺ أن عبودية الله تعالى لا تسمح بموالاة الكفر وأهله، ولا بموالاة أي عدو لله تبارك وتعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقد كان جيل الصحابة بحق جيل الثريا، فتميزوا في مفاصلة الكفر وأهله، فكان الرجل يسلم فيخلع عن نفسه كل ماضيه الجاهلي، يدخل بيته فيزيل كل أثر من آثار الكفر ويمحوه، فينفصل عن حياته الماضية تمامًا، ويكره أن يعود إلى الكفر، فذاقوا حلاوة الإيمان، كما روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[١].

فدخل الصحابة في دين الله بنفوسهم وقلوبهم وعقولهم، فكانوا كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة: ٢٠٨). فخاصموا كل ما يعادي الإسلام وأهله ويخالفه، لسان الحال والمقال:

مَنْ كَانَ مِنَّا فَإِنَّا منه ... ومَنْ شَذَّ رُدَّ

ليس الفتى من توارى ... إنَّ الفتى مَنْ تصدَّى

لما عقد رسول الله ﷺ عقد الحديبية مع قريش ومادّ أبا سفيان، فأعانت قريش بكرًا على خزاعة[٢]، فنقضت قريش العهد، وشعر أبو سفيان بالخطر، فأراد أن يذهب إلى المدينة ليشد العقد، ويرى من يشفع له عند رسول الله ﷺ، فأراد

---

(١) رواه البخاري (١٦) في الإيمان، مسلم (٤٣/ ٦٧) في الإيمان.

(٢) بكر: قبيلة حالفت قريش، وأمّا خزاعة فحالفت النبي ﷺ.

الدخول على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ وأم المؤمنين فأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ، طوت أم حبيبة عنه الفراش فقال أبو سفيان: يا بُنَيَّةَ؛ ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراشُ رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجسٌ. فقال: والله لقد أصابك بعدي شرٌّ[1] . فخرج أبو سفيان من عندها وقد علم أن الإسلام حدٌّ فاصلٌ بين حياة الكفر والإيمان، وأنه لا قرابة تجمع بين المسلمين وبعضهم إلا العقيدة وهي أكرم خصائص الروح الإنساني، فليس المسلمون أمة تتجمع على الكلأ والمرعى كالبهائم، يحدها الراعي بسورٍ وسياج، وإنما هي أمة تجمعها آصرة العقيدة، لا تفرق بينها عوامل الأرض، والجنس، واللغة، والنسب، التي تفسد وتفرق ولا تُجمع، إلا أن تربط العقيدة بين ذلك جميعًا ولقد ضربت أم حبيبة رضي الله عنها المثل- أروع المثل- في التبرؤ من أعداء الله ولو كان والدها الذي كان على الكفر يومئذ لم يسلم، حتى أيقن الرجل بأنه: إما إيمان يجمع الكل تحت مظلته، وإمَّا كفر يجمع قومًا ويفرق بينهم وبين حزب الله من المفلحين المؤمنين الغالبين.

ونموذج آخر ينبعث صداه دالاً على صدق مفاصلة الصحابة مع الكفر، والتميز عنه وعنِ أهله، إنه ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ خيلاً قِبلَ نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثُمامة ابن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: **«ماذا عندك يا ثُمامة؟»**. فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فتُرك حتى كان الغد ثم قال له: **«ماذا عندك يا ثُمامة؟»**. فقال: ما قلت لك: إن تُنعم تُنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد فقال: **«ماذا عندك يا ثُمامة؟»**. فقال: عندي ما قلت. فقال: **«أطلقوا ثمامة»**. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما

---

(1) زاد المعاد (٣/٣٩٦، ٣٩٧) لابن قيم الجوزية.

كـان دين أبغض إليَّ من دينك فـأصـبح دينك أحب الدين إليَّ، والله مـا كـان بلد أبغض إليَّ من بلدك فـأصبح بلدك أحب البـلاد إليَّ، وإن خيلك أخـذتني وأنا أريد العمـرة فماذا ترى؟ فبـشَّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعـتمر». وفي رواية: فاغـتسل وصلى ركعتين فقال رسول الله ﷺ: **«لقد حسن إسلام صاحبكم»**[١] . فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ[٢] .

لقد كان ثمـامة ملكًا من ملوك اليمـامة، وهي ريف مكة ومصدر القـمح الوحيد لقريش، وفـوق هذا وذاك كان ثمامـة رجلاً إذا قال فعل، لـم يكن بائع كلام يلعن الشيطان بلسانه ويطيعه بجوارحـه، لكنه نفَّذ ما أقسم عليه: منع القمح عن أهل مكة حتى جهـدت قريش وأشرف الصغار والكبـار فيها على الموت جـوعًا، فاضطر أهل مكة أن يكتبـوا إلى رسول الله ﷺ متـوسلين قائلين: إنك تأمـر بصلة الرحم، وقد قطعت أرحامنا[٣] ، قتلت آباءنا بالسيف، وأبناءنا بالجوع. فرقَّ قلب النبي ﷺ لهم، وبعث إلى ثمـامة آمرًا إياه أن يرسل بالقـمح إلى أهل مكة، فأطاع ثمـامة وامـتثل، وأرسل الميرة إلى أهل مكة بعدما أمر رسول الله ﷺ[٤].

كان هذا حال الصحابة في مفارقة الكفر والمفاصلة مع أهله، ولذا كانوا جيل الثريا خاصموا كل صورة من صور الشرك والكفـر، أما جيل الثَّرى: جيل الذِّلَّة والهوان، فإنه انحرف ومال، فـلا ترى قرى الجيل وبلدانهم إلا كصورة لبلاد المـغضوب عليهم والضالين لا تفترق عنها إلا في بعض المظاهر والشعارات، بل تخطى الأمر ذلك إلى تقليـد أعمى لكل مـا هو مـخالف للإسـلام: لهث وراء المادة، اكـتسـاب من غيـر احتساب، سهر في غير طاعة، تجارة في لهو عن ذكر الله، حياة في غفلة، شغلٌ في ضلالة، مشاقة لأحكام الله!!

---

(١) **صحيح الإسناد**: ابن حبان (٣٢٨١) موارد.

(٢) رواه البخاري (٤٣٧٢)، مسلم (١٧٦٤).

(٣) وما فعل، وإنما هم الذين قطعوا رحمه يوم كذبوه وحاولوا قتله، وجعلوه يهاجر من أرضهم.

(٤) زاد المعاد (٢/ ١١٩) ومختصر سيرة رسول الله ﷺ (ص٢٩٢، ٢٩٣) للشيخ عبد الله النجدي.

أمة لم تتميز، تعشق الفن والطرب، تصدق كل غوي وغوية، ومنذ متى والغنم تصدق ذئبها؟ لو صدقته لانقض عليها حتى جعلها فريسة له وضحية، ولقد صدقناهم فصرنا الضحية، صرنا الفريسة!!

إن المؤمن في خلاف دائم مع أعداء الله حتى يدخلوا في ديننا، فلا صداقة ولا موالاة، فهل لمحتم طيبة من حيَّة؟! أم هل لمستم رقة من عقرب؟! إنهم حيات وعقارب فإن أطعناهم صرنا مثلهم: ضُلَّالٌ، فُسَّاقٌ، سيصيبنا الهوان، الخزي، العار، سنخوض إلى باطن الثرى إلا إذا تمسكنا بالوحي، وعادينا أعداء الله.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ١١). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ (الممتحنة: ١). وشتان ما بين الثَّرى والثُّريا.

رابعًا: أن جيل الصحابة عرف الميزان الصحيح، والتقويم الدقيق لمنزلة الدنيا من الآخرة:

فعلموا أن لذة الآخرة أعظم وأدوم وألمها كذلك، وأن لذة الدنيا أصغر وأحقر وألمها كذلك، فتركوا أقلَّ اللَّذتَيْن لتحصيل أعلاهما، فلم تكن قلوبهم متأرجحة بين الدنيا والآخرة؛ لأنهم خلصوها من كل ما يحول بينها وبين الجنة.

نساء رسول الله ﷺ كُنَّ من البشر لهن مشاعر البشر مع فضلهن وكرامتهن وقربهن من ينابيع النبوة، لما رأين الرخاء والنعمة مما أفاء الله على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين راجعن رسول الله ﷺ، وأردن زيادة النفقة إلا أن رسول الله ﷺ لم يستقبل هذا الأمر بالرضا، لأنه كان يريد أن تكون حياته وحياة من يتصلون به بعيدة عن ملذات الدنيا وشهواتها، بعيدة عن الحرص والشره، فاحتجب رسول الله ﷺ عن الجميع، وقال الصحابة: طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، ثم نزلت آية التخيير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الأَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٨، ٢٩). فحمل رسول الله ﷺ الآيتين وذهب بهما إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فخيَّرها- وكانت أحب نسائه إليه- ليُعْلَم أنَّ محبة الله تعالى فوق كل محبة،

فتلا الآيتين وقال: «لا تَعْجَلِي حتى تستأمري أَبَوَيْك - أي: تستشيرهما-». فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أفيكَ أستأمر أبويَّ يا رسول الله، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. فما عرض على واحدة منهن إلا اختارت الله ورسوله والدار الآخرة»[1] .

هذا هو الميزان الحق: الله ورسوله والدار الآخرة. لقد علمهم رسول الله ﷺ وعلمنا أن الدنيا بقاؤها قليل، وحلالها حساب، وحرامها عقاب، وما هي عند الله إلا أهون من جناح بعوضة.

يروي جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسُّوق، داخلاً من بعض العالية، والناس كَنَفَتَه[2] ، فمرَّ بجدي أَسَك[3] ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيُّكم يحب أن هذا له بدرهم؟». فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أتُحبُّون أنَّه لكم؟». قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا فيه؛ لأنه أسَكٌّ، فكيف وهو ميِّتٌ؟ فقال: «فوالله! للدُّنيا أهون على الله من هذا عليكم»[4] .

هكذا كشف لهم ﷺ عن حقيقة الدنيا وحقارتها، وربَّاهم على الزُّهد فيها، فكانوا جبالاً شُمًّا آسادًا، كلٌّ يسير وحده كأمة، والله لأن توضع السكين في رقبة أحدهم وحَلْقِه فتنفذ إلى الجهة الأُخرى أهون عنده من أن يقدم الدنيا على الآخرة. لم يقفوا على الأبواب، ولم يتمسحوا على الأعتاب، استعلوا بالإيمان، فأعلاهم الله حتى صاروا جيل الثريا.

ها هو يوم اليمامة، أول مواجهات المسلمين الكبرى بعد وفاة رسول الله ﷺ، حارب المسلمون يومئذ (مُسَيْلمة الكذَّاب) الذي اجتمعت معه بنو حنيفة من المرتدين، ومعهم السلاح والعتاد، وفوق هذا وذاك احتموا وتحصنوا بأسوار حديقته العالية التي سميت بـ«حديقة الموت» التي استشهد حولها عدد كَبير من الصحابة رضوان الله

---

(١) القصة عند البخاري (٤٧٨٥) في التفسير، مسلم (١٤٧٥/ ٢٢) في الطلاق عن أم المؤمنين عائشة.
(٢) أي بجانبه.
(٣) أسكٌّ: بغير الأذنين.
(٤) رواه مسلم (٢٩٥٧/ ٢) في الزهد والرقائق.

عليهم، ويومها كان أول الجرحى الصحابي الجليل الأنصاري المتصدق بصاعٍ يوم تبوك (أبو عقيل الأنصاري) رضي الله عنه فقد رُمِي بسهم وقع بين قلبه ومنكبيه في غير مقتل، فأخرج السهم، لكن مكان الإصابة وهى وضعف حتى إنه لا يستطيع الوقوف على شقه الأيْسر، فجروه إلى الخيمة، وحمي القتال، فكانت الجولة الأولى لعدو الله مسيلمة والمرتدين وكاد المسلمون أن يتجرعوا كأس الهزيمة، فصاح معن بن عدي الأنصاري رضي الله عنه: يا للأنصار؛ الله الله، والكرة على أعدائكم.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «فنهض أبو عقيل يريد الوقوف، فقلت: ما تريد؟ ليس لك قتال!! أنت جريح. فقال أبو عقيل: لقد نوَّه المنادي باسمي يا ابن عمر. قال ابن عمر: إنما قال: يا للأنصار، ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: لقد نوَّه المنادي باسمي يا ابن عمر، وأنا من الأنصار؛ لا والله الذي لا إله إلا هو لأجيبنه ولو زحفًا.

إنَّ الطُّيور وإنْ قَصَصْتَ جناحها ★ تسمو بفطرتها إلى الطيران

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فتحزَّم أبو عقيل، وأخذ السيف باليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار، كرة كيوم حنين، يا خيل الله اركبي، يا خيل الله اثبتي، وبالجنة أبشري. ثم تقدم رضي الله عنه الصفوف وهو مصاب، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فنظرت إليه وقد قطعت ذراعه المصابة، وبه أربعة عشر جرحًا كلها خلصت إلى مقتل، وهو في آخر رمق وقد هزم اللهُ عدُوَّه، فوقفت عليه فقلت: أبا عقيل. فقال بلسان ملتاث: لبيك؛ لمن العاقبة؟ قلت- يعني ابن عمر-: أبْشِر، قد قتل عدو الله. فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ثم لقي الله»[(1)].

صامت لا يطيل الكلام ★ وهو بصمته يربي الأمم

لقد فهم أبو عقيل رضي الله عنه أن الدنيا بأسرها قليل، وبقاؤها قليل، ونصيبه من هذا القليل قليل، فبذل روحه لله وشعاره: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (طه: ٨٤). فبذل النفس والمال وباعهما والله منه اشترى، فما ضرَّه أن يموت، لعلمه أن الله

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٨٨، ١٨٩) لابن الجوزي - ط- دار الفجر للتراث بتحقيقنا.

سيجبر مصيبته بالجنة، فبعد هذا يا نفس جنة ورضوان وخلود، فعلام يقدم الدنيا على الآخرة؟

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفتحون البلاد؛ لا طمعًا في الدنيا ولا في المال، وإنما لنشر دين الله، فلم يهتموا بما كانوا يرونه من الحضارة المادية، لقد ذهبوا إلى مدينة «الرِّقَّة» فرأوا خبزًا رقاقًا ظنوه في بادئ الأمر: مناديل، فأخذوه بأيديهم فوجدوه أرغفة خبزٍ، فلم يكن أحدهم يظن أن الخبز يبلغ هذه الدرجة من الرقة، لكنهم لم ينتبهوا لذلك، ولا أعاروه اهتمامًا، ذلك أن أحدهم لم يكن يشتهي ما لا يجد، فإذا ما وجده يتصدق به، ولا يعيره اهتمامًا، فهزموا أعداءهم وأنفسهم وشياطينهم، فعلوا وسموا حتى بلغوا الثريا، لم يذوبوا في حضارات غيرهم، وساعتها أذعن العالم كله لهم فهم جيل يصعب تكراره.

أمَّا جيل الثَّرى فإنه رفع الطين، وباع الدين، نفوس المسلمين الآن في طلب الدنيا، كلاب أمانيّ، انشغلوا بدنياهم، ونسوا أُخراهم، اعتبروا الدنيا رأس المال ومنتهى الآمال، يود أحدنا لو يعمر ألف سنة، فإذا جاءه الموت جاءه وهو حزين ليخرج من الدنيا كارهًا للموت، نادمًا على فراق دنياه، فصار المسلمون كالمسوخ كالدُّمى كالعرائس ككلاب تبحث عن فتات الموائد من بقايا الخبز والطعام.

وعرف العدو فينا هذا فبعثوا فينا الراقصة التي تحرك الحجر بأنوثتها، بالقلم الذي يشيع الفاحشة، بالممثلة التي تغري بالفجور، بالراقصة التي تحرك بأنوثتها الصخور، بالمخدر الذي يقتل الحياة والقلب والبدن والدين، بالكماليات التي تُثْقل الحياة، فانصرفنا إلى ذلك كله ناسين ما خلقنا لأجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

هذا ما انصرف إليه الصحابة وهذا ما انصرفنا نحنَ عنه، فهم جيل الثريا، ونحن جيل الثرى، وشتان ما بين الثرى والثُّريا.

لقد اجتمع قيصر الروم مع بطارقته- يعني قواده- بعد معركة اليرموك فقال: «ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن. قال: فما

بالكم تنهزمون؟! فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمـرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنَّا نشـرب الخمـر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العـهد، ونغـصب، ونظلم، ونأمر بالسـخط، وننهى عما يرضي الله، ونُفْسـد في الأرض. فقال هرقل: أنت صدقتني»[1] .

لقد كانت هذه الكلمات تشخيصًا لدائهم الذي تسلل إلينا حتى سرى في أوصالنا كسرطان لا يـجدي معه علاجٌ، ولا ينفع دواءٌ، ولـذا فقد اهتموا بتـصدير هذا الداء بكل أعراضه إلينا، فتوجهت إليهم قلوب تحكم فيها الهوى وتربع على عروشها حتى تفشى فينا الداء فصار داءً عضالاً.

وحتى ننجح في التخلص من هذا الداء علينا بأمرين:

الأول: أن نسير على ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

والثاني: أن نواجه أسلحة أعدائنا الفـتَّاكة لنذيبها في أيديهم بالتعـفف عنها، فما يفعـل المرابي في قرية لا يتـعامل أهلهـا بالرِّبا؟ فلنعفف عن هذه المطاعـم والمشارب النتنة كلها، ونغمض العين على كتاب الله عـز وجل مستمسكين بالذي أوحي إلينا، فإذا ما تأكدوا أنه لا حـاجة لنا بهم، تيقنوا أن لا حاجة لهم فيـنا ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وكيدهم.

إن قلم القدر حين كتب قصة الكون جعل النهاية فيها والكلمة العليا لأهل الإيمان من حزب الله وأهل الثريا، فـإذا أردنا الانتصار والتمكين، فلنخـرج جيلاً تربى على المبادئ التي ربَّى النبي ﷺ عليـها أصحابه دون زيادة أو نقصـان، وهو ما نرجوه في الصفحـات التالية التي حاولنا أن نجعل سطـورها تقطر تمسكًا بالكتاب والسُّنة لتكون ذخرًا لنا عند الله تعـالى أولاً، ثم نفعًا للمـسلمين في تربية صغـارهم ليكونوا جيل النصر الذي ننشده، وليحققوا التمكين الذي نأمل فيه لديننا وقومنا.



---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٩٢) لابن كثير.

مرحلة ما قبل الولادة

تدابير اتخذها الإسلام لحماية الولد قبل ولادته

أولاً: تحريم الزنا:

وقد أراد الله تعالى للمسلم أن ينشأ في أجواء يكتنفها الطُّهر والعفة بعيدًا عمَّا حرمه سبحانه من إتيان الفواحش فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأعراف: ٣٣).

وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ (الأنعام: ١٥١). ومن هذه الفواحش التي أكثر الإسلام في تحريمها: الزنا حيث كان حازمًا في تحريم الزِّنا حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢).

كأنما قال: إياكم ومقدمات الزنا: النظرة، اللمسة، القبلة، العناق فهو كله زنا على اختلاف درجاته. يؤيد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا لا محالة: فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها المشي، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»[١] .

وكذا حسم النبي ﷺ مسألة الزنا هذه بتحريم كل مراحلها وخطواتها التي يباركها الشيطان فيتدرج في نصب فخ الزنا للزاني حتى يقتل المرء إيمانه بيديه إذ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[٢] . ولسنا بصدد الإسهاب في هذا الأمر قدر ما نريد توضيح نهي السنة بعد القرآن عن الزنا وما يترتب عليه من أضرار مادية ومعنوية للولد المسلم القادم إلى الحياة قد تودي به إلى الهلاك.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤٣) في الاستئذان، مسلم (٢٦٥٧/ ٢٠) في القدر من طريق ابن عباس عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان.

الله، ائذن لي في الزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال: «ادنه». فدنا منه قريبًا قال: فجلس قال: «أتحبه لأمك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟». قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الملاعنة قال النبي ﷺ: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة»[٢].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد الزنا شر الثلاثة»[٣]. وفي رواية: «ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه»[٤].

وقال بعض أهل العلم: معناه أنه شر الثلاثة أصلاً وعنصرًا ونسبًا ومولدًا، ذلك لأنه خلق من ماء الزاني والزانية، وهو ماء خبيث وقد روي في بعض الحديث: «العرق دساس». فلا يؤمن أن يؤثر ذلك الخبث فيه ويدب في عروقه فيحمله على الشر ويدعوه إلى الخبث وقد قال سبحانه في قصة مريم: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦، ٢٥٧)، وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح كما في التقريب (٢/ ٣٧٢)، (١/ ١٥٩)، (١/ ٣٢٠)، (١/ ٣٦٦).

(٢) حسن: أخرجه الشافعي في مسنده (٢/ ٣٩٣)، وأبو داود (٢/ ٦٩٥) (٢٢٦٣) كتاب الطلاق باب التغليظ في الانتفاء، والنسائي في اللعان (٦/ ١٧٩)، وابن ماجه (٢/ ٩١٦) (٢٧٤٣)، وابن حبان (١٣٣٥)، والحاكم (٢/ ٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبغوي في شرح السنة (٩/ ٢٧٠) (٢٣٧٤)، والدارمي في السنن (٢/ ١٥٣).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٢) (٣٩٦٣)، والطحاوي في المشكل (١/ ٣٩١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٥٧)، وأحمد (٢/ ٣١١)، والحاكم (٢/ ٢١٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٩٢)، والأوسط (١/ ١٨٣).

كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨). فقضوا بفساد الأصل على فساد الفرع.

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ (الأعراف: ١٧٩). أنه قال: «ولد الزنا مما ذرأ لجهنم».

وكان مالك رحمه الله لا يجيز شهادة ولد الزنا على الزنا خاصة دون غيره من الشهادات للتهمة. وحكى ابن المنذر عن أبي حنيفة رحمه الله أن من ابتاع غلامًا فوجده ابن زنا كان له أن يرده بالعيب. وكان عمر رضي الله عنه إذا قيل له: ولد الزنا شر الثلاثة، قال: بل هو خير الثلاثة، ووجهه أنه لا إثم له في الذنب الذي باشره والداه فهو خير منهما لبراءته من ذنبهما[١].

وقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ (الأعراف: ٥٨).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة ولد زنية...»**[٢]. وذلك لأنه مظنة كل شر وخبث، وهو جدير ألا يجيء منه خير أبدًا لأنه مخلوق من نطفة خبيثة، وإذا كان الجسد الذي تربى على الحرام النار أولى به فكيف بالجسد المخلوق من النطفة الحرام[٣].

قلت: هذا صحيح لو نهج الولد نهج والديه في الوقوع في هذا القذر وإلا ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الإسراء: ١٥).

وعلى كل حال فجريمة الزنا من أبشع الجرائم التي ترتكب ضد الشرف والأخلاق والفضيلة والكرامة، وتؤدي إلى تقويض بناء المجتمع وتفتيت الأسر واختلاط الأنساب وقطع العلاقات الزوجية وسوء تربية الأولاد بل تفضي إلى ضياع الطفل الذي هو قتل له معنى، فإن ولد الزنا ليس له ما يربيه والأم بمفردها لا تستطيع تربيته

---

(١) الخطابي في معالم السنن (٤/ ٢٧٢، ٢٧٣) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٣)، والدارمي (٢/ ١١٢) والبخاري في التاريخ الصغير (١٢٤)، عبد الرزاق في المصنف (٢/ ٢٠٥)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٢٣٦)، وابن حبان (١٣٨٢)، والطحاوي في المشكل (١/ ٣٩٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٧، ٣٠٨).

(٣) ابن القيم في الجواب الكافي (ص١٧٢).

والقيام بشئونه لقصور يدها، فيشب على أسوأ الأحوال ويصير عضوًا فاسدًا في جسد المجتمع الإنساني ينشر الحقد والبغضاء، ويبث الفساد والإجرام لأنه ثمرة الجريمة البشعة المنكرة، وهي من أخطر أمور الحياة كلها بل أشدها تعلقًا بنظامها ودوام سعادتها وهنائها، وتماسكها وترابطها، ولذلك اهتم الشارع الحكيم بهذا الحد أكبر اهتمام صونًا للحياة الأسرية من الانهيار وحفظًا للروابط مما يتهددها من بلاء وأخطار، فذكر عقاب من لا يحفظ فرجه وبينه أعظم بيان وجعله من أشد العقوبات وأفظعها، وأوجب ألا تأخذنا شفقة ولا رحمة بالجناة، وأن يشهد إقامة الحد جماعة من المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

والزنا يدنس شرف الأسرة ويلحق العار بالأهل الأبرياء نساءً ورجالاً بلا ذنب، ثم الجناية على الجنين الذي قد يولد من طريق الزنا ويأتي ثمرة هذه الجريمة فيتعرض للقتل وهو الغالب وإن عاش فالضياع والفساد والعار الملازم له طول حياته واحتقار المجتمع له ونفورهم منه حتى يصبح الموت أفضل عنده من هذه الحياة فإن من لم يثبت نسبه ميت حكمًا.

وإذا تصورت ما يترتب على هذه الجريمة حينما تدخل الزوجة على أولادها وأسرة زوجها مولودًا ليس منهم وتقحم عليهم شخصًا غريبًا عنهم يشاركهم بلا حق في معيشتهم وشرفهم واسمهم وميراثهم وكل خواصهم وما يتبع ذلك من أضرار جسيمة لا يعلمها إلا علام الغيوب علمت فظاعة هذه الجريمة[١].

ولذا كان النبي ﷺ أشرف الخلق على الإطلاق لانحداره من أنقى وأطهر الخلق، فعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»**[٢].

☆ ☆ ☆

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة (٥/ ٤١) بتصرف.

(٢) أخرجه البيهقي (٧/ ١٩٠) وعبد الرزاق كما في البداية والنهاية (٢/ ٢٥٦) وقال ابن كثير: وهذا مرسل جيد، والحديث في صحيح الجامع الصغير رقم (٣٢٢٥).



قضية ذات صلة: ولد الزنا:

ولاقتران قضية الزنا بالقتل فقد ربط الله تعالى بينهما في كتابه العزيز إذ قال سبحانه: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢). ثم أتبعها بقوله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: ٣٣). وذلك أن أكثر الزناة أول ما يفكرون، يفكرون في قتل الجنين الذي يتحرك في أحشاء الزانية التي تريد حفظ ماء وجهها، فتلجأ إلى إخفاء جريمة بجريمة أكبر وهي: الإجهاض- قتل الجنين في بطن أمه- بقصد التخلص من الفضيحة، ويا للأسى حين تعلم أن هذه التجارة- تجارة الإجهاض- صارت من أروج التجارات بعد كثرة الزواني اللاتي يلجأن إلى أطباء لا يخافون الله ولا يخشونه بعد أن غابت شمس العقيدة، فيشترك الجميع في كبرى الجرائم بعد الإشراك بالله: قتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ويحقق هؤلاء الأطباء أموالاً طائلة، وثراءً فاحشًا لا بارك الله لهم فيه.

وهذه جريمة لا شك عندنا في ذلك؛ لأن فيها إزهاقًا للروح التي برأ الله تعالى، وقتلاً للنفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ولا نعرف خلافًا بين العلماء في ذلك إلاَّ في حالات الضرورة المقدرة بمعرفة العلماء الأثبات الثقات.

• جريمة قاسية شنعاء:

وعلى الجانب الآخر ترتكب جريمة لا تختلف عن سابقتها في وحشية المرتكب وسوء طويته، إذ أن بعض الزناة يلجئون إلى إلقاء الطفل الصغير وليد اللحظة أمام دور الأيتام، أو على ضفاف الأنهار والتِّرع، وعلى أبواب المساجد، وفوق أرصفة الشوارع العامة؛ بل وعلى أكوام القمامة!! نعم، على أكوام القمامة حيث تكثر الجرذان، والكلاب، والقطط، والحيَّات.

وهذه قصة واقعية رواها لي أصحاب المعروف فيها، فقد كان صديق لنا يسكن في مكان تحيط به أرض فضاء، ومن العادات المسترذلة المستقبحة: إلقاء القمامة في مثل هذه الأماكن، وحدث أن زوجته في يوم شاتٍ لفت نظرها أن كيسًا أسود من أكياس القمامة فيه حركة غير عادية؛ كما أن الكيس قد التف حوله قطط وكلاب يحاولون فتحه ونهش ما فيه، فدفعها الفضولُ وزوجها إلى استكشاف ما في هذا الكيس خشية

وجود حيوان أو طائر فيه، فما هي إلا لحظات حتى بهتتهم المفاجأة: إنها طفلة وليدة اللحظة- لا زالت المشيمة معلقة فيها- فذهبا سريعًا إلى أقرب مستشفى بالصغيرة حتى عثرا قدرًا على والدة الصغيرة التي ادَّعى أهلها أمام الطبيب أنها لم تكمل حملها وأن وليدها قد تُوفي، وبمنتهى التلطف اكتشف الرجل وزوجته- صاحبا المعروف- خبيئة هذه «الزانية» التي فعلت فعلتها ثم ألقت بثمرة الفؤاد، وفلذة الكبد نهبة للقطط والكلاب والجرذان.

ويا لله: لقد توسلوا إليهما بعدم الإعلان عن اسمها خشية الفضيحة، فرضخا لهم، وسلَّما الصغيرة إلى قسم الشرطة الذي أودعها بدوره إحدى دور رعاية الأيتام.

وأغرب مما سبق كله: أن الزانية أمها، والزاني أباها تزوجا وأنجبا ولم يتحركا حتى كتابة هذه السطور لإخراج ابنتهما من هذا السجن، وتخليصها من العار الذي سيظل ملاحقًا لها طيلة العُمُر. هذا ما جناه الزنا على هذه الصغيرة التي ستظل- إن لم يرق لها قلب هذين- يلاحقها العار طيلة عمرها.

وهذا آخر زنا بامرأة فولدت له من الزنا حتى حار ماذا يفعل؟ فلم يجد هذا الـ. . .إلا أن يسجل الوليد باسم أبيه، ليصبح وَلَدُهُ أخًا له!! ويرث ما لا يستحق، وهكذا اختلطت الأنساب، وزورت الشهادات، وسرقت الأموال، وارتكبت جريمة الغش و**«مَنْ غشنا فليس منَّا»**[1].

إذن ماذا ينبغي أن يُفعل بالجنين إذا طمت هذه الطامَّة؟ يأتي هنا حديث الغامدية، وهو عمدة في هذه المسألة، ففي حديث بُرَيْدة رضي الله عنه أنه قال بعد ذكر قصة ماعز ورجمه: «. . .ثم جاءت امرأة من غامد من الأَزْد فقالت: يا رسول الله! طهِّرني. فقال: **«ويْحك! ارجعي فاستغفري اللهَ وتُوبي إليه»**. فقالت: أراك تُريد أن تُرَدِّدَني كما ردَّدْت ماعز بن مالك. قال: **«وما ذاك؟»**. قالت: إنها حُبْلى من الزِّنى. فقال: **«أنت؟»**. قالت: نعم. فقال لها: **«حتى تضَعي ما في بطنِك»**. قال: فكفلها رجلٌ من الأنصار حتى وضعت. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية.

---

(1) رواه مسلم (١٦٤/ ١٠١) في الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فقال: «إذًا لا نَرْجُمها ونَدَعُ ولدها صغيراً ليس له من يُرضِعُه». وفي رواية: أنها أتته بالصبي في خرقة فقال: «اذهبي فأرضعيه حتى تَفْطميه»[1]. فجاءت بعد بالصبي في يده كسرة حتى رجمها.

قال النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث: «أن مَن وجب عليها قصاص وهي حامل لا يقتص منها حتى تضع، وهذا مُجمع عليه، ثم لا تُرجم الحامل الزانية ولا يقتص منها بعد وضعها حتى تسقي ولدها اللبن، ويستغني عنها بلبن غيرها»[2].

وفي بعض روايات هذا الحديث أنه ﷺ قال لولي الغامدية: «أحسن إليها فإذا وضعت فائتني بها». وهذا الإحسان له سببان:

الأول: الخوف عليها من أقاربها أن تحملهم الغَيْرةُ، ولحوق العار بهم أن يؤذوها، فأوصى بالإحسان إليها تحذيراً لهم من ذلك.

والثاني: أمر به رحمة لها إذ قد تابت، وحرَّض على الإحسان إليها لما في نفوس الناس من النفرة من مثلها، وإسماعها الكلام المؤذي ونحو ذلك فنهى عن ذلك كله[3].

وما يظهر لنا في الحديث أنه:

أولاً: لا يجوز الإجهاض خشية الفضيحة، وإنما للأمور معالجات أخرى كالزواج بعد التوبة، إن لم يقم الحد، وإنما يبقى الجنين حتى تضعه الأم، فإن أجهضته فهي قاتلة هي ومن شاركها في الأمر.

ثانيًا: ألاَّ يسيء أحدٌ إلى هذه (الحامل الزانية) إن انتشر أمرها، فلا تُعيَّر بما فعلت إلا أن تفاخر به أو تعلن به عن علم.

ثالثًا: الوليد لا ذنب له، وإنما يُرعى بمعرفة الإمامِ المسلم، أو أولي الأمر من العلماء، والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٥/ ٢٢، ٢٣) في الحدود.

(٢) شرح النووي على مسلم (٦/ ١٩٩) ط- دار الفجر للتراث.

(٣) السابق (٦/ ٢٠١).

رابعًا: إذا حدث قتل للجنين بالإجهاض دون ضرورة وجب دفع دية هذا الجنين.

لقد بلغ الإسلام مبلغًا عظيمًا، ومدًى هو الأبعد والأفضل في مدى احترام الجنين الإنساني قبل مجيئه إلى الحياة، عندما تطلَّب المحافظة على حياته داخل وخارج رَحِم الأم حتى ولو كان ثمرة علاقةٍ غير شرعية في لحظات الضعف البشري، فقد نظر الإسلام إلى الابن الشرعي نظرة موضوعية كلها رحمة وشفقة، إذ لابد له في أن يأتي هكذا، ومن ثمَّ وجب معاملته كغيره من ثمار العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة كي يأخذ حظه في الحياة المعتادة، وعلى مَنْ كان السبب في مجيئه على هذه الطريقة أن ينال جزاء خطيئته وفق ما رسمه الشرع الحكيم لذلك حدًّا أو تعزيرًا، وأمره من قبل ومن بعد لله تعالى وحده، وهو ما طبقه ﷺ مع الغامدية.

• دية الجنين:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: «اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غرة: عبدٌ أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورثها ولدها ومن معهم. فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول الله! كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك يُطل. فقال رسول الله ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان». من أجل سجعه الذي سجع[1]. وفي رواية أخرى[2] عن عمر رضي الله عنه أنه استشارهم في إملاص المرأة، فقال المغيرة: «قضى النبي ﷺ بالغرة عبدٍ أو أمة».

• دلالة الألفاظ:

الجنين: حمل المرأة ما دام في بطنها، وهو مأخوذ من الاجتنان أي: الاستتار ومنه

---

(١) اللفظ لمسلم في كتاب القسامة باب دية الجنين مع شرح النووي (٤/ ٢٥٤) حديث رقم (٣٢)، وهو في البخاري في كتاب الديات، باب جنين المرأة مع فتح الباري (١٢/ ٢٤٧) حديث رقم (٦٩٠٤).

(٢) اللفظ للبخاري في الموضع السابق حديث رقم (٦٩٠٥) وهو في مسلم في الموضع السابق الحديث الأخير في الباب، وفي أبي داود في كتاب الديات، باب دية الجنين السنن (٤/ ١٩١) حديث رقم (٤٥٧٠).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ (الأنعام: ٧٦)(١). أي: ستره. فإن خرج الجنين حيًّا فهو ولد (ذكرًا كان أو أنثى)، وإن خرج ميتًا فهو سقط.

الغرَّة: فسرت في الحديث بأنها: عبد أو وليدة (جارية)، قال ابن حجر: «وتطلق الغرة على الشيء النفيس آدميًا كان أو غيره، ذكرًا كان أو أنثى. وقيل: أطلق على الآدمي غُرة لأنه أشرف الحيوان، فإن محل الغرة الوجه، والوجه أشرف الأعضاء»(٢).

الاستهلال: خروج المولود صائحًا صارخًا، يقال: أهل المولود إهلالاً خرج صارخًا، وأهل المحرم رفع صوته بالتلبية عند الإحرام، وكل من رفع صوته فقد أهل(٣).

إملاص المرأة: قال أبو داود: «بلغني عن أبي عبيد إنما سمي إملاصًا لأن المرأة تزلقه قبل وقت الولادة، وكذلك كل ما زلق من اليد وغيره فقد ملص»(٤). وقد جاء في رواية المغيرة بن شعبة التي ذكر فيها استشارة عمر في إملاص المرأة زيادة: فشهد له يعني ضرب الرجل بطن امرأته، أي: أن الإملاص للمرأة يكون من ضرب بطنها وهي حامل. قال ابن حجر: «وهذا التفسير أخص»(٥). يعني مما قاله أهل اللغة، فاللفظ عندهم يشمل إزلاق الجنين قبل وقت الولادة قال الخليل: أملصت المرأة والناقة إذا رمت ولدها. وجاء في بعض الروايات: طرحت جنينها، وهو بمعناه.

• إسقاط الجنين بعد نفخ الروح:

يجمع الفقهاء كافة على أن الجنين إذا نفخت فيه الروح- وذلك لا يكون إلا بعد مائة وعشرين يومًا كما جاء في حديث ابن مسعود وغيره(٦)- فإنه يحرم إسقاطه

---

(١) انظر مادة جَنّ في المصباح المنير (ص١١٢).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر مادة: هَلّ في المصباح المنير (ص٦٣٩).

(٤) سنن النسائي (٤/ ١٩١).

(٥) فتح الباري (١٢/ ٢٥٠)، وانظر: شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٥٦).

(٦) حديث ابن مسعود متفق عليه، وقد جاء في كتاب القدر من صحيح البخاري (١١/ ٤٧٧)، حديث رقم (٥٦٩٤)، قال: حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق- قال: «إنَّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر =

وإجهاضه؛ لأنه جناية على حي خلقه الله بيديه، قد تكامل خلقه، ودخل في طور الحياة الإنسانية، وهذه الحرمة تشمل الجنين الذي جاء من نكاح أو من سفاح، فيحرم بإجماع الفقهاء الاعتداء على الجنين ولو كان من زنا بعد فترة مائة وعشرين يومًا.

فإن نزل الجنين حيًّا ثم ماتَ ففيه دية كاملة يدفعها الجاني، ولو كان الجاني هو أمه ولا ترث في الدية، وإن نزل ميتًا ففيه غرة كما جاء في الحديث: عبد أو وليدة، قيمتها عند جمهور الفقهاء يساوي: خمسة من الإبل، أو خمسين دينارًا، أو مثقالاً (٢١٢,٥جرامًا ذهبيًّا)، أو ستمائة درهم عند جمهور الفقهاء، وعند الحنفية خمسمائة درهم، لأن الدية عندهم عشرة آلاف كما ذكرنا من قبل، وعند الجمهور اثنا عشر ألف درهم.

وتقدير الفقهاء للغرة مبني على أساس أن تكون الغرة مساوية نصف عشر دية الرجل، أو عشر دية أمه[1] ، سواء كان السقط ذكرًا أو أنثى، عمدًا كانت الجناية أو خطأً لكن في العمد تغليظ الدية.

وقد ذكر ابن حجر رواية عن ابن أبي عاصم حدد فيها الغرة بعشر من الإبل،

= بأربع: **برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح**»، وانظر كيف جمع ابن قيم الجوزية، وابن حجر، وابن رجب الحنبلي بين هذا الحديث الذي فصل كل مرحلة عن الأخرى مرحلة النطفة، ومرحلة العلقة، ومرحلة المضغة، وبين حديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ: «**يدخل الملك في النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول: أي رب ذكرًا كان أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص**». وهو يبين أنها مرحلة واحدة، لقد كانت محاولة التوفيق محاولة عظيمة أعجبت بعض الأطباء المعاصرين، قال الدكتور محمد على الباز في كتابه خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص٤٠٣): «ونحن نرى أن الخلق كله يجمع في الأربعين، وفيها تفصيل ما أجمل كما يقول ابن القيم... إن النطفة والعلقة والمضغة والتخليق كلها تكون في الأربعين» وانظر: صفحة ٣٨٣ - ٤٠٤، وانظر كلام ابن حجر في شرح الحديث السابق في فتح الباري، الموضع السابق.

(١) انظر في ذلك بدائع الصنائع (١٠/ ٤٨٢٦)، والهداية مع تكملة فتح القدير وشرح العناية (١٠/ ٢٩٩، ٣٠٠)، وتفسير القرطبي (ص١٨٩٢)، وبداية المجتهد (٢/ ٤١٥)، والموطأ مع شرح الزرقاني: (٤/ ١٨٣)، والمهذب مع تكملة المجموع (١٧/ ٣٨٥)، ومختصر الخرقي مع المغني (١٢/ ٥٩) مسألة رقم (١٤٧٥).

ففي حديث ابن أبي أسامة: «وفي الجنين غرة عبد أو أمة عشر من الإبل أو مائة شاة»[1] . وسكت عن الحديث، فهذا نص في أن الغرة عشر دية الرجل[2] ، وهو ما يقوي رأي القائلين بالتسوية بين دية الرجل والمرأة. فالغرة إذن هي عشر الدية، أو بعشر من الإبل، أو بقيمتها من الذهب بالغة ما بلغت على ما فصلناه من قبل.

وليست الدية هي الواجبة فقط على الجاني إن نزل الجنين حيًّا بل تجب الكفارة كذلك عند جمهور الفقهاء ما عدا الحنفية، وهي عتق رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين؛ لأنه قتل نفسًا لها حق الحياة، وإن نزل ميتًا فيجب الكفارة أيضًا عند الشافعية والحنابلة[3] ، أما مالك فقد استحسن الكفارة ولم يوجبها. قال ابن رشد: «فأما الشافعي فإنه أوجبها لأن الكفارة عنده واجبة في العمد والخطأ، وأما أبو حنيفة[4] فإنه غلب عليه حكم العمد، والكفارة لا تجب عنده في العمد، وأما مالك فلما كانت الكفارة لا تجب عنده في العمد وتجب في الخطأ، وكان مترددًا عنده بين العمد والخطأ استحسن فيه الكفارة ولم يوجبها»[5] . وتتعدد العقوبتان السابقتان بتعدد الأجنة.

• إسقاط الجنين قبل نفخ الروح:

ذهب قلة من العلماء إلى جواز إسقاط الجنين قبل تمام أربعة أشهر أي: قبل نفخ

---

(١) فتح الباري: (١٢/ ٢٤٩).

(٢) هذا نص يؤيد اختيار شيخنا أبي زهرة في أن الغرة عشر الدية اجتهادًا منه حسبما اختار التسوية، لكنه رحمه الله لم ينص على هذا الحديث انظر العقوبة (ص٥٧٦).

(٣) المنهاج للنووي وشرح مغني المحتاج عليه (٤/ ١٠٨)، ومختصر الخرقي والمغني (١٢/ ٧٩) مسألة رقم (١٤٧٨).

(٤) ذكر الكاساني في بدائع الصنائع (١٠/ ٤٨٢٧) وما بعدها: «أن الرسول ﷺ لما قضى بالغرة على الضاربة لم يذكر الكفارة، مع أن الحال حال الحاجة إلى البيان، ولو كانت واجبة لبينها؛ ولأن وجوبها متعلق بالنفس، والجنين نفس من وجه دون وجه».

(٥) بداية المجتهد (٢/ ٤١٦، ٤١٧) لكن ذكر القرطبي في تفسيره (ص١٨٩٣)، أنه لا خلاف بين العلماء أن الجنين إذا خرج حيًّا فيه الكفارة مع الدية، واختلفوا في الكفارة إذا خرج ميتًا فقال مالك: فيه الغرة والكفارة، وقال أبو حنيفة والشافعي: فيه الغرة ولا كفارة، فأثبت رحمه الله الكفارة عند المالكية ضمنًا في الحالة الأولى وتصريحًا في الثانية، خلافًا لما أثبته ابن رشد والمعروف عن المالكية، وكذلك قوله عن الشافعية.

الروح، زاعمين أنه لا حياة فيه، ولا حرمة في إجهاضه، وذهب آخرون إلى الكراهة لأنه في مرحلة الحياة التي تشبه الحياة النباتية[1]، لكن جمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، حرموا الإجهاض إذا استبانت صورة الآدمية في الجنين أو بعضها، بل إن المالكية لم يشترطوا الاستبانة، واشترطوا انفصال الجنين كلية عن أمه.

ويعبر الفقهاء أحيانًا عن الاستبانة هذه بالتخطيط، يقول الكاساني: «وسواء استبان خلقه أو بعضه لأنه ﷺ قضى بالغرة ولم يستفسر فدل أن الحكم لا يختلف، وإن لم يستبن شيء من خلقه فلا شيء فيه لأنه ليس بجنين إنما هو مضغة»[2].

ويقول الغزالي في الوجيز[3]: «لا شيء في إجهاض المضغة والعلقة قبل التخطيط على الأصح». لكنه فصل في الإحياء فقال: «وليس هذا- أي: العزل ومنع الحمل- كالإجهاض والوأد لأن ذلك جناية على موجود حاصل، فأول مراتب الوجود وضع النطفة في الرحم، فيختلط بماء المرأة، فإفسادها جناية فإن صارت علقة أو مضغة فالجناية أفحش، فإن نفخت فيه الروح واستقرت الخلقة زادت الجناية تفاحشًا، ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال»[4].

وهذا ابن قدامة يقول: «فإن أسقطت ما ليس فيه صورة آدمي فلا شيء فيه لأنا لا نعلم أنه جنين، وإن ألقت مضغة فشهدت ثقات من القوابل أن فيه صورة خفية ففيه غرة»[5]. ويقول النووي: «وسواء كان خلقه كامل الأعضاء أو ناقصها أو كان مضغة

---

(١) المرحلة النباتية كما ذكرها بعضهم هي الواقعة بين الأربعين يومًا والمائة والعشرين يومًا، وما قبل الأربعين يسمى المرحلة الخلوية أي حياة الخلية انظر في ذلك: عصمة ذم الجنين المشوه للدكتور محمد الحبيب بن الخوجة (ص٢٧٠) من مجلة المجمع الفقهي الإسلامي الثانية ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

(٢) بدائع الصنائع (ص٤٨٢٥)، وقال الزيلعي في تبيين الحقائق (٦/ ١٤٢): «والجنين الذي استبان بعض خلقه كالتام في جميع ما ذكرنا من الأحكام لإطلاق ما روينا» أي الأحاديث السابقة وما في معناها.

(٣) (ص١٥٧)، وانظر تكملة المجموع (١٧/ ٢٨٣).

(٤) إحياء علوم الدين (٢/ ٥٣).

(٥) المغني (١٢/ ٦٣)، وانظر الفتاوى للشيخ شلتوت (ص٢٨٩ - ٢٩٢)، طبعة دار الشروق الطبعة الثامنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، وفتاوى شرعية للشيخ حسانين مخلوف (١/ ٢٥٧)، طبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٥٦م.

تصور فيها خلق آدمي»(١) .

أما المالكية فقد شددوا كما رأينا عند الغزالي فقال الدردير: «لا يجوز إخراج المني المتكون في الرحم ولو قبل الأربعين»(٢) . قال الدسوقي: «هذا هو المعتمد»(٣) . ويقول ابن رشد: «قال مالك: كل ما طرحته من مضغة أو علقة مما يعلم أنه ولد»(٤) . ودليلهم أن الرسول ﷺ لم يستفصل هل استبانت خلقته أم لا. لكن الناظر في عبارة الإمام مالك التي نقلها ابن رشد يلاحظ فيها أنه قريب من رأي الجمهور وهو قوله: «مما يعلم أنه ولد»، ولا يكون ذلك إلا عند التخطيط أو الاستبانة كلها أو بعضها.

ونستطيع أن نستعين برأي الطب في هذا يقول الدكتور الطبيب محمد علي البار: «إن مرحلة تكوين الأعضاء أهم مرحلة في تكوين الجنين، وتبدأ هذه الفترة في الأسبوع الرابع وتنتهي في الثامن»(٥) ، «وتكون في أوج نشاطها في الأسبوع السادس»(٦) .

وإذا كان الفقهاء قد اشترطوا الاستبانة كلها أو بعضها فإن الطب يقرر أن الاستبانة تبدأ من الأسبوع الرابع أي: في حدود ثمانية وعشرين يومًا، فإذا نزل السقط قبل ذلك وسيكون في الأغلب دون استبانة ولا تخطيط فلا غرة ولا كفارة إذن، أما بعد ذلك ففيه الأحكام السابقة، كما في الجنين الذي أجهض بعد نفخ الروح.

فيحرم إذن كل أنواع الإجهاض بعد استبانة الصورة الآدمية كلها أو بعضها، سواء كان الجنين من نكاح أو من سفاح كما قلنا، أو كان الجنين سوي الخلقة أو مشوهًا ما دام قد تشكلت أعضاؤه أو بعضها، ولله الحكمة في هذا التحريم المتعلق بالمشوهين

---

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٥٣).

(٢، ٣) الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي عليه (٢/ ٢٦٦ - ٢٦٧).

(٤) بداية المجتهد (٢/ ٤١٦) وقال: «والأجود أن يعتبر نفخ الروح فيه» وهو خلاف الجمهور.

(٥) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص٣٩٥) الطبعة السابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٦) المصدر السابق (ص٣٧٨)، ومن كلام الطب هذا يستدل على خطأ قول بعض الفقهاء على ما ذكره ابن عابدين في الحاشية (٦/ ٥٩٠): «أنه لا يستبين خلقه إلا بعد مائة وعشرين يومًا».

وبقائهم على ما هم عليه من التشوه كأنه يكون فيهم وبهم موعظة وعبرة للناس، ويكون لهم في الآخرة الجزاء الأوفى من رب رحيم[(١)] .

وننهي دية الجنين بمسألتين:

الأولى: هل يجوز إجهاض الجنين بعد استبانة خلقه أو بعضها إذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاءه بعد تحقق حياته يؤدي لا محالة إلى موت الأم؟

لقد أجاب الشيخ شلتوت رحمه الله تعالى عن هذا السؤال الذي طرحه على لسان الفقهاء بقوله: «إن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين، فإن كان في بقائه موت الأم، وكان لا منقذ لها سوى إسقاطه، كان إسقاطه في تلك الحالة متعينًا، ولا يضحى بها في سبيل إنقاذه لأنها أصله، وقد استقرت حياتها، ولها حظ مستقل في الحياة، ولها حقوق، وعليها حقوق، وهي بعد هذا وذاك عماد الأسرة، وليس من المعقول أن نضحي بالأم في سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته، ولم يحصل على شيء من الحقوق والواجبات»[(٢)] .

وقد تصور ابن عابدين رحمه الله تعالى من قبل سؤالاً قريبًا من هذا وأجاب بقوله: «لو كان الجنين حيًّا، ويخشى على حياة الأم من بقائه، فإنه لا يجوز تقطيعه؛ لأن موت الأم به موهوم، فلا يجوز قتل آدمي لأمر موهوم»[(٣)] .

أما رأي الطب فيما افترضه الشيخ شلتوت فهو: أنه ليس هناك مرض يلجئ إلى قتل الجنين إنقاذًا للأم إلا حالة تسمم الحمل، يقول الدكتور البار: «ولا يجوز قتله (الجنين) بحال من الأحوال إلا في الحالة التي ذكرها الشيخ شلتوت رحمه الله وهي أن بقاءه يسبب هلاك الأم، ولا أعلم أن هناك من الأمراض ما يجعل هلاك الأم محققًا إذا هي استمرت في الحمل إلا حالة واحدة هي تسمم الحمل، حتى في هذه الحالة لا يحتاج الطبيب إلى قتل الجنين بل إلى إجراء الولادة قبل الموعد المحدد، إما

---

(١) انظر بحث: عصمة دم الجنين المشوه (ص٢٨٣) من مجلة المجمع الفقهي الإسلامي.

(٢) الفتاوى (ص٢٩٠).

(٣) حاشية ابن عابدين (١/ ٦٠٢) كذا ذكره الدكتور الخوجة في عصمة دم الجنين المشوه وبحثت عنه في النسخة التي لدي فلم أجده.

بحقن الأم بمادة الأوكسيتوسن، أو البروستاجلاتدين، أو بإجراء عملية قيصرية، وأغلب هذه الحالات تسلم ويسلم وليدها معها، ونتيجة للتقدم الطبي الهائل فإن قتل الجنين لإنقاذ الأم يصبح لغواً لا حاجة له في أغلب الحالات المرضية»(١) .

• حكم إسقاط الجنين البالغ التشوه:

لكن ما الحكم إن أصيب الجنين نفسه بتشوه بالغ، «مثل أن تتعرض الحامل للعلاج بالأشعة بكميات كبيرة لمداواة سرطان في عنق الرحم مثلاً، أو تعاطي عقاقير السرطان، والأورام الخبيثة التي تقتل الجنين أو تحدث فيه تشوهًا بالغًا، أو أن الأم أصيبت بالحصبة الألمانية في الشهر الأول من الحمل واحتمال تشوه الجنين كبير جداً (٧٠ ٪)؟ في هذه الحالات جميعًا لا نرى ما يمنع من إجراء الإجهاض قبل الأربعين (٥٤يومًا منذ آخر حيضة حاضتها المرأة)، وفي حالة السرطان وتعاطي الأشعة والعقاقير الخطيرة لا نرى ما يمنع من إسقاط الجنين أيضًا في الفترة ما بين ٤٠- ١٢٠يومًا، إذا لم يتم معرفة السرطان قبل ذلك.

أما بعد ذلك فلا يجوز إسقاط الجنين لإجماع الفقهاء على حرمة حياته إلا في حالة كون حياته خطرًا على حياة أمه، فنقدم آنذاك حياتها على حياته لأنها أصله، وهذا ما أفتى به الشيخ شلتوت وجمهرة من الفقهاء المتأخرين»(٢) .

هذا ما ذكره الدكتور الطبيب السيد علي البار في مقاله، وقد نقلنا عن أخيه الدكتور محمد من قبل من كتابه (خلق الإنسان) تفصيل حالة خطورة الجنين على حياة أمه، وقد نص فيه على أن الكلام عن أن قتل الجنين لإنقاذ الأم أصبح لغواً لا حاجة له في أغلب الحالات المرضية، وإذا كنا قد بينا من قبل أن جمهور الفقهاء قد ربطوا الأحكام المتعلقة بقتل الجنين باستبانة الخلق أو بعضه، وقد ثبت طبيًا أن

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص٤٣٩)، وقد ذيل المؤلف على هذا الكلام بأن هناك بعض الأمراض تزداد سوءاً بالحمل، ثم نقل عن بعض المصادر الطبية أن إنقاذ حياة الحامل بواسطة الإجهاض هو أمر شديد الندرة.

(٢) بحث: الجنين المشوه أسبابه وتشخصيه وأحكامه للدكتور السيد على الباز (ص٤٧٨)، ضمن مجلة المجمع الفقهي الإسلامي العدد الرابع ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

الاستبانة تبـدأ في الأسبوع الرابع وتنتهي في الثامن، فلا مانع شـرعًا إذا ثبت التشوه البالغ بشهادة طبيب مسلم حذق عدل من إجراء عملية الإجهاض قبل الأربعين.

أما إسـقاط الجـنين لضرورة ملجـئة كـالتشـوه البالغ في الفـترة مـا بين ٤٠ إلى ١٢٠يومًا فـجمهور الفـقهاء يحـرم ذلك، وظاهر كلامهم ولو كـان هناك تشوه بالغ لكني وجدت ابن رشـد يقول: «والأجود أن يعـتبر نفخ الروح فـيه، أعني أن يكون تجب فيه الغرة إذا علم أن الحياة قد كانت وجدت فيه»[١] . وتردد الرملي فقال: «لا يقال في الإجـهاض قبل نفخ الروح خلاف الأولى، بـل محتمل للتنزيه والتـحريم، ويقوى التحريم فـيما قرب من زمن النفخ لأنه جريمة». لكنه يبيـحه بعذر الزنى قبل نفخ الروح فيقول: «لو كانت النطفة من زنى فقد يتخيل الجواز قبل نفخ الروح»[٢] .

وبناء على هذه الضـرورة التي يقدرها طبـيب مسلم عدل حـذق في تخصـصه، وعلى مـا ذكره ابن رشـد والرملي، ونقله ابن عـابدين عن ابن وهبان من أن إباحـة الإسقاط محـمولة على الضرورة فإنه يجوز إسقاط الجـنين في هذه الفترة ما بين ٤٠ إلى ١٢٠يومًا.

أما بعد ذلك فيـحرم بالإجماع إسقاط الجنين لأي سبب كـان؛ لأن الاعتداء عليه اعتداء على آدمي مـعصوم الدم، إذ يمكن التأكـد من حياة الجنين بسمـاع دقات قلبه بيسر، فإجهاضـه يعد جريمة قتل، فإن نزل حيًّا ثم مات ففيه الدية كاملة، وإن نزل ميتًا ففيه الغرة على ما بينا من قـبل، وهذا أمر لا ينتبه له كثير من الأطباء في البلاد الإسلامية إلى يومنا هذا، ولا الهيئات القضائية كما يقول الدكتور السيد البار.

المسألة الثانية: أن الطبيب إذا أخطأ فعليه الضـمان قال ابن رشد: «وأجمعوا على أن الطبـيب إذا أخطأ لزمتـه الدية... ولا خـلاف أنه إذا لم يكن من أهل الطب أنه يضمن لأنه معتد»[٣] . قلت: وهذا ما ترتاح النفس إليه.

---

(١) بداية المجتهد (٢/ ٤١٦).

(٢) نهاية المحتاج للرملي (٨/ ٤١٦)، وانظر: عصمة دم الجنين المشوه (ص٢٧١، ٢٧٢).

(٣) بداية المجتهـد (٢/ ٤١٨) ومثَّل لخطأ الطبيب فقال: «مـثل أن يقطع الحشفة في الختان، ومـا أشبه ذلك؛ لأنه في مـعنى الجاني خطأ»، وعن مـالك رواية: «أنه ليس عليه شيء، وذلك عنـده إذا كان من=

ثانيًا: تحريم نكاح المُتعة[1] :

ونكاح المتعة يعني: «تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة»[2]

عن الربيع بن سمرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا**»[3]

وعن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: «إن ناسًا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة يُعَرِّضُ برجل فناداه فقال: إنك لجلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين- يريد رسول الله ﷺ-. فقال له الزبير: فجرب بنفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك». قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله بينا هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري: مهلاً. قال: ما هي؟ والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين. قال ابن أبي عمرة: «إنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير ثم أحكم الله الدين ونهى عنها»[4] .

وقال علي رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما: «إن النبي ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر»[5] .

= أهل الطب». نقلاً عن أستاذنا الدكتور: إسماعيل سالم عبد العال رحمه الله من كتاب تفسير النصوص وآيات القصاص والديات من (ص٣٧١ - ٣٨٠).

(١) قاله الحافظ في الفتح (٩/ ٧٢) وكذا في عون المعبود للعظيم آبادي (٦/ ٧٢)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٤/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في النكاح باب نكاح المتعة (٢/ ١٠٢٥) (٢١) (١٤٠٦)، والنسائي (٦/ ١٢٦) في تحريم المتعة، وابن ماجه (١/ ٦٣١) برقم (١٩٦٢)، والدارمي (٢/ ١٤٠)، وأحمد (٣/ ٤٠٤)، ومسند الحميدي (٢/ ٨٤٦، ٨٤٧)، والبغوي في شرح السنة (٩/ ١٠٠)، والباغندي في مسند عمر (ص١٢)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٧٤)، والطحاوي (٢/ ١١٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٤)، والبيهقي في السنن (٧/ ٢٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في النكاح باب نكاح المتعة (٢/ ١٠٢٦، ١٠٢٧) (٢٧/ ١٤٠٦).

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٧١) (٥١١٥)، ومسلم (٢/ ١٠٢٧) (٣٠/ ١٤٠٧).

(٥) **قلت**: ويلحق به نكاح المسيار الذي يتزوج المرأة طيلة وجوده في بلدها ثم يطلقها بعدُ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنما كانت المتعة في أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شيئه، حتى إذا نزلت الآية: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ (المؤمنون: ٦). قال ابن عباس: فكل فرج سواهما فهو حرام»[١].

ثالثًا: تحريم نكاح الشغار:

وهو أن يتزوج هذا ولية هذا على أن يزوجه الآخر وليته أيضًا، سواء ذكرا في كل ذلك صداقًا لكل واحدة منهما أو لإحداهما دون الأخرى أو لم يذكرا في شيء من ذلك صداقًا، كل ذلك سواء، يفسخ أبدًا ولا نفقة فيه ولا ميراث ولا صداق ولا شيء من أحكام الزوجية ولا عدة[٢].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار. زاد مسدد في حديثه: «قلت لنافع: ما الشغار؟ قال: ينكح ابنة الرجل وينكحه ابنته بغير صداق وينكح أخت الرجل وينكحه أخته بغير صداق»[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا شغار في الإسلام»**[٤].

وعن عبد الله بن هرمز الأعرج أن العباس بن عبد الله بن العباس أنكح عبد الرحمن بن الحكم ابنته وأنكحه عبد الرحمن ابنته، وكان جعلا صداقًا فكتب معاوية إلى مروان يأمره بالتفريق بينهما وقال في كتابه: «هذا الشغار الذي نهى عنه رسول الله ﷺ»[٥]. والعلة في البطلان التعليق والتوقيف فكأنه يقول: لا ينعقد لك نكاح بنتي حتى ينعقد لي نكاح بنتك[٦].

ولتأكيد قيمة الإنسان ومعناه حرمت السنة نكاح الشغار تكريمًا للعلاقات الزوجية

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٦٩) (١١٣١).

(٢) ابن حزم في المحلى (١١/ ١٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٦٦) (٥١١٢)، ومسلم (٢/ ١٠٣٥/ ٦١) (١٤١٦)، وأحمد (٢/ ٧)، والموطأ (٢/ ٥٣٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٣٥) (٦٠) (١٤١٦)، وابن ماجه (١/ ٦٠٦) (١٨٨٥).

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٦١) (٢٠٧٥).

(٦) ذكره الحافظ في الفتح (٩/ ٦٨) عن القفال.

وارتفاعًا بها من مستوى العمل التجاري وتبادل المنافع وإظهارًا لقيمة الأسرة ومنزلة الزوجة، فإن الأسرة في نظر الإسلام هي الأساس الأصيل للمجتمع، وقد أقامها الله على رقي المشاعر وسمو العواطف. قال جل شأنه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧). وقال عز وجل: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ١). إن كرامة الأسرة في نظر السنة لا تتفق مع مبدأ التبادل والمقايضة.

رابعًا: تحريم نكاح المحلل:

وهو ضرب من نكاح المتعة، وأصل ذلك أنه عقد عليها النكاح إلى أن يصيبها فإذا أصابها فلا نكاح له عليها[١] . وصورته: أن يطلق الرجل امرأته ثلاثًا فيتزوجها رجل آخر بشرط أن يطلقها بعد مواقعته إياها لتحل لزوج الأول[٢] .

عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له»[٣]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هو المحلل لعن الله المحلِّل والمحلَّل له»[٤]

وقال إبراهيم النخعي: «لا تحل إلا أن يكون نكاح رغبة فإن كانت نية أحد الثلاثة إما الزوج الأول أو الثاني أو المرأة التحليل فالنكاح باطل».

وقال سفيان الثوري: «إذا تزوجها على نية التحليل للأول ثم بدا له أن يمسكها لا يعجبني إلا أن يفارقها ويستأنف نكاحًا جديدًا». وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال مالك: «يفرق بينهما بكل حال»[٥] .

---

(١) الشافعي في الأم (٥/ ٧١).

(٢) لسان العرب (ص٩٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٦٢) (٢٠٧٦)، والترمذي (٤/ ٢٦٤) (١١٢٩) في النكاح وقال: حسن صحيح، والنسائي (٦/ ١٤٩)، وابن ماجه (١/ ٦٢٢) (١٩٣٥)، والدارمي (٢/ ١٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٠٨)، والبغوي في شرح السنة (٩/ ١٠٠) (٢٢٩٣)، وأحمد (١/ ٤٤٨) (٤٢٨٣) شاكر، وقال: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٢٣) (١٩٣٦)، والحاكم (٢/ ١٩٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٢٧٠): «رجال إسناده كلهم موثقون لم يجرح واحد منهم».

(٥) ذكره البغوي في شرح السنة (٩/ ١٠١)، والمباركفوري في التحفة (٤/ ٢٢٦).

وعن نافع قال: «جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثًا فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه. قال: لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحًا على عهد رسول الله ﷺ»[١].

والمحلل مع وقوع اللعنة عليه بالتيس المستعار مقرون، فهو يفعل ما تجلب عليه اللعنة والمقت، بلا زفاف ولا إعلان بل بالتخفي والكتمان فلا جهاز ينقل ولا فراش إلى بيت الزوج يحول ولا صواحب يهدينها إليه ولا مهر مقبوض ولا مؤخر ولا نفقة ولا كسوة تقدر ولا وليمة ولا شعار، والزوج يبذل المهر وهذا التيس يطأ بالأجر، ليطهرها بمائه النجس الحرام ويطيبها بلعنة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فإنها لا تحل باللعنة الصريحة ولكنها تحل بالنكاح الجائز الصحيح[٢].

خامسًا: تحريم نكاح الاستبضاع:

والاستبضاع: نوع من نكاح الجاهلية وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط، كان الرجل منهم يقول لأمته أو امرأته: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها فلا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد[٣].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدًا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها

---

(١) الحاكم (٢/ ١٩٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) قاله ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٢٦٨) بتصرف.

(٣) لسان العرب (ص٢٩٧).

تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة [١]، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه [٢] به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم» [٣].

وبهذا أيضًا يحرم كل شكل مخالف للزواج الذي شرعه الله تعالى من إيجاب وقبول، وشهود، وولي، ومهر ويندرج تحت هذا بعض الأشكال المستحدثة كالآتي:

- الزواج العُرفي الذي يتم بعيدًا عن الإشهار والولي، وتضيع به حقوق الزوجة ولا يكون إلا في جنح الظلام مع علم الجميع بحرمته حرمة قطعية.

- الزواج السري الذي لا يُشْهر فيه الزواج إشهارًا كافيًا.

- الزواج الوهبي: وهو حلال للنبي ﷺ دون غيره، بأن تهب المرأة نفسها للرجل.

- الزواج على طريقة آدم وحواء: والله زوَّج آدم وحواء في السماء بشهود الملائكة، ومَنْ مثل آدم وحواء، وشريعتهما قد نُسخت، ولم يبق العمل إلا بشريعة الإسلام.

- الزواج المعروف باسم: زواج الدم، وهو زواج عبدة الشيطان وغيره من الملل غير الإسلام، يجرح الزاني إصبع الزانية أو أي مكان آخر ثم يسيل الدم فيلصق أحدهما بالآخر دمه كأنه سرى في جسديهما!!

- زواج «الفريندز» ببقاء الرجل في بيت أهله، والمرأة في بيت أهلها على أن يلتقيا كل أسبوع للجماع!!

---

(١) **القافة**: جمع قائف وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية. قاله الحافظ في الفتح (٩/ ٩٢).

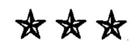
(٢) **التاطه**: أي استلحقه به، وأصل اللوط: اللصوق. الخطابي في معالم السنن (٢/ ٧٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٨٨) (٥١٢٧)، وأبو داود (٢/ ٧٠٢، ٧٠٣) (٢٢٧٢).

لقد حرَّم الإسلام هذه الصور كلها ليحيط الوليد المسلم القادم إلى الحياة الدنيا بسياجٍ من الطُّهر والعفاف حتى لا يجرح ذلك شعوره فيدمره من داخله، فيقتل فيه كل حسن وخيرٍ، ولا يُبقي فيه إلا كل شر.

تُرى ما هي حال اللقيط حين يعرف أن أُمَّه أنجبته في لحظة انحراف مزاجي؟ وما هي حال الآخر حين يتيقن أن اللحظة التي ولد فيها لحظة غاب عنها الإيمان والعفاف والخُلق والشرف؟ أم ماذا إذا خرج فلم يجد أباه بجواره لأنه تنكَّر له بعد زواج محرم أو غير موثق؟

ومن هنا اتخذ الإسلام كل التدابير التي تمنع حدوث القلق النفسي في الذرية، وصانها من كل أسلوبٍ يورثها عنتًا وذلاً وضررًا نفسيًا ومعنويًّا وماديًّا، وسُبَّة تلازمه وتطارده وذريته ما بقي في الحياة، ولو كانت الحياة كلأً مباحًا فوضويًّا لفسدت الحياة وتعقدت الأمور.



أمورٌ تضبط الحياة الزوجية قبل الزواج

(١) الترغيب في طلب الولد:

لقد استفاضت السنة المطهرة بالتوجيهات النبوية المباركة والحاثة على التناسل وكثرة الولد، فمنها ما رواه الحاكم وصححه في المستدرك قال ﷺ: **«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»**(١) . وقال أيضًا: **«امرأة ولود أحب إلى الله من امرأة حسناء لا تلد، إني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»**(٢) . وقال عليه الصلاة والسلام في الولد: **«الولد الصالح ريحان من رياحين الجنة»**(٣) . ورتب الأجر على كثرة الولد وإن لم يعيشوا، فقال عليه الصلاة والسلام: **«ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»**(٤) . وكذلك من رباهم وسهر عليهم حتى كبروا وكانوا صالحين، فإن أجره لا شك أكبر وأعظم. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «يا سعيد تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً»(٥) . وما ذلك إلا لطلب الولد والذرية، فقد كان لقيس بن عاصم رضي الله عنه اثنان وثلاثون ذكراً(٦) . وما ورد في السنة من الترخيص في العزل(٧) مع الكراهية فإنه لا ينبغي أن يؤخذ من هذا الترخيص جواز استعمال حبوب منع الحمل ووسائله لعامة الناس، فإن هذا ينافي مقصود الشارع الحكيم من حفظ النسل واستمراره(٨) .

---

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب النكاح، (ج٢/ ص١٦٢).

(٢) الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حديث رقم (٤٤٥٤٠)، (ج١٦/ ص٢٩٢، ٢٩٣).

(٣) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٧٢٥٤)، (ج٤/ ص٤٣١).

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين (ج٢/ ص١٢٥).

(٥) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب النكاح (ج٢/ ص١٦٠)، والحديث صحيح.

(٦) المصدر السابق، كتاب معرفة الصحابة (ج٣/ ص٦١١).

(٧) انظر: الرخصة في العزل: مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، حديث رقم (١٢٥) (ج٢/ ص١٠٦١).

(٨) قادري، عبد الله أحمد، الإسلام وضروريات الحياة (ص٨٢).

كما يجب أن يفهم أن دعوى تحديد النسل بين المسلمين دعوة تبشيرية نصرانية تهدف إلى تقليص أعداد المسلمين، علمًا بأن تحديد النسل بالنسبة لأهل الكنيسة يعد جريمة[١]، فهذه إيطاليا تضع قانونًا صارمًا ضد من يقوم بالدعاية لتحديد النسل، أو يقوم بعملية إسقاط للجنين بصورة متعمدة[٢]، وذلك لعلمهم ويقينهم أن الثروة البشرية هي أكبر مصدر للاقتصاد، فالإنسان هو صاحب إمكانية العمل والتفكير والاختراع وتركيب الأغذية وإيجاد الحلول[٣]. ومن المعروف أن القوانين الغربية تحرم الإجهاض[٤].

أما تنظيم الحمل بهدف إعطاء المولود الأول حقه من الرعاية والرضاعة فقد أجاز بعض العلماء استعمال الدواء لمنع وقوع الحمل، وإن كان الأحوط عند البعض ترك ذلك[٥]. ويجب أن يعرف أن كثرة الحمل والولادة لا تضر بالمرأة الطبيعية؛ بل تنفعها، فإن نموها الكامل وبلوغ الاتزان والكمال العقلي عندها لا يحصل إلا بعد الحمل لمرة واحدة على الأقل[٦]، وقد نقل أن امرأة أنجبت (٣٤) مولودًا توأمين فأكثر، ولم يذكر أنها تضررت من جراء ذلك[٧].

والشريعة جاءت بإباحة تعدد الزوجات لأسباب عديدة، ومنها طلب الذرية والاستكثار منها، كما أنها حرمت ومنعت كل ما يعوق تحقيق هذا المقصد، فمما حرمته الرهبانية والتبتل[٨]، وإتيان المرأة في دبرها[٩]، وغير ذلك من

---

(١) شلبي، عبد الودود، أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية (ص٥٨).
(٢) كحالة، عمر رضا، النسل والعناية به (ج١/ ص١١٠).
(٣) شاكر، محمود، العالم الإسلامي(المنطقة العربية) (ص٨٠).
(٤) انظر: المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، (ص٨٢، ٨٣).
(٥) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ج٣٢/ ص٢٧١، ٢٧٢).
(٦) كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول (ص١١٠).
(٧) كحالة، عمر رضا، النسل والعناية به (ج١/ ص٦٨).
(٨) انظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل، حديث رقم (١٨٤٩)، (ج١/ ص٥٩٣).
(٩) انظر: المصدر السابق، باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، حديث رقم (١٩٢٤)، (ج١/ ص٦١٩).

المعوقات[1] .

(٢) قوامة الرَّجُل:

تختلف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل اختلافًا جذريًّا، ولا يمكن إغفال هذا الاختلاف بحال، إذ أن خلايا جسمها تحمل طابعًا أنثويًّا[2] ، فهي مخلوقة لمهام تناسبها، كما أن الرجل مخلوق لمهام تناسبه أيضًا.

لهذا جاءت الشريعة بالتفريق بين الرجل والمرأة في المهام والأعمال، وبالتساوي بينهما في الجزاء والعقاب عند الله عز وجل الذي يقول في كتابه: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ (البقرة: ٢٢٨). يقول القرطبي في هذه الآية: «أي: لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وللرجال عليهن درجة، أي: منزلة»[3] . ويقول الله تعالى أيضًا في سورة النساء: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ (النساء: ٣٤). يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «الرجل قيم على المرأة، أي: هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت»[4] . فقد آتى الله سبحانه وتعالى الرجل أسباب القوامة من القوة والشجاعة، وكمال العقل والدين؛ مما يؤهله لإدارة الأسرة وحراستها والإنفاق عليها، حتى وإن استقلت المرأة ماليًّا فهي لا تزال فطريًّا بحاجة إلى قوامة الرجل وسيطرته، كما أن الأولاد بحاجة إلى ذلك أيضًا فإن رمز السلطة عند الطفل عادة يكون للأب أما رمز الحب والحنان عادة يكون للأم[5] ، لهذا كان واجبًا على الأم أن تركز هذا المعنى في نفوس أبنائها، لتوجد للأب المهابة في نفوسهم؛ ليحصل الانتفاع بشخصيته وسلطته في عمليتي التربية والتعليم.

ولا تعني القوامة- كما يفهم البعض- التسلط والتجبر بغير حق؛ بل هي الرحمة

---

(١) لمزيد من الفائدة حول تحديد النسل، راجع كتاب «حركة تحديد النسل» لأبي الأعلى المودودي رحمه الله.

(٢) انظر: كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول (ص١٠٨، ١٠٩).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج٣/ ص١٢٣، ١٢٤).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص٥٠٣).

(٥) الشرقاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث، (ص٢٩٩).

والحنان والعطف والرعاية والإنفاق والتعليم والتربية والتوجيه والسلطة، كما أنها لا تعني الترفع عن التعاون مع الزوجة في شئون إدارة البيت ورعاية الأولاد، فإن خير الناس عليه الصلاة والسلام كان في خدمة ورعاية أهله في البيت[1] ، فلا ينبغي للرجل أن يأنف من القيام ببعض الأعمال في المنزل خاصة عند حاجة أهله إلى ذلك، على أن يكون لذلك حد معقول- لا يتجاوزه إلا عند الضرورة- فلا يصبح كأنه ربة المنزل كما تفعله بعض القبائل الشاذة[2] .

(٣) إلزام الرجل بالنفقة:

لقد أجمع الفقهاء رحمهم الله على وجوب نفقة الرجل على أولاده الأطفال الذين لا يملكون المال[3] ، وحدد بعضهم هذه النفقة بأنها خمس نفقات وهي: نفقة الرضاع، والحضانة، والمعيشة، والسكن الخاص بالحاضنة، والخادم عند الحاجة[4] . ويلحق بهذا زكاة الفطر لأنها تشمل الصغير[5] .

ويراعي الأب في إنفاقه على الأولاد الحلال من الرزق، وأن يصبر على ذلك ولا يجزع مِن الفقر، فإن الله هو الذي تكفل بالرزق. يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ناصحًا الأب: «ليتق الله العبد ولا يطعمهم إلا طيبًا، لَبُكَاءُ الصبي بين يدي أبيه متسخطًا، يطلب منه خبزًا، أفضل من كذا وكذا، يراه الله بين يديه»[6] .

كما ينبغي للوالد أن يراعي الحكمة في الإنفاق فلا يُقتِّر عليهم ولا يسرف، فإن وسع الله عليه وسع على عياله، ولم يقتِّر عليهم. قال عليه الصلاة والسلام: «ليس

---

(١) انظر البخاري، صحيح البخاري (كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله (ج٨/ ص١٧).

(٢) ينقل أن الرجال في قبيلتي أرابش وتشامبولي يقومون برعاية شؤون الأطفال كلها منذ ولادتهم، ويحبسون أنفسهم مع الأمهات كي يعانوا معهن آلامهن، انظر أبو النيل، محمود السيد، علم النفس الاجتماعي (ج٢/ ص٤٤).

(٣) العاصمي، عبد الرحمن بن محمد، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع (ج٤/ ص١٢٨).

(٤) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، (ج٧/ ص٧٠٤).

(٥) انظر: البخاري صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الصغير والكبير، (ج٢، ص١٢٦).

(٦) أحمد، كتاب الورع، (ص١١٩، ١٢٠).

منا من وسع الله عليه ثم قتَّر على عياله»[١] . والله سبحـانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده[٢] ، كما أن إنفاقـه على ولده وأهل بيته وخادمه جميـعه صدقة إذا استحضر النية الصالحة لذلك[٣] ، ولأن يترك أولاده أغنياء لديهم ما يكفيهم من المال والمسكن أفـضل مـن أن يتـصـدق بماله كله ويتـركـهم فـقـراء يطـلبـون من الناس ويسألونهم[٤] ، فيكون ذلك لهم ذلة وصغارًا، وربما كان سببًا في انحرافهم وحقدهم على المجتـمع، فإن الفقر مع ضـعف الإيمان واليقين بالله من أعظم أسبـاب انحراف الناس. وسيأتي تفصيل لمسألة النفقة هذه في موضعها إن شاء الله تعالى.

★★★

---

(١) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٥٢٧١) (ج٣/ ص٤١٦)، والحديث ضعيف.

(٢) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائـد، كتاب اللباس، باب إظهار النعم واللباس الحسن، (ج٥/ ص١٣٥).

(٣) انظر: الحاكم، المسـتدرك على الصحيـحين، كتاب التفـسير (ج٢/ ص٢٨٣)، والحديث صـحيح الإسناد وخالف ذلك الذهبي.

(٤) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس (ج٤/ ص٣). وهذا كله نقلاً عن كتاب مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد للدكتور عدنان حسن صالح باحارث من (ص٤٣ - ٤٧).

حُسْن اختيار الأم

«الحسن ضد القبح ونقيضه، وهو نعت لما حسن»(١) . «والاختيار: الاصطفاء وكذلك التخير»(٢) .

ولقد وضعت السنة المطهرة بتشريعها السامي أمام كل من الخاطب والمخطوبة جملة من القواعد والأحكام إن اهتدى الناس بهديها حققوا لأنفسهم ولأولادهم السعادة والأمن والاستقرار.

وقد جعل الله تعالى للولد على والده حقوقًا وهو صغير، كما جعل للوالد على ولده حقًّا إذا كبر، يلخص ذلك قول الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ قال: «كما أن لوالدك عليك حقًّا، كذلك لولدك عليك حق»(٣) .

ومما لا يخفى على أحد أن الجراح في أمتنا غائرة، وفي النفس قائلة بالغة أعيت الطبيب الفطن، واللبيب الذكي، وجرحٌ دون جرح، فإن جرح السيف له طبيب، وجرح القلب ليس له طبيب يداويه، فوجب على الفرد والأمة أن يكونوا في حالة استنفار دائم مع النفس والشيطان والعدو الذي لا زال يرمينا كل يوم بسهم من سهامه، ويدس سمًّا من السموم الناقعات.

وأمر الأمة اليوم صار في يد من لا يخشى الله ولا يتقه: أجهزة الإعلام، والتثقيف، والتربية والتعليم، فهم يداوون مرض الأمة بمجموعة من الأمراض، يقتلون جرثومة بمليارات الجراثيم كطبيب فاشل يجرب معلوماته في مرضاه ثم يعيش على أمراضهم بعد أن زادهم مرضًا- فحاميها حراميها-.

والحال هي هي: كيتيم ضائع إن لم يسع على نفسه مات وهلك، فالتبعة ثقيلة، والمسئولية كبيرة، والكل على ثغرة من ثغور الإسلام، ويا عار من أُتي الإسلام من قبله.

---

(١) لسان العرب (ص٨٨٧).

(٢) لسان العرب (ص١٣٠٠).

(٣) الأدب المفرد رقم (٩٤) للبخاري رحمه الله.

إن اختيار الرجل هنا للمرأة التي ستصير زوجًا له، وأمًّا لولده لن يقف عند مجرد بناء بيت وأسرة؛ لكنه سيتخطاه إلى تكوين لبنة من لبنات العقيدة، وإخراج جيل يحمل على عاتقه إصلاح الماضي والحاضر، وإعداد النفس لمواجهة الأعادي، ولذا وجب على المسلم أن يُلْبس كل فعل- ولو كان اختيار المرأة- لباس العقيدة وثوبها، لتظل قضية الأمة حية في ذهن الجميع لا تنسى أبدًا.

ومن أعظم حقوق الولد على والده: حسن اختيار الأم تلك الحاملة الحاضنة المربية، وذلك لأن للوراثة دورًا هامًّا جدًّا فيما يصير إليه المولود في المستقبل، فإن بعض الدراسات أثبتت أن النباهة والامتياز تستند إلى خصائص وراثية[1]، كما أن علماء «الجينات» يرون أن للوراثة قوة عجيبة تفرض نفسها على المولود، وهذا الاعتقاد ساق بعضهم إلى القول بأن الحصول على أفراد ممتازين لا يعود إلى التعليم؛ بل يعود إلى العمل على تحسين النسل[2]، فالطفل يرث من والديه بعض المميزات والسمات الجسمية وبعض الاتجاهات العقلية[3]، ويكاد يجمع علماء الأخلاق على أن الوراثة مع البيئة هما العاملان الأساسيان في تكوين الأخلاق[4]، لهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بحسن اختيار الزوجة، ووضعت للآباء من الرجال أوصاف الزوجة الصالحة، وفيما يلي نستعرض هذه الأوصاف:

(أ) الخلق والدين:

وهذا ما حرص الإسلام عليه، فالأم ينبغي أن تكون وعاءً صالحًا لأولادها، فإذا ما أراد الرجل المسلم الزواج عليه أن يتذكر أن الأمر ليس لُعبة، أو مجرد اختيار جسدٍ ينام بجواره متمددًا، يقضي معه شهوته متى اضطرته الحاجة إلى ذلك، فالزواج وإن لم يكن في الإسلام أمرًا شرعيًّا فإنه عقد مؤبد وليس لعبة أو ساعة يقضيها رجل وامرأة ثم يفترقان، بل للزواج تبعاته ونتائجه.

---

(1) المليجي، عبد المنعم وحلمي المليجي، النمو النفسي، (ص١٠٦).

(2) كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول (ص٢٨٦).

(3) ثيرستون، ثلما جوين وكاترين مان بيرن، القدرات العقلية عند الأطفال، (ص٨٦).

(4) نصار، محمد عبد السلام، «الوراثة والبيئة وأثرهما في تكوين الخلق»، مجلة التربية العدد (١٩) (ص٦٦).

وهنا وجب طرح كل أساس خاطئ في اختيار المرأة التي ستكون وعاءً لحمل الولد، ثم مربية حاضنة لولده الذي يرجو به قرة العين، وسعادة النفس، وانتصار العقيدة.

وقد ألمح القرآن إلى ضرورةَ الاختيار على أساس الدين، فقال الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤).

والقانتات: هن المطيعات للأزواج.

والحافظات للغيب: مَنْ يحفظن الأزواج في غيابهم، وفي أموالهم، وفي أنفسهن(١).

هذا إذن ما أراده الإسلام للبيوتات المسلمة: أن تصح البدايات لتصح النهايات، فإن الاختيار إذا صحَّ، ومعه صحَّ البناء والأساس، صمد بعد ذلك أمام كل محنة وبلية.

ويضع الإمام الغزالي رحمه الله بعض الجوانب الخلقية التي يراعيها الرجل عند اختيار الزوجة، فيقول: «ويسأل عن دينها ومواظبتها على صلاتها، ومراعاتها لصيامها، وعن حيائها ونظافتها، وحسن ألفاظها وقبحها، ولزومها قعر بيتها، وبرها بوالديها، ويبحث عن خصال والدها ودينه، وحال والدتها ودينها وأعمالها»(٢).

ثم ها هي الأحاديث التي تعرضت لمسألة اختيار الزوجة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٣). وفي الحديث: «من الفقه مراعاة

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ١٧٥).

(٢) الأدب في الدين (ص٤٩ للغزالي).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٣٥ فتح) رقم (٥٠٩٠)، كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين، ومسلم (٢/ ١٠٨٦) (٥٣) (١٤٦٦) في النكاح باب استحباب نكاح ذات الدين تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وأبو داود (٢/ ٥٣٩ معالم) رقم (٢٠٤٧) كتاب النكاح باب ما يؤمر به من تزويج ذات الدين تحقيق الدعاس، والنسائي (٦/ ٦٨) كتاب النكاح باب كراهية تزويج الزناة، وابن ماجه (١/ ٥٩٧) رقم (١٨٥٨) كتاب النكاح باب تزويج ذات الدين، والحاكم (٢/ ١٦١)، وأحمد (٢/ ٤٢٨).

الكفاءة في المناكح وأن الدين أولى ما اعتبر فيها»[١] .

وفيه الحث على مصاحبة أهل الدين في كل شيء لأن صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم ويأمن المفسدة من جهتهم[٢] . والكفاءة في الدين، وأهل الإسلام كلهم بعضهم لبعض أكفاء[٣] .

وحضت السنة ورغبت أعظم الترغيب في الاقتران بالمرأة الصالحة ذات الدين مبينة أنها خير متاع الدنيا، وخير كنز يدخره المرء، وضِمْن أمور أربعة لو تحققت للمرء لأصاب خيري الدارين، وخير ما يستفاد بعد تقوى الله عز وجل وأنها من علامات السعادة للأسرة وللجيران وللمجتمع وللإنسانية جمعاء.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[٤] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: «ألا أخبرك بخير ما يكنزه المرء: المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته»[٥] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة- منها- المرأة الصالحة...»[٦] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربع من أعطيهن فقد أعطي

---

(١) الخطابي (٢/ ٥٣٩ معالم).
(٢) النووي شرح مسلم (١٠/ ٥٢).
(٣) الخطابي (٢/ ٥٤٠- معالم) نقلاً عن مالك.
(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩٠) (٥٩) (١٤٦٧) في الرضاع باب استحباب نكاح البكر، والنسائي (٦/ ٦٩)، كتاب النكاح باب المرأة الصالحة، والبغوي شرح السنة (٩/ ١٠، ١١)، كتاب النكاح باب اختيار ذات الدين، وأحمد (٢/ ١٦٨)، وأورده التبريزي في المشكاة (٢/ ٩٢٧) رقم (٣٠٨٣).
(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٠٦) (١٦٦٤)، وابن ماجه (١/ ٥٩٦) (١٨٥٧)، والحاكم (٢/ ٣٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد (٢/ ٢٥١).
(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (١٢٣٢)، والخطيب في التاريخ (١٢/ ٩٩)، وأحمد (١/ ١٦٨)، وأورده المنذري في الترغيب (٣/ ٦٨)، وقال: «رواه أحمد بإسناد صحيح، والطبراني والبزار والحاكم وصححه (٢٠٦)».

خيري الدنيا والآخرة- منها- زوجة لا تبغيه حوبًا في نفسها وماله»[١]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني»**[٢]

ولهذا كان الزواج من الكتابيات غير مفضل- وإن كان مباحًا- لأن جانب الدين غير متوافر فيهن، والرسول ﷺ عندما وضح وبين مرغبات الرجال في اختيار النساء ذكر الجمال، والحسب، والمال، والدين، ثم قال: **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[٣] واليهوديات والنصرانيات لسن من ذوات الدين، ويحذر ابن الجوزي رحمه الله من مغبة تقديم الجمال على الدين فيقول: «وينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن، فإنه إذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة»[٤] . وفي الحقيقة فإن كل جمال يزول ويذهب، إلا جمال الدين والخلق، فإنه باقٍ في طبع المرأة الصالحة الملتزمة بدينها العاملة بآداب الشرع.

إن في اختيار الزوجة على أساس الدين عدة فوائد:

الأولى: أنه اختيار موافق لما جاء به الوحي من كتاب أو سنة.

الثانية: تجنيب الأطفال كثير من الصفات والأخلاق المذمومة التي قبحها الشرع وحرمها.

الثالثة: تعلم الولد من أمه كل خير.

الرابعة: صبغة البيت المسلم بصبغة العقيدة والشريعة.

الخامسة: إخراج جيل مسلم عقدي يعلم ما هو المراد منه، وما ينبغي عليه فعله.

السادسة: بناء البيوت على التقوى من أول يوم، ليصبح الإسلام هو الضابط والموجه لخطوات هذا البيت.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط كما في الترغيب (٣/ ٧١) وقال المنذري: وإسناد أحدهم جيد، والحوب: الإثم العظيم: اللسان (ص١٠٣٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ١٦١/ ١)، والحاكم (٢/ ١٦١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح: سبق تخريجه.

(٤) صيد الخاطر (ص٣٦١) لابن الجوزي.

(ب) سلامة البدن والنفس:

عن زيد بن كعب بن عجرة: أن رسول الله ﷺ تزوج امرأة من بني غفار فلما دخل عليها فوضع ثوبه وقعد على الفراش أبصر بكَشْحِها بياضًا فانحاز عن الفراش ثم قال: «**خذي عليك ثيابك**». ولم يأخذ مما أتاها شيئًا[١] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**»[٢]

وعن عمرو بن الشريد الثقفي قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه رسول الله ﷺ: «**إنا قد بايعناك فارجع**»[٣]

وعن عمر رضي الله عنه قال: «**أيما امرأة غُر بها رجل، بها جنون أو جذام أو برص، فلها مهرها بما أصاب منها وصداق الرجل على من غره**»[٤] .

وقد استدل بهذه الأحاديث على أن البرص والجنون والجذام عيوب يفسخ بها النكاح، وقد ذهب جمهور أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم إلى أنه يفسخ النكاح بالعيوب[٥] ، ويفسخ النكاح أيضًا بكل داء عضال[٦] ، ويدخل في ذلك السل والزهري والإيدز وكل ما من شأنه أن يعدي والمصابون بالأمراض النفسية الخطيرة؛ لأن الأولاد ثمرة الزواج، وربما تنتقل بعض الأمراض إلى الأولاد عن طريق العدوى أو عن طريق المحاكاة والتعايش.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أربع لا يجزن في البيع ولا الزواج:

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٣) بسند ضعيف والكشح قيل: الخصر.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١٦٧) (٥٧٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤) (١٧٥٢) (١٢٦) (١٢٣١).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٥٢٦)، والدارقطني في السنن (٣/ ٢٢٦)، والبغوي في شرح السنة (٩/ ٢١٢) برقم (٢٣٠٠)، وقال الحافظ في بلوغ المرام (ص٢٥١) برقم (٩٤٩) ورجاله ثقات، وأورده الشوكاني نيل الأوطار (٦/ ١٧٧)، وابن قدامة في الكافي (٣/ ٦٣).

(٥) الشوكاني في نيل الأوطار (٦/ ١٧٧).

(٦) أورده الشوكاني في نيل الأوطار (٦/ ١٧٧) نقلاً عن الزهري.

المجنونة، والمجذومة، والبرصاء، والعفلاء»[1] .

وعن علي رضي الله عنه قال: «إذا تزوج المرأة فوجد بها جنونًا أو برصًا أو جذامًا أو قرنًا فدخل فهي امرأته، إن شاء أمسك وإن شاء طلق»[2] .

وفي حديث المجذوم وما فيَ معناه دليل على أنه يثبت للمرأة الخيار في فسخ النكاح إذا وجدت زوجًا مجذومًا أو حدث به جذام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«لا تديموا النظر إلى المجذومين»**[3] . وهل يتأتى هذا بين الزوجين؟

وإثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى فيكون معنى قوله: **«لا عدوى»**، أي: إلا من الجذام والبرص مثلاً فكأنه قال: لا يعدي شيء شيئًا إلا ما تقدم تبييني له أن فيه العدوى[4] .

وقيل: إن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لأمر طبيعي وهذا انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة.

ويقول ابن قتيبة: « المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومحادثته ومضاجعته وكذا يقع كثيرًا بالمرأة من الرجل وعكسه، وينزع الولد إليه، ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم لا على طريق العدوى بل على طريق التأثر بالرائحة

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢١٥)، والدارقطني (٣/ ٢٦٧)، ومصنف عبد الرزاق (٦/ ٢٤٣/ ١٠٦٧٣)، وسعيد بن منصور في السنن (١/ ٢١٢)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤٨٦، ١٦٢٩٥)، والعفلاء: العفل نبات لحم ينبت في قبل المرأة وهو (القرن) ولا يصيب المرأة إلا بعدما تلد، وهو شيء يخرج من قبل النساء، لسان العرب (١٧ ٠ ٣).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢١٥)، والدارقطني في السنن (٣/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٧٨، ٢٣٣)، وابن ماجه في الطب باب الجذام (٢/ ١١٧٢) (٣٥٤٣) وقال في الزوائد: رجال إسناده ثقات، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢١٩).

(٤) أورده الحافظ في الفتح (١٠/ ٦٩) نقلاً عن القاضي أبي بكر الباقلاني.

لأنها تسقم من واظب اشتمامها»[١] .

والمراد بنفي العدوى أن شيئًا لا يعدي بطبعه، نفيًا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله عز وجل العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله عز وجل هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئًا وإن شاء أبقاها فأثرت[٢] .

(جـ) الشرف والأصل والنسب:

ونقصد بالشرف: الحسب والمجد[٣] . أما الأصل: فهو ثبات الرأي والعقل[٤] .

وقد وصى النبي ﷺ بذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام قد قال: «**تَخَيَّرُوا لِنُطفِكُم، فانكحوا الأَكْفاءَ، وأَنْكِحُوا إليهم**»[٥] . والتخير هو: أن تكون نسيبة أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربي بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية.

فالطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة، فعندما يكون انتقاء الزوج أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح فلا شك أن الأولاد ينشأون على خير ما ينشأون من العفة والطهر والاستقامة، فعلى راغبي الزواج أن يحسنوا الاختيار إن أرادوا أن تكون لهم ذرية صالحة وسلالة طاهرة وأبناء مؤمنون وبنات مؤمنات.

وإذا كان الحديث هنا عن النسب، فإننا نقصد هنا اجتماع الدين مع النسب، فالنسب وحده ليس بكافٍ لإقامة بيت المسلم المرجو؛ بل ربما كان سببًا رئيسيًا

(١، ٢) الفتح (١٠/ ١٧٠).

(٣) السابق (٢١٤١).

(٤) السابق (٨٩).

(٥) **حسن الإسناد**: ابن ماجه (١٩٦٨) في النكاح، الدارقطني (٣/ ٢٩٩) في سننه وانظر الصحيحة (١٠٦٧) للألباني.

وأساسيًا في هدم البيوت المستقرة حينما تغتر الزوجة بهذا النسب المعتمد على آباء يحملون الخراء في بطونهم، وما هم في النهاية إلا عظم رميم يخرج منه الدود ليتغذى عليه.

للنسب والسلالة الطيبة أهمية في الإسلام فإن وراثة المولود لا يحددها أبواه المباشران فقط؛ بل هو يرث من جدوده وآبائه وجدود جدوده وهكذا[١] . فيأخذ الولد من كل طبقة من هذه الأجيال قدرًا من الصفات والسمات، فالطفل مرتبط بأسلافه من الجهتين: جهة الأب، وجهة الأم، ولذا رغَّب النبي ﷺ في نكاح الأكفاء.

ويعود النبي ﷺ فيُرغب في أفضل الأكفاء وهن القرشيات ذوات النسب، ويصفهن بأوصاف فريدة فيقول: «**خير نساء ركبن الإبل صالحو نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يديه**»[٢] . وأحناه: أي: أنهن أكثر شفقة على الأولاد، والحانية على ولدها هي التي تقوم عليهم إذا مات الأب فلا تتزوج[٣] . وهذا النسب العريق من نساء قريش الصالحات من ناله فقد حصل له مطلوبه، وجمع الله له في أهله خيرًا كثيرًا.

كما يراعي الأب عند اختياره الزوجة أن تكون من غير القريبات وذلك طلبًا لجودة النسل، وتكوين صلات جديدة بين الأسر داخل المجتمع، وقد سبب الزواج من القريبات ضعفًا عقليًا للمولود[٤] .

(د) مسألة السن:

لسن الزوجة دور في تحسين النسل وسلامته من العاهات الخلقية والعقلية، فإن

---

(١) علم النفس التربوي (٣٦، ٣٧).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح وأي النساء خير وما يستحب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب (ج٧/ ص٧).

(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج١٩/ ص١٥١).

(٤) بدوي، عبد الحميد صادق، الطفولة بين الاندفاع إلى الرشد وتأثير الثقافة المحلية، مجلة التربية، العدد (١٠/ ص٧٣).

الأطفال الذين يولدون من زوجين في ريعان الشباب يعيشون أطول من الذين يولدون من زوجين يقتربان من مرحلة الشيخوخة[1] ، لهذا نصح رسول الله ﷺ ورغب في نكاح الأبكار؛ لكونهن في العادة صغيرات السن، وفيهن من المميزات ما لا يوجد في الكبيرات والثيبات، فقال للذي تزوج الثيب: **«فهلا بكراً تضاحكك وتضاحكها، وتلاعبها وتلاعبك»**[2] . وهذا اللعب والممازحة والمضاحكة في العادة يكون عند صغيرات السن لميلهن إليه، ويقل عند الثيبات والكبيرات لكمال عقولهن.

وقد دلت بعض البحوث والدراسات في هذا الجانب أن نسبة الأطفال المشوهين والمعتوهين تزداد تبعًا لزيادة عمر الأم وخاصة بعد سن الـ ٤٥ سنة[3] . لهذا يحرص الأب على اختيار الصغيرات من الأبكار المحببات إلى النفس.

وقد تعارف الناس على أن «أبناء الشيبة يتامى»، وهذه حقيقة ملموسة واقعة، ولا يكابر في المحسوس إلا ممسوس، فلا يمنع من ترجيح البكر اختيار الثيب إلا لمصلحة تقتضي ذلك، والله أعلم.

(هـ) الجمال:

وهو أمر نسبي، غير أن الناس قد اتفقوا على أن النفس البشرية بفطرتها الطبيعية ميَّالة إلى الصورة الحسنة، والصوت الجميل، وجمال المنظر، كما أنها تنفر من ضد هذا[4] .

ولذا فإن النبي ﷺ شرَّع النظر إلى المخطوبة أو من يراد التزويج بها كما جاء أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار. فقال له النبي ﷺ : **«هل نظرت إليها فإن في عيون الأنصار شيئًا؟»** . قال: قد نظرت إليها[5] .

وعن المغيرة بن شعبة أنه ﷺ قال له: **«انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما»**[6] .

---

(١) السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، (ص٦٥، ٦٦).

(٢) مروي عند مسلم في كتاب الرضاع حديث رقم (٥٨).

(٣) قبل السابق (ص٦٦).

(٤) روضة المحبين لابن قيم الجوزية (ص٣٢).

(٥) رواه مسلم (١٤٢٤/ ٧٤) في النكاح.

(٦) صحيح: الترمذي (١٠٨٧) في النكاح.

فيستحب للرجل أن ينظر إلى مخطوبته ليرى منها ما يدعوه ويرغبه في نكاحها، فإن عجز عن ذلك لتعصب بعض أولياء الأمور، حاول أن يراها سرًا، فقد كان بعض السلف يتخبأ للمرأة التي يريد نكاحها ليرى منها ما يدعوه لنكاحها[١] ، فإن لم يتمكن من ذلك أيضًا فعن طريق الصور الفوتوغرافية يحصل عليها عن طريق بعض قريباتها سرًا، فإن لم يتمكن من كل هذا وقد اكتملت لديه شروط صلاح الزوجة واستقامة أهلها اكتفى بوصف أهله لها على الدقة، وإلا صرف نظره عنها إلى غيرها من النساء في الأسر الصالحة التي تقدم السنة على الأهواء.

ولا يهمل الزوج هذا الجانب الذي فطر عليه البشر بالكلية، بل عليه التوسط في طلبه وعدم التطرف، فإن رضاه بزوجته، وسروره عند النظر إليها، ودوام رغبته فيها وميله إليها، يريح نفسه من التطلع إلى غيرها، فيكون ذلك عونًا له على غض البصر وتحصين الفرج، والرضا بما قسم الله وقدر.

لقد جمع ابن الجوزي كثيرًا من النقاط السابقة في عدة عبارات فقال: «فمن أراد نجابة الولد، وقضاء الوطر فليتخير المنكوح، إن كان زوجة فلينظر إليها، فإذا وقعت في نفسه فليتزوجها، ولينظر في كيفية وقوعها في نفسه، فإن علامة تعلق حبها بالقلب: ألاّ يصرف الطرف عنها، فإذا انصرف الطرف قلق القلب بتقاضي النظرة، فهذا الغاية، ودونه مراتب على مقاديرها يكون بلوغ الأغراض، .... ومن قدر مناطقة المرأة أو مكالمتها بما يوجب التنبيه، ثم ليرى ذلك منها، فإن الحسن في الفهم والعينين، .... ثم ينبغي للمتخير أن يتفرس في الأخلاق: فإنها من الخفي، وإن الصورة إذا خلت من المعنى كانت كخضراء الدِّمن[٢]، فمن قدر على امرأة صالحة في الصورة والمعنى فليُغمض عن عوراتها، ولتجتهد هي في مراضيه»[٣] .

(و) شرط التفرغ:

وهذه قضية هامة برزت أهميتها بعد خروج المرأة للعمل، وأفضل الأوصاف التي

---

(١) ابن أبي شيبة (٤/ ٣٥٥، ٣٥٦) في المصنف.

(٢) هي المرأة الحسناء في المنبت السوء كما جاء في الحديث الضعيف.

(٣) صيد الخاطر (ص٥٨ - ٦٠) بتصرف.

سمعناها عن النساء الموظفات أن الواحدة منهن: امرأة عاطلة، إذ تركت عملها الأساسي الذي أناطه الله تعالى بها وهو: تربية الأولاد، وخرجت للعمل بحثًا عن لقمة العيش وزيادة الدخل.

ولعلنا بهذا نغضب قطاعًا عريضًا من النساء اللواتي يجدن شهوة العمل والوظيفة أكثر مما يجدن في أنفسهن الحاجة إلى المال وزيادة الدخل، ونحن نفتي بعدم خروج المرأة للعمل إلاَّ في نطاق ضيق يتمثل في حالات التدريس للنساء، علاج المرأة، أو مما على شاكلة هاتين الوظيفتين. فخروج المرأة للعمل يجعلها عن عمد ترتكب أكبر خطيئتين يمكن أن ترتكبهما امرأة عاقلة بعد الكفر والكبائر، وهما: أولاً: ترك تدبير البيت. ثانيًا: ترك رعاية الأولاد.

والطفل في سنواته الأولى على الأقل يحتاج إلى أم متخصصة لا يشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال، وإن كل أمر تقوم به خلافًا لتدبير أمر البيت ورعاية أطفاله إنما يتم على حساب هؤلاء الأطفال، وعلى حساب الجيل القادم من البشرية[١].

والمرأة تكون عاصية لله ورسوله إن هي أهملت شأن بيتها بانشغالها خارجه، حيث قال عليه الصلاة والسلام: **«والمرأة راعية في بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**[٢].

والخطر يكمن فيما إذا توسع الحال في عمل المرأة، وانشغالها عن الأولاد خارج البيت، وأصبح هو القاعدة في المجتمع، فإنه يخشى بعد فترة من الزمن انتشار ظاهرة «أطفال المفاتيح» التي يوجدها الواقع الشاذ، فتصاب البلاد الإسلامية ومجتمعاتها بهذا الداء الذي فرض على أربعة ملايين طفل في الولايات المتحدة الأمريكية أن يعودوا إلى منازلهم من المدارس في آخر النهار حاملين مفاتيح البيت الخاوي من الوالدين العاملين، وهذا الإهمال ربما سبب للأطفال إحباطًا شديدًا

---

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية (٢/١٠٨).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٥٢٠٠) في النكاح، ومسلم (١٨٢٩/ ٢٠) في الإمارة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وانحرافًا في سلوكهم[١] ، ولهذا أدركت منظمة الصحة العالمية الخطورة التي عليها أطفال العصر الحاضر في الدول التي تعمل فيها المرأة فأوصت بتفريغ الأمهات ثلاث سنوات لكل طفل جديد[٢] ، وإن كانت الثلاث سنوات غير كافية للطفل، فإن اهتمام المنظمة به دليل ومؤشر على خطورة الموضوع وجديته وأثره الخطير على الجيل الجديد.

إن كثيراً من النساء العاملات لا يقمن طيلة وقت العمل إلا باغتياب الناس، وتعطيل المصالح، ومزاحمة الرجال، ومثل هؤلاء يحرم العمل في حقهن.

هذه إذن الخطوط العريضة التي سيختار الأب على أساسها وعاء أولاده، وأمهم التي ستبقى معهم طيلة الوقت، وهي العامل الأكبر المؤثر في تربية الطفل.

وهناك أمور كثيرة يجب مراعاتها عند اختيار الزوجة، مثل الابتعاد عن غير المتدينات مع التحذير من العبارة الشهيرة: (أتزوجها ثم تلبس الحجاب)، فماذا لو لم تقبل التدين والالتزام؟ فإن الأجساد لا تتقبل كل الأدوية؛ بل يتقبل جسد ما لا يتقبله الآخر، فليقطع المسلم الشك باليقين، وليكن اختياره على أساس الدين ليصح القصد، ويصح العمل، ويطيب الأصل، وبطيبه يطيب الفرع.

واختيار خفيفات المهر، والعاقلة اللبيبة، والودود الولود[٣] .

ويبقى قول الفقهاء في هذا المضمار حيث قالوا: «عند تعارض بعض صفات المرأة قدّم ذات الدين مطلقًا، ثم العقل وحسن الخلق، ثم النسيبة، ثم البِكْر، ثم الولود، ثم الجميلة، ثم ما كانت المصلحة فيه أظهر بحسب اجتهاد المتزوج»[٤] .

والله تعالى يقول: ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾ (النور: ٢٦). مع التزام المسلم بالاستخارة الشرعية، والاستشارة، والدعاء، وهي أمور تساعد على تيسير أسباب السداد والرشد في جميع الأمور.

---

(١) مختار المسلاتي: أمريكا كما رأيتها (ص١٠١، ١٠٢).

(٢) علي قاضي: الإسلام وتربية الطفل، مجلة التربية عدد (٣٨) (ص٦٧).

(٣) انظر تحفة العروس من (ص٢٦ إلى ص٤٢) في اختيار الزوجة من تأليفي ط دار الفجر للتراث.

(٤) نهاية المحتاج (٦/ ١٨١/ ١٨٢) للرملي.

اختيار الأب

وإذا كان الإسلام قد أوجب على الرجل مراعاة الدقة الكافية في اختيار المرأة التي يريد الارتباط بها واتخاذها زوجة له، واختصاصها بأن تكون أمًّا لولده، وجعل الأساس على الدين، فإن الإسلام أعطى للمرأة حق الموافقة على المتقدم لها أو رفضه دون إجبار لها على رجل بعينه.

ولذلك فإن الإسلام سوّى بين الرجل والمرأة في مسألة الاختيار، وجعل الحق للمرأة أن تنظر في دين الرجل وخلقه، وجعل ذلك لوليها أيضًا، لكي يكون الزوج صالحًا صاحب دين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[١] .

وعن الحسن أنه أتاه رجل فقال: إن لي بنتًا أحبها وقد خطبها غير واحد فمن تشير علي أن أزوجها؟ قال: «زوجها رجلاً يتقي الله فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها»[٢] .

لقد سوّى الإسلام بين الرجل والمرأة في الاعتبارات الإنسانية، وجعل الحياة بدون مشاركة بينهما مستحيلة ومن هنا جعل لها الحق في قبول ورفض من ستقترن به زوجة، والقاعدة: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور: ٢٦).

ولعل المسئولية في اختيار الزوج قد تقع أكثر على ولي الزوجة، ومن هنا فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت عن الزواج: «رِقٌّ؛ فلينظر أحدكم أين يضع كريمته؟»[٣] .

---

(١) صحيح الإسناد: الترمذي (١٠٨٥) في النكاح.

(٢) ذكره البغوي (٩/ ١١) في شرح السنة.

(٣) تخريج العراقي (٢/ ٦٦) على الإحياء.

ويقول الشَّعْبي: «مَن زوَّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها».

وأولى الناس بالمرأة المسلمة هو: صاحب الدين والخلق القويم، ولو كان فقيراً مُعْدمًا لا يملك إلا آي القرآن، ففي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟». قالوا: حريٌّ إن خطب أنْ يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أن يُشفَّع، وإنْ قال أن يُسْمع. قال: ثم سكت، فمرَّ رجلٌ من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟». قالوا: حريٌّ إن خطب أنْ لا يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أن لا يُشفَّع، وإنْ قال أن لا يُسْمع. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من مِلء الأرض مثل هذا»[١].

وقد أحسن البخاري رحمه الله إذ أورد هذا الحديث في كتاب النكاح ليقر هذا المبدأ الإسلامي: الاختيار على أساس الدين لا سواه، فإن أمة الإسلام أمة صفتها الشريعة والعقيدة وهي بدونهما سرابٌ؛ بل عدم لا وجود لها، وأي بُعدٍ عن هذه الشريعة وهذه العقيدة ستؤدي بالأمة إلى الهلاك حتمًا، ولو كان هذا البُعْد في مسألة الزواج واختيار الزوج.

والهزائم التي تحيق بالأمة من كل جانب أوله: الهزيمة النفسية الداخلية التي لا تنتج إلا عن طريق مجافاة الدين: عقيدة وشريعة، فحين يتحول الزواج إلى مجرد عادة لقضاء الشهوة، وممارسة الحياة، والتوريث دون ارتباط بالعقيدة تتحول معها الحياة إلى مجرد حياة- أي حياة- ولو كانت حياة ديدان تعيش تحت الثرى على جثث الأموات، وبقايا الموائد، وفتات الجثث والأجداث.

وعندئذ يرين اليأس على القلوب، وينشأ جيلٌ مستيئس يسلم نقائصه إلى جيل أشد ابتعادًا عن الأصل وافتقادًا للأمل، وكلما استحكم اليأس انقطع العمل الجاد الذي تحيا به الأمم، تقتل العزائم، ويركن الناس إلى الخرافات والأساطير التي تحل محل الدين، وتبيض وتفرخ في أفهام العامة والخاصة، وتمتد جذورها في ثرى المجتمع، وترتفع فروعها فيستظل بها الجميع فلا ترى إلا أشباه الرجال، وصور

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩١) في النكاح.

العلماء، وعندئذٍ تصبح الحياة مجرد وساوس ورذائل يضمحل فيها العلم، ويوشك العقاب أن يعم الأمة بعد انحطاط شأن الإيمان(١) .

فإذا تم اختيار الزوج على أساس الخلق والدين تأسس البيت المسلم على التقوى من أول يوم وتصبح الآداب الإسلامية والمبادئ الربانية هي الضابط والموجه لخطوات بناء هذا البيت، وستدوم الحياة طويلة ترفرف حولها السكينة التي امتن الله بها على عباده المؤمنين، وجعلها من آياته الباهرات كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١) .

إن نظامًا من أنظمة البشر هيهات أن يتطاول إلى سمو تعاليم الإسلام التي حملت مبادئ الغرض منها تدعيم العقيدة في القلوب والنفوس، وقيام المسلم بحق العبودية المفترض عليه، مما سيحمي الأسرة من شوائب الضعف والاضطراب، وسيبعد بالزواج عن: الأب الغافل، والزوج الماجن، والزوجة المنقادة إلى السوء.



---

(١) انظر كلامنا في تحفة العروس (ص٤٢ - ٥٢).

لحظة الدخول، وآداب الجماع، وما قبل الحمل

* تجنب الإسراف، ووليمة العُرس:

من أروع ما وصل إليه الإسلام بعد الاختيار الصحيح للزوج والزوجة، أنه نظَّم دقائق الأمور في المرحلة السابقة على الزواج والميلاد، حتى عند وضع البذرة الأولى في بنيان الإنسان وهي لحظة الجماع التي تجمع بين الزوجين وقبل الإشارة إلى هذه اللحظة ينبغي أن ينبه إلى أن كثيرًا من الناس تحت شعار «فرحة العمر» ينساق إلى متابعة خطوات الشيطان في مسائل الفرح والزفاف، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

فبعد أن يتم العقد يقوم الزوج أو وليه بحجز قاعات الأفراح وصالاتها التي تعج بعدُ بالمدعوين من النساء والرجال ليحدث الاختلاط بصورة الرذيلة التي لا تراعى فيها الحرمات؛ بل تُجْترح عيانًا بيانًا، وربما زاد الأمر تعقيدًا إذا دارت الخمر أو المخدرات على رءوس الأشهاد مع وجود الموسيقى والراقصة والمغنية.

وأسوأ ما يمكن تصوره أن يزين الرجل امرأته، أو يدفع بنفسه إلى الحلاق «الكوافير» ويشتري بماله ثوبًا عاريًا لها ليعرضها سلعة رخيصة أمام الناظرين، ثم يدعي بعدُ أنه «صاحب عقيدة» أو «عقيدته سليمة» أو «أن قلبه مطمئن بالإيمان» أو أنها «فرحة العمر».

أفلا حياءٌ من الله تعالى؟!!! ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٤- ٦). وما أشد حسرة هؤلاء إذا وُقف بهم غدًا على بساط العدل يطالع أحدهم صفحات كتابه وسطور أعماله فيصيح: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

إن من أهم أسباب النصر والتمكين ورفع البلاء عن هذه الأمة: نصرة شريعة الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧). وأجمع المفسرون

هنا على أن نصر الله تعالى هنا إنما هو: العمل بأحكام الشريعة، والإيمان بالغيب، وإقامة أحكامه[١] .

والأمة لن يصلح حالها إن فرطت في بعض الأمور وعملت ببعضها، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعقيبًا على هذه الآية الكريمة: «إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألاَّ تشرك به شيئًا، شركًا ظاهرًا أو خفيًّا، وألا تستبقي فيها معه أحدًا ولا شيئًا، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها، ونزواتها، وحركاتها، وسكناتها، وسرها وعلانيتها، ونشاطها كله وخلجاتها، فهذا نصر الله في ذوات النفوس.

وإن لله (تعالى) شريعة ومنهاجًا للحياة، تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة»[٢] .

إن ما جاء عن النبي ﷺ في مثل هذه الحال أنه أمر بالوليمة، فقال لعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه- إذ تزوج-: «أَوْلِمْ ولو بشاة»[٣] .

ومن أشهر الولائم في عهد النبي ﷺ وليمته عليه السلام على زينب بنت جحش رضي الله عنها[٤] ، ولا يشترط كون الوليمة من لحم، فقد أولم ﷺ على أم المؤمنين صفية بسويق وتمر.

* **حكم الوليمة:**

قد أوجبها بعض العلماء على الزوج، والأكثر على أنها غير واجبة[٥] ، لهذا لا ينبغي للزوج أن يزهد في أداء هذا السنة المباركة اقتداء بالرسول ﷺ وخروجًا من الخلاف الفقهي في وجوبها، ويستحب له اختيار شهر شوال لعقد النكاح والوليمة

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٩٣) معالم التنزيل (٧/ ٢٨١).

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٢٨٨) ط دار الشروق الطبعة الثالثة عشر.

(٣) رواه البخاري (٥١٤٨) في النكاح، مسلم (١٤٢٧/ ٧٩ - ٨٣) في النكاح عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٥١٥٤) في النكاح.

(٥) ابن قدامة المقدسي (٨/ ١٠٥) في المغني.

والدخول بالزوجة، وذلك لاستحباب السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك[1]، على أن يراعي في وليمته وتجهيز بيته تجنب الإسراف والبذخ.

والله تعالى يقول: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١). وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «كلوا واشربوا وتصدقوا في غير سرف ولا مَخْيلَة، إن الله تعالى يُحِبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده»[2].

إن من حكمة هذه الوليمة:

* إطعام الفقراء وإلا بئست هي، فبئس الطعام وبئس الوليمة يُدعى إليها الأغنياء ولا يُدعى إليها الفقراء[3].

* ثم دعاء الحضور للعروسين لا بقولهم: «بالرفاء والبنين»، فإنما هي من مواريث الجاهلية الأولى، وإنما بدعائه ﷺ ودعاء صحابته: «اللهم بارك لهم وبارك عليهم»[4]، فتتحقق البركة إن شاء الله بدعاء الحضور، فلعل منهم مَن هو مجاب الدعوة.

*** أخطاء شائعة ليلة الزفاف قد تمحق البركة:**

ولأن العروس يومها تبالغ في الزينة، وتدفع هي والزوج مبالغ طائلة تخشى على هذه الزينة التي قد يكون فيها ما يستوجب اللعن وهو الطرد من رحمة الله تعالى، فقد «لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة، والنامصة والمتنمصة، والواشرة والمستوشرة»[5].

والواشمة: التي تصنع الوشم بدق الإبرة وغرزها في الجلد، وحشوه بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضرّ.

والمستوشمة: التي تطلب دق الوشم لنفسها.

والواصلة: صانعة الشعر المستعار (الباروكة).

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٣/ ٧٣) في النكاح عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح:** الحاكم (٤/ ١٣٥) في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) جاء في ذلك حديث عند مسلم (١٤٣٢/ ١٠٩) في النكاح.

(٤) **صحيح:** ابن ماجه والنسائي عن علي رضي الله عنه، وانظر الإرواء (١٩٢٣).

(٥) رواه البخاري (٥٥٨٧) في اللباس، مسلم (٢١٢٤) في اللباس عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والمستوصلة: مَن يُصنع لها ذلك.

والنامصة: التي تنتف شعر الحاجب وهو من أشد المحرمات، وفاعلته مستحقة للعن، لا شك عندنا في ذلك؛ لكونها غيَّرت خلقة ربها إذ جاء في رواية ابن مسعود للحديث السابق كما في الصحيحين: «لعن رسول الله ﷺ: الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحُسن، المُغيِّرات خلق الله».

وبعض أهل الفساد من أصحاب (فتاوى الفضائيات المشبوهة) لبَّس على المسلمات فيسر لهن الهوى بقوله: إن النمص هو: إزالة شعر الحاجبين كله، أو رسم الحاجب. فهوَّن عليهن- بل وعليهم- ترقيق الحاجب والأخذ منه، وهذه فتنة عظيمة نسأل الله النجاة منها.

يقول الشيخ صالح بن فوزان حفظه الله: «ويحرم على المرأة إزالة شعر الحاجبين، أو إزالة بعضه بأي وسيلة من الوسائل، من الحلق أو التقصير أو استعمال المادة المزيلة له أو لبعضه، لأن هذا هو النمص الذي لعن النبي ﷺ مَنْ فعلته، وقد ابتلي بهذه الآفة الخطيرة التي هي كبيرة من كبائر الذنوب كثير من النساء اليوم، حتى أصبح النمص كأنه من الضرورات اليومية، ولا يجوز لها أن تطيع زوجها إذا أمرها بذلك لأنه معصية». اهـ.

وتتمة لهذه الفتوى يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وينبغي للمرأة ألاَّ تفعل ذلك- يعني النمص أو الحلق أو القص- إلاَّ إذا كان الشعر كثيرًا على الحواجب بحيث ينزل إلى العينين فيؤثر على النظر فلا بأس بقص أو تخفيف أو إزالة ما يؤذي من هذا الشعر دون نتف الحاجب»[1] ا.هـ.

فالفتوى إذن تجيز القص دون النتف في حالة سقوط شعر الحاجبين على العينين بشكل مؤذٍ، وبهذا لا يجوز تسوية الحاجبين أو إزالة الشعر منهما في غير حالة المضطرة هذه- والله أعلم-.

قلت: وهذا المذهب- أن النمص أخذ شعر الحاجب فقط- هو مذهب أم المؤمنين

---

(١) فتاوى المرأة المسلمة (ص٣١٢، ٣١٣).

عـائشة رضي الله عنهـا، ومـذهب غالب أهل العلم أنـه أخذ الشـعر من الوجـه، فاحذرن يرحمكن الله.

والمتنمصة: هي التي يُفعل لها ذلك، وهذا ما يكون في بعض الرجال من المخنثين أيضًا وهم ملعونون بنص حديث ابن عـباس رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء»[1].

والواشرة: التي تحدد الأسنان، وترقق أطرافها بغير حاجة.

والمستوشرة: التي تطلب فعل ذلك.

والمتفلجات للحُسن: اللواتي يقمن بتوسيع الفتحة المفرقة بين الأسنان بالمبرد للتحلي بذلك، وإظهار الحسن[2].

إن الأمـر يتـعدى الـلعنة على المرأة إلى لعنة على الأب والـزوج الديوثين اللذين يسمحان لها بذلك كله، ولأن العروس قد فـعلت ما فعلت من هذه الأمور فإنها في تلك الليلة لا تصلي!! وتترك الصلاة، فكيف تتوضأ وهي تعلم أن ثيابـها ستعيقها، أو هي عارية؟ وكـيف تتوضـأ والمساحـيق على وجهـها؟ بل ربما نسيـت الصلاة في ليلتها!! فأي بيت على مثل هذه الأسس الهاوية بأهلها إلى غضب الله يمكن أن يقوم أو يخرج ثمرة صالحة؟!

وما يقال للزوجة يقال للزوج أيضًا، ومـا أجمل الفرحة إذا كانت على شريعة الله تعالى، فدع عنك ما يقوله الأهالي في تلك الليلة: إذا لم تُفْرحنا غضبنا منك!!

فليغـضب مَن يغضب إذا رضي الله تعالى، وعـذاب الدنيا وفضوحـها أهون من عذاب الآخرة وفضوحها، فطوبى للغرباء.

* تحصينات للطفل قبل إتيانه إلى الحياة (لحظة الجماع):

هذه هي اللحظة التي سما بها الإسلام من مـجرد لقاء بين جسدين أو ذكر وأنثى إلى مودة ورحمة، وسكن وطاعـة، يستجلب بها المؤمن الثواب ويستدره، فـالقضية

---

(1) رواه البخاري (٥٨٨٥) و (٥٨٨٦) في اللباس.

(2) راجع في ذلك تحفة العروس (ص١٦٩ - ١٧٢) ط- دار الفجر للتراث.

ليست قضية نطفة يلقيها رجل في أحشاء امرأة في لحظة هيجان جنسي؛ لكنها آية من آيات الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

والإسلام اعترف بالغريزة الجنسية فلا كبت لها ولا استنكار ولا قذارة؛ بل متاعٌ كامل بكل ما في الفطرة من جوانب المتاع والمتعة التي يقضي بها المؤمن حاجته في جو مليء بالعفة والطُّهر، وطمأنينة النفس التي تأمل الثواب حتى في شهوة تقضيها النفس مع إلفها الذي يسَّره الله تعالى.

لقد أرشد الإسلام أصحابه إلى اتباع السبيل القويم في مثل هذه اللحظات، واستحضار عظمة الخالق سبحانه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إذا تزوَّج أحدكم امرأة أو اشترى خادمًا فلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إني أسألك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرِّها ومن شرِّ ما جبلتها عليه»(١).

فهذا استحضار لعظمة الله تعالى في مثل هذه اللحظات، ثم تأتي آداب الجماع بعدُ.

* آداب الجماع:

١- استحضار النية: النية: قصد الفعل ابتغاء وجه الله وامتثالاً لأمره(٢).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...»(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «...وفي بضع أحدكم صدقة». قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»(٤).

«وفي هذا دليل أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون

---

(١) حسن الإسناد: أبو داود (٢/ ٦١٦).
(٢) الفتح (١/ ١٩) بتصرف.
(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٥) (١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥) (١٥٥) (١٩٠٧).
(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٧) (٥٢) (١٠٠٦) وأحمد (٥/ ١٦٧)، وأبو داود (١٢٨٥).

عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة، ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح أو إعفاف نفسه أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعًا من النظر إلى الحرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة»[(١)] .

وقال الله عز وجل: ﴿فَالْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧).

«فلما خفف الله عز وجل عن الأمة بإباحة الجماع ليلة الصوم إلى طلوع الفجر وكان المجامع يغلب عليه حكم الشهوة وقضاء الوطر، حتى لا يخطر بقلبه غير ذلك أرشدهم سبحانه إلى أن يطلبوا رضاه في مثل هذه اللذة، ولا يباشروها بحكم مجرد الشهوة بل يبتغوا بها ما كتب الله لهم من الأجر والولد الذي يخرج من أصلابهم يعبد الله لا يشرك به شيئًا»[(٢)] .

٢- التسمية: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله وببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع»**[(٣)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك أو قضي ولد لم يضره شيطان أبدًا»**[(٤)] .

«وقيل: لم يضره مشاركة أبيه في جماع أمه كما جاء عند مجاهد: أن الذي يجامع ولا يسمي يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه. ولعل هذا أقرب الأجوبة»[(٥)] .

---

(١) شرح النووي (٧/ ٩٢) على مسلم.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص١١).

(٣) أخرجه الحافظ عبد القادر في أربعينه كما في عمدة القاري (١/ ١١) للعيني، وأبو داود (٥/ ١٧٢) (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١/ ٦١٠) (١٨٩٤) ولفظه: **«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع»**. وقال العيني في العمدة (١/ ١١) رواه ابن حبان، وأبو عوانة في صحيحيهما وقال ابن الصلاح: هذا حديث حسن بل صحيح، وأخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ١٣٦) (٥١٦٥) كتاب النكاح باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، ومسلم كتاب النكاح باب ما يستحب أن يقال عند الجماع (٢/ ١٠٥٨) (١١٦) (١٤٣٤)، وأبو داود (٢/ ٦١٧) (٢١٦١)، وابن ماجه (١/ ٦١٨) (١٩١٩)، وأحمد (١/ ٢١٧)، والدارمي في السنن (٢/ ١٤٥).

(٥) قاله الحافظ في الفتح (٩/ ١٣٧).

وفي الحديث استحباب التسمية والدعاء، والمحافظة على ذلك حتى في حالة الملاذ كالوقاع، وفيه الاعتصام بذكر الله ودعائه من الشيطان والتبرك باسمه والاستعاذة به من جميع الأسواء، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال إبليس: كل خلقك بينت رزقه، ففيما رزقي؟ قال: فيما لم يذكر اسمي عليه**»[٢] .

٣- الاستتار: عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله عوراتنا، ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**». قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «**إن استطعت أن لا تريها أحداً، فلا ترينها**». قلت: يا رسول الله فإن كان أحدنا خاليًا؟ قال: «**فالله أحق أن يستحى منه من الناس**»[٣] .

* فوائد في مسألة الجماع:

* لا داعي للاستعجال في فض البكارة من أول ليلة يدخل عليها، خاصة إذا كانت الزوجة غير مهيئة نفسيًا لذلك، أو لخوفها على نفسها من عملية الجماع، فإن فض البكارة من أول ليلة لا يعتبر دليلاً على تمام الرجولة والفحولة؛ بل إن وطأها مغصوبة- خاصة في هذه الليلة- يترك في نفسها أثرًا سيئًا، وخبرة مؤلمة ربما تلازمها طول حياتها الزوجية، فتعكر عليهما عيشهما وصفو حياتهما، وكان يكفي الزوج أن يصبر عليها، ويزيل وحشتها، ويدخل عليها السرور، حتى تمكنه من نفسها راضية مختارة، على أن لا تطول معالجته إياها لأكثر من أسبوع[٤] ، فإن زادت عنه وما استطاع أن يعرف سبب الممانعة أشعر أهلها بذلك.

---

(١) قاله الحافظ في الفتح (٩/ ١٣٧).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٢/ ١٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٢٦)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/ ٢٥٧)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٧٠٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦١٨) (١٩٢٠)، والترمذي (٨/ ٥٣٠) (٢٩١٩) كتاب الأدب باب ما جاء في حفظ العورة وقال: هذا حديث حسن.

(٤) هذا ما ارتضاه ابن قدامة (٨/ ١٥٩، ١٦٠) في المغني.

اعلم أن طبيعة العلاقة الجنسية بين الزوجين لها علاقة مباشرة بالوراثة وعلم الأجنة، فتفيد الدراسات: «أن المعايب الخلقية التي تصاحب قضاء الناحية الجنسية بين الزوجين تنتقل إلى أولادهما. . .ومتى تم الإخصاب في ظروف ملائمة كان جديراً بأن يكون ذلك بشير خير لإنسان جديد»[1] . «فإذا كان الوالدان أو أحدهما فاقداً للوعي تحت تأثير مخدر أو خمر أو نحو ذلك، وحدث إخصاب بينهما في ذلك الوقت، كان المولود في الغالب ضعيفًا من الناحية العقلية، أو مصروعًا، أو مجنونًا»[2] .

وهذا معناه أن تترفق بالزوجة إذ العلاقة الجنسية هامة ومصيرية إذ أنها يترتب عليها طبيعة المولود الجديد وكيانه، فإذا ما أحاطته هذه الأمور عناية ورعاية من (نية مستحضرة- وبسملة- ودعاء وذكر- وترفق) أخذت بكل الأسباب، وبقيت النتائج على الله تعالى لا دخل لأحد فيها- والله أعلم-.

لقد تحولت لحظة الجماع إلى لحظة طاعة، مفعمة بالإيمان، لا شيطان يحضرها؛ بل بركة تكتنف بوابتها ووقتها، حتى إن الجنس لتعلو مرتبته من مجرد قضاء الوطر إلى سلوك رفيع، وقيم عالية، وأسلوب خاص بالبشر المؤمنين بعيداً عن أسلوب البهائم؛ بل هو سلوك إيماني رفيع متزن، وأيما ولد نبت في هذا الجو الإيماني لا شك أنه سيكون ولدًا مباركًا طيبًا.

• تتمة:

وتبقى نقطة أخرى من أهم العوامل التي تأتي بالولد الصالح- إن شاء الله- ألا وهي: طيبُ النفقة، ليطيب الغرس ويثمر، فكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به، جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«أيُّها الناسُ إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** (المؤمنون: ٥١) **. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن**

---

(١) نصار، محمد عبد الستار، الطفولة في ضوء معطيات الإسلام مجلة التربية العدد (٤١) (ص٧١، ٧٢).

(٢) نصار، محمد عبد السلام، الوراثة والبيئة وأثرهما في تكوين الخلق، مجلة التربية العدد (١٩) (ص٦٦).

طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أَشْعَث أَغْبَر يمد يديه إلى السماء: يا ربّ، يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّيَ بالحرام، فأنَّى يُستجاب له»(١) . أي: كيف يستجاب له؟

والولد من كسب أبيه، فإن طابت النفقة، طاب الكسب، وإلا فهو خبيث لا صلاح فيه بعدُ.

* الدُّعاء بالولد:

وبعد الدخول يستحب للمرء أن يدعو بالولد الصالح كما فعل الأنبياء عليهم السلام، فقال الله تعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠).

وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨).

وقال عنه أيضًا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: ٥، ٦).

ويتخطى أيضًا ذلك بالدعاء لهم كما سجل القرآن ذلك: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

وكذا قال خليل الله إبراهيم عليه السلام وولده الذبيح إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة: ١٢٨).

وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٤٠).

وقول المؤمن إذ بلغ أربعين سنة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ (الأحقاف: ١٥).

والدعاء هنا على الإطلاق للذكر والأنثى، فالخيرة دائمًا فيما اختاره الله عز وجل للمرء، والقدر كنز مخبوء للمسلم لا يحوي في صندوقه إلا كل خير وسعادة إن شاء الله.

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥/ ٦٥) في الزكاة.

أثر صلاح أو فساد الوالدين على الأولاد

◦ أصلح نفسك قبل أن يأتي ولدك:

ربما كان الإنسان قبل الزواج مشتت الفكر، مبعثر الآمال، همه في دنياه: طعام وشراب وكساء، وأمله: شرب خمر ونساء، لكن الأمر يتغير تمامًا بعد الزواج، لأنه أقدم على بناء أسرة حالما يخرج ثمراتها من أكمامها عمًا قريب، وهنا ينبغي للمرء أن يتوقف كثيرًا مع حياته السابقة قبل أن يأتي الصغير ليجد أبًا فاسدًا، أو شبه فاسد، أو حاملاً لصفات يمكن لواحدة منهن تدمير عدة أفراد؛ بل مجتمع كامل.

وكذا وجب على المرأة أن تعيد ترتيب حياتها قبل الزواج وبعده، لتصل إلى خير حال يمكن للمؤمن الوصول إليه ليكون أبًا أو أمًّا صالحة.

خطورة فساد الآباء على الأبناء:

(الأبناء يعيرون بذنوب آبائهم وأمهاتهم) على هذا درج الناس، وعلى هذا استقامت الحياة، وبه جرت المقادير، فابن الزنا يظل طيلة حياته أسيرًا لفعل أبويه، وابن اللص يُشار إليه بالأصابع أنه ولدٌ للص!!

إن كان صالحًا قالوا: كيف صلح وأبوه لص؟ وإن كان فاسدًا قالوا: فسد بفساد أبيه. وتظل هذه الصفات القبيحة مطاردة للولد أو للبنت طيلة حياتهما، يظهر ذلك جليًا في مواطن تجمع الصغار في المناسبات وغيرها، أو عند الزواج فيُرفضْ الشاب لجريمة لا زال يحمل عارها، رغم أن أباه هو الذي ارتكبها!!

هذا حاله مع الناس، أمّا مع ربه فإنه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

وهذه المَعَرَّةُ التي تظل سبَّة في جبين صاحبها، وظلاً له أينما ولى وجهه كفيلة بأن تقتل الولد نفسيًا، وأن تزرع فيه:

* كراهية أبيه وأمه.
* وكراهية الناس ممن يعيرونه.

* والإحساس بالنقص الدائم أمام أصدقائه.

* والعزلة الدائمة لئلا يُعَيَّر بذلك.

* وأن ينجرف في نفس تيار أبيه وأُمِّه.

والقاعدة تقول: إن الله تعالى رحمن رحيم، والمجتمع والناس لا يعرفون الرحمة، فإذا كان على الأب أن يختار زوجة صالحة، وعلى الأم أن تختار زوجًا صالحًا، فعليهما أن ينتهيا عن كل سوء يفعلانه، وأن يكُفا عن كل مفسدة يرتكبانها، لئلا يظل الصغير حاملاً عارهما أينما ولَّى بوجهه، مما يعني أن يحارب الوالدان شهواتهما التي لا تستغرق إلا وقتًا قليلاً بينما تجر ذلاً طويلاً يدوم ما دام الناس يتذكرونهما.

* **حكاية:**

ويُحكى أن أحدهم بال على نفسه في الصلاة، فصار حديث قريته، مما اضطره إلى الهروب والرحيل، وبعد ثلاثين سنة أراد العودة إلى دياره ظانًا أن أمر (بولته) قد ولَّى ونسيه الناس، فما أن دخل إلى موطنه حتى سمع أُمًّا تضرب صغيرها، فإذا به يسرع يأمرها بالكف عن ذلك، فقالت له: إنك لا تدري ما فعل. قال: وما فعل؟ قالت: فعل مثل من بال على نفسه منذ ثلاثين سنة في الصلاة!! فولَّى عائدًا حين علم أن أمره لم يُنس بعد، وهكذا سيرة كل غادرٍ وفاجرٍ تتحول إلى شبح يطارد الصغار، أو نقمة ومثلة ولعنة في الأبناء، وحيدة عن طريق الحق، ونزول للبلايا والأسقام، فاحذر، واحذري، وتوبا إلى الله تعالى، وأكثرا من العمل الصالح.

* **أثر صلاح الوالدين على الصغار:**

* **أثر ذلك في الدنيا:** وعلى النقيض يكون صلاح الآباء والأمهات فألاً حسنًا، وخيرًا وفيرًا على الصغار، فالصغار يقرءون القرآن إذا رأوا آباءهم يفعلون ذلك، وكذا يصلون، ويصومون، ويسيرون على الجادة إذا ما وجدوا آباءهم كذلك.

ثم يحفظ لآبائهم الصلاح، ويحفظون هم به، والله تعالى يقول: **﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾** (النساء: ٩).

وهذا يوضح الصلة بين الفعل والقول السديد والتقوى من جانب، وبين الذرية من جانب آخر، فالذرية تنسب إلى الصالح من آبائهم:

- فالله تعالى نسب المؤمنين إلى آبائهم فقال سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣). ولَمْ يُحْمل مع نوح إلا مؤمنٌ.

- وعلى الرغم من فساد بني إسرائيل في الأرض إلا أن الله تعالى نسبهم إلى إسرائيل- يعقوب عليه السلام- فقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (البقرة: ٤٧، ومواضع أخرى). وهذا تذكير لهم للتأسي به في الخير والصلاح.

- ولَمَّا أراد بنو إسرائيل تعنيف مريم عليها السلام لظنهم السوء بها نسبوها إلى هارون عليه السلام وإلى صلاح أبويها فقالوا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨).

- ويقي الله الصغار مصارع السوء ويحفظهم بصلاح آبائهم، فقد تجشم نبيي الله الكريمين موسى والخضر عليهما السلام مشقة السفر إلى أهل قرية بخيل أهلها أبوا أن يضيفوهما، لا لشيء إلا لبناء جدار اليتيمين في هذه المدينة التي على شح أهلها أنجبت صالحًا من الصالحين، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: ٨٢).

فيحفظ الله مال الأيتام بصلاح الآباء والأجداد، ويبني الجدار بيد الكليم والخضر عليهما السلام، ولا شك أنه مال حلالٌ الذي جمعه هذا المؤمن الطيب، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧). لقد كان أحد السلف يقول لولده: «يا بُنيَّ لأزيدن في الصلاة من أجلك».

ها هو الإمام البخاري رحمه الله حينما أراد الترجمة لوالده يقول: «ترك له ألف ألف درهم ليس فيهن درهم واحد فيه شُبهة»!! وكانت أمه عابدة رُزقت حظًّا وافرًا من الابتهال إلى الله والدعاء حتى ردَّ الله بصر البخاري بدعائها[1]، وكذا حال شيخ

---

(١) مقدمة الفتح (ص٤٧٧).

الإسلام ابن تيمية الذي كان أبوه وجده وأخوه أهل علم وفضل، فطاب الثمر إذ طاب الجذر.

* **أثر صلاح الوالدين على الأولاد في الآخرة:**

هذا هو قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (الطور: ٢١). فإذا لم يبلغ الابن بعمله منزلة أبيه ألحقه الله بأبيه دون أن يبخس الأب حقَّه.

وقال تعالى عن دعاء الملائكة للصالحين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨). فهذا ما جناه صلاح الآباء: دعاء الملائكة، ولحوق بركب الصالحين في الآخرة.

☆☆☆

أمور ينبغي على الأب تعلمها ليكون أبًا صالحًا

يقول الدكتور عدنان حسن صالح باحارث في كتابه: مسئولية الأب المسلم في تربية الولد: «يعتمد الأب في تربية أولاده على شخصيته وأسلوبه في توجيههم، وهذه تعد من أهم الأعمال والتبعات التي يتولاها الأب، وهي مضافة إلى ما تقدم من المهام في تكوين الأسرة، ورعاية المولود الجديد.

ومن خلال هذا المبحث نستعرض أهم الجوانب والمقومات التي ينبغي أن يتحلى بها الأب في نفسه وشخصه؛ ليتمكن من التأثير على الأولاد وتوجيههم الوجهة السليمة التي تكفل لهم الاستقامة على منهج الله عز وجل:

أولاً: القدوة:

تعتبر القدوة من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار[١] ، فهم أكثر تأثرًا بالقدوة إذ يعتقد الطفل في سنواته الأولى أن كل ما يفعله الكبار صحيح، وأن آباءهم أكمل الناس وأفضلهم، لهذا فهم يقلدونهم ويقتدون بهم[٢] .

ويبدأ التقليد عند الأطفال عادة منذ السنة الثانية تقريبًا، ويبلغ التقليد غايته في سن الخامسة أو السادسة، ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة[٣] .

ولا شك أن هذا التقليد دليل على محبة الأولاد لآبائهم، وليس نابعًا عن خوف أو خشية؛ بل هو ميل حقيقي قد امتلك واستهوى قلوب الصغار نحو آبائهم، وهذا الاعتقاد الصحيح يخالف وينقض ما ذهب إليه «فرويد» صاحب عقدة «أوديب» من

---

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص٢٣١، ٢٣٢).

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (ص١٠٢).

(٣) عابدين، جمال، الطفل كيف نهذبه في عاداته وميوله، مجلة رسالة المعلم، العدد (٢) (ص٤٤).

الزعم بأن الولد يكن في نفسه بغض أبيه وكراهيته لأنه ينافسه على أمه[١] ، وهذا لا شك يعد من الافتراء الباطل واتهام فطرة الأولاد الأبرياء بالنفاق والخداع منذ حداثة أسنانهم، وقبل أن يكونوا مكلفين، وهذا النوع من الاتجاهات المنحرفة وما شابهها يحذر الأب منها غاية الحذر فلا يكثر من الاطلاع عليها في الكتب المنحرفة، فضلاً عن الاعتقاد بها والعمل بموجبها، مع الحذر من بعض الكتّاب الذين تبعوا فرويد في اعتقاده الباطل بشيء من التهذيب والتحسين دون تصريح، خطأً منهم أو جهلاً[٢] .

والأطفال يتعلمون بالقدوة والمثل أكثر بكثير مما يظن ويتصور الوالد، فالطفل يتأثر بنا ويقلد طريقتنا في معاملتنا، وعلاقتنا بجارنا، وحديثنا عن زملائنا في العمل، دون أن نشعر نحن غالبًا بهذا الأمر، فاتجاهاتنا النفسية تصبح كلها هي نفس اتجاهاته النفسية[٣] ، وبناء على هذا يكون التعود على فعل الخير بالقدوة الصالحة في أول الأمر هو المنهج الصحيح للتربية الإسلامية[٤] ، إذ أن العقيدة الإسلامية لا يكفي أن تكون في قلب المسلم دون أن يكون لها واقعها العملي المترجم في السلوك الإسلامي الصحيح في جميع مجالات الحياة[٥] ، فقد ذم الله سبحانه وتعالى ومقت الذين تخالف أعمالهم أقوالهم، فقال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ (الصف: ٢، ٣). وقال عليه الصلاة والسلام: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»[٦] . وسبب

---

(١) انظر: فرويد، سيجموند، الذات والغرائز (ص٦٤، ٦٥).

(٢) انظر ما كتبه معروف زريق في كتابه كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم، (ص١٢٢).

(٣) ويتزمان، إلياس، التربية الاجتماعية للأطفال (ص٧٥) بتصرف.

(٤) قطب، محمد، النظرية التربوية الإسلامية بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، (ص١٦).

(٥) النوري، عبد الغني عبد الفتاح، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، مجلة التربية العدد (٧٤) (ص١١٤).

(٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله، حديث رقم (٥١) (ج٤/ ص٢٢٩١).

هذا التحذير الشديد من مخالفة القول للعمل ما يمكن أن تسببه هذه المخالفة من ضرر نفسي فادح بالمقتدين، خاصة الأطفال الذين لا يعقلون، فالطفل الذي ينشأ وهو يظن أن والده منافق مراء في عبادته وأمور دينه، يكون أصعب الأطفال طرًا في اجتذابه واستمالته إلى الدين[1] .

فالطفل في حوالي السنة السادسة من عمره تقريبًا يمكن أن يحدد مدى التزام أهله بالتوجيهات التي يأمرونه بها[2] ، فالتلقين لا يثمر مع الولد وإن استعملت معه جميع أنواع ووسائل التربية إن لم توجد القدوة الصالحة التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة[3] ، وإن الناظر في أوضاع المجتمعات الإسلامية اليوم يجد «أن عقيدتنا وأخلاقنا وقيمنا تكاد تكون في ناحية، وحياتنا العملية في ناحية أخرى، نقيضان لا يلتقيان»[4] فكيف ينشأ مع هذا الوضع أطفال صالحون يرون ويشاهدون المتناقضات في حياة الأمة؟ إنهم مهما سمعوا من المربين، فإنهم لن يحملوا في داخل أنفسهم سوى الصورة التي يرونها أمامهم من أنواع وأنماط السلوك إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر[5] .

وقد تنبه السلف الصالح رضوان الله عليهم إلى هذا الأمر وأهميته، فهذا عمرو ابن عتبة ينبه معلم ولده لهذا الأمر، فيقول: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت»[6] . فالأطفال لا يدركون المعاني المجردة بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربي بل لابد من المثال الواقعي المشاهد.

وبهذا يظهر أنه لا مجال للتربية الإسلامية الصحيحة بدون القدوة الصالحة التي

---

(١) سبوك، بنجامين، مشكلات الأباء والأمهات، (ص٢٢٦).

(٢) مونتاجيو، اشلي، كيف نساعد أطفالنا على تنمية قيمهم الخلقية، (ص٣٩، ٤٠).

(٣) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية (ج٢/ ص١٢٢). انظر أيضًا: يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية (ص٦٦٠)..

(٤) التوم، بشير حاج، التربية والمجتمع (ص١٧).

(٥) يونس، أحمد السعيد، طفلك في عامه الثامن، (ص٦٣، ٦٤).

(٦) ابن عبد ربه، تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، (ص١٢٥).

تمثل الأوامر وتستجيب لها، وتنزجر عن النواهي وتمتنع عنها.

ثانيًا: الرحمة والحب:

يكاد يجمع التربويون على أن الحب والعطف والحنان من أهم دعائم وأساسات التربية، فإن الحب يتمثل في الحنو على الولد، وتقبيله، واحتضانه، وإظهار محبته، والعطف عليه[١]. والطفل وإن كان صغيرًا ضعيف الإدراك قليل الفهم إلا أنه يعي البسمة الحانية، ويدرك الغضب، فلا يمكن أن يتعلم الطفل الرحمة والحنان والعطف إذا كان والده يقسو عليه ولا يرحمه[٢]، فإن الآباء لا يمكن أن يربوا أولادهم بأسلوب الرهبة فقط؛ بل لا بد من الحب الفياض الغامر المتدفق من قلوب الآباء إلى أبنائهم، وهم بالتالي ينقلون هذا الحب إلى غيرهم.

وقد استفاضت السنة المطهرة بروايات عديدة تظهر أهمية هذا الجانب في التربية والتوجيه، فقد روى الحاكم في المستدرك بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»**[٣]. وكان عليه الصلاة والسلام يظهر حبه للأولاد ولا يخفيه، فيقول عن أسامة بن زيد والحسن: **«اللهم إني أحبهما فأحبهما»**[٤]. وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس رأى النبي ﷺ وهو يقبل الحسن، فأخبر أن له عشرة من الولد لم يقبل أحدًا منهم، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن يعلنها دستورًا للمربين عمومًا فيقول: **«إنه من لا يرحم لا يرحم»**[٥].

---

(١) انظر: النحلاوي، عبد الرحمن أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع (ص١٢٤). الهلال، يوسف سعيد، التربية والطفل (ص٨)، الأديب، علي محمد، منهج التربية عند الإمام علي (ص١٥٥). عوض، محمد زكي، أطفالنا والتربية (ص٧٨). فينكس، فيليب، فلسفة التربية (ص٣٣٥).

(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، (ج٢/ ص١٠٦ - ١٨٦).

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان (ج١/ ص٦٢).

(٤) البخاري، صحيح البخاري، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، باب مناقب الحسن والحسين (ج٥/ ص٣٢).

(٥) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الولد، حديث رقم (١٩١١) (ج٤/ ص٣١٨).

فاعتبـر تقبيل الصبيان مـن مظاهر الرحمة بهم، وقد كان يُكثر من تقـبيل الحسين حتى يقبله في فمه محبة ورحمة به[١] . وكان يقول عليه الصلاة والسلام: «ريحانتي حسن وحسين»[٢] . وقدم عليه مرة جماعة من الأعراب ينكرون تقبيل الصبيان، فقال لهم: «وما أملك إن كان الله نزعَ منكم الرحـمة»[٣] . ويقول عنه أنس بن مـالك: «ما رأيت أحـدًا كان أرحم بالعـيال من رسـول الله ﷺ»[٤] . ويروى أنه عليـه الصلاة والسلام كان يخرج لسانه للحسين يداعبه ويلاطفه رحمة به[٥] .

فهذا الفعل من رسول الله ﷺ، وإظهاره للحب والحنان للأولاد، والعطف عليهم أمام أصحـابه وزواره يشير إشارة واضـحة جلية أنه جانب مهم فـي التربية، ولا بد للأب المسلم أن ينتهجه مقتديًا برسول الله ﷺ، فيفيض على أولاده من حبه وحنانه، ولا يبخل عليهم بذلك، خاصـة وأن هذه القضية فطرية في قلوب الآباء، فليس في إظهارها تكلف؛ بل إن التكلف في كبتها وكـتمانها، فإن نزعت هذه الرحمة الفطرية من قلب الأب فهو شقي منتكس الفطرة، ولا ينفع أن يكون أبًا، ولا ينبغي أن يتولى تربية أولاده فيـحرفهم عن الجادة بقـسوته وغلظته عليهم، فـالطفل إن أحس ببغض والده له، بعـدم إظهاره الحب والمودة، فـإنه ينحرف قـاصدًا إزعـاج والده وإتعـاسه والانتقام منه، إذ أنه يعرف أن انحرافه يقلق والده ويزعجه[٦] .

ومن أعـجب مـا يروى عن النبي ﷺفي رحـمـته بالأولاد الحـديث الذي ذكـره الهيثمي في مجـمع الزوائد عن أبي ليلى قال: «كنت عند النبي ﷺ وعلى صدره أو بطنه الحسن أو الحسين عليهما السلام فبال فرأيت بوله أساريع (أي: طرائق)، فقمت إليه فقال: «دعوا ابني لا تفزعوه حتى يقضي بوله»، ثم أتبعه الماء». وفي رواية: «لا

---

(١) انظر: أحمد، المسند (ج٤/ ص١٧٢).

(٢) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٧٢٥٣) (ج٤/ ص٤٣١).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم (٦٤) (ج٤/ ص١٨٠٨).

(٤) المصدر السابق، حديث رقم (٦٣).

(٥) انظر: البغوي، شرح السنة، باب بر الوالدين، (ج١٣/ ص٣٦)، وسند الحديث حسن.

(٦) ليونارد، شارلز، لماذا ينحرف الأطفال، (ص٨٢).

تستعجلوه»[١] . فهـذا نموذج تربوي فريد، وقدوة واقـعية لمن أراد أن يتـمثل المنهج التربوي الصحيح في مجال تربية الأولاد، والصبر عليهم ومراعاة حالهم.

ثالثًا: العدل:

جاءت الشريعة الإسلامية المباركة بالأمر بالعدل بين الأولاد والتسوية بينهم، وذلك «تفاديًا من التحاسد والـتحاقد بينهم، فقد يحقدون أحيـانًا على أبيهم نفسه، والأب مأمـور بأن لا يتعـاطى من الأسبـاب ما يثـير شـيطان العقـوق في نفس ولده»[٢] . وجمهور علماء الأمـة على استحباب العدل والتسوية بين الأولاد، وكـراهة التفضيل بينهم في العطية[٣] ، وذلك استنادًا لما روي عن رسول الله ﷺ في الأمر بالعدل في العطية، فـقال عليه الصـلاة والسلام: «اعدلوا بين أولادكم في العطيـة»[٤] . بل كان يذهب إلى أبعد مـن ذلك فيأمـر بالعدل حتى في القـبل عليه الصـلاة والسلام[٥] ، ويقـول أيضًـا: «إن الله تعـالى يحب أن تعـدلوا بين أولادكم كـمـا يحب أن تـعـدلوا بين أنفسكم»[٦] . وما جاءت هذه الأوامـر والتوجيهات من رسـول الله ﷺ إلا لأهمية هذه القضـية في مجـال التربية، ومنعًـا للحسد والتـباغض بين الأخوة، فـقد «اتفق الباحثون عـلى أن أشد العوامل إثارة للحسد في نفوس الأطفـال هو تفضيل أخ على أخ أو أخت، أو العكس، والموازنة بين الواحـد والآخر أمـام عينيـه أو على مسـمع منه»[٧] . لهذا كـان على الأب المسلم أن يتـجنب أسبـاب التبـاغض والتحـاسد بين أولاده، بإقامة العدل بينهم، وتوزيع محبتـه وحنانه عليهم، وإن كان ذلك صعبًا في بعض الأحيان للغفلة أو النسيان، أو لـلميل الفطري إلى الابن الأصغر مثلاً، أو إلى

---

(١) الهيـثمي، مـجـمع الزوائد ومنبـع الفوائد، كـتـاب الطهـارة، باب في بول الصـبي والجـارية (ج١/ ص٢٨٩، ٢٩٠) ورجال الحديث ثقات.

(٢) المغربي، عبد القادر، الأخلاق والواجبات (ص١١٣) بتصرف.

(٣) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته (ج٥/ ص٣٤).

(٤) البخاري، صحيح البخاري كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة للولد، (ج٣/ ص٢٠٦).

(٥) انظر: الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، (ص٢٤٧).

(٦) الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب البيوع، حديث رقم (١٧٣) (ج٣/ ص٤٢).

(٧) الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس (ص٢٤٧).

المطيع منهم، لكن لا بد للوالد أن يلاحظ ذلك من نفسه، وأن يتنبه له، فإن الأطفال يحسون ذلك ويعونه، ويدركون مظاهر التفريق في المعاملة، فإن لم يتدارك الوالد تحسين الوضع، ورد الأمور إلى نصابها في إقامة العدل بينهم، فإن الولد المظلوم ربما نهج السلوك العدواني مع إخوانه انتقامًا لنفسه، أو ربما أثر ذلك عليه وسبب له ضعفًا في التحكم في إفرازاته[١] إلى غير ذلك من مظاهر سوء التوافق النفسي الذي يمكن أن يصاب به الطفل المنبوذ.

رابعًا: المخالطة:

يميل الأولاد خاصة بعد الثامنة من العمر إلى الجلوس والحديث إلى آبائهم، ويحلمون بأن يكونوا على شاكلتهم، ويرغبون في السماع إلى توجيهاتهم[٢]، وينبغي للأب المسلم أن يستغل هذه الفرصة وهذا الميل من الولد، فيوجهه التوجيه الصحيح المثمر، ولا ينبغي الانشغال عن الأولاد بالكلية بأي أمر كان، فإن رسول الله ﷺ رغم انشغاله بأمور المسلمين، والجهاد، وسياسة الدولة، لم يمنعه كل ذلك من مخالطة الأولاد- كما تقدم- فقد استفاضت كتب الحديث والسير بذكر منهجه وأسلوب حياته في البيت مع الأولاد، فقد روى عنه أصحابه رضي الله تعالى عنهم أنهم شاهدوه والحسن والحسين على بطنه أو صدره وربما بال أحدهما عليه، أو ربما جلس لهم عليه الصلاة والسلام كالفرس يمتطيان ظهره الشريف، وربما صلى وهو حامل أحد الأولاد أو البنات، ويروى عنه أنه كان يقبلهم في أفواههم ويشمهم ويضمهم إليه، وربما خرج على أصحابه وهو حامل الحسن والحسين على عاتقيه[٣]، فكان عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعلو منزلته يفعل ذلك؛ ليقتدي به

---

(١) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل (ص٣٩).

(٢) فوازو، برنار، نمو الذكاء عند الأطفال (ص٣٣٥).

(٣) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (ج٨/ ص٨). مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، حديث رقم (٤١) (ج١/ ص٣٨٥). الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة (ج٣/ ص١٦٦). الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الطهارة، باب في بول الصبي والجارية (ج١/ ص٢٨٩، ٢٩٠).

الناس، ولأنه يعلم أهمية هذه المخالطة في المجال التربوي للطفل.

أما مع الأطفال الكبار، فكان عليه الصلاة والسلام يمازحهم بما يعقلون ويدركون، فيقول لأحدهم: «يا ذا الأذنين»[١] ، وربما مج أحدهم في وجهه بالماء مداعبة له[٢] ، وربما قال لأحدهم: «يا أبا عمير ما فعل النغير»[٣] .

وهذا كله لم ينقص من جلالة قدره عليه الصلاة والسلام، فقد كان يعلم جيدًا أن الأطفال لا يدركون الدنيا بعقولهم وأفهامهم؛ بل يدركونها بعيونهم بما يشاهدونه من الملاطفة والحب والمخالطة[٤] ، لهذا كان عليه الصلاة والسلام يأسر قلوب الصغار والكبار على حد سواء.

فالأب المسلم مدعو للاقتداء بالنبي ﷺ في هذا المجال الهام، فإن لم يتمكن من مخالطتهم دائمًا خصص لذلك وقتًا معينًا في اليوم والليلة يجلس فيه مع الأولاد يتحدث إليهم، ويتبسط معهم، ويداعبهم، ويدخل عليهم السرور مستعملاً في ذلك الكلمات الجميلة، والنظرات المشفقة الحانية، والعناق والقبل، حتى وإن بلغ الطفل سن التمييز فلا مانع من ذلك في غير مشهد من الناس[٥] ، مع الاهتمام بالسنوات الأولى فإن السنوات الست الأولى من عمر الولد لها أهمية بالغة؛ بل هي الأساس الذي سوف يكون عليه الولد بعد أن يكبر، لهذا كان استغلالها وتوجيه الطفل فيها إلى الخير له دوره الهام في حياته المستقبلة[٦] ، فإن لم يتمكن الأب من الإشراف المباشر على أولاده ومشاركتهم نشاطاتهم، فإنه يمكنه أن يساعدهم في بعض الأحيان

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، حديث رقم (٥٠٠٢) (ج٤/ ص٣٠١).

(٢) انظر: البخاري صحيح البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير (ج١/ ص٢٩).

(٣) المصدر السابق، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل، (ج٨/ ص٥٥).

(٤) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا (ص٨٤).

(٥) لا بأس بأن يحتضن الأب أولاده الكبار على مشهد من الناس إن علم أن ذلك لا يضايقهم، فقد نقل ذلك الفعل عن الخليفة هارون الرشيد حيث احتضن الأمين والمأمون في مجلسه وبكى عندما رأى منهما نجابة وذكاء. انظر: ابن العديم، الدراري في ذكر الذراري (ص٣٤).

(٦) عمر، المختار، أطفال اليوم وكيف نربيهم (ص١١).

على أن يبدءوا نشاطًا ما[1] ، كأن يوجههم مثلاً إلى قراءة في كتاب معين، فيبدأ معهم ثم يتركهم يكملون، ويذهب هو لمهامه، أو يجلب إليهم لعبة هادفة مسلية، فيدربهم على طريقة استعمالها والاستفادة منها ويشاركهم في بعض الوقت، ثم يتركهم يكملون لعبهم منهمكين بلعبتهم الجديدة، ويخرج هو من بينهم دون أن يشعروا به. وبهذا يكون قد أدرك شيئًا من واجباته في هذا المجال التربوي الهام. ولكن يلاحظ في كل هذا أنه هو الأب وهو صاحب السلطة والمهابة فلا يخالط أولاده- خاصة الكبار منهم- مخالطة تزيل الكلفة بينه وبينهم، فلا يحترمونه ولا يهابونه، فإن حدث هذا فقد الأب وسيلة من أعظم الوسائل التربوية مع أولاده، وهي جانب السلطة والشخصية والمهابة، فإن من صفات المؤمن أنه «رزق حلاوة ومهابة»[2] ، فيلاحظ الأب هذا الجانب الهام، ويكون على جانب من التوسط دون إفراط أو تفريط.

خامسًا: الحكمة في التوجيه:

جاء الأمر في الشريعة الإسلامية على التيسير والتسهيل والمقاربة، دون التعسير والتشديد. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥). وقد جاءت السنة المطهرة مبيِّنة لمقاصد الشريعة من التسهيل والتيسير، وذم التنطع والمشادَّة في العبادات التي هي أعظم الأعمال وأجلّها وأحبها إلى الله عز وجل. قال عليه الصلاة والسلام: «سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»[3] . فالغدو هو السير أول النهار، والدلجة هي السير في الليل، وهذا الحديث يفيد الرفق في العبادة وترك التشدد فيها[4] . وفي حديث آخر ذم عليه الصلاة والسلام المتنطعين، فقال: «هلك المتنطعون»[5] ، وهم: «المتعمقون الغالون المجاوزون

---

(١) ليونارد، شارلز، لماذا ينحرف الأطفال (ص٣٤).

(٢) ابن القيم، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام (ص٩٤).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب القصد والمداومة على العمل (ج٨/ ص١٢٢).

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٢٤/ ص٨٣).

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم (٧) (ج٤/ ص٢٠٥٥).

الحدود في أقوالهم وأفعالهم»[١] . يقول المربي ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «إن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد، والاقتصاد، والتيسير، دون ما كان على وجه التكلف، والاجتهاد، والتعسير»[٢] ، فإذا كان الأمر كذلك مع العبادات فكيف بغيرها من الأمور؟ لا شك أن غيرها أهون منها، وأحرى أن ينال من الرفق واللين والتيسير والتسهيل أكثر مما نالته العبادة.

فمن هذا المنطلق كانت تربية الأولاد وتوجيههم بمنهج التوسط والمقاربة والسداد، أولى وأحرى وأكثر جدوى من التشدد والتعسير، فإن الله يحب الرفق ويجزي عليه جزاءً كثيرًا، ويبغض العنف ويكرهه، يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[٣] ، فإن رأى الوالد الوقت المناسب للوعظ، اشتغل به دون إفراط أو إكثار منه، فإن كثرة المواعظ مملة، وربما ضعف تأثيرها، وسبب رد فعل عند الأولاد[٤] ، كما أن كثرتها تخالف السنة والمنهج النبوي في الوعظ، إذ كان عليه الصلاة والسلام يتخول أصحابه بالموعظة، ولا يكثر عليهم، رغم رغبتهم وحبهم لسماع مواعظه وإرشاداته[٥] ، كما أن العقاب الكثير ضار بالولد، فلا بأس بعض الأحيان من التغافل عن بعض أخطاء الطفل-خاصة العفوية منها- فتمر دون تعليق، أو توجيه، أو عقاب، فقد نصح الإمام الغزالي رحمه الله بذلك، فقال: «ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانًا»[٦] . فإن احتاج الأب إلى التأديب والتوبيخ تجنب

---

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج١٦/ ص٢٢٠).

(٢) ابن رجب، المحجة في سير الدلجة (ص٤٦، ٤٧).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٧٧) (ج٤/ ص٢٠٠٣، ٢٠٠٤).

(٤) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا (ص٥٤).

(٥) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (ج١/ ص٢٧).

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (ج٣/ ص٧٠).

الاستبداد في ذلك وتوسط»[١] .

وعلى الأب المسلم أن ينهج مع ولده منهجًا قاصدًا متوسطًا يحفظ فيه كرامته فلا يخدشها، ولا يكثر من التعنيف الذي يؤدي بالولد إلى عدم احترامه والجرأة عليه، وأن يمنحه شيئًا من الحرية دون إفراط أو تفريط، وعدم التشدد والصرامة في تطبيق النظام والقواعد في البيت؛ بل يمزج ذلك بشيء من المرح والمداعبة والحب، ولا بأس في إفهامه سبب الأمر الذي أمره به والحكمة منه؛ ليكون حافزًا له على فعله وتنفيذه، مع مراعاة عدم تعليق تنفيذ الأمر باقتناع الولد به، فهذا يفسده، ويجب على الأب أن يراعي فهم ولده وقدراته فلا يطالبه بمعايير الكبار، ولا يأمره بما هو خارج نطاق قدرته فهو لا يزال طفلاً صغيراً.

ويوطن الأب نفسه على الاعتدال في معاملة الطفل، فلا يدلله بإفراط، فيشعر بالتسامي على غيره، ولا يحتقره ويهينه ويذله، فيعيش ذليلاً خاملاً، كما يلاحظ عدم الإكثار من إظهار الخوف عليه والمهابة من أقل شيء يصيبه في لعبه من أمور البيئة من حوله، فإن هذا يضره ويفسد قدراته على مجاراة البيئة المادية، كما أن إهماله وعدم الاكتراث به وبما يمكن أن يحدث له يسبب له قلقًا نفسيًّا[٢] .

وخلاصة القول هو التقيد بمنهج الاعتدال والتدرج والتلطف في توجيه الولد وتربيته، والأخذ بنصيحة الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى إذ يقول: «واعلم أن رياضة النفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال، ولا ينبغي أن يؤاخذ أولاً بالعنف، ولكن بالتلطف، ثم يمزج الرغبة والرهبة»[٣] .

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (ص٣٣٥).

(٢) انظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية (ج٢/ ص١٢٣). الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، (ص٢٧). عوض، محمد زكي، أطفالنا والتربية (ص٣٥). الغبرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال (ص٥٨)، سرحان، منير المرسي، في اجتماعيات التربية (ص١٩٣). فينكس، فيليب، فلسفة التربية، (ص٣١٩، ٨٢٦، ٨٢٧). فوستر، كونستانس، تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال (ص٦٩).

(٣) ابن الجوزي، الطب الروحاني (ص٥٨).

سادسًا: الدعاء والتضرع:

للدعاء واللجوء إلى الله عز وجل مفعول عظيم في إصلاح الأولاد، واستقامتهم على الدين، فالله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، وأمور الخلق وأقدارهم بين يديه يصرفها كيف يشاء، فإذا كان هو سبحانه وتعالى صاحب الشأن، كان من الضروري؛ بل ومن اللازم الطلب منه ودعاؤه، والابتهال والالتجاء إليه رجاء صلاح الذرية واستقامتها، "فإنه لا يوجد شيء في الدنيا أقر وأهنأ لعين المؤمن من صلاح أهله وولده"[١] ، فالدعاء أكرم شيء على الله، وهو أشرف العبادات؛ بل هو العبادة نفسها[٢] ، ومن المعروف أن دعوة الأب لولده مستجابة[٣] ، فما أفضل وأحسن أن يستغل الوالد هذه المنزلة والكرامة من الله عز وجل بأن يدعو لذريته، ويرجو من الله صلاحها وهدايتها، فيقتدي في ذلك بالأنبياء الكرام عليهم جميعًا صلاة الله وسلامه، فقد كانوا أكثر الناس دعاء والتجاء إلى الله، وطلبًا منه إصلاح أولادهم، فقد سجل القرآن الكريم لبعضهم دعوات وتضرعات عظيمة، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو الله سبحانه وتعالى أن يجنبه وذريته عبادة الأصنام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥). وبعد أن رزقه الله تعالى الذرية الصالحة يحمد الله على ذلك، ويؤكد أن الله سميع الدعاء، فيقول كما حكى الله تعالى عنه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٣٩). وهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدعو طالبًا الذرية الطيبة: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٦). وهكذا الأنبياء كلهم عليهم السلام يتضرعون إلى الله بالدعاء راغبين خائفين، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

---

(١) البغوي، معالم التنزيل (ج٣/ ص٣٧٩).
(٢) انظر: البخاري، الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، حديث رقم (٧١٣ ، ٧١٤، ٧١٥، ص ٢٤١).
(٣) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب رقم (٤٨)، حديث رقم (٣٤٤٨) (ج٥/ ص٥٠٢)، والحديث حسن.

لذا لا ينبغي للوالد أبدًا أن يهجر الدعاء، أو أن يقصر فيه، فإنه مأمور به كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠). وقال أيضًا: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦). وقال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠).

وعلى الوالد أن يحذر كل الحذر من أن يدعو على أولاده بشر؛ فإن دعوته مستجابة- كما تقدم؛ فقد نقل عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً جاءه يشكو إليه عقوق ولده فسأله إن كان دعا عليه أم لا؟ فأجاب بأنه قد دعا عليه، فقال له حينئذ: «أنت أفسدته»[١]. فعلى الوالد أن يحذر من ذلك ويستبدل الدعاء عليهم بالدعاء لهم، ولا بأس أن يجمعهم في بعض الأوقات فيدعو لهم؛ كما كان يفعل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عند ختم القرآن الكريم[٢].

هذا إذن ما يجب على الأب المسلم أن يتعلمه ليكون أبًا صالحًا، وهي نفس الصفات التي يجب على الأم المسلمة أن تتعلمها قبل ممارسة الأبوة والأمومة عمليًا.



---

(١) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل (ص٢٩٨).

(٢) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب التفسير، باب الدعاء عند ختم القرآن (ج٧/ ص١٧٥) رجال الحديث ثقات.

رعاية الصغير وهو في بطن أمه

ويشاء الله تعالى بعد التقاء الزوجين وإلقاء الرجل نطفته في حشا المرأة أن تستقر في رحم المرأة، فإذا بالحمل تظهر بوادره وعلامته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الحج: ٥) . وقد تكفل الله تعالى برعاية الجنين في بطن أمه وإحاطته بأوجه العناية من الحياة وإيصال الرزق، والسكن، إلاَّ أن الإسلام أوجب بعض الواجبات على الزوج تجاه زوجته حتى لو انفصل الزوجان عن بعضهما. قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٦) .

ولقد رخص الشارع الحكيم للحامل الفطر في رمضان إذا خافت على نفسها أو على ولدها أو عليهما وأثناء رضاعتها لمولودها.

عن أنس رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يتغدى فقال: «**تعال أحدثك: إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة**»[١] . قلت: وراوي الحديث هو: أنس بن مالك القشيري وهو غير أنس بن مالك خادم النبي ﷺ .

وعنه رضي الله عنه قال: «رخص رسول الله ﷺ للحبلى التي تخاف على نفسها أن تفطر، وللمرضع التي تخاف على ولدها»[٢] .

ولقد نبه الشارع إلى ندب الدعاء للولد وهو في بطن أمه، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (آل عمران: ٣٥- ٣٧) .

ولقد منعت السنة إيذاء الولد في بطن أمه، فأجلت تنفيذ الحد على الأم ما كان في بطنها، فعن أبي نجيد عمران بن الحصين رضي الله عنهما: «أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنا فقالت: يا رسول الله أصبت حدًّا فأقمه

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (١/ ٥٣٣) (١٦٦٧)، وابن جرير في جامع البيان (٢/ ٨٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٣٣) (١٦٦٨).

عليَّ. فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: «أحسن إليها فإذا وضعت فائتني بها». ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت»(١). وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: «تترك حتى تضع ما في بطنها ثم تترك حولين حتى تفطمه»(٢).

بل إن الطفل صان الله عز وجل حقه وحفظه له حتى يخرج إلى الدنيا إن كان من أهل الإرث، فإذا مات الرجل وترك زوجة حبلى فإن المال يوقف حتى يتبين ما تضع، وأجمع أهل العلم على أن الرجل إذا مات وزوجته حبلى، أن الولد الذي في بطنها يرث ويورث إذا خرج حيًا واستهل(٣). وهنا تظهر قيمة السنة في تكريمها لنوع الإنسان بالمحافظة على نوعه وقيمته ومعناه الإنساني الرفيع.

إذن ضمن الإسلام للمرأة التي حملت بقدر الله تعالى ألاَّ تُهان وألاَّ تصاب بمكروه، وألاَّ تتسول طعامها وطعام جنينها من الناس لئلا يثقل كاهلها بما لا طاقة لها به، ولئلا تضطر تحت وطأة الضغوط الحياتية إلى مجرد التفكير في التخلص من الجنين المتحرك في أحشائها.

* الجانب النفسي للمرأة الحامل:

وهذا جانب غاية في الأهمية لا يقل عن أي جانب آخر في وجوب الاعتناء به، فالمرأة الحامل تحدث لها بعض التغييرات:

(١) فهي مثلاً تشعر بتغيرات نفسية مفاجئة فتشعر بسعادة بالغة، أو بحزن وكآبة في بعض الأوقات.

(٢) كما يتأرجح شعورها العاطفي فيستحق أن يطلق عليه لقب (تقلبات مزاجية).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى (٣/ ١٣٢٤) (٢٤) (١٦٩٦)، وأبو داود (٤/ ٥٨٧) (٤٤٤٠)، والترمذي (٤/ ٧٠٧) (١٤٥٩)، والنسائي (٤/ ٥١)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٤) (٢٥٥٥)، وأحمد (٤/ ٤٣)، وفي الحديث استحباب جمع أثوابها عليها وشدها بحيث لا تنكشف عورتها في تقلبها وتكرار اضطرابها. النووي في شرح مسلم (١١/ ٢٠٥).

(٢) معالم السنن (٤/ ٥٨٨).

(٣) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٦٥).

(٣) كما أن الحامل تصاب ببعض التغيرات الهرمونية مما تفرزه الغدد، فيصيبها هذا كله ببعض الضيق لتغير رائحة الفم، أو وجود المناخ الحار الذي يجعلها تختنق، أو للحركة التي يقوم بها الجنين في بطنها.

(٤) كما تقل رغبة المرأة في الجماع في الشهور الأولى للحمل، والتي تقدر بـ(أربعة أشهر ونصف)[١] . ومن هنا تبدو حكمة التشريع الإسلامي في تعدد الزوجات لكي يتسنى للرجل الجماع بصورة طبيعية فلا يقع في الزنا الذي حرمه الله تعالى.

(٥) وتضيق الحامل بالدنيا ذرعًا عند بلوغها الشهر الثامن؛ أي: قبل الولادة بحوالي الشهر كما أشار إلى ذلك ابن قيم الجوزية رحمه الله[٢] .

ويجب على الأب مراعاة الأمور السابقة كالتالي كما وضحها الدكتور عدنان باحارث رحمه الله فقال: «لذا وجب على الأب مضاعفة صبره وجهده معها بأن يجنبها كل ما يمكن أن يسوقها إلى الانفعال والضيق؛ إذ أن الانفعالات الحادة، والتوترات العصبية والنفسية للأم يمكن أن تنتقل إلى الجنين، فقد ثبت ذلك علميًّا[٣]، فإن كان الجنين يتأثر بمرض الأم وطهارتها وكل ما يجري لها، أما ما يجري للأب فإنه لا يصل إليه، فإن دوره المباشر ينتهي بالتلقيح[٤] . أما الأم فيطول إلى تسعة أشهر أو أكثر. وقد أشار بعض المختصين في هذا الجانب إلى أن ما يظهر على المولود من انفعالات الخوف والشجاعة والغضب والكسل والحسد وغيرها: هو نتيجة للعوامل والانفعالات النفسية أثناء الحمل[٥] ، فإذا كانت الانفعالات النفسية تضر الجنين هذا الضرر الفادح فكيف إذا اقترنت بالاحتكاك الجسدي كالضرب أو اللكم، فإن هذا بلا شك أكثر تأثيراً وضرراً بالجنين والأم، لهذا كان أمر الرسول ﷺ لمن

---

(١) عمر كحالة (١/٧٦) في النسل والعناية.

(٢) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود (ص٢٠١).

(٣) رويحة، أمين ولدك هذا الكائن المجهول، (ص١٨).

(٤) فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية (ص١٠١)، وانظر أيضًا: كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول (ص١١٠).

(٥) توما، فيلكس، زلات الوالدين (ص٢١).

رمت أختها فطرحت جنينها أن تدفع لهم عبدًا أو أمة[(١)] . وهذا إذا طرح الجنين ميتًا، أما إذا طرح حيًّا ثم مات فإن الواجب في ذلك دية الكبير، وهي للذكر مائة بعير[(٢)] ، فالشريعة حريصة على حقوق الجميع، حتى الجنين في بطن أمه، فإن حقه محفوظ مضمون. ويوجه الأب زوجته الحامل إلى الجيد من الطعام كالرطب فإنه يقوي الرحم، ويساعد على يسر الولادة، ويخفف نزيف الدم بعد الولادة[(٣)] ، ويجنبها النشويات والسكريات والدهون خاصة في الأشهر الأخيرة، وذلك حفاظًا على متوسط وزن الجنين»[(٤)] .

☆☆☆

---

(١) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني، حديث رقم (٣٤) (ج٣/ ص١٣٠٩)، وقد سبق الحديث عن الإجهاض.

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج١١/ ص١٧٦).

(٣) دياب، عبد الحميد وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم (ص٢٨).

(٤) حمام، سامية، سمنة الأطفال تسبب التعاسة والمرض، مجلة التربية، العدد (٧٤) (ص١٣٩).

حقوق الصغار على الآباء عند الولادة

هذه هي اللحظة التي يتمناها كل زوجٍ وزوجة، فبعد معاناة طالت تسعة أشهر، جاء الوقت الذي ينتظره الجميع، وهو وقت نزول الجنين من بطن أمه، ليشق بصراخه صمت الكون ليعلن عن قدوم نفسٍ مسلمة إلى الوجود، ولأهمية هذه الساعة التي يستعد الوجود فيها لاستقبال النفس المسلمة فقد أحاطها الإسلام بالعناية ورتَّب لها عدة ترتيبات، وهي:

* عند تعسر الولادة: ينبغي أن يعلم أن هذه الساعة- ساعة الولادة- ساعة اضطرار، والله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(النمل: ٦٢).

يقول القرطبي رحمه الله: «ومجيب المضطر سبحانه هو الذي ينيل سائله ما يريد، لا يقدر على ذلك غيره، وهو سبحانه الذي لا مسافة بين عبده وبينه، يسمع دعاءه ولا يخفى عليه حاله، قريب بعلمه من خلقه، قريب ممن يدعوه بالإجابة، أجاب من دعاه، واقترب منه حين توجه إليه يسأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(البقرة: ١٨٦).

ها هو المضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد ملجأً إلا الله تعالى يدعوه ليكشف عنه الضرّ والسوء، وذلك حين تضيق الحلَق، وتشتد الخنق، وتتخاذل القوى، وتتهاوى الأسناد، وينظر الإنسان حواليه فيجد نفسه مجردًا من وسائل النصرة، وأسباب الخلاص، لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجده، وكل ما كان يعده لساعة الشدة قد زاغ عنه أو تخلَّى، وكل ما كان يرجوه للكربة قد تنكر له أو ولَّى.

هنا تستيقظ الفطرة فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله وحده ولو كان نسيه من قبل في ساعات الرخاء، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو وحده دون سواه يجيبه ويكشف عنه السوء، ويرده إلى الأمن والسلامة، وينجيه من الضيقة الآخذة بالخناق(١).

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٥٨) للأستاذ سيد قطب رحمه الله.

إن الملاحظ بين الناس أنهم اطمئنوا إلى الطب حتى وثقوا فيه ثقة كبرى أكبر من ثقتهم ويقينهم بالله، فما أكثر ما تسمع من الناس: إما ولادة طبيعية أو بفتح البطن، وهي المسماة بـ(القيصرية)، ونسوا أن هذا كله بقدر الله تعالى، ولا يرد القدر إلاَّ الدعاء، فما أجمل اللجوء إلى الله تعالى.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل قراءة سورة الزلزلة عند الولادة يسهل الحمل؟ وهل هناك أدعية وأذكار مشروعة تقال عند الولادة لتسهيلها؟ وهل الدعاء عند الولادة مستجاب؟ فقال رحمه الله: «كتابة سورة الزلزلة في إناء بالزعفران، وكذلك الآيات التي فيها أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في الأرحام، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ (فصلت: ٤٧). وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨). هذه جُرِّبت، ويصب في الإناء ماء ويُحرَّك حتى يتغير بالزعفران ثم تشربه النفساء، ويُمسح منه على بطنها أو تُقرأ هذه الآيات في ماء، وتُسقى إيَّاه ويُمسح به على بطنها أيضًا، أو يقرأ على نفس المرأة التي أخذها الطلق كل هذا نافع بإذن الله. أما مسألة الدعاء: دعاء المرأة التي تطلق- عند الطلق- فهذا حري بالإجابة لأنه يقع عند الاضطرار، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ (النمل: ٦٢). وما أكثر ما يجيب الرب عز وجل الدعاء عند الكربات فيفرجها الله سبحانه وتعالى، والله أعلم[1]. إذن ألزم نفسك بالدعاء والقرب من الله تعالى فإنها ساعات لا تُعوَّض.

• تنبيه هام:

اشتهرت في الآونة الأخيرة عن كثير من الأطباء- إلا من رحم ربي- أنهم يسارعون إلى فتح بطن الحامل لتوليدها، دون الانتظار للولادة الطبيعية إن كان هناك إمكان لها، وهؤلاء يفتحون البطن للولادة (القيصرية) لأمرين:

الأول: بقصد المكسب المادي السريع؛ لأن الجراحة تكاليفها أكثر من الولادة الطبيعية.

---

(١) مجلة الدعوة العدد (٤٥٧١) (ص٣٦).



الثاني: بقصد ما يسمونه (تنظيم الأسرة وإراحة الأم) لأن هذه الولادة تجبر الأم على الراحة فترة طويلة قبل الحمل ثانية.

هذا فضلاً عن أن تكون الحاجة إلى فتح البطن حاجة حقيقية وملحة وهذا ما لا حرج فيه، ولذا يجب اختيار طبيب مسلم اشتهر عنه الأمانة وعدم الإضرار بالمسلمين، فلا يذهب لطبيب غير مسلم، أو طبيب فاسق أو غيرهم؛ لئلا يتضرر المسلمون من جراء أفعال هؤلاء الذين لا يتقون الله تعالى.

• الرضا بقسم الله تعالى:

وقد جرت العادة في الفترة الأخيرة على ذهاب كثير من المسلمين إلى الطبيب أثناء فترة الحمل للكشف عن كون الطفل ذكراً أم أنثى، وهو ما يتواكب مع التقدم المادي الذي بفضل الله تعالى استطاع الإنسان من خلاله معرفة جنس الطفل، وإن كنَّا لنحبذ الانتظار إلى ساعة الولادة ليكشف ستار الغيب عن الطفل وجنسه.

ولا زال كثير من المسلمين يعيش ما كان عليه بعض أهل الجاهلية الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨، ٥٩).

* **كظيم**: ممتلئ غيظًا لا يستطيع له تصريفًا.

* **يتوارى**: يتغيب ويستخفي.

* **هون**: هوانٍ وذل.

* **يدسه**: يدفعه ويخفيه (فعل الوأد).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يظل أحدهم كئيبًا من الهم، ساكتًا من شدة ما هو فيه من الحزن، يكره أن يراه الناس، فإن أبقاها- يعني الأنثى المولودة له- أبقاها مهانة لا يُورثها ولا يعتني بها، ويفضل أولاده الذكور عليها، أو يئدها وهو أن يدفنها حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية»[١].

وهذا حال الكثير حين تولد له الأنثى تراهُ ساخطًا على قدر الله تعالى غير راضٍ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٤).

به كأنما قامت قيامته، وانتهت كل آماله في الحياة، فسدت في وجهه أبواب الأمل حين رزق بالأنثى.

لقد قال الله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠).

هذه إذن إرادة الله؛ بل هبة الله لعباده، يعطي من يشاء الإناث، وبدأ بالإناث أولاً قبل الذكور لتطيب نفس مَن رُزق بهن، أو يجعل العطاء والهبة ذكوراً وإناثًا، أو بقدره وحكمته سبحانه يجعل من يشاء عقيمًا لا ولد له.

إن نظرة في أحوال العباد تعطي طمأنينة إلى قدر الله تعالى، ورضًى به.

فنوحٌ عليه السلام وُلِد له ولدٌ كافر، بينما كانت ذرية النبي ﷺ من البنات وآخرهن فاطمة رضي الله عنها التي أنجبت سيدا شباب أهل الجنة.

وابن نوحٍ عليه السلام كفر، بينما مريم عليها السلام صديقة وهي أم لمن لا أب له وهو عيسى عليه السلام.

ومريم وفاطمة سيدتا شباب أهل الجنة، فلا مجال للمقارنة بين الذكر والأنثى.

ولوط عليه السلام لم يذكر في القرآن له ولد؛ بل قال تعالى على لسانه: ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (هود: ٧٨). فلم يعبه ذلك.

والولد المذكور في قصة موسى والخضر عليهما السلام قال الله تعالى عنه على لسان العبد الصالح: ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف: ٨٠).

وأنبياء الله إذ دعوا بالذرية كان منهم من يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠).

فلم يدع بالولد أو البنت، وإنما طلبها ذرية صالحة لا أهمية لكونها من الذكور أو الإناث، فإن الولد الصالح قرة عين فيه ما في بقية الأولاد من زينة الحياة الدنيا، لكنه يفوقهم بالصلاح والبر والتقوى والهدى.

فإن كانت أنثى فهي قرة عين لوالديها، ومن الإناث مَنْ سبق الرجال في الدنيا

والآخرة، ألا ترى إلى مريم الصديقة عليها السلام فاقت الشهداء والصالحين في المرتبة، فكم من الأبناء الذكور كانوا سببًا في تعاسة آبائهم، وكم من البنات كن سببًا في إسعاد الآباء والأمهات، والله تعالى يقول: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ (النساء: ١١) . ويقول: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦) .

• الترغيب في الإحسان إلى البنات:

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها، فسألتني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة؛ فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليَّ النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبي ﷺ: «**مَنِ ابتُلِيَ مِن البناتِ بشيءٍ، فأحسن إليهن كُنَّ له سِتراً من النارِ**»[١] .

وفي رواية لمسلم عنها أيضًا قالت: «جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها[٢] تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقَّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «**إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار**»[٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه-**»[٤] . وعال: يعني كفل ورعى وأنفق.

• شكر الله تعالى على قدره وعطائه:

وقد يرزق الإنسان بطفل فيه عاهة أو تشوه في بعض أجزاء الجسد، أو يكون

---

(١) صحيح: البخاري (٥٩٩٥) في الأدب، مسلم (٢٦٢٩) في البر والصلة.

(٢) فيها: فمها.

(٣) صحيح: مسلم (٢٦٣٠) في البر والصلة.

(٤) صحيح: مسلم (٢٦٣١) في البر والصلة.

دميمًا، وهنا يغتم بعضهم ويركبه الهم والحزن، ولا حق لأحد في الاعتراض على قضاء الله وقدره.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ٦). وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (الواقعة: ٥٨، ٥٩). وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار: ٦- ٨).

فالخلق من أمر الله تعالى ولا حق لأحد في الاعتراض عليه، وكل خلق الله تعالى حسن، وأقدار الناس لا تحددها وجوههم وأجسامهم التي لا ينظر الله تعالى إليها وهو سبحانه ينظر إلى القلوب والأعمال لا إلى الصور والأجساد، وقد ذمَّ الله تعالى المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ (المنافقون: ٤). فالرضا هو تمام الصبر، ولا خير من الصبر على أمرٍ قدره الله تعالى.

وإذ حضرت ساعة الولادة، وسمعنا صوت الوليد يشق الكون فإن له علينا حقوقًا لا بد من أدائها:

أولاً: التأذين والإقامة[1]:

عن أبي رافع رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ أَذَّنَ في أذن الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة رضي الله عنهما»[2]. وكان عمر بن عبد العزيز يؤذن في اليمنى ويقيم في اليسرى إذا ولد الصبي[3].

---

(١) أصل الأذان: الإعلام والتأذين: النداء إلى الصلاة وهو الإعلام بها وبوقتها، وأصله من الأذان كأنه يلقي في آذان الناس بصوته ما يدعوهم إلى الصلاة، والإقامة التثويب والرجوع إلى الشيء لسان العرب (ص٥٢) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٩)، وأبو داود (٥/ ٣٣٣) (٥١٠٥)، والترمذي في الأضاحي باب الأذان في أذن المولود (٥/ ١٠٧) (١٥٥٣)، وقال: هذا حديث صحيح، وعبد الرزاق في المصنف رقم (٧٩٨٦)، والبيهقي (٩/ ٣٠٥)، والبغوي في شرح السنة (١١/ ٢٧٣) (٢٨٢٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم (٧٩٨٥)، والبغوي في شرح السنة (١١/ ٢٧٣).

وللتأذين فوائد منها:

أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به.

هروب الشيطان من كلمات الأذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

ومستند هروب الشيطان عند التأذين ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن الشيطان إذا سمع النداء أحال له ضراط حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس»[١].

أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها[٢].

ثانيًا: تعويذ المولود عند الولادة:

ذلك أن العين حق كما نبأ ﷺ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٣]، وهذه سنة جرى عليها الأنبياء والصالحون، فقال تعالى على لسان أم مريم عليهما السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦).

إن الحسد ليس بمرضٍ عضوي يمكن للطبيب علاجه؛ بل هو مرض من نوعٍ خاص، فهو مرض قلبي يحتاج إلى طب القلوب لا طب الأبدان فلا ينجح معه إلا الرقية التي أقرها النبي ﷺ، ومعلوم أن الصغار هم أكثر بني الإنسان إصابة بهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٠١) (٦٠٨)، ومسلم (١/ ٢٩١) (١٦) (٣٨٩)، وأبو داود (١/ ٣٥٥) (٥١٦)، وأحمد (٢/ ٣١٣) وقوله أحال: ذهب هاربًا قاله النووي في شرح مسلم (٤/ ٩٠).

(٢) ابن القيم في تحفة المودود (ص٢٦) بتصرف.

(٣) صحيح: مسلم (٢١٨٨) في الطب.

الداء الشيطاني، فترى الصغار تنحف أبدانهم، ولا يستقر في بطونهم طعام ولا شراب، وكلما رأيتهم شعرت أن أهليهم لا يطعمونهم؛ بل يأكلون طعامهم، وذلك من شدة نحافة الصغار وهزالهم.

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «رخّص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية». وقال لأسماء بنت عميس[١]: «ما لي أرى أجسام بني أخي- وهم بنو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه- ضارعة[٢] تصيبهم الحاجة؟». قالت: لا، ولكن العين تُسْرع إليهم. قال: «ارْقيهم». قالت: فعرضت عليه، فقال: «ارْقيهم»[٣].

ثالثًا: تحنيكه:

والتحنيك: أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه[٤]. عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم[٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «ولد لي غلام فأتيت النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي وكان أكبر ولد أبي موسى»[٦].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت: «فخرجت وأنا متم[٧] فأتيت المدينة فنزلت قباء فولدت بقباء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بالتمرة ثم دعا له فبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام»[٨].

---

(١) كانت رضي الله عنها زوجًا لجعفر بن أبي طالب ومن بعده لأبي بكر ومن بعده لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعًا.

(٢) **ضارعة**: يعني نحيفة.

(٣) **صحيح**: مسلم (٢١٩٨) في السلام.

(٤) ابن منظور في لسان العرب (ص١٠٢٨).

(٥) أخرجه مسلم رقم (٢١٤٧)، وأبو داود رقم (٥١٠٦)، وأحمد (٦/ ٢١٢)، والبغوي رقم (٢٨٢١).

(٦) أخرجه البخاري (٩/ ٥٠٠) (٥٤٦٧)، ومسلم (٣/ ١٦٩٠) (٢٤) (٢١٤٥)، والبغوي رقم (٢٨٢٠).

(٧) **متم**: أي مقاربة للولادة قاله النووي، شرح مسلم (١٤/ ١٢٦).

(٨) أخرجه البخاري (٩/ ٥٠١) (٥٤٦٩)، ومسلم (٣/ ١٦٩١) (٢٦) (٢١٤٦).

وينبغي عند التحنيك أن يفتح فاه حتى ينزل جوفه وأولاه التمر، فإن لم يتيسر تمر فرطب، وإلا فشيء حلو، وعسل النحل أولى من غيره، ثم ما لم تمسه نار كما في نظيره مما يفطر الصائم عليه[١]. ويستحب أن يكون المحنك من الصالحين رجلاً كان أو امرأة فإن لم يكن حاضراً عند المولود حمل إليه[٢].

رابعاً: حلق الرأس:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى**»[٣].

وعن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى**»[٤]. وعن الحسن أنه كان يقول: «إماطة الأذى حلق الرأس»[٥].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «عق رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة وقال: «**يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة**». فوزنته فكان وزنه درهماً أو بعض درهم»[٦].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين يوم السابع وسماهما وأمر أن يماط عن رءوسهما الأذى»[٧].

---

(١) قاله الحافظ في الفتح (٩/ ٥٠١، ٥٠٢).

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٢٣) بتصرف.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٦٠) (٢٨٣٨)، والترمذي (٥/ ١١٣) (١٥٥٩)، (١٥٦٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٧/ ١٦٦)، وابن ماجه (٢/ ١٠٥٧) (٣١٦٥) والدارمي (٢/ ٨١)، وأحمد (٥/ ٨) في المسند.

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٥٠٤) (٥٤٧٢)، وأبو داود (٣/ ٢٦١) (٢٨٣٩)، والترمذي (٥/ ١٠٦) (١٥٥١)، وابن ماجه (٢/ ١٠٥٦) (٣١٦٤)، وعبد الرزاق رقم (٧٩٠٥٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤٥٩)، وأحمد (٤/ ١٧)، والبغوي في شرح السنة (١١/ ٢٦٣) (٢٨٤٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٦١) (٢٨٤٠)، والحاكم (٤/ ٢٣٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ١١١) (١٦٥٦) وقال: حسن غريب، والحاكم (٤/ ٢٣٧) والحديث في صحيح الجامع الصغير رقم (٧٩٦٠).

(٧) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٣٧) وصححه ووافقه الذهبي.

والحلق الرأس والتصدق فائدتان:

١- فائدة صحية: لأن في إزالة شعر رأس المولود تقوية له وفتح لمسام الرأس وتقوية لحاسة البصر والشم والسمع.

٢- وفائدة اجتماعية وإنسانية: وذلك لأن التصدق بوزن شعره فضة على أهل الحاجة تحقيق لظاهرة التراحم والتكافل الاجتماعي مما يؤدي إلى تزكية الطفل وتطهيره.

خامساً: اختيار اسم حسن له:

وهذا حق للصغار على الكبار نحذر كل ولي أمر استرعاه الله على الصغار أن يضيعه، يقول الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله في كتابه (تسمية المولود): «فيأيها المسلم أكرر مؤكداً، وبالحق مذكراً: إن الاسم عنوان السمي، فإذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه، فإن المولود يعرف من اسمه في معتقده ووجهته؛ بل اعتقاد من اختار له هذا الاسم ومدى بصيرته وتصوره.

فاسم المولود وعاء له، وعنوان عليه، فهو مرتبط به، ومن خلال دلالاته يُقوِّم المولود ووالده وحال أمته، وما هنالك من مُثل وأخلاق وقيم، فهو يدل على المولود لشدة المناسبة بين الاسم والمسمى، وهذا أمر قدَّره العزيز العليم، وألهمه نفوس العباد، وجعله في قلوبهم.

وقلَّ أن يوجد لقب مثلاً إلا وهو يتناسب أو يقارب مع الملقب به، ومن المشهور في كلام الناس: «الألقاب تتنزل من السماء»، فلا تكاد تجد الاسم الغليظ الشنيع إلا على مسمى يناسبه، وعكسه بعكسه، ومن المنتشر قولهم: «لكل مُسمًّى من اسمه نصيب». اهـ.

قلت: من أجل هذا أعددت هذا الفصل الطويل عن الأسماء وأهميتها، ووجهتها الشرعية، وما يستحب منها وما يكره، ثم عرضت لمعاني الأسماء وما نهى الشرع عن التسمي به أو التلقب به، فانظر فيه ملياً.

☆☆☆

التسمية وأحكامها

حرص الإسلام على أن تكون حياة أتباعه قطعة حية من الإيمان، فسنّ لهم من التشريعات ما يجعل حياتهم مرتبطة ارتباطًا حقيقيًّا بإيمانهم دون خروج عنه، ويتدخل الإسلام في أدق تفاصيل الحياة البشرية تدخل الشارع الحكيم الذي يريد الحفاظ على نقاء الحياة وطهارتها، وربطها ربطًا وثيقًا بالعقيدة السليمة، والتوحيد الخالص، ليكون الصراط المستقيم واضحًا وضوح الشمس في رائعة النهار، فليس لأحد على الله حجة في الزيغ عنه أو الانحراف أو الميل بعيدًا عنه.

ويحول الإسلام العادات الاجتماعية من مجرد عادات يتوارثها الناس، إلى عبادات يؤجر المسلم فيها على متابعته للشرع ولسنة رسول الله ﷺ حتى ترى تشريعًا متكاملاً لا عوج فيه ولا أمتًا؛ بل محكم لا يتسرب إليه النقصان أو الانخرام، فارجع البصر فلن ترى إلا كمالاً وروعة، واكتمالاً وتمامًا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: ٦٤).

ومن العادات التي جرت عليها الحياة البشرية أن الإنسان إذا قدم إلى الحياة يشق بصراخه الكون مولودًا جديدًا، اختار أبواه اسمًا يعرف به، ويتميز به بين جموع الناس، وعلى هذا جرت الحياة واستقامت، فإذا بالإسلام ذي التشريع المتكامل يعنى بهذه العادة، ويهتم لها، حتى وضع من الأحكام فيها ما يشعر بأهميتها والاعتناء بها، كجزء أساسي في حياة البشر، فإن الاسم لا يزال ملتصقًا بصاحبه مدى الحياة، فيتأثر الإنسان به تأثرًا إما إيجابيًّا وإما سلبيًّا، فإذا كان الاسم جميلاً انعكس ذلك على الإنسان بهجة وسعادة، وإذا كان الاسم قبيحًا انعكس عليه بؤسًا وشقاءً.

وكثيرًا من الصغار- قبل الكبار- يعانون من أسمائهم التي لا تحمل معاني تعجبهم، فتتأثر نفسياتهم بذلك، ويتعرضون لأوقات وظروف عديدة من البؤس والتعاسة؛ لأن اسم الصغير هو أول ما يحاول النطق به، أو كتابته حسبما جرت به العادة.

من أجل هذا فقد حمل الإسلام في تشريعاته أحكامًا لهذه المسألة التي تبدو سهلة يسيرة في ظاهرها، بينما هي مؤثر قوي يتحكم في تكوين الشخصية وتصرفاتها، بل وفي نفسية المرء ومشاعره وأحاسيسه، وهذه الأحاكم التي وضعها الإسلام في هذا المضمار:

(١) وقت التسمية:

وقد جاء في هذا الأمر حديثان، كلٌ منهما يدل على أمر غير الآخر:

الحديث الأول: عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**كلُّ غلامٍ رهينة بعقيقته، تُذبح عنه يوم سابعه، ويُحلق ويُسمَّى**»[١].

وفي الحديث دلالة على أن التسمية تكون في اليوم السابع للولادة، وهو ما رجحه صاحب تحفة الأحوذي (٥/ ٩٤) فقال: «**وفيه دليل على سنية تسمية المولود يوم السابع**».

الحديث الثاني: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: «**أُتِيَ بالمنذر ابن أبي أسيد إلى النبي ﷺ حين وُلِدَ، فوضعه على فخذه- وأبو أُسَيْد جالس- فلَهَى النبي ﷺ بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتُمِلَ من فخذ النبي ﷺ فاستفاق النبي ﷺ فقال: «أين الصبي؟». فقال أبو أسيد: قلبناه يا رسول الله- يعني أعاده-. فقال ﷺ: «ما اسمه؟». قال: فلان. قال: «ولكن سمه المنذر». فسمَّاه يومئذٍ المنذر**»[٢].

وفي هذا الحديث دلالة على أن المولود يُسَمَّى في أول ليلة له في هذه الحياة.

ويعضد هذا الحديث بعض الروايات الأخرى، فعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**وُلِدَ لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم**»[٣].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «**لما ولدت فاطمة الحَسَنَ، جاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سميتموه؟». قال: قلت: سميته حربًا. قال: «بل**

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٢٨٣٨)، والترمذي (١٥٥٩، ١٦٦٠)، ابن ماجه (٣١٦٥)، أحمد (٥/ ٢٨) في المسند.

(٢) رواه البخاري (٦١٩١)، مسلم (٢١٤٩/ ٢٩).

(٣) رواه مسلم (٢٣١٥/ ٦٢).

هو حَسَنٌ». فلما ولدت الحسين جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سميتموه؟». قال: قلت: سميته حربًا. قال: «بل هو مُحسن»(١).

وفي هذا كله دليل على تسمية الولد في أول يوم من مولده، على أن في الأمر سعة، فيجوز التعريف والتسمية في اليوم الأول من ولادة الصغير، ويجوز تأخيره ثلاثة أيام، ويجوز تأخيره إلى يوم العقيقة، وهو اليوم السابع»(٢).

(٢) أحب الأسماء إلى الله، وأبغضها إلى الله ورسوله والمؤمنين:

يتأثر الإنسان نفسيًا بنوع الاسم الذي يُعْطى له، فتتأثر رؤيته لنفسه بذلك، فلا زال صاحب الاسم الحسن يحمل اسمه دون حزن أو هم، ولا زال صاحب الاسم القبيح مصابًا بالهم والحزن.

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «إن الألفاظ قوالب للمعاني، والأسماء قوالب للمسميات، وإن علاقة وارتباطًا بين الاسم والمسمى، وإن للأسماء تأثيرًا على المسميات وبالعكس، فصاحب الاسم الحسن يحمله اسمه ويدفعه إلى فعل المحمود من الأفعال وذلك حياءً من اسمه لما يتضمنه من المعاني الحسنة، ويلاحظ في العادة أن لسفلة الناس ولعليتهم أسماءً تناسبهم وتوافق أحوالهم»(٣).

حتى قال القائل:

وقلَّ إن أبصرت عيناك ذا لقب ★ إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

ومن هنا جاء تقسيم الأسماء إلى أسماء مستحبة، وأخرى قبيحة، والضابط هنا هو الشرع لا غيره.

أولاً: الأسماء المستحبة: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن»(٤). واستنادًا على هذا فقد كان ﷺ حريصًا على الاسم الحسن يسميه ويأمر به عليه الصلاة والسلام، فسمَّى بالأسماء

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ١٦٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٧٩).

(٣) تحفة المودود (ص١٠٢)، وزاد المعاد (٢/ ٣٣٦).

(٤) قال الشيخ شاكر في المسند برقم (٢٣٢٨): إسناده صحيح.

المرتبطة بالتوحيد الخالص، فروى عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إن أحبَّ أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن»[١].

ويلتحق بهذين الاسمين ما كان مثلهما كعبد الرحيم، وعبد الملك، وعبد الصمد، وإنما كانت أحبّ الأسماء إلى الله؛ لأنها تضمنت ما هو وصف واجب لله، وما هو وصف للإنسان وواجب له، وهو العبودية، ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية، فصدقت أفراد هذه الأسماء وشُرِّفت بهذا التركيب، فحصلت لها هذه الفضيلة[٢].

وسبب آخر في الحكمة في الاقتصار على هذين الاسمين: وهو أنه لم يقع في القرآن إضافة عبد إلى اسم من أسماء الله تعالى غيرهما. قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ (الإسراء: ١١٠). وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ (الفرقان: ٦٣). وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (الجن: ١٩).

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر المسلمين أن يسموا باسمه ولا يكتنوا بكنيته فقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي»[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: وُلِدَ لرجلٍ منا غلامٌ فسماه القاسم، فقلنا: لا نُكَنّيك أبا القاسم ولا كرامة. فأخبر النبي ﷺ فقال: «سمّ ابنك عبد الرحمن»[٤].

وقد جعل العلماء هنا نهي النبي ﷺ عن التكني بكنيته على ثلاثة آراء:

الأول: التحريم المطلق سواء كان المسمى محمداً أم لا، وهو رأي الشافعي.

الثاني: الجواز المطلق، وهذا يختص بالنهي في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته يجوز التكني به.

---

(١) رواه مسلم (٢١٣٢/٢) في الآداب.
(٢) تحفة الأحوذي (١٢٣/٨)، نقلاً عن القرطبي، وفتح الباري (١٠/ ٥٧٠).
(٣) رواه البخاري (٦١٨٨)، مسلم (٢١٣٣)، ومعلوم أن كنية رسول الله ﷺ هي أبو القاسم.
(٤) رواه البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٢١٣٣).

الثالث: لا يجوز التكني لمن اسمه محمد، ويجوز لغيره، واحتج أصحاب هذا الرأي بحديث: «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي»، وحسنه ابن حجر وعزاه للترمذي وأبي داود. وأضيف رأيًا رابعًا وهو: أن النهي هنا على الكراهة لا التحريم، ولو كان محرمًا لأنكره الصحابة، وقد كنى علي ولده بأبي القاسم، وكذلك فعل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

وقال ابن حجر: «وفي الجملة أعدل المذاهب هو الأخير- قصد الرأي الرابع- مع غرابته»[١]. ثم عاد فقال: «لكن الأولى الأخذ بالمذهب الأول، فإنه أبرأ للذمة، وأعظم للحرمة». قلت: وهو ما نختاره إن شاء الله.

وكان ﷺ قد أشار إلى التسمي بأسماء الأنبياء والصالحين، كما روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فقال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ (مريم: ٢٨).

وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»[٢].

قال النووي: «استدل به جماعة على جواز التسمية بأسماء الأنبياء عليهم السلام وأجمع عليه العلماء، وقد سمى النبي ﷺ ابنه إبراهيم، وكان في أصحابه خلائق مسمون بأسماء الأنبياء»[٣]. وقد سبق حديث: «وُلِدَ لي الليلة غلامٌ فسميته باسم أبي إبراهيم». ففيه جواز التسمي بأسماء الأنبياء.

ويفهم من الحديث السابق جواز التسمي بأسماء الصالحين، وليس أصلح في الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ فيجوز التسمي بأسمائهم رضي الله عنهم والصالحين بعدهم من سلف الأمة رحمهم الله من التابعين وتابعيهم.

ثانيا: الأسماء المكروهة: وعن بُريدة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ لا يتطيَّر من شيء- لا يتشاءم- وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٥٧٣، ٥٧٤).

(٢) رواه مسلم (٢١٣٥/ ٩).

(٣) النووي (٧/ ٣٣٣) في شرح مسلم.

فرح به، ورُئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رُئي ذلك في وجهه»[١] .

وهذا جريًا منه ﷺ على قاعدة أنه كان «يعجبه الفأل الحسن»، ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يُغير الاسم القبيح»[٢] .

وتغيير الاسم باب نجيب منَ أبواب الدين، وهو العدول عن الاسم الذي تستقبحه العقول وتنفر منه إلى الاسم الذي هو أحسن منه، والنفوس إليه أميل. وهذا من حرصه ﷺ على الأمة وهو الرءوف الرحيم، فأراد أن يتجنب الأسماء التي تحط من قدرهم وتمس بكرامتهم وتكدر صفو حياتهم، وتحطم معنوياتهم؛ إذ الطفل والصبي وكذلك الرجل والمرأة الذين يُستهزأ بهم من قبل أقرانهم لاسمهم المستهجن، أو لعائلتهم ذات الاسم القبيح يخسرون كثيرًا من مشاعرهم الطيبة، ويسيرون دومًا إلى اضمحلال وانهيار، ويخشون معاشرة الناس، وقد يورث هذا أحقادًا وضغائن وعقدًا نفسية وعزلة وانطوائية لا تُحْمد عقباها، ومن هنا كره النبي ﷺ أسماءً، وغيَّر أخرى إلى الأفضل.

فحرَّم ﷺ التسمي باسم ملك الأملاك أو شاهنشاه كما في حديث أبي هريرة: أنه ﷺ قال: «**إن أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله عزّ وجلّ**». فقال سفيان بن عيينة: مثل شاهنشاه.

وقال أحمد بن حنبل: «سألت أبا عمرو عن أخنع، فقال: أوضع. وفي رواية: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه وأغيظه عليه، رجلٌ كان يسمى: ملك الأملاك، لا ملك إلا الله**»[٣] .

وغيَّر ﷺ بَرةَّ إلى زينب كما روت زينب بنت أبي سلمة، وقال لها: «**لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم**». فقالوا: بِمَ نسميها؟ قال: «**سموها زينب**»[٤] .

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٩٢٠)، وصححه الألباني هناك - ط. الرياض.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٨٢٩)، وصححه الألباني (٢٠٧، ٢٠٨) في الصحيحة.

(٣) رواه البخاري (٦٢٠٥، ٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣/ ٢٠، ٢١)، وفي رواية للبخاري: «أخنى الأسماء»، أي: أفحشها.

(٤) رواه مسلم (٢١٤٢/١٨، ١٩).

وكذلك جعل اسم أم المؤمنين جُوَيْرِية بعـد أن كان برَّة، فكره أن يقال: خرج من عند برَّة كما روى ابن عباس رضي الله عنهما[١]. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيَّر اسم عاصية وقال: «أنت جميلة»[٢].

ونهى ﷺ عن التسـمي بأسماء: أفـلح، ورباح، ويسار، ونافع[٣] كما رُوِيَ عن سَمُـرة بن جندب، وفي رواية جابر بن عبـد الله رضي الله عنه أنه ﷺ أراد أن ينهى عن أن يُسمى بـيعلى، وبـبركة، وبأفلح، وبيسار، وبنافع، وبنحـو ذلك، قال جابر رضي الله عنه: «ثم رأيته سكت بعد عنها، فلم يقل شـيئًا، ثم قُبض رسول الله ﷺ ولم ينه عن ذلك، ثم أراد عمر أن ينهى عن ذلك ثم تركه»[٤].

لكن ما السبب في ذلك؟ قـال سمرة بن جندب في روايته للحـديث قبل السابق عن النبي ﷺ: «**ولا تُسـمين غلامك يسـاراً، ولا رباحـا، ولا نجيـحًا، ولا أفلح، فإنك تقول: أثمَّ هو؟ فلا يكون فيقال: لا**»[٥]. قصد أن تقـول: أثَمَّ رباح- مثلاً-؟ يعني: هل هنا رباح؟ فنقول: لا رباح!! وهو ما كرهه ﷺ.

وجاءه حزن جد سعيـد بن المسيب رحمه الله، فقال له ﷺ: «**ما اسمك؟**». قال: حَزَن. قال: «**أنت سهل**». قال: لا أغير اسمًا سمـانيه أبي!! قال سعيد بن المسيب: «فما زالت الحزونة فينا بعدُ»[٦]. وهذا لأنه ﷺ أراد تحسين الاسم من الحزن والهم، إلى اتسـاع التسـهيل، ويبـدو أن قول القـائل: لكل امرئ من اسـمه حظ ونصـيب صحيح، فلا زال سعيد بن المـسيب يشكو من شدة بقيت في آله إذ أن جده لم يقبل بما قاله النبي ﷺ[٧].

قلت: وهذا فيه فائدة عظيمة ألا وهي تجنب الأسماء التي لها اشتقاق من كلمات

---

(١) رواه البخاري (٦١٩٢)، ومسلم (٢١٤١/ ١٧).
(٢) رواه مسلم (٢١٣٩/ ١٤).
(٣) رواه مسلم (٢١٣٦/ ١٠).
(٤) رواه مسلم (٢١٣٨/ ١٣).
(٥) رواه مسلم (٢١٣٧/ ١٢).
(٦) رواه البخاري (٦١٩٠).
(٧) الفتح (١٠/ ٥٧٥).

فيها تشاؤم حتى يسلم الإنسان من مصيبة هذه التسمية وشؤمها.

وفي رواية لمالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر رضي الله عنه قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة. قال: ابن مَنْ؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: بأيتها؟ قال: بذات لظى. قال عمر: أدرك أهلك، فقد هلكوا واحترقوا. فكان كما قال عمر رضي الله عنه(١).

وغيَّر النبي ﷺ اسم العاصي، وعزيز، وعتلة، وشيطان، والحكم، وغراب، وحباب، وشهاب، فسماه هشامًا، وسمى حربًا: سلمًا، وسمى المضطجع: المنبعث، وأرضًا تسمى عفرة سماها: خضرة، وشعب(٢) الضلالة سماه: شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم: بني الرشدة، وسمى بني مغوية: بني رشدة(٣).

وقال الخطابي: «وأما «العاصي»، فإنما غيَّره لمعنى العصيان، إنما سمة المؤمن الطاعة والاستسلام، و«عزيز» إنما غيَّره لأنه الله سبحانه، وشعار العبد الذلة والاستكانة، و«عتلة» معناها الشدة والغلظة، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة، و«شيطان» اشتقاقه من الشطن وهو البعد من الخير، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس، و«الحكم» هو الحاكم الذي إذا حكم لم يُرَد حكمه، وهو صفة لا تليق بغير الله، و«غراب» مأخوذ من الغَرب وهو البُعد، ثم هو صواب خبيث العقل خبيث الطعم، و«حباب» نوع من الحيات، وروي أنه اسم لشيطان(٤)، و«الشهاب» الشعلة من النار وهي محرقة مهلكة، و«عفرة» نعت للأرض التي لا تنبت شيئًا»(٥).

وقد كرّه العلماء التسمي بأسماء الملائكة، فقد كره مالك رحمه الله التسمي بجبريل وياسين، وكذلك كرهه الحارث بن مسكين(٦). كما حرمت الأسماء التي

---

(١) رواه مالك في الموطأ وفيه انقطاع بين يحيى بن سعيد وعمر رضي الله عنه.

(٢) شعب: طريق بين جبلين.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٥٦)، وقال: تركت أسانيدها للاختصار.

(٤) قلت: وهذه رواية ضعيف، مروية عن عروة، وابن سعد، والشعبي مرسلة، وغيرهم، وضعفها الألباني (٢٧٥٣) في ضعيف الجامع.

(٥) معالم السنن (٥/ ٢٤٢) للخطابي.

(٦) شرح مسلم (٧/ ٣٣٣) للنووي.

فيها تعبد لغير الله تعالى، كعبد العزى، وعبد الكعبة، وعبد الرسول، وعبد النبي، فهي محرمة بالاتفاق.

وقد ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله تعقيبًا على قوله عليه السلام: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، فقال: «فهذا ليس من إنشاء التسمية وابتدائها، وإنما هو من الإخبار بالاسم الذي عُرف به المسمى دون غيره».

ويكره العلماء المسمى باسم نور الدين، وشمس الدين، وما شابه ذلك[1]، وتكره التسمية بـ«حمار»، و«كلب»، و«خنزير»، ويكره الأسماء التي يشترك فيها الذكور والإناث، فهذا يسبب حرجًا وإحباطًا للولد وتعريضه للسخرية من رفاقه كـ«ناهد، وعصمت، وإحسان، وإيمان»، وغيرها.

ويضيف بعضهم كراهة التسمي بأسماء الهيام والغرام والميوعة كـ«هيام، وغرام، وهيفاء، وميّادة، وغادة، وأحلام»، وهي أسماء تصيب الأمة بالميوعة، وتمحو شخصية هذه الأمة، وتحطم معنوياتها.

ويكره التشبه بأسماء الكفار، ففي الحديث: «مَن تشبه بقوم فهو منهم»، كما روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما، فلا تسمي «نانسي، أو رايجان، أو هايدي»، وغيرها من تلكم الأسماء التي لا يتسمى بها إلا الكفار، وفيها معانٍ قد تخفى على المسلمين، خاصة ما يرتبط بالشرك، وهذا باب يدخل فيه التسمي بأسماء الكفار القدامى كالفراعنة «أحمس، ورمسيس»، أو الآشوريين والبابليين، وكفار مكة، وغيرها من الأسماء التي كانت للكفار، ويُكره التسمي بألقاب القصير، والأخرس، والأطرش- الأصم- وغيرها.

(٣) سنة مهجورة:

ومن السنن المهجورة، سنة تكنية الغلام، فيقال له: «يا أبا فلان»، وقد كان ﷺ يكني الصغار، فكنّى أنسًا بأبي حمزة، وكنّى أخاه بـ«أبي عمير»، وكنّى عائشة رضي الله عنها بابن أخيها عبد الله بن الزبير، وكذلك كنّى أبا هريرة رضي الله عنه.

---

(١) تحفة العروس (ص٢٣٥) للإستانبولي.

وقد وُجد بين صحابة رسول الله ﷺ مَنْ تكنى بغير اسم ولده، كأبي بكر رضي الله عنه، وعمر وكنيته «أبو حفص»، وعلي وكنيته «أبو تراب»، وجندب بن جنادة وكنيته «أبو ذر»، وخالد بن الوليد وكنيته «أبو سليمان»، ولم يكن لأحدهم ولد بهذا الاسم.

وهذه الكنية تشعر الصغير بأنه محترم لدى أبويه ولدى الناس، وهو أمر على الاستحباب.

(٤) التسمية هل هي حق للوالد أم للأم؟

التسمية حق للأب إذا اختلف هو والأم، فقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٥). فنسبة الولد لأبيه تجعل ذلك حقًّا للوالد في الانفراد بتسمية ابنه، وكذلك ورد عنه ﷺ كما سبق تخريج الحديث أنه قال: **«وُلِدَ لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»**.

(٥) التنابز بالألقاب:

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات: ١١). أي: لا تداعوا بالألقاب، وهذا جرمٌ كبير قال الله عنه: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: ١١). أي: بئس الصفة والاسم الفسوق، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه[1] .

وقد هدد الله تعالى وتوعد صاحب هذه الصفة المرذولة إن لم يتب فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١). وقال القرطبي: تنابزوا بالألقاب: أي: لقَّب بعضهم بعضًا، والنبز: لقب السوء، والنهي هنا عن الصفة التي بها عيبٌ، أما إن كانت صفة غلب عليها الاستعمال كالأعمش والأعرج- من رواة الحديث- ولم يكن له فيه كسب يحزن في نفسه منه عليه فهو جائز باتفاق الأمة.

قلت: كما قيل لمسروق: مسروقًا، فقد سرق وهو صغير، ووجد فأطلق عليه الاسم، أما إن حزن من ذلك فلا يجوز؛ لأن فيه أذية، وفيه نهي.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٩٠).

وقد كان عليه السلام يقول للخرباق السلمي: «يا ذا اليدين»، ولغيره: «يا ذا الشمالين»[١].

وجملة القول هنا: أن اللقب إذا كان مستقبحًا يتأذى به صاحبه كان النهي عنه، أما إذا كان اللقب لا يؤثر في صاحبه فلا حرج في ذلك.

لكن ما معنى الاسم، والكنية، واللقب؟

أما الاسم: فهو ما يعرف به الشيء ويُستدل عليه، والجمع: أسماء، وأسامي، وأسامٍ.

أما الكنية: فهو ما يجعل عَلَمًا على الشخص غير الاسم واللقب، نحو: أبو الحسن، وأم الخير، وتستعمل مع الاسم واللقب، أو بدونهما تفخيمًا لشأن صاحبها أن يُذْكر اسمه مجردًا، والجمع: كُنَى.

أما اللَّقَب: عَلَمٌ يُطْلَق على الشخص للتعريف أو التشريف أو التحقير، مثل: أمير المؤمنين، أو الأعرج، أو غيرها من الألقاب، والجمع: ألقاب.

حديث موضوع:

اشتهر على الألسنة: «خير الأسماء ما عُبِّد وحُمِّد»، وقد قال العجلوني (١/ ٩٥) في كشف الخفا: باطل، وفي (١/ ٤٦٨) قال: قال النجم: لا يعرف، وقال السيوطي: لم أقف عليه، وبسند ضعيف روي: «إذا سمَّيتم فعبدوا»، ولا أصل لحديث: «قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا عذبت أحدًا تسمى باسمك في النار»، وهذا كله ضعيف وموضوع، والله أعلم.

☆☆☆

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤)، ط. دار الحديث باختصار شديد.

أسماء تبدأ بحرف الألف والهمزة

(١) أسماء الذكور[1]

آبي- أبي: من الإباء وهو الرفض، وكان من صحابة رسول الله ﷺ عمير مولى آبي اللحم؛ لأنه حرم اللحم على نفسه في الجاهلية.

آجُر: هو الطوب الذي أُدخل النار.

آدم: اسم أول الخلق من البشر، وهو نبي الله المكلم، وسمي لذلك لأنه من أديم الأرض خُلِق، وقيل: هو مشتق من الأدْمَة وهي السمرة، وقيل: الأدمة هي البياض، ويقال: رجلٌ آدم أي: رجل بين البياض والسُّمْرة.

آرام: هي الظباء، والمفرد «رأم».

آسِر: اسم فاعل من «أسر» أي: قبض وحبس حتى صار محبوسه «أسيرًا» لديه، والأسير: سجين الحرب، والآسر: مَن سجنه وأسره، وتكون بمعنى أخّاذ للألباب، فيقال: فلان ذو كلامٍ آسر أي: يأخذ بالعقول حتى تسمع له، أو هو الآسر غيره بقوته، وبأخلاقه وجماله.

آمِر: هو الذي يأمر، وهو قائد فرقة من الجيش.

آمِن: هو الواثق المطمئن.

آنِس: من الأنس واليقين.

آيب: عائد، من الأوب وهي العودة والرجوع.

إباء: الرفض، والامتناع، والكبر، والشمم، وهو اسم مشترك.

إبراهيم: خليل الله ونبيه ورسوله، ومعناه بالسريانية: الأب الرحيم.

أثير: هو المفضل على غيره، المكرم، ويقال: هو بريق السيف، ويقال في

---

(١) لم نرد الزيادة بالتكرار، فكل اسم من هذه الأسماء إذا صح وضع تاء مربوطة بجواره صار اسم أنثى ويصح، المعنى هُو هَو، ولكن للأنثى فيقال: «آبية» يعني رافضة.

الإذاعات: عبر الأثير، والأثير هنا حسب رأي الأقدمين: هواء رقيقٌ يملأ الفجوة بين جو الأرض والسماء، أو كما يقول علماء الطبيعيات: سائل مطاط لا وزن له، كانوا يعتبرونه الوسط الذي يساعد على نقل الكهرباء والذبذبات، وهو اسم لعالِمَيْن أخوين وهما المعروفان بـ«ابن الأثير» أحدهما: الوزير صاحب كتاب الكامل في التاريخ، والآخر: المبارك بن محمد أبو السعادات صاحب جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث وتوفي (٦٠٦هـ).

إحسان: وهو المعروف، وفعل الحسن، وإعطاء الحسنة، وفي حديث عمر رضي الله عنه الذي رواه مسلم برقم (٨) في الإيمان أن جبريل عليه السلام لما طلع على المسلمين في هيئة رجل مسافر، سأل النبي عليه السلام فقال: ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، فهو المرتبة العليا من مراتب الإيمان، والله يحب المحسنين، وهو اسم مشترك بين الرجال والنساء، والخير ألاَّ يسمى به الرجل.

أحمد: اسم من أسماء رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ (الصف: ٦). وفي الحديث عن جبير ابن مطعم رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد...**» الحديث رواه البخاري (٣٥٣٢)، مسلم (٢٣٥٤)، وأحمد: من باب التفضيل، وسمي بـ«أحمد» لأنه منقول من صفة أفعل وهي أفعل التفضيل، فإذا هو: أحمد الحامدين، وإذا كان الأنبياء كلهم حمادون فهو عليه السلام أكثرهم حمداً، وأعظمهم في صفة الحمد، وقد فعل ما يوجب الحمد فهو أحمد، وصار محموداً، ووجد وعاش وتوفي حميداً.

أحمس: من الحماسة والبسالة، وكانت قريش في الجاهلية تسمى: «الحمس» لحماستهم في دينهم، وواحدهم «أحمس»، أما القائد الفرعوني «أحمُس» فهو قائد وثني حارب الهكسوس الذين كان فيهم بقية من التوحيد، ولا يجوز التسمي باسمه بالنسبة للمسلمين.

أحمش: من في ساقيه حموشة، وهي دقة الساقين، وهو وصف في الحبشي الذي

سيهدم الكعبة آخر الزمان، وهو ذو السويقتين.

أحنف: اسم لأشهر العرب حِلْمًا، وهو الأحنف بن قيس، وهو أفعل من الحنيف، وهو المائل عن الكفر إلى الإسلام.

أحور: مَنْ في عينيه حَوَر، والحور هو اشتداد سواد العين وبياضها، وهي صفة حسن، فيقال للظبي: أحور، لاشتداد سواد العين وبياضها واستدارة حدقته.

أحوس: هو الشجاع الجريء، وهو اسم للذئب.

أحوص: هو من ضاقت مؤخرة عينيه حتى كأنها قد خيطت بخيط.

أحوط: هو من اشتد في الأخذ بالحيطة والحذر، وكان قريبًا إلى الثقة، وهي صيغة أفعل التفضيل من «الحيطة».

أحول: من في عينيه «حَوَل» وهو تحول سواد العين، أو اختلاف محوري العينين، وهو من «الحِوَل» بكسر الحاء، وهو الحِذْق وجودة النظر، والقدرة على التصرف في الأمور، وهو أيضًا من كثرة التحول، ومن كثرة العجائب، فهو: من في عينيه حول، وهو الأمكر، وهو أكثرهم حيلة، وهو الأكثر تحولاً.

أخرز: هو الضيق العينين.

أخصب: هو من الخصوبة وهي صلاح الأرض للإنبات والمرعى وإيراق الشجر- أي: يكون له ورق-.

أخضم: صيغة أفعل التفضيل من «الخَضم» وهي الكثرة.

أخطب: الصقر، والأفضل في الخطابة، والأحمر أو الأصفر، وهو اسم لليهودي حيي بن أخطب والد أم المؤمنين صفية.

أخطل: هو المسترخي الأذنين، وهو شاعر نصراني عاش أيام الدولة الأموية، وكان ثالث الفرزدق وجرير.

أخطم: طويل الأنف.

أخنس: الأفطس، وهو أفطس الأنف مع ارتفاع أرنبته، وقيل: هو الأسد، وكان في الجاهلية شريق بن الأخنس أحد أعداء النبي ﷺ.

أخنف: هو من انضم أحد جانبي صدره أو ظهره ودخل فصار مخالفًا للآخر.

أخوص: هو من كانت إحدى عينيه أكبر من الأخرى.

أخير: اسم تفضيل من الخير.

أخيل: ذو الخال وهي الشامة، وهو اسم لطائر الشقراق، وقيل: هو المختال المتكبر.

إدريس: هو نبي الله المرفوع مكانًا عليًا، وقيل: سمي كذلك لكثرة دراسته للعلم.

أدهم: من الدُّهمة وهي السواد، فهو أسود، وهو القَيْد، وهو القديم أو الجديد من الآثار، واشتهر فرس عنترة العبسي باسم الأدهم فقيل: «وأبيت فوق مرآة أدهم ملجم»، والأدهم: فرسه سمي بذلك لسواده.

أديب: هو الكاتب المنشئ، وهو المثقف، وهو المهذب المؤدب.

أذينة: هي الأذن الصغيرة.

أرتل: هو المنسق المنتظم، وهو مَنْ في لسانه لكنة وحبسة وعدم إفصاح.

أرقم: هو القلم، وهو ذكر الحية، وأنثاه: الرقماء.

أركان: جمع «ركن» وهو الجانب، والزاوية، والجهة، وكانوا قديمًا في الفلسفة يقولون بأن الأركان هي العناصر الأربعة: الماء، والهواء، والنار، والتراب، وهو اسم مشترك.

أرميا: اسم نبي من أنبياء بني إسرائيل.

أرنب: هو الحيوان الشهير من الثدييات.

أريب: هو الذكي اللبيب.

أريج: هي الرائحة الطيبة، وهو اسم مشترك.

أزهر: الأزهر من الرجال هو الأبيض العتيق البياض، وهو المشرق البياض، وهو أحسن البياض كأن له بريقًا ونورًا، وهو القمر، والبياض النير، وهو كل أبيض كالدرة، وهو الحسن والبهجة، وأنثاه: الزهراء.

أسامة: هو اسم من أسماء الأسد.

أسعد: صيغة أفعل التفضيل من سعد وهو من السعادة.

أسلم: من أفعل التفضيل من سالم، وهو اسم غلام عمر بن الخطاب، واسم قبيلة كما في البخاري: «أسلم سالمها الله».

إسلام: هو ديننا الذي ارتضاه لنا، وبعض العلماء على كراهة التسمية به لئلا يقال: إسلام هنا؟ فيقال: لا إسلام هنا.

إسحاق: هو نبي الله، ويقال: السحوق: النخلة الطويلة.

إسماعيل: أبو العرب، وهو الذبيح نبي الله ابن إبراهيم عليه السلام، وهو بالسريانية: اسمع يا إيل يعني اسمع يا الله.

أسمر: هو من كان في لونه سُمْرة، وهو الرمح، وهو لبن الغزالة.

أسيد: تصغير أسد وهو الحيوان الشهير، واشتهر من الصحابة «أبو أسيد»، و«حذيفة بن أسيد الغفاري» رضي الله عنهما.

أشتر: هو المتقلب الجفنين أو المنشق الشفة السُّفلى، وهو اسم «للأشتر النخعي» أحد شيعة علي رضي الله عنه.

أشرف: أفعل التفضيل من «شرف»، وهو سيد القوم.

أشعب: هو بعيد ما بين المنكبين، وهو اسم للطفيلي الشهير «أشعب الطامع».

أشعث: هو المليء بالغبرة، تلبد شعره، وفي الحديث: «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

أشقر: من كان في لونه الشقرة، وهو: اللون الذهبي والأحمر.

أشنب: هو الأبيض الأسنان رقيقهما.

أشهب: هو الأسد، وهو ذو اللون الأبيض الغالب على السواد، وهو الأمر الصعب.

أشيم: هو من له شامة بجلده.

أصحمة: اسم حبشي للنجاشي ملك الحبشة المعاصر للنبي ﷺ، وقد توفي بعد إسلامه وصلى عليه النبي ﷺ.

أصهب: هو ذو الشعر الأحمر أو الأشقر، وهو الأسد، وهو اليوم البارد.

أصيل: هو ذو الأصل الطيب، وهو الوقت من العصر إلى المغرب، وهو الشامخ الراسخ، وهو نقيض الوكيل، فيقال: بالأصالة عن نفسي، وبالوكالة عن غيري.

أعشى: هو الكثير الشعر الضارب لونه إلى السواد، وكان من شعراء الجاهلية الأعشى، وأعشى همدان.

أغيد: هو صاحب العنق المائل، وهو اللين الجانب، وهو النبات الناعم المنثني من الابتلال والنداوة، والتنبيه.

أكثم: هو ثعبان، وقيل: الواسع البطن، وهو الطريق الواسع.

أكحل: هو ذو الكحل، وهو سواد العين الشديد خلقة، والأكحل: وريد في وسط الذراع، والمؤنث: كحلاء.

أكرم: صيغة أفعل التفضيل من كرم، وهو الجود والعطاء.

أكمل: هو الكامل التام، ولا كمال للبشر ولا تمام.

ألهم: اسم منتشر بين أهل مصر، وهو من الإلهام أي: الإيحاء.

إلياس: يقال: رجل أليس: أي: شجاع، وقيل: من اليأس، وهو اسم نبي الله إلياس.

إليسع: اسم نبي من أنبياء الله.

إمام: هو القائد، أو الخليفة، أو الرئيس، أو المقدم ليصلي بالمسلمين، وقيل: هو النهج.

أمجد: صيغة أفعل التفضيل من المجد، وهو الشرف والعلو.

امرؤ: رجل، أو شخص، وكان من الشعراء: امرؤ القيس.

أمل: رجاء وتوقع، وهو اسم مشترك.

أمير: ابن الملك، أو هو الوالي الحاكم، أو هو المشاور، أو الجار، أو القائد.

أمين: هو صاحب الأمانة، وهو المخلص، الحافظ للود، الموثوق به.

أنس: من الإيناس والملاطفة، ومن الإبصار بالشيء، إذ أنه كقوله تعالى: ﴿إِنِّي

ءَانَسْتُ نَاراً﴾(القصص: ٢٩) .

أنور: صيغة أفعل التفضيل من «نور»، وهو الأكثر نوراً، وهو الأوضح، والأحسن.

أُنَيْس: تصغير أنس كما فيَ صحيح مسلم، وهو الديك.

أوس: هو الذئب، والعطية، وكان قبيلتا الأنصار: الأوس والخزرج، ومن الصحابة «أوس بن أوس»، و«أوس بن ثابت» وغيرهما.

أويس: تصغير أوس وهو الذئب، وسيد التابعين كما في صحيح مسلم هو «أويس القرني».

إياب: هو الرجوع.

إياد: من التأييد، ومن التقوية، وكثرة الناس، وهو أحد جناحي الجيش، وهو الجبل العالي المنيع، وهو اسم مشترك.

إياس: من اليأس يقال: يأس، وأيَس، واشتهر به «إياس الذكي».

أيسر: من اليسر وهي البركة، ومن اليمين فهو من يعمل باليمين، وهو من كان على الجهة اليمنى.

إيهاب: من الوهب والعطاء، والإعداد والتمكين.

أيوب: اسم نبي الله الصابر، وهو من ذرية نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقيل: من الأوبة: يعني العودة إلى الله، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سمي أيوب لأنه آب إلى الله تعالى في كل حال.

★★★

(٢) أسماء الإناث

آسية: هي طبيبة مداوية، وقيل: هي الدعامة، وهو اسم امرأة فرعون المؤمنة، وهي «آسية بنت مزاحم»، و«آسيا» اسم للقارة الشهيرة وهي أكبر القارات، وهي من «الأسى» يعني الحزن، و«الآسي» الجراح، وقيل: «آسى» من المواساة، و«الآس» شجر دائم الخضرة بيضي الورق أبيض الزهر عطري، فالنسبة إليه.

آلاء: وهي النعم.

آمال: جمع «أمل» وهو الرجاء.

آمنة: المطمئنة، الواثقة، التي لا تسيء الظن بأحد، و«آمنة بنت وهب» أم رسول الله ﷺ.

آنسة: من الإيناس، ومن اليقين، وهو وصف لكل بكر ليست بزوج.

آية: هي المعجزة، وهي الجملة من سورة القرآن، وهي المعجزة، وهي العلاقة، وهي العبرة والعظة، وهي الجملة المنفصلة.

ابتسامة: هي الضحك بدون صوت، ويقال: ابتسام أيضًا.

ابتكار: تجديد وإبداع، وهو الإتيان بالاختراع غير المعروف.

ابتهال: رجاء ودعاء وتضرع.

إبداع: انظر قبل السابق.

إبريز: هو الذهب الخالص.

إتآد: الاتزان، والتأني.

إتاب: الحياء.

آثار: جمع «أثر» وهو ما تبقى من رسم الشيء، ويقال: هو السنة والحديث، وعند أهل الأثر هو قول الصحابي أو التابعي.

إثراء: كثرة المال والغنى.

إجلال: تكريم وإعزاز وتقدير.

احتساب: عدّ واعتبار.

احتشام: حياء، وخجل، وسلوك محمود.

احتكام: طلب الحكم، أو قبول التحكيم.

إحسان: انظره في باب الذكور.

أحلام: رُؤى في النوم.

إخاء: أخوة.

إخلاص: وفاء، وزبد خالص من الثـفل والعكارة، وهو خلاصة الشيء أي: زُبدته وأحسنه، وهو ترك الغش والخداع.

أذينة: أذن صغيرة.

أروى: جمع «أروية» وهي أنثى الوعل، حسنة المـنظر، وهو اسم لعمة النبي ﷺ، واسم لأم جميل امرأة أبي لهبٌ.

أركان: انظره في باب الذكور.

أسمـاء: من الوسـامة وهو اسم لذات النطـاقين: أسمـاء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

أزهر: تأنيثه زهراء.

أزهار: جمع «زهرة» البياض الشديد، واللون الصافي ومنه أزاهير.

إسراء: هو السير ليلاً ومنه حادثة الإسراء والمعراج.

أسرار: جمع «سر» وهو الشيء المكتوم.

إسعاد: من السعادة وهي الإعانة، وجعل الغير سعيداً.

أسـمهـان: اسم من مقطـعين: الأول عربي وهو: اسم، والثانـي: فارسي وهو: «هان» وتعني: أداة تنبيه.

إشراق: هي الإضاءة، أو طلوع الشمس وظهورها.

أشجان: أحزان، وشعب، فيقال: الحديث ذو شجون يعني ذو شعب.

أشرقت: طلعت وظهرت.

أصالة: الرسوخ والثبات، والجود والكرم.

إصلاح: عكس الفـساد، وهو جـعل الشيء صالحًـا نافعًـا، وهو الإتيان بصـالح الأعمال، وهو التوفيق بين المتنازعين وهو خير، وهو التقويم والتهذيب.

أطياف: جمع طيف، وهو خيال يأتي النائم في نومه.

اعتـدال: الاستـقامـة، والتوسط بـين حالين أحـدهما سيء والآخـر فيـه إفراط،

كالحرص وهو بين البخل والإسراف.

اعتماد: اتكاء، اتكال، مبلغ من المال يرصد لشيء ما.

أغاريد: غناء الطيور.

أغرودة: مفرد أغاريد، وهي غناء الطيور، وهي الترنيمة.

أغصان: هي فروع النبات.

افتخار: فخر وازدهار.

افتكار: تفكير، تذكر، أو إعمال الخاطر.

إفراج: إطلاق وانكشاف.

أفراح: جمع «فرح» وهو السرور.

أفكار: جمع «فكرة»، وهي التأمل أو إعمال الخاطر.

أفنان: جمع «فنن» وهو الغصن.

إقبال: اسم مشترك، ومعناه الإتيان، أو الإتيان بالخير، أو ملازمة الشيء.

إكرام: من الإعزاز والتقدير، والتكريم والتعظيم.

إكمال: من الإتمام والكمال.

ألطاف: هم الأصحاب والأهل، وهي من «اللطف» أي: من توفيق الله تعالى.

إلهام: من الإيحاء، ومن التبليغ.

ألفت: من الألفة، وقيل: هو تركي.

أمامة: من الأمومة، والإمامة، والملك، وانظر: أمية، واشتهرت أمامة بنت أبي العاص بنت زينب بنت رسول الله ﷺ وهي زوجة علي رضي الله عنه بعد فاطمة رضي الله عنها.

امتثال: اتباع، طاعة.

أمل: اسم مشترك ومعناه الرجاء.

أميمة: تصغير أم، وهي مطرقة الحداد.

أمينة: من الأمانة، وانظر: «أمين».

أميرة: انظر: «أمير».

انتصار: فوز وربح.

أنسام: من أنفاس الروح، وهي ريح طيبة لينة.

انشراح: من الفرح والسرور.

إنصاف: عدل ومجافاة للظلم.

إنعام: إجمال وإحسان بالنعمة، وعطاء وكرم.

أنغام: جمع «نغم» وهو حسن القراءة والترنيمة.

أنهار: جمع «النهر» وهو البحر الذي يحوي الماء العذب، وفيه معاني العطاء والكرم.

إيثار: تفضيل الغير على النفس بالخير.

إيلاف: من التآلف والألفة وهو الأمن والتعود والاستئناس.

إيمان: التصديق واليقين، والاعتقاد الجازم بلا ريب ولا شك.

إيناس: من المؤانسة والملاطفة.



أسماء تبدأ بحرف الباء

(١) أسماء الذكور

باجد: هو من أقام مكانه فلم يتركه.

باحور: هو القمر، وهي شدة الحر في الصيف.

بادي: أي: ظاهر، وهو عكس الحاضر أي: هو البدوي ساكن البادية، وهو الإجابة على البديهة دون تفكر أو روية.

باز: هو الصقر المعروف، وقيل: من فصيلته.

باسل: هو الأسد، وهو الشجاع، وهو الشديد من الظلم والأيام.

باسم: من البسمة، وهو الضحك بلا صوت.

باشا: لقب تركي معناه: خادم السلطان.

باقل: هو المخضر، وهو المخضر.

باكر: غدًا، وهو المبكر، وهو أول طلوع النهار.

باهر: يبهر من يراه بوجهه أي: يدهشه.

باهي: من البهاء وهو الحسن، والجميل، وشديد الظرف.

بتول: هو المتبتل المنقطع للعبادة التارك للنساء، وهو أمر يكرهه الإسلام، وهو اسم مشترك.

بجاد: هو الكساء المخطط، وفي الصحابة «ذو البجادين عبد الله بن نهيم بن غضيف».

بجال: هو المعظم، وهو الشيخ الجامع بين الجمال والنبل.

بحبح: أي: واسع، من «البحبوحة» وهي أوسع الدار ووسطها.

بحتر: هو القصير، واشتهر الشاعر العباسي بـ«البحتري».

بحر: هو المسطح المائي الشهير الواسع المنبسط وهو اسم للملح والعذب منه، والنسبة إليه «بحراني» و«بحري» والبحر: الرجل الكريم، وغزير العلم.

بحير- بحيري: نسبة إلى «البُحَيْرة» وهي مـاء تحيط به اليابسة من كل مكان «ضد الجزيرة» والمعنى أيضًا: واسع، ولعله أن يكون تصغير بحرٍ.

بخاتي: جمع «بخت» وهي الإبل الخراسانية ذات السنامين.

بختري: من البخترية وهيَ مشية المعجب بنفسه واشتهر في الجاهلية «أبو البختري ابن هشام».

بخيت: من «البخت» وهو الحظ، فهو محظوظ، جيد الحظ.

بدر: اسم مشترك وهو القمر الكامل المنير، والغلام المكتمل، والسيد.

بدري: المطر الذي يسقط قبيل الشتاء، وهو نـسبة إلى بدر «انظرالسابق»، وهو نسبة إلى أهل غزوة «بدر» وهي من أعظم غزوات النبي ﷺ والصحابة الذين حضروها يقال لهم: «البدريون»، ويقال: «أبو مسعود البدري»؛ لأنه كان مقيمًا على بئر «بدر».

بدوي: ساكن البادية «الصحراء».

بديع: جميل، مخلوق على صورة لا مثيل لها.

براء: أول ليلة أو آخر ليلة في الشهر، ومن الصحابة «البراء بن عازب».

برغش: قام من مرضه وأفاق.

برقش: ولى هاربًا، واسم طائر.

بركة: من اليُمْن، والسعادة، والنماء، والزيادة، وهو اسم مشترك.

برهان: الحجة والدليل القاطع.

بَسْبَس: أسرع في السير، ويقال: مشى بالنميمة، وهو القفر الخالي.

بسَّام: كثير الابتسام.

بستاني: نسبة إلى «بستان» وهي الروضة ذات النخل التي يمكن الزراعة فيها.

بشارة: الخبر السار المفرح.

بشر: هي طلاقة الوجه، واللطف.

بشرى: اسم مشترك، وهي الخبر السار أو النبأ المفرح.

بشير: ناقل البشارة، وهو المبشر على وزن فعيل.

بَعْزَق: مُفَرَّق ومبدد.

بريق: لقب تركي قديم.

بكير: المفتن من الجمال.

بلال: هو الندى أو الماء، أو الفطر بالشيء، وقيل: ما يبل به الحلق، وأشهر من تسمى به «بلال بن رباح» مؤذن رسول الله ﷺ وهناك «بلال بن الحارث» رضي الله عنه.

بلبل: طائر معروف بجمال صوته، ومنه «بَلْبُول».

بُلَيْح: تصغير بلح، وقيل: البليح بفتح الباء هو نبات له زهر عطري.

بليغ: هو الفصيح ذو المنطق الحسن، والبيان الجميل.

بندر: هو مرسى السفن في الميناء، وهو البلد الكبير.

بندق: ثمر معروف، وكانوا قديمًا يطلقونه على قذائف الصيد وهي كرات رصاصية أو غير رصاصية، وهذا الاسم دالٌّ على الصغر أو قلة الحجم، وهناك الذهب البندقي المنسوب إلى البندقية- ميناء بإيطاليا-.

بهاء: البهاء: الجمال والمنظر الحسن، وهو بريق الرغوة.

بهجة: السرور، والحسن، والجمال، والنضارة، وهو اسم مشترك.

بهلول: الجامع لصفات الخير، وقيل: هو الضحّاك.

بهنس: الأسد، وهو الثقيل الضخم.

بهور: الأسد.

بهي: ذو البهاء والجمال، وانظر باهي.

بهيج: هو المسرور، والجميل.

بوري: اسم لسمك، والبوري هو: الحصير المنسوج المَعمول من القصب.

بيرم: هي آلة عند النجار تسمى «العتكة» كالخابور يوسع بها بين شقي الخشبة عند النشر، وهو الكحل المذاب، وهو «البرطيل» يعني الرشوة.

بيطار: هو معالج الدواب.

بيهس: الأسد.

(٢) أسماء الإناث

باتعة: طويلة، أو طويلة العين، أو غليظة اللحم وينطق ويكتب «بتعة».

بتول: هي العذراء من النساء التي لم تتزوج، ويقال لـ«مريم عليها السلام» أم عيسى عليه السلام: البتول.

بُثَينة: امرأة جميلة حسناء، وهي الأرض السهلة اللينة، حبيبة جميل هي: بثينة.

بَخيتة: انظر بخيت.

بختية: الإبل الخراسانية ذات السنامين.

بدر- بدرية: انظر الذكور، والبدرية: تامة وكاملة كالبدر.

بُدور: جمع «بدر» وهو القمر الكامل المستدير.

بَديعة- بدوية: انظر «بديع- بدوي».

بَرَاءة: السلامة من العيب، والتخلص من الدَّيْن والذنب، وهي الشهادة، أو الإجازة، ويقال: براءة الاختراع.

بَرَاقش: اسم مدينة، واسم كلبة قالوا عنها: «وعلى نفسها جنت براقش».

بَرَكة: اليُمن، والسعادة، والنماء.

بَرْلنتي: حجر كريم، وهو «الألماس» والبرلنتي أغلى أنواعه.

بسَّامة: انظر بسَّام.

بسمة: ضحكة بلا صوت.

بسملة: يعني «بسم الله الرحمن الرحيم».

بسوس: ناقة لا تدر لبنًا إلا على الإبساس، كقول الحالب: «بس بس»، وهو الراعي.

بسيسة: هي السُّويق، أو الدقيق تُلت بسمن.

بُسَيْمة: تصغير بسمة، وهو نوع من الحلويات.

بصَّارة: قوية البصر، وهي النظارة.

بضة: دقيقة نضرة.

بطة: هي الطائر المائي، قصير العنق والأرجل، لحمه طري.

بغوم: ذات صوت رقيق.

بلبلة: مؤنث «بلبل».

بليحاء: نبات له زهر عطري.

بليغة: انظر بليغ.

بندقة: انظر «بندق».

بنفسج: نبات عطري الرائحة، زهري، تتخذ زهوره للزينة.

بهجة: السرور، والحسن، والنضارة.

بهية: انظر «بهي».

بهيجة: انظر «بهيج».

بهيرة: السيدة الشريفة.

بُشرى: خبر مفرح، ونبأ سار سعيد.

بوسي: من «البوس» وهو التقبيل «فارسي معرب»، ومن البؤس وهو الفقر أو الشدة، ومن «البوس» وهو الكثير.

بيضة: الخوذة، والجماعة، والمعظم، والحر، وحوزة الفرخ.

بيضاء: أي: منسوبة إلى الأبيض «اللون»، ومنسوبة إلى الأبيض وهو اللبن، وإلى «البياض» كما في البيض، وإلى «البيضاء» وهي القمح، وهو اسم عمة النبي ﷺ والبيضاء هي: الشمس، وهي القِدر، وهي الأرض الملساء والليالي البيض: ليلة ثلاث، ورابع، وخمس عشرة من كل شهر عربي، وفيها يكون القمر بدرًا، والبيضاء: الحجة المبرهنة كما في الحديث: «تركتكم على البيضاء».

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف التاء

(١) أسماء الذكور

تاج: هو الإكليل الذي يوضع فوق الرءوس، وهو الفخر والاعتزاز.

تامر: ذو التمر، أو مطعم التمر.

تقي: ذو التقوى والإيمان.

تمام: كمال.

تمساح: هو الحيوان البرمائي الشهير، ويعيش في المستنقعات الضحلة وهو شرس.

تمَّام: المتمم أو المكمل، واشتهر من الشعراء «أبو تمَّام».

تميم: التام الخلق الشديد، واشتهر من الصحابة تميم الداري، واشتهر من قبائل العرب: بنو تميم.

تنوفة: الصحراء القاحلة.

تِهامي: نسبة إلى جبال تهامة بالحجاز.

توبة: اسم مشترك، ومعناه الرجوع عن الذنب، والندم على فعل المعصية، ومن الشعراء توبة الحميري.

توت: هو النبات المعروف.

توحيد: هو الإيمان بالله تعالى، وهو التجميع أيضًا.

توفيق: نجاح، وإيجاد انسجام بين رأيين مختلفين.

توكل: اسم مشترك، ومعناه الاعتماد على الله، ومعناه أيضًا قبول الوكالة.

تياح: أي: ميال في مشيته، ومن شيعة علي رضي الله عنه أبو الهيثم بن التياح.

تيسير: اسم مشترك، ومعناه تذليل وتسهيل.

تيم: العبد، وذهاب العقل، ومنهم بنو تيم الله.

تيمور: اسم فارسي معرب، وهو اسم لجزيرة شمالي غرب أستراليا وإحدى جزر المحيط الهندي.

(٢) أسماء الإناث

تباريج: أزاهير.

تباشير: أول ظهور الشيء، وهي أيضًا البشرى.

تحفة: اسم مشترك، وهي الهدية، والقطعة الفاخرة من الأثاث، وهي الطُّرفة.

تحية: هي السلام، والبقاء، والسلامة من العيوب والآفات.

ترنيم: إنشاد؛ خاصة الإنشاد الديني.

ترنيمة: واحدة الترنيم وهي الأنشودة.

تسنيم: عين في الجنة، وليس لها اشتقاق معروف قال الله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ (المطففين: ٢٧).

تغريد: تطريب في الغناء، وهو صوت الطيور والغناء.

تفاحة: الثمرة المعروفة من الفاكهة.

تقوى: اسم جامع بين الخوف والرجاء.

تقى: التقوى والإيمان.

تميمة: تعويذة لدفع الحسد وهي حرام شرعًا.

تماضر: امرأة ناعمة العيش بيضاء وطيبة، وهو اسم «الخنساء» الشاعرة «تماضر بنت عمرو».

تمارة: من التمر، أو هي كثيرة التمر.

تهاني: جمع «تهنئة» وهي المباركة.

توبة: عودة إلى الله ورجوع إليه عن المعاصي.

توحيدة: المؤمنة بتوحيد الله، المنفردة بنفسها.

تيماء: البيداء المهلكة- أي: الصحراء- والفلاة التي لا ماء بها.

تيمورية: نسبة إلى تيمور، وانظر «تيمور» في الذكور.

أسماء تبدأ بحرف الثاء

(1) أسماء الذكور

ثائب: هو التائب إلى الله من «يثوب» وهو العائد، وهي الريح الشديدة مع بدء المطر، وهو ما يتخلف من ماء البحر عند الجزر.

ثائر: هو القائم بالثورة، وهو الغاضب، الأهوج في طلب الثأر المتمرد على النظام الحاكم.

ثابت: المقيم على أمره، المستقر، الراسخ، واشتهر من الصحابة ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله ﷺ.

ثابر: المواظب والمداوم على أمر.

ثاقب: السديد من الرأي، المضيء.

ثامر: المثمر، وقيل: اللوبياء، وسمي غلام أصحاب الأخدود بـ«عبد الله بن الثامر».

ثروت: كثير العلم والفضل، وهو من الثروة وهي المال الوفير.

ثعلب: حيوان مشهور بخداعه.

ثعلبة: انظر السابق، ومِن الصحابة المفترى عليهم «ثعلبة بن حاطب البدري».

ثقيف: هو الحاذق الماهر جدًّا، وقيل: هو الخل شديد الحموضة.

ثمالة: نفيسة الشيء، وهي الرغوة.

ثمام: عشب زهرة السنبلة.

ثمامة: مفرد ثُمام.

ثمود: الكريم أو السخي، وهم قوم صالح عليه السلام.

ثمين: غالٍ نفيس، أو باهظ الثمن.

ثناء: اسم مشترك، من المدح والإطراء.

ثواب: جزاء حسن وعطاء.

ثوبان: رجوع المذنب إلى الله، وهو رجوع العافية، وهو زيادة المال، وثوبان اسم مولى رسول الله ﷺ.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

ثريا: نجم بعيد في السماء، أو مجموعة من الكواكب، وهي تشكيلة مصابيح للإضاءة تعرف باسم «النجفة»، ويقال: شتان ما بين الثرى والثريا أي: بين السماء والأرض.

ثعلة: أنثى الثعلب.

ثعيلة: تصغير ثعلة.

ثويبة: تصغير ثوبة- أي: الثواب والجزاء- وهو اسم جارية أبي لهب مرضعة النبي ﷺ.

ثورة: هي الطفرة، وهي الوثوب على الحاكم للإطاحة به، وهي الهيجان ورفض الظلم.



أسماء تبدأ بحرف الجيم

(١) أسماء الذكور

جائي: اسم الفاعل من «جاء» وهو الآتي القادم.

جابر: هو الذي يصلح كسور العظام، وهو الخبز، وأشهر من تسمى به من صحابة رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله بن حرام، وجابر بن عبد الله بن رثاب.

جاحظ: من جحظت حدقة عينه- أي: برزت- وأشهر من تسمى به عدو الله المعتزلي الأديب: الجاحظ عمرو بن بحر.

جاد: هو الرزين البعيد عن الهزل والمزاح، المجتهد.

جار: المغيث، المجير.

جارم: هو الكاسب.

جاسر: من الجسارة وهي الشجاعة.

جاسم: جَسم الشيء أي: عظم، يقال: الخطب جسيم.

جامح: هو المتمرد الذي لا يستطيع أحد الإمساك به.

جبر: هو الشجاع، الملك، العلم المعروف، الكِبْر.

جبريل: هو روح الله الأمين المتنزل بالقرآن، وهو من رؤساء الملائكة، وقد كرهت التسمية به كما سبق.

جبل: هو ما ارتفع عن الأرض وهو سيد القوم وهو العالم والغليظ.

جبلَّة: خِلقة وفطرة.

جحجاح: السيد الكريم.

جحاف: كثير الأكل للثريد- وهو سيد الطعام- وكثير الضرب بالسيف.

جد: هو والد الأب، أو والد الأم، وكان من المنافقين على عهد النبي ﷺ «جد ابن قيس».

جدعان: مقطوع الأنف، واشتهر به في الجاهلية «عبد الله بن جدعان».

جراح: الطبيب المعالج للجروح، وأشهر من تسمى به وكيع بن جراح شيخ من شيوخ الشافعي، وأحد أئمة السلف.

جرموز: هو الذئب الصغير يقال للذكر منه- والبئر- البيت الصغير وقاتل الزبير بن العوام رضي الله عنه هو ابن جرموز عليه من الله ما يستحقه.

جسور: شجاع- مقدام- طويل ضخم.

جعجاع: أرض المعركة، الكثير الكلام، المناخ السيء.

جعجع: الجمل اشتد هديره، والرجل كثير الكلام.

جعد: المستدير قليل اللحم، والبخيل اللئيم، لئيم الحسب، وكنية الذئب «أبو جعدة»، وأشهر من تسمى به «الجعد بن درهم» عدو الله القائل بالقدر.

جعفر: النهر الممتلئ بالماء.

جعران: هو الجُعْل، وهي حشرة سوداء من نوع الخنافس عرفها المصريون القدماء، وجعلوها تمائم وحُلي، وهو الأسود الدميم.

جعفر: النهر- الناقة غزيرة اللبن وأشهر من تسمى به: الشهيد الطيار جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ.

جعل: انظر جُعْران.

جُعَيل: تصغير جُعل.

جلال: كثير الوقار والرزانة، كثير الخبرة.

جلجل: الأمر العظيم- الفلاح خفيف الروح، وما يتجلجل في النفس.

جلف: غليظ جافي، وتقال للأعراب الأجلاف.

جليل: شيخ كبير السن.

جمال: بهاء وحسن، وهو اسم مشترك.

جمعة: اليوم المعلوم، ويقال له: الزهراء الحسنة بين الأيام، ومن معناه: الألفة.

جندي: هو الواحد من العسكر، وهو العون والنصير.

جنيد: تصغير جندي، وانظر السابق، وهو الأرض الغليظة، وأشهر من تسمى به تاج العارفين: الجنيد، كما كان يسميه ابن تيمية رحمه الله.

جهاد: اسم مشترك معناه لغة: ما يبذله المرء من قول وعمل مما كان في وسعه. وفي الشريعة: القتال والكفاح.

جهبذ: والجهباذ هو النقاد بالأمور.

جهجاه: هو البطل ورجل يكون في آخر الزمان «الجهجاه» أحد بني قحطان- كما في حديث مسلم- يسوق الناس بعصاه.

جهير: عالي الصوت.

جهم: غليظ الوجه، عابس، وهو الأسد، ومن الصحابة: أبو الجهم.

جوّاد: السخي الكريم، والنجيب من الخيل.

جودت: اسم تركي معرب، مأخوذ من الجَوْدة والجود.

جودة: من الكرم.

جولان: معناه التراب الذي تجول به الريح على وجه الأرض.

جون: الخليج الصغير.

جوهر: حجر كريم، وهواللُّب وطبيعة الشيء.

جوهري- جواهري: نسبة إلى الجوهر، وهو من يعمل بالجواهر.

جيد: معطاء كريم.

جويد- جويدة: تصغير جيد.

جيّاش: متحرك مضطرب.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

جائشة: النفس والروح.

جاذبية: هي من تجتذب الأنظار أي: تشدها إليها.

جارة: مغيثة، مجيرة.

جارية: فتاة صغيرة، سفينة، شمس.

جازية: معطية، مجازية على العمل أي: محاسبة.

جبيرة: ما يجبر به العظم المكسور، وهي عيدان جمعها «جبائر».

جحلاء: الناقة العظيمة.

جدعاء: مقطوعة الأذن.

جداعة: مقطوعة الأذنين والأنف.

جديلة: هي الضفيرة، العزيمة، الناحية، الجهة والجمع «جدائل».

جذامة: الباقي بعد جداد الزرع.

جذوة: حجرة ملتهبة.

جرأة: الإقدام والشجاعة.

جزية: خراج الأرض.

جزيمة: قاطعة، باترة، من الجزم.

جالا: الرحيل عن الأرض وتركها، الانكشاف، الكُحْل.

جلباء: تركي ومعناه: زهر الرمان.

جلبهار: فارسي الأصل ومعناه: زهر الربيع.

جمالات: تركي معناه «جمال» وانظر «جمال».

جمانة: فارسي معرب بمعنى: اللؤلؤة الصغيرة.

جميلة: حسنة الصورة، ذات حسن وبهاء، وهو من الأسـماء التي سمى بها النبي ﷺ كما ذكرنا في أول الكتاب.

جنة: الفردوس، الحديقة ذات الشجر والنخل.

جنينة: تصغير جنة.

جهاد: انظر «جهاد» في الذكور.

جهيرة: انظر جهير.

جواهر: جمع «جوهر» وجوهرة».

جوَيرية: الفتية القوية من النساء، وهي أم المؤمنين جويرية بنت الحارث.

جيدار: طويلة العنق.

جبيرة: ماء المسافر.

جيلان: طواف واختيار وسطوع.

جيلم: القمر.

جيهان: فارسي يعني الدنيا أو العالم.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الحاء

(١) أسماء الذكور

حاتم: هو القاضي، واشتهر في الجاهلية بكرمه «حاتم الطائي».

حارث: راعٍ، وهو المكلف برعاية وحفظ الشيء، وقيل: هو مَن يحرث الأرض، واشتهر بهذا الاسم الحارث المحاسبي.

حارس: راعي، أو مكلف برعاية الشيء وحفظه من الحراسة.

حازم: ذو الحزم والهمة.

حاشد: هو المستعد المتأهب دائمًا، الجامع للناس.

حافظ: هو الواعي، الحارس الطريق، الواضح المستقيم.

حافي: هو من سار بلا حذاء، واشتهر به «بشر الحافي».

حاكم: هو من يحكم بين الناس، وهو أحد درجات أئمة الحديث.

حالم: من يعيش أسيرًا لأحلام اليقظة، وهو المحلق في سماء الخيال دائمًا.

حامد: المعطر لسانه بكلمات الثناء، والاعتراف بالفضل لأصحابه، وهو الشاكر لربه، وهو المستحسن للشيء، وهو اسم مؤلف الكتاب.

حبيب: عزيز، المحبوب الذي له مكان في القلب.

حتاتة: ما تناثر من كل شيء.

حجاب: الستر، الحاجز، الحرز من الشيء.

حجّاج: كثير الحج، وكل قصد يسمى حجًا، وخُصّ في الشريعة بالأيام المعلومات وبالأركان المعلومة، وهو أحد أركان الإسلام.

حجازي: نسبة إلى الحجاز، وهي الأرض الطيبة المعروفة، ونسبة إلى الحاجز، وإلى الحزام.

حجي: المستحق الجدير.

حداد: صانع الحديد، البواب، السَّجان، البحر.

حُذيفة: تصغير حذفة، طائر شبيه بالأوز، المقطوع، واشتهر من الصحابة: حذيفة ابن اليمان، وحذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنهما.

حذَّاء: صانع الأحذية، ومنَ المحدثين: خالد الحذَّاء.

حرب: ضد السلم، الشجاع.

حربي: نسبة إلى الحرب، انظر السابق، واشتهر من المحدثين بهذا الاسم: إبراهيم الحربي.

حريري: منسوب إلى الحرير، فهو صانع أو بائع الحرير.

حزم: هو من كان ضابطًا لأموره كلها آخذًا فيها بالثقة.

حسام: هو السيف القاطع.

حسَّان: هو شديد الحسن والبهاء، واشتهر به «حسَّان بن ثابت» شاعر رسول الله ﷺ.

حسن: كل جميل فهو حسن، وكل بهي فهو حسن، وهو اسم السيد سبط رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما.

حُسنى: اللطف، المعاملة الحسنة، العاقبة الحسنة.

حسُّونة: طائر صغير حسن الصوت.

حسيب: ذو الحسب، المحاسب، الكافي، المعطي بما يكفي.

حسين: الشديد الحسن كثيره، وهو اسم سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنهما.

حسنين: من الأسماء المثناة «مثنى: حسن».

حشمت: الحشمة وهي الحياء، الشمم والأنفة، الغضب، وقد أضاف الأتراك التاء الأخيرة.

حصيف: ذكي، جيد الرأي.

حطاب: جامع الحطب أو بائعه.

حطام: الأسد.

حطوم: هو الأسد.

حفص: الشبل من الأُسود، البيت الصغير، وهي كنية عمر رضي الله عنه كناه بها رسول الله ﷺ.

حفني: منسوب إلى الحفنة، وهي ملء الكف أو الكفين من الشيء.

حقي: رجل الحق والقانون.

حكمت: اسم مشترك، وأصلها حكمة، وحرَّفها الأتراك إلى تاء مفتوحة، وأصلها: عدل وحلم.

حكيم: عاقل، رزين، واعٍ، واشتهرت بالاسم «أم حكيم» الصحابية زوج عكرمة ابن أبي جهل.

حلمي: أصلها «الحلم»، وهو الوقار والرزانة، والعقل، والسماحة، والحكمة، وزاد الأتراك فيها ياءً.

حمَّاد: كثير الحمد، ومنهم حماد الراوية.

حماس: شديد الحماس، المحاربة، المنع.

حمام: طائر معروف، ويرمز به إلى سلام، والواحدة «حمامة».

حمد: الثناء والشكر.

حمدان: كثير الحمد والثناء والشكر.

حمدي: نسبة إلى الحمد.

حمدون: هي من الصيغ المغربية في زيادة الواو والنون في آخر الصفة.

حمزة: الأسد، وهي بقلة حريفة لاذعة، وكانت كنية أنس بن مالك رضي الله عنه «أبو حمزة»، واشتهر به «حمزة بن عبد المطلب» عم رسول الله ﷺ وأسد اللهِ ورسولِه.

حمودة: انظر حماد.

حنبل: البحر، الغزو، وهناك الإمام أحمد بن حنبل وولده حنبل.

حنظل- حنظلة: الحنظل نبات مُر الثمر يشبه البطيخ الصغير وثمرته الحنظلة.

حنفي: نسبة إلى المذهب الحنفي.

حنيفة: موحدة بالله، مائلة عن الكفر، وتكنى به «أبو حنيفة» النعمان صاحب المذهب الحنفي.

حنيف: مخلص لإسلامه ثابت عليه، مائل عن الباطل المتابع للملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام.

حُنين: اسم موضع، وغزوة للنبي ﷺ.

حوَّاس: من «حواس» بالتخفيف، ومعناها أجهزة الإنسان التي تمنحه الحس؛ كالسمع والبصر، وهم خمسة.

حوت: هو الحيوان المائي، وهو السمكة الكبيرة.

حيدر- حيدرة: الأسد.

حيي: ذو الحياء المحتشم.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

حافظة: الذاكرة، حقيبة الأوراق، حارسة واعية، وانظر حافظ.

حبيبة: هي المحبوبة، واشتهرت بالاسم «أم حبيبة» أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ.

حتاتة- حتة: انظر الذكور.

حَسنة: ضد المعصية، وهي العطاء من عند الله، وهي الجمال.

حُسنة: مؤنث حُسن، وهو الجمال والبهاء.

حسناء: جميلة فاتنة.

حسنية: انظر حسني.

حسيبة: انظر حسيب.

حسينة: انظر حسين.

حصيفة: جيدة الرأي، ذات عقل وحكمة.

حصناء: عفيفة، حصنت نفسها، وأحصنت فرجها.

حفصة: مؤنث حفص، واشتهرت به أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب زوجة رسول الله ﷺ.

حفيظة: موكلة بالشيء، ما ينبغي أن يحافظ عليه، غضب، فيقال: أثار حفيظتي.

حكمت: انظره في باب الذكور.

حكيمة: واعية، رزينة، ذات حكمة.

حلا: طاب، لذّ، صار حُلْوًا.

حلاوة: اسم مشترك بمعنى جمال وحسن الطعم، اللذيذ.

حليمة: مسامحة، رزينة، حكيمة، وهو اسم مرضعة رسول الله ﷺ «حليمة السعدية».

حلمية: عاقلة، ومسامحة، ومتزنة.

حمدية: انظر حمدي.

حمسار: شجاعة.

حميدة: محمودة السير والأخلاق، كثيرة الحمد والشكر.

حنان: الرحمة، رقة القلب، العطف الشفقة، البركة الرزق، الوقار.

حنيفة: موحدة بالله تعالى.

حنين: شوق، وهو صوت الطرب، وهو شدة توقان النفس وشدة الشوق.

حواء: هي أم البشر وزوج آدم عليه السلام، وهي من «الحُوّة»، السمرة وهي صفة مستحبة لدى القدماء.

حور- حورية- حوراء: جميلة كاملة الصفات، ووعد الله المؤمنين في الجنة بـ«الحور العين» ليكن أزواجهم.

حية: بقاء، دينار، عيش، ضد الموت.

أسماء تبدأ بحرف الخاء

(١) أسماء الذكور

خاتم: الآخر، العاقبة، نوع من الحلي يُلبس.

خادر: الأسد.

خاشع: الراكع القانت لله.

خاطر: بالٌ وفكر، هاجس، قلب، نفس.

خالد: باق، أبدي، سرمدي.

خباء: خيمة، منزل، أغطية الأزهار وأغلفتها.

خباز: هو صانع الخبز.

خبور: الأسد.

خبوش: الأسد.

خثعم: الأسد.

خزاعة: القطعة من الشيء، وهو اسم قبيلة كانت حول البيت الحرام قبل قريش.

خزاعي: نسبة إلى خزاعة، وهو المتأخر عن أصدقائه.

حزم: القاطع البتَّار من السيوف، ومن الرجال هو الأَرْيَحي «الجواد».

خزام: نبات ذو رائحة طيبة.

خزرج: الريح الباردة، وهو اسم من أسماء الأسد، واسم القبيلة الثانية من قبيلتي الأنصار، والأولى هي: الأوس.

خزعل: الضبع.

خشبة: هي واحدة الخشب، وفيه دلالة على الصلابة والقوة.

خضر- خُضير: الكثير الخضرة، الغصن، الزرع، وهو اسم نبي الله العبد الصالح سمي بذلك كما في الحديث عند البخاري، لأنه جلس على فروة فإذا بها تهتز من

ورائه خضراء.

خطَّاب: كثير الخطاب، وكثير الحديث اللبق، ومنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

خطاط: هو من يجيد الكتابة بخط حسن.

خطيب: هو المتحدث اللبق المتقدم لخطبة امرأة، واشتهر به الخطيب البغدادي.

خفاجة: كبرياء واعتزاز، وبه تسمى «ابن خفاجة» شاعر الأندلس.

خلدون: من الخلود والبقاء، البدل، وهو من زيادات المغاربة للواو والنون في الألقاب والصفات، واشتهر به المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله.

خلف: ما استخلف من الشيء.

خليفة: من يقوم مقام غيره، وهو عند المسلمين منصب سياسي ديني يجمع بين حراسة الشرع وسياسة الدنيا.

خليل: صديق، ناصح، سيف، رُمْح.

خميس: جيش، يوم من أيام الأسبوع، الخمس.

خنافس: الأسد.

خوجة: لقب تركي يعني المعلم.

خورشيد: اسم تركي مركب من جزئين أوله خور: يعني مصب الماء في البحر، وشيد: اسم مكان، وقيل: إنه عربي.

خولي: القائم بأمر الناس، من يحسن رعاية الأرض والماشية.

خيّام: صانع الخيام وبائعها وساكنها.

خير: هو أفضل كل شيء، وعكسه الشر.

خيري: منسوب إلى الخير وفيه كل الخصال الكريمة.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

خاتون: تركي معناه: السيدة عريقة الأصل.

خالدة: انظر خالد.

خديجة: مولودة قبل تمام أشهر الحمل، وهو اسم أم المؤمنين وزيرة الصدق أولى المؤمنات خديجة بنت خُوَيْلد رضي الله عنها.

خلود: البقاء، الديمومة.

خنساء: البقرة الوحشية ذات الأنف المرتفع الأرنبة، أي: المقدمة، وهو اسم للشاعرة المشهورة برثاء أخيها صخر في الجاهلية المحتسبة أولادها إذ استشهدوا في الفتوحات، وهي «الخنساء» واسمها: تماضر بنت عمرو.

خواطر: جمع «خاطر» وهو البال، الفكر والقلب.

خُوخة: واحدة من فاكهة الخوخ.

خَوْخَة: فتحة في الجدار.

خولة: الغزالة، واشتهر به «خولة بنت ثعلبة» التي نزلت فيها آيات سورة المجادلة.

خيرية: الجودة، الأفضل.

خيزران: اسم نوع من الشجر أو الخشب، وهو اسم لأم هارون الرشيد.



أسماء تبدأ بحرف الدال

(١) أسماء الذكور

داخل: عكس الخارج، باطن الأمر، النية.

داود: اسم نبي الله والد سليمان عليهما السلام.

دراز: المتمتع بنعيم الدنيا ولذاتها.

درباس: السد، الكلب العقور.

درويش: الزاهد العابد، الفقير الراهب.

دُريد: تصغير أدرد، وهو الذي سقطت أسنانه.

دعبل: هو بيض الضفدع، الناقة القوية، وسمي به الرافضي دعبل الخزاعي.

دوسر: من أسماء الأسد.

دياب: أصله ذئاب، وتحول إلى «دال» وخففت همزته، وهو جمع «ذئب» وهو الحيوان المعروف.

ديّار: صاحب الدار وساكنها.

ديّاب: قاضي، محاسب.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

دارة: الهالة حول القمر، وهي الدائرة المنيرة حوله.

داليا- دالية: اسم شجرة العنب، أو الكرمة.

درداء: المرأة التي سقطت أسنانها، وهي ابنة الصحابي الجليل عويمر العجلاني، وهو «أبو الدرداء» الأنصاري رضي الله عنه.

دُرَّة: لؤلؤة ثمينة.

دُرية: لؤلؤة ثمينة، أو منيرة مضيئة.

دعاء: ابتهال إلى الله، رجاء خير، تضرع إلى الله.

دلال: التدلل.

دليلة: مرشدة وهادية إلى الشيء، وهي الطريق الواضحة.

دنانير: جمع «دينار» وهو كلمة قديمة وأصله لاتيني.

دنيا: حياة، عكس الآخرة.

دينار: انظر «دنانير».

دنية: طاعة، اللين من المطر، قرض مؤجل.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الذال

(١) أسماء الذكور

ذئب: الحيوان المفترس المعروف.

ذؤيب: تصغير ذئب.

ذؤابة: أعلى كل شيء والجمع «ذوائب».

ذايد: حامي، والأصل فيها مهموز «ذائد» فسهلت الهمزة حتى صارت «ذايد» بالياء.

ذُبيان: نسبة إلى العطش والذبول.

ذرب: حدة في اللسان، حدة في السيف.

ذكرى: التذكر، العبرة والتفطن للشيء، نسبة إلى الذكرى والتذكر.

ذكي: ألمعي، ذو فطنة جيدة.

ذهب: معدن ثمين.

ذهلول: الرجل السخي الكريم الجواد.

ذهليل: الغافل.

ذو النون: هو يونس عليه السلام، والنون: الحوت، فهو صاحب الحوت.

ذو النورين: عثمان بن عفان رضي الله عنه سمي بذلك لزواجه بابنة رسول الله ﷺ رقية رضي الله عنها فلما توفيت تزوج بـ«أم كلثوم»، ولا يعرف أحد غيره أرخى سترًا على ابنتي نبي.

ذياد: من الذود، وهو الدفاع والدفع.

ذيبان: أي: ذئبان، وخففت الهمزة.

☆ ☆ ☆

(٢) أسماء الإناث

ذكرى: التذكر، الفطنة للشيء.

ذكية: هي الفطنة، فوّاحة الرائحة الطيبة، فيقال: رائحة ذكية، وهي ما يلقى في النار ليزداد اشتعالها.

ذهبية: نسبة إلى الذهب، وهو المعدن الثمين.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الراء

(١) أسماء الذكور

رائد: الطليعة، الرسول، الباحث عن العشب والماء.

رائس: أول السحاب، الوالي، الرئيس.

رائف: من الرأفة، وهو الرءوف، شديد الرحمة، رحيم.

رابح: ذو ربح وذو كسب.

راتب: الأجر الذي يعطى بصفة دائمة قد رُتب للموظف، الدائم المستمر.

راجح: رزين، دمث الأخلاق.

راجي: هو الآمل، الراغب، وأضاف الأتراك لها الياء.

رازي: قابل البر، ونسبة إلى الري، وينسب لها الفخر الرازي.

راسم: الماء الجاري الذي يرسم.

راشد: مهدي، مستقيم، بالغ الرشد.

راضي: قابل بما يعطى له، قانع.

راعي: هو الذي يقوم برعاية الماشية، الملاحظ، الرئيس، المسئول.

راغد: من يعيش في رغد، أي: سعة وهناءة من العيش.

راقي: سامي، عالي، متكور، يعمل الرقية.

راكد: عكس جاري، أي: واقف.

راكض: من الركض، وهو الجري.

رامز: مشير، من أهل الشورى.

رامي: كوكب، وهو الذي يرمي.

رأفت: من الرحمة والعطف، وأصله «رأفة».

راهب: المتعبد، وهو الأسد.

راوي: حامل الحديث وناقله، المتحدث بالشعر.

رباب: السحاب الأبيض، وهو اسم مغلب على الذكور.

رباح: المكسب، الخمر، وهو من الأسماء المنهي عنها.

ربيب: ملك، معاهد.

ربيع: فصل نمو النبات وازدهاره.

ربيعة: حجر تمتحن القوة برفعه، خوذة الحرب، الروضة، القربة الكبيرة لحفظ الماء، واشتهر به «ربيعة الرأي».

رجاء: اسم مشترك معناه آمل ومطلب.

رجب: شهر الله المحرم، ومعناه الحياء، التعظيم، وهو السابع بين ترتيب الأشهر الهجرية.

رحيب: واسع.

رحمي: نسبة إلى الرحمة، وهي الشفقة والخير، والعطف والنعمة.

رزق: خير، منفعة، راتب الجندي.

رزين: وقور، أصيل الرأي، ثابت ساكن.

رستم: كلمة فارسية تعني الشجاع أو البطل.

رسمي: قانوني، ما يعتد به، الياء هنا للنسبة أو هي من زيادات الأتراك.

رشاد: الرشد، الهدى، نبات معروف، الاستقامة.

رشدان: لفظ مثنى، ومعناه الهداية والاستقامة.

رشدي: أصلها رشدٌ، وهو الاستقامة، والياء من زيادات الأتراك.

رشوان: ممتد الأغصان، خيوط النبات إذا امتدت وطالت.

رشيد: مهتدٍ، مستقيم على طريق الحق.

رضا: اسم مشترك، معناه القناعة والقبول، وضده السخط.

رضوان: اسم الملك الذي خلقه الله ليكون خازن الجنة، وهو القبول والقناعة.

رعد: صوت السحاب عند البرق، وصوت الرعد: هزيم.

رفاعة: شدة الصوت وارتفاعه.

رفعت: هو الرفعة وعلو الشأن والشرف، والتاء من إضافات الأتراك.

رفقي: هو اللطيف، اللين، وأصلها رفق، والياء للنسبة أو هي من زيادات الأتراك.

رفيع: عال القدر والشأن، الشريف.

رقيب: الحارس، الحافظ، المنتظر، ابن العم، درجة عسكرية دون الضابط وتعني وجود ثلاثة شرائط على الكتف، ويسمى «الشاويش».

رمّاح: صانع الرماح، حامل الرمح.

رمزي: من الرمزية وهو الإيجار، الإشارة، الدلالة على شيء.

رمضان: الشهر التاسع من أشهر السنة الهجرية؛ سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي: يحرقها، وسمي في الجاهلية بهذا لأنه كان يأتي قديمًا في زمن الحر فاشتق من الرمضاء، وهي الرمل الحامي من حر الشمس، وبقي هذا الاسم مصاحبًا له في كل زمان، وهو مأخوذ من: رمض الصائم: إذا حرَّ جوفه من شدة العطش.

رومي: نسبة إلى الروم.

رياض: جمع «روضة» وهي الجنة وفيها سعادة العين والحواس.

ريحان: كل نبات طيب الرائحة، النعناع، الرزق، الرحمة.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

رائدة: الصخرة، وهي اللينة من الرياح.

رائسة- رتبة: الزعيمة الحاكمة.

رابحة: ذات ربح.

راجية: آملة، راغبة.

راضية: قانعة، موافقة، قابلة دون سخط.

راقية: عالية المقام، سامية، صانعة الرقية.

رامية: انظر رامي.

راوية: انظر «راوي»، وهي التي تسقي القوم أيضًا.

رباب: السحاب الأبيض.

رتيبة: مرتبة، دائمة، ثابتةَ على وتيرة واحدة.

رجاء: أمل ومطلب، وهو اسم مشترك.

رحاب: جمع «رحب» و«رحبة» أو هي الأرض الواسعة الفسيحة، مسيل الماء من جانبي الوادي، ساحة الدار.

رحبة: الأرض الواسعة، ساحة الدار، الفجوة بين البيوت.

رحمة: الرقة والإشفاق، اللطف، الغفران.

رحيق: الصافي الخالص من الطيب والمسك، الخمر، الطيب.

رحيل: هجرة وانتقال وسفر.

رزان: امرأة عاقلة محتشمة عفيفة وقورة.

رسمية: قانونية.

رشا: ولد الغزالة، وقد تكون «رشأ» وسهلت الهمزة.

رشادة: الصخرة.

رشوانة: ممتدة الأغصان.

رشيدة: عاقلة مهتدية.

رضا: قناعة، قبول.

رضاب: قطعة الثلج، رغوة العسل، قطعة السكر، ريق.

رضوى: نسبة إلى جبل «رضوى» بالمدينة والمعنى: قناعة.

رضية: محبة، راضية، ترضي غيرها.

رغدة: هانئة العيش، صفة للحياة الناعمة.

رفاء: الاتفاق والانسجام.

رفيعة: عالية المقام، الشريفة.

رفيقة: رحيمة، مرافقة، صاحبة، زوجة.

رقية: حجاب وتعويذة، وهي ابنة رسول الله ﷺ

رمانة: واحدة من شجرة الرمان.

رمزية: مذهب أدبي، إيجار.

رنين: التطريب من جرس ونحوه، الإصفار.

رنا: إدامة النظر مع سكون الطرف، الطرب والجب والانشغال قلبًا وبصرًا.

رناء: مُديم أو مديمة النظر، شجر طيب الرائحة.

رندا- رندة: الحبّة من حب الرند.

رهام: ما لا يصاد من الطيور، العدد الكثير.

رواء: حسن المنظر، ماء الوجه.

روائح- روايح: الأمطار والسحب المائية، عطور.

رومية: نسبة إلى الروم، وهي أيضًا «رومية» عاصمة الصليب.

رويدا- رويدت: المهل، الرفق.

ريا: الرائحة الطيبة.

ريّان: اسم مشترك، ضد العطشان، وهو الغصن الأخضر من أغصان الشجر.

ريحانة: واحدة الريحان، ومنه ريحانة بنت شمعون سرية النبي ﷺ

ريم: الغزال الخالص الأبيض.

رنيم: غناء وتطريب بتحريك الصوت.

رهيفة: رقيقة لطيفة، مرهفة الإحساس.

رونق: صفاء، حسن، لمعان، بريق.

روحية: نسبة إلى الروح، وهو ما به حياة.

ريادة: زعامة ورئاسة.

أسماء تبدأ بحرف الزاي

(١) أسماء الذكور

زائر: الضيف الذي يزور، الأسد الذي يزأر.

زابر: ناهٍ أو زاجر.

زاجر: انظر السابق.

زاخر: ملآن، كريم، فرحان، شرف عالٍ.

زاهد: تارك للدنيا راغب بالعبادة.

زاهر: مشرق حسن الوجه.

زاهي: جميل مشرق.

زبير: شيء مكتوب، رحل ظريف، شديد قويٌّ من الرجال.

زبيد: تصغير زبد: وهو العطاء، وهو ما يستخرج من اللبن بالمخضة.

زجال: الرامي، شاعر الزجل وهو شعر العامية، الحمام الزاجل.

زحل: كوكب هو السادس في ترتيب المجموعة الشمسية وأعظمها وأبعدها، ومعناه الذي يبعد عن العمل حسنًا أو قبيحًا.

زعيم: الرئيس، السيد، الكفيل، الضامن.

زغلول: السريع الخفيف من الناس، فرخ الحمام، الطفل، نوع من البلح ينبت في مصر.

زفر: الأسد، الشجاع، السيد، الكريم، البحر، النهر كثير الماء، القوي على حمل «الأزفار» وهي الأحمال.

زكي: الصالح المُزَكَّى، الخير، الفاضل، الطاهر من الأخطاء والذنوب.

زلزال: الهزة الأرضية الشديدة.

زمرد: حجر كريم شديد الخضرة شفاف.

زمزم: اسم مشترك بين الرجال والنساء ونسبته إلى «زمزم» البئر المباركة، سُقيا إسماعيل عليه السلام التي ضربها جبريل عليه السلام بجناحه، ومعناها: الماء الوفير.

زئير: الأسد.

زهدي: نسبة إلى الزهد، والياء من زيادات الأتراك.

زهر: هو الأبيض المشرق، وهو زهر النبات.

زهران: انظر السابق، والألف والنون من زيادات الأتراك، وهو مثنى زهير.

زهيد: كثير التعبد، البعيد عن الدنيا.

زيّات: عاصر الزيت أو بائعه.

زياد: الزيادة، النمو.

زيّاف: الأسد، المتبختر.

زيّان: الزيادة والكثرة في الزينة.

زير: هو من يحب النساء وزيارتهن ومجالستهن، الكتان، العادة.

زين: كل ما يزين ويجمل، رفعة الشأن، حسن الخصال، وهو اسم مشترك، ومنها زين العابدين، وزين الدين، أي: جمال العابدين، وجمال الدين.

زبيد: تصغير زبد، وهو العطاء.

زكريا: نبي الله الكافل لمريم، وتنطق «زكرياء» بالمد والقصر.

زيدان: مصدر زاد أي: نما، ومثنى زيد.

زيدون: الواو والنون زيادة مغربية كخلدون وحفصون، وانظر السابق، واشتهر به «ابن زيدون الشاعر».

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

زائرة- زاخرة- زاهدة- زاهرة- زاهية: انظر «زائر، زاخر، زاهد، زاهر، زاهي».

زبدة: القطعة من الزبد.

زبرجدة: واحدة الزبرجد، وهو حجر كريم يشبه الزمرد ذو ألوان أجودها الأخضر المصري.

زبيبة: واحدة الزبيب، وهو العنب المجفف.

زبيدة: تصغير زبدة، وهي ما يستخرج من اللبن بالمخضة، والسهلة اللينة، والخلاصة، والفائدة.

زرقاء: السماء، الخمر، وأشهر من تسمى به «زرقاء اليمامة».

زكية: لبيبة عاقلة، طاهرة مطهرة، صالحة، فاضلة، طاهرة.

زمردة: حجر كريم شديد الخضرة شفاف.

زمزم: انظره في باب الذكور.

زنبقة: واحدة الزنبق، وهو نبات له زهر جميل طيب الرائحة.

زهرة: كوكب سيار من المجموعة الشمسية، ومعناه درة، وأخوال رسول الله ﷺ «بنو زهرة».

زهرة: بيضاء مشرقة، صافية اللون.

زهور: ورود.

زهيدة: انظر زهيد.

زيزفون: شجر له زهر أبيض طيب الرائحة، السريعة من النوق «جمع ناقة».

زيمة: قطيع من الجمال بين الاثنين والخمسة عشر.

زينب: شجر حسن المنظر طيب الرائحة.

زينة: ما يتزين به المرء ويتحلى.

زلابية :حلوى تصنع من العجين، وتُقْلى في الزيت، وتوضع بعدُ في العسل.

زليخة :متقدمـة في شأنها، وينسب إلى هذا الاسم امرأة عزيز مـصر التي أكرمت مثوى يوسف عليه السلام وراودته عن نفسه.

زهراء :مشرقة الوجه، صافية اللون، نيرة، مضيئة، قمر، يوم الجمعة، وهو لقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ

زينات :جمع «زينة» وهو نوع من الزهر جميل، وأوراقه أنيقة.



أسماء تبدأ بحرف السين

(1) أسماء الذكور

سائح- سايح: هو الصائم، وهو الضارب في الأرض يسبح فيها.

سائد: هو السيد الغالب في السيادة، الشريف العظيم، السابق.

سائغ: هنيء، سهل.

ساجي: الهادئ الساكن، الفاتر من الجفون.

ساعي: عامل مُجد، والٍ، رسول.

ساقي: من يسقي غيره ماءً أو شرابًا.

سالم: صالح، بريء من كل عيب، معافى، خالٍ من كل آفة.

سامح: كريم، جواد، لين كثير العفو.

سامر: ساهر الليل يتحدث إلى غيره ببراعة.

سامي: العالي الشريف.

ساهر: من لا ينام ليلاً، فيظل مستيقظًا.

سباعي: ما كان ذو سبعة أركان، المولود له سبعة أشهر، جمل عظيم تام البدن.

سبع: حيوان مفترس، ويطلق أكثر ما يطلق على الأسود.

سحاب: اسم مشترك بين الرجال والنساء، وهو الغيم.

سراج: مصباح، قنديل، فانوس، ضوء.

سرحان: الذئب، الأسد، غافل، وسط الحوض.

سرور: فرح، بهجة، أطراف الرياحين، طائر الحبور.

سعد: اليُمن والبركة، ومنه سعد الله الموفق المسعود بأمر الله.

سعدون: صيغة مغربية لـ«سعد» وقيل: تصغير سعيد وسعاد.

سعدي: منسوب إلى بني سعد، أو ياء متكلم فأقول: «سعدي أنا» أو هي ياء

الأتراك الزائدة.

سعود: عشرة كواكب، يمن وبركة.

سعيد: ذو سعادة، مبتهج فرحان.

سفيان: صانع السفن، أو من هبوب الريح على وجه الأرض، أو من السفانة أي: صانع السفن.

سقيف: السقف.

سكر: اسم مشترك، والمعنى مادة بيضاء حلوة الطعم.

سلاف: أفضل الخمر، خلاصة الشيء، أول العصر.

سلامة: براءة من العيوب والآفات.

سلطان: الملك، القدرة، التسلط، الحجة.

سلمة: اسم مشترك لنوع من الشجر ينمو في البلاد الحارة، ومنه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه من الصحابة.

سلمان: بريء من العيوب والآفات، وأشهر من تسمى به: سلمان الفارسي.

سليم: صحيح، ملدوغ «من الأضداد»، أو خالٍ من كل آفة.

سماحة: الجود، والكرم، السهولة، لقب للعالم فيقال: سماحة الشيخ فلان.

سميح: مسامح، مصافح، كريم، جواد.

سمارة: اسم مشترك، وهو اللبن الممزوج بالماء، وهو لصاحب أو صاحبة البشرة السمراء.

سمسم: الحب المشهور الذي يستخرج منه الزيت.

سمير: المجالس في الليل، الدهر.

سمعة: صيت، ذكر، وعظ وقول جميل.

سناء: اسم مشترك، يعني الضياء والإشراق، نور القمر، الرفقة والصد.

سنابل: اسم مشترك، يعني الجزء الأعلى الذي يحتوي على الحب من القمح أو شقة.

سنبل: واحد السنابل.

سند: معين، مساعد، ما يستند إليه، وثيقة.

سهل: أرض مستوية مسطحة واسعة، لطيف وديع، ومن الصحابة: سهل بن سعد رضي الله عنه.

سهم: نبلة.

سُهيل: اسم نجم جميل يطلع على العرب في أواخر الحر.

سويدان: من السويداء، وهي حبة القلب ومهجته.

سياب: البلح الأخضر، الفج «الطريق».

سياف: من يضرب بالسيف، الجلاد.

سيسبان: شجر جميل ينبت ويطول في الصيف، وهو حسن المنظر.

سيِّد: مقدم، رئيس، شريف، لقب لكل رجل.

سيف: هو السلاح ذو حد قاطع يعلق من الكتف إلى الجانب الآخر ويضرب باليد، ومنه: سيف الله خالد بن الوليد، سيف الدين، سيف الإسلام، وسيف النصر، وهي أسماء كرهها بعض العلماء كما في أول الكتاب.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

سائحة- سائدة- سائغة: انظر «سائح، سائد، سائغ».

سارة: أصلها «سأرة»، وهي بقية الشراب في الإناء أو أصلها «سارّة» وهي المفرحة السعيدة، وهو اسم زوجة إبراهيم عليه السلام.

ساعية- ساقية: انظر ساعي، ساقي.

سالمة: انظر سالم.

سامية: عالية، مرتفعة بأخلاقها وآدابها وأفعالها.

ساهرة: أرض الحشر، عين جارية، قمر، ينبوع، أرض بيضاء منبسطة.

سحاب: الغيم.

سَحَر: آخر الليل، قُبيل الفجر، طرف كل شيء.

سعاد: اليُمن والبركة والخير.

سعدانة: الحمامة.

سُعدى: من السعادة، وهي اليمن والبركة.

سعدية: مؤنث «سعد».

سقيفة: الشرفة، لوح السفينة، المسكوكة الرفيعة والطويلة من القصة.

سُكينة: المرأة خفيفة الروح، وهو اسم بنت الحسين سكينة رحمها الله ورضي الله عن أبيها.

سُلافة: أول ما يعصر من الخمر.

سلسبيل: اسم عين في الجنة، الماء العذب، الخمر، اللبن.

سلطانة: امرأة السلطان، ملكة، امرأة ذات قوة وقهر وحجة.

سلمة: المرأة الناعمة الأطراف.

سَلمى وسُلمى: سالمة ومعافة.

سُلوان: نسيان، طيبة النفس، خرزة تتخذ للوقاية من العين وهو حرام.

سلوى: عسل، كل ما يسلي، طائر يشبه السمان وهبه الله لبني إسرائيل في أرض التيه.

سماء: هي الفلك الواسع، ضد الأرض.

سما: تخفيف سماء، ارتفع وعلا.

سماح: تساهل، إعطاء بكرم وبذل.

سَمِحة: ذات سماح، عفوة، كريمة، سخية، فيها يُسر وسهولة.

سمر: سهر، حديث الليل، ضوء القمر.

سمراء: ذات لون بين البياض والسواد.

سميحة: مسامحة، كريمة، كثيرة التسامح والجود.

سمارة: صاحبة البشرة السمراء.

سمسمة: واحدة حبات السمسم.

سَميرة: مسامرة في الليل ومتحدثة في مجلس السمر.

[illegible]ه: قوية السمع.

[illegible]مية: تصغير سامية، وهي رفيعة الشأن، وهو اسم أول شهيدة في الإسلام: سمية بنت خباط رضي الله عنها.

سناء: نور القمر، الرفعة، العلو، ضياء وإشراق.

سنابل: انظره في باب الذكور.

سنبلة: انظر السابق.

سندس: نوع من الحرير يلبسه أهل الجنة في الجنة.

سُها- سِهى: كوكب صغير خفي الضوء.

سهاد: الأرق، السهر رغم الأنف.

سهام: النبال.

سهر: الأرق، امتناع النوم، لمعان البرق طوال الليل.

سُهير: تصغير سهر، وهو اسم نجم في السماء.

سهيلة: تصغير سهلة، بسيطة ممدودة، ومؤنث سُهَيْل.

سوسن: زهر طيب الرائحة.

سويداء: حبة القلب ومهجته.

سويدا: تخفيف سويداء.

سيادة: تسلط، شرف، رفعة.

سيدة: لقب لكل امرأة متزوجة، وهي الرئيسة، الزعيمة.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الشين

(١) أسماء الذكور

شادي: المغني، منشد الشعر، حادي الإبل «راعيها».

شاعر: قائل الشعر، من يشعر بالآخرين.

شافع: ساعٍ في طلبٍ لتحقيقه، نشيط ومعين، وجاعل الوتر شفعًا أي: يزيد على الفرد واحدًا ليصير زوجًا.

شافعي: نسبة إلى مذهب الإمام الشافعي، الأصل شافع وأضاف إليها الأتراك الياء.

شاكر: الذي يحمد ويشكر على النعمة.

شال: رداء يوضع على الكتفين تلبسه النساء.

شامخ: رافع الأنف كبرًا وتيهًا، المرتفع، النسب الشريف.

شامي: منسوب لبلاد الشام.

شاهين: طائر جارح يشبه الصقر، عمود الميزان.

شبل: ولد الأسد.

شحرور: طائر مغرد حسن الصوت.

شداقم: الأسد.

شديد: القوي، الشجاع، الأمر.

شرارة: القطعة أو الشظية الصغيرة جدًا الملتهبة المنطلقة مَن النار.

شرف: العزة والمجد، علو الأصل والنسب، المكان العالي.

شريف: ذو الشرف، من كان من السلالة النبوية.

شفيع: الساعي بالشفاعة.

شفيق: ذو الشفقة، الرحيم.

شمس: اسم مشترك، كوكب نهاري مضيء بذاته ويضرب به المثل في الحسن والجمال.

شمور: الألماس.

شهاب: النجم المضيء، مَا ينقض من السماء كشعلة وهاجة.

شهيد: القتيل من أجل الوطن أو سبيل الله، الشاهد، الأمين في شهادته.

شهير: المعروف النبيه.

شوال: الشهر العاشر من السنة القمرية.

شوان: خازن الغلال.

شورى: التشاور والاستشارة.

شيب: ولد الضبع من الذئب.

شيبان: البارد الغائم «من الأيام».

شيخ: كبير القوم، كل كبير المقام، الأستاذ المعلم الكبير السن.

شيراز: اللبن الرائب، وهو اسم بلدة بإيران.

شاهد: من شاهد الشيء ورآه، من يؤدي الشهادة.

شاهر: من شهر سيفه وسله من غمده ورفعه.

شتاء- شتا: أحد فصول السنة الأربعة وفيه المطر.

شحات: السائل، أصلها شحاذ وتنطق في مصر بالتاء.

شداد: كثير الشدة على العدو.

شعلان: شاعل، ملتهب، الحصان ذو البياض في الناصية.

شعيب: تصغير شعب، جيل من الناس المتجمعين بعد التفرق.

شعراوي: نسبة إلى الشعراء وهي الروضة الكثيرة الشجر.

شعبان: الشهر الثامن من السنة القمرية.

شعير: نبات عشبي، هو دون القمح في الغذاء.

شكري: ثناء وحمد، والياء ضمير المتكلم.

شكيب: العطاء والجزاء.

شلبي: طريف وخفيف ولطيف.

شهريار: اسم من كلمتين: شهر يعني مدينة، يار يعني حاكم، أي: حاكم المدينة، والكلمة أصلها فارسي.

شوقي: حنين وحب، نزوع النفس إلى شيء وتعلقها به.

شوكت: أصلها شوكة بمعنى القوة والبأس، وفتح الأتراك التاء.

شيبوب: أصلها شؤبوب، الدفعة من المطر، أول ما يظهر من الحسن، الشاب من الثيران والغنم.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

شادية: منشدة ومغنية ومترنمة بالشعر، حادية الإبل.

شامية: انظر شامي.

شجن: الغصن الملتف المشتبك، الحاجة.

شدا: الغناء الجميل.

شذا: قوة الرائحة الطيبة.

شروق: بزوغ الشمس الدافئة.

شريفة: انظر شريف.

شطة: الحسنة القوام «من النساء»، نوع من البهارات الحريفة.

شفاء: البرء من المرض، الدواء.

شفاعة: سعي الشفيع وأقواله.

شفاعات: جمع شفاعة.

شمس: اسم مشترك، كوكب نهاري مضيء بذاته، ويضرب به المثل في الحسن.

شهباء: العظيمة، الكثيرة السلاح «من الفرق العسكرية» البيضاء.

شهد: العسل.

شهيرة: المعروفة، النبيهة.

شورة: خلية النحل.

شوق: الرغبة الملحة واللهفة إلى شيء وميل النفس إليه.

شفيعة: وسيطة، غافرة، صاحبة الشفاعة.

شفيقة: رحيمة، رءوفة، حنونة، محبة.

شكران: مثنى شكر، الثناء والمدح.

شكرية: الحمد والثناء.

شلبية: جميلة، ظريفة، طريفة.

شهرزاد: شهر تعني مدينة، زاد تعني ابنة، والكلمة تعني ابنة المدينة، وهي من أصل فارسي.

شوقية: الحنين.والشوق والحب.

شويكار: عالمة وعارفة بالشيء، الكلمة فارسية.

شيرين: حلوة، عذبة، محبوبة، رقيقة وجميلة، وأصلها فارسي.

شيماء: من لديها شامة في وجهها.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الصاد

(١) أسماء الذكور

صائب: من كان على صواب.

صائغ: صانع الحلي من الذهب والفضة وتاجر المخدرات.

صابر: ذو العزم الثابت في مقارعة الصعاب والرزايا.

صادح: المغني المنشد.

صادق: نقيض كاذب، المخلص.

صارم: الأسد، القاطع «من السيوف»، الشجاع «من الرجال».

صافح: الغافر المسامح.

صافي: اسم مشترك، النقي الطاهر، الرائق، الجيد.

صالح: المستقيم الخير، الخليفة الجدير، المؤهل.

صادي: اليابس، الضامر، النازل بأرض يابسة غليظة مرتفعة.

صباح: اسم مشترك، أول النهار.

صباحي: نسبة إلى الصباح.

صبح: أول النهار، الأمر الواضح.

صبحي: نسبة إلى الصُّبح.

صبري: أصلها الصبر، وهو الجلد وتحمل المشقة والبلاء.

صَدَّام: كثير الصدم والضرب والنزاع.

صِدِّيق: كثير الصدق.

صدقي: الصدق ضد الكذب، دائم الصراحة.

صحاح: الصحيح.

صحن: المستوي الواسع من الأرض، القدح الكبير.

صحيف: وجه الأرض.

صخر: الحجارة العظيمة الصلبة.

صعب: الأسد، ضد سهل.

صعيدي: أصلها صعيد الأرض، المرتفع من الأرض، والتراب، الموضع الواسع، مكان في جنوب مصر، والياء للنسبة.

صفوان: الذي لا غيم فيه، الصخرة الملساء.

صفي: الصديق المخلص، المنتقي من كل شيء.

صقر: طائر من الجوارح يدرب للصيد به، عسل الزيت والتمر.

صلاح: الاستقامة، الخلو من العيوب والفساد.

صادم: الأسد، الصلب، القوي.

صليح: صالح مستقيم.

صميدة: تصغير صمدة، وهي الصخرة الراسية في الأرض في استواء وارتفاع قليل.

صفوت: أصلها صفوة، واستعملها الأتراك بالتاء المفتوحة، نخبة الشيء، والخالص النقي منه.

صوان: حجر صلب تشعل به النار.

صياد: الأسد، الصائد.

صيام: الامتناع عن الطعام والشراب.

صيلم: السيف، الأمر الشديد، الأكلة الوحيدة في اليوم.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

صابرين: جمع صابر أي: محتمل، ومتجلد، وجريء، وشجاع.

صافي: اسم مشترك، الرائق، الجيد.

صافيناز: متدلعة وذات دلال زائد، وأصلها فارسي.

صالحة: النعمة الوافية.

صباح: اسم مشترك، أول النهار.

صبحة: نومة الصباح أي: ما بين الفجر وطلوع الشمس.

صبحية: انظر صبحي.

صبرة: شدة البرد، وسط الشتاء.

صبرية: صابرة، قانعة غير شاكية.

صبيحة: وضيئة الوجه، مشرقة الوجه.

صبورة: كثيرة الصبر على البلاء.

صديقة: كثيرة الصدق.

صراح: المنى.

صفاء: النقاوة، الصحو وانعدام الغيوم.

صفوانة: التي لا شوائب فيها، الصخرة الملساء.

صفوة: أفضل الشيء وخالصه المصطفى.

صفية: النخلة الكثيرة الثمر.

صوانة: الصلب من الحجارة، شديدة، صلبة.

☆ ☆ ☆

أسماء تبدأ بحرف الضاد

(١) أسماء الذكور

ضاحي: البارز من الأمكنة، قادم في وقت الضحى.

ضاحك: الذي يضحك، الحجر الأبيض في الجبل.

ضاري: الشرس، الكاسر، المدرب على القنص والصيد «من الحيوان».

ضامر: ذو خصر دقيق.

ضامن: كفيل.

ضاوي: الإنارة أو النحافة.

ضاهر: أعلى الجبل، الوادي.

ضباث: الأسد.

ضبارم: الأسد الشديد القوي، المحارب الجريء.

ضبع: حيوان مفترس من جنس السباع.

ضرار: ذو صبر على الشدائد.

ضرغام: الأسد الشجاع.

ضخم: الأسد الغضبان، الشجاع، الجسم المجتمع الخَلْق.

ضياء: إنارة وإشراق.

ضيف: النزيل في المنزل ورعاية غيره من الناس، وقد يضاف إليه لفظ الجلالة فينطق: ضيف الله، أو ضيف الرحمن، وهو يطلق على حجاج بيت الله الحرام.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

ضامرة: ذات الخصر الدقيق.

ضحى: النهار قبل الظهر.

ضحوة: وقت الضحى.

أسماء تبدأ بحرف الطاء

(١) أسماء الذكور

طائع: موافقة وراضي، المطيع.

طائف: حارس الليل، الخادم الجيد.

طائل: الغنى، الرفاه، الفضل، البقع.

طارق: الآتي ليلاً، كوكب الصباح، الحادث.

طامح: الذي يأمل في تحقيق شيء، المرتفع.

طاهر: المطهر، النقي، النظيف، الشريف.

طاوس: طائر ألوانه زاهية ويرمز إليه بالغرور.

طحان: صانع أو بائع الطحين.

طرفة: أسمر، شجرة، ملحة أو حكاية مضحكة، شيء غريب.

طرماح: الطويل، المرتفع، العالي النسب.

طريف: غريب ونادر، حديث المال والشرف، الحديث المستملح.

طفيل: تصغير طفل أي: الوليد، وتصغير طفل أي: اختلاط ظلمة الليل بباقي ضوء النهار.

طلال: الندى، الجميل، الحسن، المطر الخفيف، المعجب، الحية، اللبن.

طلبة: السفرة البعيدة.

طلحة: واحدة الطلح، وهو الموز، الطلع، التعجب، الجائع.

طلعت: أصلها طلعة وفتح الأتراك التاء، الوجه، الرؤية، زهر النخل.

طليحة: الوردة الكبيرة الناعمة.

طماح: الكثير الطموح والتطلع.

طويل: فارع.

طويس: تصغير طاووس.

طيار: قائد الطائرة، الكثير الطيران.

طه: اسم من أسماء سيدنا محمد ﷺ.

طيع: طائع، راضي، قانع.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

طروب: كثيرة الطرب، جميلة الصوت.

طعمة: الغنيمة، الوليمة، كل ما يطعم.

طلا: ولد الغزالة.

طيف: الخيال الزائر في الحلم، قوس قزح وألوانه.

طاهرة: نظيفة، نقية، شريفة.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الظاء

(١) أسماء الذكور

ظافر: فائز، غالب.

ظامئ: مشتاق، عطشان.

ظريف: البليغ في كلامه: الكيس، خفيف الظل.

ظفار: إحدى قرى «حمير» «في عمان الحالية».

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

ظافرة: فائزة، نائلة مرادها، غالبة.

ظاهرة: واضحة، متفوقة، بارزة، ضد باطنة، جاحظة العيون.

ظريفة: حسنة الوجه، ذكية، خفيفة الروح.

ظفيرة: تصغير ظفر، الفائزة.

ظيماء: الذابلة في سمرة «من الشفاه»، الرقيقة الجفون «من العيون».

ظهيرة: الظهر، وقت انتصاف النهار.

ظواهر: أعالي الأودية، جمع ظاهرة بمعنى بادية للعين.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف العين

(١) أسماء الذكور

عابد: المواظب على العبادة، الخادم.

عابل: الضخم السمين.

عادل: المنصف، مستقيم ومحق.

عابدين: اسم بصيغة الجمع، ومعناه المتعبد والمواظب على العبادة.

عاد: رجع، آيب، رجل من العرب سميت باسمه قبيلة قديمة ذكرت في القرآن.

عاذر: الذي يعذر، أثر الجرح.

عارف: الصبور، عالم داري، المعروف.

عارم: شديد، الشرس.

عاشور: اليوم العاشر من محرم، يوم استشهاد الحسين.

عاصف: الذي يعصف، الشديد «من الرياح».

عاصم: الحامي، المخلص.

عاصي: الخارج عن الطاعة.

عاضد: الناصر، المعين.

عاطف: الذي يعطف، الحاني والمشفق.

عاكف: المقيم الملازم.

عامر: الباني، الساكن، المقيم، طويل العمر، صغير الضبع.

عباس: الأسد الذي تهرب منه الأسود.

عبد: الإنسان، المملوك، نبات طيب الرائحة حريف ترعاه الماشية.

عايق: حسن الهندام والمظهر، أنيق.

عباد: مذلل الشيء، كثير العبادة، كثير الطاعة لربه.

عبدون: جمع عبد وهو الخادم، أو نبات طيب الرائحة وهذه الصيغة استخدمها العرب للتدليل على غرار بلاد الأندلس مثل زيدون وحمدون.

عبد الأحد: عبد الواحد الذي لا شريك له، المتفرد بألوهيته.

عبد الآخر: من كان عبداً لمن ليس بعده شيء ولا نهاية لآخريته.

عبد الإله: من كان عبداً للإله المعبود بحق.

عبد الأول: عبد السابق الذي ليس قبله شيء، فلا بداية لأوليته.

عبد البارئ: عبد الله الذي يخلق الأشياء بريئة من التفاوت، قد انسجمت وتركبت في إطار يمكنها من العيش والحياة.

عبد الباسط: من كان عبداً لمن يبسط الرزق حتى لا تبقى فاقة.

عبد الباطن: من كان عبداً لمن لا يعلم أحد ذاته ويعلم الظاهر والباطن.

عبد الباعث: من كان عبداً لباعث الرسل المبشرين والمنذرين ليدعوا إلى الإيمان بالله وحده، وباعث الموتى يوم الحساب.

عبد الباقي: من كان عبداً لمن لا يناله تغير أو تبدل ولا زوال ودائم الوجود بلا انتهاء.

عبد البديع: من كان عبداً للذي خلق كل شيء لا مثيل له في الإبداع والعظمة.

عبد البر: من كان عبداً لكثير العطايا والإحسان ومصدر البر والحنان والعطف.

عبد البصير: من كان عبداً لمن يبصر كل الأحوال ويدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار، ولا يند عن بصره شي.

عبد التواب: من كان عبداً لمن يتوب على من تاب إليه ويغفر الذنوب وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بهم.

عبد الجامع: من كان عبداً لمن يجمع شتات الحقائق والخلائق في الدنيا والآخرة.

عبد الجبار: من كان عبداً لمن يجبر الخلق وينفذ مشيئته فيهم على ما أراد من أمره ونهيه دون اعتراض.

عبد الحسيب: من كان عبداً لمن جمع الشرف والسيادة، هو حسبنا وكافينا

والحسيب المحاسب على أفعال العباد.

عبد الجليل: من كان عبداً لمن كملت أوصافه، صاحب العلو والعظمة والكمال.

عبد الحق: من كان عبداً لمن يتصف بالقدم والبقاء، ويتعالى عن الفناء ولا يزول ولا يحول يحق الحق ويبطل الباطل.

عبد الحكم: من كان عبداً لأعدل الحاكمين، أمر بالعدل وحكم بالسعادة لأهل الإيمان، والشقاوة لكل كافر لا معقب لحكمه.

عبد الحكيم: من كان عبداً لمن لا يقع فعله عبثًا، ولا في وحيه عوج، ولا في خلقه تفاوت.

عبد الحليم: من كان عبداً لذو الصفح والأناة الذي لا يعجل بالعقوبة مع المقدرة، فلا يستنفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاصٍ من عباده.

عبد الحميد: من كان عبداً للذي كل أفعاله جديرة بالحمد والثناء، وهو المحمود لذاته.

عبد الحي: من كان عبداً لمن هو حي باقٍ على الدوام، متصف بالحياة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية لها.

عبد الخالق: من كان عبداً لمن لا خالق غيره، يبدع الأشياء وينشئها من العدم.

عبد الخبير: من كان عبداً للعالم بما كان وما يكون، عالم الأخبار باطنها وظاهرها في السماوات والأرض.

عبد الخافض: من كان عبداً للذي يخفض من يستحق الخفض بقدرته.

عبد الرازق: من كان عبداً للمتكفل بالرزق، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قُوتها رزقًا بعد رزق متصلاً متسعًا.

عبد الرافع: من كان عبداً لمن يرفع من يتولاه، ويرفع أقدار الذين يقيمون الحكم بشريعته، ويرفع كلمته لتكون هي العليا.

عبد الرحمن: من كان عبداً لذو الرحمة الواسعة الشاملة، المتعطف برحمته على جميع خلقه.

عبد الرحيم: من كان عبداً لرحيم الآخرة، ورحيم الدنيا، الذي لولا رحمته بنا لكانت حياتنا شقاء.

عبد الرشيد: من كان عبداً لمرشد الناس إلى مصالحهم في معاشهم ومعادهم.

عبد الرقيب: من كان عبداً للحفيظ الذي لا يغفل، الحاضر الذي لا يغيب.

عبد الرءوف: من كان عبداً لمن لا يكلف العباد إلا ما استطاعوا، ويقدم الصفح على المؤاخذة.

عبد السلام: من كان عبداً لمن يستمد منه السلام والأمان.

عبد السميع: من كان عبداً لمن لا يغيب عن إدراكه مسموع مهما خفي. يسمع السر والنجوى، ويسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ويسمع دعاء الداعين.

عبد الشكور: من كان عبداً لمن يدوم شكره ويعم فضله فيجازي كل صغير أو كبير بقليل من الطاعة كثيراً من النعم.

عبد الشهيد: من كان عبداً لمن لا يغيب عنه شيء، وكفى بالله شهيداً.

عبد الصبور: من كان عبداً لمن يمهل العصاة والمذنبين لكي يتوبوا إليه، ولا يتعجل بالعقوبة وكل شيء عنده بحكمة ومقدار.

عبد الصمد: من كان عبداً لمن يسأله البشر في حوائجهم.

عبد الظاهر: من كان عبداً للظاهر بلا اقتراب، الباطن بلا احتجاب، المستعلي فليس فوقه شيء.

عبد العدل: من كان عبداً لمن ينصف الناس من أنفسهم، ومن غيرهم، ولا عدل إلا هو ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

عبد العزيز: من كان عبداً لمن بلغت قوته حداً يستعصي على من يواجهها أن ينال منها، ومن كان عبد العزيز فهو في عزة ومنعة، ومن اعتز بالله نجا، ومن اعتز بغيره هلك.

عبد العظيم: من كان عبداً لمن لا تحيط به العقول، البالغ أقصى مراتب العظمة والهيبة والجلال والكمال، وهو المتعالي بعظمته على كل عظيم.

عبد العفو: من كان عبدًا لمن يصفح عمن أساء، والعفو أحب إليه من القصاص، يعفو عن السيئات مع كمال قدرته على العقاب.

عبد العليم: من كان عبدًا لمن أحاط بكل شيء علمًا، عليم بجميع الأشياء، السرائر والخفيات، وعالم بما هو كائن وما يكون.

عبد العلي: من كان عبدًا لمن لا يعلو إلى مقامه الرفيع أحد، وهو المستحق لدرجات المدح والثناء.

عبد الغفار: من كان عبدًا لمن يغفر الذنوب، وهو كثير الغفران لعباده الذين تابوا إليه واستغفروه.

عبد الغفور: من كان عبدًا لمن هو كثير الغفران والصفح ذو الرحمة الواسعة غافر الذنوب جميعًا.

عبد الغني: من كان عبدًا لمن لا تنفد خزائنه، يستغني عن الناس، ولا يستغني عنه الناس، سبحانه هو الغني ونحن الفقراء.

عبد الفتاح: من كان عبدًا لمن يفتح كل مغلق بهدايته، ويفتح على عباده أسرار الكون والحياة.

عبد القابض: من كان عبدًا لمن يقبض الأرواح والأرزاق والقابض على السماوات والأرض والكون.

عبد القادر: من كان عبدًا لمن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

عبد القهار: من كان عبدًا للقاهر فوق عباده، يقهر الطغاة ويذل الجبابرة.

عبد القدوس: من كان عبدًا للمنزّه عن كل صفة تنطبق على الخلق، وهو الطاهر المنزه عن النقائص، ويعلو كل صفات الكمال الإنساني.

عبد القوي: من كان عبدًا لمن لا غالب له في السماوات والأرض.

عبد القيوم: من كان عبدًا للقائم بنفسه والمقيم لشئون عباده.

عبد الكبير: من كان عبدًا للكبير المتعال، العظيم في صفاته كبر عن أن يتشبه به أحد من خلقه فهو الكبير حقًّا.

عبد الكريم: من كان عبداً لمن هو دائم المعروف، كثير النوال، غافر الذنوب، المعطي بدون سؤال.

عبد اللطيف: من كان عبداً لمن يلطف بعباده من حيث لا يعلمون، كاشف الضر عن عباده من حيث لا يعلمون.

عبد الله: من كان عبداً لله جل جلاله الاسم المفرد العلم لذاته القدسية الجامع لجميع الصفات الإلهية، وهو أخص أسمائه إليه قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠)

عبد الحفيظ: من كان عبداً لمن يحفظ السماوات والأرض وما فيها إلى أجل مسمى عنده فيقبض الأرض ويطوي السماوات كطي السجل للكتب، وهو الذي يحفظ على الخلق أعمالهم وأقوالهم في كتاب محفوظ إلى يوم الحساب.

عبد المتكبر: من كان عبداً لصاحب العظمة والكبرياء، لا ينازعه فيهما أحد.

عبد المتين: من كان عبداً لمن لا يلحق قدرته إعياء.

عبد المجيب: من كان عبداً لمن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، مجيب الدعاء والرجاء ممن قصده.

عبد المجيد: من كان عبداً لمن شرفت ذاته مع جمال صفاته وحسنها، فالمجد تمام الشرف.

عبد المحصي: من كان عبداً لمن لا يغيب عنه شيء وفي سجلاته إحصاء دقيق لكل شيء.

عبد المحيي: من كان عبداً لمن يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها، خالق الموت والحياة.

عبد المصور: من كان عبداً لمن صوّرنا في الأرحام كيفما شاء.

عبد الماجد: من كان عبداً للمغني واسع الجود والرحمة عظيم الإحسان.

عبد المالك: من كان عبداً لمالك الملك ومالك يوم الدين وكل شيء خلقه وعبده لا شريك له.

عبد المانع: من كان عبدًا لمن يحمي أولياءه، ويدفع عنهم وينصرهم، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

عبد المبدئ: من كان عبدًا لخالق الأشياء أول مرة.

عبد المتعال: من كان عبدًا للمنزه عن أوصاف الخلق، والعلي على كل شيء بقدرته وكماله.

عبد المعز: من كان عبدًا لمن يعز من يشاء، أعز أهل الإسلام، وأذل أهل الكفر.

عبد المعيد: من كان عبدًا للذي يرد إلى الأشياء وجودها بعد فنائها.

عبد الغني: من كان عبدًا لواهب الغنى المادي والنفسي.

عبد المقتدر: من كان عبدًا لمن له القدرة على الخلق جميعًا، الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة.

عبد المقدم: من كان عبدًا لمن يرتب الأشياء والأشخاص وفق مشيئته وحكمته، يقدم من يشاء بقدرته وعلمه وحكمته.

عبد المقسط: من كان عبدًا للعادل الذي ينصف المظلومين من الظالمين إنصافًا بلغ حد الكمال.

عبد المقيت: من كان عبدًا للرازق المانح ما نكتفي به في صلاح أبداننا وعقولنا من قوت وغذاء.

عبد المالك: من كان عبدًا لمالك الناس، بيده ملكوت السماوات والأرض، فهو مالك الملوك، وهو الملك الحق.

عبد المنتقم: من كان عبدًا لمن هو بالمرصاد للمجرمين، يمهل ولا يهمل.

عبد المهيمن: من كان عبدًا للرقيب المسيطر على كل شيء الحافظ له.

عبد المؤمن: من كان عبدًا لمن يأمن الخلق جانبه فهو مصدر أمن وأمان.

عبد النافع: من كان عبدًا للقادر على نفع من يشاء، وضر من يشاء.

عبد النور: من كان عبدًا لمن يبصر بنوره ذا العماية، ويرشد بهداه ذا الغواية، وهو نور السماوات والأرض.

عبد الهادي: من كان عبدًا للمنقذ من الحيرة ومثبت المؤمنين على الحق.

عبد الواحد: من كان عبدًا لمنقطع القرين الذي لا شريك له ولا ند ولا ضد، المتفرد بالعطاء فهو واحد، وليس له كفوًا أحد فهو واحد.

عبد الواجد: من كان عبدًا للذي أوجد كل شيء، ولا يحتاج لعون من خلقه فكل ما يريده يكون.

عبد الوارث: من كان عبدًا لمن يئول إليه الوجود، ويرث الأرض ومن عليها.

عبد الواسع: من كان عبدًا لمن تمّت رحمته ومغفرته وقدرته وحكمته ووسع علمه كل شيء.

عبد الوالي: من كان عبدًا لمن له الولاية الحقة، المالك للأشياء، المتولي لها، المتصرف فيها بمشيئته وحكمته.

عبد الودود: من كان عبدًا للذي يتقرب إلى عباده بالنعمة والتجاوز مع غناه عنهم، وهو الجاعل بين عباده المودة والرحمة.

عبد الوكيل: من كان عبدًا لمن نفوض إليه أمورنا، فيقوم بها عنا، وله القدرة على كفالة أرزاقنا وإنجاح سعينا.

عبد الولي: من كان عبدًا للذي يتولى أمور الكون ويقوم بها كما يقوم ولي اليتيم القاصر بشئونه كلها، وكفى بالله وليًا.

عبد الوهاب: من كان عبدًا لمن يعطي من يشاء بغير حساب، سبحانه كثير العطاء والنوال، كثير المن والأفضال يعطي من غير سؤال.

عبد المذل: من كان عبدًا للذي يذلّ العصاة وأعداء الدين، ومعنى المعز المذل أن طرفي الأمور بيده سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير.

عبد المؤخر: من كان عبدًا للذي يؤخر الثواب والعقاب والأجل إلى وقت معلوم عنده، وسبحانه عز وجل يمهل ولا يهمل وكل شيء عنده بميعاد.

عَبَل: الضخم.

عبود: كثير العبادة والطاعة، مسرع، عباد، متنسك.

عبيد: تصغير عبد، وهو الإنسان سواء حرًّا أم رقيقًا، الخادم.

عبيدة: تصغير عبد.

عتبة: منعطف الوادي.

عتادة: التهيؤ والحضور.

عتريس: الغضوب، الجبار، الداهية.

عتيد: الحاضر الجسيم.

عتيق: الكريم الجيد، البازي، القديم، العبد المحرر.

عثمان: فرخ الثعبان، فرخ الحبارى، الثعبان.

عجّاج: الكثير الصياح، المثير.

عجام: الخفاش الضخم.

عجيب: المدهش، الغريب، ما يدعو إلى العجب.

عجيل: العجلان، المسرع.

عدلي: العدل هو الإنصاف والاستقامة، والياء إضافة من الأتراك للنسبة أو ضمير المتكلم.

عدن: جنة وعد الله بها المؤمنين، المقيم الثابت.

عدنان: الساكن المقيم.

عدني: الكريم الأخلاق.

عدوي: القوم يهرعون إليه في القتال.

عدي: جماعة القوم يعدون ويجهزون للقتال.

عدوية: اسم مشترك، نبات من النباتات الصيفية.

عديل: المثل، النظير، الند، كثير العدل.

عرّاف: كثير المعرفة، المنجم، الطبيب عند قوامي العرب.

عربي: المنسوب إلى العرب، واحد من العرب.

عرفات: اسم الجبل الذي يقف عليه الحجاج على بعد اثني عشر ميلاً من مكة.

عرفان: المعروف، الإحسان، الإدراك، والمفهم والمعرفة.

عرفة: اليوم التاسع من ذي الحجة، وهو جبل قرب مكة.

عرناس: أنف الجبل، الشُّعب الناتئة منه، طائر كالحمامة.

عريان: العاري.

عز: الرفعة، خلاف الذل.

عزام: الأسد، كثير العزم.

عزم: المجد، الصبر، عقد النية على الفعل.

عزمي: الوفي بالعهد، المنسوب إلى العزم، وهو الجد.

عزوز: لفظ للتبديل والتحبب من عزَّ أي: نصر، ومجد، وكثير الاعتزاز.

عساس: الذئب، الجيد الحراسة والطواف ليلاً.

عسَّاف: الظالم، عادل عن الطريق وسائر على غير هدى.

عسال: من يجني العسل ويبيعه، الذئب، الرمح الذي يهتز.

عسقلان: أعلى «عسقلان الرأس».

عسل: اسم مشترك، شراب حلو الطعم يستخرج من النحل، دبس التمر يسمى بالعسل الأسود، طيب الثناء.

عصام: العهد، الكحل، حبل القربة، عروة لتعليق الوعاء.

عصفور: طائر مغرد، المالك، السيد، الكتاب.

عصمت: اسم مشترك، أصلها العصمة، السوار، المنع، واستبدل الأتراك التاء المربوطة بالتاء المفتوحة الساكنة.

عطا: اسم مشترك، رزق، هبات، كل ما يعطى دون مقابل، أصلها عطاء خففت بحذف الهمزة.

عطا الله: الكرم والهبة من الله عز وجل.

عطار: الكثير التعطر، بائع العطور والتوابل.

عطية: مشترك، العطاء، الهبة، الرزق.

عفت: مشترك، أصلها عفة أي: طهارة ونقاء، البعد عن الرذيلة، واستعملها الأتراك بالتاء المفتوحة.

عفان: الممتنع عن كل قبيح ورديء.

عفيف: ذو عفة ونقاء، طاهر.

عقاد: صانع الخيوط والأزرار، كثير العقد.

عقبة: آخر كل شيء، التوبة، الحلاوة بعد الطعام، الليل والنهار، أثر الجمال.

عقل: ضد الحمق والجهل، قابلية إدراك حقائق الأشياء بواسطة الدماغ.

عقيد: المعاهد، المعاقد، رتبة عسكرية كبيرة.

عقيل: المعقول، العقل، سيد القوم.

عُكاشة: العنكبوت أو ذكورها أو بيتها.

عكرمة: أنثى الحمام، سواد الليل.

علاء: سمو ورفعة، مجد وشرف.

علام: العالم الغزير العلم، الصقر، الحناء.

علامة: العالم الغزير العلم.

علوان: كل ما على الشيء فهو عنوان وعلوان.

علوي: العالي، المرتفع.

عماد: قائد العسكر، الأبنية الرفيعة العلية.

عمَّار: القوي الإيمان، الكثير الصوم والصلاة، الحليم الوقور في كلامه، القائم بالأمر والنهي إلى أن يموت.

عمارة: البناية الضخمة، الحي العظيم، تخيم عما رأى، القوي الإيمان.

عمدة: ما يعتمد عليه أي: يستند ويتكأ، عميد «القوم»، رئيس العسكر، رئيس البلدة.

عمر: جمع عمرة «الإقامة بمكة في غير وقت الحج»، اسم معدول عن عامر أي: الساكن، المقيم، طويل العمر، الباقي، صغير الضبع.

عمران: البنيان، وسائل ومقومات التقدم في الحياة كالزراعة، والصناعة.

عَمْرو: الواو تكتب ولا تلفظ، نوع من النخيل الطويل.

عمرس: القوي الشديد.

عموس: الأسد الشديد.

عميد: سيد القوم، رتبة عسكرية عالية، المضنى عشقًا.

عميرة: خلية النحل.

عنان: السحاب، ما بدا من السماء وما ارتفع منها.

عنبر: مشترك، مادة تبعث برائحة شذية عند حرقها، حوت ضخم، مخزن الغلال.

عنبس: الأسد.

عنتر: الذباب الأزرق اللون.

عندليب: طائر مغرد جميل الصوت.

عواد: صانع العود أو العازف عليه.

عوام: السباح الماهر، الفرس السريع.

عوض: البدل، الخلف.

عوضين: مثنى عوض.

عوف: الأسد، الذئب، الديك، نبات طيب الرائحة، الضيف، والشخص الكاد على عياله.

عوني: نسبة إلى عون، وهو الإعانة والمساعدة.

عويس: جاد وكادح في الكسب الحلال لأبنائه.

عيَّاث: الأسد.

عيَّاد: محتفل بالعيد وشاهده، مهنئ بقدوم العيد.

عياش: صانع العيش أو بائعه، صيغة مبالغة، من حي وعائش الرفاهية، وطويل العمر.

عيثوم: الفيل، الضبع.

عيد: الموسم، احتفال بالفرح.

عيس: الإبل البيض على صفرة أو سواد خفيف.

عيسى: اسم المسيح عليه السلام.

عيسوي: المنسوب إلى عيسى عليه السلام.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

عابدة: خادمة ربها وطائعة له.

عارفة: العطية، العالمة، الدارية.

عبدة: الأنفة، القوة.

عبلاء: الأبيض من الصخور، الضخمة.

عبلة: تامة الخلق، ثمينة، ممتلئة الجسم.

عبير: أخلاط «من الطيب والزعفران، والروائح والعطور».

عتَّاب: لوَّام كثير اللوم والعتاب، من لا يعاب الشيء.

عتيقة: الجميلة، الكريمة، القديمة.

عجيبة: المعجزة، الغريبة.

عدالة: الإنصاف والاستقامة.

عدلية: انظر عدلي.

عدن: جنة وعد الله بها المؤمنين.

عدوية: مشترك، نبات من النباتات الصيفية.

عديلة: نظيرة، قيمة، كثيرة العدل.

عربية: لغة العرب، الخيل الأصيلة.

عزة: بنت الغزالة.

عزيزة: المكرمة الشريفة القوية الغالبة النادرة المنيعة.

عزيمة: الإرادة والصبر، الرقية، ما عزم الإنسان عليه.

عسل: مشترك، شراب حلو الطعم يستخرج من النحل.

عصفورة: مؤنث عصفور، طائر مغرد جميل المنظر.

عصماء: منيعة حصينة.

عصمت: أصلها عصمة أي: الكمال، السوار، المنع، وهو اسم مشترك.

عطا: مشترك، رزق، هبة.

عطية: مشترك، العطاء، الهبة، الرزق.

عطيات: جمع عطية، كل ما يعطى بدون مقابل.

عظيمة: كبيرة، ذات سيادة وسمو وعظمة.

عفاف: الامتناع عن كل منكر فعلاً وقولاً.

عفت: مشترك، أصلها عفة أي: طهارة.

عفراء: بيضاء، نوع من الظباء، الليلة الثالثة عشر من الشهر القمري.

عفيفة: ذات عفة ونقاء وطهارة.

عقيلة: كريمة، محجوبة، الزوجة المخلصة، الدرة.

عُلا: الرفعة، الشرف.

علوية: مرتفعة، شريفة.

عَلياء: المكان العالي المشرف المطل، رأس الجبل، السماء.

عليُّة: كثيرة العلو والارتفاع في الشرف والحب والأهل.

عنان: مشترك، السحاب.

عنايات: جمع عناية أي: اهتمام.

عنبر: مشترك، مادة تبعث رائحة شذية بعد حرقها، حوت ضخم.

عهد: الذمة، الميثاق، الوفاء، الضمان، الوصية، الزمان، القسم.

عوضية: مؤنث عوض.

عواطف: شفقة، حنان، رحمة.

عيدانة: النخلة الطويلة.

عيطل: الطويلة العنق في حسن.

عين: عضو الإبصار للإنسان والحيوان، ينبوع ماء يجري من الأرض.

عيناء: الواسعة العين، الكلمة الطيبة، الأرض الخضراء.

عيون: جمع عين.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الغين

(١) أسماء الذكور

غازي: الذي يغزو ويقاتل ويحارب، طالب، قاصد.

غافر: الذي يغفر ويسامح.

غافل: اللاهي الساهي.

غالب: الذي يغلب، المنتصر، القاهر، الفائز.

غالي: المرتفع السعر، عزيز، ذو قدر وقيمة.

غاوي: الضال، المنقاد إلى هواه.

غراب: طائر أسود اللون يضرب به المثل في البكور والسواد والحذر.

غربة: الابتعاد عن الوطن والعشيرة.

غريب: العجيب، غير المألوف.

غسَّان: ريعان الشباب قوته، أعماق القلب.

غضبان: المنفعل غضبًا وغيظًا.

غضنفر: الأسد، الغليظ الجثة.

غطارف: السيد السخي الكريم، ومثله الغطراف والغطاريف.

غطاس: الغواص.

غفران: مشترك، المسامحة والعفو.

غلاب: كثير الانتصار والغلبة.

غنام: الكثير الغنائم، راعي الغنم.

غندور: الشاب الجميل، الحسن الشباب.

غنيم: تصغير غنم وغنم المكسب، الفوز بالأشياء في حالة الحرب.

غواث: المعونة والنجدة.

غول: المارد، السعلاة.

غياث: ما يغاث به كالنجدة والمطر والعطية.

غوار: شديد الدخول إلى غور الأشياء عمقها بحثًا ودرسًا، بطل شجاع مقدام.

غيث: الإغاثة، المطر والعشب الذي ينبت به، السحاب.

غيلان: عظيم وسمين.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

غادة: المرأة الناعمة اللينة، الشجرة الغضة.

غالية: أخلاط الطيب، ذات قيمة وقدر كبير.

غاية: الهدف، النهاية، المدى.

غدير: بقايا السيل، النهر.

غرام: حب شديد، ولوع، عذاب في الحب.

غزالة: الظبية، ريم الشمس عند طلوعها.

غصون. جمع غصن، وهو فرع الشجرة.

غفران: مشترك، المسامحة والعفو.

غنيمة: ما يؤخذ من المحاربين قسرًا.

غيداء: الناعمة واللينة.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الفاء

(1) أسماء الذكور

فؤاد: القلب، العقل.

فائز: المنتصر، الناجح، وتسهل الهمزة إلى ياء «فايز».

فائق: الجد، الممتاز على غيره، وتسهل الهمزة إلى ياء «فايق».

فاخر: الجيد الذي يفخر أي: يعتز.

فادي: منقذ غيره بفدية إما بمال أو بنفسه.

فارس: راكب أو صاحب الفرس، الأسد، العالم الحاذق.

فاروق: الذي يفرق بين الحق والباطل.

فاضل: ذو الفضل، الفائض عن الحاجة.

فتحي: فاتح ومنتصر، والأصل فتح، وأضيفت الياء للنسبة.

فتوح: أول مطرة في الربيع.

فخر: الفضل والعظمة.

فخري: الفخر هو التباهي، والياء للمتكلم.

فداء: مشترك، المال المعطى عوض المفدى.

فدوكس: الأسد، الرجل الشديد.

فراج: مزيل للهم ومفرج الكرب، باعث الفرج.

فرج: الانفراج، انكشاف الغم.

فرح: السرور، حفلة الزفاف، وهو اسم مِشترك.

فرحان: ذو الفرح، مسرور وسعيد.

فرزدق: قطع العجين، الرغيف الذي يسقط في التنور.

فرعون: لقب ملك مصر قديمًا، الجبار العاتي المتكبر.

فرناسي: الأسد، القوي الشجاع.

فرهود: شبل الأسد، ولد الوعل أو الشاة.

فريد: الذي لا نظير له، الواحد المنفرد.

فصيح: ذو الفصاحة، الحليَبَ الذي نزعت رغوته وبقي خالصًا.

فضل: الإحسان، الزيادة، البقية.

فضيل: الفاضل، المحسن.

فطين: حاذق، ذكي، عاقل.

فكري: منسوب إلى الفكر، هو تردد الخاطر في طلب المعاني.

فلاح: الحراث، الزارع، الملاح.

فهد: حيوان من الضواري صغير الرأس سريع الجري بحجم النمر.

فهمي: الفهم، الإدراك والفطنة والذكاء والياء للنسبة.

فهيم: صاحب الفهم، فطين ذكي، رزين.

فواز: كثير الانتصار، كثير الفوز.

فوزي: الفوز هو النجاح، الظفر، والياء للنسبة.

فياض: الكثير العطاء، كريم، وهاب، جواد.

فيروز: حجر كريم أزرق يميل للخضرة.

فيصل: الحاكم، القاضي، ما يفصل بين الأمور، الحاسم الذي يفصل بين الحق والباطل.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

فائدة: الزيادة، النفع، الربح من المال المدخر، وتستخدم الياء بدل الهمزة «فايدة».

فائزة: المنتصرة، الناجحة، وتسهل الهمزة بالياء «فايزة».

فائق: الذي يفتتن أي: يعجب، المستحيل.

فادية: منقذة غيرها بفدية.

فاطمة: الناقة التي فطم ولدها عنها، مانعة نفسها عن الصغائر والشهوات.

فتون: الإعجاب والجذب والاستحالة.

فتحية: مؤنث فتحي، والنسبة إلى الفتح والنصر والخيرات.

فتنة: جمال وحسن بهاء وجاذبية.

فجر: ضوء الصباح الباكر قبل الشروق.

فداء: مشترك، المال المعطى عوض المفدي.

فرح: السرور، حفلة الزفاف، اسم مشترك.

فرحانة: ذات الفرح مسرورة سعيدة.

فرحة: المسرة، البهجة، البشرى السعيدة.

فردوس: الجنة، البستان، خضرة الأعشاب.

فريال: التي جاءت بأمر عجيب وغريب ومحير.

فريدة: الواحدة المنفردة التي لا نظير لها.

فضة: الأبيض، الثمين، الصخر المنثور بعضه فوق بعضه.

فطيمة: المفصولة من الرضاع لبلوغها سن الفطام.

فضيلة: المزية، لقب الشيخ، درجة عالية ورفيعة في الفضل والحسن والخلق.

فطينة: حاذقة، فهيمة، ذكية، عاقلة.

فكرة: رأي، خاطر يخطر في البال، إعمال النظر في شيء.

فكرية: مؤنث فكري.

فكيهة: تصغير فاكهة أو فكه وأفكاهة، معناها مزاح وضحك وانبساط نفس.

فلفلة: واحدة الفلفل، وشجرة الفلفل نوعان أسود وأبيض، وهو حريف الطعم وله رائحة عطرية مميزة.

فلة: زهرة الياسمين، وهو نبات مشهور له زهرة تشبه زهرة الياسمين زكي الرائحة ونقي البياض.

فهيمة: فطينة ذكية، كثيرة الفهم.

فؤادة: مؤنث فؤاد، وهو القلب، العقل.

فوزية: مؤنث فوزي وفوز، وهي النصر، والظفر، والربح، والعطر.

فيروز: مشترك، حجر كريم أزرق يميل إلى الخضرة.

فيفي: الصحراء الواسعة، المكان المستوي.



أسماء تبدأ بحرف القاف

(١) أسماء الذكور

قائد: من يقود فريقًا من الجنود.

قابس: طالب النار.

قابل: قادم، متهيئ للقبول.

قابوس: الرجل الجميل الوجه الحسن اللون.

قابيل: ابن آدم عليه السلام وأخو هابيل.

قادري: نسبة إلى قادر.

قارون: نعام، واسم رجل يضرب به المثل في الغنى كان عبرانيًّا، وناصب سيدنا موسى عليه السلام العداء، ووردت قصته في القرآن الكريم.

قاسط: عادل، منصف، مقسط بالعدل.

قاسم: مجزئ، مجري القسمة.

قاصد: هادف، مريد، طالب الشخص أو الشيء، السهل القريب.

قاضي: الحاكم الشرعي.

قتادة: واحدة القتاد وهو شجر صلب له شوك كالإبرة.

قتيبة: سريع الغضب، شديده.

قحافة: كل ما يجرف من الإناء وغيره.

قحطان: ضارب ضربًا شديدًا ومبرحًا، المصاب بالقحط.

قدري: الشأن والقوة، والياء للنسبة، المتكلم مؤمن بالقدر وبقضاء الله.

قرطبي: السيف.

قرنفل: مشترك، ثمر حريف وهو من أفضل الأدوية للأسنان، زهر بستاني أحمر أو أصفر طيب الرائحة.

قزاز: الثعبان الضخم.

قشعم: الأسد.

قضاعة: الفهد.

قطب: قائد ورئيس وزعيم.

قمر: كوكب سماوي منير في الليل، ويضرب به المثل في الجمال.

قمطرير: الرجل الشديد العبوس.

قنديل: المصباح الزيتي ذو الفتيلة.

قيس: القوة والشدة.

قيصر: لقب كل ملك من ملوك الرومان والروس وملوك بيزنطة.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

قدرية: مؤمنة بالقدر، وبقضاء الله.

قرنفل: مشترك، زهر بستاني أحمر اللون أو أصفر، رائحته طيبة، ثمر حريف.

قسمت: أصلها قسمة، وفتح الأتراك التاء، الحسن الوجه.

قسيمة: الوجه الجميل، السوق.

قشدة: الزبدة الرقيقة وتلفظ بالعامية قشطة.

قضيمة: الفضة.

قطر الندى: عود البخور، ما قطر وسال من البلل والجود والكرم.

قمر: كوكب سماوي منير في الليل، ويضرب به المثل في الحسن.

قمراء: مقمرة ومضيئة.

قنبر: طائر.

قيروان: القافلة، معظم الكتيبة، الجماعة من الخيل.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الكاف

(١) أسماء الذكور

كاتب: عالم، من كان عمله وصناعته الكتابة.

كاثم: الغليظ.

كارم: مفاخر بالكرم، كثير الجود والكرم، ضد لئيم.

كاسب: فائز وناجح، من الكسب.

كاسر: الجوارح من الطير.

كاشف: من الإظهار، الوضوح.

كاظم: كاتم غيظه، الصابر، الممسك ما في نفسه من غضب.

كافل: ضامن، عائل «يعول غيره» قائم بأمر اليتيم.

كافور: مادة عطرية تستخرج من شجر الكافور.

كامل: تام، مكتمل الخلق، غير ناقص، تام الأجزاء والصفات.

كامي: الساتر نفسه بالدروع، كاتم الأسرار.

كرامة: مشترك، الشرف وعزة النفس.

كرم: الجود، السخاء، الصفح.

كروان: مشترك، طائر حسن الصوت طويل المنقار والرجلين.

كريم: سخي، جواد، معطاء، من أسماء الله الحسنى.

كساب: الكثير الكسب. كعب: الشرف والمجد.

كفاح: مشترك، نضال أو صراع من أجل الهدف.

كلاب: مصدر كالبته مكالبة وكلابًا، الجريء الذي يخاصم الناس.

كمال: تمام الشيء، صاحب المناقب الحسنة، ضد نقص.

كلف: عاشق مغرم ولهان.

كمون: نوع من النبات له حب يستعمل تابلاً، ويستعمل كدواء أيضًا.

كميل: كامل.

كناري: طائر جميل الصوت، له ريش ملون جميل أصفر يميل إلى الأخضر.

كنانة: مشترك، جعبة السهام.

كنان: ضام جناحيه بلا انقضاض، مائل للغروب، خاضع، من يطمع الناس في كرمه.

كياد: كثير الكيد.

كيس: فطن، حسن الفهم والأدب.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

كاريمان: صاحبة جود وكرم، والكلمة تركية.

كاملة: قامة في أخلاقها وخلقها.

كاميليا: شجرة دائمة الخضرة أوراقها لماعة وأزهارها كبيرة وردية أو حمراء.

كرامة: مشترك، طائر جميل مغرد طويل المنقار والساقين.

كريمة: سخية، جوادة، معطاءة.

كفاح: مشترك، نضال وصراع من أجل هدف.

كفاية: التي تكفي عن سواها.

كلثوم: الممتلئة الخدين لحمًا، الحرير الناعم، ومنه أم كلثوم، وهو اسم بنت رسول الله ﷺ.

كنانة: مشترك، جعبة السهام.

كوثر: الشراب العذب، نهر في الجنة، السيد الكريم السخي، الخير العظيم.

كوفة: الرملة الحمراء المستديرة.

كواكب: نجوم في السماء، السيوف، المياه.

كوكب: النجم، السيف، الجبل.

كيسوم: الندية الكثيرة النبات من الرياض.

أسماء تبدأ بحرف اللام

(١) أسماء الذكور

لائث: الأسد.

لابد: من أسماء الأسد.

لبيب: عاقل، ملازم للأمر، لا تفتر عزيمته عنه.

لبيد: مقيم بالمكان، يلبده لا يفارقه.

لطفي: أصل الكلمة لطف: الرفق، الرقة، الظرف، الحنان والياء للنسبة.

لعوس: الذئب.

لقاء: مشترك، ملاقاة، اجتماع، مقابلة، استقبال ومصادفة ورؤية.

لقمان: الطريق الواضح، مسكت الخصم، اسم لقمان الحكيم الذي اشتهر بالحكمة.

لماح: اللماع، البراق.

لهب: لسان النار، الغبار المرتفع.

لواء: العلم، الراية، مقاطعة يحكمها محافظ، عدد معلوم من الجند، رتبة عسكرية.

لؤي: تصغير لأي أي: الشدة، بطء وصعوبة، القوي المتين أو تصغير لواء أي: العلم.

لوطي: نسبة إلى اللواط أي: الالتصاق بالشيء، منسوب إلى نبي الله لوط، وسمي لوطًا لأن عمه إبراهيم الخليل كان شديد الحب له والالتصاق والتعلق به.

٭ ٭ ٭

(٢) أسماء الإناث

لآلئ: جمع لؤلؤة.

لاحظة: اسم يطلق على العين التي تلحظ الأشياء.

لبلبة: قلب الشيء.

لبنى: شجرة تفرز سائلاً يشبه اللبن، وقد يتبخر به.

لبؤة: اسم أنثى الأسد.

لبيبة: عاقلة وكيِّسة، خبيرة، بصيرة بعواقب الأمور.

لحن: الصياغة للأصوات على أنغام الموسيقى، وفي اللغة هو القول وفحواه.

لجينُ: الفضة.

لطافة: الرقة، الإحسان، الحنان، الدماثة.

لطيفة: مؤنث لطفي.

لقاء: مشترك، ملاقاة، اجتماع، استقبال.

لقيا: اللقاء والاجتماع.

لمى: ذات سمرة مستحبة في شفتيها.

لمسة: الخفة، الرقة.

لمحة: النظرة السريعة.

لميس: المرأة الناعمة الملمس اللينة.

لمياء: النحيلة، اللطيفة، السمراء.

لواحظ: جمع لاحظة أي: العين التي تلحظ.

لوزة: واحدة اللوز، وهي شجرة مثمرة وثمرها جميل الطعم يوضع فوق الحلويات.

لؤلؤة: درة ثمينة تنشأ في الصدف البحري وسميت لؤلؤة لأنها تلمع وتتلألأ.

ليساء: حسنة الخلق.

ليلى: صفة لليلة شديدة السواد.

ليلة: الليل.

ليالي: جمع ليلة.

لينة: النخلة الصغيرة التي تكون بجانب النخلة الكبيرة.

أسماء تبدأ بحرف الميم

(1) أسماء الذكور

ماجد: ذو المجد، الحسن الخلق، الكثير والجيد.

ماضي: الأسد، السيف القاطع، نافذ، سابق.

مازن: مضيء الوجه، المسرع في طلب الحاجة، بيض النمل.

ماهر: الحاذق، اللبق، المتقن لصناعته، الذكي، الفاهم.

مأمون: الموثوق به، المؤتمن الذي لا يخاف منه.

مؤيد: الذي يؤيد، المقوي.

مبارك: فيه بركة ونفع، مدعو له بالبركة، مرضي عليه، ممنوح من الله التشريف والكرامة.

مبروك: مبارك، فيه خير وبركة.

متوكل: مسلم أمره إلى الله، جاعل نفسه وكيلاً، معتمد على غيره وموكله في أمر يخصه.

متولي: قائم بالأمر، متسلم زمام الأمور، حاكم.

مجالح: الأسد.

مجالد: ذو شدة وصبر، ضارب بالسيف، مقاتل بشدة وبأس، شجاع، ذو جلد.

مجاهد: المقاتل دفاعًا عن دين الحق، محتمل الجهد في المقاتلة، باذل طاقة وجهد للوصول إلى هدف نبيل يسعى إليه، ماضٍ في الجهاد فيَ سبيل الله.

مجد: مشترك، العزة والرفعة والشرف، أرض مرتفعة.

مجدي: المجد هو العزة والرفعة والشرف، والياء للنسبة.

مجداد: كثير الإتيان بالجيد، كثير الكرم والسخاء، مفضال.

مجير: مغيث ومنقذ، معين لمن يستجير به، حامي جاره من كل اعتداء.

محب: ودود عاشق، مريد، من يحب غيره، ميال إلى الشيء.

محجوب: مخبأ، ممنوع، محتجب.

محرم: الشهر الأول من السنة القمرية، من له حرمة وذمة.

محروس: محفوظ، عائش زمنًا طويلاً، محمي، مصان.

محسن: جاعل الشيء حسنًا، فعال إحسان، حب بر.

محفوظ: مصان، محمي، مرعي.

محمد: الذي كثرت خصاله الحميدة المشكورة المرضي عنها، اسم نبينا محمد ﷺ.

محمود: ممدوح السيرة، مشكور، ذو خصال وصفات يحمدها الناس.

مختار: المنتخب، المصطفى، مجتبى، منتقى من بين أصحاب الفضائل والمكارم.

مخزوم: منظوم كالآلي، المتعارض.

مخلص: صادق في عهده ووعده، ضد خائن، وفي.

مداح: كثير المدح لغيره والثناء عليه، مفتخر بما ليس عنده.

مدحت: أصل الكلمة مدحة أي: مـا يمدح به، المدح هو الثناء، وغير الأتراك التاء إلى مفتوحة.

مدثر: الملتف بالثوب، متلفع بالدثار، وأصل الكلمة متدثر وأدغمت التاء في الدال.

مرتجى: رجاء وأمل، مؤمل، مأمول، موضع.

مرتضى: مرضي عنه، مقبول برضا الناس عن أفعاله وأخلاقه.

مرجان: صغار اللؤلؤ، عروق حمر تنبت في البحر كأصبع الكف.

مرداس: الرأس، شيء صلب عريض يدك به.

مرزوق: ذو رزق وافر، من أصابه رزق الله، الحسن الحظ.

مراد: مطلب، مقصود، المحبوب.

مرسال: الرسول، السهم الصغير، الناقة السهلة السير، مبلغ الرسالة وحاملها.

مرسى: راسٍ، مرسخ، مثبت.

مرضي مختار ومقتنع به فهو مرضي عنه، من نال رضا معاشريه ومعارفه.

مرشد الهادي الواعظ، دليل البواخر والسفن.

مرعي محمي، مصان، محروس.

مروان حجارة النار السمر التي يقتدح بها، نبات عطري، ضرب من الصوان.

مستعين متوكل على الله، طالب العون والمعونة.

مستور مغطى، عفيف، قانع.

مسرور ذو فرح وسرور، مبتهج وسعيد.

مسعد سعيد ومسعود، وصاحب حظ ومكسب.

مسعود: ميمون، من أسعده الله وأكرمه.

مشعل: سراج، مصباح، كل ما يشعل ليستضاء به.

مشكور: ممدوح، مثنى عليه، محمود على طيب عمله.

مشهور: ذو شهرة وذائع الصيت.

مشير: رتبة كبيرة جدًّا في الجيش تعادل «مارشال»، مقدم النصيحة لمن استشاره.

مصباح: السراج، القنديل.

مصدق: صادق الحديث، من يصدق الناس ولا يظن بهم الكذب.

مصطفى: المختار، المنتخب، المجتبى، من ألقاب النبي ﷺ.

مصعب: المسود، المؤمر من الرجال، الفحل، الفرس الصعب الركوب.

مطاوع: منقاد، موافق، غير مخالف.

مطر: ماء السحاب الذي يهطل من الغيوم.

مطيع: منقاد، موافق، غير مخالف.

مظفر: الذي لا يحاول من أمرٍ إلا وظفر به، منتصر

مظلوم: المهدور حقه، المغلوب على أمره.

مظهر: مكان الظهور، ما يبدو أو يظهر.

معاذ: منقذ، مطلوب، مخلص.

معتز: مفتخر، ومفاخر بعزه ومجده وشرفه.

معتصم: ممتنع عن المعصية، متعلق ومتمسك، متحصن عائذ بالله.

معتدل: متزن، موزون، مستقيم.

معتضد: متعاون، مساند، مناصر.

معتمد: الذي يعتمد ويتوكل على الله.

معتمر: الذي يؤدي العمرة في بيت الله الحرام.

معاوية: صغير الثعلب.

معروف: مشهور، المعلوم، الإحسان، الرزق، الخير، ذائع الصيت.

معزوز: قوي، شديد، محصن ومكرم.

معمر: الطويل العمر، المعمور، جاعل الشيء عامراً.

مغازي: كثير الهجوم والغزو على الأعداء.

مغاوري: أصلها مغاور.

مقاتل: كثير الغارات.

مغيث: منجد، مخلص، معين.

مفتاح: بداية الشيء، مسهل الأمور، كثير الفتح.

مكرم: كريم، جواد، سخي.

مكي: مهلك الشيء، المنسوب إلى مكة التي قيل في تسميتها إنها تمك الذنوب، أي: تنقصها وتمحوها.

ملاح: البحار، النوتي، الطيار المسئول عن قيادة الطائرة.

ملاك: الملك، أحد الأرواح السماوية، مجموع موظفي الدائرة.

ملحم: كثير لحم الجسم، مطعم اللحم.

مليح: ظريف، بهيج، حسن المنظر جميل.

ممتاز: متفوق، مميز عن غيره في أخلاقه وعمله.

ممدوح: ذو أيادٍ بيضاء يستحق عليها المدح.

منار: مشترك، موضع النور، العلم، الإشارة المنصوبة في الطريق للاهتداء بها.

مناضل: مجاهد، مكافح، مدافع، مبارز، في رمي السهام.

منجد: مغيث، منقذ، معين، مساعد.

مستاف: المرتضى، جبل عالي المرتقى.

منان: اسم مبالغة من مَنَّ أي: كثير المن والإحسان.

منسي: مسهو عنه، مغمور، غير معروف.

منتصر: منصور، ظافر، غالب، منقذ، مساعد، مغيث.

منعم: العائش في نعمة وترف، الثري، الغني.

منصور: منتصر، غالب، ظافر.

منيب: موكل وكيلاً عنه، ونائبًا عنه، مطر غزير، ربيع حسن.

منير: مضيء، حسن اللون، مشرق بنور جماله.

مهاب: ذو مهابة ووقار يخافه الناس ويحترمونه.

مهدي: من هداه الله إلى الحق، من ظهر له الطريق المستقيم فسار عليه.

مهنا: أصلها مهنأ وحذفت الهمزة للتسهيل.

مهند: السيف المصنوع من حديد الهند، وهو شديد الانحناء.

مهندس: العالم المشتغل بعلوم الهندسة.

مهران: قائد الفرس، والكلمة فارسية.

مهيب: صائح، زاجر، مفزع، موقر، يهابه الناس.

موسى: نسبة إلى نبي الله موسى، والاسم باللغة العبرية معناه المخَلَّص؛ لأنهم انتشلوه من الماء.

مياس: الأسد، الذهب، المتمايل في مشيته.

ميسور: السهل، ما يسر، مهيئ وجاهز.

ميلاد: وقت الولادة.

ميمون: مبارك، ذو يمن وبركة.

مينا: المرفأ، الميناء، اسم أحد ملوك الفراعنة القدماء.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

ماجدة: ذات مجد وشرف، الجيدة في كل شيء، كاملة في خصال الخلق والخير.

مآثر: جمع مأثرة وهي الفضيلة، الأفعال الحسنة.

مارية: المرأة البيضاء البراقة، القطاة الملساء، وهي طائر صغير في حجم الحمامة، وهو أيضًا اسم السيدة مارية القبطية زوج رسول الله ﷺ وأم إبراهيم ولده.

ماهينور: نور القمر، والاسم فارسي.

مبروكة: فيها خير ونفع، وبركة ومباركة.

مجد: مشترك، العزة والرفعة والشرف، أرض مرتفعة.

مجيدة: ذات مجد وعزة شريفة.

محاسن: جمع حسن، أي: جمال وبهاء.

محسنة: فاعلة إحسان وبر، جاعلة الشيء حسنًا.

محمودة: مشكورة وممدوحة، ومرضي عنها، ذات صفات يحمدها الناس.

مخلصة: وافية، صادقة في وعدها.

مديحة: ممدوحة ومشكورة على حسن أفعالها.

مرام: المطلب، المقصد، الهدف، المراد.

مرجانة: واحدة المرجان، حبة اللؤلؤ.

مرزوقة: ذات رزق كبير وحظ وافر.

مرمر: نوع من الرخام الشديد الصلابة والصفاء.

مروة: أصل الكلمة مروءة، وقلبت الهمزة واو وأدغمت في الواو الأولى ومعناها نخوة، شجاعة.

مريم: كلمة سريانية تعني مرتفعة، لا شيء فيها من مرارة البحر، المريم من النساء التي تحسن حديث الرجال ولا تفجر، وهو اسم العذراء.

مزهر: متفتح الأزهار، أصبح له زهر، مضيء، لامع.

مسعدة: ميمونة، سعيدة، صاحبة حظ.

مسعودة: من أسعدها الله وأكرمها، دائمة وكثيرة السعادة.

مشكورة: مثنى عليها، محمودة على طيب فعلها وحسن قولها.

مشهورة: ذات شهرة وذائعة الصيت، معروفة وظاهرة بين الناس.

مشيرة: معرفة، مقدمة النصيحة لمن استشارها، جميلة.

مطيعة: موافقة، غير مخالفة، منقادة غير مكرهة.

معزوزة: قوية، محصنة، شديدة، مكرمة.

معالي: جمع معلاة، كسب الشرف والعز والرفعة.

مليحة: ظريفة، بهيجة، حسنة المنظر والمظهر.

ممدوحة: مثنى عليها، مشكورة من غيرها على أعمالها.

منار: مشترك، موضع النور، العلم، الإشارة الضوئية المنصوبة في الطريق.

منة: الإحسان، الإنعام، القوة، هبة وعطية ومنحة من الله.

منى: جمع منية وهي المراد والمطلوب، ما يتمناه المرء.

منيحة: وكيلة، مطر غزير.

منيرة: مضيئة، مزهرة وموضحة ومشرقة.

مها: الثغر النقي الأبيض، البقرات الوحشية، شمس، غزال، بالورة.

مهجة: روح، دم القلب، مهجة كل شيء أحسنه.

مهدية: هي التي هداها الله إلى الحق والطريق المستقيم.

ميار: جامع الميرة «الطعام الذي يدخره الإنسان».

ميرفت: أصلها مروة وحرفت الواو إلى فاء مثلثة وحولت التاء المربوطة إلى تاء مفتوحة في اللغة التركية، ومعناها حجر صوان أبيض.

ميس: شجر عظيم يشبه الجوز، نوع من الزبيب.

ميسان: الرزينة من النساء، النعسان.

ميسرة: الهولة، الغنى.

ميسون: رزينة، مياسة، حسنة الوجه، مختالة، والكلمة تركية من مقطعين «مي» أي: الخمرة و«سون» أي: مثل ومعناها «مثل الخمرة».

ميمونة: مباركة وطيبة، ذات يمن، اسم آخر زوجات رسول الله ﷺ.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف النون

(١) أسماء الذكور

ناجح: ظافر، منتصر، فائز، رابح، الشديد السريع في المشي.

ناجي: من كتبت له النجاة من شر أو مصيبة أو ابتلاء.

نادر: القليل الوجود في علمه وأخلاقه وصفاته الحميدة.

نادي: مجلس القوم، مبتل بالندى، جواد كريم.

ناشد: الطالب، الراغب، المعرف.

ناصح: الخالص من كل شيء، الخياط، نقي، مقدم النصيحة، واعظ.

ناصر: الذي ينصر غيره، معين، مساند، مجرى الماء في الواد.

ناصف: الذي ينصف غيره، القاسم نصفين، عادل، الخادم.

ناظم: مؤلف، قائل الشعر، مرتب، منظم.

نامق: محسن ومزين.

نايف: سامٍ، مرتفع، مشرف، شاهق.

نبل: الذكاء والنجابة، كمال الجسم، الفضل.

نبوي: المنسوب إلى النبي ﷺ.

نبهان: فطن، ذكي، ذو نباهة.

نبيل: الشريف، الجسيم، الجيد، الفاضل، فواصل طيب.

نبيه: فطن، ذكي، ذو نباهة، متوقد الذهن.

نجاتي: أصل الكلمة نجاة والياء للنسبة، فوزي وخلاصي، ظفري.

نجاح: مشترك، الظفر بالمطلوب، الفوز، النصر.

نجاشي: مثير الصيد للصياد، ملك الحبشة قديمًا.

نجدة: مشترك، الشجاعة والاستهانة بالموت، البأس والقوة، القتال.

نجف: التل، مكان مستطيل في بطن الوادي أو الأرض لا يعلوه الماء.

نجيب: الكريم الأصل، الفاضل، النبيل.

نخلة: مشترك، شجـرة التمر المعروفة، والنخل مشتق من انتـقاء الشيء، واختباره لأنه أشرف كل ذي ساق.

نداء: مشترك، دعاء، صياح، صوت مجرد، دعوة.

نديم: المنادم، الرفيق المصاحب، الجالس على الشراب.

نزار: قليل، نادر، قلة الخير.

نزيه: العفيف، طاهر من كل عيب.

نسيم: الريح اللينة، الروح، الصلابة.

نشأت: أصلها نشـأة، النشؤ ما ارتفع من النـبات ولم يغلظ بعد أو نشـأة الدنيا، واستعملها الأتراك بالتاء المفتوحة.

نصار: الشديد النصر، كثير المساعدة والإعانة.

نصحي: أصل الكلمة نصح، وعظ وإرشاد والياء للنسبة.

نصر: الفوز، المساعدة، النجاح، التفوق، الإعانة، المطر.

نصرت: النصر هـو الفوز، وهي في الأصل نصـرة، واستخـدمها الأتـراك بالتاء المفتوحة.

نصري: هو الفوز والياء للنسبة.

نصير: محارب متطوع لا ينتمي إلى الجيش النظامي، معين على النصر.

نضال: الدفاع، الكفاح، المغالبة في رمي السهام.

نظام: إطاعة القوانين، سلك اللؤلؤ، السلطة وطريقة الحكم.

نظمي: النظم هو التـأليف، التنسيق، ويـغلب إطلاقه على الكلام المنظوم والـياء للنسبة.

نظير: مثيل، المساوي.

نظيم: المنظوم من الشعر، مرتبة، أنيق، مؤلف.

نعامة: مشترك، طائر كبير قصير الجناحين لا يستطيع الطيران.

نعسان: الناعس، النائم.

نعمان: لقب ملوك الحيرة، اسم من أسماء الدم ولذلك سميت الوردة شديدة الاحمرار بشقائق النعمان.

نعيم: طيب العيش، ورغد، السكون والدعة والمال.

نقيب: سيد القوم ورئيسهم، رتبة عسكرية متوسطة في مصر توضع على كتف صاحبها «ثلاث نجوم».

نَمِر- نِمْر: الحيوان المفترس المعروف.

نمير: الذكي الطيب من الماء ومن الحسب.

نهاد: اسم مشترك يعني المكان العالي المرتفع.

نهر: اسم مشترك وهو الماء العذب الجاري.

نوار: اسم مشترك يعني شديد النور، ضوء ساطع.

نواس: متحرك، ذئب.

نور: اسم مشترك يعني الضوء.

نورس: طائر مائي أبيض متوسط الحجم.

نوح: كثير النوح وشديد البكاء وهو اسم نبي الله أول رسول إلى أهل الأرض.

نواف: علو وارتفاع وسمو في القدر، طول، بهاء، حسن، شاهق.

نوفل: البحر، السخي، الكريم، كثير العطاء، الشاب الجميل.

نياف: انظر نواف.

نير: مضيء، واضح، مشرق.

نيروز: كلمة فارسية تعني اليوم الجديد، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية عند الفرس «إيران حاليًا»، ويوافق الحادي والعشرين من مارس في السنة الميلادية ويحرم الاحتفال به؛ لأنه من أعياد المشركين والكفار.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

نادرة: قليلة الوجود، الطريفة، الطرفة من الكلام.

نادية: ندية يبللها الندى، ناضرة، ناحية، النخلة البعيدة عن الماء.

ناردين: نبات طيب الرائحة.

ناريمان: اسم مركب من كلمتين «نار» وهي بالفارسية «رمان» وتعني مثل «الرمان».

نازل: بالتركية تعني ناعمة رقيقة، طاعنة بالنيزك، وهو الرمح القصير.

نازين: فارسية تعني ذات دلال وميول وتبختر.

نافعة: ما ينتفع به، التي تنفع، مفيدة.

ناهد: الأسد، ذات النهدين البارزين من النساء، المرتفع الشريف.

نبوية: نسبة إلى النبي ﷺ وهي المنبئة بالأخبار قبل وقوعها تخمينًا.

نبيلة: شريفة، وذات نجاحة، حسيبة نسيبة.

نبيهة: ذات فطنة وذكاء، واعية، ذات نباهة، فاهمة، متوقدة الذهن.

نجاة: الخلاص، الغصن، ما ارتفع من الأرض والظفر والفوز.

نجدة: شجاعة، استهانة بالموت، قتال، مدد.

نجف: تل، مكان مستطيل في بطن الوادي لا يعلوه الماء.

نجفة: ثريا، مجموعة من المصابيح الكهربائية منسقة الوضع باهرة.

نجلاء: ذات عينين واسعتين.

نجوى: مناجاة الكلام سرًا، محادثة الشخص نفسه.

نجوان: ناجية وخالصة من الشر والأذى.

نجيبة: انظر نجيب في الذكور.

نجية: هاجس، موضع السر، من التناجي.

ندى: الطل، المطر الخفيف، الكرم، الجود، العشب، المدى، الغاية، الثرى.

نداء: دعاء وصياح، دعاء، صوتَ مجرد.

ندرة: قطعة من الذهب أو فضة توجد في المعادن قليلة الوجود، نادرة.

نرجس: نبات من الرياحين له زهر أبيض مستدير وعلى ورق طويل مثل الكراث، وبجماله تشبه العيون الجميلة وأصل الكلمة فارسية «نركس».

نزاهة: العفة والبعد عن الشر والسوء.

نزيهة: انظر نزيه في الذكور.

نسرين: ورد أبيض ذو رائحة عطرية قوية، والأصل فارسي.

نسمة: هبَّة الريح وحركتها الخفيفة.

نشوى: أول السُكر، الرائحة، فرحة، بهجة، حب الشيء والعودة إليه مرة بعد مرة.

نصرة: العون، المساعدة، الإغاثة، التأييد.

نصيرة: انظر «نصير» في الذكور.

نضال: انظر «نضال» في الذكور.

نظيرة- نظيمة: انظر «نظير- نظيم» في الذكور.

نعمان: جمع «نعمة» وهي الرزق والإحسان، المرة، المال.

نعمت: هي «نعمة» وجعلها الأتراك بالتاء المفتوحة.

نعمة: انظر قبل السابق.

نعناعة: واحدة النعناع، وهو نبات يزرع في الأرض الرِطبة، ويستخدم كمشروب طيب تطرد به الغازات.

نعيمة: متمتعة بالنعيم وهدوء البال.

نغم: التطريب في الغناء، حسن الصوت، جرس الكلمة.

نغمة: واحدة النغم.

نفيسة: غالية، ثمينة، كثيرة المال، مرغوب فيها.

نقيبة: انظر «نقيب».

نهاد: انظر الذكور.

نهى: عقل، لب.

نهال: جمع «ناهـل، ناهلَة» وهو الذاهب أو الذاهبة إلى المنهل للشـرب. والنهل هو أول الشرب، وبالفارسية تعني شجرة حديثة النمو.

نهاية: آخر الشيء.

نهلة: مرتوية وريانة من الشرب ضد عطشانة.

نوادر: جمع «نادرة» وهي قليلة الوجود الفصيحة، الجيدة.

نوار: المرأة العفيفة التي تفر من الشك والتهمة ومن الفحل.

نوارة: زهر النبات، زهرة القطن.

نواعم: جمع «ناعمة» وهي المرأة اللينة.

نوال عطاء، نصيب، صواب.

نوجة زوبعة من الرياح.

نور الهدى ضوء الرشاد والهداية.

نور الزمان ضوء العصر.

نويرة تصغير النار.

نيرة انظر «نير».

نيفين فارسية بمعنى جديد أو جبل.

نيرفانا كلمة هندية تدل على كفر بواح فمعناها التناسخ للروح بمعنى انتقالها من جسد إلى آخر، والتخلص من الشرور والعلو والارتفاع في المكان.

☆ ☆ ☆

أسماء تبدأ بحرف الهاء

(١) أسماء الذكور

هادي: من يهدي الناس، وهو المرشد، الدليل، المتقدم، العنق، الأسد.

هارون: أخو موسى عليه السلام وقد وصفه موسى عليه السلام بأنه أفصح منه لسانًا، وكان وديعًا صبورًا.

هاشم: الجبل الرخو، الحلاب الماهر، الذي يهشم «يكسر» وهو أحد أجداد النبي ﷺ سُمي بذلك لأنه كان أول من هشَّم الثريد لأهل مكة.

هانئ- هاني: بالهمزة والتخفيف، السعيد، الخادم.

هبة الله: اسم مشترك يعني نعمة الله وعطيته.

هجام: الشجاع، الأسد، الكثير الهجوم على الناس.

هجان: البيعين الكرام من الإبل، الخيار المنتقى، الكريم الحسيب من الرجال والنساء.

هجرس: الثعلب، ولد الثعلب، الدُّب.

هداية: إرشاد، بيان، دلالة.

هراس: الأسد شديد الكسر والأكل، بائع الهريسة وصانعها.

هرماس: ولد النمر.

هريرة: مشترك بين الرجال والنساء، وهي الهرة، أي: القطة الصغيرة، وأشهر من تسمى به «أبو هريرة» رضي الله عنه.

هشام: الجود، الكرم.

هلال: أول مراحل القمر، الغلام الجميل، المطر، الحية، ذكر الحيات.

همام: من أصدق الأسماء كما أخبر ﷺ وهو المنفذ لما همَّ به وأراد.

هند: اسم مشترك، وهو اسم البلاد المشهورة «الهند»، واسم لأحد زوجات النبي

ﷺ وهي: هند بنت زاد الراكب أم سلمة رضي الله عنهـا وبه تسمى ابن أم المؤمنين خديجة الصحابي «هند بن أبي هالة» وهو خال الحسن والحسين رضي الله عنهما أحد الوصَّافين الذين أجادوا وصف النبي ﷺ.

هندي: المنسوب إلى الهند، وهو أيضًا من أسماء السيوف المنسوبة إلى الهنود.

هيثم: ابن الصقر، ابن النسر، الرملة الحمراء.

هندم: الأسد، الصلب الشديد.

هيكل: مـوضع عند اليـهـود والنصارى، الـبناء المرتفع، الفـخم من كل شيء، المرتفع.

هيمان: محب شديد الحب، الشديد العطش، السائر على غير هدى.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

هاجر: الفائقـة الممتازة، ترك الوطن والانتـقال، وهو اسم المصرية «هاجـر» امرأة خليل الله، أم ابنه إسماعيل جد العرب، وأبو النبي ﷺ الأكبر.

هادية: العصا، العنق، الصخرة الناتئة البارزة من الماء أو المرشدة.

هالة: الدارة المحيطة بالقمر «حلقته» ودائرة من الضوء تحيط بكوكب سماوي.

هانم: السيدة العاقلة الرزينة، وهو لقب تركي.

هانية: مسرورة سعيدة وأصلها: هانئة.

هبة: منحة بلا عوض، عطية بلا رد.

هدى: رشاد، استقامة، نهار، طاعة، طريقة، بيان.

هدايات: اسم للدليل على الهداية، وهو جمع لها.

هدية: ما يهدى للحرم من نعم، وكل ما يهدى عمومًا للتعبير عن الحب والعرفان والتقدير.

هدير: صوت شديد كأنه رعد أو نهر.

- هديل: صوت الحمام، فرخ الحمام، رجل كثير الشعر.

هديم: النبات الباقي من العام الآخر.

همسة: صوت خفي.

هنادي: بمعنى «هند» وهو اسم لمائة من الإبل.

هناء: سعادة، سرور، غبطة.

هند: انظره في الذكور.

هندية: نسبة إلى الهند.

هنية: سعيدة، هانئة، مسرورة، لذيذة.

هويدا- هويدى: تصغير هوادة وهي الليل والرفق والنعومة، وما يرجى به الصلاح بين القوم.

هياتم: أشجار الحمضيات.

هَيام: التراب الناعم الجاف.

هُيام «بضم الهاء»: الجنون وشدة الحب.

هيفاء: ضامرة «نحيلة» البطن.

هيماء: الصخرة الواسعة التي لا ماء فيها.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الواو

(١) أسماء الذكور

وائل: الراجع إلى الله، المسرع، الملتجئ، الشد به.

وئام: مشترك، ومعناه الموافقة في العشرة والود وغيرهما.

واثق: مطمئن، متأكد، ذو ثقة، ثابت وقوي.

الواثق بالله: المطمئن بالله.

واعر: صعب.

واعظ: مرشد إلى الدين.

واصل: بالغ المكان، منته إلى غايته، واصل للرحم، رابط ما انقطع، تابع، متوالي.

واعي: مدرك، متيقظ.

وجيد: ما استوى من الأرض، موجود.

وجيه: سيد القوم، ذو الوجاهة، رئيس الناس.

وحيد: منفرد بنفسه، لا مثيل له، بعيد عن غيره، من لا أخ له.

وديد: محب، كثير التودد، متمني الخير.

وديع: هادئ ساكن، مطمئن، ذو دعة وراحة، عهد.

وردان: مثنى ورد زهر الشجر، دويبة تشبه الخنفساء.

ورقة: كريم من الناس، ورقة شجر أو كتابة.

وسام: اسم مشترك، يعني نيشان التكريم، قلادة، سِمَة، علاقة.

وسيم: الجميل من الرجال، بشوش، أنيق، مهندم.

وصفي: ناعت الشيء ومحليه، وقد تكون الياء للمتكلم بمعنى يعني

وصيف: غلام بلغ أوان الخدمة وأحسنها، غلام دون المراهق، خادم.

وضَّاح: جميل الوجه، أبيض اللون بسام الوجه، النهار.

وفائي: الأصل «وفاء» والياء للنسب والمعنى مخلص أو هو «أمانتي» فالياء هنا للمتكلم.

وفيق: الرفيق، الموفق الناجح.

وقاص: الشبكة تصيد الطيور، كاسر الأعناق.

ولاء: مشترك يعني المحبة، الصداقة، الموالاة، القرب، الانتماء.

وليد: مولود وقت الوضع.

ونيس: أنيس، سمير، مجالس، رفيق.

وهاس: الأسد.

وهبة: عطية، هبة، منحة بلا عوض.

وهبي: أصلها «وهبة» وقد تكون الياء للمتكلم بمعنى وهبني منحني.

وهران: خائف.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

وئام: محبة موافقة في العشرة والود.

وجدان: النفس وقواها الباطنة.

وجيدة: انظر وجيد، وهي الأرض المستوية.

وجيهة: ذات وجاهة وجاه.

وحيدة: انظر وحيد.

وداد: حب ومودة، مَن تَودُّ غيرها ويودها من حولها.

وديدة: انظر وديد.

وديعة: انظر وديع ومعناها الأمانة، وما أودع ليحفظ.

وردة: زهرة، واحدة الورد.

وزة: الأوزة: طير يشبه البط مع أنه أكبر منه والرقبة أطول.

وسام: انظر باب الذكور.

وسيلة: طريقة، منزلة عند ذوي السلطان، درجة، ما يتقرب به وهي منزلة في الجنة لرسول الله ﷺ.

وسيمة: جميلة الوجه، مزينة.

وصال: اجتماع الأحباب لتبادل الحب.

وصيفة: خادمة الملكة، بالغة دون المراهقة.

وطنية: مخلصة لوطنها.

وعود: جمع «وعد» وهو العهد.

وفاء: إخلاص، محافظة على العهد والوعد.

وفيّة: مخلصة، توفي بالحق، تعطي الحق وتأخذ به.

ولاء: انظره في باب الذكور.

وهيبة: موهوبة.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الياء

(١) أسماء الذكور

ياسر: السهل، الجزار، لين، وهو اسم للصحابي الجليل الشهيد أبو عمار وزوج سمية، وهو كبير «آل ياسر» الشهداء الثلاثة: الأب، والأم، والولد رضي الله عنهم وأرضاهم.

ياسين «يس»: حرفان مقطعان من حروف القرآن ولا علاقة لهما باسم النبي ﷺ كما يقول بعض الحمقى.

يافع: سامي، عالي، اقترب من البلوغ من الفتيان.

ياقوت: حجر كريم معروف.

يامن: من أهل اليمين.

يسار: اسم مشترك يعني السهولة، الغنى، ضد اليمين، وهو الشمال.

يُسْر: السهولة، الثراء.

يسري: السائر في الليل.

يزيد: مضارع بمعنى الزيادة، النماء، والكثرة.

يعبوب: النهر شديد الجريان، الجدول كثير الماء، السماء.

يعسوب: ذكر النحل، رئيس القوم.

يعفور: الغزال، ولد البقر الوحشية، قسم من الليل، اسم حمار النبي ﷺ.

يعقوب: ذكر الجمل، وهو النبي الجليل ابن إسحاق بن إبراهيم وأبو يوسف عليهم السلام.

يقظان: صاحب، حذر، متيقظ واعٍ، ضد نائم، متنبه.

يمام: حمام بري.

يمان: أبو حذيفة رضي الله عنه وهو نسبة إلى اليمن واليمانية، وإلى اليمين.

يحيى: يعيش «اسم نبي الله يحيى».

يهماد: أرض واسعة.

يوسف: من الأسف، والحسن، والجمال، وهو النبي الجليل.

يونس: من الأنس، وهو اسم نبي الله صاحب الحوت «ذي النون» عليه السلام.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

ياسمين: زهر أبيض طيب الرائحة.

يسرا- يسرى: جهة اليسار، خلاف اليمين، سهلة.

يسرية: ذات يسار وسهولة وغنى.

يمامة: واحدة اليمام، وهي الحمامة البرية.

يُمْنى: ضد اليسرى، مبروكة، جهة اليمين.

☆☆☆

سادسًا: العقيقة:

وأصل العقيقة الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد وإنما سميت تلك الشاة التي تذبح في تلك الحال عقيقة لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح[(١)] .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال: **«لا أحب العقوق، من ولد له منكم مولود فأحب أن ينسك عنه فليفعل عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة»**[(٢)]

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«الغلام مرتهن**

---

(١) لسان العرب (ص٣٠٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٤ شاكر) (٦٧١٣) وقال: إسناده صحيح، وعبد الرزاق في المصنف رقم (٧٩٦١)، وأبو داود (٣/ ٢٦٢) (٢٨٤٢)، والنسائي (٧/ ١٦٢، ١٦٣)، والحاكم (٤/ ٢٣٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق رأسه ويسمى»[1] .

وقد تكلم الناس في معنى قوله: «**مرتهن بعقيقته**»، وأجود ما قالوا: أن معناه إن مات طفلاً ولم يعق عنه لم يشفع في والديه، ويروى عن قتادة أيضًا: أنه يحرم شفاعتهم[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «يعني عن الغلام مكافأتان وعن الجارية شاة». قالت عائشة: «فعق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين شاتين شاتين يوم السابع وأمر أن يماط عن رأسه الأذى قال: «**اذبحوا على اسمه وقولوا: بسم الله الله أكبر، منك ولك، هذه عقيقة فلان**». قالت: «وكانوا في الجاهلية تؤخذ قطنة فتجعل في دم العقيقة ثم توضع على رأسه فأمر رسول الله ﷺ أن يجعل موضع الدم خلوقًا»[3] .

والعقيقة تشبه العتق عن المولود فإنه رهين بعقيقته، فالعقيقة تفكه وتعتقه وكان الأولى أن يعق عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة، كما أن عتق الأنثيين يقوم مقام عتق الذكر[4] .

كما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرئ مسلم أعتق امرأً مسلمًا كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضواً منه، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضو منهما عضواً منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضواً منها**»[5]

وسئل أبو عبد الله: الرجل يولد له وليس عنده ما يعق، أحب إليك أن يستقرض ويعق عنه أم يؤخر ذلك حتى يوسر؟ قال: أشد ما سمعت في العقيقة حديث الحسن

---

(١) أحمد (٥/ ٧)، وأبو داود (٣/ ٢٦٠) (٢٨٣٨)، والترمذي (٥/ ١١٣) (١٥٥٩) وقال حديث حسن صحيح والنسائي (٧/ ١٦٦)، والحاكم (٤/ ٢٣٧) وصححه ووافقه الذهبي، وسبق تخريجه رقم (٤٥).

(٢) أورده البغوي في شرح السنة (١١/ ٢٦٨) نقلاً عن الإمام أحمد وقتادة بتصرف.

(٣) أخرجه أبو يعلى والبزار كما في مجمع الزوائد (٤/ ٥٨) وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ أبي يعلى إسحاق فإني لم أعرفه.

(٤) ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٣٣١).

(٥) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٥) (٣٩٦٧)، والترمذي (٥/ ١٤٤، ١٤٥) (١٥٨١)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ٨٤٣) (٢٥٢٢).

عن سمرة عن النبي ﷺ: «كل غلام رهينة بعقيقته»، وإني لأرجو إن استقرض أن يجعل الله الخلف لأنه أحيا سنة من سنن رسول الله ﷺ واتبع ما جاء عنه.

وهذا لأنه سنة ونسيكة مشروعة بسبب تجدد نعمة الله على الوالدين وفيها سر بديع موروث عن فداء إسماعيل بالكبش الذي ذبح عنه وفداه الله به، فصار سنة في أولاده بعده، أن يفدي أحدهم عند ولادته بذبح يذبح عنه، ولا يستنكر أن يكون هذا حرز له من الشيطان بعد ولادته، كما كان ذكر الله عند وضعه في الرحم حرزاً له من ضرر الشيطان، ولهذا قال: من يترك أبواه العقيقة عنه إلا وهو في تخبيط من الشيطان، وأسرار الشرع أعظم من هذا.

ولهذا كان الصواب أن الذكر والأنثى يشتركان في مشروعية العقيقة وإن تفاضلا في قدرها[١] ، وسئل أبو عبد الله عن العقيقة أحب إليك أو يدفع ثمنها للمساكين؟ قال: العقيقة. فكان الذبح في موضعه أفضل من الصدقة بثمنه، ولو زاد من الهدايا والأضاحي، فإن نفس الذبح وإراقة الدم مقصودة، فإنه عبادة مقرونة كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢). وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢). ففي كل ملة صلاة ونسيكة لا يقوم غيرها مقامها ولهذا لو تصدق عن دم القران بأضعاف القيمة لم يقم مقامه وكذلك الأضحية.

وقد جعل الله سبحانه النسيكة عن الولد سببًا لفك رهانه من الشيطان الذي يعلق به من حين خروجه إلى الدنيا، وطعن في خاصرته، فكانت العقيقة فداءًا وتخلصًا له من حبس الشيطان له وسجنه ومنعه له من سعيه في مصالح آخرته التي إليها معاده، فكأنه محبوس لذبح الشيطان له بالسكين التي أعدها لأتباعه وأوليائه وأقسم لربه أنه ليستأصلن ذرية آدم إلا قليلاً، فهو بالمرصاد للمولود من حين يخرج إلى الدنيا، فحين يخرج يبتدره عدوه ويضمه إليه ويحرص على أن يجعله في قبضته وتحت أسره ومن جملة أوليائه وحزبه فهو أحرص شيء على هذا وأكثر المولود من أقطاعه وجنده كما قال تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الإسراء: ٦٤). وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٥١).

عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ (سبأ: ٢٠). فكان المولود بصدد هذا الارتهان، فشرع الله سبحانه للوالدين أن يفكا رهانه بذبح يكون فداه، فإذا لم يذبح عنه بقي مرتهنًا به، فلهذا قال عليه الصلاة والسلام: «الغلام مرتهن بعقيقته فأريقوا عنه الدم وأميطوا عنه الأذى». فأمر بإراقة الدم عنه الذي يخلص به من الارتهان. فلما أمرنا بإزالة الأذى الظاهر عنه، وإراقة الدم الذي يزيل الأذى الباطن بارتهانه علم أن ذلك تخليص للمولود من الأذى الباطن والظاهر[1].

ومن فوائد العقيقة:

١- التقرب إلى الله عن المولود بها وذكر اسمه في أول لحظات حياته حتى يبارك الله فيه ويطيبه ويجعله من الذين يبذلون الغالي والنفيس لله رب العالمين.

٢- أنها فدية له من المصائب والآفات كما فدى الله إسماعيل بذبح عظيم.

٣- أنها طريق لبر الوالدين وشفاعة المولود لهما.

٤- تقوية روابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع في الاجتماع على موائد الطعام ابتهاجًا بقدوم المولود الجديد.

٥- إرساء قواعد التكافل الاجتماعي والتي يتحين الإسلام في كل مناسبة ليدعمها ويمحو ظواهر الفقر والحرمان والفاقة.

٦- إحياء سنة رسول الله ﷺ.

سابعًا: الختان:

الختان: موضع الختن من الذكر وموضع القطع من نواة الجارية وتسمى الدعوة لذلك ختانًا.

والمستحق في الرجال قطع القلفة وهي الجلدة التي تغطي الحشفة حتى لا يبقى من الجلدة شيء متدل[2]. وختان المرأة قطع جلدة تكون في أعلى فرجها فوق مدخل

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٥٨، ٥٩).

(٢) أورده المباركفوري في التحفة (٨/ ٣٤)، والحافظ في الفتح (١٠/ ٣٥٢، ٣٥٣) نقلاً عن إمام الحرمين.

الذكر كالنواة أو كعرف الديك، والواجب قطع الجلدة المستعلية منه دون استئصاله[١].

فعلى الرجل أن يقطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج[٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خمس من الفطرة...، منها: الختان**»[٣]. وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء**»[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأم عطية: «**إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل**»[٥]. وأشمي: أي: اتركي الموضّع أشم، والأشم: المرتفع[٦].

وعن أم المهاجر قالت: «سبيت وجواري من الروم فعرض علينا عثمان الإسلام فلم يسلم منا غيري وغير أخرى فقال: اخفضوهما وطهروهما. فكنت أخدم عثمان»[٧].

ومن فوائد الختان:

١- أن فيه مزيد الطهارة والنظافة، فإن القلفة من المستقذرات عند العرب، وقد كثر ذم الأقلف في أشعار الجاهلية، وكان للختان عندهم قدر، وأقر الإسلام ذلك.

---

(١) أورده المباركفوري في التحفة (٨/ ٣٤)، والحافظ في الفتح (١٠/ ٣٥٢، ٣٥٣) نقلاً عن الماوردي.

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (٣/ ١٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٤٧) (٥٨٨٩)، ومسلم في الطهارة باب خصال الفطرة (١/ ٢٢١) (٤٩) (٢٥٧)، وأبو داود (١/ ٤٦) (٥٤)، والترمذي (٨/ ٣٣) (٢٩٠٥)، والنسائي (١/ ١٤)، وابن ماجه (١/ ١٠٧) (٢٩٢).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٧٥)، والبيهقي (٨/ ٣٢٥)، وأورده الحافظ في التلخيص (٤/ ٧٢) عن أحمد وابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢٤٧)، وشرح السنة (٢/ ١١٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٥/ ٤٢١) (٥٢٧١)، والدولابي (٢/ ١٢٢)، والخطيب في التاريخ (٥/ ٣٢٧)، والطبراني في الأوسط كما في المجمع (٥/ ١٧٢) وقال الهيثمي: وإسناده صحيح حسن.

(٦) ابن القيم في تحفة المودود (ص١٥٠).

(٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٣٦٢) رقم (١٢٤٥، ١٢٤٩).

٢- ويتخلص المرء من المفرزات الدهنية والسيلاني الشحمي المقزز للنفس ومن خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد.

زاد على ذلك أنه استجابة فعلية للفطرة فعسى الله أن ينفعه بالفطرة التي فطر الناس عليها، وبالحنيفية السمحة التي شرعها الله سبحانه على لسان أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

والمقصود أن صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له في عبادته وحده لا شريك له وصبغت الأبدان بخصال الفطرة من الختان وغيره فظهرت فطرة الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم.

ثامنًا: إثبات نسبه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الملاعنة قال النبي ﷺ: «أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل من بني فَزَارَة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود. وهو يريد الانتفاء منه، فقال: «هل لك من إبل؟». قال: نعم. قال: «ما ألوانها؟». قال: حمر. قال: «هل فيها من أورق؟». قال: فيها زَوْدُ وُرْقٍ. قال: «فما ذاك تُرَى؟». قال: لعله أن يكون نزعها عرق. قال: «فلعل هذا أن يكون نزعه عرق». قال: فلم يرخص له في الانتفاء منه. وفي رواية: قال أبو هريرة: فمن أجله قضى رسول الله ﷺ هذا: «لا يجوز لرجل أن ينتفي من ولد ولد على فراشه إلا أن يزعم أنه رأى فاحشة»[٢].

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (٢/ ٣٩٣)، وأبو داود (٢/ ٦٩٥) (٢٢٦٣) في كتاب الطلاق باب التغليظ في الانتفاء، والنسائي (٦/ ١٧٩)، وابن ماجه (٢/ ٩١٦) (٢٧٤٣)، وابن حبان رقم (١٣٣٥)، والحاكم (٢/ ٢٠٢)، وصححه ووافقه الذهبي، والبغوي في شرح السنة (٩/ ٢٧٠) (٢٣٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في الطلاق باب إذا عرَّض بنفي الولد (٩/ ٣٥١) (٥٣٠٥)، ومسلم في اللعان (٢/ ١١٣٧) (١٩/ ١٤٩٩)، وأبو داود (٢/ ٦٩٤) (٢٢٦٠)، والنسائي في الطلاق باب التغليظ في الانتفاء من الولد (٦/ ١٧٨، ١٧٩)، واللفظ له والرواية الأخرى أيضًا له وقوله: أورق هو الذي فيه سواد ليس بصاف (النووي)، وأحمد (٢/ ٢٣٤).

وعن صفية بنت أبي عبيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «ما بال رجال يطأون ولائدهم ثم يدعونهن يخرجن؟ لا تأتيني وليدة يعترف سيدها أن قد ألم بها إلا ألحقت به ولدها فأرسلوهن بعد أو أمسكوهن»[1].

ولقد ألغى الإسلام التبني وأمر بنسبة الأولاد إلى آبائهم الأصليين، فإن لم يعلم لهم آباء فهم إخوان لنا في الدين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣). مسائل، منها: أن الولد إنما يلتحق بالوالد لكونه مولودًا على فراشه على ما قال ﷺ: «الولد للفراش»[2]. فكأنه قال: ولدت المرأة الولد للرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه، فهذا تنبيه على أن سبب النسب واللحاق مجرد هذا القدر[3].

وهذا الحق من أعظم ما أثبتته السنة للطفل بعد انفصاله من أمه فمن حق الولد على أبيه إثبات نسبه منه لأنه ثمرة الزواج الشرعي بين أبويه.

تاسعًا: الدعاء للمولود وشكر الواهب:

عن معاوية بن قرة أنه لما ولد له إياس قال: «دعوت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ فأطعمتهم فدعوا فقلت: إنكم قد دعوتم فبارك الله لكم فيما دعوتم وإني إن أدعو بدعاء فأمنوا. قال: فدعوت له بدعاء كثير في دينه وعقله وكذا قال: فإني لأتعرف فيه دعاء يومئذ»[4].

وعن كثير بن عبيد قال: «كانت عائشة رضي الله عنها إذا ولد فيهم مولود- يعني أهلها- لا تسأل غلامًا ولا جارية تقول: خلق سويًا؟ فإذا قيل: نعم، قالت: الحمد

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٧٤٣)، في الأقضية والبغوي في شرح السنة (٩/ ٢٧٩) (٢٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ١٨٤) (٧١٨٢)، ومسلم في الرضاع باب الولد للفراش وتوقي الشبهات (٢/ ١٠٨٠) (٣٦/ ١٤٥٧)، ومالك في الموطأ (٢/ ٧٣٩)، وأبو داود (٢/ ٧٠٣) (٢٢٧٣)، والترمذي (٤/ ٣٢١) (١١٦٩)، والنسائي (٦/ ١٨٠/ ١٨١)، وابن ماجه (١/ ٦٤٦) (٢٠٠٤)، والدارمي (٢/ ١٥٢)، وأحمد (١/ ٥٩).

(٣) الفخر الرازي في التفسير (٦/ ١٢٨).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٢٥٥) باب الدعاء في الولادة.

لله رب العالمين»[1] .

عاشراً: تجنب البدع والمنكرات التي تحدث عند استقبال المولود:

* ينبغي للوالد بعد الولادة أن ينبه النساء عنده بأن يتجنبن التعبير عن فرحتهن برفع الأصوات، والزغردة، والغناء، والرقص وغير ذلك من الأمور غير اللائقة بهذا المقام، ويأمرهن بالذكر والشكر لله على نعمته، ورزقه بالمولود الجديد وسلامة المرأة[2] .

* وعلى الوالد أن يراعي تطبيق السنة في العقيقة، ويشرف بنفسه على ذلك، وأن يجنب المولود الجديد البدع المحدثة في هذا المجال مثل تلطيخ رأس المولود بدم العقيقة كما كان يفعل في الجاهلية؛ بل يستعاض عن ذلك بالزعفران[3] .

* كما ينبغي له أن يحترس مما أحدثه بعض الناس في ليلة السابع من وضع المصحف ورغيف وسكر عند رأس المولود، فإن هذا لم يرد فيه دليل بل هو من البدع المحدثة[4] ، فالسنة أولى بالاتباع، فإن وجد الوالد بعض العنت من أهله وأقربائه، فإن سلامة المولود وحفظه من المحدثات والبدع أنفع له من إرضاء الناس.

* كما ينبغي عليه أن يحترس من إقامة حفل للختان لجمع الناس أو إنفاق الأموال[5] .

* ومن هذه البدع نذكر هذه الأمور لكي يبتعد عنها المسلمون:

١- الاعتقاد بأن اسم النبي ﷺ حرس للأطفال: فيقول البعض: اسم النبي حارسه وصاينه، اعتقاداً منهم بأن اسمه ﷺ يحرس الصغار ويدفع عنهم الحسد، وهو اعتقاد فاسد، وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الأعراف: ١٨٨). فكيف يحفظ اسمه ﷺ الصغار إذن؟!

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٢٥٦) (٢/ ٦٥٤) فضل الله الصمد.

(٢) المدخل (٣/ ٢٨٦، ٢٨٧) لابن الحاج.

(٣) تحفة الودود (ص٤٩، ٥٠).

(٤) ابن الحاج (٣/ ٢٩٠) في المدخل.

(٥) منكرات الأفراح (ص٨٣) للإستانبولي.

٢- تسمية الأولاد بأسماء خاطئة لم يرد بها الكتاب ولا السنة:

فيسميه: عبد الموجود، وهو خطأ لأن الموجود ليس من أسماء الله تعالى، والصواب: عبد الواجد.

ويسميه: عبد العال، والصَحيح: عبد المتعال.

ويسميه: عبد الستار، والصحيح: عبد الستير.

ويسيمه: عبد العاطي، والصحيح: عبد المعطي.

ويسيمه: عبد الرسول أو عبد النبي، والصحيح: عبد رب الرسول أو عبد رب النبي.

٣- الاعتقاد في أن اللحم والسمك يقطعان اللبن إذا دُخل بهما على النفساء: وكذا يعتقدون في أن من حلق رأسه لا يدخل على النُّفساء التي وضعت حتى لا يقطع اللبن وتسمى عند أهل مصر: المكبوسة!! ويفكون (كبستها)!! عن طريق إحضار ما يستخدمه الحلاق من آلات ومعدات فتُغسل في الماء ثم تغتسل بها المكبوسة!! ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف تشفي أمواس الحلاقة وآلات الحلاق مرضًا وتُدر اللبن؟! قال الله تعالى: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (الأنعام: ١٧).

وقد تقول بعض النساء الجاهلات الحمقاوات: لكن هذا أمرٌ مجرب، ونحن رأيناه وورثناه عن أمهاتنا. فنقول لهن: اسمعن إلى هذا الحديث: عن زينب امرأة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما قالت: «كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبَزَق كراهية أن يهجم منَّا على أمر يكرهه. قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير. قالت: فدخل فجلس إلى جانبي، فرأى في عنقي خيطًا فقال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خَيْطٌ رُقِيَ لي فيه. فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**». قالت: قلت له: لِمَ تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت؟ فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها- يعني

اليهودي- كفَّ عنها- أي: الشيطان- وإنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «أذهب البأس ربَّ الناس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»(١)

قلت: فإنما يتصرف الشيطان في هذه اللحظات باعتقاد النساء الخاطئ بأن اللحم والسمك وحلاقة الشعر تؤدي إلى انقطاع اللبن استدلالاً بكلام ابن مسعود رضي الله عنه، فإن جاءوا بعدة الحلاق تصرف، فكان ذلك نصراً له على من يفترض أنهم يدينون لله بالتوحيد الخالص.

إن أمَّة تعتقد في (عدة الحلاق) بالنفع والضر بينها وبين التمكين والنصر آلاف السنوات الضوئية إن لم تعد عن هذا الاعتقاد الفاسد المنحرف.

☆☆☆

---

(١) **حسن**: حسنه العلامة شاكر في المسند (١/ ٣٨١) برقم (٣٦١٥).

آداب، وحقوق، ووصايا
مرحلة ما بعد الولادة إلى سن ثلاث سنوات
حقوق الصغير على أبويه بعد ولادته

ومرحلة ما بعد الولادة امتدادٌ لحياة الإنسان في هذا الوُجود، فالصغير بعد أن كان جنينًا في بطن أمه صار وليدًا، وهو الآن رضيعٌ ينظر إليه الجميع فيسرون بملامحه الصغيرة التي تبعث البهجة في قلوب الأبوين، وكلما تبسم ابتسامته البريئة كلما شعر الجميع بأن الدنيا من حولهم تتبسم لهم.

إن الحياة يصبح لها أفضل طعم بعد قدوم الصغير إلى الدنيا، فيشعر الآباء والأمهات بأن بضعة منهم تجاورهم، وأن الأسرة تكبر يومًا بعد يوم بعد قدوم الآتي الجديد ببراءة الصغار المشعة من عينيه، فتمتلئ القلوب سعادة، وتتوجه المقاصد والأهداف نحو إسعاد هذا الصغير، وتوفير السعادة له في حياته الحارة والمستقبلة، وكم من الآباء أصابه التغير نحو الأفضل بعد أن صار أبًا، ولا ينقطع هذا الشعور بالسعادة الغامرة؛ لكنه يزداد يومًا بعد يوم، وحياة الصغار متجددة، فكل يوم من أيامهم بلون جديد من الابتسامات، وفتح العين، أو البكاء، أو الحالة الصحية المتقلبة التي تتأرجح بين الصحة والضعف، فترى المشاعر يختلط فيها الحب بالخوف، والسعادة بالقلق، ويا للصغير الآتي إلى دنيانا غيّر الكثير، فالحمد لله على هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا.

وينبغي ألاَّ يطغى شعورنا بالسعادة على بقية الأمور التي يجب مراعاتها مما افترضه الله سبحانه للصغار من حقوق واجبة على الآباء والأمهات، وهو ما سنحاول أن نعرضه ببسط في الصفحات القادمة، ولكن وقبل التعرض للتفصيلات، هذه نصيحة مجملة:

اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه جوهرة ساذجة، وهي قابلة لكل نقش، فإن عود الخير نشأ عليه وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه، وإن عود الشر نشأ عليه،

وكان الوزر في عنق وليه فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه أسباب الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، بل ينبغي أن يراقبه من أول عمره فلا يستعمل في رضاعه وحضانته إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه.

وينبغي أن يعلمه آداب الأكل ويعوده أكل الخبز وحده في بعض الأوقات لئلا يألف الإدام فيراه كالحتم، ويقبح عنده كثرة الأكل، ويحبب إليه الثياب البيض دون الملونة، ويمنعه من مخالطة الصبيان الذين عودوا التنعم، ثم يشغله في المكتب بتعليم القرآن والحديث وأحاديث الأخيار، ليغرس في قلبه حب الصالحين، ويكرم على الخلق الجميل والفعل المحمود، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال تغوفل عنه، ولا يكاشف فإن عاد عوتب سرًا، ولا يكثر عليه العتاب؛ لأن ذلك يهون عليه سماع الملامة، ويعود المشي والحركة والرياضة لئلا يغلب عليه الكسل، ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبواه أو بمطعمه أو ملبسه، ويعود التواضع والإكرام لمن يعاشره، ويعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط، ولا يضع رجلاً على رجل، ويمنع من كثرة الكلام، ويعود ألا يتكلم إلا جوابًا، وأن يحسن الاستماع إذا تكلم غيره ممن هو أكبر منه، ويحسن أن يفسح له بعد خروجه من المكتب في لعب جميل ليستريح به من تعب التأديب كما قيل: «روح القلوب تعي الذكر»(١).

لقد جمعت هذه النصيحة الشاملة ما ينبغي على الآباء والأمهات فعله من بعد ولادة الصغير وحتى بلوغه سنًا يستطيع من خلالها تمييز بعض الأمور، فهي نصيحة جامعة نافعة.

☆☆☆

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص١٥٩ - ١٦٢) لابن قدامة المقدسي، بتصرف.

(١) الرضاعة والتغذية والحضانة

الحضانة: مصدر الحاضِنة وهي التي تربي الطفل، والموكلة بالصبي تحفظه وتربيه[١]. والرضاع: مص الرضيع من ثدي الآدمية في مدة الرضاع[٢].

ويندب أن تقوم الأم بحضانة ورضاعة طفلها لأن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من سائر الألبان من حيث إن شفقة الأم عليه أتم من شفقةِ غيرها. قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣)[٣]. وقال جمهور المفسرين: إن هذين الحولين لكل ولد. وروي عن ابن عباس أنه قال: «هي في الولد يمكث في البطن ستة أشهر فإن مكث سبعة أشهر فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرًا فإن مكث تسعة أشهر فرضاعه أحد وعشرون شهرًا لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥). وعلى هذا تتداخل مدة الحمل ومدة الرضاع ويأخذ الواحد من الآخر[٤].

وقرر القرآن الكريم هنا حقيقة فائدة الرضاع من حليب الأم المعقم والذي هو أصح غذاء من كل أنواع الحليب الصناعي والعادي، وفائدته الغذائية والنفسية ثابتة ومهمة للأم ومفيدة لأعضائها التناسلية، وتقلل من الاستعداد للحمل المبادر طول مدة الرضاعة حتى تستعيد الأم صحتها وتختزن في جسمها من المواد اللازمة للحمل مما كشفه الطب حديثًا.

ومن الغريب أنه في الوقت الذي انتشر استعمال اللبن المجفف في مجتمعنا كدلالة على الرقي والتطور تنادي أرقى مستشفيات العالم بأهمية العودة إلى حليب الأم في الرضاعة وتؤكد على ضرورته في أسابيع وشهور الوليد الأولى حيث يكون الطفل صغيرًا محتاجًا في غذائه إلى أمه من أجل تأمين جسمه وحياته العاطفية

---

(١) اللسان (ص٩١١) بتصرف.

(٢) الجرجاني في التعريفات (ص١١١).

(٣) الرازي في تفسيره (٦/ ١٢٦) بتصرف.

(٤) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن الكريم (٣/ ١٦٣).

وحمايته من الأمراض[١] .

* **الحلال الطيب، وإياك وهؤلاء النسوة:**

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** (المؤمنون: ٥١). وقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** (البقرة: ١٧٢). ثم ذكر: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، ومَلْبسه حرامٌ، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**»[٢] .

وهذا واضح في سير الناس وأحوالهم، فعادة كل لحم نبت من سحت قبل أن تأكله النار، لا ترى صاحبه إلاَّ خوَّانًا أثيمًا، شيطانًا مريدًا، مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير.

وأشكال المال الحرام كثيرة: كسرقة الأموال، والرشوة، والتطفيف في الميزان، وفوائد البنوك وأموال الربا، وأموال النصب والاحتيال، وأموال المهن المحرمة كـ(الكوافير، وطبيب الإجهاض، وتجارة الدخان والمخدرات والخمور) وكل هذه الأموال الخبيثة التي لا تؤدي إلاَّ إلى الخبيث.

وقد أكد هذا الكلام الإمام الغزالي في إحيائه معللاً سبب اختيار المرضعة الصالحة فيقول: «إن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبيث، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث»[٣] .

كما ننبه على أن الأم قد لا ترضع فيحدث أن يأتي الناس بمن ترضع فاحذر هاتيك: (البغي، المجنونة) لأن اللبن يعدي كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهناك ملاحظة أخرى وهي ما يعرف باسم: مجاملات الرضاع!!

---

(١) هامش الطب النبوي (ص٣٧) بتصرف.

(٢) **صحيح**: مسلم (١٠١٥) في الزكاة.

(٣) الغزالي (٣/ ٦٩) في إحياء علوم الدين.

ففي بعض الأوقات تتطوع أخت الوالدة أو جارتها أو إحدى قريباتها بإرضاع الصغير، ثم يمر الحدث مرورًا عابرًا، وبعد أن يكبر الصغير يتزوج بابنة مرضعته، والذي حدث أن الكل نسي أو تناسى حادثة الرضاع، وبعد الزواج والإنجاب لا يطيق النساء صبرًا فتعلن أن الزوجين أخوان من الرضاع وتحدث المشكلة الكبرى التي تنتهي عادة بالتفريق بين الزوجين!!

ومنذ البداية إما أن تمنع المرأة أحدًا من إرضاع صغيرها لأن الله تعالى لا يستحيي من الحق، أو أن تعلم كم من الرضعات أرضعته صديقتها أو أختها حتى لا تحدث الأزمات التي قد تطيح بكيان أسرة كاملة فتذهب بها أدراج الرياح، وتخرب البيوت العامرة.

*** السنة المطهرة، والصحابة رضي الله عنهم، والرضاع:**

١- النهي عن الغيلة: عن عائشة رضي الله عنها عن جذامة الأسدية أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لقد هممت أن أنهى عن الغيلة**[١] **حتى ذكرت أن الروم وفارس يفعلون ذلك فلا يضر أولادهم**»[٢]. وسبب همه ﷺ بالنهي عنها أنه يخاف منه ضرر الولد الرضيع، قالوا: والأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء، والعرب تكرهه وتتقيه. وفي الحديث جواز الغيلة فإنه ﷺ لم ينه عنها وبين سبب ترك النهي[٣].

٢- إقرار حق الصغار في الرضاع: وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله وأحسني إلى صبيك. ثم عاد مكانه

---

(١) الغيلة: قال مالك: أن يجامع امرأته وهي مرضع، وقال ابن السكيت: هو أن ترضع المرأة وهي حامل (أورده النووي في شرح مسلم) (١٠/ ١٦).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٦٠٧، ٦٠٨)، ومسلم في النكاح باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل (٢/ ١٠٦٦) (١٤٠/ ١٤٤٢)، وأبو داود (٤/ ٢١١) (٣٣٨٢)، والترمذي (٦/ ٢٤٩) (٢١٥٩)، والنسائي (١٠٧٦)، وابن ماجه (١/ ٦٤٨) (٢٠١١)، والدارمي (٢/ ١٤٧)، وأحمد (٦/ ٣٣٤، ٣٦١).

(٣) قاله النووي في شرح مسلم (١٠/ ١٦).

فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها ذلك ثم عاد إلى مكانه، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فقال: ويحك، إني لأراك أم سوء، وإني أرى ابنك لا يقر منذ الليلة. قالت: يا عبد الله قد أبرمتني هذه الليلة، إني أُرْبِعُهُ عن الفطام فيأبى علي. قال: ولِمَ؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم. قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهرًا. قال لها: ويحك، لا تعجليه. فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما سلم قال: يا بؤسًا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين. ثم أمر مناديًا فنادى ألا تُعْجِلُوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام»[١].

هكذا فهمها عمر بلا طب ولا علم نفس، فعلم أن الرضاع حق للصغير، وأحد ما يؤثر عليه عند الكبر.

٣- تحديد مدة الرضاع: وهذا التحديد الدقيق لفترة الرضاعة المثلى وتأكيد الآيات القرآنية عليه لم يتيسر تقريره كحقيقة علمية إلا من خلال الأبحاث الطبية الحديثة بعدما ثبتت العلاقة بين تمام الرضاعة وكفاءة الجهاز المناعي والقدرة على مقاومة الأمراض حيث أثبت الطب الحديث أن كفاءة الجهاز المناعي لا تصبح في أمثل صورة إلا عند عامين أما قبل ذلك فيكون الرضيع في حاجة إلى مناعة مكتسبة في صورة أجسام مضادة تنتقل في لبن الأم إلى الطفل عبر الرضاعة[٢].



---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ص٨٤، ٨٥).

(٢) الإعجاز الطبي في القرآن: بحث إتمام الرضاعة بجهاز المناعة، وبنحوه عند الهيثمي (٦/ ٧) في المجمع وعزاه للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

تغذية الطفل
متى تبدأ؟ وما هو شكلها الأمثل؟

تغذية الطفل شيء هام وضروري، ويجب على كل أم أن تفهم وتعرف كل ما يتعلق بتغذية طفلها ابتداءً من اليوم الأول لولادته حتى نهاية عامه الأول. والتغذية كما هو معروف تشمل الرضاعة الطبيعية أولاً، ثم الرضاعة الصناعية، وأخيرًا ما يتناوله الطفل من أنواع التغذية الأخرى والتي تتفق مع حالته الصحية وحالة نموه، وكل هذه الأمور تتم تحت إشراف واستشارة الطبيب المعالج، وذلك حرصًا على سلامة طفلك. والآن تعالي معنا لنلقي الضوء على ما يتعلق بتغذية طفلك في عامه الأول من رضاعة طبيعية وصناعية وغيرها.

من اللحظة الأولى لولادة الطفل يبدأ التفكير في نوع الغذاء الذي يمكن تقديمه للمولود، هل الرضاعة الطبيعية هي المناسبة؟ أم أن الرضاعة الصناعية هي المناسبة؟ وهل يمكن الاستعانة بأنواع أخرى من التغذية كلما دعت الأمور لذلك؟ وتساؤلات أخرى كبيرة تدور في رأس الأم أو الأب. ولنبدأ الآن بالكلام عن الرضاعة الطبيعية:

الرضاعة الطبيعية:

المقصود بها إرضاع المولود من لبن الأم عن طريق حلمة ثدي الأم بالتبادل. ولبن الأم هو الذي يطلق عليه الرضاعة الطبيعية، ولونه قريب من اللون الأبيض ويحتوي على كل الفيتامينات فيما عدا فيتامين (د) الذي يمكن تعويضه بتعريض الطفل للشمس كل يوم لمدة ربع ساعة، ولبن الأم يفضل في تغذية الطفل عن أي لبن آخر، ذلك علاوة على أن احتواءه على كل الفيتامينات أيضًا يشكل مناعة كاملة للطفل ضد أي من الأمراض المعروفة بالإضافة إلى أنه سهل الهضم ولا يسبب عسرًا للهضم، لكل هذه الأسباب نحن نفضل لبن الأم لإرضاع صغيرها. وهنا يجب على الأم ألا تفكر في الاستعانة باللبن الصناعي طالما أن لبن الأم كافٍ لإرضاع صغيرها ويمكن ملاحظة ذلك عن طريق رغبة الإشباع التي يتجلى بها طفلها كلما طلب الرضاعة.

لكن: متى تلجأ الأم إلى استعمال اللبن الصناعي لإرضاع طفلها؟

في البداية لا بد أن نقول إن اللبن الصناعي يشبه لبن الأم إلى حد كبير، ويحتوي على معظم الفيتامينات لكنه لا يتساوى مع اللبن الطبيعي في كونه سهل الهضم، وإن كنا نفضل استعمال لبن الأم في الرضاعة إلا أنه ولأسباب معينة يُنصح للأم باستعمال اللبن الصناعي في تغذية طفلها، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: في حالة مرض الأم بمرض عضال، كأمراض الصدر أو السل والدرن الرئوي أو القلب، هنا تعاني الأم من نقص شديد في كمية اللبن الطبيعي، يضطرها إلى استعمال اللبن الصناعي في تغذية طفلها.

ثانيًا: إذا أُصيبت الأم بخراج في صدرها يمنعها من إرضاع طفلها خوفًا على سلامته الصحية، هنا أيضًا تتجه الأم إلى إرضاع طفلها باللبن الصناعي لحين شفائها.

ثالثًا: قد تكون حلمة الثدي غير ظاهرة بحيث تكون صعبة للطفل ليرضع منها، هنا يجب على الأم أن تستعمل اللبن الصناعي في إرضاع طفلها.

رابعًا: قد يكون الطفل المولود به تشوه خفي أو ظاهر في منطقة الفم بحيث يمنعه عن الرضاعة من ثدي أمه هنا ننصح الأم بضرورة إرضاع طفلها اللبن الصناعي.

خامسًا: قد يكون لبن الأم غير كافٍ للطفل، ويمكن أن تحس الأم بذلك إذا صرخ طفلها وإذا تمادى في الصراخ عند كل رضاعة، في هذه الأحوال ننصح بضرورة استعمال اللبن الصناعي في تغذية الأطفال بدلاً من اللبن الطبيعي (لبن الأم) لحين علاج السبب أو زواله.

هل هناك اختلاف واضح بين اللبن الطبيعي واللبن الصناعي؟

أولاً: اللبن الطبيعي سهل الهضم عن اللبن الصناعي.

ثانيًا: كل منهما يحتوي على نسبة معقولة من الفيتامينات.

ثالثًا: الطفل يشعر بالحنان أكثر عندما يرضع من لبن الأم.

كيف يمكن اختيار النوع المناسب للطفل من الألبان الصناعية؟

للبن الصناعي أنواع كثيرة، منها الخفيف والدسم والذي يحتوي على بروتينات،

وكل نوع من هذه الأنواع يمكن وصفه للطفل حسب حالته الصحية ودرجة نموه، والطبيب هو الذي يصف النوع الخاص بكل طفل حسب حالته الصحية.

إذا أردنا أن نضع جدولاً للطفل من اليوم الأول وحتى نهاية العام ونُضمن فيه وجبات غذائية كاملة كيف يمكن وضع هذا الجدول بحيث يسهل تنفيذه؟

في الشهر الأول: تكون عدد الرضاعات ٧ رضاعات وتؤخذ الرضعة كل ثلاث ساعات سواء كانت الرضعة من لبن الأم أو اللبن الصناعي أم من الاثنين معًا كما في حالة نقص لبن الأم الطبيعي.

في الشهر الثاني: ٧ رضاعات كل ٣ ساعات رضعة واحدة يضاف إليها ملعقة صغيرة من عصير الفواكه إذا كان الوقت شتاءً؛ لأن معدة الطفل في الشتاء تكون أفضل من معدته في الصيف.

في الشهر الثالث: ٦ رضاعات كل ثلاث ساعات رضعة واحدة بالإضافة إلى إعطائه ملعقة من المهلبية مع كل رضعة.

في الشهر الرابع: ٦ رضاعات يضاف إليها ملعقة من الزبادي مع كل رضعة بشرط أن يصنع الزبادي في البيت لتوافر الشروط الصحية والنظافة الكاملة عند تناول الطفل حرصًا على سلامة الطفل وصحته، ويتناول الطفل مع ذلك رضعة من السيريلاك أو السوبرامين ويحبذ إعطاؤه شربة خضار أو شربة فراخ أو شربة كبدة الفراخ.

في الشهر الخامس: يستمر الطفل في تعاطي الرضعات الستة كل ٣ ساعات فضلاً عن جرعات من السوبرامين أو السيريلاك أو تناول كمية من الفول المدمس المصفى.

في الشهر السادس والسابع والثامن: يستمر الطفل على نفس النظام مع إعطائه صفار البيضة أولاً لمدة أسبوع ثم بالتدريج إعطاؤه بيضة كاملة كل يوم.

الشهر التاسع والعاشر: الرضاعات كما هي مع تناول شربة الخضار أو شربة الفراخ بالإضافة إلى تناول المهلبية والزبادي حسب مزاج الطفل.

الشهر الحادي عشر والثاني عشر: يمكن للطفل أن يجلس مع والديه على المائدة ويأكل معهما دون خوف أو قلق على أن يتناول صنف المأكولات الخفيفة السهلة الهضم.

جدول لنظام الرضاعة

الوزن بالكيلو	المكاييـــــل	الماء بالسنتيمتر
٣	٢ ١/٢ ١ ١/٤ ١	٧٥
٤	٣ ١ ١/٢ ١	١٠٠
٥	٤ ٢	١٢٠
٦	٥ ٢ ١/٢ ٢	١٥٠
٧	٦ ٣	١٨٠
٨	٧ ٣ ١/٢ ٣	٢١٠
٩	٨ ٤	٢٤٠
١٠	٩ ٤ ١/٢ ٤	٢٧٠

☆ ☆ ☆

الفاكهة ودورها في التغذية
وهل صحيح أن معظم أمراض الصيف بسبب الفاكهة؟

ينصح المتخصصون الأمهات بترك أطفالهن يتناولون الكميات التي يريدونها مما يشتهون، فالفاكهة مفيدة للجسم ومرطبة في فصل الصيف لأنها تحتوي على نسبة كبيرة من العصير تتراوح ما بين ٧٥ و٩٥ في المائة من حجم الثمرة كما تحتوي الفاكهة المرطبة مثل الكمثرى والبرتقال والخوخ على نسبة كبيرة من السكريات التي توجد بأشكال مختلفة تسهل عملية الهضم والتخلص من الفضلات وتتراوح نسبة السكر من ١ إلى ١٥ في المائة من حجم الثمرة كل حسب نوعها أي أنها تمثل ما بين ٤٠ و ٦٠ سعرًا حراريًا في كل ١٠٠ غرام وهي نسبة معقولة جدًا لا تكفي لإعطاء الطفل الإحساس بالشبع. أما بالنسبة للبروتينات فإذا كانت نسبتها قليلة نسبيًا لأنها لا تزيد على ٢ في المائة فإن هذا لا يكفي بل على العكس فإنه يسمح بإدراج الفاكهة



ضمن قائمة الأغذية الصالحة للرجيم خاصة بالنسبة لمرضى الكلى.

كما تحتوي الفاكهة على نسبة كبيرة من الفيتامينات يأتي في مقدمتها فيتامين (ج) الذي يتوفر أيضًا في الخضراوات ولكنه في الفاكهة يكون محفوظًا بطريقة أفضل بالإضافة إلى أن معظم أنواع الفَاكهة يمكن تناولها طازجة على عكس الخضراوات مما يساعد على احتفاظها بفائدتها من الفيتامينات، خاصة وأنه من المعروف أن الطهي يقتل فيتامين (ج).

ويكثر فيتامين (ج) في معظم أنواع الفاكهة خاصة البرتقال واليوسفي والجريب فروت والليمون والفراولة والكمثرى والتفاح والعنب، وهو متوفر أيضًا في عصائر الفواكه ولكن بالنسبة للعصير المحفوظ في علب فيفضل أن لا يخزن لفترة طويلة حتى لا يقضي على فيتامين (ج).

محتويات الفاكهة:

تحتوي الفاكهة أيضًا على نسبة كبيرة من الأملاح المعدنية وأهمها البوتاسيوم والكالسيوم والحديد، والمعروف أن الكالسيوم الموجود في منتجات الألبان يمكن أن يستبدل في الصيف بالفاكهة والعصير لأن منتجات الألبان تكون دسمة وغير مفضلة في الصيف.

وقد وجد الخبراء أن الأطفال يكثرون من تناول الفاكهة في فصل الصيف بكميات تكاد تكفي حاجتهم منها، فالمفروض أن يتناول الطفل حوالي ٨ غرامات فاكهة في الوجبة الغذائية الواحدة وهو أمر نادرًا ما يحدث.

وتتساءل بعض الأمهات عن قشر الفاكهة وهل هو مفيد للطفل أم يفضل تقشير الفاكهة قبل تقديمها له؟ يقول المتخصصون: إن قشرة الفاكهة ليست مزودة بصفات غذائية خاصة، ولا يعرفون بالضبط كمية الفيتامينات التي تحتوي عليها بالمقارنة بالثمرة نفسها، ولكن من المعروف أنها تحتوي على نسبة كبيرة من السليلوز وألياف لا يهضمها الجسم بسهولة ولكنها تساعد على التخلص من الفضلات ومن هنا فهي مهمة وضرورية للجسم.

الفطام وما هو شكله الأمثل؟

فإن قرب فطام المولود أخذ بالتدرج دون العجلة فإن العجلة تضره، ويكون ذلك عند اعتدال الجو بين البرد والحر[١] ، ولا يهتم بكثرة بكائه وطلبه للرضاعة إذا رأى الوالد فطامه؛ لأن البكاء فيه منفعة له، فيقوي الأعصاب، ويوسع مجاري النفس، وينفع الدماغ، إلى جانب فوائد أخرى ذكرها الأطباء[٢] ، فيستمر في فطامه بالتدريج مراعيًا نفسيته، ومحببًا إليه أنواع الأطعمة الأخرى.

واحذروا الآتي عند الفطام:

* فالصغير يتأثر في مراحل عمره كالشباب وما بعدها بطريقة الفطام، وبعض النساء يقمن بأمور لا يطيقها جبل كوضع (الصبر) وهو أحد نباتات العطارة التي لا يطيق مرارتها أحدٌ كبير أو صغير.

* أو تذهب الأم بصغيرها لأمها فتتركه بعيدًا عنها مدة طويلة فيؤثر ذلك على العلاقة بينها وبينه.

* كما أن بعض الأمهات يؤخرن الفطام إلى سن متقدمة فيشب كسولاً متخاذلاً.

* وبعضهن تحرم الصغير من الطعام فترة طويلة وهذا كله خطأ.

إن الشدة في الفطام تورث عنفًا وقسوة، كما أن تركه والتمادي فيه يؤثر سلبًا في نفسية الصغير ليشب متواكلاً لا يعتمد عليه والأولى هو التدرج والإعداد لمرحلة الفطام قبل حدوثه ببضعة أشهر ليسهل الأمر، ولنحافظ على صغارنا من مرضي: التواكل والقسوة.

وهذا برنامج وضعه الأطباء ليكون الفطام سليمًا ومناسبًا:

---

(١) تحفة المودود (ص١٦٨).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٤٠).

نظام الفطام

السن	الساعة ٦ صباحاً	اعة ١٠ صباحاً	الساعة ٢ ظهراً	الساعة ٦ مساءً	الساعة ٩ - ١٠ مساءً
الشهر الرابع	لبن ثدي أو صناعي	عصير فواكه، لبن	لبن ثدي أو صناعي	لبن ثدي أو صناعي	لبن ثدي أو صناعي
الشهر الخامس	لبن ثدي أو صناعي لبن ثدي أو صناعي	بالوظة، لبن زبادي منزلي عصير	لبن ثدي أو صناعي	سيرلاك، سوبرامين بسكويت	لبن ثدي أو صناعي
الشهر السادس	لبن ثدي أو صناعي	بالوظة، لبن زبادي منزلي عصير	شوربة خضار مصفى	سيرلاك، بسكويت سوبرامين، موز	لبن ثدي أو صناعيه
الشهر السابع	لبن ثدي أو صناعي	فول مصفى، عصير	يضاف أرز وعدس للشوربة	سيرلاك، بسكويت سوبرامين، موز	لبن ثدي أو صناعي
الشهر الثامن	لبن ثدي أو صناعي	يضاف البيض (صفار ثم بياض) الجبنة	تضاف كبدة كتكوت أو فرخة للشوربة	سيرلاك، بسكويت سوبرامين، موز	لبن ثدي أو صناعي
الشهر التاسع	لبن ثدي أو صناعي	الفول، البيض، الجبنة	يضاف صدر كتكوت مفروم	سيرلاك، بسكويت سوبرامين، موز	لبن ثدي أو صناعي
السنة الثانية	الإفطار لبن، بسكويت بالعسل حلاوة، لبن زبادي	أو المربى، جبنة عصير فواكه	الغذاء: لحوم، عيش، فواكه خضروات مدهوكة	العشاء: زبادي، شوربة	مهلبية، عصير فواكه

[لا تضاف أكلات جديدة أثناء شهور الصيف أو التسنين أو المرض]

تحذير نبوي!!

عن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها لم يبلغ أن يأكل الطعام، وقد أعلقت عليه من العذرة قالت: فقال رسول الله ﷺ: «علامَ تذغَرْنَ أولادكن بهذا الإعلاق؟ عليكم بالعود الهندي؛ فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب...» الحديث(١).

شرح الحديث:

أعلقت: الإعلاق هو: معالجة عذرة الصبي، وهي الوجع أو الألم أو الورم الذي يكون في حلقه، تدفعه الأم بالضغط عليه بأصابعها، وقيل: قرحة تخرج في الخرم الذي بين الأنف والحلق تعرض للصبيان، فتعمد المرأة إلى خرقة فتفتلها فتلاً شديدًا وتُدْخلها في أنفه، فتطعن ذلك الموضع فينفجر منه دم أسود، وربما أقرحه، وذلك الطعن يسمى: الذغر، يقال: ذغرت المرأة الصبي؛ إذا غمزت حلقه من العذرة(٢).

وتذغرن: تضغطن باليد على مكان الألم.

العود الهندي: الكُسْب البحري وهو عود يُجْعل في البخور والدواء.

ذات الجنب: السُّل، ذبول الجسم، أو قرحة في البطن(٣).

والحديث هنا يحمل تحذيرًا من النبي ﷺ للآباء والأمهات بعدم تعذيب الصغار بأساليب طبية قاسية في وجود البديل الذي يتوافر فيه الرفق، فكيف بمن تعمل على فطام الصغير بوسائل تشبه وسائل تعذيب الجواسيس والخونة؟!

إن الصغار على قدر صغر عقولهم، على قدر ما يؤثر فيهم ما يلقونه في هذه السن المبكرة حتى إنه- كما أثبت علماء النفس- يظل الأثر ملازمًا للصغير عمره كله، فإذا ما ذهب إلى طبيب نفسي للعلاج كان أول سؤال للطبيب: هل تتذكر كيف فُطِمت؟!

وهذا دليل قوي على مصاحبة أثر الفطام (سلبيًّا أو إيجابيًّا) للمرء طيلة حياته، فليكن بالرفق فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نُزِع من شيء إلا شانه.

---

(١) **صحيح**: البخاري (٥٦٩٢)، مسلم (٢٢١٤) في السلام والرواية له.

(٢) من النهاية لابن الأثير.

(٣) فتح الباري (١٠/١٤٨، ١٤٩)، وشرح النووي على مسلم.

(٢) تجنب قتل الصغير

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ (الأنعام: ١٥١). أي: من خوف الفقر. وقد صرح بذكر الخوف في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء: ٣١). والمراد منه النهي عن الوأد؛ إذ كانوا يدفنون البنات أحياء بعضهم للغيرة وبعضهم خوف الفقر وهو السبب الغالب فبين تعالى فساد هذه العلة بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١). لأنه تعالى إذا كان متكفلاً برزق الوالد والولد فكما وجب على الوالدين تبقية النفس والاتكال في رزقها على الله فكذلك القول في حال الولد[1].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم...**»[2]

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قلت: إن ذلك لعظيم. قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك...**»[3]

هذا إذن هو السبب الرئيسي والأساسي في قتل الأولاد كما ذكره القرآن الكريم، وكما وضحه النبي ﷺ أنه: خشية الفقر والعيلة، وإن كان زماننا لا يخلو من أشكال كثيرة وهيئات عديدة للقتل، فإهمال الأم لولدها لانشغالها بالزينة قتلٌ، وإهمال الأم لولدها فترة طويلة بسبب خروجها للعمل قتل للصغير، وهجران الأب لبيته وكفه عن الإنفاق للانشغال بملذاته قتل للصغار، وتصاعد الخلافات الزوجية بين الرجل والمرأة قتلٌ للصغار، وإلقاء الصغار بين يدي المربيات الأجنبيات قتل للصغار.

وأذكر أنني عايشت مشكلة كان لها أكبر الأثر في تشددي تجاه الزواج بالمرأة

---

(١) تفسير الفخر الرازي (١٣/ ٢٤٥).

(٢) **صحيح**: البخاري (١٨) في الإيمان، مسلم (١٧٠٩/ ٤١) في الإمارة.

(٣) **صحيح**: البخاري (٧٥٢٠)، مسلم (١٤١/ ٨٦) في الإيمان.

العاملة، فقد حدث أن أحد أصدقائي تزوج بطبيبة أسنان، ثم أنجبت توأمًا (ولدًا وبنتًا) وكانت الكارثة!! كان قد تزوجها وهي في السنة الأخيرة من دراستها فلم يتم الحمل الأول قبل التوأم بسبب خروجها المتكرر وعدم استطاعتها التغيب عن دراستها، ثم تخرجت بعد الإنجاب وكانت مضطرة للعمل فترتين، وللسفر إلى بلد مجاورة كل يوم، وبدأت مظاهر الإهمال تبدو واضحة على الصغار، فالتوأم أصابهما بعض البثور والحبوب لنقص الكالسيوم!! كما أن الأم الطبيبة كانت تأتي لتجلس أمام التلفاز أو لتأدية بعض واجباتها الزوجية على مضض ثم تنام ويبكي صغارها حتى يبُح الصوت منهم، وحتى يعلو برازهم وبولهم فوق الغطاء!! وكم من مرة صبحا الجيران وهي جثة هامدة من فرط التعب!! وحتى الاستيقاظ مبكرًا من أجل العناية بصغارها قبل سفرها اليومي كانت تهمله، وبهذا اشتعلت النيران في العش الهادئ بأفراخه، ولن أسمي هذا إلا بـ (القتل إهمالاً).

فهذه صورة متكررة من البلاء على هيئات عدة في بيوتات مختلفة فليحذر الذين يقعون فيها.

إن البهائم والطير على الرغم من تسخيرها لا تلقي بصغارها بعيدًا عن حظائرها أو أوكارها وأعشاشها بل تعمل الأمهات من البهائم والطير والسباع على الدفاع عن صغارها وجلب الطعام لها ولو كلفها ذلك عمرها، فكيف تتخلى الأم صاحبة العقل والإدراك عن صغارها فتقتلهم صغارًا بقتل الرحمة والشفقة في قلبها تجاه هؤلاء الصغار.



(٣) الإنفاق على الصغير

النفقة عليه:

عن ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله»(١) . قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال ثم قال: «وأي رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم»(٢)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله هل لي في بني أبي سلمة أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بَنيَّ؟ فقال: «نعم، لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم»(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول...»(٤) .

وعن وهب بن جابر قال: أتى رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني أريد أن أقيم هذا الشهر هاهنا عند بيت المقدس. فقال: أتركت لأهلك ما يقوتهم؟ قال: لا. قال: فارجع فاترك لهم ما يقوتهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»(٥) .

ومن أجل الولد حضت السنة على الإنفاق على أمه حتى تكتمل رعايتها له فضررها يتعدى إلى الولد، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم (٢/ ٦٩٢) (٣٨/ ٩٩٤)، والترمذي (٦/ ١٠٠) (٢٠٣٢)، وابن ماجه (٢/ ٩٢٢) (٢٧٦٠)، وأحمد (٢/ ٤٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٢) (٣٨/ ٩٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٣٨٥) (١٤٦٧)، ومسلم في الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد (٢/ ٦٩٥) (٤٧/ ١٠٠١)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ١٨٥) (١٦٧٩).

(٤) أخرجه البخاري رقم (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤).

(٥) أخرجه مسلم (٩٩٦)، وأحمد (٢/ ١٦٠).

قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»[١]

وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة»[٢].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني. ويقول العبد: أطعمني واستعملني. ويقول الابن: أطعمني، إلى مَن تدعني؟»[٣].

وما قيل في الرضاع من مال طيب، يقال هنا أيضًا، فإن كل ما نبت من سحت مصيره ومآله النار، وكثير من الآباء يغفل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣). فكأنما ختم على قلوبهم، أحد الآباء طيلة اليوم لا تراه إلا جالسًا على المقهى ينفق ماله على ما يعرف بـ (المزاج والكيف)، وبالنهار تراه ممددًا على سريره كأنه أشلّ!!

وبعض الآباء لا شيء في أذهانهم فلا يتكلف مشقة البحث عن العمل حتى!! وآخر سلك طريق المخدرات والخمور وهذا طريق الهلاك بعينه.

وهناك من تزوج بأخرى تاركًا أبناءه وزوجته ليتلذذ بالأخرى على الفُرش، ولا يفهم هنا أنّا ضد الزواج بأخرى، بل ضد تفضيل واحدة على الثانية.

وهناك من اتخذ رفيقة يأوي إليها وتأوي إليه فضاع المال والعرض.

وهناك من يأمر الزوجة أن تخرج للعمل ويلزمها بإعطائه مالاً لينفق منه.

وهذه أخرى تُوفي زوجها فتركها أولياء الزوج بلا نفقة حتى اضطرت إلى بيع عرضها، ونفسها، أو التسول، وكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت.

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٤٣٧) (٥٣٥١)، مسلم في الزكاة (٢/ ٦٩٥) (٤٨/ ١٠٠٢)، والنسائي (١/ ٣٥٣)، والطيالسي (ص٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣١)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ١١٩): رواه أحمد ورجاله ثقات، وأيضًا قال المنذري في الترغيب (٣/ ٨٠) رواه أحمد بإسناد جيد والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٩)، والحلية لأبي نعيم (٩/ ٣٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٤١٠) (٥٣٥٥) موقوفًا، وأحمد (١٣/ ١٦٢، ١٦٣ شاكر) رقم (٧٤٢٣).

يقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «كفالة الطفل وحضانته واجبة؛ لأنه يهلك بتركه، فيجب حفظه عن الهلاك، كما يجب الإنفاق عليه وإنجاؤه من المهالك»[1].

☆☆☆

(٤) مداواة الصغير إذا مرض

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تداووا بحرام»[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً»[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله»[4].

وعن رجل من الأنصار قال: عاد رسول الله ﷺ رجلاً به جرح فقال رسول الله ﷺ: «ادع له طبيب بني فلان». قال: فدعوه فجاءه فقالوا: يا رسول الله ويغني الدواء شيئًا؟ فقال: «سبحان الله وهل أنزل الله تبارك وتعالى من داء في الأرض إلا جعل له شفاءً؟!»[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ فسمع صوت صبي يبكي فقال: «ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين؟»[6].

---

(١) المغني (٨/ ٢٣٧) لابن قدامة المقدسي.

(٢) أخرجه الطبراني كما في المجمع (٥/ ٨٦)، وقال الهيثمي رجاله ثقات، والدولابي في الكنى (٢/ ٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ١٤١) (٥٦٧٨)، وابن ماجه (٢/ ١١٣٨) (٣٤٣٩)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٣٨) (٣٢٢٥).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٣٨) (٣٤٣٨)، وصححه البوصيري في الزوائد، والحاكم (٤/ ٣٩٩) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني كما في المجمع (٥/ ٨٤) وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال الطبراني ثقات.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧١)، وأورده الهيثمي في المجمع (٥/ ٨٤) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٦) أخرجه أحمد (٦/ ٧٢).

وفي الأحاديث الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه(١) .

☆☆☆

(٥) وقاية الصغار من الأذى

والأذى ينقسم إلى قسمين: أذى معنوي وهو الناتج عن الحسد أو المس، والأذى المادي الناتج عن المرض العضوي والذي تظهر أعراضه وتجب مداواته.

(١) الحفاظ على الصغير من الأذى المعنوي:

وهذا يكون بأمرين:

الأول: الرقية الشرعية: ومنها: قراءة سورة الإخلاص والمعوذات(٢)

ومنها: قراءة آية الكرسي.

ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما- يعني إبراهيم عليه السلام- كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: **أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة**»(٣)

وكلمات الله: كلامه سبحانه كله.

والشيطان: يدخل تحته شياطين الإنس والجن.

وهامة: واحدة الهوام ذوات السموم.

---

(١) من كلام ابن قيم الجوزية (٤/ ١٥) في زاد المعاد.

(٢) **صحيح:** البخاري (٩/ ٦٢)، مسلم (١٤/ ١٨٣) من حديث عائشة.

(٣) **صحيح:** البخاري (٣٣٧١) في أحاديث الأنبياء.

عين لامة: كل داءٍ وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل(١).

ومنها قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»

ومنها قوله ﷺ: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»(٢). وقد سبقَ تعويذ أم مريم لابنتها عند الولادة. ومنها قراءة سورة البقرة.

الثاني: حبس الصغار عند جنح الليل: أي: عند دخول الليل.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهبت ساعة من العشاء فخلوهم»(٣). وفي رواية: «فإن للجن انتشاراً وخطفة»(٤)

وجُنْحُ الليل: إقبال الليل بعد غروب الشمس، فينبغي حبس الصغار في هذه الساعة حتى لا يصاب الصغير بسوء.

(٢) الحفاظ على الصغار من الضرر المادي:

نقصد بذلك وقايتهم من الأمراض التي يمكن أن يتعرضوا لها بسبب إهمالهم وتضييعهم.

١- تنظيف الصغار: قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣١، ٣٢). وخاطب الله تعالى نبيه ﷺ فقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤).

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إنَّ الله جميل يحب الجمال»(٥). فالمحافظة على الصغار نظافة ووقاية من الشرع الذي جاء لحفظ

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤١٠) لابن حجر رحمه الله.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود.

(٣) صحيح: البخاري (٣٣٠٤)، مسلم (٢٠١٢/ ٩٧) في الأشربة.

(٤) صحيح: أحمد (٣/ ٣٨٨).

(٥) صحيح: مسلم (٩١) في الإيمان.

النسل والعقل والنفس والدين والمال.

يقول الشاطبي رحمه الله: «حفظ النفس وحاصله في ثلاثة معانٍ وهي: إقامة أصله بشرعية التناسل، وحفظ بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود من جهة المأكل والمشرب وذلك ما يحفظه من الداخل، والملبس والمسكن وذلك ما يحفظه من خارج، وحفظ ما يتغذى به أن يكون مما لا يضر أو يقتل أو يفسد[(١)] .

وقد حرم الله تعالى إضاعة الأموال والأولاد، ومن صور تضييع الصغار أن تراهم مهملين متسخي الجسد والملبس قد سال اللعاب منهم، أو لصقت بولته أو عذرته بجسده وملابسه، مما سيسارع بتجمع الحشرات حوله، ودخول الجراثيم إلى جسده.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة- يعني ابن زيد- قالت عائشة: حتى أكون أنا الذي أفعل. قال: «يا عائشة أحبيه فإني أحبه»[(٢)] . وفي رواية أخرى: عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه، فقال لي رسول الله ﷺ: «أميطي عنه الأذى». فقذرته، فجعل يمص الدم ويمُجُّه[(٣)] عن وجهه ويقول: «لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أُنْفِقَهُ»[(٤)] .

فهذه صورة من صور حفاظه ﷺ على الصغار ونظافتهم حتى لا يكون أحدهم عرضة للمرض، إضافة إلى أن الصغير ببراءته لا يعي النظافة من غيرها، فإذا شبَّ على وجود الوسخ والقذر دون إماطته عنه فقد أهدينا للمجتمع نفسًا خبيثة، ومعلوم أثر القذارة المادية على القذارة المعنوية، فقلَّ أن تجد رجلاً متسخ الملابس مهمل النظافة بإرادته إلا وهو يحب الخبائث الأخرى من كل ما حرمه الله تعالى.

(٢) حفظ الصغار من حرارة الشمس:

عن فاطمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أتاها يومًا فقال: «أين ابناي؟». فقالت: ذهب بهما علي. فتوجه رسول الله ﷺ فوجدهما يلعبان في مشربة وبين

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٧، ٢٨) للشاطبي بإيجاز.

(٢) حسن: الترمذي (٣٨١٨) في المناقب.

(٣) يلفظه.

(٤) صحيح: أحمد (٦/١٣٩) في المسند.

أيديهما فضل من تمر فقال: «يا علي ألا تقلب ابني قبل الحر»[1]

(٣) تغطية أواني الطعام وإغلاق الأبواب:

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الأبواب وأطفئوا السراجَ فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح بابًا ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودًا ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم»[2]. وفي رواية: «فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء»[3]

ومن فوائد الحديث:

الأولى: صيانته من الشيطان. والثانية: صيانته من الوباء الذي ينزل في ليلة من السنة. والثالثة: صيانته من النجاسة والمقذرات. والرابعة: صيانته من الحشرات والهوام فربما وقع شيء منها فيه فشربه وهو غافل أو في الليل فيتضرر به[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة، فذهبت الجارية تزجرها فقال نبي الله ﷺ: «دعيها». فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله ﷺ على الخُمْرة[5] التي كان عليها قاعدًا فأحرقت منها مثل موضع الدرهم فقال ﷺ: «إذا نمتم فأطفئوا سرجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فيحرقكم»[6].

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ١٦٥) في المستدرك وقال: رجالهم كلهم أشراف ثقات، والمشربة: ما يشرب منه.

(٢) أخرجه مسلم في الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان بعد المغرب (٣/ ١٥٩٤) (٩٦/ ٢٠١٢)، وابن ماجه (٢/ ١١٢٩) (٣٤١٠)، وأحمد (٣/ ٣٥٥)، وقوله أوكوا: أي شدوا رءوسها بالوكاء وهو الخيط الذي تشد به القربة ونحوها وتضرم: تحرق سريعًا - النووي في شرح مسلم بتصرف (١٣/ ١٨٣). والفويسقة: الفأرة، لسان العرب (٣٤١٤).

(٣) أخرجه مسلم في الأشربة (٣/ ١٥٩٦) (٩٩/ ٢٠٢٤) والوباء: مرض عام يفضي إلى الموت غالبًا - النووي.

(٤) شرح مسلم بتصرف (١٣/ ١٨٣).

(٥) **الخمرة**: حصير صغير لسان العرب (ص١٢٦١).

(٦) أخرجه أبو داود (٥/ ٤٠٨) (٥٢٤٧)، وابن حبان برقم (١٩٩٧)، والحاكم (٤/ ٢٨٤)، وصححه ووافقه الذهبي وأورده التبريزي في المشكاة برقم (٤٣٠٣).

(٤) تعويده على الغسل والنظافة:

فـفي حـديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قـال: «حق لله على كل مـسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام؛ يغسل رأسه وجسده»(١)

(٥) تعويد الصغير على الطِّيب:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عرض عليه طيب فلا يرده، فإنه طيب الريح خفيف المحمل»(٢)

ومن فوائد الطيب أنه ينفع الدمـاغ والقلب وسائر الأعضاء الباطـنية ويسر النفس ويبسط الـروح، زد على ذلك أن الملائكة تحبـه، والشياطين تنفـر عنه، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فـالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها(٣) .

هذا بالإضـافة إلى الأخـذ بالأسبـاب التي يسَّرها الله تعـالى الآن بالطب والدواء كالتطعيـمات واللقاحات والأمصـال الواقية من الأمراض، فإهمـالها من الجناية على الولد، وفي الحديث عن طارق المحـاربي رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لا تجني أمٌّ على ولد- مرتين-»(٤)

فإذا ما سبق القدر ومرض الصغير فعليك بأمرين:

- الإلحاح على الله في الدعاء.
- الأخذ بالأسباب ومداواته كما سبق.

وسوف يكون في آخـر الكتاب إن شـاء الله ملحق طبي كامل عن كـيفيـة الوقاية والعناية والمداواة للصغار.

☆☆☆

---

(١) رواه البخاري (٨٨٩) في الجمعة، مسلم (٨٤٩/ ٩) في الجمعة.

(٢) صحيح: مسلم (٢٢٥٣/ ٢٠) في الألفاظ من الأدب.

(٣) زاد المعاد (٤/ ٢٧٨) وما بعدها بتصرف.

(٤) صحيح: ابن ماجه (٢٦٧٠) وقال البوصيري: رجاله ثقات وإسناده صحيح.

(٦) حِضانة الصغير

الحِضانة لغة: من حضن أي: ضم الشيء إلى نفسه. فيقال: حضن الطائر بيضه: ضمه إلى نفسه تحت جناحه، وكذلك المرأة إذا حضنت ولدها. والحاضن والحاضنة: الموكلان بالصبي يحفظانه ويربيانه[١].

وقيل: الحضن بكسر الحاء: هو ما دون الإبط إلى الكشح والصدر، أو العضدان وما بينهما، وجانب الشيء أو ناحيته[٢].

والحضانة شرعًا هي: حفظ من لا يستقل بأمره وتربيته ووقايته عمًّا يهلكه أو يضره[٣].

والحضانة حق للأم إذ لها الحق في حضانة ولدها إن أراد الأب انتزاعه منها، والدليل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابني كان بطني له وعاءً، وثديي له سقاءً، وحجري له حُواءً، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه منِّي. فقال لها رسول الله ﷺ: «أنتِ أحقُّ به ما لم تنكحي»[٤]

وقد جعل الشرع الحضانة للأم أولاً:

* لأن طبيعتها تؤهلها لذلك كالرضاع من الثدي، والحنان الذي يفوق الرجال.
* ولتفرغ المرأة وانشغال الرجل بطلب المعايش والأرزاق.
* هذا مستقر في الفطر السليمة جميعًا فأقرَّه الإسلام.

وحكم الحضانة: أنه واجب؛ لأن في تركه إهلاك للصغير. وعلى هذا يترتب التالي:

(١) عدم إجبار الحاضنة على الحضانة إذا لم تتعين عليها؛ لأن الحضانة حقها، ولا ضرر على الصغير لوجود غيرها من المحارم.

---

(١) لسان العرب (١٣/ ١٢٣) لابن منظور.

(٢) سبل السلام (٣/ ٣١٥) ط - دار الفجر للتراث.

(٣) السابق نفسه.

(٤) حسن: أبو داود (٢٢٧٦) في الطلاق، أحمد (٢/ ١٨٢) في المسند وحسنه الألباني.

(٢) وإنما تجبر في عدم وجود غيرها لحضانة الصغير.

(٣) لا يصح للأب انتزاع الصغير من أمه إلا لمسوِّغ شرعي (كزنا الأم وسوء أخلاقها، أو مرضها مرضًا مُعديًا، أو ثبوت خيانتها أو ردتها) وغير هذه الأعذار.

(٤) وكما قلنا: الأم هي الأحق بالحضانة إن لم يكن قد تزوجت.

ولكن: هل يمكن للأم أن تحضن الصغير وهي متزوجة؟

نعم هذا حق لأن أم سلمة رضي الله عنها كانت حاضنة لأولاد أبي سلمة بعد وفاته في بيت النبي ﷺ، ولأن أم سُلَيم حضنت أنس بن مالك رضي الله عنه وهي متزوجة من أبي طلحة رضي الله عنه(١) .

لكن: إذا كانت الأم مهملة تريد إغاظة الأب بإهمال ولده لم يجز لها حق الرضاعة، بل يسقط عنها.

شروط الحضانة:

(١، ٢) العقل والبلوغ، وعند انتفاء العقل يسقط الحق لقولهم: «إذا ذهب ما وهب سقط ما وجب». وغير العاقل يحتاج إلى رعاية وحضانة.

(٣) الإسلام، فإذا اختلف الدين، فكانت الأم كافرة والوالد مسلمًا فلا حضانة لها على صغيره؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ (النساء: ١٤١). واستقر التشريع الإسلامي على أن الولد مع المسلم من الأبوين.

(٤) القدرة على التربية، فهناك مريضة أو كفيفة لا تستطيع حضانة فيسقط حقها.

(٥) عدم نكاح المرأة، وقد تحدثنا في هذا .

(٦) العدالة وعدم الفسق كالمجاهرة بالمنكر أو احتراف مهنة الزنا والرقص.

(٧) الحرية(٢).

من الأحق بالحضانة بعد الأم؟

هذه القضية محل خلاف بين العلماء، والسبب في ذلك عدم وجود النص

---

(١) سبل السلام (٣/ ٣١٦) ط - دار الفجر.

(٢) هذه الشروط السبعة انظرها في صحيح فقه السنة (٣/ ٤١٩)، وسبل السلام (٣/ ٣٣٠).

الصريح في هذه المسألة، وهذه هي ترتيبات الحضانة كما ذكرها ابن قدامة[1]:

(١) عند المالكية: الأم، ثم الجدة للأم، ثم الخالة، ثم الجدة للأب وإن علت، ثم الأخت، ثم العمَّة، ثم ابنة الأخ، ثم للوصيِّ، ثم للأفضل من العصبة.

(٢) عند الأحناف: الأم، ثم أم الأم، ثم أم الأب، ثم الأخـوات، ثم الخالات، ثم بنات الأخت، ثم بنات الأخ، ثم العمات، ثم العصبات بترتيب الإرث.

(٣) وعند الشافعية: الأم، ثم أم الأم، ثم أم الأب، ثم الأخوات، ثم الخالات، ثم بنات الأخ وبنات الأخت، ثم العمَّـات، ثم لكل ذي محرم وارث من العـصبات على ترتيب الإرث. قلت: وهذا فيه موافقة للأحناف.

(٤) وقـال الحنابلة: الأم، ثم أم الأم، ثم أم الأب، ثم الجـد، ثـم أمـهـاته، ثم الأخت لأبوين، ثم الأخت لأم، ثم لأب، ثم خاله للأبوين، ثم لأم، ثم لأب، ثم عمة، ثم خالة أم، ثم خالة أب، ثم عمته، ثم بنت أخٍ، ثم بنت عم أب، ثم باقي العَصبة الأقرب فالأقرب.

ولكن: كـما ترى قـدمت النساء، ثم الخـالات تحديداً لقـوله ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم»[2] . وذلك في معـرض نزاع علي وجعـفر في ابنة حـمزة، وكانت خـالة ابنة حمزة تحت جعفر، فقضى النبي ﷺ له بها.

ماذا يحدث بعد انتهاء مدة الحضانة؟

يحدث أمرٌ من اثنين عند التنازع في الصبي:

الأول: اللجوء إلى القاضي للتحديد.

الثاني: التخـيير بين الأب والأم، ودليل هذا حـديث أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة جـاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسـول الله، إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سـقاني من بئر أبي عنبة. فـقال ﷺ: «استـهـما [3]عليـه». فقال زوجـها: مَن

---

(١) المغني (١٠/ ٣٢٩) وما بعدها.

(٢) صحيح: البخاري (٤٢٥١) عن البراء رضي الله عنه.

(٣) استهما: *اقترعا - أي: أجريا القرعة.*

يحاقني[١] في ولدي؟! فقال النبي ﷺ: «هذا أبوك، وهذه أمك، فخُذ بيد أيهما شئت». فأخذ بيد أمه، فانطلقت به[٢].

وهذا الحديث الترجيح فيه التخيير مع أنه ﷺ بدأ بالقرعة، لكن فعل الصحابة وما جرى عليه العمل بعد ذلك التخيير، اختُصم إلى عمر رضي الله عنه في صبي، فقال: هو مع أمه حتى يُعرب عنه لسانه فيختار[٣].

أمَّا بالنسبة للصغيرة: فإنها تبقى مع أحد الأبوين، وإن كان الشافعي قد رجَّح تخييرها.

تنبيه: جرت القوانين الحديثة على أن الحضانة حق ملزم للأم قبل بلوغ الصغار، ولها الحق في العودة عن تنازلها وهذا موافق للشرع بإذن الله.

وبعدُ: فقد تعمدت الحديث هنا عن الحضانة، إذ أن في عصرنا يبرز من المشاكل ما يجعل الصغار ضحايا لخلافات الآباء والأمهات، فإن وقوع الخلاف والشقاق بين الأبوين يجعلهما يتجهان إلى الصغير لتصفية الحسابات بعد عجز أحدهما عن أخذ حقه من الآخر، فيعمد الأب إلى إهمال الصغار وإلقائهم للأم، التي بدافع الكبرياء والعناد تفعل نفس الشيء، ولا تبقى إلا أنَّات الصغار ترن في الآذان كسياط تلهب القلوب قبل الظُّهور، بينما الكبار قد رأوا الانتقام في شخص الصغار، وقد أعيت الحماقة من يداويها.



---

(١) يحاقني: يخاصمني.

(٢) صحيح: أبو داود (٢٢٧٧)، في الطلاق، الترمذي (١٣٥٧) في الأحكام.

(٣) صحيح: عبد الرزاق (٢٦٠٦) في المصنف، وسبل السلام (٣/٣١٦).

(٧) ملاعبة الصغار والإحسان إليهم ورحمتهم

صور من حياة النبي ﷺ مع الصغار:

لا شك أن براءة الصغار الناطقة في عيونهم تجبر المرء على مداعبة هذه القلوب الصغيرة التي لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا؛ بل تبتسم للحياة ابتسامة رقيقة شفافة من وراء ستر الطفولة، وإذا كان النبي ﷺ رحمة للعالمين كما ذكر الله تعالى في حقه إذ قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). فهو ﷺ أرحم الناس بالعيال، وهو القائل عن نفسه: «إنما أنا رحمة مُهْداة»[١] . لقد كان ﷺ ينظر إلى الصغار نظرة الفطرة السليمة إليهم:

- فالصغار أعجز الناس عن العمل.
- وأعجزهم عن تحمل الضرب والأذى.
- وهم قرة العين وسويداء القلب.

ولطالما نقلت كتب الحديث والسير عنه ﷺ أنه كان كثير المداعبة للصغار يمازحهم في هيبة لا تنقص من قدره عليه السلام، ويحملهم على عاتقه، ويبادرهم بابتسامته ﷺ، ويهدي إليهم.

وهذا توجيه نبوي يعلمنا فيه ﷺ كيف يتعامل مع الصغار البرءاء، فالصغير كلما قسوت عليه كلما كانت ردة فعله قوية، وإن لم تحنُ عليه سيشعر نحوك بالبغض والكراهية، وسينحرف حتمًا، ويتعمد إزعاجك وإدخال التعاسة بدل السعادة إلى قلبك حين يتصرف تصرفات مزعجة منحرفة لمعرفته أن هذه التصرفات تقلق والديه، وهذه حقائق لا تقبل المزايدة أبدًا.

فالصغير مثلاً إذا ضربته عقابًا له على كسره إناءً، سيعود ليكسر آخر بعد فترة، ولو أهملته وتركت مداعبته وملاطفته حاول جذب انتباهك ولو بضربك أو كسر شيء هام.

---

(١) صحيح: الحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع (٢٣٤٥).

ولا حجة لأحد في إهمال مداعبة الصغار بدافع العمل والانشغال الذي يجعل فجوة كبيرة بين الأبناء وآبائهم، والأمهات والأبناء، خاصة حين تكون المرأة من النساء العاملات المتفانيات في عملهن، أو النساء المتفانيات المخلصات في الاهتمام بأنفسهن على حساب الصغار، ومن هنا وجب مداعبة الصغار وملاعبتهم وإدخال السرور عليهم كما كان النبي ﷺ وصحابته يفعلون.

*** النبي ﷺ أرحم الناس بالعيال:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ. قال: كان إبراهيم مسترضعًا له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت. . .فيأخذه فيقبله ثم يرجع. . .»[(١)] .

وفي الحديث بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته للعيال والضعفاء، وفيه جواز الاسترضاع وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم[(٢)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل معه صبي فجعل يضمه إليه فقال النبي ﷺ: «أترحمه؟». قال: نعم. قال: «فالله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين»[(٣)]

*** النبي ﷺ والوصية بالبنات في مجتمع كان يشعر بالعار عند ولادة الأنثى:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار»[(٤)] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٤/ ١٨٠٨) (٦٣) (٢٣١٦)، وأحمد (٣/ ١١٢)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٤٦٧) (٣٧٦).

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (١٥/ ٧٦).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٤٦٧) (٣٧٧).

(٤) صحيح: وقد سبق.

* ويعطي الصغار باكورة الثمر:

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتي بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم على شفتيه ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان»(١) .

* ويمسح على رأس الصغار:

وعنه رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رءوسهم ويدعو لهم»(٢) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا قال: أما أنا فمسح خدي قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار»(٣) .

وفي مسحه ﷺ الصبيان بيان حسن خلقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم.

* ويقبل الصغار ويوصي بذلك:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرْحم لا يُرْحم»(٤)

* ويتجوز في الصلاة رحمة بالصغار:

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب فضل الإحسان إلى البنات (٤/ ٢٠٢٧) (١٤٨) (٢٦٣٠)، أخرجه الترمذي في السنن (٩/ ٤١٩) (٣٥١٩)، وقال: حديث حسن صحيح وفي نوادر الأصول (١/ ٥٤٩) الأصل السادس والستون، والدارمي (٢/ ١٠٧)، والطبراني في الكبير والصغير كما في المجمع (٥/ ٣٩)، وقال الهيثمي: رجال الصغير رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان رقم (٢١٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٩١)، والخطيب (٨/ ٣٩٨).

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه (٤/ ١٨١٤) (٨٠/ ٢٣٢٩) والصلاة الأولى: يعني الظهر، والولدان: الصبيان واحدهم وليد والجؤنة: هي الصفت الذي فيه متاع العطار وهي سليلة مستديرة مغشاة أدَمًى: النووي شرح مسلم (١٥/ ٨٥).

(٤) صحيح: البخاري (٥٩٩٧) مسلم (٦٥/ ٢٣١٨).

أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»(١) .

• ويلاعبهم بمناداتهم بأسمائهم مصغرة:

ففي حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ كان يلاعب زينب بنت أم سلمة، ويقول: «يا زُوَيْنب، يا زُوَيْنب- مراراً- »(٢) .

ويلاعب الصغار ويلاطفهم ﷺ ويحملهم على عاتقه حتى في الصلاة:

عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم اعتنقه ثم قال النبي ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط»(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما. فقال: «نعم من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»(٤) .

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي، الظهر أو العصر وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها. قال أبي: فرفعت رأسي من بين الناس فإذا رسول الله ﷺ ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره فعدت فسجدت فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله لقد

---

(١) صحيح: البخاري (٧٠٧).

(٢) صحيح: انظر الصحيحة (٢١٤١) للألباني.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٢)، وابن ماجه في المقدمة (١/ ٥١)، وقال البوصيري: إسناده حسن ورجاله ثقات والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٤٥٩) (٣٤٦)، والسبط: الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد. القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/ ٦٣٣).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والحاكم (٣/ ١٦٦)، وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه في المقدمة (١/ ٥١) (١٤٣) الشطر الأخير منه وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال: «كل ذلك لم يكن و لكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[١]

* **مداعبته ﷺ لأم خالد[٢] الصغيرة:**

وها هي طفلة صغيرة يداعبها رسول الله ﷺ، أخرج البخاري[٣] من حديث أم خالد بنت خالد رضي الله عنها قالت: أتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة[٤] سوداء صغيرة، فقال: «مَن تَرونَ أن نَكْسو هذه؟». فسكت القوم قال: «ائتوني بأم خالد». فأتي بها تُحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: «أَبْلِي وأَخْلقِي». وكان فيها عَلَمٌ أخضر أو أصفر فقال: «يا أمَّ خالدٍ، هذا سَنَاه». وسناه بالحبشية، وعند البخاري: والسنا بلسان الحبشة: الحسن.

* **النبي ﷺ يمج الماء في وجه صبي يمازحه:**

فها هو صبي آخر يمجُّ النبي ﷺ الماء في وجهه، أخرج البخاري[٥] من حديث محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: «عقلت من النبي ﷺ مجةً مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دَلْوٍ». والمج: هو إرسال الماء من الفم، وقيل: لا يسمى مجًا إلا إن كان على بُعد، قاله الحافظ ابن حجر[٦]، وزاد: وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة معه، أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة.

* **النبي ﷺ يرحم الصغار ولو كانوا من طريق غير شرعي:**

وعن بريدة رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٤)، والنسائي في التطبيق (٨٢)، والحاكم (٣/ ١٦٥، ١٦٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) هذه كنيتها وكانت من مهاجرة الحبشة.

(٣) البخاري (٥٨٢٣).

(٤) الخميصة ثوب من صوف أو حرير مُعلَّم.

(٥) البخاري (حديث ٧٧).

(٦) الفتح (١/ ١٧٢).

الله طهرني.. .الحديث وفيه قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرني. فقال: «وَيْحَكِ! ارجِعِي فاسْتَغْفِري اللهَ وتُوبِي إليْهِ». فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك. قال: «وما ذاك؟». قالت: إنها حبلى من الزنا. فقال: «آنت؟». قالت: نعم. فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك». قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية. فقال: «إذًا لا نرجمُها وندعُ ولدها صغيرًا ليس له مَن يُرْضِعُهُ». فقام رجل من الأنصار فقال: إليَّ رَضَاعُهُ يا نبي الله. قال: فرجمها.

وفي رواية أخرى عند مسلم: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله! إني قد زنيت فطهرني. وإنه ردَّها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لِمَ تردُني؟ لعلك أن تردُني كما رددت ماعزًا، فوالله إني لحبلى. قال: «إمَّا لا فاذْهَبِي حتَّى تَلِدي». لما ولدت أتته بالصبي في خِرقة قالت: هذا قد ولدته. قال: «اذْهَبِي فأرْضِعيه حتَّى تَفْطِميه». فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خُبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام. فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحُفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجمُوها[١].

* ويدعو ﷺ للصغار ويبرك عليهم:

: من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجعٌ. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه- يعني خاتم النبوة- مثل زرِّ الحجلة[٢] - أي: كبيضة الحمامة.

* ملاعبته ﷺ أبا عمير ابن أم سليم رضي الله عنها:

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا وكان لي أخ يقال له أبو عمير- قال: أحسبه فطيمًا- وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير ما فعل النُغير؟». نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهي في بيتنا فيأمر بالبساط الذي

---

(١) صحيح: مسلم (١٦٩٥) في الحدود.

(٢) البخاري (حديث ٥٦٧٠)، ومسلم (حديث ٢٣٤٥).

تحته فيكنس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا»(١) .

فوائد من حديث أبي عمير والنغير:

(١) جواز تكنية الصبي؛ لقول النبي ﷺ: «يا أبا عُمَير». وقد بوَّب لذلك البخاري بباب الكنية للصبي.

(٢) جواز الممازحة وتكرير المزح وإنها إباحة سُنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يُميز جائز، وتكرير زيارة الممزوح معه.

(٣) التلطف بالصديق صغيراً كان أو كبيراً والسؤال عن حاله وتأنيس الصبيان والتسرية عنهم.

(٤) جواز لعب الصغير بالطير، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح له اللعب به، وجواز إنفاق المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات، وجواز إمساك الطير في القفص ما دام يطعمه ويسقيه.

(٥) مخاطبة الأطفال على قدر عقولهم(٢) .

* أبو بكر رضي الله عنه والحسن بن علي رضي الله عنهما:

من حديث عقبة بن الحارث قال: «رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيهٌ بالنبي، ليس شبيهًا بعلي. وعليٌ يضحك»(٣).

* عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمته بالصغار:

وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتابة عهد لرجل قد ولاه فبينما الكاتب يكتب جاء صبي فجلس في حجر عمر فلاطفه فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لي عشرة أولاد مثله ما دنا أحد منهم مني. قال عمر: فما ذنبي إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك؟ وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. ثم قال: مزق الكتاب فإنه

---

(١) صحيح: البخاري (٦٢٠٣) في الأدب، مسلم (٢١٥٠/ ٣٠) في الآداب والنغير: تصغير النغر، وهو طائر صغير.

(٢) الفتح (١٠/ ٥٨٣)، وشرح السنة (١٢/ ٣٤٧) للبغوي.

(٣) صحيح: البخاري (٣٧٥٠).

إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية(١).

* ابن عمر والصغار:

وعن أبي عقبة قال: «مررت مع ابن عمر مرةً بالطريق، فمرَّ بغلمة من الحبش، فرآهم يلعبون فأخرج درهمين فأعطاهم»(٢).

إن النبي ﷺ قد نبّه على الحنان والعطف ومداعبة الصغار حين امتدح في نساء قريش حنوهن على الصغار ورحمتهن بهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»(٣)

* النبي ﷺ وبول الصغار:

ويبقى أنه حتى في حالة تبول الصغير على ملابس الكبير وجسده وهي حالة ينزعج لها الكثير، إذا به ﷺ يبتسم ويتعامل مع الأمر بسهولة ويسر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرِّكُ(٤) عليهم ويحنكهم، فأُتي بصبيٍّ فبال عليه فدعا بماءٍ، فأتبعه بوله ولم يغسِله»(٥).

وعن أم قيس بنت مِحْصن أخت عكاشة بن محصن رضي الله عنهما أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها لم يأكل الطعام فوضعته في حجره، فبال، قالت: فلم يزد على أن نضح بالماء(٦).

قلت: والرش يكفي كما قال النووي في حالة عدم أكل الصغير فإذا أكل وجب الغسل بلا خلاف.

وفي حديث أم مكرز الخزاعية قالت: «أُتي النبي ﷺ بغلام فبال عليه، فأمر به

---

(١) مناقب عمر (ص١٠٤، ١٠٥) لابن الجوزي.
(٢) البخاري (١٢٩٨) في الأدب المفرد.
(٣) صحيح: البخاري (٥٠٨٢)، مسلم (٢٥٢٧/ ٢٠٢).
(٤) يبرك: يدعو بالبركة.
(٥) رواه البخاري (٢٢٢)، مسلم (٢٨٦/ ١٠١).
(٦) رواه البخاري (٢٢٣)، مسلم (٢٨٧/ ١٠٢).

فنُضِح، وأُتي بجارية فبالت عليه فأمر به فغُسِل»[١].

فلستَ أول من تبوّل الصغار عليه ولن تكون آخرهم، وإذا كان هذا قد حدث للنبي ﷺ فهل تأبى أنت أن يحدث لك مثله؟ فلا تنزعج؛ إنما هي براءة الصغار، وإنما العيب على من يبولون في الشوارع بجوار الطرقات!!

وعند المصريين تعليق طريف فإذا ما تبول الصغير على الرجل قالوا: سوف تُكسى إن شاء الله، فأبشر خيراً.

إن دستورنا في هذه المسألة حديثه ﷺ عن أبي هريرة وفيه: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[٢].

☆☆☆

(٨) العدل بين الأولاد دون تفرقة بينهم

والعدل من صفات المؤمنين التي أمر الله تعالى بها، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل: ٩٠).

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إنَّ المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا»[٣].

قال النووي رحمه الله: «إن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلّده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك والله أعلم»[٤].

---

(١) صحيح: صحيح ابن ماجه (٣٠٣).
(٢) صحيح: انظر صحيح الأدب المفرد حديث (٢٧١).
(٣) صحيح: مسلم (١٨٢٧) في الإمارة.
(٤) النووي (٦/ ٤٢٦) على شرح مسلم.

إن الله تعالى قال: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩). والعدل والقسط واحدٌ، يقول ابن منظور رحمه الله: «العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور. والعدل: هو الذي لا يميل به الهوى فيجوز في الحكم، وهو الحكم بالحق»[١].

ويقول الجرجاني رحمه الله: «العدل في الشريعة هو الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عمًّا هو محظور دينه»[٢].

ولأن الأب راعٍ في بيته وهو مسئول عن رعيته، وكذلك الأم، فهما مطالبان بالعدل بين الصغار وبعضهم البعض، حتى لا يتولد في نفوس الصغار الشعور بالتفرقة بين الذكر والأنثى، أو الصغير والكبير، أو صاحب الوجه الجميل والأقل جمالاً.

يقول الدكتور بدير محمد بدير: «فتحرص السنة المطهرة على ألا يولد في حس الطفل شعور بالاضطهاد والظلم، فيدمر في نفسه القاعدة التي تنبني عليها في المستقبل القيم العليا والمبادئ، لأنه يجد في أقرب الناس إليه وألصقهم به- وهما الوالدان- نموذجًا سيئًا، فكيف يتعلم هو العدل، وكيف يتعلم بقية القيم والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام؟! من أجل ذلك يوصي الرسول ﷺ بالعدل بين الإخوة، لأن شعور أي واحد منهم بوقوع الظلم عليه من والديه يفسد كيانه. والجو المنزلي المليء بالمحبة والعطف والهدوء يجعل الطفل في الغالب مطمئنًا على نفسه، يبدو عليه الاستقرار والثبات، بعكس المنزل المضطرب المشحون بالمنازعات بين الآباء والأمهات، فإنه يؤدي إلى فقدان الطفل لنفسه لفقدانه اطمئنانه إلى الجو المنزلي، ولهذا رغبت السنة في التزام العدل في كل شيء»[٣].

صور من تجافي بعض الآباء عن العدل إلى الظلم بين الأولاد:

(١) تفضيل الولد على البنت، بتدليله وحمله وشراء ما يلزمه، وتقليل ذلك

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢٨٣٨).

(٢) التعريفات (ص١٤٧).

(٣) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان (ص٧٢).

بالنسبة للبنت أو إهمالها كلية.

(٢) تفضيل الولد المشابه لأبيه في شكله وصفاته على غيره.

(٣) اختصاص أحد الأبناء المتقاربين في السن بالحضانة والتدليل وإهمال ما سواه.

(٤) عقاب واحد دون الآخرين مع أن الكل أذنب.

(٥) أو عقاب الجميع لأن واحدًا أذنب.

(٦) اختصاص أحد الأولاد بخير من ابتسامة وبشر، أو مال وحلوى دون الآخرين.

(٧) حب الأم لولد أو بنت، وحب الأب لآخر لخلاف بينهما، ولقرب الصغير من أحد والديه. وصور الظلم أكثر لكن هذه بعضها.

* **ملاحظة:**

على أن الاهتمام بالصغير من الأبناء أمرٌ اعتاده الناس، لأن الصغير أعجز من غيره من إخوته، فيحاط بالرعاية والملاحظة، فإذا ما غار الإخوة الآخرون وجب تنبيههم أن كل صغير فُعل به هكذا كما فُعل بهم هم في نفس المرحلة.

ويبدو أن هذا المرض (غيرة الأطفال) مرض مستأصل في النفس البشرية، قال تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨). وقد كان يوسف يومها- بإجماع المفسرين- صغيرًا لا يعي شيئًا مما يدور حوله، فيجب التفطن لمعالجة هذه النقطة عن طريق ذكر ما كان الآباء والأمهات يفعلونه مع الإخوة وهم صغار، مع إفاضة الحنان عليهم أيضًا.

وقد يتنبه الأب أو الأم إلى موهبة في الصغير تجعله يفوق إخوته، كما تنبه يعقوب عليه السلام إلى أن أول مبشرات النبوة: الرؤيا الصالحة التي رآها يوسف عليه السلام فخصّه ببعض العناية وهنا يضطر الوالد إلى اختصاص الموهوب من أبنائهم بعناية تفوق الآخرين مما يثير نائرة الحقد ويهيج ثورة عارمة من بقية الإخوة، ومثل هذا أيضًا يجب التفطن إليه ومعالجته مبكرًا عن طريق:

- التودد إلى بقية الصغار وتشجيعهم على استخراج مكنون مواهبهم.

- إجراء مسابقات بين الصغار في الصوت أو حفظ القرآن أو المسائل الهندسية

التي يكون فيها التفوق الملحوظ لأحد الأبناء على الآخرين.

- الإغراء والترغيب عن طريق المكافآت والتشجيع لاستخراج مواهب أخرى.
- الثناء على موهبة الصغير بصورة لا تجرح الآخرين.
- طلب معونة الآخرين في الاهتمام بالصغير الموهوب، فإذا كان حافظًا للقرآن طلبنا من الآخرين مراجعة القرآن له أو مساعدته في الحفظ ليكون الجميع شركاء في النجاح بدلاً من تدخل الشيطان لإفساد العلاقة بين الإخوة وبعضهم البعض:

* **احذر فهذا مراد الشيطان:**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إنَّ الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زِلْتُ بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا. فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئًا. ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين أهله. قال: فيُقربه ويُدْنيه ويلتزمه ويقول: نِعم أنت»(١). وتُنطق: «نَعم أنت». بفتح النون بمعنى: نعم أنت ذاك الذي تستحق الإكرام. وبكسر النون: أي نِعْم منك(٢).

هذا إذن ما يبتغيه الشيطان ويريده: التفرقة بين المتآلفين كالإخوة من دم، أو الإخوة المتحابين في الله. وقد نبَّه الله تعالى على ذلك في معرض ذكر السحر في القرآن إذ قال سبحانه: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ (البقرة: ١٠٢). فالسحر يتوصل به إلى التفرقة بين الناس، وهذا هو مراد إبليس، ولذا وجب طرده بالاستعاذة بالله منه، ثم باتقاء ما يجعله نشطًا وهو الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق.

فتفوّت الفرصة على الشيطان بالعدل بين الصغار حتى لا يتسلل إلى قلوبهم فيملؤها حقدًا كما ملأ قلوب إخوة يوسف على أخيه حقدًا حتى كادوا أن يقتلوه، ثم جاءوا بحلٍّ هو بالنسبة لهم أقل من القتل لكنه لا يقل عن القتل جرمًا فأبعدوه عن أبيه، فانتبه قبل أن يدهمك الشيطان بمكره ووسوسته.

---

(١) صحيح: مسلم (٢٨١٣) في صفات المنافقين.

(٢) البداية والنهاية (١/ ٨٥) لابن كثير رحمه الله.

* صور من العدل بين الأولاد في السنة المطهرة:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ. فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟». قال: لا. قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم». قال: فرجع فرد عطيته»(1). وفي رواية: «أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟». قال: بلى. قال: «فلا إذًا»(2). وفي رواية: «لا تشهدني على جور»(3).

وفي الحديث أنه ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل، ويسوي بين الذكر والأنثى(4). وفي رواية: «اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم»(5).

وينبغي التزام العدالة مع الأولاد حتى في إكرامهم والإقبال عليهم والبشاشة في وجوههم، ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى.

فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان جالسًا مع النبي ﷺ فجاء بني له فقبله وأجلسه في حجره ثم جاءت بنته فأخذها فأجلسها إلى جنبه فقال النبي ﷺ: «فما عدلت بينهما»(6).

---

(1) أخرجه البخاري في الهبة (5/ 250) (2587)، ومسلم في الهبة باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (3/ 1241) (13) (1623)، وأبو داود في البيوع (3/ 811) (3542)، والترمذي في الأحكام باب النحل والتسوية بين الولد، والنسائي في النحل رقم (3711)، وابن ماجه في الهبات باب الرجل ينحل ولده رقم (2375)، وأحمد (4/ 269، 270).

(2) أخرجه مسلم في الهبات (3/ 1244) (17) (1623).

(3) نفسه (3/ 1243) (16) (1623)، وفي رواية لأبي داود: «إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك عليهم من الحق أن يبروك» أبو داود في البيوع (3/ 812) (3542).

(4) قاله النووي في شرح مسلم (11/ 66).

(5) أخرجه أبو داود في البيوع (3/ 815) (3544)، من حديث النعمان بن بشير، والنسائي في النحل رقم (3717)، وأحمد (4/ 275)، والبخاري في التاريخ (2/ 1/ 73)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 177)، وعزاه ابن القيم في تحفة المودود (ص75) لابن حبان في صحيحه.

(6) عزاه ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود (ص179) إلى البيهقي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها- قال: يعني الذكور- أدخله الله الجنة»[1] .

مثال للعدل بين الصغار؛ لتلافي نمو الأحقاد بينهم:

* ربما كان الصغير حافظًا للقرآن أو لاحظ الأبوان وجود ملكة الحفظ فيه، فيُشرك الإخوة في هذا الأمر، خاصة إن كان الصغير حسن الصوت بالقراءة:

- فأحد إخوته يذهب به إلى المُحفظ.

- والآخر يعود به.

- ويطلب من الصغير تلاوة القرآن بمحضر من إخوته.

- ثم يطلب رأي الإخوة في أخيهم.

- ثم يحفز الأب أولاده ليحفظوا القرآن كأخيهم، ويرغبهم بالمكافآت المجزية، والنزهات والرحلات.

* وربما كان أحد الإخوة يمتلك ناصية الكتابة:

- فيطلب الأب منه كتابة مقال.

- ثم يقرأ الكاتب مقاله بمحضر من إخوته.

- ويطلب من أحدهم تصحيح الأخطاء، وإبداء الملاحظات حول الموضوع وحول طريقة الإلقاء.

- وقد يجد الأب أن أحد أبنائه يكتب والآخر يجيد الإلقاء فيعمل على تقوية هذا بذاك.

- وبالطبع سيكون هناك طفل لا يفهم هذا كله، لكن يُشركه الأب عن طريق المداعبات والملاطفات.

- وفي كل الأحوال يجازي الجميع في هذه الأمسية بجائزة كالحلوى أو الهدايا أو المشروب أو الطعام، أو ما يروق له بحسب الضوابط الشرعية.

---

(1) حسن: حسنه العلامة شاكر برقم (١٩٥٧) في المسند.

(٩) آداب يجب مراعاتها مع الصغار

(١) عدم تشويه رأس الصغار بالقزع:

والقزع هو حلق رأس الصبي وترك بعض المواقع متفرقة غير محلوقة تشبيهًا بقَزَع السحاب[١] - السحاب المتفرق في السماء-.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع، فقال عبيد الله- أحد رواة الحديث وهو عبيد الله بن حفص-: قلت: وما القزع؟ فأشار: إذا حلق الصبي وترك هاهنا شعرة، وهاهنا، وهاهنا، فأشار لنا إلى ناصيته وجانبي رأسه[٢] .

وقال العلماء: نهي عن القزع لهذه العلل:

(١) لأنه زي الشيطان.

(٢) وقيل: زي اليهود.

(٣) وقيل: يشوه الخلقة[٣] .

ونحن نقول: إن القزع هو ما يشبه الآن القصات الحديثة التي ابتكرها المخنثون والشذاذ في أوروبا وأمريكا وأطلقوا عليها أسماء* كـ (الكابوريا- الكاريه- الإنجليزي) وفيها- أي: في هذه القصات- دلالة على اتجاهات معينة في الغرب وبلاد الكفر، كالإشارة إلى الشذوذ، أو الانتماء إلى فكر شِرْكي معين، أو الميوعة والانحلال.

وقد صحَّ في الحديث عند أبي داود بالسند عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «مَنْ تشبه بقوم فهو منهم»!! وقد يعارض البعض قائلين: وهل يعي الصغار من هذا شيئًا؟! إنكم تضيقون علينا، وتحجرون الواسع، إنهم مجرد صغار!!

---

(١) النهاية (٤/ ٥٩) في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري رحمه الله.

(٢) صحيح: البخاري (٥٩٢) في اللباس، مسلم (٢١٢٠) في اللباس والزينة.

(٣) فتح الباري (١٠/ ٣٦٥) لابن حجر .

وأقول: إن القضية لم تعد مجرد قضية صغار أو كبار، إنها قضية: نكون أو لا نكون. نكون بإسلامنا، ولا نكون بغيره، والطامحون إلى دخول الجنة، الطامعون في ذلك ينبغي عليهم تلمس خطوات النبي ﷺ والسير عليها، وعدم الفرحة بالتشبه بالكفار الذين أعلنوا صراحة حرب الإسلام، والصبي إن لم يكن مكلفًا فإنه مستعد للتكليف، فكيف إذا كبر وشب وهو يرى نفسه في زي الكفرة والمشركين، فلا تضيق أنت الواسع على نفسك، فإنك لن تزرع شعيرًا لتجني قمحًا، وإنما تضع حبات القمح لتجني قمحًا، وكذب من دلَّك على طريق التشبه بالكفار في ملبسهم وزيهم.

وهذه صورة من حياة النبي ﷺ في إشرافه على حلاقة الصغار بنفسه:

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى صبيًّا قد حُلق بعض شعر رأسه، وتُرِك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله»(1)

فهذا هو فعله ﷺ مع الصغار مجرد الصغار، مع الصغار الذين لا يعون شيئًا بزعم بعضنا، فهل يقال: ضيَّق رسول الله ﷺ علينا؟ هل يقال: حجَّر علينا الواسع؟

معاذ الله أن نقول على رسول الله ﷺ ما ليس فيه، المسألة ليست إلا مجرد هوى في النفس لا أكثر ولا أقل، إن أمتنا الآن مهزومة ماديًّا ومعنويًّا، والأمة المهزومة تابعة للمنتصرة من الأمم تراها خيرًا منها وأفضل فتميل إلى تقليدها ومحاكاتها، وهو ما يحدث في بلادنا وديارنا، فقد افتُتنا بالكفر وأهله افتتانًا لا سلامة فيه لموحد من الوقوع في شكل من أشكال موالاة الكفر وأهله خاصة التشبه ولو في المظهر بحلقات الرأس والملابس وغيرها من الأمور التي جنح المسلمون إلى تقليد الغرب فيها.

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم- يعني بعد وفاة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه- ثم أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم». ثم قال: «ادعوا لي الحلاق». فأمره فحلق رءوسنا(2) .

والفائدة من الحديث هنا أنه لابد من الإشراف المباشر على حلاقة الصغير حتى لا يترك نهبة لبعض الحلاقين، ممن لا يتقون الله عز وجل، حتى إن أحدهم ليحفر اسم

---

(1) صحيح: أبو داود (٣٦٦٣) في الترجل.

(2) صحيح: وقد سبق.

الصغيـر على رأسه بالموسى حتى شوّه خلق الله وغيَّـره وأعاد الطفل البريء إلى أهله بعد أن جعله كشيطان رجيم!!

(٧) عدم إلباس الصغير حريرًا، أو سقيه مسكرًا، أو تعويده على المعصية:

وقد سبق اتـفاق الأمة علىَ أن الصغيـر لا تكليف عليه حتى يحـتلم- يبلغ مبلغ الرجال- وفي الحديث عن علي وعمـر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «**رُفع القلم عن ثلاث: عن المجنون المغلوب حـتى يبـرأ، وعن النـائم حـتى يسـتـيـقـظ، وعن الصـبي حـتى يحتلم**»(١) . ولكن الصغير عنده الاستعداد لكي يتـعلم ويتشرب ما يحدث أمامه من أفعال وصفات، والقاعدة عند الصغار: أن كل ما يفعله الكبار صحيح.

وصحـيح أيضًا أن الصغيـر لا يدري حرمة الحريـر من حِلّه كذلك الذهب، لكن الخمـر وغيرها من المحرمـات إنما حرمهـا الله تعالى على الكبار والصـغار جميـعًا، ولذلك قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «والحذر كل الحذر من تمكينه- أي: الصغير- من تناول ما يزيل من عقله مُسكر وغيره، أو عِشْرة من يخشى فساده، أو كلامه، أو الأخذ في يده، فإن ذلك الهـلاك كله، ومتى سَهُل عليه ذلك فقد اسـتسهل الدِّياثة، ولا يدخل الجنة دَيُّوث، فمـا أفسد الأبناء مثل تَغَـفُّل الآباء وإهمالهم، واستسـهالهم شَرَرَ النار بين الشـباب، فأكـثر الآباء يعتـمدون مع أولادهم أعظم مـا يعتمـد العدو الشـديد العداوة مع عـدوه وهم لا يشعـرون، فكم من والدٍ حَرَمَ ولده خـير الدنـيا والآخرة، وعرَّضـه لهلاك الدنيا والآخرة، وكل هذا عواقب تفـريط الآباء في حقوق الله، وإضاعـتهم لها، وإعـراضهم عـما أوجب الله عليهم من العلم الـنافع والعمل الصالح، فحَرَمَهم الانتفـاع بأولادهم، وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم، وهو من عقوبة الآباء.

وينبغي على الأب أن يجنب ابنه لبس الحريـر، فإنه مفسد له، ومُخَنِّث لطبـيعته، كما يُخَنِّـثـه اللواط، وشرب الخمر، والسرقـة، والكذب، وقد قال النبي ﷺ: «حُرِّم الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأُحل لإناثهم»(٢) . والصبي وإن لم يكن مكلفًا، فوليه

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٣٥١٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (١٧٢٠) في اللباس.

مُكلف لا يحلُّ له تمكينه من المحرم، فإنه يعتاده، ويعسر فطامه عنه، وهذا أصح قولي العلماء.

واحتجَّ من لم يره حرامًا عليه بأنه غير مكلف، فلم يحرم لبسه للحرير كالدابة، وهذا من أفسد القياس، فإن الصبي وإن لم يكن مكلفًا، فإنه مستعد للتكليف، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء، ولا من الصلاة عُرْيانًا ونجسًا، ولا من شُرْب الخمر والقمار واللواط[1].

إننا نعيش في زماننا أمورًا عجيبة، فالأب لا يجد حرجًا من إلباس الصغار من الصبية ذهبًا رغم علمه بالحرمة، وقد يلبسه الكبار أيضًا، ولا يجد الآباء حرجًا في التدخين أمام صغارهم؛ بل ووضع السيجارة داخل أفواه الصغار!!

ولقد رأيت بعيني رأسي من يفعل ذلك في قريب لي، وقدَّر الله أن عاش هذا القريب وهو الآن من كبار المدخنين والمدمنين رغم مداومته على الصلاة!! ولا شك عندي أن من وضع السيجارة في فمه لأول مرة يتحمل هذه المسئولية كاملة.

وحكى لي والدي أن صديقًا له وضع سيجارة في فم ولده ابن ثلاث سنين آنذاك، فإذا بجدة الطفل تزغرد فرحًا بذلك، وعاش هذا الصبي وهو الآن من أشهر تجار المخدرات ومدمنيها في بلدتنا، يتمناه كل أب وكل أم فاشلة!!

إن الصغير بطبعه يميل إلى تقليد الكبار، فلا شيء يُفعل إلا وتراه مقلدًا له؛ فالأب المدخن يقلده ولده في ذلك، والأم المتعرية أمام الصغار تفعل ابنتها كذلك، والأم حين تتزين أمام صغيرتها تفعل الصغيرة فعلها لاعتقادها أنه أمر صحيح.

إن القضية إذن ليست قضية تقليد وفقط، لكننا نريد أن نغرس في صغارنا منذ نعومة الأظافر تقوى الله، والحفاظ على شروط وواجبات العبادات، على استيفاء هذه الشروط، مع التأكيد على اجتناب المحرمات والمنهيات التي إن شبَّ الصغير على انتهاكها ومقارفتها كان من الصعب أن يفطم عنها، أو أن يتركها وينتهي عنها.

---

(1) تحفة المودود (ص١٩٥، ١٩٦)، ولنا تعليق على اللواط، فلا يصح نسبته إلى لوط عليه السلام، وإنما يقال: لُوطي، أو إتيان الذكران.

ولعلماء الطب كلام في مسألة الذهب والحرير للرجال فهم يثبتون أن لبس الذهب والحرير يزيدان من إفراز هرمونات الأنوثة عند الرجـال، كما أن التدخين يعني وجود نسبـة نيكوتين في دمـاء الصغـار، مما يعرف باسم (المدخن السلبي) الذي يمـتص ما يخرج من فم المدخن من (قرف)!!

والحق أنني أتوجه إلى المدخنين بسؤالين:

الأول: ماذا لو عرض الدخان على حمار أو قرد أو كلـب؟ سيرفضه قطعًا، فانظر كيف صرت عبدًا لهذه العادة السيئة التي جعلتك أخس قدرًا من الحمار وأحطّ!!

والسؤال الثاني: لماذا تكون مرهف الحس، رقيق المشـاعر، ثم تنسى ذلك كله عند التدخين ولا تشعر بغيرك؟!

إن ضحـية التدخين هم الذين لا يدخنـون عادة، وأولهم الصغـار الذين لا يتورع الكبار عن نفث دخانهم بجوارهم دون رحمة بهؤلاء الصغار أو شفقة.

لا شك أن حجم الكارثة يزيد بإخـراج مدخن جديد إلى المجـتمع، والحقيـقة أن الحل يكمن في الإقلاع عن التدخين قبل إغـلاق المصانع أو الشركات التي تقوم على تجارة وتصنيع التدخين.

وقد أفتى الدكتور/ نصر فريد واصل(1) بحرمة التدخين في أحد أجرأ الفتاوى التي لا نشك بأن عزله من منصبه كان بسببها وبسبب فتاوى مماثلة لها.

(جـ) الحذر من آفات الكلام أمام الصغار، والنطق بكلمة التوحيد:

وهذا أمر بالغ الخطورة، فاللسـان هو الأداة المعبرة عن بيئة الشـخص، وهو المعبر عما يدور بداخله ولذا كـان الإسلام صريحًا في هذه المسـألة، فالنبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(2) .

وقال الأسود بن أصـرم المحاربي: «فلا تقل بلسانك إلاَّ معـروفًا، ولا تبسط يدك إلاَّ إلى خير»(3) . فالمسألة هنـا محسومة لصـالح التحدث بطيب الكلام لا خبـيثه،

---

(1) كان حفظه الله مفتيًا للديار المصرية.

(2) صحيح: البخاري (6018) في الأدب، مسلم (47) في الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) حسن: الهيثمي (10/303) في المجمع وحسنه وعزاه للطبراني.

وهذا موجه لعموم الأمة، وتبدو خطورة اللسان إذ أن الكبار من فرط تعودهم على بعض الألفاظ القبيحة أو اللعن أو السب أو التصريح بأسماء بعض الأعضاء الجنسية، أو التغني ببعض الأغاني، كل هذا يجعل الطفل أول ما ينطق ينطق بهذه المحرمات!! خاصة أن بعض المجتمعات استمرأت الشتائم حتى صارت عنوانًا على التهريج والمداعبة، فمثلاً يشتهر في بعض قرى مصر قولهم: «يحرق أمك» أو «يخرب بيتك» أو «يا ابن الكلب»، وأسوأ من ذلك أن يقال عنها: شتائم دارجة!!

والصغير كالأرض تزرع فيها كل الثمار، فلن ينطق إلا بما يسمع، خاصة أنه مخلوق بأذنين لا واحدة لكي يسمع، وليس للأذن قُفل فالمسئولية واقعة على الكبار لا على الصغار. يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله»[1] .

إن الصغير يردد الأذان حين يسمعه دون وعيٍ لكلماته حَتى ولو كان غير مسلم، فيحاكي صوت المؤذن، وربما قرأ القرآن دون دراية لأنه مقلد بطبعه، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإذا ما تبدَّل الحال وكان السب، والشتيمة، واللعن، والأغاني هي ما يسمعه الصغير فسوف يردد ما يسمع دون دراية أيضًا، خاصة أن أغاني هذا الزمان خرجت من إطار المحرمات والمنهيات إلى إطار التحدث عن زنا المحارم، وعن الدعوة الصريحة إلى الشذوذ!!

هذه كلمة نشرتها جريدة الأهرام بعددها الأسبوعي الصادر يوم الجمعة ٢٠ من جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ- الخامس من أغسطس (آب) ٢٠٠٥- السنة (١٣٠) العدد (٤٣٣٤١)، وكتبها الأستاذ/ أشرف عبد المنعم أحد النقاد الفنيين ينقد فيها أغنية لممثل كوميدي- حفظه الله!!- يتحدث فيها عن السفاهة التي وصلت إليها مستويات الأغاني في العالم العربي والإسلامي:

☆☆☆

---

(١) تحفة الأحوذي (٤/٤٦)، وقد روي مرفوعًا بسند ضعيف جدًا عند البيهقي (٦/٣٩٨) في الشعب ولا يصح مرفوعًا والله أعلم.

بأي حق يغنينا هذا الرجل و«خالته»!!

أبويا عايز يتجوزني
شبكني (بكني) وهايجهزني
آه يالهوي، ياخرابي، يافضحتي، يادهوتي
قولولي أرفض أنا ولا أقبل؟
أبويا أصله مالوش مستقبل!!
ولو وافقت أتجوز أبويا
يا خوفي يطمع فيا أخويا!!
إيه مالك فيه حاجة يا أبله؟
أبدًا ده أنا كان عندي مقابلة
ماتيالله يا بت إنتي (يا هبلة)
أنا جاهزة وسخنت الطبلة
ارقصوا يا نسوان (يا مكبوته)
والنبي ما لينا غير بعضينا
خدنا إيه م الرجالة غير حلاقة الدقن؟!
بالصلاة ع النبي نحن النسوة
هانقاطع الرجالة بالمرة
يسيبونا عشان (مُزة) ما تسوى!!
شايفين الدين
وياريت عاجبين
وزعيق وخناق يقلب بطلاق
عاوزيني أبقى ضرتك يامه!!

بهذا النص الغنائي المسف يخرج علينا «الكوميديان...» مرتديًا زي «خالته» في الفضائيات الغنائية بين الحين والآخر ليعطي لنا عينة من محتويات فيلمه «يا أنا يا خالتي» من ناحية، وليقدم لنا دون أن يدري نموذجًا صارخًا لمستوى الانهيار الثقافي والأخلاقي والتربوي الذي يمكن أن تقودنا إليه الأغنيات حين نتركها مرتعًا للعابثين والمهرجين من ناحية أخرى!!

وقبل أن نسطر كلمة واحدة حول عناصر هذه الأغنية المسفة بحق، دعونا نفوت على صانعيها الفرصة (الشهيرة) للدفاع عن أنفسهم والتي سيركنون إليها حتمًا ألا وهي: إن الأغنية تخدم دراما الفيلم، وإنها تدور في إطار كوميدي وليست أغنية منفصلة، وبالتالي فإن في فصلها عن سياقها الدرامي للحكم عليها ظلمًا لها ولصانعيها!!

وهنا نقول: إن الحقيقة التي لا يدركها هؤلاء هي: أولاً: أن الناس لم تر هذا الفيلم أصلاً باستثناء شريحة قليلة (جدًّا)، ومن ثَمَّ فإنه لن يتسنى لـ ٩٩٪ من جموع المشاهدين في المنازل أن يدركوا تلك (الأبعاد الدرامية العميقة) التي تبرر وجود هذا الإسفاف في أعماق بيوتنا. ثانيًا: أنه يتحتم على من يريد أن يحتمي بدراما الفيلم لتبرير هذا الإسفاف ألا يفصل هو عناصره عن بعضها من البداية، إذ أن عرض أحد هذه العناصر بشكل منفصل يحتم الحكم عليها بصورة منفصلة. ثالثًا- وهو الأهم-: أننا إذا اعتبرنا أن الإناء ينضح بما فيه فإنه من السهل علينا جدًّا أن نتوقع دون جهد يذكر أي نوع رديء من الدراما تلك التي تحتمل وجود مثل هذا الإسفاف الصارخ في سياقها، الأمر الذي يحول دون إقبالنا على مشاهدة هذه الدراما أساسًا!

فبعيدًا عن الإسفاف اللفظي الواضح وضوح النهار في سياق تلك الأغنية دعونا نستعرض مدى عبقرية انحطاط فكرة الأغنية أصلاً، فبعد أن عبدت أغنياتنا عمومًا الطريق مشكورة نحو علاقة «الخادمة برب الأسرة» ثم «علاقة المرأة بالحصان» ها نحن اليوم من خلال هذه الأغنية نفتح الأبوب أمام العقول الناشئة كي تتنفس (نسائم) زنا المحارم: «أبويا عايز (يتجوزني)»!! ولم يكتف (شاعرنا العميق) بالطرح فحسب وإنما راح يطرح شكل الصراع الفكري إزاءها مستغيثًا بأصحاب الخبرة والمشورة: «قولولي

أرفض أنا ولا أقبل؟» وهو ما رأى أن وراءه سببًا جوهريًا يحول دون الموافقة عليه: «أبويا أصله (مالوش مستقبل)»!! ثم إذا بشاعرنا (العميق) يبحث تبعات قبول الفتاة لعرض الأب فيما لم يجد فيه سوى مشكلة (وحيدة): «ولو وافقت أتجوز أبويا، يا خوفي (يطمع فيا أخويا)»!! ونعم العائلة فعلاً!! فمن المؤكد أن أخوها شاب (من دورها) قادر على الاضطلاع بمتطلبات (العلاقة الزوجية بأخته) بما لا يمكن أن نقارنه بالأب (الذي من المؤكد أنه يكبرها بسنوات)، ومن ثَمَّ فالأخ أولى بالشفعة!!

ثم تنتقل الأغنية بعد ذلك إلى نقطة تحول جديدة رأى (الشاعر) أن علاقة النساء بالرجال عمومًا يجب أن تبلغها حلاً لجميع المشاكل: «ارقصوا يا نسوان (يا مكبوتة)» وما تحمله هذه العبارة من دعوة مدوية للتمرد والعصيان!! ثم يستكمل: « (والنبي) ما لينا غير بعضينا، خدنا إيه م الرجالة غير حلاقة الدقن؟!»، والكلمات هنا وإن اكتفت مما نهلت منه من معين (زنا المحارم) إذ بها تنطلق بنا إلى معين أكثر انحطاطًا ألا وهو الدعوة من بعيد، وربما دون قصد، للسحاق، بمعنى العلاقة المثلية بين المرأة والمرأة، والأغنية وإن لم تشر إلى ذلك صراحة إلا أنها أمدت هذا لمعنى ضمنيًا بعد ذلك: «(بالصلاة ع النبي) نحن النسوة، (هانقاطع) الرجالة (بالمرة)»!! فإذا نحن ربطنا بين دعوة النساء (المكبوتة) إلى الرقص، وبين مبدأ مقاطعة (الرجاله بالمرة)، إذ بالمعنى يتضح جليًا لأولي الألباب خاصة إذا ما ربطنا الأمر برمته بحكاية (حلاقة الدقن) تلك التي تشير ضمنيًا إلى (خيبة) الرجال عمومًا، والحدق يفهم!!

ناهيك طبعًا عن مجاراة الأغنية بطولها لألفاظ السوقة والدهماء من أمثال: يالهوي، يادهوتي، ياهبلة، يانسوان، مُزَّة (بتشديد الزاي)، وما إلى ذلك من ألفاظ ساقطة يتعرض النشء حين تداولها للعقاب في البيوت (المحترمة)!! هذا فضلاً عن إقحام ذكر النبي ﷺ والصلاة عليه في سياق لا يصح ولا يليق أن ندرج ذكره فيه.

وكم كان تساؤل صاحبنا (عميقًا حقًّا) في الجزء الارتجالي بمستهل الأغنية: هو أنا لو خلفت يا نوءة، الواد يبقى ابني وأخويا؟ يالّه أهو (ضل بابا) ولا ضل حيطة!!

ولا أعرف كيف جرؤ هؤلاء على إهانة المجتمع بأسره بهذا الشكل؟! وكيف نرتضي لأنفسنا هذه الإهانة حتى تاريخه؟!

وليستجمع هؤلاء المهرجون جميع المعاني الساقطة في عبارة واحدة في الختام حتى يتسنى لمن لم يفهم أن يفهم: «عايزني أبقى ضرتك يامه» ونعم السخافة والسوقية وانعدام الشعور بالمسئولية، وسلامًا على الرقابة على المصنفات الفنية ونقابة المهن الموسيقية!! وسلامًا على من نجحوا في تحويل الفن بمعناه الجميل إلى أكبر خطيئة!!.

هذا رأي ناقد فني، فكيف بالرأي الشرعي في مثل هذه الأغاني التي صارت تنتشر بين الصغار فتسري بينهم سري النار في القش، فيتلاعب الشيطان بعقولهم تلاعب الأفعال بالأسماء.

وكم من فخرٍ كان مصدره أن الصغير يؤدي أغنية كاملة دون تلعثم منه، وأن الصغيرة إن لم تكن تغني فهي تجيد الرقص!! وكثيرًا ما يكون التندر بكلام الصغير حين ينطق أول كلماته مغنيًا أغنية لفلان أو فلانة، ولا عجب في ذلك، فكما قيل: كل إناء ينضح بما فيه، وكيف يستقيم ظل والعود أعوج؟

إذن ما هو الحل؟

الحل هو تعويد أذن الصغير على التلاوة للقرآن، وعلى كلمة التوحيد ليشب رجلاً قد علم قدرها ووزنها، وغير المسلمين يحرصون على زرع العقائد الباطلة في الصغار فإذا ما شبوا لم يحملوا همهم لأنهم قد غرسوا فيهم ما أرادوا.

يقول جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة- أي: غلمان اشتد بأسنا وقوينا- فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»(١) . وسوف يكون لنا وقفة مع هذا الأثر تارة أخرى إن شاء الله تعالى.

فإذا ما شبَّ الصغير على ذلك ضمنا له حياة طيبة في ظل العقيدة وإلا فالدمار علينا، إضافة إلى ذلك يحذر من أمر الطفل بهذه الأفعال:

(١) البصق على أبيه أو على أمه.

(٢) ضرب الكبار أو ازدراؤهم.

---

(١) **صحيح**: ابن ماجه (٦١) في المقدمة.

(٣) العبث بأعضائه الجنسية على سبيل التنكيت والمزاح.

(٤) مناداة الكبار بما لا يحبون من أسماء وألقاب.

(د) تجنب الدعاء على الصغار:

والحياة تطحن برحاها الكثير ممن تضيق أخلاقهم ونفوسهم حتى كأنما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، والصغار لا يعون مما يلقاه الكبار من هموم المعيشة وعنت الحياة ومشقتها شيئًا، فهم أبرياء يلعبون ويلهون، حتى إن الشرع رحم هذه البراءة فجعلهم خارج نطاق التكليف، وكذا فإن القوانين الوضعية تضع الصغار خارج نطاق المحاسبة.

ولكن قد يحدث أن يكون الصغير محبًا للعب، والكبير- كالوالد أو الوالدة- في حالة مزرية من الضيق بسبب ما يواجهه من مشكلات في الحياة، فينطلق اللسان داعيًا على الصغار، وهنا ودون أن يشعر الوالدان يفسدان الصغير بهذا الدعاء عليه، وإنما ينبغي على الوالدين الدعاء للولد، لا الدعاء عليه، ليكون الدعاء سببًا في الاستقامة والاعتدال، لا سببًا في التردي والانحلال والفساد. وقد جاء في الحديث: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن**...- وذكر منها دعوة الوالد-»[1].

قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾ (إبراهيم: ٤٠). ودعا لنفسه ولولده إسماعيل ولذريته فقال: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾ (البقرة: ١٢٨). وقال تعالى: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ (آل عمران: ٣٨). فلما وهب الله عز وجل له يحيى عليه السلام قال: ﴿**وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ (مريم: ٦).

فقد تكون الدعوة الصالحة منحة من الوالد أو الوالدة لولدهما، وضدها الدعوة الطالحة التي تفسد الأبناء، خاصة أن الملائكة تؤمن على الدعاء بأمر الله تعالى.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله**

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٣٨٦٢) في الدعاء.

ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا شك في إجابتهن- منها- دعوة الوالد على ولده»[٢] .

وعن طارق المحاربي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجني أم على ولد، لا تجني أم على ولد»[٣] . وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم. قال: أنت أفسدته[٤] .

(هـ) لا تكذب على الصغار:

وهذه واحدة من أبواب الشر التي تُفتح علينا دون دراية منا، فالأم والأب يقومان بـ «رشوة وهمية» للصغار ليطيعوهم، فإذا لم يحصل الصغير على هذه الرشوة الوهمية كان أول ما يزرع في نفسه أن أبواه مخادعان كذابان.

وفي حديث عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي؛ ورسول الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك. فقال ﷺ: «ما أردت أن تُعطيه؟». قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها: «أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتبت عليك كذبة»[٥] . قال أبو الطيب في شرح الحديث: «وفي الحديث أن ما يتفوهً به الناس للأطفال عند البكاء مثلاً بكلمات هزلاً أو كذبًا بإعطاء شيء أو تخوف من شيء حرام داخل في الكذب»[٦] .

إن كذبنا الآن يجري كالشلالات، فالصغار أصيبوا بـ «تخمة كذبية»، فأمنا

---

(١) أخرجه مسلم مختصرًا (٢/ ٦٣٤) (٧) (٩٢٠)، وأبو داود في الصلاة باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله (٢/ ١٨٥) (١٥٣٢)، والترغيب (٢/ ٨٤٠) وقال المنذري: رواه ابن خزيمة في صحيحه.

(٢) أخرجه الترمذي (٦/ ٣١) (١٩٧٠)، وأحمد (٤/ ١٥٤)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٩٥) (١٣٩٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٠٦)، والطيالسي (٢٥١٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٩٠) (٢٦٧٠)، وقال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وابن حبان في صحيحه (١٦٨٣)، والحاكم (٢/ ٦١١، ٦١٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) أبو حامد في الإحياء (٢/ ٢١٧).

(٥) **صحيح**: أبو داود (٤٣٣٩) في الأدب.

(٦) عون المعبود (١٣/ ٢٢٨).

الغولة، وأبو غرارة، وأبو رجل مسلوخة، والعفريت، والكلب الأسود، أكاذيب اصطنعناها للتخويف، حتى إن الكبار الآن أوشكوا- أو هم بالفعل- صدقوا أكاذيبهم التي أطلقت وهم صغار ولماذا أتورط في أكذوبة لأمر صغير بالخير؟

لماذا أقول: إن لم تغسل يدك سوف تخنقك الشمَّامة أو الغولة؟

ولماذا أكلف نفسي ما لا أطيق فأقول: لو نِمت أخذتك إلى الحديقة؟ وأنا أعلم أنني لن أذهب، فيفقد الصغير ثقته تمامًا فيَّ وفي العالم كله.

إن الصغار لا شك يراقبون كلماتنا وتصرفاتنا، فإذا ما أحسوا بفارق بينهما كان الوبال والدمار علينا.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلُحُ بالجد ولا بالهزل، ألا ولا يعد الرجل صبيه ثم لا يفي له»[(1)].

وعن سعد بن عبيد الله المخزومي قال: «أمرني عبد الملك بن مروان أن أعلم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن»[(2)].

إن البداية لابد أن تكون حسنة لتكون الخاتمة حسنة، والطفل يتعلم الكذب ممن حوله؛ لأنه يولد مفطورًا على الحق، وسوف نرى كيف يعلم الكبار صغارهم الكذب قريبًا.

إذن عليَّ فعل الآتي:

فمثلاً: ليكن عندي في البيت ما يحبه الصغير من حلوى دون أن يعرف مكانها، وليكن في جيبي منها واحدة، فإذا أردته أن يأتي إليَّ، قلت: تعال وأعطيك واحدة من الحلوى. فإذا جاء أعطيتها إياه.

وإذا أردته أن ينام قلت له: نَمْ وسوف أعطيك في الصباح قطعة حلوى. فإذا ما نام وأصبح الصبح أعطيته إياها، فعلمته الوفاء بالعهد، وعلمته الصدق، وأبعدته عن الكذب تمامًا، وعلمته كيف يثق بي وبما أقوله له.

---

(1) أخرجه ابن ماجه (٤٦) في المقدمة.

(2) ابن أبي الدنيا (٤٤٨) في الصمت.

(و) واحذر- رحمك الله- من هذه الأمور:

خاصة إن علمت أن سن التقليد عند الصغار يبدأ من السنة الثانية كما يقول علماء النفس، احذر من هذه الأمور:

(١) أن يراك الصغير مدخنًا.

(٢) أو ترى البنت أمها وهي تتزين.

(٣) أو يراك الصغير تلعب (بالنردشير)- الطاولة أو الدومينو أو الكوتشينة- وسوف يأتي تفصيل ذلك.

(٤) أو يسمعك تغني أغنية من الأغاني المليئة بالكلمات الهابطة وغيرها، والأفضل أن يسمعك تتلو القرآن وتذكر الله تعالى.

(٥) أن يراك الصغير عاريًا أو يرى أمه فيعتاد المشهد.

(٦) والمصيبة كل المصيبة أن يُقبِّل الرجل زوجته أمام الصغير مما سيثير غيرته على أمه إن كان ولدًا، وعلى أبيه إن كانت بنتًا.

(٧) والمصيبة الأكبر إذا كان الصغير يرى أبواه وهما يتعاشران.

(٨) أو أن يسمع الألفاظ البذيئة فيحفظها وتنتشر في قلبه.

(٩) أو أن تضرب أمه أمامه، أو تضرب أحدًا من إخوته أمامه.

(١٠) ولا تمازحه بالضرب على الوجه فإنه حرام- كما سيأتي- وضرب الوجه يورث الذل.

(١١) ولا تُلقه إلى جيران السوء أو أصدقاء السوء فيتعلم منهم ما كنت تخشاه عليه.

(١٢) ولا تهمله وإلاَّ قسا قلبه عليك.

(١٣) ولا تكشر في وجهه حتى لا تحتفر في ذاكرته صورة سيئة عنه.

(١٤) وصلِّ أمامه كثيرًا ليتعود ذلك منذ الصغر.

يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى في هذا: أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعبًا. قال الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب[١]

ويرى البعض أن توجيه الطفل يبدأ منذ نعومة أظفاره منذ الفطام[٢] ، فلا مجال للأب أن يسوف أو يؤخر مسألة التعليم إلى أن يكبر الولد. فبادر إلى الخير وسابق قبل فوات الأوان.

☆☆☆

حالة خاصة: وجود طفل يتيم بالمنزل[٣]

* اليتيم، والمجتمع، و الإسلام:

يأتي الطفل كثمرة طبيعية للقاء بين الرجل وامرأته، فيدخل إلى الحياة يعيش فيها بين أبوين، فيتقلب في نعيم أبيه، وبين أحضان أمه، فهو كالطائر جناحاه الأب والأم، يحلق بهما في سماء الحياة. إلاَّ أن بعضهم قد حُرم هذه النعمة، فكثير من الأطفال يرحل أبوه عن الدنيا قبل ولادته، أو بعد ولادته ونشأته بوقت قصير، وهذا هو اليتيم، وهو من فقد عائله الذي يقوم على تربيته ورعايته، وهذا العائل في معظم الأحوال هو الأب، ولذلك اعتبر الفقهاء اليتيم هو فاقد الأب لا فاقد الأم، لأن الأب ينفق ويؤدب ويرحم ويعطف، أما الأم فإنها تعطف وتربي دون النفقة في معظم الأحوال، ومن هنا تبدأ رحلة البحث عن عائل جديد، وكافل آخر لليتيم بعد أن فقد كافله وعائله.

أما حياة اليتيم الاجتماعية، فإنها حياة يغلب عليها طابع الميل إلى العزلة والوحدة، رغم شعوره بالحاجة الماسة إلى العطف عليه لتعويضه ما افتقده من حنان والده وعطفه.

---

(١) ابن الجوزي (ص٦٠) في الطب الروحاني.

(٢) محمد، نور سويد منهج التربية النبوية للطفل (ص٧١) نقلاً عن مسئولية الأب المسلم.

(٣) اعتمدت كثيرًا هنا على كتاب: «منهج الإسلام في تربية الشباب»، «سلسلة قضايا إسلامية»، العدد (٢٦) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، للمستشار/ حسن حسن منصور. والبحث أيضًا في كتابي: الوصايا النبوية من (ص٥٢٠ - ٥٢٦).

وكثيرًا ما يشعر اليتامى بالانكسار، والضيق النفسي حين يرون غيرهم من الصغار ينعمون بأب وأم بينما هم قد فقدوا هذه النعمة، ولأنهم صغار لا يدري أحدهم أن ما خبأه الله له من خير أبقى وأفضل مما أعطاه لغيرهم.

ويبقى أن اليتيم يعتمد في معيشته على غيره، وخاصة قبل أن يبلغ أشده فتدفع إليه أمواله ليتصرف فيها كما يشاء. واليتامى بهذا يمثلون قطاعًا لا يستهان به من المجتمع، وقد فرضت عليهم الأقدار هذه الظروف فكان لزامًا على الجميع أن يمد يد العون إليهم، ولذلك فإن كفالة اليتيم قبل أن تكون عملاً يثاب عليه المرء فإنها واجب تفرض العلاقات الإنسانية الراقية الرفيعة التي تأبى وجود طفل صغير غير قادر على إدارة شئونه أو غير قادر على العمل وكسب قوته، فيبقى نهبة للجوع والانحراف والسرقة وأكل ماله، ولذا كان العرب في الجاهلية قد عرفوا كفالة اليتيم نظرًا لكثرة الحروب الناتج عنها فقدان العائل وهو الوالد فيبقى الصغار بدون عائل يعولهم إلا بقية من أهل المتوفى أو قتيل هذه الحروب، لكن هذه النزعة الإنسانية لم تكن راشدة في كثير من الأحوال فليس بعد الكفر ذنب، فتعرض الكثير من الصغار لنهب أموالهم وأكلها ظلمًا في بطون لطالما أدمنت أكل النار حتى كأنها الأتون المشتعل، فجاء الإسلام رافعًا من قدر اليتامى، وراحمًا لهم يوم أن جعل خير المرسلين ﷺ يتيمًا من اليتامى.

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليُتم

ومع ذلك فعين الله ترعاه، وهو سبحانه الركن الشديد الذي كان يأوي إليه حتى قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ (الضحى: ٦). ثم كان العطاء الجزيل لليتامى حين أمر سبحانه بالعطف عليهم وإتيانهم حقوقهم، والعطف عليهم وإكرامهم، ورفع درجة من أكرم اليتيم، واتهام آكل ماله بالظلم ومجافاة الحق وتوعده بالعذاب الأليم، فهي مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام.

فمن المنح التي كرَّم الله بها اليتيم ورفع بها درجته ما نذكره كالتالي:

(١) الإنفاق على اليتيم شعبة من شعب الإيمان والبر:

فقد قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ (البقرة: ١٧٧). فهي شعبة من الإيمان تعادل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإنما جعل ذلك حتى يضمن اليتيم مصدر الرزق مع عدم وجود العائل.

(٢) الحض على كفالة اليتيم، والترغيب في الإحسان إليه، وإجزال العطاء لمن فعل ذلك:

* ففي الحديث المشهور عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا- وقال بإصبعيه السبابة والوسطى-»[١].

* ومن حديث صفوان بن سليم يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل»[٢].

* وجعل الإسلام كفالة اليتيم للقريب والبعيد على حد السواء، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «كافل اليتيم- له أو لغيره- أنا وهو كهاتين في الجنة». وأشار مالك- أحد رواة الحديث- بالسبابة والوسطى (يعني من أصابعه)[٣].

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ في الفردوس الأعلى، فكافل اليتيم معه إن أصلح النية وابتغى وجه الله تعالى في هذا العمل. وفي حديث عمرو بن مالك القشيري أنه ﷺ قال: «من ضمَّ يتيمًا من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه وجبت له الجنة»[٤].

وإذا عزَّ على أقارب اليتيم أو أهل بلدته كفالته فإن الله تعالى بيده العطاء والمنع، يفيض على من يشاء من عباده برحمته، فيقيض لليتيم من يدير شئونه ويحفظ له حقه، فلليتيم المسلم أكرم على الله من أن يضيعه، فها هو الكليم موسى عليه السلام يوم خرج مع نبي الله وعبده الصالح الخضر في رحلتهما العلمية، أمرهما الله تعالى

---

(١) صحيح: البخاري (٦٠٠٥) في الأدب.

(٢) صحيح: البخاري (٦٠٠٦) في الأدب، مسلم (٢٩٨٢/ ٤١) في الزهد والرقائق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: البخاري، مسلم (٢٩٨٣/ ٤٢) في الزهد والرقائق.

(٤) حسن: حسنه العلامة شاكر (١٨٩٢٧) في المسند.

بناء الجدار فـوق الكنز المملوك ليتيـمين حتى يبلغا أشـدهما ويتمكنا من استـخراج كنزهما، لأن أهل القرية بخلاء أشـحاء رفضوا ضيافة العـبدين الصالحين، ويبدو أنه من لؤمهم تركوا الصغيرين بلا كـفالة، يتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف: ٧٧).

ثم قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ (الكهف: ٨٢).

(٣) ودعا الإسلام إلى إصلاح اليتامى ومخالطتهم:

فقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

فقد روى أحمد في مسنده وغيره بسند صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهمـا قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٣٤). ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ﴾ (النساء: ١٠). انطلق من كان عنده يتـيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجـعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفـسد، فاشتـد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسـول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ...﴾ الآية[١].

فإذا كانت المخـالطة تجوز في الأكل والمال فإنها تعني مـبادلة اليتيم مـشاعر الحب والعطف حتى يخرج من عزلته ويمزق أثواب العزلة، ويتفاعل مع الآخرين، ويتناسى ألم اليتم حتى يزول فلا يشعر به بعد.

(٤) مراعاة الحالة النفسية لليتيم:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـآوَىٰ﴾ (الضحى: ٦). وجعل العنف مع اليتيم من صـفات المكذب بالدين كـقوله تعـالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ (الماعون: ١، ٢). وكل هذا كي لا يشعر اليتيم بالضعف والاستكانة.

---

(١) صحيح: أحمد (١/٣٢٦) في المسند.

(٥) ثم حذر الإسلام من هضم حق اليتيم، وتوعد من ضيعه بالعذاب الأليم:

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٣٤). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠).

ثم جعل النبي ﷺ أكل مال اليتيم من الموبقات- أي: المهلكات- ومن أكبر الكبائر كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هنّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[١].

(٦) حماية أموال اليتامى وحفظها:

وهذا الحق متفرع من الحق السابق، فقد وضع الإسلام نظامًا فريدًا لحماية أموال اليتامى وكيفية إدارتها والتصرف فيها، ثم ردها إليهم عند بلوغهم سن الرشد، وألزم القائمين على كفالة اليتيم بهذا لنظام.

* فقد نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٦).

فقالت أم المؤمنين عائشة: «أنزلت هذه الآية في والي اليتيم أن يصيب من ماله إذا كان محتاجًا بقدر ماله بالمعروف»[٢]. ومعنى الأكل: أي: ما يشبه الراتب ولكن بقدر الحاجة وبدون إسراف كمقابل (إدارة) بلغة العصر، هذا في حق الولي الفقير، أما الولي الغني فعليه الاستعفاف، فإذا دعت الحاجة إلى الأخذ أخذ على سبيل القرض ثم يرده تارة أخرى إن تيسر، وإلا فهو في حل، وفي كل الأحوال لابد من شرط (المعروف) أي: على الوجه الأمثل بلا سرقة أو نهب أو إسراف[٣].

وكان عمر بن الخطاب يقول: «إني أنزلت نفسي من هذا المال بمنزلة ولي اليتيم فإن احتجت أكلت، وإن اغتنيت استعففت».

---

(١) صحيح: البخاري (٢٧٦٦) في الوصايا، مسلم (٨٩/ ١٤٥) في الإيمان.

(٢) صحيح: البخاري (٢٧٦٥) في الوصايا، مسلم (٣٠١٩، ١٠، ١١، ١١م) في التفسير.

(٣) مجموع آراء ذكرها الحافظ ابن حجر (٥/ ٣٩٢، ٣٩٣) في فتح الباري.

* وأما بالنسبة للإناث، فإذا كانت الفتاة المكفولة قد أعجبت كفيلها فأراد الزواج بها، وجب عليه أن يعطيها مهر المثل، من مثلها من البنات، فإن خاف ألا يعطيها المهر عدل عن هذا الزواج وتزوج بأخرى، وما أكثر النساء، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء: ٣)[١].

* وحذر سبحانه من أن يختص الولي والكفيل بأفضل المال وأحسنه لنفسه، وأن يعطي اليتيم الرديء منه، فقال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٢). ويرحم الله طاوس ذلك التابعي الذي كان إذا سئل عن اليتيم قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

(٧) ومن أروع الحقوق التي منحها الله تعالى لليتيم أن قرر له رزقًا من التركة التي تقسم على الورثة وهو ليس منهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (النساء: ٨). قال الإمام مالك رحمه الله في تفسير هذه الآية: «إن هذا الرزق هو حق واجب ما طابت به الأنفس»، إنها إذن الرعاية الإلهية لليتيم جعلها الله تعالى له في الدنيا مرغبًا في العمل بها قبل أن تدك الأرض دكًا دكًا، ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (االفجر: ١٧).

• هؤلاء أكرموا اليتيم فأكرمهم الله، وهؤلاء أهانوه فأهانهم الله:

(١) قال بعض السلف: «كنت في بدء أمري سكيرًا مكبًا على المعاصي فرأيت يومًا يتيمًا فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر، ثم نمت فرأيت الزبانية أخذوني أخذًا مزعجًا إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضني فقال: دعوه حتى أراجع ربي فيه. فأبوا فإذا النداء: خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه. فاستيقظت وبالغت في إكرام اليتامى من يومئذ».

(٢) وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر إلى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلت مسجد بلد مجهورًا، فتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن في القوت فمرت بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم

---

(١) راجع حديث (٢٧٦٣) عند البخاري في الوصايا، مسلم (٣٠١٨/٦م) في التفسير عن عائشة رضي الله عنها.

يصدقها وقال: لا بد أن تقيمي عندي البينة بذلك. فقالت: أنا غريبة فأعرض عنها ثم مرت بمجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها إلى داره فبالغ في إكرامهن، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي ﷺ معقودًا على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم، فقال النبي ﷺ: «أقم عندي البينة بذلك». فتحير فقص له ﷺ خبر العلوية، فانتبه الرجل في غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسي فطلبها منه فأبى، وقال: لقد لحقني من بركاتهن. فقال: خذ ألف دينار وسلمهن إليَّ. فأبى، فأراد أن يكرهه فقال: الذي تريده أنا أحق به والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي، أتفخر علي بإسلامك، فوالله ما نمت أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك، وقال لي رسول الله ﷺ: «العلوية وبناتها عندك؟». قلت: نعم يا رسول الله. قال: «القصر لك ولأهل دارك». فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

إن في بعض المجتمعات الإسلامية من يحاسب اليتيم كأنه أتى بنفسه إلى الدنيا، فيعامله معاملة غليظة جافة تجعل اليتيم يناجي نفسه: ألا موتٌ يُباع فأشتريه!!

إن قطاعًا عريضًا نزعت الرحمة من قلبه يذيق اليتيم ويلات فقد الأب، حتى يربي فيه كراهية وحقدًا يصعب التخلص منهما مدى الحياة، فالسنوات الأولى دائمًا تحمل بذورًا يستوي عليها ساق التربية ويصلب عليها العود، فتظل هي الأساس رغم مرور السنوات واكتساب الخبرات.

فكثير من البيوت تجعل اليتيم كمواطني الدرجة الثالثة: يسخر في أعمال مُهِينة شاقة، وتوكل إليه أمور تنظيف الدار كالكنس، والمسح، وحمل المتاع، والذهاب إلى الأسواق، والالتحام بأشخاص يرفض كافل اليتيم أن يحتك أبناؤه بهم تكريمًا لهم.

وآخرون يعملون على إظهار أبنائهم في أفضل صورة، وأحسن هيئة غير مبالين بالمرارة والألم اللذين يعتصران كبد اليتيم وقلبه.

وآخرون يعاملون اليتيم كسقط المتاع كأنه لا وجود له، وهذا قهرٌ للصغير الذي أمر الله تعالى بعدم قهره، وإغراق له في بحر العزلة، وإشعار له بمرارة فقده الأحبة،

خاصة إن كان قاهره (زوجة الأب- أو زوج الأم- أو أحد أقربائه).

وكثيرًا ما سمعنا عن قصص تتمزق لها نياط القلب حتى تبكي العيون دمًا، تعرض هذه القصص لما يفعله الكبار الراشدون من أصحاب العقول بصغار أيتام كل ما جنوه في هذه الحياة أنهم صاروا عبئًا وثقلاً على أقربائهم، والنتيجة معلومة في النهاية: ينتقم الله من ظالم اليتيم!! أما اليتيم فلا يعلم بمصيره إلا الله تعالى، فحذار حذار من ظلمه وقهره.

وقد كفل النبي ﷺ أبناء أبي سلمة، وأبناء جعفر بن أبي طالب، وكفل أسامة بن زيد رضي الله عنه، فكانت كفالته ﷺ هي الصورة المثلى لكفالة اليتيم، فليس المعنى: إطعام اليتيم وسقيه وكسوته، بل الأمر أعظم من ذلك، فالكفالة كفالة مَن لا يعقل دينه؛ بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه، ويحسن أدبه[1] ، ولذا كان جزاء الكافل لليتيم أن يكون في منزلة النبي ﷺ الذي كفل أبناء أبي سلمة كما سيأتي في حديث عمر بن أبي سلمة وزينب أخته، فلم يكتف بإطعامهم وإنما علمهم أمور دينهم أيضًا.

صورة صادقة لكفالة اليتيم:

وهذه صورة من إكرام اليتيم ننقلها من حياة النبي ﷺ ، فقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنه أسود الوجه فيه دمامة، وكان رسول الله ﷺ يكفله، ولم تكن أم المؤمنين عائشة تحبه بنفس القدر الذي كان رسول الله ﷺ يحب أسامة إياه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أسامة عثر بعتبة الباب فدَمِيَ فجعل النبي ﷺ يمصه ويقول: «لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها»[2] . فأحبته أم المؤمنين عائشة لحب رسول الله ﷺ إياه، وهذه ثورة صادقة لما ينبغي أن يكون عليه كافل اليتيم، فإذا ما شبَّ اليتيم في هذه الأجواء لم يكن في نفسه ضغينة أو حقد تجاه مجتمعه.

---

(1) ابن حجر (١٠/ ٤٣٧) في فتح الباري.

(2) صحيح: وقد سبق.

صورة شبيهة باليتامى:

وهي صورة الطفل الذي تركه أبواه أو أحدهما، والصورة متكررة كثيرة في مجتمعاتنا، خاصة في ظل انتشار المخدرات، والمعاصي، وحالات الزنا التي يكون أكثر أصحابها من أهل الإحصان، ومع انتشار حالات الطلاق، وهجران الأزواج، ومع طمع الكثير في المال، وبالجملة في غياب الدين، يحدث أن يصبح الطفل في كفالة غير والديه وهم أحياء دون ذنب له، وهؤلاء الصغار لهم الله، خاصة في ظل قسوة القلوب التي طغت على كثير من الناس، وهذا مقال نشره الأستاذ/ عبد الوهاب مطاوع- نسأل الله له الرحمة الواسعة- في بريد الأهرام نشرها تحت عنوان (الضوء الأخير) وقد أرسلتها امرأة إليه تقول فيها:

دفعني للكتابة إليك بيتا الشعر اللذان قرأتهما في ردك على إحدى الرسائل ويقولان:

إنما الدنيا هبات ... وعوارٍ مستردة
شدة بعد رخاء ... ورخاء بعد شدة

فأردت أن أروي لك قصتي عسى أن تكون عبرة لغيري، فأنا زوجة وأم لفتاة بالسنة النهائية بإحدى الكليات النظرية ولابن شاب متزوج ولديه طفلان، وزوجي ضابط عسكري بالمعاش، ونعيش في أحد أحياء القاهرة، ومنذ أن بدأت حياتي مع زوجي ونحن نعيش حياة رغدة، وقد استعنت طوال حياتي الزوجية على تربية أولادي بمربيات عديدة، لا أتذكر عددهن من كثرتهن، ولا عجب في ذلك، فقد كانت كل واحدة منهن لا تمكث عندي أكثر من شهرين، ثم تفر من قسوة زوجي العدواني بطبعه، والذي لا أعرف هل اكتسب عدوانيته هذه خلال رحلة حياته أم أنها وراثية فيه، فقد كان يتفنن في تعذيب أي مربية تعمل عندنا، ولا أنكر أني شاركته في بعض الأحيان جريمته، ومنذ خمسة عشر عامًا، وابنتي في السابعة من عمرها، وابني في المرحلة الإعدادية جاءنا مزارع من معارف زوجي ومن أبناء بلدته، يصطحب معه ابنته الطفلة ذات الأعوام التسعة، فاستقبله زوجي بكبرياء وترفع، وقال المزارع البسيط: إنه أتى بابنته لتعمل عندنا مقابل عشرين جنيهًا في الشهر،

ووافقنا، وترك المزارع المكافح طفلته الشقراء، فانخرطت الطفلة في البكاء، وهي تمسك بجلباب أبيها، وتستحلفه ألا يتأخر عن زيارتها، وألا ينسى أن يسلم لها على أمها وإخوتها، وانصرف الرجل دامع العينين، وهو يعدها بما طلبت، وبدأت الطفلة حياتها الجديدة معنا، فكانت تستيقظ في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ طفلاي لتساعدني في إعداد طعام الإفطار لهما، ثم تحمل الحقائب المدرسية وتنزل بها إلى الشارع، وتظل واقفة مع ابنتي وابني حتى يحملهما أتوبيس المدرسة، وتعود للشقة فتتناول طعام إفطارها وكان غالبًا من الفول بدون زيت، وخبز على وشك التعفن، وفي بعض الأحيان قد نجود عليها بقليل من العسل الأسود أو الجبن، ثم تبدأ في ممارسة أعمال البيت من تنظيف وشراء الخضر والمسح، وتلبية النداءات حتى منتصف الليل، فتسقط على الأرض كالقتيلة وتستغرق في النوم، وعند أي هفوة أو نسيان أو تأجيل أداء عمل مطلوب ينهال عليها زوجي ضربًا بقسوة شديدة، فتتحمل الضرب باكية صابرة، ورغم ذلك فقد كانت طفلة في منتهى الأمانة والنظافة والإخلاص لمخدوميها، تفرح بأبسط الأشياء، وتغني غناءً حزينًا خافتًا يعبر عن شوقها لبلدتها وأمها وإخوتها وهي تغسل الأطباق، ورغم اعترافي بأنني كنت شريكة لزوجي في قسوته على الخادمات، وتفننه في تعذيبهن، حتى إنه كان أحيانًا يختلق الأسباب لضرب أي خادمة تعمل عندنا، إلا أنه كانت تأخذني الشفقة في بعض الأحيان بهذه الفتاة، لطيبتها وانكسارها وإخلاصها، فأناشد زوجي ألا يضربها، وأقول له: إنها قد كبرت وتعوَّدت على طباعنا، وتحملتنا كثيرًا فلا داعي للاستمرار في ضربها، فكان يقول لي مقهقهًا: إنه لو لم يضربها فإنها ستطلب منه أن يضربها، لأنها قد تعودت عليه، وأن هذا «الصنف» من الناس لا تجدي معه المعاملة الطيبة، واستمرت الفتاة تتحمل العذاب في صمت وصبر، وأتذكر الآن بأنني حين كان العيد يأتي ويخرج طفلاي مبتهجين مهللين، بينما تبقى هذه الطفلة التي تماثلهما في العمر تنظف وتغسل دون شفقة، وبعد أن تنتهي من أعمالها الشاقة ترتدي فستانًا قديمًا لكنه نظيف، لأنها كانت تحرص على نظافة ملابسها البسيطة، أما أبوها فلم تره تلك الطفلة إلا مرات معدودة بعد عملها عندنا، فقد انقطع عن زيارتها بعد شهور، وبدأ

يرسل أحد أقاربه لاستلام أجرتها الشهرية، كما لم تر أمها وإخوتها إلا في ثلاث مناسبات محددة، الأولى حين مات شقيقها الأكبر في حادث عند عودته من الأردن، وكانت الفتاة المحرومة تعلق أملاً كبيرًا على عودته، وتحلم بأن ينتشلها من العذاب الذي تعانيه عندنا، فإذا به يلقى مصرعه، وتفقد آخر أمل لها فبكته بحرقة وسرًا حتى لا يراها زوجي، فتلقى عقابًا على يديه.

والمرة الثانية لم تكن تعطفًا منا عليها، وإنما كانت تخلصًا منها في الحقيقة فقد كانت مريضة بمرضٍ معدٍ، وخشينا على طفلينا من انتقال العدوى إليهما، فأبعدناها إلى بلدتها بحجة أن ترى أمها وإخوتها. وكانت المرة الثالثة عند وفاة أبيها بعد أن دخلت مرحلة الصبا، واستقر الحزن والانكسار في قلبها.

وأرجو أن تصدقني يا سيدي، إذ ليس لدي ما يبرر أن أدعي شيئًا غير صادق، وأنا كتبت لك بإرادتي، إذا قلت أني أبكي الآن كلما تذكرت قسوة عقابنا لها إذا أخطأت أي خطأ، وكان لابد أن تخطئ كأي طفلة وكأي إنسان، فقد كان زوجي يصعقها بسلك الكهرباء! وكثيرًا ما حرمناها من وجبة العشاء في ليالي البرد القاسية، فباتت على الطوى جائعة، ولا أتذكر أنها نامت ليلة لمدة سنوات طويلة دون أن تبكي!

وسوف تتساءل: ولماذا تحملت كل هذا العذاب ولم تهرب بجلدها من جحيمكم؟ وأجيبك بأن الفتاة حين قاربت سن الشباب خرجت ذات يوم لشراء الخضراوات ولم تعد، فسأل زوجي البواب عنها، وعرف أنها كانت تتحدث لفترات طويلة مع شاب يعمل لدى جزار بنفس الشارع، وأنه من المحتمل أن تكون قد اتفقت معه على أن يتزوجها وينتشلها من هذه الحياة، فلم يمض أسبوع حتى كان نفوذ زوجي قد تكفل بإحضارها من مخبئها، واستقبلناها عند عودتها استقبالاً حافلاً بكل أنواع العذاب، فقام زوجي بصعقها بالكهرباء، وتطوع ابني بركلها بعنف، بينما بكت ابنتي وهي تقول لأبيها: حرام يا بابا حرام حرام. ففقد سيطرته على نفسه واستدار إليها وضربها هي أيضًا، وكانت المرة الأولى في حياته التي يضربها فيها أبوها!

وعادت الفتاة لحياتها الشقية معنا، واستسلمت لمصيرها، واستمر الوضع كما كان

عليه، تخطئ أو تؤجل عمل شيء بعض الوقت، فيضربها زوجي ضربًا مبرحًا، ونخرج في الإجازات إلى منطقة الأهرامات لنستمتع بشيء من اللحم، ونترك لها بقايا طعام الأسبوع لتأكله. . .إلخ ثم شيئًا فشيئًا بدأنا نلاحظ عليها أن الأكواب والأطباق تسقط من يديها، وأنها تتعثر كثيرًا في مشيتها، فعرضناها على الطبيب فأكد لنا أن نظرها قد ضعف جدًا، وأنه ينسحب تدريجيًا، وأنها لا ترى حاليًا ما تحت قدميها، أي أنها أصبحت شبه كفيفة، ورغم ذلك فلم نرحمها، وظلت تقوم بكل أعمال نظافة المسكن، وتخرج لشراء الخضر كما كانت تفعل، بل وكثيرًا ما صفعتها إذا عادت من السوق بخضراوات ليست طازجة وكثيرًا ما كانت تفعل لضعف بصرها الشديد، فأشفقت عليها زوجة البواب، فكانت تجلسها في مدخل العمارة وتذهب هي لشراء الخضراوات لها، حتى تنقذها من الإهانة والضرب، واستمر الحال هكذا فترة من الزمن، ثم خرجت الفتاة ذات يوم من البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقريبًا، ولم تعد إليه مرة أخرى، ولم نهتم بالبحث عنها هذه المرة.

ومضت السنوات فأحيل زوجي للتقاعد، واستقبل حياة الفراغ، وفقد المنصب والنفوذ، أسوأ استقبال، فتضاعفت عصبيته وثوراته وانفلاتاته إلى حد غير محتمل، ومع ذلك فقد تحملته بسبب عشرة السنين. وتخرج ابني في الجامعة وعمل، ثم أراد أن يخطب إحدى زميلاته، فخطبناها له، وهي فتاة رائعة الجمال، وتزوجها وسعدنا بها واكتملت سعادتنا حين عرفنا أنها حامل، ثم جاءت اللحظة السعيدة، ووضعت مولودها فإذا بنا نكتشف لصدمتنا القاسية أنه كفيف لا يبصر، وتحولت الفرحة إلى سحابة كثيفة من الحزن القاتم، وبدأنا الرحلة الطويلة مع الأطباء بلا فائدة، واستسلم ابني وزوجته للأمر الواقع، وانطفأ الأمل في قلبيهما، وأدخلنا حفيدنا الموعود بالعناء حضانة للمكفوفين، وقررت زوجة ابني ألا تحمل مرة أخرى خوفًا من تكرار الكارثة، لكن الأطباء طمأنوها إلى أن هذا مستحيل، لأنه لا توجد صلة قرابة بينها وبين زوجها تؤكد العوامل الوراثية، وشجعوها على الحمل وإنجاب طفل آخر يعيد البسمة إلى حياتها وزوجها، وشجعناها نحن أيضًا على ذلك على أمل أن يرزق ابننا بطفل طبيعي يخفف من حزنه وصدمته في طفله الأول، وحملت زوجة ابني،

وأنجبت طفلة جميلة شقراء نزلت إلى الحياة، فتوقفت قلوبنا حين زف الطبيب البشرى بأنها ترى وتبصر كالأطفال العاديين، وسعدنا بها سعادة مضاعفة، وانهالت عليها وعلى شقيقها اللعب والملابس والهدايا، وبعد سبعة شهور لاحظنا عليها أن نظرها مركز في اتجاه واحد لا تحيد عنه، فعرضناها على أخصائي عيون للاطمئنان على سلامة عينيها، فإذا به يصدمنا بحقيقة أشد هولاً، وهي أنها لا ترى إلا مجرد بصيص من الضوء، وأنها معرضة أيضًا لفقد بصرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ورأى زوجي ذلك، فأصيب بحالة نفسية فسدت معها أيامه، وكره كل شيء، ثم تطورت حالته حتى نصحنا الطبيب بإدخاله مصحة نفسية لعلاجه من الاكتئاب، وانقبض قلبي، وأحسست بهموم الدنيا تطأ صدري بقسوة، وفي ضيقي وأحزاني تذكرت فجأة الفتاة الكسيرة التي هربت من جحيمنا كفيفة بعد أن أمضت معنا عشر سنوات ذاقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء والضرب والهوان والحرمان، وساءلت نفسي في جزع: هل هذا عقاب السماء لنا على ما فعلنا بها؟

وأصبحت صورة هذه الفتاة اليتيمة التي أهملنا علاجها وتسببنا في كف بصرها تطاردني في وحدتي، وتعلق أملي في عفو ربي عما جنينا في أن أجد هذه الفتاة، وأكفر عما فعلنا بها، ورحت أسأل الجميع حتى دلنا أحد الجيران إلى مكانها، وعلمنا أنها تعمل خادمة بأحد المساجد، فذهبت إليها وأحضرتها لتعيش معي ما بقي لي من أيامي، ورغم كل قسوة الذكريات فقد فرحت بسؤالي عنها وسعيي إليها لإعادتها، وحفظت العشرة التي لم نحفظها، وعادت معي تتحسس الطريق وأنا أمسك بيدها، وفرحت بسماع صوت ابنتي الشابة التي طالما أحبتها هذه الفتاة الطيبة في طفولتها وصباها، وبسماع صوت ابني الذي عرف الهم طريقه إلى قلبه، واستقرت الفتاة معنا، وأصبحت أرعاها بل وأخدمها هي وحفيدي الكفيفين، وأملي ودعائي لربي أن يغفر لي ما كان، وأن أقول لمن نضبت الرحمة من قلوبهم: إن الله حي لا ينام، فلا تقسو على أحد فسوف يجيء يوم تطلبون فيه الرحمة من أرحم الراحمين، وتندمون على ما فعلتم في قوتكم وجبروتكم.

هذه هي قصتي يا سيدي التي دفعني بيتا الشعر اللذان قرأتهما في ردك لأن أرويها

لك، وأرجو أن يقرأها الجميع ويعتبروا بما فيها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذه إذن هي القصة التي تتكرر أحداثها ومفرداتها كثيرًا بيننا، ولعل فيها العبرة والعظة، ونذكِّر بصور إهانة اليتيم لئلا يقع فيها المسلمون:

(١) تركه مهملاً بلا شفقة أو حنان وتجاهله.

(٢) عدم إطعامه وسقيه وكسوته مما يطعم به الأولاد ويكسون ويسقون.

(٣) أكل ماله وحقه وتبديده، أو استبدال الطيب منه بالخبيث.

(٤) القسوة عليه وضربه.

(٥) تفضيل أولاد الصُّلب عليه.

(٦) معايرته باليتم والمن عليه.

(٧) إهمال تعليمه أمور دينه وعقيدته.

(٨) تسخيره في الأعمال المُهينة الشاقة.

(٩) إراحة الأولاد وإتعابه بحيث يترفع الرجل والمرأة عن تشغيل أولادهم في أعمال المنزل كالكنس والمسح بينما يعمل اليتامى في ذلك.

(١٠) إلقاء فُتات الطعام لهم، وعدم مشاركتهم ومخالطتهم.

(١١) تزويجهم رغمًا عنهم بمن لا يرضونهم إجبارًا لهم لفقدانهم العائل الأول.

فاتقوا الله في اليتامى وأكرموهم، وامسحوا دمعاتهم، وخففوا عنهم ويلات فقد من كان يحنو عليهم: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ (النساء: ٩).

ماذا يحدث في حالة فقدان الابن؟

والموت خلق من خلق الله، وقدر من أقداره التي كتبها على بني آدم، ولا يعرف الموت التفرقة بين الصغار والكبار، فلطالما حزَّ الموت بسكينه رقابًا صغيرة، وأزهق أرواحًا لم تتلبس بالأجساد إلا قليلاً، ولعل هذا المشهد- مشهد وفاة الصغار- من أشق المشاهد وأثقلها على النفس، حين يرى إنسان ولده يموت، فلا هو يستطيع صدّ

جحافل الموت، ولا أن يجود بنفسه ليقي ولده، ولا أن يلحق به حتى لا يذوق مرارة الفقد، ومن هنا وجب الصبر، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة.

فهو ﷺ الذي فقد أولاده الذكور: القاسم، وعبد الله، وإبراهيم عليهم السلام جميعًا، وفقد بناته فلم يبق منهن بعده إلا فاطمة رضي الله عنها، وهذه هي المشاهد في حياته ﷺ، نراه كيف تغلَّب عليها بالصبر، وكيف كان يعزي المسلمين في وفاة أولادهم.

عن أنس قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ فأخذ إبراهيم ابنه فقبَّله وشمَّه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان (تدمعان) فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ (أي تبكي) فقال: «يا ابن عوف». ثم أتبعها بأخرى (أي بكى ثانية) فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: لما توفي ابن رسول الله ﷺ إبراهيم بكى رسول الله ﷺ، فقال له المُعَزِّي إمَّا أبو بكر وإما عمر: أنت أحق مَن عظَّم الله حقه. قال رسول الله ﷺ: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يُسخط الرب، لولا أنه وعد صادق، وموعود جامع، وأن الآخر تابع للأول، لوجدنا[2] عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا، وإنا بك لمحزونون»[3].

عن أسامة بن زيد قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابنًا لي قد قُبض (مات) فأْتنا. فأرسل يقرئ السلام ويقول: «إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكلٌّ عنده بأجل مسمى، فلتصبِر ولتحتسب». فأرسلت إليه تُقسِم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ورجال من أصحابه، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفْسُه تَقعقَع (صوت الحشرجة) كأنها شَنَّة (القربة القديمة)، ففاضت عيناه ﷺ، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[4].

---

(١) صحيح: متفق عليه رواه البخاري ومسلم كلٌّ في كتاب الجنائز.
(٢) لوجدنا: حَزِنَّا.
(٣) صحيح: ابن ماجه (١٥٧٨) في الجنائز وصححه الألباني هناك.
(٤) صحيح: متفق عليه رواه البخاري ومسلم كلٌّ في كتاب الجنائز.

دعاء النبي ﷺ للصغار وهو يصلي عليهم:

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: «صليتُ وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط، فسمعته يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر»(١) . وكان الحسن يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ويقول: «اللهم اجعله لنا فرَطًا(٢) وسلفًا وأجرًا(٣)» .

وإن قال: «اللـهم اجعله فـرطًا وذخرًا لوالديه، وشـفيعًـا مجـابًا، اللهم ثقِّل به موازينهما، وأعظم به أجورهما، وألحقه بصالح المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم، وقه برحمتك عذاب الجحيم، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، اللهم اغفر لأسلافنا وأفراطنا، ومَن سبقونا بالإيمان» فحسن(٤) .

البشرى لمن فقد ولدًا أو اثنين أو ثلاثة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن امـرأة أتت النبي ﷺ بصبي فـقالت: ادع الله له فقد دفنت ثلاثة. فقال: «احتظرتِ بحظار شديد من ا لنار»(٥) .

ويبيِّن ﷺ ثقل ميزان من مات له ولد فاحـتسبه، فيقول: «بَخٍ بَخٍ لخمس ما أثقلهن في الميـزان: لا إله إلا الله، وسبحـان الله، والحـمد لله، والله أكـبر، والولد الصالح يُتوفى للمرء المسلم فيحـتسبه»(٦) . و«بَخ بَخ» كلمة تقال للمدح والرضـا، وتُكرر للمبالغة، فإن وصلت جُرَّت ونونت.

وفي موت الصغار فوائد لأهلهم كما ذكر المناوي رحمه الله في فيض القدير:

(١) فهم حجاب عن النار كما في عدة أخبار.

(٢) وهم يثقلون الميزان.

(٣) ويشفعون لآبائهم ليدخلوا الجنة.

---

(١) رواه مالك (٤٨٠) في الجنائز، وعـذاب القبر هنا قال الزرقـاني (٢/ ٨٥) في شرح الموطأ: الألم بالغم والهم والحسرة والوحشة، والضغطة وذلك يعم الأطفال وغيرهم.

(٢، ٣) أي مقدمًا ومؤخرًا.

(٤) المغني (٣/ ٤١٦) لابن قدامة.

(٥) انظر صحيح الأدب المفرد (١٠٧).

(٦) صحيح: صحيح الجامع (٢٨١٧) عن ثوبان رضي الله عنه.



(٤) ويسقون أصولهم (آباءهم وأمهاتهم) يوم العطش الأكبر من شراب الجنة.

(٥) يخففون الموت عن الوالدين لتذكر أفراطهم- الفرط هو من سبق إلى الجنة أو إلى الموت- الماضين الذين كانوا لهم قرة عين وغير ذلك. اهـ.

والأخبار من السنة تصدق ذلك: فعن أبـي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدِّثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، «صغارهم دعاميص الجنة (صغار أهل الجنة) يتلقَّى أحدهم أباه، أو قال: أبويه، فيأخذ بثوبه، أو قال: بيده، كما آخذ أنا بصَنِفَة (طرف) ثوبك هذا، فلا يتناهى، أو قال: فلا ينتهي (فلا يتركه) حتى يُدخله الله وإيَّاه الجنة»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلمَيْن يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث[٢] إلا أدخلهما الله وإياهم بفضل رحمته الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة. فيقولون: حتى يجيء أبوانا. قال: ثلاث مرات فيقولون مثل ذلك، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم»[٣].

بل يخبر ﷺ بتلقيهم لأهلهم على أبواب الجنة يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»[٤].

قال العلماء: «الإخبار بمن بلغ الحنث أي سن التكليف الذي يكتب فيه الإثم، لأن حب الصغير أشد والشفقة عليه أعظم، وهو يلائمه بلا شك قوله ﷺ في رواية: «بفضل رحمته إياهم»، إذن الرحمة للصغير أكثر».

البشرى بالجنة للصغار:

وقال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة...» إلى أن قال: «انطلق، فانطلقت فإذا روضة خضراء، وإذا فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخ في

---

(١) رواه مسلم في البِرّ والصلة.

(٢) الحنث: سن البلوغ.

(٣) صحيح: رواه البخاري في الجنائز.

(٤) حسنه الألباني (٥٧٧٢) عن عتبة عن عبد وعزاه لأحمد في المسند.

أصلها حوله صبيان...» إلى أن قال: «إنكما طوفتماني منذ الليلة، فأخبراني عما رأيت». قالا: نعم... قالا: «وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم عليه السلام، وأما الصبيان الذين رأيت فأولاد الناس»[١].

ويؤكد ﷺ على هذا المعنى: كون الصغار من المسلمين في كفالة إبراهيم وسارة عليهما السلام في حديث آخر عن أبي هريرة وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة»[٢].

لذلك كان من الدعاء في صلاة الجنازة على الطفل أن يقال: «... وألحقه بصالح المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم، وقِهِ برحمتك عذاب الجحيم...».

أما أطفال المشركين:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة»[٣]. قال النووي في شرح صحيح مسلم: «وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب: الأكثرون قالوا: هم في النار تبعًا لآبائهم. وتوقفت طائفة فيهم، والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون: أنهم من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال: «وأولاد المشركين». رواه البخاري في صحيحه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (الإسراء: ١٥). ولا على المولود التكليف حتى يبلغ، وهذا متفق عليه والله أعلم» .اهـ

هذا، وقد نهى النبي ﷺ عن قتل الصبيان الأعداء في الحروب، فعن عبد الله رضي الله عنه أن امرأة وُجِدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة، فأنكر ﷺ قتل النساء والصبيان[٤].

فلا عويل ولا لطم خدود، أو خرق أو شق جيوب، بل صبر على ما كان من

---

(١) رواه البخاري في التعبير.

(٢) صحيح الإسناد: أحمد والحاكم وانظر صحيح الجامع (١٠٢٣).

(٣) صحيح: الطبراني في الأوسط عن أنس، وانظر صحيح الجامع (١٠٢٤).

(٤) شرح النووي على مسلم (١/٩).

قدر الله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥- ١٥٧). وكان عمر يقول عند تلاوة هذه الآية: «نعم العدلان- أي: الصلاة والرحمة- ونعمت العلاوة- أي: الهداية». فقل كما علمنا ﷺ: «اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها»[1].

وكم من صغير عاش كان سببًا في فساد الحياة والبلاد والعباد، وتنغيص المعايش، وارجع في ذلك إلى قصة موسى والخضر وقتل الصبي وتفسير ذلك، فالله تعالى لا يقضي للعبد قضاءً إلا بما فيه الخير له ولمن حوله.



---

(١) مسلم (٩١٨) في الجنائز.

حكايات للصغار حتى سن ٣ سنوات

طفولة النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

في شبه الجزيرة العربية، وفي مكة المكرمة حيث تعيش قريش حول الكعبة ولد محمد ﷺ من أسرة كريمة المعدن، نبيلة النسب، جمعت ما في العرب من فضائل، قال رسول الله ﷺ عن نفسه: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[١].

وعاش محمد ﷺ طفولته يتيمًا، لا يشارك الأطفال الذين هم في مثل سنه لهوهم ولعبهم، بل حفظه الله عز وجل ورعاه، وكان ﷺ منذ طفولته يتمتع بنقاء الفطرة، ومكارم العادات، ومحاسن الأخلاق، فكان في طفولته نعم القدوة لكل الأطفال ﷺ.

☆☆☆

العرب قبل الإسلام

كان العرب في شبه الجزيرة العربية قبل بعثة الرسول ﷺ يعبدون الأصنام من دون الله، ويقدمون لها القرابين، ويسجدون لها، ويتوسلون بها، وهي أحجار لا تضر ولا تنفع، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا.

وكان الناس يطوفون عرايا حول الكعبة، وقد تجردوا من ملابسهم بلا حياء، يصفقون ويصفرون ويصيحون بلا نظام، وقد وصف الله عز جل صلاتهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٥).

وكانت الحروب تقوم بينهم لأتفه الأسباب، وتستمر مشتعلة أعوامًا طويلة، فهذان

---

(١) مسلم.

رجلان يقتتلان، فيجتمع الناس حولهما، وتناصر كل قبيلة صاحبها، وتقوم الحرب في لمح البصر، ولا تنتهي حتى يموت الرجال، وانتشرت بينهم العادات السيئة مثل: شرب الخمر، وقطع الطرق، والزنا، وكانت بعض القبائل تهين المرأة، وينظرون إليها باحتقار، فهي في اعتقادهم عارَ كبير، عليهم أن يتخلصوا منها، فكان الرجل منهم إذا ولدت له أنثى حزن حزنًا شديدًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨، ٥٩).

وقد يصل به الأمر إلى أن يدفنها وهي حية، وهي العادة التي عرفت عندهم بوأد البنات، وكان الظلم ينتشر في المجتمع، فالقوي لا يرحم الضعيف، والغني لا يعطف على الفقير بل يُسخره لخدمته، وإن أقرضه مالاً فإنه يقرضه بالربا، فإذا اقترض الفقير دينارًا يرده دينارين، فيزداد فقرًا ويزداد الغني ثراءً، وكانت القبائل متفرقة، لكل قبيلة رئيس، وهم لا يخضعون لقانون منظم.

★★★

صفات حميدة

ومع كل هذا الجهل والظلام في ذلك العصر المسمى بالعصر الجاهلي، كانت هناك بعض الصفات الطيبة والنبيلة، كإكرام الضيف، فإذا جاء ضيف على أحدهم بذل له كل ما عنده، ولم يبخل عليه بشيء، فها هو ذا حاتم الطائي لم يجد ما يطعم به ضيوفه، فذبح فرسه- وقد كانوا يأكلون لحم الخيل- وأطعمهم قبل أن يأكل هو، وكانوا ينصرون المستغيث فإذا نادى إنسان وقال: إني مظلوم، اجتمعوا حوله وردوا إليه حقه.

وقد حدث ذات مرة أن جاء رجل يستغيث، وينادي بأعلى صوته في زعماء قريش أن ينصروه على العاص بن وائل الذي اشترى منه بضاعة ورفض أن يعطيه ثمنها، فتجمع زعماء قريش في دار عبد الله بن جدعان، وتحالفوا على أن ينصروا المظلوم ويأخذوا حقه من الظالم، وسموا ذلك الاتفاق حلف الفضول، وذهبوا إلى العاص بن وائل، وأخذوا منه ثمن البضاعة، وأعطوه لصاحبه.

نسب النبي ﷺ

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي يصل نسبه إلى إسماعيل ابن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

★★★

حكاية الثريد

كان عمرو بن عبد مناف الجد الأكبر للرسول ﷺ رجلاً كريمًا، فقد حدث في عصره أن نزل القحط بالناس، فلم يجدوا ما يأكلون، وكادوا يموتون جوعًا، وبدأ كل إنسان يفكر في نجاة نفسه فقط، فالذي عنده طعام يحرص عليه ويحجبه عن الناس، فذهب عمرو إلى بيته وأخرج ما عنده من الطعام، وأخذ يهشم **الثريد** (أي: يكسر الخبز في المرق) لقومه ويطعمهم، فسموه (هاشمًا) لأنه كريم يهشم ثريده للناس جميعًا.

وعندما ضاق الرزق في مكة أراد هاشم أن يخفف عن أهلها، فسافر إلى الشام صيفًا، وإلى اليمن شتاءً، من أجل التجارة، فكان أول من عليم الناس هاتين الرحلتين، وفي إحدى الرحلات، وبينما هاشم في طريقه للشام مر بيثرب، فتزوج سلمى بنت عمرو إحدى نساء بني النجار، وتركها وهي حامل بابنه عبد المطلب لتلد بين أهلها الذين اشترطوا عليه ذلك عند زواجه منها.

★★★

حكاية الكنز

كان عبد المطلب جد الرسول الكريم ﷺ يسقي الحجيج الذين يأتون للطواف حول الكعبة، ويقوم على رعاية بيت الله الحرام، فالتف الناس حوله، فكان زعيمهم وأشرفهم.

وكان عبد المطلب يتمنى لو عرف مكان بئر زمزم ليحفرها، لأنها كانت قد ردمت بمرور السنين، ولم يعد أحد يعرف مكانها، فرأى في منامه ذات ليلة مكان بئر زمزم، فأخبر قومه بذلك ولكنهم لم يصدقوه، فبدأ عبد المطلب في حفر البئر هو وابنه الحارث، والناس يسخرون منهما، وبينما هما يحفران تفجر الماء من تحت أقدامهما، والتف الناس حول البئر مسرورين، وظن عبد المطلب أنهم سيشكرونه، لكنه فوجئ بهم ينازعونه امتلاك البئر، فشعر بالظلم والضعف لأنه ليس له أبناء إلا الحارث، فإذا به يرفع يديه إلى السماء، ويدعو الله أن يرزقه عشرة أبناء من الذكور، ونذر أن يذبح أحدهم تقربًا لله.

☆☆☆

الأبناء العشرة

استجاب الله دعوة عبد المطلب، فرزقه عشرة أولاد، وشعر عبد المطلب بالفرحة، فقد تحقق رجاؤه، ورزق بأولاد سيكونون له سندًا وعونًا، لكن فرحته لم تستمر طويلاً، فقد تذكر النذر الذي قطعه على نفسه، فعليه أن يذبح واحدًا من أولاده.

فكر عبد المطلب طويلاً، ثم ترك الاختيار لله تعالى، فأجرى قرعة بين أولاده، فخرجت القرعة على عبد الله أصغر أولاده وأحبهم إلى قلبه، فأصبح عبد المطلب في حيرة: أيذبح ولده الحبيب أم يعصي الله ولا يفي بنذره؟ فاستشار قومه، فأشاروا عليه بأن يعيد القرعة، فأعادها مرارًا، لكن القدر كان يختار عبد الله في كل مرة، فازداد قلق عبد المطلب.

فأشارت عليه كاهنة بأن يفتدي ولده بالإبل، فيجري قرعة بين عبد الله وعشرة من الإبل، ويظل يضاعف عددها حتى تستقر القرعة على الإبل بدلاً من ولده، فعمل عبد المطلب بنصيحة الكاهنة، واستمر في مضاعفة عدد الإبل حتى بلغت مائة بعير، وعندئذ وقعت القرعة عليها، فذبحها فداء لعبد الله، وفرحت مكة كلها بنجاة عبد الله.

☆☆☆

زواج عبد الله

كان عبد الله أكرم شباب قريش أخلاقًا، وأجملهم منظرًا، وأراد عبد المطلب أن يزوجه، فاختار له زوجة صالحة، هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أطهر نساء بني زهرة، وسيدة نسائهم، وتمر الأيام ويخرج عبد الله في تجارة إلى الشام، بعد أن ترك زوجته آمنة حاملاً، ولحكمة يعلمها الله مات عبد الله قبل أن يرى وليده.

☆☆☆

حكاية الفيل

وذات يوم استيقظ أهل مكة على خبر أصابهم بالفزع والرعب، فقد جاء ملك اليمن أبرهة الأشرم الحبشي بجيش كبير، يتقدمه فيل ضخم، يريد هدم الكعبة، حتى يتحول الحجيج إلى كنيسته التي بناها في اليمن، وأنفق عليها أموالاً كثيرة.

واقترب الجيش من بيت الله الحرام، وظهر الخوف والهلع على وجوه أهل مكة، والتف الناس حول عبد المطلب الذي قال لأبرهة بلسان الواثق من نصر الله تعالى: «للبيت رب يحميه». فازداد أبرهة عنادًا، وأصر على هدم الكعبة، فوجه الفيل الضخم نحوها، فلما اقترب منها أدار الفيل ظهره ولم يتحرك، وأرسل الله طيورًا من السماء تحمل حجارة صغيرة، لكنها شديدة صلبة، ألقت بها فوق رءوس جنود أبرهة فقتلتهم وأهلكتهم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (سورة: الفيل).

في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من هذا العام ولد الرسول ﷺ، حيث ولدت السيدة آمنة بنت وهب زوجة عبد الله بن عبد المطلب غلامًا جميلاً مشرق الوجه، وخرجت ثويبة الأسلمية خادمة أبي لهب عم النبي ﷺ تهرول إلى سيدها أبي لهب ووجهها ينطق بالسعادة، وما كادت تصل إليه حتى همست له

بالبشـرى، فتهلل وجهـه، وقال لها من فـرط سـروره: اذهبي فـأنت حـرة! وأسرع عبد المطلب إلى بيت ابنه عـبد الله ثم خرج حاملاً الوليد الجـديد، ودخل به الكعبة مسرورًا، يشكر الله ويدعوه، وألهمه الله أن يطلق على حفيده اسم محمد.

☆☆☆

حكاية المرضعة

جاءت المرضـعات من قـبيلة بني سـعد إلى مكة، لـيأخذن الأطفـال الرُّضَّع إلى البادية، وكانت كل مرضـعة تبحث عن رضيع من أسرة غنية ووالده حـي، ليعطيها مالاً كثيـرًا، لذلك رفضت كل المرضعات أن يأخذن محـمدًا ﷺ لأنه يتيم، وأخذته السيدة حليمة السـعدية لأنها لم تجد رضيعًا غيره، وعاش مـحمد ﷺ في قبيلة بني سعد، فكان خـيرًا وبركة على حليمـة وأهلها، حيث اخضرَّت أرضـهم بعد الجدب والجفاف، وجرى اللبن في ضروع الإبل.

☆☆☆

حكاية شق الصدر

وفي بادية بني سعد وقعت حادثة غريبـة، فقد خرج محمد ﷺ ذات يوم ليلعب مع أخيه مـن الرضاعة ابن حليمـة السعدية، وفي أثناء لعبـهما ظهر رجـلان فجأة، واتجها نحو محمد ﷺ، فأمسكاه وأضجعاه على الأرض ثم شقا صدره، وكان أخوه من الرضاعة يشـاهد عن قرب ما يحدث له، فأسرع نحـو أمه وهو يصرخ، ويحكي لها ما حدث.

فأسرعت حليمة السعدية وهي مذعـورة إلى حيث يوجد الغلام القرشي فهو أمانة عندها، وتخشى عليه أن يصاب بسوء، لكنها على عكس ما تصورت، وجدته واقفًا وحده، قد تأثر بما حـدث، فاصفر لونه، فضمته في حنان إلى صدرها، وعادت به إلى البيت، فسألته حليمة: ماذا حدث لك يا مـحمد؟ فأخذ يقص عليها ما حدث، لقد كان هذان الرجلان ملكين من السماء أرسلهما الله تعالى ليطهـرا قلبه ويغسلاه، حتى يتهيأ للرسالة العظيمة التي سيكلفه الله بها.

خافت حليمة على محمد، فحملته إلى أمه في مكة، وأخبرتها بما حدث لابنها، فقالت لها السيدة آمنة في ثقة: أتخوفتِ عليه الشيطان؟ فأجابتها حليمة: نعم. فقالت السيدة آمنة: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لابني لشأنًا، لقد رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي به قصور الشام، وكان حمله يسيرًا. فرجعت به حليمة إلى قومها، حتى بلغ عمره خمس سنوات، ثم عاد إلى أمه في مكة.

☆☆☆

محمد ﷺ في يثرب

وذات يوم خرجت السيدة آمنة ومعها طفلها محمد وخادمتها أم أيمن من مكة متوجهة إلى يثرب لزيارة قبر زوجها عبد الله، وكان الجو شديد الحر، وأثناء عودتهما مرضت وماتت وهي في الطريق، في مكان يسمى الأبواء، فدفنت فيه، وعادت أم أيمن إلى مكة بالطفل محمد يتيمًا وحيدًا، فعاش مع جده عبد المطلب، وكان عمر محمد آنذاك ست سنوات.

☆☆☆

محمد ﷺ مع جده

بعد وفاة السيدة آمنة عاش محمد ﷺ في ظل كفالة جده عبد المطلب الذي امتلأ قلبه بحب محمد، فكان يؤثر أن يصحبه في مجالسه العامة، ويجلسه على فراشه بجوار الكعبة، ولكن عبد المطلب فارق الحياة ومحمد في الثامنة من عمره.

☆☆☆

محمد ﷺ مع عمه

وتكفَّل به بعد وفاة جده عمه أبو طالب، فقام بتربيته ورعايته هو وزوجته فاطمة بنت أسد، وأخذه مع أبنائه، رغم أنه لم يكن أكثر أعمام النبي ﷺ مالاً، لكنه كان أكثرهم نبلاً وشرفًا، فزاد عطفه على محمد ﷺ حتى إنه كان لا يجلس في مجلس إلا وهو معه، ويناديه بابنه من شدة حبه له.

رحلة الشام

خرج محمد ﷺ مع عمه أبي طالب في رحلة إلى الشام مع القوافل التجارية وعمره اثنا عشر عامًا، وتحركت القافلة، ومضت في طريقها، حتى وصلت إلى بلدة اسمها «بصرى» وأثناء سيرها مرت بكوخ يسكنه راهب اسمه «بُحَيرَى»، فلما رأى القافلة خرج إليها، ودقق النظر في وجه محمد ﷺ طويلاً، ثم قال لأبي طالب: ما قرابة هذا الغلام منك؟ فقال أبو طالب: هو ابني. قال بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون هذا الغلام أبوه حيًّا. قال أبو طالب: هو ابن أخي. فسأله بحيرى: فما فعل أبوه؟ قال أبو طالب: مات وأمه حبلى به. فقال له بحيرى: صدقت، فارجع به إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه هنا ليوقعن به شرًّا، فإنه سيكون لابن أخيك هذا شأن عظيم. فأسرع أبو طالب بالعودة إلى مكة في صحبته ابن أخيه محمد.

☆☆☆

أناشيد تنشد للصغار
حتى سن ثلاث سنوات

هذه الدنيا الجميلة ★ بين قفر وخميلة
وسماوات ظليلة ★ كلها من صنع ربي

★★★

النجوم الزاهرات ★ والبدور النيرات
والضحى والظلمات ★ كلها من صنع ربي

★★★

جمَّل الكون ببحر ★ وبوادٍ تحت نهر
وبأشجار وزهر ★ كلها من صنع ربي

★★★

وحَبَاهُ بجبالِ ★ كاسيات بالجلال
مشرقات بالجمال ★ كلها من صنع ربي

★★★

قال للإنسان قلِّب ★ طبق الأرض ونقِّب
تعطيك الحب فتحصد ★ كلها ذا من فضل ربي

★★★

يا خالق الإنسان

يا خالق الإنسان ★ يا مبدع الأكوان
بالجود والإحسان ★ يا رب أكرمنا

الله.. الله.. الله

يحـــيـــا بـك القلبُ ★ يســـمـــو بـك الحبُّ
لـــولاك يـــا رب ★ لـــولاك مـــا كـنـا

الله . . الله . . الله

أنـت الـذي يهـــدي ★ يـا رب لـلـرشـــد
إنـا عـلى العـــهـــد ★ يـا رب فـــاقـــبـلـنـا

الله . . الله . . الله

رحـــمـــاك يا رحـــمـن ★ يـا مُـنْـزل الـقـــرآن
بـــالأمـــن والإيـــمـــان ★ بـالـرشـــد ألْـهِـمـنـا

الله . . الله . . الله

★★★

إن سألتم

إن ســـألـتم عـن إلـهي ★ فـــهـــو رحـــمـن رحـــيم
إن ســـألـتم عن نـبـــيي ★ فـــهـــو إنســـان كـــريم
إن ســـألـتم عـن كـتـــابي ★ فـــهـــو قـــرآن كـــريم
إن ســـألـتم عـن عـــدوي ★ فـــهـــو شـــيـطان رجـــيم

★★★

قواعد، وتحذيرات، ووصايا

قبل أن نُـربي الصغـار بعد ثلاث سنوات تعـالوا نعرف الأخطار التي تحـيط بنا: (اعرف الشر لتتوقاه).

- قواعد هامة.
- التعليم والتأديب.
- عدم إهانة أحد الوالدين أمام الصغار.
- طلاق الزوجين.
- وثن العصر: التلفاز وأجهزة الإعلام.
- نصائح للتخلص من خطر التلفاز.
- الأطفال وهوس كرة القدم.
- الصغار والمدرسة، ودور التعليم.
- حلم واقتراح- الجو الذي يجب أن يسود المدرسة.
- تدليل الصغار كارثة.
- لقمان عليه السلام يربي ولده.

☆☆☆

قواعد هامة يجب مراعاتها في التعامل مع الصغار

يخرج الإنسان من بطن أمـه جاهلاً بما حوله كمـا قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

فدلت الآية على أمرين:

الأول: جهل الإنسان واحتياجه إلى التعليم.

الثاني: اكتسابه التعليم بواسطة الحواس التي خلقها الله تعالى له كالسمع والبصر.

ومرحلة الطفولة هي أخطر المراحل على الإطلاق إذ هي المرحلة التي سنصنع فيها البذور الأساسية للتربية، والتي بدورها ستظل ملازمة للطفل حتى شيبه وهرمه.

فالصغير بعد الثالثة أو الرابعة يبدأ في النمو:

- النمو البدني، والعقلي، والنمو العاطفي والقلبي.
- والنمو في العلاقات الاجتماعية مع الآخرين.
- كما سيتحول إلى إنسان ناطق بعد اعتماده في السِّني الثلاثة الأولى على الإشارة ومحاولات النطق الأولى.
- كما أن الصغير هنا ستنمو جميع ملكاته، ومن هنا يسيطر عليه التقليد لإشباع هذه الملكات والرغبات فينظر إلى ما يفعله الكبار لا يريد إلا محاكاتهم وتقليدهم، لأن القاعدة عند الصغير كما سبق أن كل ما يقوم به الكبار صحيح وإلاَّ لماذا يفعلونه؟

هذا بالتحديد ما يدور في ذهنه، ولأن الصغير كالوعاء الخاوي فإنه يريد الامتلاء، ونحن بين خيارين: الأول: ملؤه بما ينفعه. والثاني: ملؤه بما يضره. وبين الاختيارين نرى من خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا.

والطفل خارج نطاق التكليف والمسئولية، فالمسئولية تقع على الراعي الرئيسي والأساسي وهو ولي الصغير ومربيه، إن كان هو أبوه أو من يليه في حضانة الصغير، وتشتد خطورة الأمر حين نعلم أن (التعليم في الصغر كالنقش على الحجر).

هذه واحدة؛ والأخطر منها أننا نواجه حربًا شرسة لبس الشيطان فيها زي الواعظين، فمما هو جدير بالذكر أن أعداء الإسلام أرادوا تخريب القلوب والعقول، فلجأوا إلى ما يصعب اقتلاعه من الصغار بعد أن يكبروا، وبذلك يسهل عليهم فعل ما يريدون.

فالصغير إن شبَّ على مبادئ الغرب وأولها: أن يكون بلا عقيدة، أو صاحب عقيدة مشوهة كان لعبة في يد أعدائه يشكلونها كيف شاءوا، وينالون منه في أقصر وقت ممكن.

من أجل هذا لجأ الغرب إلى (وثن الأطفال) وهو الكارتون هذه النسخة المستحدثة من كتاب (كليلة ودمنة) حيث تتكلم الحيوانات وتفكر، وينتصر الفأر على القط، كما ينتصر الحيوان الناطق على الإنسان، بينما صور الصلبان معلقة على الحوائط منتشرة في كل مكان، ولا تكاد تسمع أحد أبطال الشخصيات الكارتونية يدعو الله أو يبتهل إليه لينصره على عدوه، بل يشير إلى عقله ليدبر مؤامرة جديدة في إشارة إلى أن العقل هو السيد وهو الإله، وهذا مفهوم الغرب عن العقل بعيدًا عن الدين وقضايا الألوهية.

أضف إلى ذلك أن كثيرًا من هذه الأفلام تجسد للصغار في هذه السن المبكرة فكرة الثنائية في الوجود، وهي فكرة (الثنوية) أو (المانوية) أو (المجوسية) وهي فكرة الزندقة التي تقول بإلهين، أحدهما للظلمة، والآخر للنور، أحدهما للشر، والآخر للخير وهكذا.

ولطالما حاول أعداء الإسلام نشر هذه الفكرة قديمًا عن طريق إخوان الصفا وغيرهم من الموتورين على الإسلام وأهله الذين عبثوا بالعقول فأفسدوا الكثير منها.

وكثيرًا ما ترى إله الخير، وإله الشر، أو قوة الخير وقوة الشر، يقودهما مخلوق بشري، أو مخلوق من تصميم غريب كل مواصفاته: البعد عن الألوهية تمامًا.

كما أن قصص الكارتون تقوم على السرعة واستخدام الألوان التي تجذب الأنظار مما يُصعب مهمة الكبار في منع الصغار من مشاهدتها.

وأقل ضرر هذه الأفلام أنها تربط الصغير بها حتى أنه لا يفارق رؤياها، ولا يبارح مكانه أمام التلفاز، فيصاب بداء الارتباط بهذه (العبثية) التي تمسخ الفطرة وتشوهها، ناهيك عن ضعف البصر الذي يلازم أكثر الصغار لجلوسهم المتواصل أمام التلفاز لساعات عديدة.

ولن أسهب في هذه المسألة إذ سأتوقف مع (التليفزيون) بوجه عامٍ خلال فصل قادم إن شاء الله لتبيان خطورة ما يعرض فيه.

ولا حل أمام هذه الكوارث التي تكاد تقلب مجتمعاتنا رأسًا على عقب- أو قد فعلت- إلاَّ التمسك بالدين، وغرس مبادئه: عقيدة وشريعة داخل القلوب.

وهنا لا أراني إلا قائلاً: إن المسئولية تقع على الأبوين في الاختيار منذ البداية!! فلن يخرج الصالح إلا صالحًا مثله، فإن كان المنبت سوءًا كذا كان الغرس، وكذا كان الثمر.

إننا نريد آباءً وأمهات قد وعوا ما يدور حولهم من مستجدات ليحموا الصغار منها، وليكون هدفهم الأساسي: إخراج نفس مؤمنة موحدة تُهدى إلى المجتمع المسلم ومن ثمَّ إلى الجنة.

من أجل هذا سنعرض هذه البنود التي يجب مراعاتها مع الصغار أثناء التعامل معهم خلال هذه الفترة السنية الممتدة من بعد سن السنوات الثلاث إلى سن عشر سنوات.

(١) تعليم الإيمان قبل القرآن: وسأتوقف معها إن شاء الله بعد قليل.

(٢) توحيد المعاملة: فيجب أن تتوحد معاملة الأبوين للصغير حتى لا يكره أحد والديه ويفضله على الآخر، فلا يتشدد الأب تمامًا، ثم تحنو الأم بجهل على صغيرها، فيتربى في نفسه كراهية أبيه ولو كان أبوه على الصواب، فيرتمي في أحضان أمه تمامًا، وإنما يجب توحيد المعاملة.

والمثال: مرض الصغير، فوصف الطبيب له شرابًا مُر الطعم، فأمر الأب صغيره بشربه لكنه امتنع، فلا تتدخل الأم وتقول: لا تسقه، وتتحول إلى جاهلة بمنع صغيرها عن الدواء الذي سيكون سببًا في الشفاء، ومهما غضب الأب وظهرت آثار الغضب على وجهه ساندته الأم برفق، فتقول: اشرب يا حبيبي، فوالدك يريد لك الشفاء السريع بإذن الله. وهنا يجد الصغير أنه لا مفر من الدواء وتعاطيه فيشربه بعد أن رأى توحد الكلمة. فإذا ما حدث العكس فإن الصغير سيرتمي في أحضان من يوافقه على رأيه الخاطئ مع كراهية الآخر.

وقد يحدث أن يمنع الأب ولده بعض الأشياء كعقاب له، فعلى الأم ألاَّ تعطيه من وراء ظهر أبيه ودون علمه. وقد يفعل الصغير شيئًا خاطئًا فتخفيه الأم على الأب، وهنا تكون الكارثة، فيصبح دأب الصغير ارتكاب الأخطاء تحت مظلة إخفاء أمه للحقيقة على أبيه، ويتعلم الكذب واللؤم والخبث، وربما حلف كذبًا، وأمه السبب!!

وأكثر ما يجب وصوله إلى ذهن الصغير: أننا نريدك رجلاً مهما فعلنا معك، وعلى هذا اتفقنا.

(٣) الرفق واللين بعيداً عن التدليل: فالرفق واللين شيء، والتدليل شيء آخر، إذ التدليل من أكبر المفسدات التي تطيح برجولة الذكور، وتمنح الأنثى خُلقًا سيئًا، والمدللون لا يصلحون لقيادة دراجة، فكيف يبنون المجتمعات، ويجاهدون في سبيل رفعة هذا الدين؟!

إنما الرفق واللين مع الصغار بعدم التعجل في ضربهم، بالابتسامة الرقيقة، بالمداعبة، بالحديث الطيب، بالملاطفة والإحسان، برحمته، لكن أن يفعل الخطأ ثم يُسكت عليه، ولا يُوبَّخ أو يُلفت انتباهه إلى الخطأ؛ بل والضحك والفرح به، هذه هي المصيبة المعروفة باسم (التدليل)، وقد سبق الحديث عن الرحمة واللين مع الصغار في مواجهة قسوة بعض الآباء والأمهات.

إن أسوأ ما يحدث للطفل المدلل هو: تكوين شخصية ضعيفة لديه، فلا يستطيع الاعتماد على نفسه، ويحتاج دائمًا إلى من يسانده ويساعده، فيسهل على عدوه النيل منه، ولا يقدم هو الجديد لنفسه أو لغيره فالتدليل ضرر واسع المدى لا يفارق الإنسان مدى حياته.

(٤) التدرج في معالجة أخطاء الصغار: بإبداء النصح أولاً، ثم عتاب ولوم، ثم هجرٌ، ثم تهديد ووعيد، ثم ضرب، والضرب لا يكون إلا عند سن العاشرة، وحذار من الضرب قبل هذا السن، مصداقًا لقوله عليه السلام- وسيأتي مفصلاً-: «واضربوهم لعشر»، ولا مانع من التهديد بالعصا، وضربها في الهواء، وتعليق العصا في مكان ظاهر ليخشى الصغير نزولها عليه، فإذا ما وقعت الواقعة وصمم على الخطأ كان الضرب في سن العاشرة جزاءً له مع الابتعاد عن الوجه والبشرة.

(٥) المكافأة عند العمل الصالح: مع استخدام أسلوب التشجيع، والمكافأة لها أشكال كثيرة:

- هدية مادية.
- ابتسامة وقُبلة.
- نزهة.
- مجرد كلمة.

ولكن لا تتعـود على الهدية المادية، فـاليوم عندك المال وغدًا ليس عندك، فـماذا تفعل؟

يقول الغزالي في الإحـياء: «مهما ظهـر من الصبي خُلقٌ جميل، وفعل مـحمود فينبغي أن يُكْرم عليه، ويُجازى عليه بما يَفْرح به ويُمدح بين أَظْهُر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتـغافل عنه ولا يكاشفه، ولاسيما إذا ستره الصبي، واجتـهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفـيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة» (١).

لكن ماذا إذا أخطأ الصغير؟

كما يبدو لنا من كلام الغزالي رحمه الله أنه لابد من الابتعاد عن تأديبه أمام الناس حتى لا يتـجرأ بعد ذلك على الخطأ بعد أن كُـشف أول مرة، ولكن يوبخ ويلام، أو يعاقب بعيدًا عن الناس.

والخطأ الذي درج عليـه الكثيـر أنهم يقـولون: «ربنا هيدخّلك النار»، وكـأن الله تعالى لم يخلق إلاَّ النار!! فيقر في نفس الصـغير هذا الذي ذكرته، ويبدأ في النفور من الدين، لا تفعل إذن، ولكن قـل له: الله يرانا ويحبنا إذا فعلنا العـمل الصالح، ولن يحبنا إذا ارتكبنا العمل غير الصالح.

وإذا كان الخطأ أمام الناس- يعني في محل مثلاً- فلا تقل له: سأمشي وأتركك، ولكن قل: سنمشي جميعًا، فيستحيي الصغير ويعتذر فورًا.

وتأكد من أنه: سيبـقى تشجيعك له حافزًا على ممارسة العمل الصـالح، وسيبقى توبيخك له على العـمل غير الصالح سـببًا في ابتعـاده عنه لكن مع توخي الحذر في الحالتين، وسلوك الطريق الصحيح.

(٦) غرس مبادئ احترام الآخرين فيه: فلا ضرب للأم، ولا بصق على الأب، ولا سبّ للجدة، بل احترام كامل.

(٧) استخدام أسلوب الحكايات: والحكايات- كـما سنعرض لهـا- لابد أن تكون

---

(١) الإحياء (٣/ ٧٠).

مفيدة مستلهمة من الكتاب والسنة، لا مجرد حكايات فقط، مع ملاحظة أن الصغار يحبون السماع من سن الرابعة، وبعد ذلك قابلني إن سمع لك، فلا تضيع الفرصة وانتهزها لتغرس في صغيرك ما تريده من محاسن الأخلاق.

(٨) **ملاعبة الصغار**: بالألعاب النافعة، كالسباحة، والرمي، والجري وغيرها.

(٩) **تخليصه من العادات السيئة**: فالصغير لا يدري معنى الاحترام ولا يفرق بين العادات الحسنة والسيئة، فلا حرج عنده من البصاق أو الضراط أو التمخط، أو الشره في الطعام، وعدم التأدب بالآداب العامة في كل المجالات، ومن هنا يجب المسارعة بتعليمه هذه الآداب.

وبالجملة يعود الاحترام لنفسه وللآخرين، يقول الغزالي رحمه الله[1] : «وأول ما يغلب على الصبي من الصفات: شره الطعام، فينبغي أن يؤدب فيه مثل: ألاَّ يأخذ الطعام إلاَّ بيمينه، وأن يقول عليه: بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره... وينبغي أن يمنع عن النوم نهارًا فإنه يورث الكسل، ولا يمنع منه ليلاً، ويُعوَّد الخشونة في الفرش والملبس والمطعم... ويعود التواضع والإكرام لكل من عاشره، والتلطف في الكلام معهم، ويُعوَّد ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط، ولا يتثاءب بحضرة غيره، ويمنع كثرة الكلام لأن ذلك يدل على الوقاحة، ويمنع من اليمين صادقًا كان أو كاذبًا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر» اهـ.

وعلى هذا يعود الصغير هذه الأمور:

- الاستئذان لقضاء الحاجة.

- أو الاستئذان لفعل ما يستقبحه القوم في مجالسهم كالتمخط وغيره، مع إعطائه منديلاً ليتعود النظافة.

- تعليمه آداب النوم، والطعام، وتلاوة القرآن وغيرها. وسيأتي هذا كله.

- تقبيل يد الجد والجدة، والوالد والوالدة.

- مناداة أبيه وأمه بـ (أبي وأمي) لا باسمهما مجردًا.

---

(١) الإحياء (٣/ ٧٠).

(١٠) اعلم أنهم يريدون معرفة كل شيء: وذلك لأن الصغار قد يسألون أسئلة محرجة- سنفرد لها بابًا خاصًا إن شاء الله تعالى-، فقد يسأل أمه الحامل: كيف دخل الصغير إلى بطنك؟! وهنا تعرق الأم، ويصاب الجميع بما يشبه الصدمة العصبية، وهذا لأن السؤال فعلاً محرج، ولكن الإجابة عليه بلطف وتأنٍّ، فنقول: إن الصغير ينمو داخل البطن كما تنمو الحبة تحت الأرض، وهذا خلق الله تعالى، وأنت كنت مثله وأنت صغير، ثم نحول الحديث نحو قدرة الله تعالى، وهذا كافٍ جدًّا إن شاء الله.

(١١) تعويد الصغير على اتخاذ القرارات من صغره: فنشركه في الاختيارات لنعلم ميوله، ولنعلمه اتخاذ القرار، فمثلاً نصطحبه إلى محل للعب ونسأله عن اختياراته ونحاول أيضًا تحفيزه نحو ما نريد بمدح لعبة معينة. أو أخذ رأيه في ملابسه التي نشتريها له حتى يتعود على تحمل المسئولية منذ الصغر، وإلاَّ احتاج طيلة عمره إلى من يعينه ويساعده.

(١٢) التحدث في أحيان كثيرة بالفصحى ليتعودها: فـ (أبي) بدلاً من (بابا)، و(أمي) بدلاً من (ماما)، والثلاَّجة بدلاً من التلاجة، ومحاولة الاتزان بين العامية والفصحى.

(١٣) عدم ارتكاب الأخطاء أمامه كما نبهنا وإلا كانت المصيبة بالتقليد.

(١٤) غلق الأبواب على ما يخشى عليه غلقًا محكمًا كالأموال وأدوات تجمل المرأة لزوجها.

(٥) الاستتار وعدم التحدث صراحة بالجنس أمامهم: فـ «الجنس في مأمن ما دام في مكمن»، وإلاَّ فالمصيبة كل المصيبة في إطلاق العنان للحرية الجنسية.

(١٦) تعويده على أسماء الأنبياء والصحابة والصالحين من خلال القصص من السيرة النبوية وغيرها.

(١٧) تنمية روح الوحدة بين الإخوة وبعضهم البعض بعدم تفضيل أحدهم على الآخر، وتجميعهم في نزهات ومسابقات.

(١٨) التدخل في شغل أوقات الفراغ باختيارات صائبة للآباء والأمهات .

(١٩) عدم مخالطة سفلة الناس وأوباشهم .

(٢٠) ربط الصغير بدينه لا بدنياه ، وعدم أمره بالكذب على الناس ، وعدم أخذ ما يدخره من مال .

(٢١) تنمية المواهب مبكراً بما لا يتعارض مع الشرع الحنيف .

☆ ☆ ☆

التعليم والتأديب فريضة شرعية وفرصة يجب اغتنامها

يقول ابن الجوزي رحمه الله:

لا تنه عن أدب الصغير ★ وإن شكا ألم التعب

ودع الكبير وشأنه ★ كبر الكبير على الأدب

والأغصان في أول بدوها يسهل معالجتها، فإذا ما قوبت ويبست ضاع ما كان المرء يرجوه من إصلاحها، ومن هنا قال العلماء: التعليم في الصغر غنيمة، إذ الصغير لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا كأنه صفحة بيضاء تحتاج إلى من يملؤها ويكتب على سطورها؛ بل ينقش نقشًا إذ التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، حتى إن بعضهم ليقول: يبدأ التعليم والتأديب من بعد الفطام مباشرة. ويساعد على ذلك الاستعداد الفطري الذي خلقه الله في الصغار فهم على استعداد للتعلم والتأدب، ويجزم علماء النفس أن نسبة ما يتعلمه الصغير في سني عمره الأولى تزيد على تسعين بالمائة (٩٠ ٪) ويسهل التعليم كلما صغر السن لسببين:

الأول: ميل الصغير في هذه الفترة إلى إرضاء والديه.

الثاني: حب سماع عبارات الثناء والإعجاب ممن حوله[١].

ونضيف نحن سببًا ثالثًا وهو: أن الصغير على الفطرة القويمة التي فطره الله عليها، ومن هنا فهو مطواع يريد من يعلمه الحق، وهذه فطرة مركوزة في الطباع ومن هنا كان كلامه ﷺ: **«فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»**[٢].

وكلما كان الأب عاقلاً، صالحًا، دينًا، كلما كانت النتيجة مبشرة للغاية، فإن لم يكن صاحب خبرة في مجال التربية فليقرأ وليسأل، فإن دواء العي وشفاؤه السؤال.

على كل الأحوال: الطفل غنيمة في هذه الفترة ووجب على المسلم استغلالها لصالح دينه وعقيدته.

---

(١) مسئولية الأب المسلم (ص٨١).

(٢) **صحيح**: وسيأتي تخريجه كاملاً.

ومن غرائب ما قرأت ما قاله الأستاذ محمد الصباغ: «سمعت من الأستاذ مالك ابن نبي رحمه الله أن رجلاً جاء يسترشده لتربية ابن له، أو بنت ولدت حديثًا، فسأله: كم عمرها؟ قال: شهر. قال الأستاذ مالك: فاتك القطار!! ثم قال الأستاذ مالك: كنت أظن في بادئ الأمر أني مبالغ، ثم عندما نظرت وجدت أن ما قلته الحق، وذلك أن الولد يبكي فتعطيه أمه الثدي فينطبع في نفسه أن الصُّراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد، ويكبر على هذا، فإذا ضربه اليهود بكى في مجلس الأمن، يظن أن البكاء والصراخ يوصله إلى حقه»(١) .

ورحم الله من قال:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ★ على ما كان عوَّده أبوه

وما دان الفتى حجي ولكن ★ يُعوده التدين أقربوه

ويقول ابن خلدون رحمه الله: «التعليم في الصغر أشد رسوخًا، وهو أصلٌ لما بعده»(٢) .

وكان الشاشي الفقيه الشافعي يقول:

تعلَّم يا فتى والعود رطب ★ وطينك لينٌ والطبع قابلُ

وبعث المنصور- خليفة بني العباس- إلى بني أمية مِمَّن كانوا في حبسه، يقول لهم: «ما أشدُّ ما مرَّ بكم في هذا المحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا»(٣) .

التعليم والتأديب واجبان شرعيان:

إن الطفل أمانة عند والديه كما سبق من قول الغزالي وصيانة الأمانة وحفظها إنما تكون بالتأديب والتعليم الذي حث عليه الشرع الحنيف، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦).

---

(١) نقلاً عن علو الهمة للدكتور/ محمد بن إسماعيل المقدم حفظه الله تعالى.

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص٢٧٤) بتحقيقي.

(٣) علو الهمة (ص٣٦٧).

وهذا هو الأمر بوقاية الإنسـان نفسه وأهله من النار[١] ، ولن تكون ثمة وقاية إلا بالتـعليم والتأديب، فـعلى الرجل أن يصلح نفـسه بـالطاعة، ويصلح أهله إصـلاح الراعي للرعية[٢] ، وفي حديث ابن عمر: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته... والرجل راعٍ على أهل بيته وهوَ مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم»[٣] .

وقال الحسن في تفسير هذه الآية: «يأمـر أهله وينهاهم». وقال العلماء: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بـعض منه، فيعلمه الحلال والحـرام، ويجنبه المعاصي والآثام إلى غير ذلك من الأحكام[٤] .

إن تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله تبعة ثقيلة رهيبة، فالنار هناك وهو متعرض لها هو وأهله، وعليه أن يحـول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التـي تنتظر هناك، إنها نارٌ فظيعة مـستعرة ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الناس فيهـا كالحجارة سـواء في مهانة الحجـارة، وفي رخص الحجارة، وفي قـذف الحجـارة، دون اعتبـار ولا عناية، وما أفظعها نارًا هذه التي توقد بالحجارة، وما أشده عذابًا هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة، وكل ما بها ومـا يلابسها فظيع رهيب... وعلى المؤمن أن يقي نفسه وأن يقي أهله من هذه النار، وعليه أن يحول بينها وبينـهم قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار[٥] .

وفي حـديث معـقل بن يسار رضـي الله عنه قال: إني سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «ما من عبدٍ يَسْترعيه اللهُ رعيةً، يموتُ يوم يموتُ وهو غاشٌ لرعيته، إلاَّ حرَّم اللهُ عليه الجنة»[٦] . وفي رواية: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية فلم يُحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة».

(١، ٢) تفسير القرطبي (١٨/ ١٨٥).

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر قبل السابق (١٨/ ١٨٦).

(٥) في ظلال القرآن (٦/ ٣٦١٨) للأستاذ/ سيد قطب رحمه الله.

(٦) صحيح: البخاري (٧١٥٠)، مسلم (١٤٢) في الإيمان.

وفي الحديث: التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئًا من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم[١].

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم أضاعه»[٢].

هذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى حلقة جلس أصحابها إلى جانب الكعبة، فلما قضى طوافه جلس إليهم وقد رآهم أبعدوا الفتيان عن المجلس فقال: «لا تفعلوا!!وسعوا لهم، وأدنوهم، وألهموهم، فإنهم اليوم صغار قومٍ يوشك أن يكونوا كبار قومٍ آخرين، قد كنا صغار قومٍ أصبحنا كبار آخرين».

يقول ابن مفلح رحمه الله معقبًا على هذه الرواية: «وهذا صحيح لا شك فيه، والعلم في الصغر أثبت، فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة لاسيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم، فلا ينبغي أن يجعل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعًا من مراعاتهم والاعتناء بهم»[٣].

ها هو سفيان بن عُيَيْنة التابعي الجليل يدخل طفلٌ صغير إلى حلقته قد تزيّا بزي العلماء وحمل المحبرة والورق، فما أن رأوه حتى ضحكوا فأراد سفيان أن يعلمهم درسًا ويعلم من وراءهم درسًا غاليًا فقال لأحمد بن النضر راوي القصة: «يا نَضْرُ لو رأيتني وطولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نارٍ، أكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونَعْلي كآذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار- البلاد- كالزُّهْري وعمرو بن دينار، أجلس كالمسمار، محبرتي كالجوزة، مقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت قالوا: أوْسِعوا للشيخ الصغير»[٤].

وهنا نلتقط الخيط محذرين: لا تقتلوا استعداد الصغار وحبهم للتعلم بالسخرية والاستهزاء، بل بالتشجيع والإرشاد إلى الأفضل. فالصغير لن يسمع الحديث قبل أن

---

(١) شرح النووي (١/ ٤٠٧).
(٢) صححه ابن حجر (١٣/ ١١٣) في الفتح وعزاه لابن عدي.
(٣) نقلاً عن علو الهمة (ص٣٦٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٩) للذهبي.

يحفظ القرآن، فإذا رأينا شغفه بالسماع أرشدناه إلى ما يفيده دون قتل موهبته وإبداعه.

إن تربية الولد تربية حسنة دليل الإحساس بالمسئولية، وبرهان حسن تأدية الأمانة، وإذا كان الوالد أول من سيجني ثمار هذه التربية في حياته بالبر والصلة وبعد مماته بالدعاء والاستغفار وغيره. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لتُرفَعُ درجته في الجنة، فيقول :أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»[1] . وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الزمر: ١٥).

ولقد قيل: أول من يتعلق بالرجل: زوجته وأولاده فيوقفونه بين يدي الله فيقولون: يا ربنا خُذ لنا حقنا من هذا الرجل فإنه لم يعلمنا أمور ديننا.

(١) التعليم قبل التأديب:

والطفل في صغره لا يعرف ولا يميز بين الصالح والطالح، والخير والشر، إنما لديه رغبة يحس بها في نفسه تدفعه إلى طاعة من يوجهه ويرشده، فيعيش تحت سلطته وإمارته، فإن لم يجد هذه السلطة الموجهة الضابطة لتصرفاته والموجهة لها، فإنه ينشأ قلقًا حائرًا ضعيف الإرادة والشخصية[2] .

والتعليم لا يقتصر على أمور الدنيا، أو أمور الدين؛ بل يجمعهما سويًا؛ بل ربما وصلت الأمور التي يظن الكبار أن الصغار لا يطيقون رؤيتها- كذبح الشاة مثلاً- وإليك هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري حكى: «أن النبي ﷺ رأى مرة غلامًا لا يحسن سلخ الشاة فقال له: «تنح حتى أريك». فأدخل يده بين الجلد واللحم فدس بها حتى توارت إلى الإبط ثم مضى»[3] . وهكذا لا يمنعه عليه الصلاة والسلام انشغاله بأمور المسلمين الكبرى عن توجيه غلام صغير إلى سلخ شاة، فقد كان بالإمكان أن يقوم غيره من الصحابة بذلك، ولكن لتتم القدوة والأسوة به في هذا المجال قام عليه

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٣٦٦٠) وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) عدنان با صالح (ص٨٣) مسئولية الأب المسلم.

(٣) صحيح: أبو داود (١٨٥) في الطهارة وصححه الألباني هناك ط - الرياض.

الصلاة والسلام بنفسه بتعليم الغلام[1] .

وقد ذكر الخطيب البغدادي أن كثيرًا من علماء السلف كانوا يجمعون الصبيان الصغار فيحدثونهم، ويعلمونهم أمور دينهم، لا يترفعون عن ذلك[2] .

وعلى الولي: الأب أو الأم أن يختار وسائل تعليمية مناسبة لسن صغاره الذين يتعلمون فتتنوع هذه الوسائل بين: القصص، المحاضرات، والمسابقات، والطريقة النشطة القائمة على طرح السؤال وسماع الجواب، أو شرح على السبورة خاصة بالصغار، مع اغتنام الأوقات التي يرى فيها أن للصغير حبًّا للسماع والتعلم، مع كثرة ترديد الآيات والأذكار والألفاظ الشرعية أمامه، والصلاة والصيام وإعلامه بما فيها من أركان وفرائض بما يتماشى مع القول المأثور: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم». فإذا ما فعل الأب فقد فاز ولده، وإذا ما أهمل تعليم ولده فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه.

• عدم تكليف الصغار ما لا يطيقون:

وقد قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) . ودعا النبي ﷺ فقال: «**اللهم مَن وَلِيَ مِنْ أمر أُمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومَن وَلِيَ مِنْ أمر أُمتي شيئًا فَرَفَقَ بهم فارْفُقْ به**»[3] . وقد عُرِض ابن عمر على رسول الله ﷺ للجهاد معه يوم أُحد فردَّه النبي ﷺ، وعُرِض عليه يوم الأحزاب فقبله وأجازه[4] .

وكان ﷺ لا يبايع الصغار كما روى الهرماس بن زيادة قال: «مددت يدي إلى النبي ﷺ وأنا غلام ليبايعني فلم يبايعني»[5] . ومن حديث عبد الله بن هشام، وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب ابنة حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بايعه. فقال النبي ﷺ: «هو صغير»[6] . وذلك أن بيعة رسول الله ﷺ

---

(١) انظر قبل السابق نفسه.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٠٣).

(٣) **صحيح**: مسلم (١٨٢٨) في الإمارة عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) **صحيح**: البخاري (٢٦٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) **حسن**: النسائي (٧/ ١٥٠) في سننه.

(٦) **صحيح**: البخاري (٧٢١٠).

تبعة عظيمة تترتب عليها أشياء لا يطيقها الصغار، وقد سبق مراعاة أحوال الصغار كما في حديث: «إذا أمَّ أحدُكُم الناس فليُخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصلِّ كيف شاء»[1] .

فدائرة تعليم الصغار تكون لما يطيقونه لا ما يفوق قدراتهم وقوتهم حتى لا يأتي ذلك بالوبال على الصغير نفسه. وأول ما نحتاج تعليمه للصغار: الإيمان كما سيأتي، لأن الإنسان بلا إيمان لا امتداد له ولا جذور، خاب وخسر لا يعرف سر وجوده، ولا يعرف لماذا خُلق؟ ولا لماذا يموت؟ مضطرب خائر، حائر بائر، قلق كأنه ريشة تتقاذفها الريح فتنقلها من مكان إلى آخر، والحقيقة التي لا تخفى على أحد: أن أمتنا تعيش مأساة حقيقية انحرف فيها الشباب ذكورًا وإناثًا: زواج عرفي، رقص ومجون، مخدرات، زنا؛ بل قتل في وضح النهار، لماذا؟ لأنهم فقدوا سر الوجود، إكسير الحياة: الإيمان، فقدوه إذ فقدوا العقيدة فعاشوا بلا رقيب وبلا حساب.

ماذا قدمنا لأبنائنا؟ ملبس، شراب، طعام!! هذا ما يقدمه الكافر لولده؛ بل ما يقدمه الحيوان لصغيره، كأنما شعارنا:

إذا تغديت وطابت نفسي ☆ فليس فتى في الحي مثلي!!

إن تعليم الصغار مبادئ الإيمان هو الأولى بدلاً من أن يقوم الأب بالتصفيق لابنته، والأم بإمساك الطبلة لها لترقص، فإذا ما كبرت كان جُلّ أملها: أريد أن أصبح راقصة.

لا شك أننا نريد تحرير القلوب والأرواح من امتلاك الأيدي العابثة، وسيطرة الفاحشة عليها وهذا يتطلب جهدًا جهيدًا، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائمُ.

* **التأديب مع التعليم:**

ولا شك أن أنجح السياسات هي: سياسة العقاب والجزاء، التي تعترف بضرورة وجود العقاب كأسلوب تربوي فعَّال؛ لكن عند الحاجة، وقد سبق أن ألمحنا إلى التدرج في العقاب ضمن قواعد التعامل مع الصغار.

---

(1) صحيح: وقد سبق.

لكن ما نؤكد عليه الآن أن آخر الأسلحة هو الضرب، تسبقه وسائل كثيرة كالتوبيخ، وتقطيب الحاجبين، والمنع من المصروف، والحرمان من النزهات والفسحات، أو الهجر والمقاطعة. فالضرب آخر الدواء حين ندرك أن الوسائل كلها قد فشلت مع الصغير.

لكن ما هي السن التي يباح فيها ضرب الصغير؟

وقد اختلف التربويون في السن الذي يستعمل فيه العقاب البدني مع الطفل، فقد ذهب بعضهم إلى أنه لا يقع إلا بعد العاشرة: استنادًا إلى أن ضرب الطفل على الصلاة- والتي هي أهم من غيرها- لا يكون إلا بعد العاشرة، فغيرها من الأمور لا ينبغي الضرب عليها من باب أولى، إلا بعد هذا السن، والبعض يرى أن الطفل لا يدرك مسألة الصواب والخطأ إلا في الثامنة من عمره، وآخرون يرون أنه يدرك قضية الثواب والعقاب والقيم الخلقية، والشعور بها، وتقبل معاييرها ما بين ٣- ٧ سنوات، والعقاب عادة لا يكون إلا بعد أن يدرك الطفل ويفهم سببه؛ ليحصل المقصود من إيقاعه. فالتحقيق في هذه القضية هو محاولة تجنب ضرب الطفل عمومًا قدر الإمكان، في جميع سنين عمره، فإن كان ولابد منه، فيكون في الوقت الذي يدرك فيه الطفل معنى العقوبة وسببها، وأنه مستحق لها، وبعد أن يكون قد هدد بها، مراعيًا الأب في ذلك التدرج الذي ذكر سابقًا والتوسط في إيقاعها بأن لا يحس الطفل أنها للتشفي أو الانتقام؛ بل يربط الذنب بالعقاب ليفهم الطفل ويعي سبب عقابه. فإن أوقع الوالد العقوبة بالولد فاستنجد بالله وذكره، فلا ينبغي للوالد أن يسترسل في العقوبة؛ بل يكف عنها تعظيمًا لله في نفس الطفل[١].

وينبغي الابتعاد عن الوجه تمامًا عند الضرب، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته»[٢] . يعني على صورة هذا الوجه. وقد علل النووي عدم الضرب على الوجه بالآتي:

(١) لأن فيه كل المحاسن. (٢) وفيه آلات الإدراك- السمع، والبصر.

---

(١) مسؤلية الأب المسلم (ص٨٦).

(٢) صحيح: مسلم (٢٦١١) في البر والصلة.

(٣) لأن فيه تشويهًا، والتشويه فيه ظاهر[1].

وإياك من تأديب الصغير على فعل خاطئ ارتكبه قبل مدة، فالعقاب لابد أن يكون مواكبًا للخطأ لا يتأخر عنه، وإلا كنت كمن يحرث في الماء، واحفظ: العقاب المناسب في الوقت المناسب. وينتبه إلى تخفيف العتاب: فإذا ما عاتبنا فليكن عتابنا لطيفًا يراعى فيه عدم انكسار الصغير وإهانته. قال الله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ (النساء: ٥).

قال الضحاك والحسن وابن مسعود: «هم النساء والصبيان».

فالأمر هنا بالقول المعروف، ولين الكلام، واختيار أطيبه، ويدخل فيه تخفيف العتاب على هؤلاء الصغار الذين لا يتعمدون إيذاء أحد أو السخرية منه. وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفٍّ قطُّ، ولا قال لي لشيء لِمَ فعلت كذا، وهلاَّ فعلت كذا»[2].

صورة من عتاب النبي ﷺ:

وهذه صورة لعتابه ﷺ لأم المؤمنين عائشة وقد كانت في نفس المرحلة السنية التي نتحدث عنها فتقول رضي الله عنها: «ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: بلى. قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما[3] ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويدًا[4] وانتعل رويدًا، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه[5] رويدًا فجعلت درعي على رأسي[6] واختمرت[7] وتقنعت

---

(١) هذا بالإضافة إلى أن ضرب الوجه يورث الذل.

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٨)، مسلم (٢٣٠٩) في الفضائل.

(٣) **إلا ريثما**: معناه إلا قدر ما.

(٤) **أخذ رداءه رويدًا**: أي: قليلاً لطيفًا لئلا ينبهها.

(٥) **ثم أجافه**: أي أغلقه، وإنما فعل ذلك ﷺ في خفية لئلا يوقظها ويخرج عنها، فربما لحقها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل.

(٦) **فجعلت درعي في رأسي**: درع المرأة قميصها.

(٧) **واختمرت**: أي: ألقيت على رأسي الخمار، وهو ما تستر به المرأة رأسها.

إزاري[١] ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت[٢] فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: **«ما لكِ يا عائشُ؟ حَشْيًا رابيةً؟!»**[٣] . قالت: قلت: لا شيء. قال: **«لتُخْبِريني أو ليُخْبِرني اللطيف الخبير»**. قالت: قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! فأخبرته قال: **«فأنت السوادُ[٤] الذي رأيتُ أمامي؟»**. قلت: نعم. فلهدني[٥] في صدري لهدة أوجعتني»[٦].

وفي الحديث السابق دليل على جواز الضرب، ينضم إليه حديث: **«واضربوهم لعشر»**. مع الأثر المروي بسند صحيح عن عكرمة قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل- القيد- يعلمني القرآن والسنة. وفي رواية: يعلمني القرآن والفرائض. فهذه صورة من صور العتاب الذي يجب ألاَّ يُهْمل، وألا يكون شديدًا لئلا يصيب الصغار بالنفور.

والخلاصة ينقلها الماوردي رحمه الله فيقول: «فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن أخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على شيء تجعله متطبعًا به، ومن غفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرًا»[٧] .

---

(١) وتقنعت إزاري هكذا هو في الأصول: إزاري بغير باء في أوله، وكأنه بمعنى لبست إزاري، فلهذا عدي بنفسه.

(٢) **فأحضر فأحضرت**: الإحضار العَدْو: أي: فعدا فعدوت، فهو فوق الهرولة.

(٣) مالك يا عائش حشيًا رابية يجوز في عائش فتح الشين وضمها، وهما وجهان جاريان في كل المرخمات، وحشيًا معناه قد وقع عليك الحشا، وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه، من ارتفاع النفس وتواتره، يقال: امرأة حشياء وحشية، ورجل حشيان وحشش، وقيل: أصله من أصاب الربو حشاه، رابية أي مرتفعة البطن.

(٤) **فأنت السواد**: أي الشخص.

(٥) **فلهدني**: قال أهل اللغة: لهده ولهّده، بتخفيف الهاء، وتشديدها، أي دفعه.

(٦) رواه مسلم (٩٧٤) في الجنائز.

(٧) أدب الدنيا والدين (ص٢٢٨).

لا تيأس من إصلاح الصغير:

يقول الغزالي رحمه الله: «لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: «حسنوا أخلاقكم». وكيف ينكر هذا في حق الآدمي، وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازيُّ- النسر- من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق»(١).

إننا نرى كثيرًا من الناس يروضون الحيوان فكيف بالإنسان؟! فاصبر ولا تيأس، وقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لَمَّا صوَّر الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك»(٢). و«لا يتمالك»: أي: لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات(٣).

فهو- أي: صغيرك- أجوف خالٍ من داخله ينتظر لتملأه بالخير، يحتاج إلى الصبر لأنه لا يتمالك نفسه، فالصبرَ والمجاهدة، فنحن لا نربي شاة لنذبحها، أو ثورًا ليحرث الأرض، إنما نربي جيلاً نريده أن يقضي على البدع والمناكر والسوء، ونريده كتيبة أمل، وجيل نصر وتمكين، وهذا يلزمه مربٍّ فاضل عاقل لبيب صبور.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

بين الحديقة والنَّهَرْ ☆ وجمال ألوان الزَّهَرْ
سارت مها مسرورةً ☆ مع والدٍ حانٍ أبَرّ
فرأت هنالك نخلةً ☆ معوجةً بين الشَّجَرْ
فتناولت حبلاً وقالت ☆ يا أبي هيا انتظر
حتى نقوِّم عودها ☆ لتكون أجمل في النظر
فأجاب والدها لقد ☆ كبرت وطال بها العُمُرْ

---

(١) الإحياء (٣/ ٥٤).
(٢) صحيح: مسلم (٢٦١٠) في البر والصلة.
(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٦٤).

ومن العسير صلاحها ☆ فات الأوان ولا مَفَرّ

قد ينفع الإصلاح والتهذيب في عهد الصِّغَرْ

والنشء إن أهملته ☆ طفلاً تعثر في الكبر

ولعل في هذا تلخيص لكل ما نريد أن نقوله، وما قلناه سابقًا.

☆☆☆

قاعدة هامة في التربية
عدم إهانة أحد الوالدين أمام الصغار

لا يخلو بيت من البيوتات من الخلافات الزوجية التي تنجم عن اختلاف الآراء والأذواق، أو تمسك أحد الزوجين بما لا يقبله الآخر، أو بسبب عامل خارجي كالأقارب والأصدقاء.

وقبل التحدث عن علاقة الصغار بهذه المشكلات يجب التفطن إلى كيفية حل هذه الخلافات قبل التفاقم والاستفحال حتى لا تؤثر على قوام البيت المسلم أو تكون سببًا أساسيًّا في انهياره[1]، فيعرف سبب المشكلة حتى يُحلَّ، أو يُمنع سبب المشكلة من دخول البيت أو يكون الكي آخر الدواء وهو تدخل الآخرين بعد استيفاء الطرق التي حددها القرآن وهي: الموعظة، والهجر في المضجع، وأخيرًا الضرب.

المشكلات منها الكبير والصغير، ومنها ما يمكن تلافيه والسكوت عنه فليس من المعقول أن يكون الرجل دقيقًا للغاية حتى يحاسب على النقير والقطمير، وليس مقبولاً أن تكون الزوجة مهملة حتى النخاع، فهذه حالات نادرة الوقوع.

والمشكلات الصغيرة هي التي نقصد الحديث عنها هنا، فلا داعي هنا لترك مساحة للشيطان ليتلاعب فيها بالزوجين، فيهين الأب الأم حتى تسقط هيبتها من عين أبنائها فلا يرعوون بقولها ولا ينزجرون. ويمكن للزوج معالجة المشكلة سرًّا أو الستر على الزوجة -أم أولاده- بدلاً من إهانتها، وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»[2]. فإذا لم يستطع الأب تلافي المشكلة فلا داعي لانفلات أعصابه وجرح الوالدة بألفاظ تخدش الحياء، وتذهب بالهيبة، أو الضرب والصفع أمام الصغار حتى لا يتأثر الطفل بذلك.

---

(١) انظر تحفة العروس (ص٣٨٩ - ٣٩٣) من تأليفي -ط- دار الفجر للتراث فقد حققت فيه هذه المسألة وتوسعت في الحديث عنها.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وتأثر الطفل سيكون:

(١) بإسقاط هيبة الأم فلا يطيعها؛ بل ربما هددها بالتأثير على أبيه وإبلاغه بخطئها لكي يضربها أو يهينها أو يطردها.

(٢) تأثر الحالة النفسية للصغير وزيادة العصبية في أفعاله وأقواله.

(٣) كراهيته لأبيه وانضمامه لأمه الضعيفة التي يراها مظلومة باكية كعادة النساء.

وهذه الثلاثة واحدة منهن كفيلة بإذهاب الجهود أدراج الرياح.

فماذا لو أن الابن أخطأ بحضرة الأم، وتركت الأم عتابه أو عقابه؟

لا ينتهرها الأب أمام الصغار، وإنما يتلطف لها، فيقول مثلاً: هذا الخطأ يستحق العقاب، لكن سامحي الولد هذه المرة، وإن عاد نعاقبه سويًّا. وليفعل ما شاء: بالزوجة بعد اختلائهما حسبما قرر الشرع وضبط مثل هذه الأمور.

وبالنسبة للأم: فإن قطاعًا عريضًا من الأمهات لا يملك في هذه الدنيا من نِعم الله عليه إلا لسانٌ أطول من نهر النيل، كلما حدثها زوجها بكلمة ردَّت عليه بألفٍ مثلها، فتضيع هيبة الزوج حتى لا يبقى من احترامه في نفوس الصغار شيء، وبهذا تفسد البيوت، ولا يكون ثمة حاكم للصغار الذين يعيثون في الأرض فسادًا.

ومم هو ملموس في طباع الناس أن البنت تشبه أمها، ثم تتشبه بها بعد انتقالها إلى بيت زوجها، فتستخرج الأم- دون وعي منها- نسخة أخرى من ذوات الألسنة الأربع، والأمر قد يختلف فزوج الابنة قد يكون ممن حرموا نصيبهم من الصبر فيعيد الابنة التي شربت (صنعة الرد على الزوج) من أمها، يعيدها مكسورة أو مضروبة أو مطلقة، فيالهناءة الأم بابنتها عندئذ!!.

إن كلام الرجل هو المقدم إن كان صحيحًا موافقًا للشرع، والنقاشات والآراء الكثيرة ليس محلها أمام الصغار؛ بل رهن القاعات والحجرات المغلقة بحيث يظهر الوالدان في النهاية وأنهما متفقان على كل شيء أمام الصغار، وحق القوامة مكفول للرجل كما قال تعالى: **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾** (النساء: ٣٤). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«لو**

كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها»[١] .

تحذير آخر:

وقد يحدث بين الزوجين خلافات تمتد لبعض الوقت، فيلجأ الأب إلى استمالة الصغار في صفه، ونفس الفَعل تُقدم عليه الزوجة، فينقسم البيت إلى حزبين: حزب أنصار الأب، وحزب أنصار الأم. ويبدأ الأب في كشف عوار الأم للصغار، ويشكو منها مصورًا نفسه جبل الصبر الذي تحمل سيول الأذى وزلازل الهموم التي ينوء بحملها جبال الأرض مجتمعة.

وتتحدر الدمعات تسيل على خد الأم المكلومة وهي تروي كيف أنها صخرة وسط بحر متلاطمة أمواجه، تتابع عليها أمواج البلاء والضرب من قِبل الزوج وأقاربه وأصدقائه.

ويا لهذا البيت السعيد!! لعل النار الآن قد توقدت وحدث الآتي:

- امتلك الأبناء ما يعيرون به آباءهم.
- وصار الصغير مُطلعًا على عورات الوالدين عارفًا بها.
- كما دُوِّن في ذهنه الميل ناحية أحدهما أو كراهيتهما سويًا.
- وتسبب ذلك في تعميق الفجوة بينه وبين أحد والديه خاصة أن الضحية في معظم هذه الحالات هو الأب الذي قد يكون محقًا لكنه عصبي بعض الشيء.
- وقد يكون الصغير على قدر من اللؤم بحيث ينتزع حاجياته التي يريدها من أحد الوالدين بإظهار ميوله نحوه، يتعلم النفاق، وحيهلاً به!!
- وفعل الصغير فعلته، فيتجه إلى حزبه ليخفي خطيئته عن الآخر.
- وقد يفشي السر إلى خارج المنزل، فيجد شياطين الإنس طريقهم إلى خراب البيوت العامرة، وإفساد الصغار، وإفساد المرأة على زوجها، أو محاولة الاصطياد في الماء العكر.
- ويقر في نفسه كراهية المنزل المشحون بالخلافات، فيهرب إلى ما لا يحمد عقباه

---

(١) صحيح: الترمذي (١١٥٩) وصححه الألباني.

من وسائل النسيان مع رفقة السوء إلى المخدرات وغيرها من المحرمات.

- والمبرر له دائمًا عند ارتكاب أخطائه: عدم استقرار البيت وكثرة الخلافات.

وبالطبع أهدينا للمجتمع إنسانًا يتمناه أعداؤنا من شياطين الإنس والجن!!

إن تربية الصغار ليس أمرًا معقدًا، لكنه يتطلب بصرًا وبصيرة وإدراكًا بما حولنا، وعلمًا بأن ما ينقش في قلوب الصغار يصعب محوه، إن لم يكن مستحيلاً في بعض الأوقات، وهذه هي المسئولية الواقعة على الآباء والأمهات.

أعرف شابًّا من أترابي عاش طيلة عمره واقعًا في فخ المشاكل والخلافات الزوجية التي كانت تشتعل في داره بين أبوين، الوالد عصبي المزاج، متقلب الأحوال كأنه موج لا يعرف الثبات، ينتقل من حالة الهدوء إلى حالة الفوران التي يصعب أن تمر دون أن تسبب خسائر في جسد الزوجة والأولاد!!

أمَّا الأم فهي سلبية، قلَّما تحاول إصلاح الطَّاغي- زوجها- الذي كان يتفنن في عقاب أولاده كيًّا بالنار، وضربًا بالعصى حتى التعجيز، وربطًا بأسلاك الكهرباء، ولقد كان يأمر الأم بإحضار آلات التعذيب التي كانت تستخدم في إيذاء الصغار، وكان هذا الأب يحاول دائمًا إصلاح هذه القسوة بعد هدوء ثورته، لكن بعد أن يرى آثار الأذى الذي ألحقه بصغاره، وأشهد بالله أن هذه الآثار البدنية لا تزال مصدر ألم نفسي لصاحبي بينما انشغلت الزوجة وأهلها بشيء واحد: تشويه صورة الأب- وهي تحتاج إلى كلام- بدلاً من محاولة إصلاحه، ومحاولة إرشاد الصغار لتفادي ما يغضب أبيهم.

فكان قرار الأب بمنع الأولاد من الذهاب إلى أهل الزوجة التي بدورها كانت تذهب سرًّا، أو تبعث أولادها سرًّا، وخلال فترات القطيعة توغر الصدور بما يجعل الصغار يتمنون موت والدهم أو حتى التفكير في قتله، ونهاية الأحداث دائمًا غير سعيدة إلا في لحظات قليلة.

لقد تزوج صاحبي بعيدًا عن والده، وقبلت أختاه الزواج برجلين غير كفئين لهما، وهربت الأخت الثالثة من جحيم الأب، وبقي أخوان ذكران كلٌّ منهما يتطاول على أبيه بعد ضعف قوته، وعلى أمه متهمين إياها بأنها أضاعتهم هي والسيد الوالد الذي

يجني ثمار ما زرع!! ولا زلت أسمعها يرن صداها في أذني: «منّه لله أبويا كان سبب فشلنا».

وهذه الحالة على خصوصيتها إلا أنني عايشت حالات عدة تقترب منها، وإن لم تكن في مثل احتدامها وعرامتها، ولكن يبقى أن الأبوين يجب أن يكونا مصدر قدوة وإلهام للصغار، لا مصدر قسوة وإزعاج لهم، وإلاَّ فلِمَ أوصى الله تعالى الأولاد بالوالدين، ولم يوص الوالدين بالأولاد؟ مهما كان الأب قاسيًا فإنه بالإمكان ترويضه، والتماس العذر له بأنه يخاف على أولاده ويريد لهم ما يصلحهم، وإلاَّ فلِم يعاقبهم؟!

ومهما كان إهمال الأم أو خطؤها فهي أم لا غنى عنها في الدار، لا غنى عن حنانها وعطفها أو إدارتها للبيت: نفقة، وعملاً فيه كالغسيل والطهي، وما يحتاجه المنزل، وفي الصبر على النساء خيرٌ كثير، فإن كرهت منها خُلُقًا قبلت آخر.

وإذا جنى الأب أو الأم- ونحن بشر قد نخطئ- فلننبه الصغير إلى فلان الذي فقد والده أو والدته كيف يعيش بدونهما أو بدون أحدهما؟ وتبقى الكلمة الأخيرة: إن من فقد أبويه يتمنى ولو حتى خيال أبيه بدلاً من وقوعه تحت رحمة كافله الذي قد يقسو عليه أو يهمله.

وهكذا نزرع في الصغار حب الآباء والأمهات واحترامهم وهيبتهم بدلاً من انتزاعها من هذه القلوب الصغيرة.

لابد إذن أن تعرف بيوتنا الاستقرار والهدوء لكي ينبت الغرس ويثمر بعيدًا عن عواصف الفُرقة والخلافات التي لا تورث صغارنا إلا حقدًا وضغينة، وانكسارًا نفسيًّا.

فما ذنب ولدي الصغير حين يرى ابن الجيران ساكنًا هادئًا، بينما بيته كالبركان؟ وما ذنب الصغير أن يمقت أحد والديه، بينما أقرانه يتقلبون في الفراش بين والديهما؟ وما ذنب القلب الصغير لكي يُقسَّى قلبه على أحد أبويه، ويمتلئ قلبه حقدًا عليه؟

إن الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١). والسكن هنا لا يمكن أن يكون

موجودًا إلا بالألفة والرحمة ومعرفة كلا الزوجين لحقوقه وواجباته، وأداء الواجبات مع تنازل عن بعض الحقوق، وعلى هذا استقامت الحياة، وبهذا سار الكون، وبه تدار البيوت.

يقول الدكتور عدنان باصالح[١] : «أما إن لم يكترث الوالدان بوجود الأولاد في مكان الخصام، فأخذ كل واحد منهما يعبر عن آلامه وأحزانه وشكواه أمامهم، فإن نموهم الصحي والعاطفي يتعرض لخطر أكيد؛ إذ لا يمكن أن يتصوروا رؤية أحب شخصين إليهم بصورة مفزعة، وقد احمرت أوداجهما، وظهر عليهما الغضب واضحًا وأخذ كل منهما يشتم الآخر، وتكون المشكلة أكبر على نفس الأولاد وأخطر إذا أخذ الأب يضرب الأم أمامهم، فهذا لا شك يترك في نفوسهم أثرًا سيئًا جدًّا، وربما ساقهم إلى الانسحاب من الأسرة أو المجتمع، والانضمام إلى عصابات الأطفال، أو فقدان الثقة بالنفس والناس، والانغماس في أحلام اليقظة، فإن معظم الأطفال المشكلين يأتون من منازل مفككة، ومنازل يكثر فيها الاحتكاكات بين الزوجين، لهذا فإن على الأب أن يأخذ بالأسباب الكفيلة لحماية أولاده من الوقوع في المشاكل النفسية وأزماتها من جراء الخصام مع الأم».

إن البيت المسلم بيت هادئ تنبعث منه هيمنة العبادة، وتسبيحات الموحدين، فإذا ما تغيَّر الحال واستحالت الحياة، وصار البيت ساحة لتصفية الحسابات فمن الأفضل أن تغرب شمس الزوجية ليحل محلها الطلاق وهو آخر الدواء.



---

(١) مسئولية الأب المسلم (ص٥٤٦، ٥٤٧).

حالة متكررة: طلاق الزوجين

* أضرار الطلاق على الصغار:

تعتمد الحياة الزوجية على ثلاثة أضلاعٍ لا غنى لأحد عن الثلاثة: الأب، الأم، الولد، وأضعف الأضلاع الثلاثة: الولد الذي يحتاج إلى أبويه لا يستغني عنهما.

فالأب: مصدر النفقة بما يُدره الله تعالى عليه من رزق، وهو أيضًا- أي: الأب- مصدر السلطة والقوة في البيت، وبدونه يفقد الصغير عائله، ومصدر قدوته الذي يربيه على الرجولة والشدة، فمهما بلغت المرأة من قوة في شخصيتها فهي امرأة حان قلبها شفيق، تخشى على ولدها إذا مرض الإبرة التي تخترق جلده، أوالدواء المُرّ الذي يتجرعه الصغير. وهي التي تحار عند ارتكاب الصغير للخطأ ماذا تفعل؟ فقد جبلت على الاستعانة بالرجال دائمًا حتى في أدق خصوصياتها وشئونها.

ومن هنا فإنه لا غنى عن الوالد لولده إلا إذا أراد الله تعالى أمرًا بوفاته، ومهما كان فلن تسد الأم عشر ما يستطيع الأب سده والتعامل معه، وكثيرًا ما يعبر الصغار الذين ربتهم النساء بأنهم (تربية نساء) أما الأم فهي التي أعطاها الله تعالى ما حرم منه الرجل: إنها مصدر الحنان والرقة قبل أي شيء، ثم بنيانها ونفسيتها تؤهلها لعدم استغناء الولد عنها، فهي الحاضنة والمرضع، وهي الملجأ للصغير، والحضن الذي يرتمي فيه ليشعر بالدفء والاطمئنان، فلا يستطيع مفارقتها حتى يعتمد على نفسه، وربما اشتد احتياجه له حتى بعد الزواج والإنجاب.

وبذلك لا غنى عن هذا الضلع القوي بجنانه وعطفه، ويؤكد علماء النفس أن الطفل الذي يفقد العطف في صغره يصاب بأضرار بالغة يترتب عليها خلل في النمو البدني والذهني، وفي النطق، وفي معاملة الغير داخل مجتمعه [١].

يقول الماوردي رحمه الله: «والأمهات أكثر إشفاقًا، وأوفر حبًّا لما باشرن من الولادة، وعانين من التربية، فإنهن أرق قلوبًا، وألين نفوسًا» [٢].

---

(١) مجلة التربية الإسلامية العدد (٧٣) (ص١٣٠).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص١٥٢).

ويزيد ابن قيم الجوزية رحمه الله الأمر وضوحًا فيقول عن النساء: «إنهن أخبر بأمور الحضانة والتربية من الرجال»، فلا عذر لأحد في إبعاد الصغار عن الأب أو الأم إذن.

لكن قد يقع الطلاق!!

ومهما قيل عن الطلاق كحلٍ يؤدي إلى قتل كثير من المشاكل القائمة بين الرجل والمرأة، إلا أنه حلال بغيض جُبلت النفوس على النفور منه لا من فعله؛ بل حتى من اسمه وذكره، كأنهم يخشون وباءً يُعدي بمجرد ذكر اسمه!! ومن هنا وجب اتخاذ التدابير اللازمة لعدم وقوع الطلاق. ومن هذه التدابير:

(١) مراعاة الاختيار الحسن من البداية: لئلا يعض الزوج أو الزوجة بنان الندم لتنازله عن شرط أصلي في اختياره وهو في العادة: الدين والتدين.

(٢) كلنا ذوو خطأ: فالرجل يخطئ وكذلك المرأة، ولابد من تحمل هذا لذاك، وليست كل الأخلاق مرضية، ومن لا عيب له من بعد الأنبياء والرسل مستحيل لا وجود له، فيهب الزوج خطأ الزوجة لفضلها فيعرف حقها في إدارة شئون بيته وتفريغ قلبه منها، وتعرف المرأة لزوجها حسن معاملته لها، وإنفاقه عليها، وستره لها، وأبوته لأبنائها، ويتذكر الاثنان حاجة الصغير إليهما مجتمعين لا متفرقين.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر** - أو قال: غيره-»[١]. ولا يفرك: لا يبغض، فإن كانت شرسة الخلق لكنها قد تكون دينة أو عفيفة أو رفيقة به[٢].

وهذا الكلام يمكن إسقاطه على الرجل، بحيث لا تفركه زوجته فترضى منه خلقًا إذا أبغضت آخر. لا بد إذن من موازنة بين الأخطاء والصواب حتى تستقيم الحياة.

(٣) الحياة متقلبة لا تسير على نمط واحد: وقلب ابن آدم سُمي قلبًا من التقلب، وربك سبحانه وتعالى خلق بني آدم من طين الأرض وترابها فجاء منهم السهل

---

(١) صحيح: مسلم (١٤٦٩/ ٦٣) في الرضاع.

(٢) شرح النووي على مسلم (٥/ ٣٨٢).

والحزن، والأبيض والأحمر والأسود، كما أن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة، فيوم صحة وآخر مرض، ويوم غنى ويوم فقر، والرجل قد يتعرض لبعض الضغوط الخارجية، والمرأة تتعرض شهريًّا لتغيرات بدنية لما يصيبها من عذر النساء (العادة الشهرية) أو الحمل الذي يجعلها في بعض الأوقات سيئة الأخلاق من فرط ما تعاني من الحمل حتى تتعافى بالوضع وبأن تقر عينها بوليدها، ناهيك عن طبيعة المرأة نفسها، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المرأة خُلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها**»(١). وفي رواية: «**...وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**»(٢).

فكل النساء خُلقن على هذه الحال، فمن أرادهن فليكن رضاه بهن على ما بهن من عوجٍ، ولقد نبَّه النووي رحمه الله على هذا، فعقب بعد الحديث قائلاً: «وفي هذا الحديث ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وكراهية طلاقهن بلا سبب، وأنه لا يطمع باستقامتها»(٣).

فلا تطمعنّ في محال يخالف نواميس الكون، فإن ذلك ليس خطأً في فهم طبائع النساء وحسب؛ بل في فهم الكون كله، وهذه إرادة الله تعالى.

ولقد ذاق الأنبياء ما يذوقه الرجال مع النساء، فكفرت امرأة نوح وامرأة لوط، وفي بيت رسول الله ﷺ حدث خلاف بينه عليه السلام وبين أزواجه من أمهات المؤمنين، وكانت إحداهن تجد عليه- أي: تغضب- حتى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي تقول: «قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى**». قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: «**أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم**». فقالت رضي الله

---

(١) صحيح: مسلم (١٤٦٨/ ٦١) في الرضاع.
(٢) صحيح: مسلم (١٤٦٨/ ٦٢) في الرضاع.
(٣) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٨١).

عنها: أجل، والله ما أهجر إلا اسمك»[1] .

وهذا تحرٍ لطيف منه ﷺ لسلوك أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا، وإذا ما فعل الرجال فعله فقد استطاعوا أسر النساء؛ بل تحويلهن إلى عجائن قابلة للتشكيل في أي لحظة.

(٤) الابتعاد عن ذكر الطلاق والحلف به: حتى لا يكون شبحًا مخيمًا على البيت، أو لفظًا تعوَّد اللسان عليه، فينطلق في ساعة الغضب بلا رضى.

(٥) محاولة حل المشاكل حلاً سلميًّا: وهذا بالسير وفقًا لمنهج القرآن: **﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾** (النساء: ٣٤) . وقد تحدثت تفصيليًّا عنها في الباب السابق.

(٦) الطلاق آخر الحلول دائمًا: فإذا ما يأس الزوجان من استمرار الحياة، وإذا ما فشل الأقارب والأصدقاء في حل هذه المشاكل، فلا مفر من ركوب المضطر للمركب الصعب بالطلاق.

(٧) ويراجع الزوجان نفسيهما خلال فترة العدة: والعدة ثلاثة أشهر هجرية بقول العلماء الأثبات الثقات، فإن أراد التراجع خلال هذه الفترة فحيهلا، ولذا طالت المدة، فإن من حكمة إطالة مدة العدة غير التعبد، واستبراء الرحم، إعطاء مدة كافية للرجل والمرأة لكي يراجع كلٌّ منهما نفسه، فتصلح النفوس وتُجْبر، ويعود الوفاق.

وحتى إذا مرَّت العدة في المرة الأولى أو الثانية، وبانت المرأة بينونة صغرى جاز التراجع لقوله تعالى: **﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** (البقرة: ٢٣٢) .

ومن هنا كانت العدة في بيت الزوجة لا تخرج منه لعلها أن تراجع نفسها، ومحل هذا كتب الفقه.

(٨) ويتدخل أهل التقوى للإصلاح والوعظ: حتى لا يترك المسلم أخاه ظالمًا أو مظلومًا، وحتى لا يشمت بنا شياطين الإنس والجن، ويجتهد المسلمون في إعادة

---

(١) **صحيح:** مسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٨٠) في الكتاب ذاته.

الوفاق بين الزوجين حتى الرمق الأخير، وعلى حد قول القائل: اقتلهما وعظًا حتى يصطلحا.

(٩) تذكير الآباء والأمهات بأضرار الطلاق: وإعلامهم بأن هذا القرار هو أصعب القرارات لا عليهما بل على الصغار، ويذكر الأبوين بالآثار السيئة التي ستقع على الأبناء بعد حدوث الفرقة بين الزوجين، وكيف أن المتضرر الوحيد هم فلذات الأكباد، وأكبر الأضرار وأعظم الأخطار: خسارة الصغير، وجرح قلبه، وانكسار نفسه، ومرضه- لا أقول بدنيًا- وإنما نفسيًا بما يستمر معه طيلة حياته.

إن الآباء يستريحون بقرار الطلاق، ويدفع الأبناء الثمن، كما يقول العلماء: «ولكن الأطفال في العادة يخسرون أكثر من الآباء؛ إذ أن وجودهم بين الأب والأم له أهميته البالغة والعميقة في نفوسهم، إذ لا يمكن أن ينشأ الولد نشأة معتدلة سوية بدون الأب والأم معًا، فلو فقد الابن أباه في سن السادسة أو السابعة مثلاً، أثَّر ذلك عله تأثيرًا سيئًا، وربما ساقه هذا الحرمان إلى مصه أصابعه، وكثرة المشاغبات، والتبول اللاإرادي» .

«وتدل الإحصاءات على أن تفكك الأسر- وبخاصة ما كان راجعًا إلى الطلاق- من أهم العوامل التي تؤدي إلى جنوح الأحداث، وهو مظهر متطرف من مظاهر سوء التكيف الاجتماعي، وقد ترسم في ذهن الطفل الذي ينشأ في هذا البيت صورة قبيحة مشوهة عن حياة الأسرة وعن الدور الذي يلعبه كل من الرجل والمرأة في المجتمع، كما أن الطلاق نفسه قد يشعر الطفل بشيء من الخزي والنقص، فهو يحس أنه غريب في مجتمع أغلب أسره متماسكة حيث يعيش معظم الأولاد والبنات مع آبائهم وأمهاتهم»[١] . فقبل البحث عن راحة أنفسنا، وبدافع الأنانية، يجب البحث عن راحة من كنا سببًا في إتيانهم إلى الحياة.

• الأطفال بعد الطلاق:

(١) الحضانة حق للأم- وقد سبق وفصلت هذا الأمر في باب الحضانة- حتى

---

(١) مسئولية الأب المسلم (ص٥٥٠).

يكبر الصغير. وإذا كان الولد صغيراً غير مميز فإن أمه أحق به إذا تنازع الوالدان فيه، وذلك لأن «الأم أصلح له من الأب، لأن النساء أرفق بالصغير، وأخبر بتغذيته وحمله، وأصبر على ذلك، وأرحم به فهي أقدر، وأخبر، وأرحم، وأصبر في هذا الموضع، فعينت الأم في حق الطفل غير المميز بالشرع»[1] .

أما إن كان الولد مميزاً فإنه يُخيَّر بين أبويه، فإن اختار الأم كان عندها في الليل، أما النهار فيكون عند الأب ليعلمه ويؤدبه، أما إن اختار الأب فإنه يبقى عنده ليلاً و نهاراً ويزور أمه، ولا يُمانع من ذلك، فإن عاد الولد واختار الآخر من الأبوين نُقل إليه»[2] . وهذا تكرار لبعض ما كنت قد ذكرته هناك، فارجع إليه تارة أخرى للاستزادة في مثل هذه المسائل.

(٢) التعامل مع الأمر برفق وتؤدة:

فيحاول الأب مصارحة المميزين من أطفاله بأن الطلاق أفضل الحلول، ولا حياة مع طول الخصام، ويحرص على أن يبين لهم مشروعية الطلاق في الإسلام، وأنه جائز، وينقل لهم بعض قصص الصحابة في ذلك وغيرهم ممن لم يُقدَّر لهم التوفيق في حياتهم الأسرية مع بعض النساء، ويبين لهم النظام الذي سوف يعيشون عليه بعد الانفصال، وكيف سوف يجتمعون به في أوقات معلومة، وبالأم في أوقات معلومة أخرى، ويؤكد لهم حبه وعطفه عليهم وأنه لن يستغني عنهم أو يزهد فيهم أو يتخلى عنهم.

وبهذا الأسلوب أن نحوه يمكن للأب أن يخفف أثر الطلاق على أولاده فلا يخرجون بخبرة سيئة فتتعقد نفوسهم، وتسود الدنيا في أعينهم.

ويحذر الأب من استنقاص الأم عند الأولاد، ووصفِها بأوصاف غير لائقة، حتى ولو كانت أهلاً لهذه الأوصاف، فإنها لا تزال أمهم، ومهما بدر منها مع الأب فإنه لا دخل للأولاد فيه، بل إن شأنهم شأن آخر، كما أنه ليس للأب ولا للأم مصلحة في إفساد علاقة الأولاد بالطرف الآخر، إذ أن هذا السلوك الخاطئ يضر الأولاد أكثر

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٤/ ١٢٢) لابن تيمية.

(٢) السابق نفسه، والمغني (٩/ ٣٠٠) لابن قدامة.

من الضرر بالأبوين لمكانتهما عندهم، ولحاجتهم إليهما جميعًا، بل لا يضرهما أن يثني كل واحد منهما على الآخر بما فيه وبما ليس فيه أمام الأولاد، ليعمق علاقتهم به، فتخف بذلك آثار الطلاق والفراق عليهم.

ويحذر الأب كل الحذر من أن يجره حنقه وحقده على المرأة أن ينتقم منها بإيذاء الأولاد، كأن يحرمها من رؤيتهم والاختلاط بهم، فإن هذا من الحرام إلى جانب ما فيه من المضرة بالأولاد، يقول عليه الصلاة والسلام في حق من فرق بين الولد وأمه من السبي: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»[1] . وإن كان الصلح خيرٌ وأولى من ذلك كله، فالأمر عائد إلى حسن الاختيار منذ البداية.

ويراعى اختيار زوج أم رفيق، أو زوجة أب رفيقة:

وهذا في حال عدم التراجع بين الزوجين، وليعلم الأب أنه إن صمم على الطلاق وله بنات، فإن البنت إن كانت اليوم صغيرة فستحتاج غدًا لمن تدلها على أمور النساء التي لا تُفضي بها المرأة إلا إلى امرأة مثلها، وهذا أيضًا في حالة وفاة الزوجة، يجب وجود أم بديلة وإلا انهار البيت، فالرجل مهما كان ذكاؤه وشدته، فإنه أعجز الناس عن فهم المرأة، والمرأة أقدر على فهم المرأة والرجل من الرجل على فهم المرأة والرجل.

وكذا يجب أن تعلم المرأة التي لديها أبناء ذكور أن عدم وجود الرجل مشكلة لا تظهر آثارها إلا بعد اشتداد عود الذكر وإحساسه بقوته وفتوته، وهناك من الأمور الخاصة بالرجال ما لا يستطيع إيصاله إلى الأولاد إلا ذكر مثلهم.

فيراعى حسن اختيار من سيحل محل الأب أو الأم حتى لا تكون هناك خسائر أخرى في القلوب والنفوس من جراء المعاملة القاسية أو الإهمال، أو التثاقل من وجود ولد ليس من الصُّلب، ولا عذر لأحد في ذلك، لأن باب الاختيار واسع ولا أحد يطارد من يختار أو يجبره على شخص بعينه إلا في أحوال نادرة للغاية. وقد ذكرت الكثير في باب حسن معاملة اليتيم فارجع إلى هناك فالحالتان متشابهتان.

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب السير، باب في كراهية التفريق بين السبي، حديث رقم (١٥٦٦)، (ج٤/ ص١٣٤)، والحديث حسن غريب. وقال الألباني: حسن، وانظر مسئولية الأب المسلم (ص٥٥١).

وثن العصر: التلفاز، وأجهزة الإعلام

ليس رجمًا بالغيب أن نتصور فرح الشيطان وسروره بالتلفاز والقنوات الفضائية كما لم يفرح بشيء من قبل، فقد أصبح التلفاز كفيلاً بمسخ الفطرة، وتشويه العقيدة، والسير بالإنسان وهو طائع راضٍ نحو هاوية المعاصي وقاع الرذيلة.

وفيما سبق كان التلفاز مجرد أداة تكميلية ترفيهية يتباهى الأغنياء باقتنائها، وبعدُ صار التلفاز أصلاً في كل البيوت لا غنى عنه، فمن ذا الذي لا يملك اليوم هذه الآلة الفتنة الضالة المضلة؟!

وبعد ثورة الاتصال والمعلومات وانتشار الفضائيات زادت خطورة التلفاز الذي تعلقت به قلوب الكبار والصغار في واحدة من المهازل التي تحياها أمة الإسلام التي وافقت على هذه الفتنة طائعة راضية غير مكرهة، رغم علم الجميع بأن التلفاز صناعة غربية، لا أقول صناعة الآلة؛ بل صناعة وصياغة ما يقدمه التلفاز لمشاهديه، فالواقع المرير يملي علينا أن سيطرة يهودية صليبية مشتركة على وسائل الإعلام أمرٌ أكيد لا مراء فيه، وقد تحقق فضلاً عن ذلك أن مالكي هذه الأجهزة والفضائيات مرضى بهوس الربح المادي، والكسب المالي السريع الذي يجعلهم يبثون أي شيء مقابل جمع الأموال وحصدها وتكنيزها في بنوك الغرب.

ورغم ما وصل إليه التلفاز من درجات الانحطاط التي ظهرت آثارها في عرض مشاهد الشذوذ الجنسي بين الرجال والنساء إلاَّ أن الجميع الآن يتصارع على دفع اشتراكات الفضائيات التي كلما جاءت بالفساد أكثر كلما كان مشتركوها أوسع نطاقًا وأكثر عددًا رغم غلو الاشتراك الشهري المدفوع مقابل هذه الخدمات.

وقد ظهر في الآونة الأخيرة ما يعرف باسم (وصلات الدِّش المركزي) و(التوصيلات المركزية) في العمارات والأبراج والبنايات وهي خدمة شيطانية جديدة تقدم أكثر من قناة جنسية مقابل أجر مالي زهيد قد لا يتعدى (العشرين جنيهًا مصريًّا) في الشهر الواحد!!

إن التليفزيون هو أخطر الوسائل الإعلامية على الإطلاق خاصة بعد المخاطر التي ذكرتها آنفًا ولا شك عندنا أن وسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتليفزيون، وسينما مسخرة اليوم لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، والسعي بالفساد في الأرض[١] .

إن أعجب ما أراه في هذه الأمة أن الأمة والحوادث تستهدفها تعشق اللهو والطرب، تساق إلى الذبح خاضعة، ترفع للذباحين الذيل والذنب.

الأمة تتلمس الهداية في مطالع الضلال، تطلب الشفاء بأسباب المرض والداء العضال، وما يريده الأعادي واضح لا مراء فيه، يريدون منا أن نفزع للأعادي لإرضائهم، ونتمادى بإغوائهم، نتنازل عن عقلنا لعقولهم وإن كانوا مجانين!! وأن نسخر من أصولنا لنعيش على حاضر عدونا.

وتجول ببصرك ترى عجبًا: نطق الرُّويبضة التافه، وأشار بالرأي البليد، ووُسد الأمر إلى غير أهله، فإذا الحال كما تراه، كل ذلك عبر قنوات وإذاعات وشبكات كاذبة خاطئة، سيطر عليها المفسدون، ونظَّر لها شياطين الإنس والجن، لو اطلعت عليها لوليت منها فرارًا ولملئت منها رعبًا.

ولا زالوا يلقون عليها زخارف القول غرورًا: فإذا الحق باطل، والباطل حق، والإفك أقوم قيلاً!! شعارهم: من ذا يصيب هز البطون، وذاك من روائع الفنون.

دنيا الإعلام قلبت الحقائق، فأبرزت لنا جيلاً مظلم الروح، بليد الذهن، ضعيف الإرادة، يترنح كالذي يتخبطه الشيطان من المس، سقط متاع، جيل كالهبل إذا اجتمعوا نهقوا كالحمير، أو عووا كالذئاب حول السواقي، هم بنو الغي وأسلافهم صدروا الرشد للعالمين.

ولم يكن بلاؤنا نحن المسلمين في هجمة أعدائنا فحسب، بل البلاء من جهة أخرى هي أشد وأنكى، قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها، قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنسان، أبواق للعدو،

---

(١) علي جريشة، أساليب الغزو الفكري (ص ٧١).

سوس لا يقع إلا في دقيق الموحدين، طاعون لا يسري إلا في أوصال المسلمين، كم من معقل للإسلام هدموه، وكم من حصن قد خربوه، وكم من لواء مرتفع قد نكَّسوه ووضعوه، كم من مرة صاحوا: أمراض المجتمع، وهم من أمراض المجتمع؟!!

إنما عجزت مدافع الأعداء وصواريخه ودباباته عن تشويهه في عدة سنوات، قام هؤلاء الأذناب بتشويهه في أيام معدودات حتى قرَّ في نفوس الأجيال القادمة أن عدوهم أسد، سبع، ضَارٍ مفترس، بينما المسلمون كأرنب لا أنياب له ولا أظفار ولا مخالب، ولا قوة له إلا بطاعة جلاده، والدعاء له بأن يحفظه الله له؛ لأنه يتحكم في قُوتِهِ وقُوَّتِهِ ووسائل الترفيه.

وتالله ما هؤلاء إلا خونة مغفلون خانوا أمتهم ودينهم، وقدموا الصغار والكبار لقمة سائغة يلوكها العدو، فلا تلوموا العدو إنما دُعي إلى فريسة فتقدم.

إن التلفاز لم يعد مجرد أداة أو آلة لنقل المعلومات، أو عرض البرامج؛ بل هو أداة لبناء الفكر وتكوين الرأي، وتحديد علاقة الإنسان بمجتمعه، فهو خطر حقيقي يكاد يجتاح أمتنا ويعصف بكل ممتلكاتها، فما من فكرة يروجها يريد لها الأعادي رواجًا إلا والتلفاز أكبر مروج لها.

ولكن: لماذا سميت التليفزيون وثنًا؟ لقد ذكر الراغب الأصفهاني ص٤٩٣ فقال: «كل ما عُبد من دون الله؛ بل كل ما يشغل عن الله يقال له: صنمٌ». فلعل الأمر قد ظهر ووضح!!

فلا أعلم مسلمًا على وجه الأرض إلا وقد شغله التلفاز وصار من مفردات حياته اليومية بقنواته الإخبارية والسياسية والترفيهية الجنسية!!

حكم اقتناء التليفزيون:

وقد أفتى الشيخ عبد الله ناصح علوان رحمه الله بحرمة اقتناء التليفزيون بوضعه الحالي فقال: «إن اقتناء التليفزيون، والنظر إليه، والاستماع إلى برامجه الحالية يعد من أكبر الحرام وأعظم الإثم». وبنى رحمه الله فتواه هذه على الأدلة الشرعية الكثيرة المتعلقة بالنظر إلى المحرمات، وعلى استحالة إمكانية التحكم في عرض البرامج

النافعة دون الضارة منها، وأن هذا لا يمكن تحقيقه في الواقع، وقد صدرت فتاوى مشابهة تفيد حرمة النظر والاستماع إلى المحرمات والمنكرات التي تُعرض في التليفزيون، حيث أفتى بذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومجموعة من المشايخ التابعين لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية[١] .

ولقد تعجبت حين قرأت هذه الكلمات، فصممت على نقلها للمسلمين، إنها شهادة شاهد من أهلها، فهو (جيري ماندر) الباحث الغربي في كتابه (أربع مناقشات لإلغاء التليفزيون) فيقول: «ربما لا نستطع أن نفعل أي شيء ضد الهندسة الوراثية والقنابل النيوترونية، ولكننا نستطيع أن نقول (لا) للتليفزيون، ونستطيع أن نلقي بأجهزتنا في مقلب الزبالة حيث يجب أن تكون، إن التليفزيون لا يتقبل الإصلاح عادة، إن مشكلة كامنة في التقنية نفسها تمامًا كما أن العنف كامن في البنادق، ولا يستطيع خبراء التليفزيون تغيير ما يمكن أن يخلفه الجهاز من تأثيرات على مشاهديه، هذه التأثيرات الواقعة على الجسد والعقل لا تنفصل عن تجربة المشاهدة»[٢].

هذه شهادتهم وشهادة رجل منهم لم يقل: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. فكيف بمن أمر باتباع شرع الله وطاعة العلماء الأثبات الثقات؟!!

وهذه الفتوى جمع كلماتها الدكتور محمد بن إسماعيل في كتابه الإجهاز على التلفاز، فنقدمها لك: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا يجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة، وكل ما أفضى كثيره إلى حرام إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة، لأنه يكون سببًا للشر والفساد، وما ألهى أو شغل عن ما أمر الله به؛ فهو منهي عنه وإن لم يحرم جنسه، كالبيع والتجارة وسائر ما يلهو به الباطلون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب، مما لا يستعان به على حق شرعي فكله حرام»[٣] اهـ.

---

(١) مسئولية الأب المسلم (ص٤٩٩، ٥٠٠).

(٢) الأستاذ مروان كجك (ص٢٥٣).

(٣) نقله عنهما العلامة عبد الله بن حميد في كتابه «التلفاز وحكمه في الشريعة الإسلامية»، كما في «الأسرة المسلمة» (ص٢٦٩، ٢٧٠).

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله: «إذا أشكل حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته، فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته، بل العلم بتحريمه من شرعه قطعي، ولاسيما إذا كان طريقًا مفضيًا إلى ما يُغضب الله ورسوله موصلاً إليه عن قرب»[1] اهـ.

وقال العلامة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله بعد نقله كلام الإمامين المذكور آنفًا: «فاتضح من كلام هذين الإمامين أن الشيء إذا أشكل حكمه ينظر في مفسدته وثمرته وغايته، فإن كانت مصلحته أرجح من مفسدته؛ فالشرع لا يحرمه، بل تغتفر المفاسد الجزئية في جانب المصالح الكلية، وإن رجحت مفسدته على مصلحته بأن كانت مفسدته كلية، وإن اشتمل على مصالح جزئية؛ فيستحيل على الشارع إباحته، بل هو محرم قطعًا، وكل ما يلهو به الإنسان من أنواع اللهو فهو باطل وإن لم يحرم جنسه، إذا رجحت مفسدته على مصلحته بأن كانت مفسدته كلية، وإن اشتمل على مصالح جزئية فيستحيل على الشارع إباحته بل هو محرم قطعًا، وكل ما يلهو به الإنسان من أنواع اللهو فهو باطل، وإن لم يحرم جنسه إذا أدى إلى ترك واجب، كالبيع والزراعة ونحوها فهذه وإن كانت أعمالاً مطلوبة ومرغوبًا فيها لكنها تكون محرمة إذا أفضت إلى ما يسخط الله ويغضبه كترك الصلاة في جماعة، أو إلى أن يخرج وقتها، وما لم يكن فيه مصلحة راجحة فهو أيضًا ممنوع، لأنه يكون سببًا للشر والفساد، فأين هذا من آلة التليفزيون مع قطع النظر عما يعرض على شاشته من الخلاعة والدعارة وتربية الأطفال على الرقص والمجون، فإنه مشغل للوقت مذهب له بدون فائدة، مؤدٍ إلى ترك الصلاة في جماعة، أو إلى خروج وقتها، فهذا أولى بالتحريم»[2] اهـ.

ثم حمل فضيلته على الغافلين اللاهين عن خطورة التلفاز على الدين، فقال

---

(١) نقله عنهما العلامة عبد الله بن حميد في كتابه «التلفاز وحكمه في الشريعة الإسلامية»، كما في «الأسرة المسلمة» (ص٢٦٩، ٢٧٠).

(٢) السابق.

رحمه الله: «أيها المسلمون ما لي أراكم تتحمسون وتقومون من أجل قليل من حطام الدنيا أو شبر من الأرض يتعدى عليه من بعضكم لبعض، أو من دولة مجاورة، فتزأر الحكومة من أجله، وتقوم وتقعد وتجند كل إمكانياتها حماية لهذا الشبر، ولا أراكم تتحمسون لدينكم ولا تغارون من أجل الشرف والعرض الذي ديست كرامته فأي الشيئين أهم وأقدس، أوامر دينكم والتمسك بتعاليم إسلامكم، أم حطام يسير من الدنيا أو شبر من أرض أحدكم تعدى عليه الآخر؟ نرى منكم في الهَيِّن البسيط الحماس والتفاني، ولا نرى منكم نحو الأهم الخطير إلا التهاون والتواني، تتقون وتخشون عدوًا من العباد، ولا تخشون عدوًا في أنفسكم اسمه الفساد، يقتل النفوس ويستحيي الأجساد، ألا ومنه التليفزيون المعروض على شاشته حفلة خليعة، ومرقص، وتمثيلية، ومسرح، وأغنية غرام التي هي رقية الزنا، وقد شاهد الناس أنه ما عانى الغناء صبي إلا فسد، ولا امرأة إلا وبغت، ولا شاب إلا وإلا...

ألا فانتبهوا أيها المسلمون وناصحوا بعضكم بعضًا ممن امتهن أوامر الإسلام، ونبهوا من خرج على الآداب والاحتشام، وحاربوا هذا الداء الوبيل الذي يفتك ويهتك بالأعراض والأجسام، فلا تُعتبر نفوسٌ ألفت الفاسد فصارت عميًا لا ترى للحق نورًا، ولا تعرف للفضيلة جمالاً، ولا يظهر أمامها الحق جليًا ساطعًا نوره فتراه باطلاً مظلمًا، وتتجلى بين يديها الفضائل فتراها رذائل، فهذه النفوس الدنيئة القذرة هي بالحشرات أشبه، وبالديدان أقرب، يتعذر إقناعها، ويستعصي على الدعاة الناصحين علاجها، فمن العناء معالجة الهرم، ومن التعذيب تهذيب الذئب، لأن أمثال هؤلاء لا يميلون إلى رشد ولا إلى طلب الحقائق والفضائل، وقد تستحسن بعض العقول استعمال هذه الآلة المسماة بالتليفزيون ظنًا منها أنها أداة تثقيف وتعليم، وأداة لنشر الفضائل، ولم تنتبه العقول لخطورتها وما يعرض على شاشتها من الخلاعة والدعارة والمناظر الفاتنة والحفلات المفسدة للبيوتات، والمُخرِّبة للأسر، ولم تعرف قواعد الشريعة الصحيحة، بل كلما تجلى أمامها من زيف مآله إلى الظلمة، وكلمات معسولة بها السم الزعاف تلقته بالقبول والاستسلام، ونسيت ما يعرض على تليفزيونات البلاد الأخرى من الشر والبلاء والفتنة، وأضف إلى ذلك ضياع الوقت الذي هو من ذهب.

أيها المسلمون لا تعتبروا عقولكم وما تستحسن في هذا السبيل، اعتبروا وقيسوا الأشباه بالنظائر، وتريثوا في أموركم حتى تروا الحق واضحًا جليًا فإن العقول البشرية لا تستقل بإدراك المصالح الدنيوية فكيف تستقل بمعرفة المصالح الأخروية؟!! ولا تتمكن العقول وحدها إلى تمييز الخير من الشر، ولا إلى معرفة المعروف من المنكر، وليس في إمكانها أن تقف على حقائق الأمور، ولا أن تدير أمورها وحكمها على نظام تام محكم مستقيم لا خلل فيه ولا جور، فإنها وإن وصلت إلى ما وصلت إليه من المعرفة والإدراك فقد تميل إلى الباطل عن الحق، وتنحرف إلى الفساد عن الصالح، ويخفى عليها وجه المصلحة، ولا تصل إلى الاهتداء لمغزى الأعمال، وكثيرًا ما يبدو لها الشر في لباس الخير فتظنه خيرًا وهو شر محض وبلاء مستطير، فتقع فيه، وكثيرًا ما ظهر لها الخير فتظنه شرًّا لعجزها عن إدراك الحقائق فتقع فيه، ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم» اهـ. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١).

وقال الشيخ عبد الله ناصح علوان رحمه الله تعالى: «ما دام التليفزيون اليوم يرمي في أكثر برامجه إلى هدر الشرف، ويوجه نحو الفساد والإباحية، ويشجع على السفور والاختلاط؛ فإن اقتناءه، والاستماع إلى برامجه، والنظر إلى مشاهده، يعد من أكبر الحرام وأعظم الإثم، وإليكم الدليل على ذلك:

١- أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون في كل زمان ومكان على أن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة: حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسب، وحفظ النفس، وحفظ المال. وقالوا: إن كل ما جاء في الشريعة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وقواعد أصولية تهدف إلى حفظ هذه الكليات الخمس، وباعتبار أن أكثر برامج التليفزيون الحالية من أغانٍ ماجنة، وتمثيليات خليعة، ودعايات مثيرة، وأفلام فاسدة تستهدف هدر الشرف، وضياع العرض، وشيوع الزنا والفاحشة، فإنه يحرم النظر إليها، والاستماع لها للحفاظ على النسب والعرض، وبالتالي: يحرم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة إلى النظر والسماع.

٢- روى مالك وابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار». فهذا الحديث الشريف يُعَدُّ قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قعَّدها الفقهاء، واستنبطها علماء الأصول، لأن عليها مدار الإسلام في أوامره ونواهيه، ولأنها تهدَف إلى تحريم كل ما يضر بالفرد والمجتمع والأخلاق، بلفظ بليغ موجز.

وباعتبار أن التليفزيون في برامجه الحالية يوجه إلى الميوعة والانحلال، ويثير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة، فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ويدخله بيته، حفاظًا على عقيدة الأسرة وأخلاقها، وقطعًا لدابر الأضرار التي تنجم عنه، وتطبيقًا لقاعدة: لا ضرر ولا ضرار.

٣- من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية قاعدة «سد الذرائع»، ومعناها: تحريم المباح لكونه يؤدي إلى المحرَّم. فباعتبار أن النظر إلى برامجه الحالية يؤدي إلى الفساد والتحلل، صار اقتناؤه أو استعماله محرمًا لكونه يئول إلى أسوأ المفاسد وأحط الأخلاق.

٤- إن أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التليفزيون مصحوبة بالمعازف والغناء الخليع والرقص والمجون.

وباعتبار أن الاستماع إلى الموسيقى والمعازف محرم بالنص، لما روى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه ﷺ قال: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحِرَ (الفرج) والحرير والخمر والمعازف». وباعتبار أن الاستماع إلى المغنيات، والنظر إلى الراقصات محرم. وباعتبار أن المجون يترتب على مشاهدته إثارة الغرائز وهياج الشهوات لما يصحبه من مظاهر الفتنة، وتكشف العورات، فهو محرم بالنص الذي يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر بشكل عام، ويأمر المرأة بالستر والحجاب وعدم إظهار التبرُّج والزينة بشكل خاص.

قال الله تعالى في سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إلى آخر الآيتين (النور: ٣٠، ٣١).

وقال في سورة الأحزاب: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وقال في سورة الأحزاب أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩).

فإذا كان السفور وإبداء التبرج وإظهار الزينة محرَّمًا على المرأة، فلأن تظهر مفاتنها، وتكشف عورتها لتُثير غرائز الرجال في رقص أو غناء فهو محرم من باب أولى.

لهذه الاعتبارات كلها كان اقتناء الجهاز التليفزيوني محرَّمًا لما يصاحب هذه البرامج الترفيهية من معازف وموسيقى وغناء ماجن ورقصات فاجرة، وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرمًا كذلك لما لها من خطر في تقويض دعائم التربية والأخلاق...»[١] اهـ.

☆☆☆

---

(١) حكم الإسلام في وسائل الإعلام (ص٦ - ١٢) بتصرف.

أضرار التلفاز

وهذه بعض المقتطفات التي تخص الصغار وبعض الكبار من أضرار التلفاز وأخطاره مجموعة من كتاب «الإجهاز على التلفاز»:

(١) مأدبة الشيطان:

إن التلفاز بحالته الراهنة هو مأدبة الشيطان، وينبوع المعاصي، إنه مقبرة الفضائل، ومزرعة الرذائل، ومائدة إبليس، التي يُتحِف بها ضحاياه، فيعرض عليهم ألوانًا من الفساد والخلاعة والمجون، وأنواعًا من الشبهات والسموم بعد أن يستحوذ منهم على الأسماع بمزاميره وموسيقاه، والأبصار بألوانه الباهرة، والأفئدة فيسحر عقولهم، ويزين لهم ما يضرهم حتى يخيل إليهم أنه أنفع الأشياء لهم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٣، ١٠٤).

(٢) عدو الصحة الجسمية:

إذ إن التلفاز يضر الصحة البدنية من وجوه:

- فالجلوس الطويل أمامه يسبب ركود الدورة الدموية بسبب فقدان النشاط العضلي، وعدم الحركة، فإذا أضفنا إلى ذلك سهولة ازدراد كمية كبيرة من الطعام أثناء الانهماك في المشاهدة، ينتج الترهل والسمنة التي هي بحق «أم الأمراض».

- ومن أضراره: التعود على السهر، وما يترتب عليه من:

- تضييع صلاة الفجر، إما بالتخلف عن الجماعة، أو بقضائها في غير وقتها، أو بأدائها في جماعة دون خشوع بسبب الإعياء الشديد ومغالبة النعاس.

- التقصير في الواجبات الوظيفية بالحضور إلى العمل منهكًا متأخرًا، وإذا كان طالبًا فوَّت المحاضرات الأولى أو جلس على كرسيه كالكرسي.

- قلب نظام الفطرة حيث ينام بالنهار ويسهر بالليل، مما يترتب عليه تضييع وقت حيوي ثمين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبأ: ١٠، ١١).

فالذين يسهرون ينامون بعد صلاة الفجر- إن أدوها في وقتها- ويُحْرَمون بركة

وقتٍ قال فـيه النبي ﷺ: «بورك لأمتي في بكورها»[١] ، ولا يقدرون على المكث في المسـجد إلى طلوع الشـمس لذكر الله، ولا يخـرجون في طلب الرزق مـبكرين في وقت البركة، ولا يسـتطيعون قيام الثلث الأخـير من الليل، ولا يطيقون الاستـيقاظ للتسحر لصيام التطوع.

هذا إذا كان السهر في شيء مبـاح، فكيف إذا كان السهر من أجل الاعتكاف في محراب العجل الفضي لمشاهدة الأفـلام الخليعة واللهو الباطل؟! لا شك أنه إثم على إثم، ووزر على ورز، وسواد في القلـب، وضعف في البدن، ووحـشة في النفس، ومحق في الرزق، وظلمة في الوجه.

- ومنها: مـا يظهر أثناء الفحـوص الطبية للأطفـال المتقدمين للمـدارس إذا كانوا مغرمين بالجلوس الطويل أمـام شاشة التلفاز من انحناء ظهـورهم، وضعف أبصارهم نتيجة استمرار استعمال العين التي لا تتحرك كثيرًا، مع تركيزها على الصورة والحركة في حيِّز صغـير محصور داخل مجال النظر في حجـرة مظلمة ومن موضع قريب مما يسبب إرهاقًا وإجهادًا لأعصاب العينين[٢] .

(٣) الشاشة السرطانية:

إن الضوء الذي يوجهه التلفاز إلى عيوننا إنما توجهه من وراء الشاشة مدافع توليد (أشعـة كاثود) بقـوة ٢٥٠٠٠ فولت في الجـهاز الملون، وبقـوة ١٥٠٠٠ فولت في الجهاز الأبيض والأسـود، وهذه المدافع تطلق تيارات إلكترونية على دقائق فـسفورية على الشـاشة، مما يجـعلها تتـوهج لتبـعث ضوءاً ينطلق مـباشـرة إلى عيونـنا فإلى أجسامنا[٣] .

إن أي كمية من الأشعـة السينية المنبعثة من شاشة التلفاز تعـبتر مصدر خطر على

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عـنه الطبراني في الأوسط، وصححـه الألباني في صـحيح الجامع الصغير (٣/ ١٠).

(٢) انظر: الأسرة المسلمة (ص١٢٠)، وبصمات على ولدي (ص٣٢)، وجسمك والتليفزيون (ص٢٥ - ٦٩).

(٣) الأسرة المسلمة (ص١٢١).

صحــة الإنسان، ويكفي أن الســرطان وهو مرض العــصر الذي حــار فيـه الأطباء، وجهدوا في الكشف عن أسبـابه المحتملة، يكفي أن أصابع الاتهام اليوم تتـجه ناحية عائلة «الشـاشات» التلفزيونية المضـيئة[1] ، والتي تشمل أيضًـا أجهزة الكومبـيوتر، وأجهزة لعب الأطفال التلفزيونية المنزلية.

(٤) السم اللذيذ:

قال الأسـتاذ محمـد علي الضناوي المحامي: «ولقد قـرأت أن العالم الشهـير في التصـوير الإشعاعي الدكتـور «إميل كروب» قـد أكد بمرارة وهو يُحتضَـر في إحدى مستشفيات شيكاغو بأمريكا أن أجهزة التليفزيون في البيوت هي عبارة عن عدو لدود وأخطبوط سـرطاني خطير يمتد إلى أجـسام الأطفال، وقد كـان الدكتور نفسـه أحد ضحـايا السرطان الناتج عن إشعـاعات التليفـزيون، وقد أجريت له قـبل وفاته ٩٦ عملية جـراحية لاستـئصال الدرنات السرطانية دون جـدوى إذ إنه وصل إلى النهاية المؤلمة بعد أن استؤصل قسم كبير من وجهه، وبُترت ذراعه.

وأضاف الدكتور «كروب» قبل موته: «إن شركات التليفزيون تكذب وتخدع الناس عندما تزعم أن هناك حـدًا أدنى للطاقة الإشـعاعية لا تـضر ولا تزود بها أجهـزتها، فالعلم يقـول بعد التجارب العـديدة: إن أية كميـة من الإشعاع مضـرة بالجسم على درجات متفاوتة وذلك حسب نسبة التعرض والجلوس أمام التليفزيون».

وأيَّد كل من د. هاسل، ود. لامب أقوال د. كروب الذي يعاني آلام الاحتضار، ولذا طالبت مجلة «الاقتصاد» التي نقلت هذه المعلومات، والتي تصدر في بيروت في نهاية مقترحاتها أن على كل أب وكل أم أن يتناول مطرقة ضخمة، ويحطموا بها كل ما لديهم من أجهزة تليفزيونية»[2] .

---

(١) وقد قام د. جون أوت وهو اخـتصاصي في التصوير البطيء، بدراسة شهـيرة حيث وضع إحدى النباتات أمام شـاشة تليفزيون ملون، فنمت بشكل مـشوه بالغ الضخامة، وفي تجـربة مماثلة على الفئران أصيـبت هذه الفئران ببـؤر سرطانية بسبب تـعرضها للأشـعة المنبعـثة من التليفـزيون! اهـ. من السابق (ص١٢٢).

(٢) نقله الأستاذ مروان كجك (ص٢٧٢، ٢٧٣) عن التلفاز وحكمه في الشـريعة الإسلامية، للعلامة عبد الله بن حميد رحمه الله.

(٥) مشوه الأجنة:

وجّهت صحيفة «الأهرام»[1] تحذيرًا للأمهات الحوامل من الجلوس طويلاً أمام التليفزيون كيلا يصاب الجنين بإشعاعاته فقالت: «أكدت نتائج بحث علمي مصري أن تعرض الأم الحامل لمصادر الإشعاع الشديد الموجودة حولنا في كل مكان ينتج عنه تشوهات في الأجنة قد تتسبب في موت الجنين قبل أو بعد الولادة»[2].

ويقول الدكتور محمد منصور رئيس وحدة بحوث المناعة والطفيليات بالمركز القومي لتكنولوجيا الإشعاع: «من المعروف أن التعرض للإشعاع قد يسبب تغيرات في جلد وأعضاء الجسم المختلفة لدى الإنسان والحيوان على حدٍّ سواء، كما يسبب الإصابة بالأورام السرطانية واحتمالات التقليل من الخصوبة في الذكور والإناث، إلى جانب تغييرات في الصفات الوراثية في الأجيال القادمة، وإحداث تشوهات خلقية في الأجنة أثناء فترات الحمل المختلفة».

وبناءً على هذا ينصح الدكتور محمد منصور السيدات الحوامل وكذلك الأطفال بعدم الجلوس لفترات طويلة أمام أجهزة التليفزيون الملون الموجود حاليًا في معظم البيوت المصرية إذ به مصدر للإشعاع القاتل للجنين، كما أنه يؤدي إلى ضعف الإبصار عند الأطفال إضافة إلى تأثيره على عدسة زجاجة النظارة الطبية وبالتالي على درجة ملاءمتها لقوة العين»[3] اهـ.

(٦) عدو الصحة النفسية:

يتسلم التلفاز «ضحاياه» منذ الطفولة الباكرة، ويأخذ بأيديهم إلى خريف العمر، فهو إذن يؤثر في التكوين النفسي لأهم شريحتين في الأمة: الأطفال: مستقبل الأمة، والشباب: حاضرها وعُدَّتها. وماذا يبقى للأمة إذا تشرب أبناؤها الآفات الفكرية والعاهات النفسية، والقيم الهابطة «من المهد إلى اللحد»؟!

---

(١) بتاريخ (١٧/ ٢/ ١٩٨٤م) كما في الأسرة المسلمة (ص١٢٦).

(٢) ولهذا أصدرت وزارة العدل في كندا قانونًا بإعفاء النساء الحوامل من العمل في أقسام الكمبيوتر، ونقلهن إلى وظائف أخرى طوال فترة الحمل، انظر: الأسرة المسلمة (ص١٢٤).

(٣) السابق (ص١٢٤ - ١٢٦).

وفيما يلي تفصيل آثار التلفاز على الصحة النفسية:

(٧) معلم النيام وأستاذ السلبية:

تكاد الدراسات العلمية التي أجريت لدراسة آثار التلفاز على الصحة النفسية تكاد تجمع على أنه يدرب مشاهَديه على الكسل الذهني الذي يصاحب الاسترخاء الجسدي، وأنه يُشيع فيهم روح السلبية، ويجعل منهم إمَّعات يميلون مع الريح حيث مالت، وأنه ينفث في روعهم روح «اللامسئولية» والاستسلام والانهزامية، ويصرفهم عن معالي الأمور، ويشغلهم عن الأهداف السامية، ويزيد رقعة الخواء الفكري في نفوسهم.

بيان ذلك: أن عملية المشاهدة نفسها سلوك سلبي استقبالي تلقيني، فالناس يجتمعون حوله ساكتين بلا حراك، في جو من الدفء والثبات واليُسْر، أبصارهم وأسماعهم موقوفة عليه متعلقة به، مستسلمون لكل ما يُصبُّ في عقولهم، ويتقبلون ما يُلَقَّنونه بلا نقاش، وبلا أي تفاعل إيجابي من طرفهم، فهي عملية عطاء ثابت دائم من طرف، يقابلها في الطرف الآخر استقبال سلبي كامل، وفي غياب النقاش الفوري، تتخمر الأفكار في الأذهان، .وينشأ الأثر التراكمي، أضف إلى ذلك دور الخيال الذي قد يعود بالكبار إلى الحنين إلى الطفولة، ليصيروا أطفالاً راقدين في حجور أمهاتهم، وهم أشبه شيء بالطفل الصغير الذي يُطعَم بالملعقة، وهو مسيطر عليه مستغرق فيما يشاهد، منغمسًا فيه، مستغربًا منه»[١] .

أما الأطفال «الحقيقيون» فمع صغر سنهم، والطاقة العظيمة الكامنة فيهم، فإنهم أيضًا يتعودون على السلبية والتلقي دونما مشاركة حقيقية في الأحداث.

ومن أخطاره النفسية أنه قد يولد الغلظة في المشاعر، والبلادة في الحس، عن طريق متابعة المسلسلات البوليسية، ومشاهد العنف والمغامرات بما فيها من قتل وتمزيق ودماء، وحرائق وهلاك، مما ينعكس على نفسية الأطفال خصوصًا بآثاره السيئة[٢] .

---

(١) انظر: الأسرة المسلمة (ص١١٣، ١١٤).

(٢) انظر: بصمات على ولدي (ص٢٣، ٢٤).

(٨) غول القرن العشرين:

إن الصغار يؤمنون بما يرونه، ويتأثرون بقصص الخيال والخرافات ومشاهد الرعب والعنف، مما ينعكس على اتزانهم النفسي.

وإذا كان الأطفال قديمًا يُخَوَّفون «بالغولة» وما شاكلها ويقعون أسرى الخوف والهلع، فإن في التليفزيون من البرامج والأفلام ما يفوق حديث الغولة، لأن الغولة التي كانت تعيش في خيال الأجيال الماضية، صارت في هذا الجيل المنكوب بالتلفاز متحركة أمامه على الشاشة صائحة مائجة، تقتحم صورتها عزلتهم، وترافقهم إذا أووا إلى فراشهم، وتقض مضاجعهم بالرعب والخوف والظلام، مما يظهر في القلق، والنوم المتقطع، والأحلام المخيفة، والكوابيس المفزعة، والتبول اللاإرادي.

إن الطفل- وإن بدا بعد انقضاء المشاهدة ساكنًا هادئًا- إلا أن المشاهد المرعبة تترسب في أعماق نفسه، وتستقر في «اللاوعي»، وتبقى مستعدة لأن تطفو على السطح عند أول أمر بالاستدعاء، ولا شك أن هذا يترك بصماته في تكوين شخصيته.

تحدثت طفلة عن مسلكها إزاء مشاهد العنف والذعر، وكيف تتصرف ساعتها، فقالت: «إنني أغمض عيني، وأترك فتحة صغيرة»[١].

(٩) غاسل المخ:

ما أشبه تلك الغرف المظلمة التي يحبس المشاهدون فيها أنفسهم ليُسْلِموا عقولهم، ويَقِفُوا قلوبهم على شاشة العجل الفضي المتلألئة، ما أشبهها بمعسكرات الاعتقال التي يجري فيها أخطر عمليات «غسيل المخ»!

وقد يبدو للمشاهد بادي الرأي- من خلال التناقض الظاهر بين برامج التلفاز- أن الجهاز يمضي إلى غير هدف، أو ربما كان هدفه مقصورًا على التسلية والتثقيف، ولكن الحقيقة أن الجهاز يمضي- طبقًا لخطط مرسومة ومدروسة مسبقًا- في اتجاه هدف نهائي هو توجيه المشاهد وجهة معينة، وانتزاع قناعات وأفكار معينة، وزرع

---

(١) انظر: الأسرة المسلمة (ص١٨٧، ١٨٨)، وبصمات على ولدي (ص٢٤).

مبادئ جديدة يعتنقـها الأشخاص المستهدفون، والحقيـقة أيضًا أن كل برامجه- على الرغم من تنوعها وتفرعها وتناقضها الظاهري- تصب في مجرى واحد، وتتلاحم في جهد مشترك لتحقيق هذا الهدف.

إن «غسيل المخ» أو «إعادة تعليم الشخص» أو «تنظيف العقل» أو «الإصلاح الفكري» أو «التربية الفكرية» كلها مسميات لعملية واحدة، تهدف إلى إحداث تغييرات جذرية في عقائد الناس ومواقفهم من خلال صياغة التوجهات الروحية أو العقلية أو الاجتماعية.

لقد شاع إجراء عملية «غسيل المخ» في معسكرات الاعتقال مع أسرى الحرب، والجواسيس، والمتهمين، بقصد انتزاع اعترافات منهم، وتمتاز هذه الوسيلة بأنها لا تعتمد على العنف أو الإيذاء البدني، وإنما على أساليب إقناع معينة كقلب الحقائق، والإلحاح عليها وتكرارها، والتماس من يشهد زورًا وبهتانًا على صدقها، أو تزييف سند من التاريخ باستنطاقه ما لم يقله أو يُحَدِّث به، كل هذه الأساليب وغيرها تستخدم لتغيير اتجاهات الأفراد وقيمهم وعقائدهم وآرائهم وسلوكهم»[(١)] اهـ.

ويمتلك التلفاز خصائص متميزة تؤهله لأن يكون «معسكر اعتقال» مثاليًّا، يتم خلاله غسل مخ العاكفين أمامه بصورة جماعية مذهلة:

- فالمعلومات التي تبث يصحبها أسلوب منمق، وصورة جذابة، وطريقة عرض شيقة ومبسطة، مع قدرته على تحريك المشاعر، واستثارة العواطف، الأمر الذي يجعل المشاهد مندمجًا بالكلية مع ما يراه.

- كما أن تسخير التقنية الحديثة في عملية التصوير، بالحركة الانتقالية المستمرة التي لا تدع فرصة للملل، مع تتابع الأحداث، وسرعة المشاهد، والإيحاءات السمعية والبصرية الضاغطة بإلحاح على نفس المُشاهِد وعقله... كل ذلك يصيبه بالارتباك حيالها، ويشل عقله النافذ، ولا يترك له فرصة لالتقاط نَفَسه أو إعمال فكره فيما يُلَقَّنه، ويصبح بذلك كالخاضع للتنويم المغناطيسي[(٢)].

---

(١) الأسرة المسلمة (ص٤٤، ٤٥) بتصرف.

(٢) انظر: أربع مناقشات لإلغاء التليفزيون (ص٢٠٣).

قال جيري ماندر: «لقد أخذ التليفزيون- وبطرق عديدة- يجعل من الانقلابات العسكرية، والاعتقالات الجماعية في مخيلتي أمرًا لا يستحق الاهتمام»[1] .

إن التلفاز جهاز «ديكتاتوري مستبد» يعتمد سياسة ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩). فأعماله الفنية المصنوعة لا تحاور، ولا تناقش، بل تحكم، وتصادر، خاصة حين تعزف على وتر المشاعر، وتعتمد على عنصر العاطفة.

(١٠) الوالد الثالث:

أمر الله تعالى الآباء بتربية الأبناء، وجعلها أمانة في أعناقهم، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦).

وقال رسول الله ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم، وهو مسئول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولدها، وهي مسئولة عنهم...**»[2] الحديث.

وقال ﷺ[3]: «**إن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيَّعه؟ حتى يسألَ الرجل عن أهل بيته**». وقال ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة**»[4] .

والتربية عملية متواصلة السير بدءًا من الطفولة وحتى اللحظات السابقة للموت، فما دام الإنسان متمتعًا بالوعي فإنه يظل قادرًا على التفاعل مع الوسط المحيط به مما يشاهد أو يسمع أو يقرأ أو يحس[5] .

---

(١) السابق (ص٢٩).

(٢) رواه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (١٣/ ١٠٠)، ومسلم رقم (١٨٢٩)، والبغوي في شرح السنة رقم (٢٤٦٩).

(٣) رواه من حديث أنس رضي الله عنه ابن حبان رقم (١٥٦٢)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٨١)، وصححه الحافظ في الفتح (١٣/ ١١٣).

(٤) رواه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه البخاري (١٣/ ١١٢)، ومسلم (١٤٢)، والإمام أحمد (٥/ ٢٥ - ٢٧).

(٥) الأسرة المسلمة (ص٨٨، ٨٩).

ويذكر الباحثون في التربيــة أن «تسعين بالمائة من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى»(١) اهـ.

إذا علمنا هذا بان لنا خطر التهـاون في تربية الأطفال، وضرر إخضاعـهم للتربية التليفـزيونية المدمـرة، وتأكد لدينا أن الدفع أسـهل من الرفع، وأن الوقاية خـير من العلاج، لأن فيها حماية للأجيـال الناشئة التي تمسك بزمامها اليوم، وسوف يمسكون بزمامنا غدًا، ويحسنون إلينا بقدر ما نحسن إليهم.

وينشـــأ ناشئ الفــتــيــان فــينا ★ علــى مـــا كـــان عـــوَّده أبوه
ومـــا دان الــفــتى بــحــجًى ولـكن ★ يُعَــــوِّده التــــدينَ أقـــــربوه

ونظرة إلى واقــعنا تبـرز لنا أن معـظم أبناء المسلمين قـد أثر التلفـاز في تكوينهم الشخصي والنفسي، حـتى ظهرت عليهم ملامح «التربية التليفـزيونية» وصارت جزءًا من كيانهم.

إن الطفل عاجز عن أن يقوم بدور الرقابة على نفسه، وحماية هذا الطفل مما يضره في دينه ودنياه هي مسئولية الراعي الذي يرعاه.

كمـا أن الأطفال ليسـوا هم الذين يجلبون الجـهاز إلى البيت لـعدم استطاعـتهم المادية، كما أنهم بالضرورة ليسوا هم الذين ينتجون البرامج والأفلام.

وكل هذه الحقائق تجسد مسئـولية الآباء والمربين الذين يبسطون ما لا يمكن تبسيطه حين لا يكترثون بخطر «الوالد الثالث» الذي ينتزع منهم قسرًا زمام التربية والتوجيه، ولا يتـدبرون قوله تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ الآية (التحريم: ٦).

★★★

---

(١) مسئولية الأب المسلم (ص٨١).

الجيل التليفزيوني المنكوب

كتب أستاذ التاريخ «شاكر مصطفى» عن «الجيل التليفزيوني المنكوب»: «أبناؤنا هم أبناء وسائل الإعلام التي افترست الأسرة لدينا افتراسًا، ودمَّرت كل مفاهيمها وآدابها.

الإذاعات: التي تبث مئات الساعات في اليوم.

السينما: التي تفتح الأعين كلما أتى لون من الحياة جديد.

المجلات: بالأطنان، وعلى الأرصفة بما تحدث وتصور.

وفوق هذا وذاك: ذلك الجهاز الشيطاني الذي تصدَّر كل بيت، ويربي الأسرة كلها على هواه . . . التليفزيون.

لقد تسلم دون المدرسة والأسرة زمام المجتمع، وشَرَدَ به، ونريد من جيل التليفزيون أن يكون ما نريد؟»[1] اهـ.

وقال التربويون: «إن الإعلام طبل أجوف، يجمع الأطفال حوله، كما كان يفعل الحواة، والقرداتي، وصندوق الدنيا، ولا يعني رجال الإعلام في شيء أن يستفيد هؤلاء الأطفال، أو لا يستفيدوا، بل ربما عملوا على الانحراف بهم عن جادة الصواب، المهم أن يكونوا جمهورًا لأجهزتهم المدمرة»[2] .

ومع تعقد الحياة، وانشغال الأب بالعمل، وخروج المرأة- إلا من رحم الله- من بيتها، صار الأطفال فريسة للتلفاز، الذي يتسلمهم وهم في طور التكوين عجينة غضة يشكلها كيف يشاء، ويتحكم في مواصفاتها القابعون خلف الشاشة المضيئة، من خلال التربية الموازية التي يربيهم عليها «الوالد الثالث» في مقابلة تربية الأبوين[3] .

أما إذا كان الأبوان ممن لا تخطر لهم التربية على بال، فإن التليفزيون يكون

---

(١) بصمات على ولدي (ص٢٣).

(٢) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ (ص٣٥١).

(٣) انظر: الأهرام (١٠/ ١/ ١٩٨٥م).

«الوالد البديل» الذي يستأثر بزمام التربية والتوجيه. أما إذا كان الأبوان ممن سبق «تلفَزَتُهما» وترويضهما فلا تسل عن الأمانة المضيعة، والفتنة المنتظرة: فهذا أب يُستدعى إلى المدرسة الثانوية ليُبلَّغ سوءَ مسلك ابنته في مخالطة الشباب، فيجيب الأب: «وما شأنكِ؟ اتركيها كَي تتعلم كيف تتعامل مع الرجال»!!

وهذه أم تُهرع إلى المدرسة الابتدائية تشتكي من ظهور بعض أعراض التطرف على ولدها الصغير، ودللت على ذلك بأنه كلما رأى صورة راقصة أو متبرجة في التلفاز أطرق رأسه، وغض طرفه، وراحت ترغي وتزبد وتسأل: من أين جاء ابنها بهذا التطرف؟ فأجابها أحد المسئولين في المدرسة: «لا يمكن أن يكون أي مدرس في المدرسة وراء هذا المسلك، فنحن ملتزمون بمنهج الوزارة»!!

☆☆☆

آثار التلفاز الاجتماعية والسلوكية والنفسية على الأطفال

تقدم ذكر شيء منها، وهاك المزيد:

- يبدأ نفوذ التلفاز على الطفل من سن ثلاث سنوات، ويتزايد بمرور الوقت، وقد يحرم الطفل بذلك في هذا السن المبكر من التجربة الحياتية الفعلية التي تتطور من خلالها قدراته إذا شغل بمتابعة التلفاز، كما «يحرمه من ممارسة اللعب الذي يعتبر ضروريًّا لنموه الجسمي والنفسي، كما يحرم من ممارسة نشاطاته الخاصة الضرورية كالمطالعة، والحوار مع والديه»[1].

- والتلفاز يعطل خيال الطفل، لأنه يستسلم للمناظر والأفكار التي تقدم له، دون أن يشارك فيها، وعليه يغيب حِسُّه النقدي، وتكون قدراته العقلية وحدها هي التي تعمل دون المشاركة بالتفكير، وهو لا يبذل أي جهد في تشكيل ما يراه، فالجهاز هو الفاعل، وهو الناقد، ويقتصر دور الطفل على رؤية ما يُعرض- أو بالأحرى يُفرض- عليه.

إن الثقافة المبعثرة التي يقدمها جهاز التلفاز تقدم الفكر دون أن تدخل إلى النفس،

---

(١) طفلك ليس أنت (ص٦٢)، وانظر: ولدك والتليفزيون (ص٥٧ - ١٠٢).

ويصبح الطفل قادرًا على وصف ما يراه من مناظر وصور، ويتذكر بسهولة الأشكال العامة للمدن والمناظر الطبيعية، وبذلك يخدم التلفاز الذاكرة أكثر من التفكير[١] .

- وبجانب إشغاله النشءَ عما يفيدهم من القراءة والاستذكار، فإنه يستفرغ طاقتهم المتدفقة، ويستهلك قدرتهم الفائقة على الحفظ في حفظ أغاني الإعلانات وترديد شعاراتها، وبالتالي يُحشى ذهنهم بما يزاحم حفظ القرآن الكريم الذي يسَّره الله عز وجل للذكر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧)[٢] .

- يُشبع التلفاز في النشء حب المغامرة، كما ينمي المشاغبة والعدوانية عن طريق محاكاة الممثلين، ويزرع في نفوسهم التمرد على الكبار، والتحرر من القيود الأخلاقية، والسخرية من المدرسين، ويجعل الثقافة والتعليم مادة تثير الضحك والهزء والاستخفاف، فبعد أن توالَى عرض مسرحية «مدرسة المشاغبين»[٣] ، صار التلفاز نفسه «مدرسة المشاغبين».

و«التلفاز يكشف عن السلوك المنحرف عند الأطفال، ويعززه بالأسلوب الذي يستعين به في تنفيذ السلوك السيء، فتتفاقم المشكلات النفسية الموجودة عنده وتصير أسوأ»[٤] اهـ.

- يتسبب التلفاز أو بالأحرى «نوادي الفيديو» في شيوع ظاهرة تسرب تلاميذ المدارس، حتى صارت الفصول أحيانًا شبه خاوية نتيجة غياب التلاميذ، وهذا ناظر إحدى المدارس ذهب إلى صاحب مقهى يرجوه ألاَّ يقدم أفلام الفيديو في الصباح لأن المدرسة خلت تمامًا من التلاميذ!! ولما لم يستجب له صاحب المقهى طلب معاونة البوليس[٥] .

- يعمل التلفاز وتوأمه الخبيث «الفيديو»، ومن بعدهما نافذة الضياع والمجون

---

(١) طفلك ليس أنت (ص٦٢).
(٢) انظر: بصمات على ولدي (ص٣٩).
(٣) انظر: التليفزيون بين الهدم والبناء (ص٤٥).
(٤) طفلك ليس أنت (ص٦٢، ٦٣).
(٥) حقائق عن الفيديو، لحسن علي، مقال نشرته الأهرام بتاريخ (١٣/ ٩/ ١٩٨٤م).

«البث المباشـر» على تنبيه الغـرائز البهيمـية مبكرًا عند الأطفـال، فتستـيقظ الدوافع الجنسية فيهم قـبل النضج الطبيعي، الأمر الذي قد ينتج زللاً خلقيًا، وأضرارًا عقلية ونفسية وجسدية.

كما تساهم «العائلة التليفـزيونية» أيضًا في إثارة الشهوة عند المراهقين الذين تنضج أجسـادهم قبل أن يصلوا إلى مرحلة النضج العـقلي والنفسي، فـإذا ما استعـبدتهم الشهوات أصبحت السيطرة عليهم عند النضج من الصعوبة بمكان.

ونكتفي هنا بذكر هذه الشواهد من الواقع الأليم:

قال الدكتور عبد الله ناصح علوان رحـمه الله: «حدثني من أثق به أنه دخل فجأة إلى غرفة نوم الأولاد فـرأى ابنه وابنته اللذين لم يتجاوزا سن العاشـرة بعد في حالة مريبة، رأى الولد يعانـق أخته ويقبِّلها!! فذهل لهذا المنظر الفـظيع وحار ماذا يعمل؟ ولكن تذكر أن السبب في هذا هو ما رآه من جهـاز التليفزيون قبل قليل من مظاهر الفساد في عَرْض سينمائي متحلِّل، فراح الأولاد يُحاكون ما رأوه في خَلْوَةٍ لا يراهم فيـها أحـد!! ولما اكتـشف الأب هذا أسرع إلى بيع الجـهاز حين رأى فسـاده الظاهر وخطره الكبير، ونعم ما فعل!!

وكم حوادث وقـعت بين الإخوة والأخـوات، والأقرباء والقريبـات من لعنة هذا التليفزيون الآثم الماجن؟»[(١)]

وهذا أحد الآباء الذين يقتنون جهاز فيديو وقـد عاد إلى البيت متأخرًا في المساء، فوجد أولاده جميعًا يشاهدون فيلمًا إباحيًا، فثار وحطم الجهاز[(٢)].

- ويغري التلفاز وتوابعه النشءَ بالتـدخين والخمر والإدمان، ويلقنهم فنون الغزل والغـرام عن طريـق «الأنموذج» الذي يقـدم لهم على أنه «بـطل» دون أن يقـدح في بطولته كونه مدخنًا أو سكيرًا أو عربيدًا.

- فهـذا أب يدخل على صَـبِيَّـيْهِ الصـغيـرين وقد رفـعا كـأسين ملآهمـا بالماء،

---

(١) حكم الإسلام في وسـائل الإعلام (ص١٦)، وفي استحسـان المؤلف رحمه الله بيع الجـهاز نظر، انظر (ص١٨٧) من هذا الكتاب.

(٢) الأهرام (١٣/ ٩/ ١٩٨٤م) مقالة: حقائق عن الفيديو، لحسن علي.

يخبطانهما ببعضهما وهما يقولان: «في صحتك»!

وهذا مدرس يفاجأ بتلاميذه بالمدرسة الابتدائية، وقد طحنوا الطباشير، ووضعوه في موضع معين في جوانب أكفهم ليشموه، تمامًا كما يفعل المدمنون أمامهم على شاشة التلفاز.

وما أكثر الحوادث التي اصطنعها أطفال، لم تبتكرها عقولهم البريئة، ولكنهم استوحوا أفكارها من الفيديو والتلفاز.

وللتلفاز دور خطير في إفساد اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وتدعيم العُجْمة، وإشاعة اللحن[١] والعبارات التافهة والسطحية، والمعاني الغثة، والعامية الركيكة، بل السوقية الهابطة التي يتداولها الممثلون في أبشع صورها، وأحط عباراتها، مما يساهم في تدني الذوق العام للصغار والكبار على حدٍّ سواء.

☆☆☆

التلفاز يقلب القيم رأسًا على عقب

يقوم التلفاز على إرضاء أهواء الجماهير، والاهتمام بالتفاهات، وتكوين أجيال لا ترى في الحياة إلا هزلاً ورقصًا ومتعة، وانصرافًا عن التبعات الجسام التي تواجه الأمة المسلمة.

ومن خلال الشاشة الفضية أو الملونة تنتقل الملاهي الليلية ودور الخيالة والشواطئ وأوكار المخدرات وغيرها من أماكن الفساد إلى داخل البيوت لتجوس خلال ديار المسلمين، وهو في عامة برامجه «يمجد المشاهير من النجوم في عالم السينما والمسرح والرقص والملاهي الليلية، وهكذا يرسخ في ذهن الأجيال أن الراقصات والفنانات والممثلات ونجوم الكرة أهم بكثير من العلماء والشيوخ والدعاة والمهندسين والمعلمين والأطباء، ويكفي أن مظاهر الحِداد في التلفاز على موت فنان أو فنانة أضخم بكثير من مظاهره على وفاة عالم أو إمام أو شيخ أو فاضل!»[٢].

---

(١) وقد قالت إحدى المذيعات يومًا: «تلا عليكم... ما تيسر من سورة «البَأرة» مكان «البقرة»، ولا زالت عبارة «أعداء النادي الدولي» التي نطقتها إحداهن مكان «أعضاء» مثار سخرية وتهكم.

(٢) انظر: الإعلام الإذاعي والتليفزيوني (ص٢٣٨).

المثل الأعلى في نظر الجيل التليفزيوني المنكوب:

هذه إحدى الأمهات تشتكي بمرارة قائلة: «تسألني صغيرتي عن الممثلة «الفلانية»: هل سيدخلها الله النار أم الجنة؟ إن قلت: «إلى الجنة»؛ فستصبح قدوة، وإن قلت: «إلى النار»؛ فستقول صغيرَتي: «ولكنها جميلة ومحبوبة...»، وإن قلت: «لا أعرف»؛ سأترك صغيرتي في حيرة»[1] .

وهذه طفلة تُسأل عن أملها في مستقبلها فتجيب: «أتمنى أن أكون مثل المغنية فلانة». وهذا أب يصرخ من زوجته، وهي متعلمة عاملة، مغرمة بالفرجة على الأفلام الّتي تروي تاريخ حياة الراقصات والتي تكون بطلتها «معلمة» في قهوة بلدي، وتشجع طفلتها وهي في العاشرة من عمرها على الفرجة، والنتيجة أن الطفلة أصبحت تحاول إجادة الرقص البلدي أمام المرآة، وفي أوقات فراغها لا تلعب «بالعروسة» وإنما تأتي بكوب وخرطوم، وتجعل منه «شيشة» وتطلب من زميلاتها أن ينادينها بصوت أجش: «يا معلمة»! وقال صاحب الرسالة أيضًا: إن زوجته مبسوطة من الطفلة، وتقول إنها موهوبة في التمثيل!»[2] .

وقال الأستاذ محمد عبد الله السمان مشيرًا إلى حلقة تليفزيونية استضيف فيها بعض طلبة مدرسة معروفة للمتفوقين: «وكان المتوقع أن تكون الحلقة إلى آخر دقيقة فيها من الحلقات الجادة التي يتلقى منها سائر الطلبة دروسًا في التفوق، ولكن مقدم البرنامج سأل الطلبة واحدًا واحدًا عن مثله الأعلى في الحياة، وكانت الإجابات مذهلة..فالمثل الأعلى لدى الطلبة المتفوقين هم على الترتيب- ولست أدري أهو ترتيب تصاعدي أم تنازلي-: عبد الحليم حافظ، بليغ حمدي، نزار قباني، محمد عبد الوهاب، أنيس منصور»!! وقلت تعقيبًا على هذه الإجابات: لم أكن أنتظر من هؤلاء الطلبة المتفوقين أن يقولوا: إن مثلنا الأعلى أبو بكر أو عمر أو علي أو خالد ابن الوليد، بل كنت أتوقع أن يقول واحد منهم: إن مثلي الأعلى هو أبي»[3] اهـ.

---

(1) بصمات على ولدي (ص٣٥).

(2) الأسرة المسلمة (ص١٦٧).

(3) التليفزيون بين الهدم والبناء (ص٥٠، ٥١) نقلاً عن العقيدة والقوة.

ومن خلال التناقضات الصارخة بين برامج التلفاز تتهاوى القيم، وتهتز المثل، وتنهار القدوة؛ فهذا برنامج يحذر من التدخين، ويعقبه مسلسل أو فيلم يفزع «أبطاله» إلى التدخين بين ساعة وأخرى، وهذه حملة على الإدمان، يعقبها فيلم من داخل أوكار الإدمان يعرض بصورة مغرية لمزايا الإدمان، وكيفية تعاطيه.

وهذا برنامج يحث على الصدق، يعقبه إعلان عن طفل يعطيه شقيقه زجاجة مياه غازية ليحتفظ بها، ويحذره من شربها، فما أن يستدير الأخ حتى يشربها الطفل الصغير، وعندما يعدو أخوه ليسأله يجيبه ببساطة: «إنها تبخرت»!!

وهذا برنامج ديني يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن السلوك، يعقبه برنامج آخر في المحطة ذاتها، يريك ما يسمونه «فن الباليه»، ويحض عليه، بل لا يتوانى مقدم هذا البرنامج الراقص عن شرح فوائد هذا الرقص وآثاره في النفس والجسم، مما يفوق تلك الفوائد التي أشار إليها مقدم البرنامج الديني! بل لا يتورع هذا الحصيف الرهيف عن استحضار أطفال وطفلات لم يجر بعد عليهم القلم يبرهنون للمشاهدين أن مدربهم الحاذق الماهر جعل منهم رايات خفاقة لوطن ظل محرومًا زمنًا طويلاً من البطولة، منذ أن أحرق طارق بن زياد سفائنه على مرأى من تراب الأندلس» اهـ[1].

(١١) ماسخ الفطرة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

وقال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يُمَجِّسانه كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء...» الحديث[2].

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته مخبرًا عن الله تعالى في الحديث القدسي أنه قال عز وجل: «...وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما

---

(١) الأسرة المسلمة (ص٤٤)، ومن العجيب قول بعض الصحافيين في حملتهم ضد الحجاب: إن بعض المدرسين يغتالون براءة الطفلات بدعوتهن إلى الحجاب!.

(٢) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٣/ ١٩٦)، ومسلم (٢٦٥٩).

أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا...» الحديث[١] .

وهذا مصداق قول الله تعالى في شأن إبليس: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ الآية (النساء: ١١٨، ١١٩).

إن التوحيد الفطري نور أودعه الله في نفس كل طفل من بني آدم، وبذرة مغروسة في قلبه، إذا تعهدناها بالرعاية والسقاء نمت، وترعرعت، وآتت أكلها، وإذا أُهملت أو وُضِعت في غير بيئتها ضعفت أو تلفت.

قال الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نُقِش، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه ، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكلُّ معلِّم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له»[٢] اهـ.

لقد كان من الواجب أن يتكاتف الإعلام مع الأسرة والمدرسة من أجل تنمية وترسيخ وتدعيم التوحيد الفطري المغروس في قلوب الأطفال، بأن يُسَلَّط على هذا النور الفطري نور الوحيين الشريفين في القرآن الكريم والسنة المطهرة فيكون نورًا على نور، وهذا يستتبع تقديم تفسيرات للكون والحياة ولوجود الإنسان ولجميع التغيرات الطبيعية، والأحداث الكونية بإرجاعها جميعًا إلى الفاعلية الإلهية، وخَلْق الله عز وجل كل شيء، كذلك كان من الواجب العودة بكل النعم والخيرات التي يَنْعَم بها الإنسانُ إلى محض فضل الله عز وجل وعطائه، والتذكير بواجب شكر واهب هذه النعم بالاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة مُسديها ومُعطيها والمُتفضِّل بها سبحانه وتعالى.

لكن التلفاز- مع كونه أقوى جهاز إعلامي- خان هذه الأمانة، وأبى إلا أن يمسخ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٦٥).

(٢) نقلها عنه في منهج التربية النبوية للطفل (ص٢٥).

الفطرة السوية ويشتتها، وينحرف بها بعيدًا عن نور الفطرة ونور الوحي، فما أكثر البرامج التي تعرض تصورًا وثنيًا للألوهية شكلاً ومضمونًا، بصورة تجرح التوحيد الفطري[١] عند البراعم الغافلة عما يراد بها، فالأفلام تتحدث عن كون كبير غير محكوم بالقدرة الإلهية، أو محكوم بقوى شريرة وأخرى خيِّرة، يتصارعان، مع تجاهل القدرة الإلهية المدبرة لكل شيء في هذا الكون[٢] .

ومن أمثلة ذلك: فيلم عُرض عن الفضاء يتحدث عن عقل في مركز الكون يُعزى إليه تنظيم الكون[٣] .

وما أسرع ما ينعكس أثر هذه البرامج بالتشويش على عقيدة الطفل وفطرته، وقد روى أحد التربويين أن أحد الأطفال سأل والده هذا السؤال: الله أكبر أم جراندايزر؟[٤] .

وسئل بعض الأطفال يومًا عن شخصية تاريخية مثالاً للبطولة والشجاعة، فأجاب أحدهم: إنه جراندايزر![٥] ، ويشيع في البرامج محاولة تفسير الكوارث الطبيعية

---

(١) «عُرض أكثر من مرة مسلسل كرتوني بعنوان (God Zella) أي (الإله زيلا) يدور مضمون القصة حول أسرة تجوب البحار والمحيطات، ثم تعترضها وحوش خرافية تهدد هذه الأسرة، فلا ينقذها إلا (الإله زيلا) المزعوم، الذي تستدعيه الأسرة البشرية بجهاز إلكتروني فيجيب في الحال، وينقذ الجماعة البشرية من الوحوش المعترضة بالصراع معها، ثم بهزيمتها، ولهذا الإله المزعوم ابن يصاحب الجماعة البشرية يدعوه فيجيب، وهي صورة مصغرة لاعتقاد النصارى في الأب والابن، ولاشك أن هذا تصور وثني للألوهية عنوانًا وشكلاً وموضوعًا. . .» اهـ. من «سموم على الهواء» (ص٢٣). وفي حلقة رسوم متحركة تُدعى «مغامرات نوال» تكرر ظهور أحد القساوسة وقد لجأ إلى الاحتماء بالصليب عندما داهمته مجموعة من القتلة واللصوص، وتكرر أيضًا مشهد حصول الأمن وتحقق الفرج وزوال الخوف بسبب اللجوء إلى الصليب - في زعمهم عياذًا بالله من الشرك- انظر: السابق (ص٣٤، ٣٥).

(٢) وهذه انتكاسة إلى مذهب الديصانية التي اعتقدت بإلهين «النوَر والظلمة»، وتبعهم المانوية والمزدكية والثنوية.

(٣) وهذا كفر صراح، وانتكاسة إلى مذهب الرواقية اليوناني الذي يفسر تدبير كل شيء في الكون بالـ«Logos» أو «العقلي الكلي».

(٤) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ (ص٣٠٤).

(٥) بصمات على ولدي (ص٣٠).

تفسيرًا ماديًا دون ربطها بقدر الله عز وجل الذي ينزلها بعباده جزاءً وفاقًا على أعمالهم.

تعريب.. أم تغريب؟!

ومن مثالب «ماسخ الفطرة» أنه يستورد برامج أجنبية للأطفال، يتم تعريبها وتقديمها، مع أن تعريبها إنما يمثل تغيير اللغة فحسب، فتصبح عربية اللسان، غربية القلب، فالمحتوى المصادم لديننا وقيمنا ومفاهيمنا ثابت يتسرب إلى عقول الأطفال الأغرار، ويفسد نقاء فطرتهم(1).

ويقوم عنصر التشويق في برامج الأطفال على الصراع بين الحيوانات، أو الكائنات الخرافية، أو بين بني آدم، وفي الحالة الأخيرة قد يدور الصراع حول أي هدف، ولو كان دنيئًا أو تافهًا كالصراع على المحبوبة، لكن لا يمكن أن يدور حول إعزاز دين الحق أو الجهاد في سبيل الله عز وجل، فهذا يعرض فقط من خلال منظور ذكريات التاريخ القديم المنقطعة تمامًا عن الحاضر مع نوع تشويه لها كذلك.

ومن مثالب «ماسخ الفطرة» أنه قد يعرض على شاشته أعمالاً مقززة وشاذة تزعج الفطرة السوية يقف من ورائها الجرحى نفسيًا والمشوَّهون خلقيًا وسلوكيًا، مثل ذلك الفيلم السينمائي الذي يحكي قصة رجل يحب امرأة، ولشدة حبه إياها يقوم بقتلها، وتقطيع جثتها، والاحتفاظ بها في ثلاجة المنزل، ثم يتناول أجزاءها في طعامه على فترات...!!!

ومع كل هذه المخاطر على عقيدة أبنائنا، فلا يزال فينا من يتعامل معها بعفوية وسذاجة زاعمًا أنها مجرد «برامج أطفال»!

وهذه بعض الأضرار- كما في مسئولية الأب المسلم-:

١- مغايرة معظم برامج التليفزيون لروح الإسلام وعقيدته.

٢- إثارة الشهوة الجنسية عند الأطفال، والإغراء بالفاحشة والجريمة.

٣- يفسد التليفزيون والسينما التربية التي تقدمها الأسرة الصالحة والمدرسة الجادة

---

(1) انظر: السابق (ص٧٤).

للأطفال، وذلك لأن للقدوات التليفزيونية نفس الفاعلية والتأثير في نقل السلوك المنحرف وأنماطه.

٤- بث الغناء الخليع الماجن، والموسيقى المحرمة في جميع ما يعرض تقريبًا.

٥ إعطاء الأطفال صورة خاطئة عن حياة البالغين، وتسهيل تنفيذ عمليات القتل والسطو والاغتصاب.

خلو معظم برامج التليفزيون المنتشرة من الأهداف التربوية الإسلامية.

تُغفل أفلام الكرتون الأجنبية قدرة الله في الكون، وحقيقة الصراع بين الحق والباطل، مع صرف انتباه الطفل عن عدوه الحقيقي وهو الشيطان إلى أعداء وهميين.

معظم أفلام الكرتون والمتعلقة منها بالفضاء- بصفة خاصة- تتحدث عن معتقدات وعقائد وثنية.

يتأثر الأطفال بما يقدمه التليفزيون من مسلسلات وأفلام تبرز جانب العنف، وقد وُجد أن أكثر البرامج عنفًا هي أفلام الكرتون.

١- تُظهر روايات وقصص أفلام الكرتون احتقار الملونين من الناس، مع التركيز على إبراز الرجل الأبيض وتمجيده.

١١- أثبتت نتائج أحد البحوث أن وجود التليفزيون في البيت يثير الاهتمام بوسائل الإعلام الأخرى كالمسرح والسنيما.

١٢- يتأثر الأطفال بما يسمعونه من عبارات وكلمات نابية، وشتائم، ولغة عامية، عن طريق المسلسلات والبرامج التليفزيونية، حيث يقومون بترديد هذه الكلمات والعبارات.

١٣- يُسبب وجود التليفزيون في البيت تأخير موعد نوَم الأطفال في المساء.

١٤- يزيد التليفزيون من النزعة السلبية عند المشاهد؛ إذ يتقبل ما يعرضه هذا الجهاز دون أن يكون له نشاط مردود تجاه ما يشاهده ويسمعه.

١٥- تسبب بعض المسلسلات والروايات التليفزيونية أحلامًا مفزعة للطفل.

١٦- يعطل التليفزيون أفراد الأسرة عن التسامر وتبادل الحديث، إلى جانب

استغلاله لمعظم وقت الفراغ، فلا تُمارس الهوايات، ولا يُهتم بالقراءة والاطلاع.

١٧- يمكن أن يكون التليفزيون سببًا في تشجيع الأولاد على تعاطي المخدرات، وذلك بسبب ما تبثه بعض المسلسلات والأفلام من تمجيد لمتعاطي المخدرات.

ويضاف إلى ما تقدم من الأضرار ما تتضمنه بعض المواد الإعلامية من أفكار منحرفة،. فإن كثيرًا من البرامج التليفزيونية تتضمن أفكارًا وآراء مخالفة لمفاهيم الدين الإسلامي، حيث تُستغل بعض المسلسلات والأفلام والمسرحيات في نشر وبث هذه الأفكار وترويجها باسم الفن، خاصة إن كان كتَّاب هذه الروايات والبرامج التمثيلية من النصارى، أو من بعض المسلمين المأجورين، ومن هذه الأفكار التي يروج لها الإعلام قضية فصل الدين عن حياة الناس وعن الدولة، وجعله قضية شخصية، أو الدعوة إلى التآخي بين المسلمين والنصارى، أو المناداة بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل في جميع الشئون، أو مقت مشروعية تعدد الزوجات، وقذف المعددين بالجريمة والظلم، وغير ذلك من الآراء والاتجاهات المخالفة لروح الإسلام ومعتقدات المسلمين.

التليفزيون وبرامج الأطفال:

وكما سبق يقدم التلفاز (وجبة وثنية) أو (علمانية) للصغار تعتمد على مؤثرات الصوت والصورة سويًا، فتخرج لنا ما يعرف باسم (أفلام الكارتون) التي تجذب الكبار قبل الصغار فيدمنون عليها.

ولأننا نعنى بالصغار وتربيتهم هنا فإننا نركز على ما يقدم لهم من أفلام الكارتون التي تتراوح الأفكار فيها بين الأنماط التالية من الأفلام والمسلسلات:

(١) الصراع بين الخير والشر ممثلاً في الحيوانات كالقط والفأر (Tom and Jeery) توم وجيري، وهي أفلام من إنتاج شركات يهودية تجسد المعنى الحقيقي للزندقة وثنائية الكون، كما تجسد معنى الخير النسبي، فما هو شر لك قد يكون خيرًا لي، وإن لم أسبقك إلى السرقة فستفعل أنت، ناهيك عن حبكة الإخراج والكوميديا بعيدًا عن الدين، كأنما لا دين يضبط الناس ليعرفهم الخير أو الشر.

إننا نلمح في أفلام الكارتون أن أحدًا لا يدعو الله لينصره، أو يستنجد بقوة

السماء، مع تناثر صور الأيقونات النصرانية والصليب على ما يشبه الجدران في هذه الأفلام، مما يعطي انطباعًا بالإلحاد وترك الدين أو فصله عن الحياة على أبسط التقديرات وهي الطمأنينة بعينها.

(٢) وهناك نمط آخر من الأفلام التي تعرض دائمًا ويلح عليها منتجو أفلام الكارتون وهي: أفلام حرب الفضاء، أو وجود مخلوقات وكائنات فضائية في كواكب أخرى لها هيئات عجيبة، وهذا الوهم لطالما سيطر على العقل الأمريكي تحديدًا، إذ إن المجتمع الأمريكي لا يعترف بدين إلا قليلاً حتى إنه من الطبيعي أن يسأل أحدهم الآخر: هل أنت مؤمن بإله؟! فإذا بالخيال الوثني الجامح يصور كائنات المريخ، وفاتنات الزُهرة، وفرسان زحل، تلك الكائنات التي تمتلك القدرة على غزو الأرض، وفي العادة لا يقوم لحربها ولا يقوى على نزالها إلا الأمريكي وحده!!

وهنا يتسلل إلى عقول الصغار دون أن ندري أن الكون لا إله يحكمه، ولا عدالة فيه، والغلبة فيه لمن يملك القوة، وأن الأمريكي شهم شجاع بطل قوي مغوار فارس لا يقوم له أحد!!

(٣) وقد يحدث أن تكون هناك نوعية أخرى تتحدث عن الحب والغرام الذي يتيقظ مبكرًا أمام الصغار عن طريق الغراميات الساخنة- بالنسبة للصغار- كتقبيل الذكر للأنثى ولو كانوا على شكل حيوانات أو أسماك، كما لا يتورع الغرب عن اللمز والتصريح- دون التلميح- بالفاحشة.

(٤) وخلال هذا كله لا إله، ولا حجاب؛ بل شقراء فاتنة متموجة في مشيتها، قد وضعت كامل زينتها، والموسيقى تعمل عملها، فلا يأنف الصغير سماعها بعدُ؛ بل يحارب من أجلها!!

(٥) والبعض الآخر من هذه الكراتين الأجنبية تظهر فيه علامات العنصرية والتحيز واضحة جلية، فلا حق، ولا خير، ولا بطولة، ولا انتصار، إلا لأصحاب الألوان الفاتحة والشعور الشقراء، بغض النظر عما إذا كانوا من الإنس أو الحيوان، أما الأشقياء المعاندون أصحاب الباطل، يظهرون دائمًا من الملونين أصحاب البشرة السمراء، فعلى سبيل المثال قصة «بوباي» البحار الأبيض الخيِّر، الموحي شكله ولونه

بالرجل الغربي، وصراعه المستمر مع خصمه الأسمر الشرير ذي الشعر الأسود واللحية السوداء، الموحي شكله ولونه بالرجل العربي، ثم الانتصار المؤزر في نهاية الصراع للأبيض صاحب الحق على الأسمر صاحب الباطل، فهذه البطولات الخيالية لا تمت إلى أبناء المنطقة العربيَة بأي صلة؛ بل هي تمجيد واضح للشعوب البيضاء، إلى جانب ما فيها من العنف والإثارة الصاخبة، والغراميات والصراع على النساء[1].

(٦) وحتى الأفلام الكرتونية «المدبلجة» التي تعرض بأصوات عربية لا تغادرها هذه الأخطار بل هي هي دون حذف أو إضافة، وإنما تقتصر على تغيير اللغة فقط.

وأدل دليل على ذلك مسلسل «عالم سمسم» الذي يعرض بلسان عربي؛ بل بلهجة محلية عامية، لكن تبقى العيوب: لا ألوهية، وموسيقى وألحان غربية صاخبة، واختلاط وميوعة.

(٧) وتبقى نسخة كارتونية وهي أفلام الرعب التي تعتمد على الأشباح والشياطين، وتركز قوى الشر في شخص واحد، مع وجود قوة خير أخرى، كأنما الكون ثنائي لا مخلوق بيد القدرة الإلهية، وهذه هي «الثنوية» بعينها وهي الزندقة القائمة على وجود إلهين: واحد للخير، وثانٍ للشر. وقسِّم على وزن هذا كل الأضداد.

ويبقى أنه بعد أفلام الرعب هذه أن الصغير تتكون لديه المخاوف لا يستطيع التخلص منها، فيخرج جبانًا رعديدًا لا قوة له على مواجهة الأعادي.

هذا بالنسبة لأفلام الصغار، فكيف بمن يشاهد أفلام الكبار؟!

وهذه مقالة كنت قد كتبتها في جريدة «الأحرار» للحديث عن أحد أشهر أفلام الغرب:

أساطير وسموم الإعلام الغربي

مع التقدم المذهل في وسائل المعلومات والاتصال لم ينس الغرب أبدًا أن رسالته الأولى بعد التقديم هو تشويه الصورة الطيبة للإسلام وأهله اعتمادًا على تقديم

---

(١) مسئولية الأب المسلم (٤٩٠).

المسلمين داخل الأفلام والإعلانات على هيئة مضحكة أو بصورة الإرهابي الذي لا يكف عن القتل بل يجد اللذة العظمى.

ولا شك في أن التاريخ الإسلامي للغرب في هذه النقطة أسود للغاية لا يكاد ينصف المسلمين في شيء لكنه عادة ما يحول بين الأوروبيين والأمريكان وبين إظهار الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين بل هو حرص شديد على تتبع الشائعات وتثبيت صحتها داخل أذهان مواطني الغرب للحيلولة دون التعاطف مع قضايا الإسلام كما أن الحقد القديم وعقدة سور القسطنطينية وانتزاع السيادة قديمًا من الغرب ما زال كل هذا يحرك أوروبا وأمريكا نحو تشويه معالم الجمال في أوطاننا والإلحاح على فكرة الإرهاب وفقدان الأمان إبان التعامل مع أي عربي أو مسلم حتى إن (العقال العربي) صار رمزًا للتخلف والسعي وراء المتعة والشهوة الجنسية ومما لا يخفى على خافٍ أن اليهود هم أصحاب السيطرة على الأجهزة الإعلامية في العالم كله وأنهم يتحكمون في وسائل الإعلام ووكالات الأنباء وهوليوود وجميع المواطن الحساسة التي يبث للعالم صورًا مشوهة عن العرب والإسلام.

ليس غريبًا إذن أن نلاحظ أن معظم الأفلام لا بد لها من تلميح لقذارة العربي أو تصريح بإرهابه المتناهي لو تتبعنا القضية لوجدنا أبعادها كثيرة ولو ضربنا أمثالاً لما استطعنا أن نقف عن مثل واحد ولكن سأحاول ضرب مثل صغير بفيلم رآه الجميع أكثر من مرة على شاشة التليفزيون المصري وهو فيلم «دراكولا» هذا الفيلم الذي يعرض بصورة ساخرة لا تحتاج إلى لف ودوران لتبيان ما فيها من تحامل واضح على صورة الإسلام والمسلمين فالفيلم تقع أحداثه في زمن كان الأتراك المسلمون هم أصحاب السطوة على قصر «دراكولا» وأنه أصيب بداء «مص الدماء» نتيجة رؤيته للمآسي التي جعلته يفقد زوجته فكان المسلمون بقسوتهم هم الذين جعلوه يصب بمثل هذا الداء اللعين.

أضف إلى ذلك تلك الصورة العظيمة للنساء الشبقيات اللاتي يردن الفتى صديق «دراكولا» فترتسم العيون الواسعة والشعور المسدلة والملابس الشفافة والشفاه المستعدة لاستقبال القبلات دائمًا وهي تلك الصورة التي رسمها الغرب لنساء المسلمين والعرب.

ثم يرسم المخـرج والمؤلف فـي النهـاية أن النجـاة تكون عن طريـق الدائرة التي يحرسها الصليب فكأن الدين الإسلامي كفر بواح من وجهة نظر أوروبا لا يهزمه إلا المسيحيـة وعبارات الكتاب المقدس وهي نفس الحروب الصليـبية التي أرادت أن تفني الشرق المسلم العربي.

ولا أحسب أن المخرج لم يرد هذا ولكنه كان كغيره حريصًا على إظهار الكفرة من المسلمين- حسب ما يرى- تغليب عقيدته على عقيدة الإسلام.

وفيلم آخر يعرض لنفس القضية هو فيلم «الجـسر» وآخر بعنوان «أكاذيب حقيقية» وكلاهمـا يقضي علـى كل مواطن الجمـال عند المسلمين فنرى في لقطات الفـيلمين المسلمين يتوضأون قبل القيام بعملية إرهابية يقـتل فيها الأبرياء ثم بعد العملية يتوضأ المسلمون مرة أخرى وهكذا أصبحت فرائض الإسلام مشوهة ووسيلة للتقرب إلى الله مع مزيد من الدماء التي تقدم كقرابين لإله المسلمين وبذلك «يفقد» المسلم كل مساندة غربية ولو كانت على سبيل المساندة المعنوية فقط هذه هي الصورة التي يحرص اليهود على وجـودها دائمًـا في أذهان مواطني أوروبـا بأن التشـويه لا يقف عند هذا الحـد ولكن تمتد يد اليهـود لتشوه التاريخ وتزيفه نحو مـا تصنع الآن شركة «والت ديزني» صاحب التاريخ الأسود في الـتزوير التاريخي فلقد عرضت أفلامًا تـقدم اليهود على أنهم صناع الحضـارة فالعـبرية هي اللغة الأم والقـدس عبرانـية وهذا مما لا شك من صنع أولئك المزورين ومـا هو السر في إطلاق أحد أبطال أفـلام «والت ديزني» على كلبه اسم «محمد» أو تقديم إعـلانات عن العرب الذين لا تجدي معهم أية أنواع من الصابون أو الشامبـو المصنوع بيد اليهود مع إظهار العربي في الأفـلام القديمة كخادم للغربي يجر له دابته أو يتنعم في نعمة الغربي صاحب الحضارة والتقدم.

وكالات الأنباء الأجنبية تستغل كل ما عندهـا لتستجدي عطف العالم على اليهود وغيـر المسلمين في أزمة الخلـيج عرضت CNN لصـورة طائر ملطخ بالبتـرول في الخليج نتـيجـة أفعـال صـدام بينما غـضت الطرف عن آلاف المسلمين من الأطفـال والعجائز الذيـن قتلوا في العراق بيد أمريكـا وأذنابها معهم بينما يـغض الطرف عما يحدث للـمسلمين في كمـبوديا والفلبين وحـركات الإبادة التي لا تهـدأ رغم تغيـير



الحكومات تباعًا في هذه البلدان وكأنما تفرق شملهم إلا على عداوة المسلمين ولا عزاء للمسلمين الذين يسامون سوء العذاب على مسمع ومرأى من العالم كله. وكالات الأنباء والصحف الغربية لم تهتم بقضية إسلامية إلا في أفغانستان حينما حارب المسلمون الاتحاد السوفيتي ولكن الآن تشوه صورة الأفغان ولا عجب فإنه ميزان الغرب الذي يكيل بمكيالين مكيال الرضا عن اليهود وأفعالهم ومكيال الحقد على المسلمين في كل مكان وحتى أكون موضوعيًّا فلن ننكر أن بعض الأصوات في الغرب هي أصوات شريفة لكن الغالبية تضمر حقدًا دفينًا للمسلمين جميعًا.

قابلت أحد المسلمين الذين زاروا باريس وأبدى إعجابه الشديد بها وافتتانه بكل ما رآه هناك إلا أنه عاد بعد رحلة لجمهورية تشاد يقول لي: إن كل ما رآه في فرنسا احتقره بعدما رأى المسلمين يسخرون كالعبيد بيد فرنسية لا تريد إلا الجهل الشديد فكأنما الاستعمار لم يمت بعد لكنه حي في تلك البلاد ولا يخفى علينا جميعًا أن هذه السياسة بغيضة مقيتة والغريب أن العامة من المسلمين صدقوا أنهم متخلفون ونسي المسلمون والعرب أن عقولاً مفكرة مسلمة هي التي ساهمت وما زالت تساهم في بناء حضارة الغرب ولا أعتقد بأي حال من الأحوال أن شركات الكمبيوتر التي تصنع أخطر أجهزة المعلومات الآن تخلو من مسلم في أي مكان إننا بحاجة شديدة لعقول تفكر للرد على مثل هذه المخططات التي تدبر في جنح الظلام وما زلت أكرر الدعوة بشأن إنشاء شركات إعلان ووكالات أنباء إسلامية لبيان الصورة الحقيقية للإسلام ويبقى أن مكمن الحل الحقيقي في أنفسنا فلماذا لا نتحرك لنصنع واقعنا بأيدينا بدلاً من الاستسلام لمثل هذه الادعاءات رحم الله الشيخ الجليل محمد عبده عندما قال: إنما يصحو الباطل في غفلة الحق.

إن الأمر هنا قد وضح تمامًا، ويبقى أن أشير إلى أن هناك أفلامًا أخرى تعتمد على العنف والضرب والجذب، وهوس الكرة وهذه كلها أخطار يجب أن نواجهها ولكن كيف؟

☆☆☆

قصة واقعية

أورد الشيخ محمد بن عبد العزيز المسند القصة الواقعية التالية، وقال: هذه القصة ذكرها الواعظ المشهور «صالح المالك» في موعظة له في المسجد، نقلاً عن رجل كان من الحاضرين أشار إليه في بداية روايته لهذه القصة: «شيخ كبير في السن كان سببًا في هداية أسرة كاملة، كانت غافلة لاهية تقضي معظم وقتها أمام شاشة التلفاز لمشاهدة الصور المحرمة ومسلسلات الحب والغرام والهيام، فما هي تفاصيل القصة؟ لنترك المجال لهذا الشيخ الكبير، ليحدثنا عن التفاصيل، يقول: في يوم من أيام شهر رمضان المبارك كنت نائمًا في المسجد بعد صلاة الظهر، فرأيت فيما يرى النائم رجلاً أعرفه من أقاربي قد مات- ولم أكن أعلم أن في بيته تلفازًا- جاءني فضربني بقدمه ضربة كدت أصرع من ضربته، وقال لي: يا فلان اذهب إلى أهلي، وقل لهم: يخرجون التلفاز من بيتي. قال الشيخ: وكنت أرى هذا التلفاز في بيته وكأنه كلب أسود، والعياذ بالله. قال: فاستيقظت من نومي مذعورًا، واستعذت بالله من الشيطان الرجيم، وعدت إلى نومي، فجاءني في المنام مرة ثانية، وضربني ضربة أقوى من الأولى وقال لي: قم واذهب إلى أهلي، وقل لهم: يخرجون التلفاز من بيتي، لا يعذبونني به. قال: فاستيقظت مرة ثانية، وهممت أن أقوم ولكني تثاقلت، وعدت إلى نومي، فجاءني في المرة الثالثة، وضربني في هذه المرة ضربة أعظم من الضربتين الأوليين، وقال لي: يا فلان قم اذهب إلى أهلي، وقل لهم يخلصونني مما أنا فيه خلَّصك الله. قال: فاستيقظت من نومي، وعلمت أن الأمر حقيقة، فلما صليت التراويح من ذلك اليوم؛ ذهبت إلى بيت صاحبي- وهو قريب لي- فلما دخلت إذا بأهله وأولاده قد اجتمعوا عليه ينظرون إليه، وكأن على رءوسهم الطير، فجلست، فلما رأوني قالوا مستغربين: ما الذي جاء بك يا فلان في هذا الوقت فليس هذا من عادتك؟ قال: فقلت لهم: جئت أسألكم سؤالاً فأجيبوني عليه.. لو جاءكم مخبر وأخبركم أن أباكم في نار جهنم، أو يعذب في قبره، هل ترضون

بذلك؟ قالوا: لا.. ندفع كل ما نملك مقابل نجاة أبينا من العذاب. قال: فأخبرتهم بما رأيته في المنام من حال أبيهم، فانفجروا جميعًا بالبكاء، وقام كبيرهم إلى ذلك الجهاز «التلفاز»، وكسَّره تكسيرًا أمام الجميع معلنًا التوبة. ولكن القصة لم تنته بعد، قال الشيخ: فرأيته بعد ذلك في النوم، فقال لي: خلَّصك الله كما خلَّصتني[١].

* * *

نصائح للتخلص من التلفاز

(أ) الوقاية خيرٌ من العلاج:

فأفضل شيء هو التخلص من التلفاز، وقبله عدم اعتبار التلفاز ضمن متاع بيت الزوجية، وقد تكون هذه الخطوة في هذا الزمان (خيالية) لكن اختيار الصالحين للصالحات، ورضى الصالحات بالصالحين يجعل الأمر هينًا سهلاً، والأمر بأيدينا منذ البداية.

ويرحم الله أهل مصر فمن أمثالهم: ما أحُله بيدي لِمَ أَحُله بأسناني؟ وهو موافق للقول الشهير: الوقاية خير من العلاج.

وفتنة التلفاز نحن الذين نأتي بها لا غيرنا، فلِمَ نشتري بأموالنا ما يجعلنا نَردُ جهنم ونصطلي بلهبها، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦).

(ب) لا تُقِم وزنًا للناس، وليكن خوفك من الله:

كتب معاوية رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبي إليَّ كتابًا توصيني فيه، ولا تكثري عليَّ. فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس؛ كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله؛ وكَلَه الله إلى الناس، والسلام عليك»[٢].

فمن العجائب الآن أن يكون فلان لا يملك تلفازًا في داره، فيوصف بالرجعية

---

(١) العائدون إلى الله (ص٨١ - ٨٣).

(٢) صحيح الترمذي (٢٥٤٠) في الوصايا وصححه الألباني هناك.

والتخلف، وبدعم درايته بما يحدث من حوله، وتظل ألسنة شياطين الجن والإنس من حوله تغريه بشراء هذه الآلة الشيطانية.

ولا نعلم عن المسلم إلا أنه قدر الله الغالب، فمهما كان من تصميم الصغار على وجود التلفاز، أو نقد الناس لهَ، فليعلم أن مـا عند الله تعالى خير وأبقى، وهو القائل سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن: ١٤).

قال الإمـام ابن حزم رحمـه الله تعالى: «باب عظيم من أبواب العـقل والراحة، وهو طرح المبالاة بكلام الـناس، واستعمـال المبالاة بكلام الخـالق عز وجل؛ بل هذا باب العـقل كله والراحة كلهـا، ومن قدَّر أنه يَسْلَم من طـعن الناس وعيـبهم فـهو مجنون»[١] اهـ.

(جـ) عدم استبدال الشر بالشر مثله:

فالأب لا يستغني عن التلفـاز ليشتري فيديو أو كمـبيوتر لأولاده بنفس إمكانيات التلفاز، وليكن التحكم منه هو، أو من الأم المؤمنة.

(د) واحذر من الآتي[٢]:

١- أن تستخدم الجهاز كوسـيلة لتهدئة الطفل، وشراء سكوته مع غض النظر عما يراه من البرامج.

٢- أن تستـخدم التلفـاز كوسـيلة لعقاب الطـفل بمنعه منه إن قـصَّر في شيء، أو كوسيلة لمكافأته إن أنجـز شيئًا، حتى لا يتكون عنده الرغبـة في المشاهدة لفترة أطول، ولكي لا يصبح الجهاز أو المشاهدة ذا قيمة في حد ذاته، بل القيمة للبرامج المختارة.

٣- أن تُظْهر إعجابك بمحاكاة ابنك لفنان أو ممثل أو مطرب لظرافته وطرافته، لأن ذلك سوف يعزز تعلقه بهؤلاء، ويغرس في قلبه محبة الاقتداء بهم والتشبه بسمتهم.

٤- أن تغض الطرف عن أي مـشهد فـيه مخـالفة لحكم الإسـلام؛ كالموسـيقى، والاختلاط، والتبرج، وشرب الخمر، والتدخين ونحو ذلك، بل عليك ألا تفوت أي

---

(١) مداواة النفوس (ص١٢).

(٢) من كلام الدكتور/ محمد بن إسماعيل في الإجهار على التلفاز.

فرصة دون التعليق المدعم بالأدلة الشرعية والعقلية إن كان الابن يطيق ذلك، ليتدرب الابن بعد ذلك على الاستقلال بتمييز ما يُعرض أمامه، ويحكم عليه طبقًا لقناعته الشخصية في حالة غياب الرقيب البشري.

(هـ) احرص على:

١- أن تغرس تعظيم قيمة الوقت في نفوسهم، وأن تضرب المثل العملي في ذلك، كي لا يهون عليهم إهدار الساعات أمام الشاشة الصغيرة بلا إحساس بهذه الخسارة الفادحة.

٢- أن تعودهم على النوم مبكر ليلاً.

٣- أن ترسخ في قلوبهم أن أداء الفرائض الدينية لاسيما الصلاة، هو أقدس ما يحرصون عليه تحت أي ظرف.

٤- أن تغرس في قلوبهم محبة الله عز وجل، ومحبة رسوله ﷺ، وأن تعدد لهم نعم الله عليك وعليهم، وأن من شُكرها تصريفها في طاعة الْمُنعم بها سبحانه وتعالى.

٥- أن تغرس مفهوم تحري الحلال الطيب، وتجنب الحرام الخبيث في نفوسهم، وتحثهم على تقوى الله، والاستحياء منه في الخلوة والجلوة.

٦- أن تغرس في قلوبهم تحري رضا الله عز وجل وحده، وبيان أن رضا الناس غاية لا تدرك، وتعويدهم على ألا يخافوا في الحق لومة لائم، وعلى عدم الاغترار بواقع أكثر الناس، خاصة في زمن غربة الإسلام.

٧- تعويدهم على نبذ الأغاني واللهو المحرم منذ الصغر، بأن تشجعهم على التسابق لإسكات جهاز الراديو مثلاً إن عرض شيء من ذلك، لينمو فيهم الحس المرهف تجاه هذه المنكرات القبيحة التي تسمى (فنونًا جميلة)، بحيث تكره آذانهم سماعها، فيتسابقون لإخماد صوتها إذا انبعث، فإذا تعود الأطفال هذا فإنهم سيتصرفون- إن شاء الله- بنفس هذا الأسلوب حتى في حال غياب الأبوين، وإذا انصرفت همم الأبناء إلى تتبع الأخطاء بل الأخطار فإن هذا سينحي عن نفوسهم الإعجاب بالبرامج الفاسدة، والإعراض عن تصديقها وقبولها لكثرة أخطائها.

٨- أن تغرس في نفوسهم احترام الذات، والاعتزاز بالانتماء إلى دين الإسلام، وإلى خير أمة أخرجت للناس، والفخر بأنه من أتباع سيد الأنام ﷺ.

ومما زادني شرفًا وتيهًا * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك «يا عَبادي» * وأن صيَّرت أحمد لي نبيًّا

٩- كرِّر أمامه في كل موقف تبحث عن حكم الشرع فيه عبارة: «هيا ننظر كيف كان رسول الله ﷺ سيتصرف في هذا الموقف لو عرض له؟»، وذلك كي تربطه بالاقتداء بالمثل الأعلى للبشرية رسول الله ﷺ.

١٠- أن تجعله يتأفف من مشابهة الكفار والفساق وتقليدهم، ويستعلي عليهم، رابطًا ذلك بأنه من الموحدين الحنفاء، ولا يليق به أن يقلد الكفار الأشقياء، ولا أن يهبط إلى مستوى مَن غضب الله عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

١١- توعيتهم بأن مصدر الأفلام والمسلسلات المستوردة الدول الكافرة المعادية للإسلام والمسلمين، التي لا تألو جهدًا في سبيل إضعافهم وإفساد أخلاقهم، وصدهم عن دينهم ليبقوا تحت سيطرتها.

وأزيد على هذا: إن مشاهد الدمار وقتل الأطفال الصغار، والمذابح التي يعرضها أصحاب القنوات الإخبارية إنما هدفها الأساسي إدخال الرعب في قلوب الجيل القادم ليشب جبانًا خائفًا، يخشى من سكين اليهود والأمريكان أن يحزه، أو من مدافعه أن تهدم دياره وأن ترديه قتيلاً كإخوته في العراق وفلسطين ولبنان، فيجب الانتباه إلى هذه القضايا.

(و) ماذا إذا كان قرار التخلص من التلفاز متأخرًا؟

وهذه أزمة قد تسبب كثيرًا من الخلافات داخل الديار والبيوتات المسلمة، وعليه يتبع الأب أو ولي الأمر الآتي:

(١) الاستعانة بالله تعالى والدعاء.

(٢) التدرج في التخلص من التلفاز فلا نستطيع الانتقال من الجليد إلى ماء

حرارته في درجة المائة، والتدرج يكون بتقليص ساعات المشاهدة، وتحديد البرامج التي يسمح الأب بمشاهدتها عن طريق تحكمه في التلفاز بآلات التحكم الحديثة التي تعطيه قدرة على التحكم وهو على بعد مسافة طويلة.

(٣) الخروج المتكرر في ساعات البرامج التي كان الصغار يحرصون على رؤيتها.

(٤) إظهار الأب لغضبه أمام صغاره إذا رأى من يشاهد التلفاز من أولاده في غير الوقت المحدد.

(٥) شغل الوقت بالمحاضرات، وتلاوة القرآن، والأعمال التعبدية.

(٦) عدم السماح للصغار بزيارة الأقارب الذين يمتلكون تلفازًا لا يعرف الغلق.

(٧) إحضار أجهزة أخرى يمكن التحكم فيها كالكمبيوتر كبديل يمكن للأب التحكم فيه.

(٨) الحديث الدائم عن الكفر ومكره وكيد أهله بالمسلمين.

(٩) التأكد من عدم تلصص الصغار على تلفاز الجيران أو الأصدقاء أو بعض الأهل.

(١٠) مكافأة من يقلع عن مشاهدة التلفاز.

(١١) وضع التلفاز في مكان يمكن التحكم فيه كحجرة نوم الوالدين.

(١٢) الصبر على هذا كله، وعدم اليأس والتململ في منتصف الطريق.

ولعل الله عز وجل يحقق حلمنا بوجود إعلام إسلامي سلفي، لا كما يفعل بعض أصحاب القنوات الفضائية الذين يحتكرون الرياضة، ويبثون قنوات الأفلام الغربية الماجنة المليئة بالعُري والفساد، ثم يبث قناة فضائية إسلامية- بزعمه- يتحدث فيها كل مَن هبَّ ودبّ من الدعاة الزائفين الذين لا يجرَؤ أحدهم على الحديث في قضايا الحجاب، وحرمة النظر إلى الأجنبية، أو حرمة مشاهدة الأفلام، أو حرمة سماع الموسيقى.

إنه أمل، ووقائع اليوم هي أحلام وآمال الأمس، وما ذلك على الله بعزيز.

***

الأطفال وهوس كرة القدم

وهكذا انتهت البطولة بعد تعب وكد، كفاح وعرق، واستطاع الأبطال إنهاء المعركة لصالحهم والعودة إلى بلادهم فائزين منتصرين، فهنيئًا للفرسان.

هذا وقد بعث السيد رئيس الجمهورية ببرقية تهنئة، كما خرج الملايين إلى الشوارع يعلنون عن فرحتهم العارمة لهذا النصر الذي تحقق على يد الأبطال بعد شوق دام مدة طويلة، ونشكر كل من صلى، ودعا لنا بالنصر والفوز وهزيمة الخصم، نشكر كل من ساهم بماله، نشكر الملايين أمام التلفاز!!

هذا ليس خبرًا يعلن فيه المذيع عن انتصار المسلمين على اليهود؛ بل هو خبر فوز فريق كرة القدم ببطولة عادية، فإذا بألقاب: الأبطال، المنتصرين، الفائزين وغيرها تنهال عليهم، ثم تفتح الخزائن ليغترف من نهرها اللاعبون والمدربون والإداريون بعد أن أعلنت الدولة عجزها عن الإنفاق على مشاريع كانت معدة خصيصًا لمحدودي الدخل.

وتقام الاحتفاليات، وتُمنح الأنواط، وتُخلَّد الذكرى، ويطوف الشعب أرجاء الوطن معلنًا فوز الفريق... على خصمه.

وفي أحد أركان الحجرة، وأمام التلفاز جلس الصغير أمام المباراة قبل انتهائها، يرتفع صوته مع كل هجمة لفريقه، فإذا ما ضاعت طرق سمعه صوت الأب وهو يقول: ضيعها ابن ...، ياه لو كانت دي جات!! وإذا بالصغير يهتف: أهلي أهلي!! ويدعو: يا رب انصرهم على الأعداء الزملكاوية.

ثم تأتي الأم، سائلة بقلق شديد، وحرص أشد: من الفائز؟ ما هي النتيجة؟ لعلمها أن اليوم إن لم يفز فيه الفريق الذي يشجعه زوجها سيكون يومًا قاتم الألوان، فتدعو الله بفوز الفريق، فإذا بالزوج يعاجلها: امشي، اغربي عن وجهي، وجهك نحس على الفريق.

فتخرج مسرعة وقد ارتكب الكبار كبائر أخلاقية لا يدرون أنها سوف تحطم

الصغير، وتجعله ينحى منحًى يخالف شرعه ودينه.

- فقد قرَّ في نفس الصغير أن البطولة كرة وميداليات.

- وحفظ اسم الأبطال الكرويين ولم يكن قد حفظ مفردات الأذان، أو أسماء الأنبياء.

-وهو على علم بموعد المباريات دون أن يدري موعد الصلاة.

- وبالطبع لم يقم أبوه ليصلي، وكيف يترك الكرة ليصلي؟

- ولم يعد في نفسه أملٌ إلا أن يصبح لاعب كرة تشير إليه السبابات وتنعقد عليه الخناصر.

- أو أن يكون أحد المشاهدين للمباراة في الإستاد.

- أو معلقًا مرموقًا.

- كما ابتلع حبوب السَّب واللعن التي يصب أباه جَمًّها على اللاعبين.

- وقرَّ في نفسه أن هناك نحسًا وتشاؤمًا وطيرة.

- بالإضافة إلى التعصب البغيض لمسلم دون الآخر.

- وربما كانت المباراة دولية بين فريقين عربيين، والمباريات العربية مليئة بـ(الحساسية)، فيكره المشاهد المصري اللاعب التونسي، ويضرب لاعبو الجزائر حافلة الفريق المصري بالحجارة، بينما اشتبك لاعبو الفريق السعودي مع لاعبي الفريق البحريني لخلاف على الكرة: هل تجاوزت الخط أم لا؟ وبذلك زُرعت بذور الكراهية والأحقاد.

- أضف إلى تلك الكوارث السابقة أن البطولة قد تكون عالمية كـ(كأس العالم) أو (كأس أمم أوروبا) وغيرها، فينحاز المسلمون لفريق صليبي ضد آخر صليبي، أو لاعب ملحد متهم في عرضه ودينه تجاه الآخر.

- وتباع قمصان اللاعبين الأجانب عليها أسماؤهم الكفرية.

- وتلبس قمصان بألوان المخنثين لأنها ألوان الفريق الذي يهواه الطفل.

- وينطلق على الصغير اسم (رونالدو) أو (بيكهام) أو (مارادونا) الكفرة الصليبيين.

- ثم يرى الصغير هؤلاء وهم يرسمون علامات الصليب على أجسادهم فيقلدهم دون وعي.

- وتنفق الأموال والأوقات في غير موضعها، وفي غير حلها.

- وقبل هذا وذاك عُطلت المصالح والأوقات، ودبّت البغضاء بين الجميع بسبب (الساحرة المستديرة) التي تركل بالأقدام!!

يقول الشيخ مصطفى العدوي حفظه الله: «وإنه لعجب عجاب أن يصل الأمر بالأبناء بل وبكثير من الآباء إلى هذا الوضع المخزي والتردي المُزري في شأن الكرة وتشجيع الأندية! وماذا عسانا أن نجني من وراء انتصار فريق على آخر؟ وماذا عسانا أن نربح من جراء فوز بلجيكا على فرنسا أم هزيمة إيطاليا أمام رومانيا؟ وماذا سنخسر إذا هزم الفريق المصري من تونس أو إذا انتصرت مصر على الكويت؟ وما هو العائد علينا في ديننا أو دنيانا إذا انتصر الأهلي على الزمالك أو إذا فازت الزمالك على الأهلي؟!!

أليس من العار والخزي علينا في ديننا ودنيانا أن نُغرم ونولع بلاعب كرة تارك للصلاة وهاجرٍ للذكرِ وغافلٍ عن كتاب الله، ونضيع أوقاتنا في الثناء عليه والذب عنه؟ أليس من الانتكاس أن نسمي أبناءنا بأسماء كفار لكونهم مهرة في لعب الكرة؟! إنه لقبيح أن يسمي رجلٌ ولده بمارادونا ذلك اللاعب الكافر المتهم في عرضه والمتهم بترويج المخدرات، ففكر أيها المسلم في شأنك وفكِّر في نفسك فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

إن ديننا يعلو ولا يُعلى عليه، وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور وإن من أحب قومًا حُشر معهم!! ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه[1]!!

لقد رأيت ذات مرة عجبًا!! رأيت صديقي (ع.ح) المفلس دائمًا قد ذهب فاشترى كرة من مال اقترضه، ولم يشتر أي كرة؛ بل كرة من نوع شهير يعرف بالجودة وغلو

---

(1) فقه تربية الأبناء (ص٨٤، ٨٥).

الثمن، ثم رأيته يقول لولده ذي التسعة أعوام: هيـا صوِّب. فصوَّب الصغير بيُمناه، فلم أدر إلا وصفعـة كأنها صاعقـة قد نزلت على خد الصغـير، و(ع.ح) يقول له: قلت لك: صوِّب باليسرى يا ابن الـ. . .ففعل الصغير، فلما سألت (ع.ح) قال لي: كما تراني فأنا مفلس وأردت أن أُعِدَّ مشروعًا مستقبليًّا عن طريق هذا الولد، بتدريبه وتعليمه التصويب باليسرى؛ لأن اللاعب الأعسر لاعب موهوب وعملة نادرة، وربما اشتراه نادي كبـير بمئين الألوف من الجنيهات. وساعتهـا قلت في نفسي: سامح الله أبي الذي وجـهني إلى طريق العلم، ولم يوجـهني إلى طريق كـرة، على الرغم من كوني أعسر في القدم!!

هذه هي الحال المزرية التي تحـياها المجتمعـات الإسلامية، الكرة شـغلنا الشاغل، حتى انتقل هذا الهوس بدوره إلى الصغار، فـلم يعد لهم أمل في تحرير قدس وقتال كفـرة؛ بل مقـاتلة وسط ميـدان الكرة، وهذا نجاح آخـر يضاف إلى بقـية نجـاحات أعدائنا.

والحماقة التي أعيت من يداويهـا أنه الآن: لا غنى لأحدٍ عن مشاهدة الكرة أبدًا. هذا هو الشعار المرفـوع بحجة: أنني لو منعت الصغـار من مشاهدة الكرة سيـتسرب إليهم المرض بعيدًا عني.

ولابد أن يُعْلم أولاً: أننا لسنا ضد الرياضـة؛ بل معها وبقـوة، لكن أي رياضة؟ إنها الريـاضة التي تنفعـه في دينه ودنياه؛ كـالسبـاحة، كالرمـاية، كركـوب الخيل، كـالمبارزة وغـيرها من رياضـات الدفـاع عن النفس المشروعـة- التي يسـتثنى منهـا الملاكمة- لما تحدثه من أضرار بالغة، وسوف نتوقف مع هذه الأمور في فصل الرياضة في الجزء الثاني إن شاء الله.

والنبي ﷺ- كما سيأتي- كان يجري سبـاقات العدو بين صغار الصحابة، ويأمر الصغار بالرمي، ويرمي معهم، ولنا فيه أسوة وقدوة.

وما نرفضـه- لأن الشرع يرفضه- هو ضـياع الأموال والأوقات، وإفسـاد الصغار المترتب على تعصبهم الكروي، وهوسهم بمشاهدة المباريات الكروية.

أما من يقول بأن الكرة حتمًا ستتسرب إلينا، فنقول له: إنك بتشجيعك تُلْفِت انتباه

الصغـار نحو هذه الأمور، فإذا منعت نفسك منذ البداية عنها كـان معرفة الصـغير بالكرة متأخرًا مما سيتـيح لك وله مساحة واسعة لاستغلالها فيما يـفيد، فيشُب بعيدًا عن مرض الهوس الكروي.

ماذا يفعل الأب أو الولي لتفادي هذا الهوس الكروي؟

(١) ارجع إلى ما ذكرناه عن التلفاز، فالكرة لن يشاهدها الصغار إلا هناك.

(٢) لا تتحدث عن الكرة والبطولات أمام صغارك.

(٣) تعمَّد منذ الصغر انتقاد هذا المرض تعاونك الزوجة في ذلك.

(٤) علِّم صغارك معنى البطولة الحقيقي، ومـا هو الفارق بين بطل حقيقي كخالد ابن الوليد رضي الله عنه وأحد لاعبي الكرة.

(٥) اشغله برياضة أخرى غير الكرة حتى يحبها كالسباحة أو الرماية.

(٦) تحدث عن مـقدار ما يهدر على الكرة من أمـوال، وخيبة الأمل التي تجنـيها المنتخبات الإسلامية والعربية التي لا تذهب إلى البطولات إلاَّ لتكون (حصَّالة) الفرق الأخرى وأن الكرة مـا هي إلا وسيلة لزرع بذور التعصب والكراهيـة وجني الأموال على حساب المغفلين.

(٧) اشغل وقته بالقرآن وتلاوته، والحديث وحفظه.

(٨) امنعه من زيارة الأقارب وقت المباريات.

(٩) ولا تجلسه مع صحبة لك فيهم تعصب كروي.

(١٠) الدعاء المتواصل والاسـتعانة بالله تعالى؛ فلا يرد القدر إلا الدعـاء كما في الحدث الصحيح.

ماذا لو كان الأب متعصبًا كرويًا؟

وهذه حالة صـعبة بعض الشيء، إلا أن استـعانتك بالله تعالى، وقوة شكيـمتك ستجعلك تتجاوزها إن شاء الله.

- لا تكن متـعصبًـا أمام الصغـار؛ بل يستحـسن مشاهدة المبـاريات خارج المنزل وبعيدًا عن الصغار.

- افطم نفسك تدريجيًّا عن الكرة بما ذكرناه لك في الخطوات العشرة السابقة.

- حاول قدر الإمكان شغل الوقت بما يفيد.

- تذكر أنك راعٍ وأنك مسئول عن رعيتك.

- لا تبد اهتمامًا كفرحٍ أو حزنٍ أو انشغال بنتيجة مباراة.

- بل امنع الحديث عن الكرة تمامًا معهم.

- واجعل من زوجتك طبيبة لك هي الأخرى.

- استعن بالله ولا تعجز، واعلم أن النصر مع الصبر، واحتسب ما تجده من ألم لفراق الكرة عند الله، واعلم أنك إن لم تنزع بذرتها من نفسك حملت من أوزارك، وأوزار أولادك إذ إنك أضللتهم بغير علم، والله المستعان.



الصغار، والمدرسة، ودور التعليم

وقد انضمت دور التعليم في الآونة الأخيرة إلى مجموعة الأخطار والمعوقات التي تواجه الوالدين خلال تربيتهما للصغار، وتكمن خطورة دور التعليم في هذه النقاط:

اتساع نطاق التعليم العلماني في الدول الإسلامية التي صارت تُفاخر بهذه العلمانية القبيحة القائمة على فصل الدين عن بقية مناحي الحياة، فمادة التربية الإسلامية هي آخر المواد التي يمكن للصغير أن يفكر فيها، حتى إنها لا تحتسب ضمن المجموع، كما يعمل القائمون على أمر التعليم جاهدين على إنقاص كمية ما يحفظ من القرآن الكريم أو الحديث النبوي، مع تمييع القضايا الأصولية وثوابت العقيدة بما يخدم السلطات في معظم الأوقات؛ لأن التعليم في البلدان الإسلامية في قبضة النخبة الحاكمة دائمًا؛ بما يعني أنه لا فكاك عن سير المؤسسات التعليمية خلف النظام وتحولها إلى طبول وأبواق له، فالصحيح ما صححه، والباطل ما أبطله ولو خالف التشريع[1].

والمدارس الخاصة في معظم البلاد الإسلامية لا تعرف الاستقلال التام في مناهجها، وإنما هي خاصة من ناحية الإدارة والتملك فقط، وإنما يحق لأصحابها إضافة بعض المواد البسيطة كالأناشيد واللغات الأجنبية.

وتحرص أجهزة الإعلام على إضعاف التعليم الديني في بلاد المسلمين بشكل يفوق الغرب، فلا زال الموروث التقليدي في بلادنا: السخرية من مدرس اللغة العربية، لغة القرآن والحديث وعلوم الشريعة، وإظهار العالم في صورة ساخرة مضحكة، تبعث على النفور منه، حتى إنك تسأل الصغير: ما تتمنى أن تكون في المستقبل؟ فيقول: ضابط، مهندس، طبيب. ومحال أن تراه يقول: عالم في أصول الدين، أو فروع الشريعة!! إلا من رحم ربي من الأهل الصالحين الذين يواجهون عواصف السخرية بثبات الجبال الراسيات.

---

[1] وقد تزايد في هذه الآونة الدعوة إلى إلغاء التربية الإسلامية واستبدالها بمادة الأخلاق وهي خليط بين الإنجيل والقرآن وكتب الفلسفة!

(٢) بقاء الطفل مع أقـرانه في اليوم الدراسي لمدة أطول من بقـائه في داره، وقد يكون هناك بعض الصغـار الذين لم ينعموا بحظٍ وافرٍ من التربية الصـحيحة، ودرج الناس على أن الأجرب يعدي الصحيح، وكذا الصغار يُعدي بعضهم بعضًا.

وأرى أن هذا خطر قد يكون خارجًا عن السيطرة في بعض الأحوال، ولذا وجب تنبيه الصغار إلى اختيار أقرانهم بعناية كما سيأتي.

(٣) أن بعض المعلمين يعانون من أحد الأمرين، أو منهما سويًّا:

(أ) من الضـعف المهني، وقلة التمكن من مـادته إن لم يكن منعدمًـا؛ لأن المعلم إفراز طبيعي لأمراض المجتمع.

(ب) أو يعاني من أمـراض أخلاقيـة واجتمـاعيـة كبذاءة اللسـان، والفحش، أو التدخين، أو بالعموم: قلة الدين.

ولأن المدرسين يعينون بلا اختيار أو اختـبار، فالخطر قائم داهم، خاصة إن علمنا أن شريـحة غـير قليلة من المعلمـات متـبرجـات!! تجردن من المسـئوليـة ونسين أن الصغيرات ينظرن إليهن، وأن الأطفال يبصرون بما لا يجب أن تقع عيونهم عليه.

وأذكر ذات مرة أن أحـد (المفتشين) في مادة الكيميـاء دخل على مُدرسة وهي تشـرح إحدى المعـادلات ونحن في المرحلة الإعـدادية، وقد تبـرجت تمامًا ولبـست القصير، فقـال لها: إلى أي المعادلتين سينتبه هؤلاء، معـادلة السبورة أم المعادلة اللي تحت؟! قصد ساقيها، أراد بذلك توبيخـها ولومها، فقامت بشكوى هذا الموجه حتى نُقل إلى مكان بعيد، ذلك لأنها لم تكن مسلمة.

ولا زلت أذكـر يوم دَرَّست لنا هذه المعلمة (الجـهاز الـتناسلي) ونحن في الصف الثالث الإعـدادي، وكانت كارثة بحق حـتى أن أحد الطلبة آنذاك خـرج من الفصل الدراسي دون إذن بعد أن فقد صبره، ولم يستطع كتم غيظه.

وقد كنت في المرحلة الابتدائيـة أرى مدرسة تحاول نزع حجاب زميـلة صغيرة آنذاك، بينما الصغيرة تبكي حتى تُصرع، وأحمد لها أنها الآن من أشهر الداعيات في منطقتها.

أي الموجه، يعني من ينظر في أمر المدرسين، ويعلوهم رتبة حسب الدرجة الوظيفية.

وهذه الأخطار التي تكتنف الصغير خلال وجوده في المدرسة تجعلنا في حذر تام من وقوع الصغير تحت نيرها، ومن هنا ينبغي الآتي:

(١) اختيار مدرسة مناسبة للصغير، من المدارس التي اشتهر عنها الحزم، وحسن اختيار المعلمين.

(٢) المتابعة الدائمة للصغير في دراسته، وزيارته أثناء اليوم الدراسي.

(٣) تعليم الصغار كيفية اختيار أصدقائهم- وسيأتي هذا تفصيليًّا-.

(٤) المراجعة الدائمة لأصول عقيدتنا، وأصول شريعتنا بدلاً من ترك الصغير لا يدري عنهما شيئًا.

(٥) ربط الصغير بالشرع دائمًا، وزرع حب الدين في قلبه.

(٦) وإذا كنا لا نملك السيطرة على المدرسة، فنحن نملك السيطرة على الصغار بحسن التربية.

(٧) إقامة علاقات متميزة مع المعلمين ومحاولة اجتذابهم إلى الالتزام بطريق الهداية، وتوصيتهم بالعمل الصالح، وإشعارهم بأنهم رعاة ومسئولٌ كلٌّ منهم عن رعيته.

(٨) تزويد الصغار بما يردون به على من يشككهم في أمور دينهم، خاصة أمور الحجاب والعقيدة، من خلال تحفيظ الصغار آيات الحجاب من سورة الأحزاب والنور، والأحاديث التي تحث على ذلك.

(٩) سؤال الصغير الدائم عما دار في المدرسة من حوارات وحوادث، وعدم التململ منه أو إغفال نقطة مما قال، فلكل عبارة أهميتها.

(١٠) الاستعانة بالدعاء لإصلاح الصغار، ليكونوا قرة عين ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

وبهذا نكون قد قلصنا دائرة الخطر إن لم نكن قد قضينا عليها.

☆☆☆

حُلْمٌ واقتراح
الجو الذي يجب أن يسود المدرسة

مستخلص من التقرير الذي أعدته إحدى اللجان التي شكلها الدكتور/ محمد حلمي مراد أثناء توليه مسئولية وزارة التربية والتعليم بمصر، ومن كتاب قذائف الحق للشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

١- يبدأ اليوم الدراسي بتلاوة من آيات الذكر الحكيم مجودة أو مرتلة لتشيع في الجو المدرسي أنسام الطهر الروحي.

٢- تدور كلمة الصباح بالإذاعة بين ثلاث دقائق وخمس دقائق حول ما سمعه التلاميذ من الآيات المقروءة وما تفرضه المناسبات الدينية وما ترشد إليه من فضائل سامية في كلمات موجزة موحية.

٣- أن تكون دروس التربية الدينية في الحصص الثلاث الأولى، ليشعر الطلاب بما للدين من قيمة عليا بين المواد الدراسية، وليكون التلميذ في ذروة النشاط الفكري فيعي ما يسمع ويقر في نفسه.

٤- أن تذاع الأناشيد الدينية أو قصة دينية قصيرة في الفسحة الأولى من اليوم الدراسي.

٥- أن ينظم الجدول المدرسي فيتلاقى ابتداء فسحة الظهيرة مع حلول وقت الظهر وينادى للصلاة ثم يدعى إليها بكلمات تحمس الطلاب لأداء الفريضة.

٦- أن يخرج مدرسو اللغة العربية والتربية الدينية ومعهم إدارة المدرسة ومن شاء من المدرسين الآخرين أمام التلاميذ ثم يتوجهوا إلى المصلى ليكون هذا العمل الجماعي إشعارًا ملموسًا بالاهتمام بإقامة الشعيرة في وقتها.

٧- أن يكون لكل مدرسة مجموعة من الرواد الدينيين يتناسب مع عدد الفصول والطلاب، وهم الراعون لتلاميذهم يوجهونهم إلى مرشدهم ويؤمونهم في صلاتهم وينظمون إقامة الشعيرة بجدول مخطط له حتى يؤدي الصلاة أكبر عدد من الطلاب،

وعليهم أيضًا أن يعدوا تقريرًا شهريًّا عن سلوك كل تلميذ من تلاميذهم ويرسل التقرير إلى ولي أمره ليحس البيت برعاية المدرسة للدين فيعينها عليها.

أن يخصص يومان في الأسبوع من فسحة الظهر تدور فيها مناقشات دينية مطبوعة متصلة بحياة التلاميذ ولا تستغرق من وقت الفسحة زمنًا طويلاً حتى لا يضيق التلاميذ بها.

٩- أن تتجدد جماعات النشاط الديني فتكون هناك جماعة للصحافة الإسلامية وأخرى للتاريخ الإسلامي بجانب الجماعات التقليدية كجماعة البر والإمامة وغيرهما.

١٠- أن يكون العاملون في الميدان المدرسي قدوة حسنة تتسم بالإيمان والسلوك الحميد الذي ينعكس على تلاميذهم إيمانًا وإخلاصًا وسلوكًا قويمًا.

١١- أن نجعل من بعض أيام الجمعة فرصة لالتقاء التلاميذ بأساتذتهم وأولياء أمورهم في مصلى المدرسة حيث تلقى عليهم دروس دينية حية تناقش أفكارهم على سعة لتتيح اشتراك أولياء الأمور في هذه المناقشة مما يساعد على نقاء الجو المنزلي ويوثق الروابط بين البيت والمدرسة.

١٢- أن تدور أسئلة التطبيق الديني الأسبوعي والاختبارات الشهرية والفترية حول الموضوعات التي تثار في الندوات واللقاءات الدينية لتشد انتباه التلاميذ إليها.

١٣- محاسبة المدرسين الذين يستهينون بدورس التربية الدينية فيستبدلون بها حصص المواد الأخرى.

١٤- تقسيم طلاب المدرسة إلى أسر إسلامية وتسمى كل أسرة باسم شخصية إسلامية كبرى على أن يكون تلاميذ كل أسرة على علم وثيق بمن انتمت إليه أسرتهم على أن تتبادل هذه الأسر المناشط الدينية وتثار بينهم المنافسات الكريمة في الجهاد الديني على أن يدعى أولياء الأمور لاجتماعات شهرية لهذه الأسر ليسهموا بجهودهم في هذا المجال.

١٥- استخدام القيادات المؤمنة من الطلاب في جذب زملائهم إلى الإطار الذي

ترسمه المدرسة ليتحرك بنوها في حدوده فإن تأثير الطالب على زملائه أعمق من تأثير الأساتذة عليهم.

١٦- وضع صندوق في فناء المدرسة تجمع فيه التساؤلات الحرة للطلاب للرد عليها من جماعة الفتوى بالمدرسة.

١٧- أن يعنى بالاحتفال[1] بالمناسبات الدينية احتفالاً مخططًا له لتكون صورة متكاملة تطبع في نفوس الطلاب الإجلال لهذه المناسبة ويجعل الهدف من إحيائها: ربط الطلاب بشعائر الإسلام ومبادئه فينبني الاحتفال على أن تعرض مكتبة المدرسة في ركن خاص كل ما لديها من تواليف دينية أعدت لهذه المناسبة الإسلامية كما تقوم بندوات وأناشيد دينية ومسرحيات وأشرطة إسلامية.

١٨- أن تزين جدران المصلى والمدرسة بلافتات تجذب الأنظار بجمال إخراجها وحسن اختيار ما يسطر عليها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والحِكَم البالغة والعظات الدينية الموجهة.

١٩- الاهتمام باختيار شعار للمدرسة من الآيات والأحاديث ويدرس الطلاب والطوالب بشتى الوسائل على الالتزام بما في هذه الشعارات من قيم ومفاهيم ويمكن أن يختار لمدارس البنات الشعار الذي يدعو إلى البعد عن التبرج والتمسك بأهداف الفضيلة والاحتشام في الملبس والمظهر.

٢٠- أن يكون للتربية الدينية ركن في المكتبة العامة وفي مكتبات الفصول ويزود هذا الركن بخير ما تخرجه المطابع من الكتب الدينية الحديثة التي تربط بين الدين والحياة وبين الدين والعلم وتناسب كل مرحلة من المراحل الدراسية.

٢١- أن يكون للمصحف الشريف مكان الصدارة في المكتبة العامة ومكتبات الفصول ومكتبة المصلى.

---

(١) الاحتفالات البدعية هنا كالاحتفال بمولد النبي لا نقرها ولا نعترف بها وإنما الاحتفال نقصد به هنا الاحتفال بيوم عاشوراء كصيامه ومعرفة فضله، أو التحدث عن الهجرة وآثارها لا إقامة الحفلات وتوزيع الحلوى وغيرها من الأمور البدعية.

٢٢- العناية بالوسائل المعينة التي تساعد التلاميذ على فهم أبواب المنهج الديني وتشوقهم إليه وتؤكد مفاهيمه في نفوسهم على أن يشترك الطلاب في إعدادها.

٢٣- أن يكون بيد الطلاب فيما يقرر لهم من الكتب كتاب ذو موضوع واحد يصور بعض البطولات الإسلامية والمعارك الإسلامية وأمجاد الإسلام العسكرية والعلمية لتكون مُثُلاً عليا أمام الطلاب.

٢٤- ينتفع بمجلس الآباء في دراسة وإنقاذ كل ما يجد من مشكلات في سلوك الطلاب وعلاقتهم بالمدرسة وتصرفاتهم الخارجية.

٢٥- أن يحرص الزائرون الرسميون للمدرسة على الصلاة أمام التلاميذ ومعهم ليترجموا عن العناية والاهتمام بأمر الدين فتنصرف هذه العناية إلى التلاميذ.

٢٦- أن نستعين ببعض أولياء الأمور وغيرهم من المثقفين ثقافة دينية واعية في إلقاء بعض المحاضرات أو الدروس الدينية ليكونوا من أدوات التأثير وعوامل الاستجابة من الطلاب مع الاهتمام بما يدور بين الطلبة من تيارات ونزعات قد تنحر بالعقيدة والوجدان الديني.

٢٧- التزام الحشمة والوقار في الزي بمدارس البنات بين المدرسات والطالبات.

٢٨- أن تعد المدرسة معرضًا دينيًا ينظم كل ما أنتجه الطلاب من وسائل تعليمية دينية كصور المصلحين الإسلاميين ومناسك الحج والمعارك والغزوات مع بعض البحوث الدينية التي أعدها الطلاب بإشراف رائدهم وفي هذا تجسيد للقِيم الروحية التي ننشدها لإعداد الجيل الجديد.

٢٩- إذا أمكن وصل النشاط الطلابي بالجماعات الإسلامية القائمة في البلاد كان ذلك حسنًا على أن يتم تحت إشراف المدرسة.

٣٠- يوضع اليوم الدراسي في إطار يحدد أوله ونهايته تحديدًا متصلاً بالدين فلا يدخل التلاميذ فصولهم فرادى ولا ينصرفون منها فرادى ولكن يجمعون في صفوف قبل الدراسة والانصراف ليرددوا أناشيد دينية وقومية ذات معنى روحي وخلقي.

٣١- أن تقوم المدرسة ببعض الرحلات، الدينية التي يزور فيها الطلاب المساجد

الكبرى والمتاحف الإسلامية والآثار والمعالم الدينية والتاريخية والمناطق السياحية الدينية مما يوحي إليهم بأصالة ماضيهم الإسلامي وحضاراتهم المجيدة التي كانت مصدر إشعاع للعالم.

٣٢- أن يكون في كل مركز صيفي للخدمة الاجتماعية بالمدارس وكذلك بالمصايف والمعسكرات مثقف ديني يشرف على سلوك الطلاب ويزودهم بما يقوم سلوكهم ويهذب أخلاقهم كما نرجو أن يعنى المركز أو المصيف أو المعسكر بعرض المناشط الدينية المحببة كالأناشيد والقصص والأنشطة الإسلامية.

٣٣- تفتح أبواب بعض المدارس في كل حي من الأحياء في جميع المدن بجمهورية مصر العربية تحت إشراف مسئولين وذلك لتحفيظ القرآن الكريم في مدة العطلة الصيفية وأن تخصص مكافآت مغرية لمن يحفظ جزءًا من القرآن وكلما زاد عدد الأجزاء من القرآن زادت المكافآت.

الحوافز:

٣٤- خلق الحوافز بين الطلاب المتميزين دينيًّا من مثل إعفائهم من بعض الرسوم المدرسية أو رسوم الرحلات أو غير ذلك.

٣٥- أن ترصد نسبة مجزية من حصيلة مجلس الآباء لتأثيث المصلى وإثابة المجيدين والمسابقات الدينية وإعانة المحتاجين من الطلاب.

٣٦- أن ترصد المناطق التعليمية مكافآت مالية سخية للطالب المثالي في السلوك الديني القويم ليحفز ذلك غيرهم إلى أن ينهجوا نهجهم ويسلكوا سلوكهم.

٣٧- إعداد لوحات شرف للممتازين في تحصيلهم الديني وسلوكهم المستقيم ولمن يقوم بأعمال في البر تستلزم التنويه بها والإشادة بمن قاموا عليها.

٣٨- إعداد شهادات تقديرية للطلبة أو الطالب الذي يمتاز بالتحصيل الديني ويسهم في أنشطته ويتمسك بحبل الفضائل على أن ترسل هذه الشهادات إلى ذويهم لتبعث فيهم الحماسة للتربية الدينية في المنزل وليحرص البيت على النماء الروحي لهؤلاء الأبناء.

وبعد:

٣٩- كل ما قدمناه إنما يدعم بالأجهزة الإعلامــية الطاهرة النقية أما إذا بقي الحال على ما هو عليه في الصحافة والإذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الإعلام فالجهد ضائع لأن ما يبنى هنا تهدمه هذه الوسائل هناك. والله ولي الوفيق...

قلت: وهذا وإن كان حُلمًا فما تحقيقه على الله بعزيز.

☆☆☆

تدليل الصغار كارثة، ومخالطة المدللين كارثة أكبر

عن خـولة بنت حكيم رضي الله عـنها قـالت: قـال رسـول الله ﷺ: «إن الولد مبْخلة، مجبّنة، مجهلة، محزنة»[1]. قال المناوي: «مبخلة بالمال عن إنفاقه في وجوه القُرَب، مجبنة عن الهجرة والجهاد، مجهلة لكونه يحمل على ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصـيله لاهتمامه بتحـصيل المال له، محزنة يحـمل أبويه على كثرة الحزن لكونه إن مـرض حزنا، وإن طلب شيئًـا لا قدرة لهما عليـه حزنا، فأكثـر ما يفوت أبويه من الفلاح والصلاح بسبـبه، فإن شب وعق، فذلك الحزن الدائم والهم السرمدي اللازم»[2]اهـ.

☆☆☆

التفرقة بين التدليل والرفق

وما سبق مما يحصل للوالدين بسبب الـولد فإنما مصدره الحنان على الطفل والرأفة به، لكن فكما أمر الإسلام بالحنان مع الطفل والرأفـة؛ فقد نهى عن الإفراط والغلو في هذا الحنان، فلا مفـر في بعض الأوقات من الحزم والتخـويف لترتد نفس الطفل عن التمادي في الغي أو الانحراف، وكثير من الأطفال يردعهم مجرد رؤية العصا أو السوط، ويُلزمهم ظهـور أداة العقوبة، فيسـارعون إلى تجنب التعرض لها، فتـستوي

---

(١) صحيح الجامع (ص١٩٩٠).

(٢) فيض القدير (ج٢/ ص٤٠٣).

تصرفاتهم ويتصحح مسارهم، لذلك أوصى النبي ﷺ الرجل أن يعلّق العصا في البيت.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**علِّقوا السوط حيث يراه أهل البيت**»[١]. وعنه أيضًا أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت[٢]. فالنبي صلوات الله وسلامه عليه لا يريد أن يكون من وراء حب الطفل والحنان عليه تدللٌ وتفريطٌ ومجاراةٌ للطفل في جميع أهوائه، فيفعل الطفل ما يشاء ويقضي ما هو قاض، فإن ذلك جناية كبرى على الولد، والنبي ﷺ يقول: «**ألا لا يجني جانٍ إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا يجني مولود على والده**»[٣].

والجناية: الذنب والجرم، وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العذاب أو القصاص في الدنيا والآخرة[٤]، فإذا فعل الإنسان ما يوجب العذاب على غيره؛ فهذه الجناية على الغير، كما يتسبب بعض الآباء في عذاب الله لأبنائهم بسبب تدليلهم وحبهم المفرط؛ الذي ينتج عنه عدم الأخذ على أيديهم لتعويدهم طاعة الله والوقوف عند حدوده، والله تعالى أمر مثل هؤلاء الآباء وأمثالهم؛ بل وسائر الذين آمنوا بقوله جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (التحريم: ٦).

• ما هي أضرار مخالطة الطفل لأهل الميوعة والدلال؟

قال الغزالي رحمه الله: «ينبغي أن يُحفظ الصبي عن الصبيان الذين عُوِّدوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، وألاَّ يُسمح له بمخالطتهم، فإن الصبي إذا أُهمل في بدء حياته خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذابًا، حسودًا، سروقًا، ذا فضول

---

(١) صحيح الجامع (٤٠٢١) وهو في الأدب المفرد عند البخاريَ.

(٢) السلسلة الصحيحة (ح١٤٤٧).

(٣) **صحيح**: الترمذي كتاب تفسير القرآن (٣٠١٢)، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني، كتاب المناسك (٣٠٤٦)، وأحمد والهيثمي بلفظ: «**ألا لا تجني نفس على أخرى**»، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. اهـ. (ج٦/ ص٢٨٣)، وابن حبان في صحيحه (ج١٣/ ص٣٣٧/ ح٥٩٩٥)، وانظر السلسلة الصحيحة (ح١٩٧٤).

(٤) ابن الأثير في النهاية.

وكيد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب وكمال التربية»(١) .

فينبغي ألا يسمح للطفل بمخالطة المدللين من الأطفال؛ لأنهم لا يصلحون للحياة التي تنتظرهم، فقد وجدوا الحياة سهلة ميسرة لهم، كلها نعيم ورخاء، واعتمدوا على ثروة آبائهم وأمهاتهم، فناموا واستعذبوا النوم، وصارت حياتهم كلها حياة خمول وكسل، وجعلوا ليلهم نهارًا، ونهارهم ليلاً، وأصبحوا جرثومة من الفساد، وإن المربين يرون أن أهم مرحلة في الحياة هي مرحلة الطفولة المبكرة في الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل، فإذا أُهمل في بدء حياته صار غالبًا فاسد الخلق، كثير الكذب، كثير الحقد والحسد، كثير السرقة والنميمة والإلحاح، فضوليًّا يتدخل فيما لا يعنيه، ويكيد لغيره من زملائه، ذا مجون، لا يبالي بما يصنع، ولا يكترث لما يفعل، ومن الممكن أن يحفظ من فساد الخلق، ومن هذه الرذائل كلها إذا عنينا بتربيته كل العناية في طفولته وأطوار حياته، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر البيئة في تربية الطفل(٢) .

إن منعنا للصغير من مخالطة المدللين يجب أن يكون قرارًا حاسمًا لا يقبل المناقشة، ولو كان الممنوع من مخالطته ابن الأخ، أو ابن الأخت، فالعدوى إلى الصغار أسرع منها إلى الكبار، والبناء الذي يهدمه طفل صغير بناء يُعاب بانيه الذي تركه نهبة لنسمة هواء صغيرة لتجعله ركامًا أو قاعًا صفصفًا.

ومما قيل هنا في التدليل يقال في منع الصغيرات من زيارة القريبات والجارات المتبرجات اللاتي يجهرن بذلك، وإلا وقعنا في حيص بيص حين يسأل الصغار: لماذا هي متبرجة، وأمي صاحبة حجاب؟ ومن منهما على الحقيقة؟

ويا لصراحة الصغار حين يجهرون أمام الصديقة المتبرجة: سوف يغضب الله عليك لأنك لا تلبسين الحجاب.

☆ ☆ ☆

---

(١) إحياء علوم الدين (ج٣/ ٧٠).

(٢) محمد عطية الإبراشي (ص٢٥٨، ٢٥٩) في التربية الإسلامية.

لقمان عليه السلام يربي ولده

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٢- ١٩).

من هو لقمان؟

اختلفت الأقوال الواردة في شخصية لقمان عليه السلام، وهل كان نبيًّا أم عبدًا صالحًا آتاه الله الحكمة؟ ولكن الأسانيد التي بين أيدينا تُجزم بمعاصرته لنبي الله داود، كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدِّرع، فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله عن فائدته، ويمنعه حكمته أن يسأله، فلما فرغ منها صبَّها على نفسه، فقال- أي: نبي الله داود-: نِعم درع الحرب هذه. فقال لقمان: الصمت من الحكمة، وقليل فاعله، كنت أردت أن أسألك فسكتُّ حتى كفيتني»[1] .

ويخلص الإمام ابن كثير رحمه الله إلى أن لقمان: كان رجلاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة، والمشهور أنه كان حكيمًا وليًّا، ولم يكن نبيًّا. وعلى كل الأحوال فإنه قد ذكره الله تعالى في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾

---

(١) صحيح: الحاكم (٢/ ٤٥٨)، وصححه الحافظ ابن حجر (٦/ ٤٦٦) في الفتح.

(لقمان: ١٢). وللحكمة فضل عظيم كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

وقد فسر مجاهد الحكمة كما في تفسير الطبري (٢٨٠٩٢) بسند صحيح أنها الأمانة، لكن الحكمة أوسع من ذلك بكثير ومفهومها أكبر من أن يختزل في كلمة الأمانة، لذا فإن القرطبي رحمه الله في تفسيره (١٤/ ٦١) يقول: «كان لقمان رجلاً حكيمًا بحكمة الله تعالى، وهي الصواب في المعتقدات، والفقه في الدين، والعقل وهذا هو المفهوم الذي نرتضيه للحكمة التي تجمع بين الصلاح وبين الرأى الصائب في الدين، وأمور الدنيا، وهذا مضمونه ومقتضاه الشكر لله تعالى، فكان لقمان يعرف لربه هذه النعمة عليه، ومن ثَمَّ كان من الشاكرين إذ تقييد النعم لا يكون إلا بالشكر، وأحمق الحمقى هو من يخالف عن الحكمة ولا يدخر لنفسه عند ربه رصيداً من الشكر، فيضيع إنعام ربه عليه وهو لا يدري».

التوحيد أولاً:

ثم بدأ القرآن يعرض لحكمة لقمان في شكل نصحه ووعظه لولده وهو أشفق الناس عليه، فكان أول ما وعظه به التوحيد واجتناب الشرك فقال: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فنهاه عن الشرك وحذره من فقد الإيمان، وعند البخاري (٤٧٧٦) ومسلم (١٢٤/ ١٩٧) بالسند عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢). شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس بذاك، ألم تسمع إلى قول لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾». فالشرك ظلم عظيم يحبط به عمل الإنسان مهما فعل ومهما قدَّم من خير كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٨٨).

إن الشرك ظلم عظيم لأنه ظلم للنفس، وما أقسى ظلم النفس وأشده، فحكم العقل والمنطق- بعد الشرع- يحتم عدم الشرك بالله أملاً في مغفرته سبحانه وهو صاحب المغفرة، فالمشرك حرم نفسه منها، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨).

وهذا عين العدل الإلهي، كيف ينال مغفرة الله من لم يقر بتوحيده سبحانه وأشرك معه غيره؟ وكان من الأولى عليه أن يلتمس المغفرة من هؤلاء الأغيار، ولكن هيهات.

إن معنى حرمان الإنسان من مغفرة الله إنزال الظلم البالغ بنفسه، فلا يلومن امرؤ ساعتها إلا نفسه، فالله عن عبادة العباد غني حميد، وهم إليه فقراء، وليس العجب من عبد فقير يحب ربًا قديرًا؛ بل العجب من رب قدير يحب عبدًا فقيرًا.

لكن لماذا لقمان يوصي ولده باتقاء الشرك؟

أولاً: لعظم أمر التوحيد، فمن حقق التوحيد نجا، ولذا خاف الأنبياء من فقده، حتى إن أبا الموحدين إبراهيم عليه السلام ليقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥). ومن يأمن البلاء بعد الخليل؟!

ثانيًا: هي وصية من مؤمن لمؤمن، ينصحه ويبذل له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكره بالله.

ثالثًا: أن الإيمان بالله مرحلة سابقة على الشرك به، فقد يكون الإنسان مؤمنًا بالله، لكن يشرك معه من المخلوقات من يقسم به، أو ينذر له، أو يخشاه، أو يحبه حبًّا شديدًا وهو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون حتى قالوا عن أصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر: ٣). وابن لقمان مؤمن بالله كما يبدو من سياق القرآن، فخشي الرجل على ولده بعد رحيله أن يضل عن عقيدة التوحيد، ويشرك بالله غيره، فنهاه عن الشرك وأمره بالتوحيد، وبيَّن قُبح الإشراك بالله ووصفه بأنه (ظلمٌ عظيم).

رابعًا: إن الإشراك بالله يسهل إلباسه على الإنسان من الغير بعكس الكفر بالله، الذي يحتاج إلى تدخل واضح من إرادة الإنسان نفسه، أو بمعنى آخر: أبواب الشرك أسهل ولوجًا من أبواب الكفر، لأن الذين يزينون الشرك كثير، وإقناع العوام به أسهل من إقناعهم بالكفر بالله، ولذا جاء التحذير من الشرك بالله أقوى لأن فيه تحذيرًا من جلساء السوء وغيرهم ممَّن يسولون للآخرين الشرك بالله وخاصة في مرحلة الشباب المليئة بالمتغيرات، وفيه أيضًا تحذير من أشياء قد يراها الإنسان لا غبار

عليهـا إذا فُعلت مع أنها تمثل نوعًـا من الشرك كالرياء، وهو أخـوف ما كان يخـافه النبي على أمته، والله أغنى الأغنياء عن الشرك.

الوصية بالوالدين:

وانطلق لقمـان عليه السلام يعبّ من بحر الحكمـة، فوصّى ولده بوالديه، ليكون بارًّا بهما وهو أبوه، والقرآن يلتقط الخيط من لقـمان لئلا تكون هذه مجرد موعظة أو نصيحة؛ بل أمرًا شرعيًّا يجب إطاعته، وإلا باء عاصيه بالخسران المبين.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: ١٤، ١٥).

وعجيب أمر القرآن حقًّا في هذه الوصية، فقد أبى إلا أن تكون أمرًا شرعيًّا واجب التنفيذ حتى لا يظن الناس أنها وصية من أبٍ يذكرها من قبيل الاعتزاز بالنفس طالبًا من ولده البر مجـبرًا إياه عليه، لا ولكن الأمر مصدره الإرادة الإلهـية العليا التي لا يعصى لها أمرٌ مهما كانت الظروف والملابسات.

ويا للتواضع! فلقمان الذي آتاه الله الحكمة وفضله بها لا يقدم نفسه في الوصية؛ بل يقدم الأم التي تحملت المشـاق في الحمل والوضع والولادة والرضاع، وتألمت في الفطام أكثر من تألـم الطفل الصغير ذاته.

ولقمـان يتابع المنهج القرآني في جعل الـبر بالوالدين عقب النهي عن الشـرك كما قال تعالى: **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** (الإسراء: ٢٣). وهذا أكبر تعظيم للوالدين خاصة إذا قرن بقوله تعالى هنا: **﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾** (لقمان: ١٤).

فالله تعـالى المنعم الأول فالشكر إليـه أولاً، ثم للوالدين بعد وهذه قـمة التكريم لهما، وقُرن شكرهما بشكر الله تعـالى، ومن عظم هذه الوصية أنها شملت كل أب وأم حتى ولو كانا مشركين أو كان أحدهما مشـركًا، لكن البر هنا سيأخذ طابعًا آخر حين يتحول إلى صبـر على المشرك أحدهما أو كلاهما بالقول بالمعـروف، والمصاحبة بالمعروف، وعـدم طاعتهـما في هذا الأمر إذ لا طاعة لمخلـوق في معصيـة الخالق، وخيـر تصوير لما يحدث من بر أو عقـوق من الأبناء للآباء جمعـته هذه الآيات حين

قال الله تعالى: ﴿ووَصَّيْنا الإنسانَ بوالديْه إحسانًا حملتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ووضعتْه كُرْهًا وحملُه وفصالُه ثلاثونَ شهرًا حتَّىٰ إذا بلَغَ أشُدَّه وبلغ أربعينَ سنةً قال ربِّ أوزِعْني أنْ أشكُرَ نعمتَكَ الَّتي أنعمتَ عليَّ وعلَىٰ والديَّ وأنْ أعملَ صالحًا ترضاهُ وأصلحْ لي في ذُرِّيَّتي إنِّي تُبْتُ إليْكَ وإنِّي منَ المُسلمينَ (15) أُولَٰئكَ الَّذين نتقبَّلُ عنهُمْ أحسنَ ما عملوا ونتجاوزُ عن سيِّئاتهمْ في أصحاب الْجنَّة وعْدَ الصِّدْق الَّذي كانُوا يُوعدُونَ (16) والَّذي قالَ لوالديْه أُفٍّ لَّكُما أتعدانِنِي أنْ أُخرجَ وقدْ خلَت الْقُرونُ من قبْلي وهُما يسْتغيثانِ اللَّهَ ويْلكَ ءامنْ إنَّ وعْدَ اللَّه حقٌّ فيقولُ ما هذا إلاَّ أساطيرُ الأوَّلين (17) أُولَٰئكَ الَّذينَ حقَّ علَيْهمُ الْقوْلُ في أُممٍ قدْ خلَتْ من قبْلهم مِّنَ الْجنِّ والإنسِ إنَّهُمْ كانُوا خاسرينَ (18) ولكُلٍّ درجاتٌ مِّمَّا عملُوا وليُوفِّيهُمْ أعمالَهُمْ وهُمْ لا يُظْلمُونَ﴾ (الأحقاف: ١٥- ١٩).

رقابة الله تعالى:

ويعود لقمان ثانية لتعميق روح الإيمان والتوحيد في قلب ولده، فيقول مناديًا إياه بما يحبه الأبناء من الآباء: يا بني، فيسمع الابن وينصت فيقول لقمان: ﴿إنَّهَا إن تَكُ مثْقَالَ حبَّةٍ مِّنْ خرْدَلٍ فتكُن في صخْرةٍ أوْ في السَّماوات أوْ في الأرْضِ يأْت بهَا اللَّهُ إنَّ اللَّهَ لطيفٌ خبيرٌ﴾ (لقمان: ١٦).

فقد أثبت لله العلم المطلق والقدرة المطلقة في كلماته الحكيمة، وهي وصية إذا قرَّت في عقل الإنسان ووجدانه سيخشى أن يفسد في الأرض، لأنه سيفكر جيدًا قبل الإقدام على أي عملٍ ليسأل: هل يغضب الله أم يرضيه؟ فإذا رآه يرضي الله أقدم عليه، لأن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض بعلمه، إذ هو العليم الخبير، وهو اللطيف الذي يعلم دقائق الأمور ولو كانت حبة خردل في صخرة، أو في السماوات أو في الأرض، أو ساقطة في ظلمة من الظلمات في جو السماء أو باطن الأرض، لأنه الذي يسمع ويرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ﴿وما من غائبةٍ في السَّماء والأرْضِ إلاَّ في كتابٍ مُّبينٍ﴾ (النمل: ٧٥). ﴿وما تسْقُطُ من ورقةٍ إلاَّ يعْلمُها ولا حبَّةٍ في ظُلُمات الأرْضِ ولا رطْبٍ ولا يابسٍ إلاَّ في كتابٍ مُّبينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩). ﴿وما تكونُ في شأْنٍ وما تتْلُوا منْهُ من قُرْءانٍ ولا تعْملُونَ منْ عملٍ إلاَّ كُنَّا عليْكُمْ شُهُودًا إذْ تُفيضُونَ فيه وما يعْزُبُ عن رَّبِّكَ من مِّثْقالِ ذرَّةٍ في الأرْضِ ولا في السَّماء ولا أصْغرَ من ذلكَ ولا أكْبرَ إلاَّ في كتابٍ مُّبينٍ﴾ (يونس: ٦١). وفي النهاية: ﴿فمن يعْملْ مثْقالَ ذرَّةٍ خيْرًا يرهُ (7) ومن يعْملْ مثْقالَ ذرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨). وهو ما يدفع الجميع إلى اتباع الطريق القويم في كل الحركات والسكنات، ومن ثم يصل إلى درجة الإحسان لعلمه أن الله يراه ويطلع عليه.

الوصية بالعبادة:

وبعد استقرار العقيدة في القلب والنفس، واستشعار رقابة الله، ها هو لقمان يوصي ولده بالعبادة موجهًا إياه إلى أم العبادات، وهي الصلاة، يأمره ليؤديها محافظًا عليها، فهي أعظم العبادات مكانة عند الله، وبها يصلح العمل أو يفسد، وهي أكثر العبادات اتساعًا، فتشمل الدعاء، والذكر، والقراءة، والخشية، والقنوت، والامتناع عن الشهوات، وهي زكاة الجسد، وفيها التوجه إلى الكعبة، وفيها شكر الله، وأداء الأمانة، وهي أيسر العبادات لا تسقط عن الإنسان إلا بسقوط عقله، أو بانقطاع حياته.

ثم يأمره: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (لقمان: ١٧). وهذا طريق العقيدة والتوحيد، توحيد الله والإيمان به، الشعور برقابته، التطلع إلى ما عنده، الصلاة، ثم دعوة الناس إلى الإيمان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر الاستطاعة، باليد إن توفرت القدرة، وإلا فاللسان، فإن لم يكن فالقلب آخر الدواء، وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل، ويكفي أن الله تعالى جمع هذا في آية واحدة ليكون أساس الخيرية لهذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

لكن النفوس تهفو إلى المعصية، وهي أمارة بالسوء، وبعضها منحرف لا يريد الخير، فسيحدث الأذى للداعية العالم لا محالة، سيصيبه منهم أذى القول والفعل، ولذا قال لقمان لابنه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧). التي لا بد منها، ولا محيد عنها.

وليعلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن من أصول وبديهيات هذا الأمر:

١- ألا ينصب نفسه حاكمًا على العباد، مخبرًا بمصائرهم، فالله سبحانه من يحكم بين العباد، هذا في الجنة، وذلك في النار.

٢- أن الهداية بيد الله يعطيها من يشاء، وما هو إلا مجرد مبلغ عليه الاجتهاد في التبليغ.

٣- ليصحب البلاغ قولاً لينًا ونصحًا رقيقًا رفيقًا.

٤- مع قدوة سلوكية يوافق فيها فعل المرء قوله، فأصلح نفسك وادْعُ غيرك.

آخر الوصايا:

ولأنه يريد ابنه عالمًا حكيمًا مثله داعيًا إلى الحق والخير، رجلاً لله على أرضه، أراد حسن السلوك قدوة للناس بخلقه الحسن الرفيع، وسلوكه الطيب الذي لا يفارقه، فقال: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٨، ١٩).

وصَّاه بالصبر أولاً ثم بـ(التواضع) فنهاه عن تصعير خده وليِّه وإمالته، وهو ما يفعله المتكبرون عادة إذا كلموا الناس؛ إذ يظن أحدهم أنه أكبر من الإصغاء لبشري مهما كانت كلماته ومهما كان سنه ومقامه، وهذا شأن السفهاء، والتواضع شيمة الكبار الذين يدركون عظمة أنفسهم الحقيقية، فأراد لقمان ابنه كبيرًا فنصحه بالتواضع مبينًا صوره.

* فمنها عدم تصعير الخد، والإعراض عن الناس احتقارًا لهم واستكبارًا عليهم، بل يسمع بلين جانب ووجه منبسط ينم عن احترام إنسانية من أمامه مهما كان، فـ«رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره»[١].

* ومنها القصد في المشي دون فرح وكبر، وتبختر أو اختيال ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨). إنه فعل قبيح، وحركة كريهة يمقتها الله قبل الناس ألا وهي: المشي متبخترًا متمايلاً مدعيًا العظمة والكبرياء، كأن الأرض خلقت لتحمله وحده فقط، وهو مغضبة لله لا محالة: «بينما رجل يمشي في برديه يتبختر فيهما، إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[٢].

---

(١) صحيح :سبق تخريجه.

(٢) صحيح :البخاري (٣٤٨٥)، مسلم (٢٠٨٨/ ١٤).

وفي الحديث: «إياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ولا يحبها الله»(١) .

إن تصنُّع العظمة، والتكلف في المشية والحديث والملبس لم تخلق إلا ليتقمصها السفهاء رداءً لهم، وأعجب ما في الأمر أن المختال لا يملك مقومات الخيلاء والكبر، فجسده ليس من خلقه، والأرض لله، والبشر الذين حوله والكائنات من خلق الله، أفلا يعلم أنه عما قليل ليصبحن ترابًا؟!

إن أثر الاختيال: لا شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧). وقارون المثال على ذلك فارجع إليه.

لقد طلب لقمان من ابنه أن يقصد في مشيه إذ القصد في المشي من سمات عباد الرحمن، فلا هو يميت على الناس دينهم، ولا هو يمشي بسرعة عادة، فعلماء النفس يرون أن أسلوب الإنسان في المشي يعبر عن شخصيته وحالته النفسية في كثير من الأحوال، فالمسرع دائمًا في مشيته قلقٌ متوتر الأعصاب، لا يستطيع علاج الأمور في هدوء، على العكس من ذلك الشخص المعتدل في مشيته غالبًا ما يكون عاقلاً متزنًا يحترم الناس تفكيره ويلجأون إليه طالبين المشورة في جل شئونهم.

ويبقى أنه قال: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ففي غض الصوت فضلاً عن الأدب ثقة وطمأنينة، وصدق وقوة في الحديث خاصة إذا خاطب الإنسان من يكبره أو من يحاجه، والكلمة الطيبة زينة الصوت، وقد أمر الله المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢). وجعل غض الصوت سببًا في المغفرة والهداية إلى التقوى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: ٣). والكل يعلم أن خروج الكلمة من بين الفكين ربما كانت سببًا في مقتل صاحبها.

وحتى يتبين إلى أي حد يكون علو الصوت من الأفعال المقبوحة، فقد وضعه لقمان في صورة تشبيهية قبيحة يستنكرها الناس جميعًا فقال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ

---

(١) صحيح: أحمد (٥/ ٦٣، ٦٤)، أبو داود (٤٨٤) عن العباس بن جابر بن سليم في الدية.

لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ وهو تشبيــه يلفت أنظار الذين يرفعون أصواتهم بغيـر فائدة حتى لا يكونوا كالحمير في ارتفاع الصوت بلا فهم، ولعمري تلك الحكمة بعينها[1] .

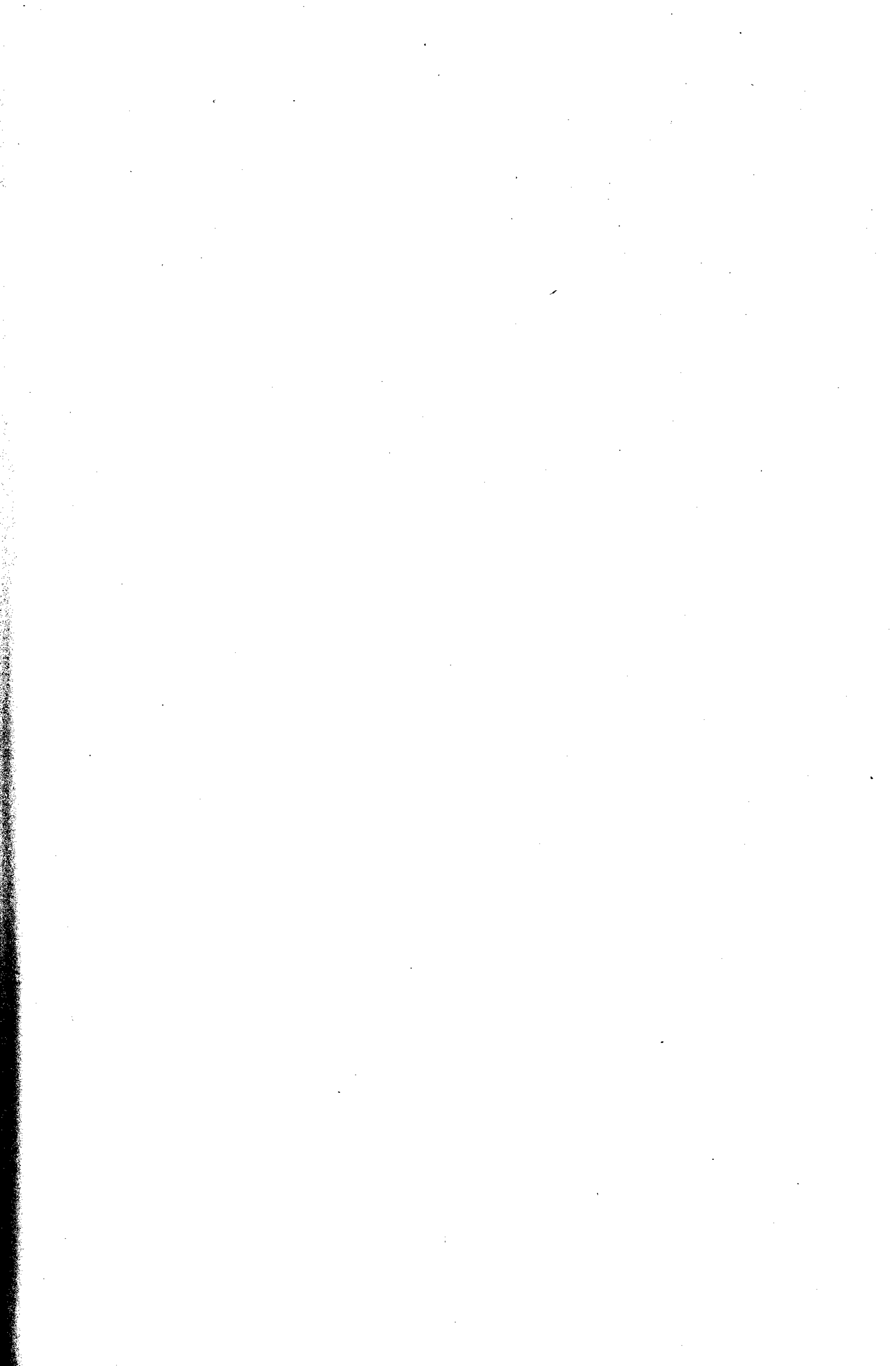
هذا إذن هو منهج الأنبياء في تربية أولادهم: التوحيد فيه أولاً، ثم بر الوالدين، ثم العبادات، ومن ورائها الأخلاق، وهذا ما سنـبدأ في عرضه في الفصل القادم إن شاء الله تعالى، وهو بداية الجزء الثاني.

☆☆☆

تم بحمد الله الجزء الأول

---

(١) هذا مستل من كتابي «صحيح قصص القرآن» ط- دار الحديث.



فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة

☆☆☆



الموسوعة الإسلامية

في تربية الأولاد

تأليف

حامد أحمد الطاهر

الجزء الثاني

دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر / القاهرة

تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨

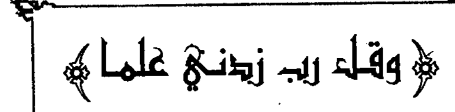


محمول - ٠١٢٧٤١٨٣٤٨







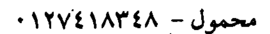


* الكتاب: الموسوعة الإسلامية في تربية الأولاد ج (٢)
* المؤلف: تأليف/ حامد أحمد الطاهر
* سنة الطبع: الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
* الناشر: دار الفجر للتراث - القاهرة
* عدد الصفحات: ٤٩٦ صفحة
* رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٩١٥٦

دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر / القاهرة


تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨


محمول - ٠١٢٧٤١٨٣٤٨

تربية الصغار ما بعد ثلاث سنوات
[من سن ٤ سنوات إلى سن ١٠ سنوات]
من هنا نبدأ

اتضح لنا بعد استعراض منهج لقمان عليه السلام في تربية ولده ملامح وأساسيات المنهج الإسلامي في التربية، والذي يقوم على تربية ثلاثة أساسيات داخل الصغار:

(١) العقيدة السليمة.

(٢) الحفاظ على أصول التشريع.

(٣) ثم الوصية بالأخلاق بمفهومها الواسع: الأخلاق مع الله، ثم مع البشر جميعًا.

لتكون النتيجة في النهاية: شخصية إسلامية سوية تعرف لماذا خُلقت؟ وما هو دورها في الحياة؟ بعيدًا عن دُنا الكفر، والفسق، والمعاصي، والرذائل التي استطار أمرها، وظهر فسادها حتى خسرنا أجيالاً متتالية من أمة الإسلام كان الأحرى بها تحرير الإسلام وبلاده من الاستعمار العسكري، أو الاقتصادي، أو الأخلاقي.

ويبقى أن يقرَّ في النفوس مسألة هامة للغاية قبل أن نبدأ في تربية الصغار في السن الحرجة (من ٤ سنوات إلى ١٠ سنوات) وهي: أن هذه الفترة إن ضاعت ضاع معها جيلٌ كامل من الأمة، وفساد أغلبيتها يعني فساد أغلبية الأمة، وفساد جزء منها يعني فساد قطاع عريض من الأمة، وفساد أفرادٍ معدودين منها يعني إمكانية وجود مفسدٍ أو داعية إلى الفساد قد تكون له القدرة على إفساد مجتمع بالكامل.

فابذل جهدك دون توانٍ أو كسل، وابذر الحبَّ وارعه، والله تعالى عليه النتائج، وإذا فسد الولد بعد أن استوفيت الجهد، وقمت بما عليك فلست أفضل حالاً من نبي الله نوح عليه السلام يوم أن كفر ولده ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ

قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: ٤٢، ٤٣)

إلى أن قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: ٤٥، ٤٦)

وبعض الروايات المعتمدة على كتب السير والتواريخ تقول: إن هذا الكافر اسمه «كنعان» (١).

وقد علَّق القرطبي رحمه الله على هذه القصة فقال: «في هذه الآية- قصة ابن نوح- تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين، وروي أن ابن مالك بن أنس- إمام دار الهجرة- نزل من فوق ومعه حمام قد غطَّاه، فعلم مالك أن قد فهمه الناس، فقال مالك: الأدبُ أدبُ الله؛ لا أدب الآباء والأمهات، والخير خير الله؛ لا خير الآباء والأمهات» (٢).

لقد استفرغ نبي الله نوح جهده مع هذا العاق الكافر فدعاه قبل الطوفان، وأثناءه، ودعا له بالمغفرة بعد ذلك، مما يعني أنه قتل هذا العاق تربية ونصحًا، لكن مشيئة الله في النهاية غالبة، وهنا تكمن العبرة، وهنا يختبئ الدرس الذي يجب أن يعيه الخلق جميعًا: ابذل جهدك والنتيجة على الله، ولا تتكاسل لأن صياغة القلوب وصناعتها تستوجب تيقظًا وهمة؛ لا نومًا ولا غفلة، ولا تكاسلاً ولا تواكلاً.

ولن نزرع شعيراً لنجني قمحًا، إنما لابد من الزراعة والعناية، ثم النتائج على الله، واعلم أن من أراد الراحة فعليه ترك الراحة.

ولن نحاول الإلحاح على فكرة شمولية الإسلام لكل كبيرة وصغيرة، فالفكرة أوضح من أن نلح عليها، وسترى تفاصيلها داخل طيَّات هذا الباب الكبير، فلا عذر لأحدٍ في فساد ولده وإهماله.

إن أول مهمة يجب أن يتيقظ لها المربون أنه يجب ربط الفرع بالأصل، واكتشاف

---

(١) فتح القدير (٢/ ٤٩٨).

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٥٠).



الدر في أصدافها، والسن المواتيـة لهذه المهمة هي هذه السن التي يقبل الصغيـر فيها التشكل كمـا نريد لا كما يريد هو، ونحن نريده مسلمًا، نريده نفـسًا مؤمنة تعي أن وظيفـة المرء في هذا الوجود: العبـودية. وصغارنا هم الفـرع، وسلفنا هم الأصل، والدر هي الإيمان والتوحيد الذي يختبئ داخل الصغار فما علينا إلا اكتشافه.

إن عرق الإيمان كذهب في منجم لا يبلى ولا يتغير، ولا يؤثر فيه ماءٌ ولا تراب، إنه عرق مخبوء في مضغة القلب يتحرك فيـأتي بالعجائب، فاكتشفه، ونَمِّه، واعمل على جعله كـالجبال الراسيـات، واربط الصغار بسلفـهم، فميـراث سلفهم هو أنفع ميـراث يرثه خلف عن سلف، وخير زاد يـقدمه سلف لخلف، وسـاعتهـا ستنطلق الهمم كالسيل المتدافع تقذف تيارًا بتيار في زمن يجهد فيه الأعداء لطمس معالم الأمة وهويتها، وإعادة النائم بعد قليل من يقظته وقد كان قريب عهد به.

لقد وضحت في الفصل الـسابق المخاطر والقواعد والمحاذير، وسيـتحول البحث الآن إلى الجانب العملي لنبدأ في تربية الصغار بعد مرحلة الولادة والرضاع والفطام، وهي المرحلة الأخطر في حياة الإنسـان، ففيها التعلم والتعليم، وفـيها تتكون المعالم الرئيسية لصورة الإنسان؛ لا صورته البدنية، بل شخصيته الكاملة.

ويبقى التحـذير من البيئة التي تُربى فـيها الصغار، لئـلا تكون ممن يحرثون على الماء، فيأتي أضعف موج ليزيل أقوى أصل وأساس بنيته، فارحل عن بيئة السوء لئلا تنبت غـرسك في أرض سوء، ولا نفع مـعهـا في عناية أو حـرث، والبداية دائمًـا بالتوحيد.



الإيمان قبل القرآن

تنقل الأخبار الواردة عن غير المسلمين أن قطاعًا عريضًا من أتباع الديانات السابقة على الإسلام أو اللاحقة له- كالبهائية وغيرها- لا يؤمن أصحابها إلا إيمانًا قلبيًا، بعيدًا تمامًا عن أداء شعائر هذه الديانات، أو الذهاب إلى دور العبادة فيها، وممارسة طقوسها، أو حتى القراءة عنها من قريب أو بعيد، حتى إنه من الطبيعي للغاية في الغرب أن تسمع سؤالاً واحدًا يتكرر كثيرًا: هل تؤمن بالله؟ مع اتهامات بالجملة للذات الإلهية، والنبوة، والكتب، والقدر، ومع ذلك فإنهم يقولون: نحن نصارى أو يهود أو أي ديانة أخرى.

ويقفز إلى الذهن سؤال طبيعي: لماذا يتمسك هؤلاء إذن بدينهم؟ والإجابة: أن هؤلاء وهم صغار يواظب آباؤهم وأجدادهم على اصطحابهم إلى دور عبادتهم، ويبدءون في تشكيلهم عقديًا حتى يهودوهم أو ينصروهم أو يضيفوهم إلى أي ديانة أخرى، وهذا كله تحدث عنه النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة فقال عليه السلام: «ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» . ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: ٣٠)(١) .

لقد وضَّح النبي ﷺ أن المولود يخلق على الفطرة، ثم يشوه أهله فطرته تشبيهًا بالبهيمة التي جدعت- يعني قُطعت- بعد أن خُلِقت سليمة(٢) .

هذا ما يعمد إليه أعداء الله فيفعلونه: يشوهون فطرة الصغير، فلا يقبل التزحزح عن دينه مقدار أنملة ولو تحداه العالم كله، إذ إنه وهو صغير قد صُبَّ في قلبه حب دينه على تكاسله وتوانيه في أداء شعائره حتى أُشْرِبَ حبه في قلبه، كما أُشرب اليهود حب العجل.

---

(١) صحيح: البخاري (١٣٥٩) في الجنائز، مسلم (٢٦٥٨/ ٢٢) في القدر، والجدعاء مقطوعة الأذن.
(٢) فتح الباري (٣/ ٢٥٠) لابن حجر.



ومن هنا نرى كنائس الغرب، ومدارس يهود تمتلئ إما بالصغار أو بالعجائز بعد أن قرَّ في نفوسهم وهم صغار أن ما هم عليه هو الحق.

والمتعارف عليه في عالم المِهَن والحِرف أن أكثر الناس مهارة في حرفته هو من تعلمها صغيرًا وذهنه فارغ خاوٍ حتى (شرب الصنعة) كما يقولون، فسلمت يمينه، ومَهُر في صنعته، فإذا ما أردنا جيلا مؤمنًا فالوقت المناسب لتعليمه الإيمان هو هذه المرحلة السنية من (٤ إلى ١٠) سنوات لنظفر بكائنات إيمانية، ومخلوقات توحيدية، لا تعرف إلاَّ الله تعالى ربًا، ومحمدًا ﷺ رسولاً، والإسلام دينًا.

إننا نملك أمرين لا شك في أنهما معينان على تعلم الإيمان:

أولاً: الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، فتحتاج إلى إيقاظها.

ثانيًا: نملك عقيدة واضحة لا غموض فيها ليس علينا إلا نقلها كما هي بصفاتها إلى الصغار.

وقد يتعجل بعض المربين فيعمل على تحفيظ الصغير القرآن قبل أن يعلمه أصول دينه وعقيدته، وهذا خطأ لا محالة، ويجب استدراكه، والعمل على ترتيب الأولويات العقدية ترتيبًا صحيحًا.

لماذا الإيمان قبل القرآن؟

أولاً: لأن هذا هو منهج النبي ﷺ في تربية الصحابة من حوله، يوضح ذلك قول جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه إذ قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حذاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن؛ فازددنا به إيمانًا»[(١)].

«فالمقدم في التعليم هو الإيمان، ثم دراسة القرآن الكريم وحفظه؛ لأن الولد ما دام في الحجر ينقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ صعب جبره»[(٢)].

إن الطفل كالوعاء- كما سبق تشبيهه- كلما ملأته بشيء امتلأ، فإن ملأته بالإيمان فاض وامتلأ، وكان مؤمنًا حقًا، وإذا امتلأ بالشر كان واحدًا من شياطين الإنس إلاَّ

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٦١) في المقدمة، الحذورة: الغلام إذا اشتد وقوي وخدم، وهو الذي قارب البلوغ.

(٢) المقدمة (ص٥٠٥) لابن خلدون.

أن تدركه رحمة الله تعالى، وهو كالشجرة كُلَّما غذيتها كلما قويت على مواجهة العواصف والريح إلا أن يشاء الله أمرًا آخر.

فإذا ما كبر وكان بعيدًا عن الإيمان صعب اجترار إلى ساحة الإيمان تارة أخرى، وقد كنت رأيت أحد (المخلطين) المولود لأب مسلم وأم ألمانية نصرانية، كان الاتفاق بينها وبين زوجها على أن يخرج ولدهما باسم إسلامي، لكن لا يجبر على اعتناق أحد الدينين- وإن كُتب في بطاقته: مسلم- فكنت كلما حاولت الحديث معه عن الإسلام صدَّني وتركني، أو اتهمني بالتهمة المعروفة في أوروبا بـ«الأصولية»، ومثل هذا يصعب جبر هذا النقص الواضح فيه؛ لأنه فارق مرحلة الطفولة والبناء إلى مرحلة المراهقة والبلوغ التي يرفض فيها الحدث الغِر أن يستمع إلى نصحٍ أو إرشاد، ويعرض عن سماع كل صوت إلا صوت نفسه ولو أمرته كل لحظة بألف سوء.

إن تعلم القرآن قبل الإيمان فيه مخالفة صريحة لمنهج النبوة القائم على تعميق أصول الإيمان داخل نفوس الصغار، ثم ازدياد الإيمان بالقرآن لا العكس، وما سيحدث عند تعلم القرآن قبل الإيمان: انصباب اهتمام الصغير على تحصيل أكبر قدر ممكن من الحفظ دون وعي، أو فهم، أو تهيئة، ثم سيصبح وريثًا مجرد وريث للكتاب كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ (الأعراف: ١٦٩). فالخلف هنا مجرد ورثة للكتاب لا يعون منه شيئًا ولا ينفذون مما جاء فيه شيئًا، إنما يفرطون فيه رغم حفظهم له، لكنهم مجرد ورثة لم يؤمنوا بالكتاب وبأحكامه وشرائعه.

قال القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: «هم اليهود ورثوا كتاب الله فقرءوه وعلموه، وخالفوا حكمه، وأتوا محارمه مع دراستهم له، وأخبر الله تعالى عنهم أنهم يأخذون ما يعرض لهم من متاع الحياة الدنيا لشدة حرصهم ونهمهم، وهم لا يتوبون». وهذا الوصف الذي ذمَّ الله تعالى به هؤلاء موجود فينا، أسند الدارمي وأحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن

على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا: سيُغفر لنا؛ إنَّا لا نشرك بالله شيئًا»[١] .

إنهم ورثوا، والميراث مال تالد قديم لم يتعب في جمعه الوارث، فكان من السهل عليهم تضييعه والتفريط فيه، ولذا كان حفظ القرآن غير كافٍ وحده لتحقق الإيمان.

وفي الحديث عن أبي الدرداء أنه ﷺ شخص ببصره إلى السماء ثم قال: «**هذا أوان يُخْتِلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء**» . فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يُختَلَس منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأنَّه ولنُقرِئنَّه نساءنا وأبناءنا؟ فقال ﷺ : «**ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأَعُدُّك من فُقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فما تُغْني عنهم...**» الحديث[٢] . إنه ﷺ في هذا الحديث قد أشار إلى نقطة في غاية الأهمية: وهي أن الكتاب وحده بلا عالم يحمله كسيف لا يعمل بغير بطل، وعين لا ترى بغير إنسان، وهكذا فعلت يهود، وهكذا فعلت النصارى، فقلوبهم خواء مما يقرءونه، يعظون الناس بقلوب جامدة، لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا. ولأننا في جحر الضبِّ فكثير من قرائنا على هذه الشاكلة: تعلموا القرآن دون الإيمان! فيقرأ الحكم وهو آخر الناس عملاً به إن لم يكن قد هجره، فسبب ذلك احتقارًا من الناس لكثير من القراء الذين لولا قداسة القرآن لسُحقوا بالأقدام[٣] .

إن تعليم القرآن يسير سهل استدراكه لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ (القمر: ١٧) . ولقوله سبحانه: ﴿**الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ**﴾ (الرحمن: ١، ٢) . أي: سهله ويسره كما قال القرطبي في تفسيره، لكن تعلم الإيمان أمرٌ صعب إذا كبر الإنسان وتكونت ملامح شخصيته، وفارق الطفولة إلى سن أكبر، فينبغي التركيز على تعلم الإيمان أولاً ثم القرآن اتباعًا لمنهج النبي ﷺ في التربية.

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٢٩٦، ٢٩٧) ط - دار الحديث، والأثر عند الدارمي (٢/ ٤٣٩) في سننه.

(٢) صحيح بمجموع طرقه: الترمذي (٢٦٥٣) وقال: حسن غريب.

(٣) وبدع القراء كثيرة منها ما يتعلق بالقراءة: كالتحزين، والتطريب، ومنها شرعية كالقراءة في المآتم والسرادقات، وتخصيص ما بين أذاني العصر بقراءة، ويوم الجمعة وصلاة الصبح وغيرها، لأنهم مجرد قراء لا يعون شيئًا من أحكام القرآن.

ثانيًا: ويدرك الجميع أن أمة الإسلام تواجه حربًا ضروسًا غايتها: تشكيك المسلم في عقيدته، فالله عندهم ثالث ثلاثة، والقرآن: هلوسة وخرافات، والزكاة: أموال لتمويل الحركات الإرهابية، والحجاب: تخلف ورجعيـة، والطواف حول الكعبة: وثنية وعبادة للحجارة. والطعن في شخص النبي ﷺ لا يزال كل يوم يتهمونه فيه بتهم التزوج من عدد يفـوق الأربعة، والزواج من عـائشة رضي الله عنهـا، وغير ذلك من التُّـهم التي تُعلن الآن على الملإ في وقت استعرت فيه نار التبشير للعمل على ردة المسلمين.

وهذه القضـايا يصعب مناقـشتها فـي الكبر، فإذا مـا رُبي الصغار عليـها وهم مستـسلمون لما يقوله الكبار صـارت أساسًا لا يمكن تحريكه أو زحـزحته عن مكانه، فالفرصة قائمة إذن في الصغر، متضاءلة بعد مغادرة مرحلة الطفولة.

ثالثًا: إن العقيدة نفسها تُعاني الآن محنة حقـيقية بعد استيلاء الأيدي العابثة على مقاليـد التعليم والإعلام، الذين نشـروا الفكر العلماني وغيره في أجـيال متعـاقبة، فوجب تقديم وجبة إيمانية للصـغار لكي لا يتلوث أحدهم بما يسمعه من ثرثرة هؤلاء العلمانيين المتبجحين.

ويذكر التاريخ أنه في إحدى البـلاد الشيوعية قام أحد المدرسـين الملحدين بعملية تشكيك للصـغار عـن طريق استـخدام المحـسوسـات والمرئيـات، فقـال: هل ترون السبورة؟ قال الصغار: نعم. قال الملـحد: السبورة إذن موجودة. ثم قال: هل ترون الطبشور؟ قالوا: نعم. قال: الطبشور إذن موجود. فقال: هل ترون الله؟ قالوا: لا. قال: فهـو غير موجـود. وأوشك الصغار على الاقتنـاع بالإلحاد، فقام طفل صـغير فقال: هل ترون الأستاذ؟ قالوا: نعم. فقال: الأستاذ موجود. فقال: هل ترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا. قال: فعقل الأستاذ غير موجود. فبُهت الذي كفر وألحد، وانتبه الصغار إلى هذه المؤامرة التي كادت تطيح بالإيمان خارج هذه القلوب الصغيرة.

ويذكر القـصص النبوي أن المؤمنين في قـصة أصحاب الأخـدود- كما سـيأتي- اهتدوا على يد صـبي صغير، فنحن بتعلـيم الإيمان للصغار نقدم لأنفـسنا خيرًا، ثم نقدم للإسلام نفوسًا تقية نقية، وثوابًا يمتد حتى بعد الممات والفناء.

إننا نحتاج العقيدة ولا تحتاجنا العقيدة ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ

حَمِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٨). والعقيدة هي طريق السعادة والاطمئنان، وهي أول طرق الجنة.

وهناك أسباب أخرى تدعو إلى دراسة العقيدة أولاً وهي مجملة كالآتي:

(١) لأن التوحيد هو دعوة الأنبياء جميعًا، فقد دعوا إلى التوحيد قبل أي شيء، بقصد بناء أنفس سليمة على أساس صحيح وعقيدة صلبة ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

(٢) وأن العقيدة السليمة سبب في دخول الجنة، و في الحديث: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»[١] .

(٣) والتوحيد هو المقصود من كل الأعمال.

(٤) والانحراف عن العقيدة السليمة هو السبب الأول في فساد الأمم عمومًا، والإنسان خصوصًا.

(٥) أن التوحيد هو السبيل إلى تحقيق العبودية لله عز وجل.

(٦) والعقيدة السلمية تبعث في قلوب أصحابها الاطمئنان.

(٧) والتوحيد سبب لمغفرة الذنوب[٢] .

فهذه إذن هي الأسباب التي تدعونا إلى تعليم أبنائنا العقيدة الصحيحة، والتوحيد السليم أولاً، وقبل أي خطوة أخرى، ولو كانت الخطوة هي: حفظ القرآن الكريم.

ومعلوم بالضرورة أن عناصر الإيمان، أو أصوله هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[٣] . فهذه أصول الإيمان التي ينبغي أن تُربى في الصغار، لكن كيف؟ هذا السؤال الذي سنجيب عنه خلال الصفحات القادمة.

---

(١) صحيح: مسلم (٩٣/ ١٥١) في الإيمان عن جابر رضي الله عنه.

(٢) انظر كتابي: (الوصايا النبوية) ففيه هذه الأمور بالتفصيل من (ص١٤ إلى ٢٣).

(٣) صحيح: مسلم (٨/ ١) في الإيمان.

تعليم الصغير الإيمان بالله تعالى

استغلال الفطرة لتعليم الصغار الإيمان بالله تعالى:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

وسبق أن ذكرنا حديث: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تُنْتج البهيمة، هل ترى فيها من جدعاء؟**»[١].

والفطرة ذكر العلماء فيها أقوالاً مختلفة لكنها تتفق على أمر واحد وهو: أن الإنسان يولد مفطوراً على الحق وقبوله، سليمًا من كل عيب في عقيدته، كما أن البهيمة تلد البهيمة دون عيب فيها.

أما أقوال العلماء في الفطرة فهي كالتالي:

(١) أشهرها أن الفطرة هي: الإسلام، وقال ابن عبد البر: «وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بالآية: الإسلام، واستدلوا بحديث عياض بن حمار- وهو حديث قدسي- أنه ﷺ قال فيما يرويه عن ربه قال: «**إني خلقت عبادي حنفاء**»، وفي رواية: «**حنفاء مسلمين**»[٢].

وقد قال بهذا الرأى من المفسرين: مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري، والنخعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) وذهب ابن حزم إلى أن الفطرة هي الإيمان[٣].

(٣) وذهب ابن كثير في تفسيره إلى أن الفطرة هي: معرفة الله تعالى وتوحيده[٤].

---

(١) سبق تخريجه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ابن حجر (٣/ ٢٤٩) في الفتح، وحديث عياض عند مسلم (٢٨٦٥) في الجنة، والطبري (٢١/ ٥٢، ٥٣) في تفسيره.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٣٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ١٧٤)، والقرطبي (١٤/ ٢٨) في تفسيره.

والصغار تتضح فيهم هذه الفطرة أكثر من وضوحها في الآخرين، فإذا ما ضربته على رأسه مثلاً بكى، ثم سأل عن ضاربه، ولا يصدق إذا أُخبر بأن أحدًا لم يضربه، فقد قرَّ في نفسه كما يقول ابن الجوزي رحمه الله: «أن كل مصنوع لابد له من صانع»، وعادة ما يستجيب الصغار إلى سماع الأذان، ويصمتون عند تلاوة القرآن، وينظرون إلى السماء داعين: يا رب! حتى ولو لم يخبرهم أحد.

وفي سن الثالثة يبدأ السؤال التقليدي الذي يشترك فيه أطفال الأرض جميعًا: ما هذا؟ مَن أحضر هذا؟ مَن فعل هذا؟ وهذه الفطرة هدية من الله تعالى كماء السماء الذي تُسقى به الأرض، إن تُرك بلا تخزين كان بلا فائدة، وإن خُزِّن وحسن استغلاله كان خيرًا للجميع، فالمفترض استغلال الفطرة إذ هي قنص ثمين يجب المبادرة إليه قبل الزوال والضياع، لإحياء عرق الإيمان المركوز في القلب، فيتوجه الأب إلى صغيره مصطحبًا إياه إلى مكان تظهر فيه قدرة الله تعالى: كحقل زراعي، أو صحراء واسعة، أو نادٍ من الأندية، ويبدأ في السؤال: مَن خلق هذه السماوات؟ وأجرى فيها الشموس والكواكب؟ وأطلع فيها النجوم وأضاء القمر؟ وهي- أي: السماوات- بغير عمد؟ مَن بَسَطَ هذه الأرض التي نمشي عليها؟ مَن أجرى الماء الحلو في النهر؟ مَن بقدرته ينبت هذا الزرع الأخضر في هذه الأرض السوداء؟ سيجيب بفطرته، وكما سبق وفتحت عليه بـ(لا إله إلا الله) فيقول: اللهُ. وعندئذ حدثه عن الله تعالى وعن الإيمان به، وعن وجوده سبحانه وتعالى، ومظاهر قدرته في كونه، ودلائل وجوده سبحانه وتعالى، وخطأ الكافرين في إنكار وجود الله تعالى.

وربما سألك: لماذا لا نرى الله؟ فقل له: ليس من الضروري أن نرى كل موجود، فنحن نؤمن بوجود الكهرباء ولا نراها، ونؤمن بوجود ذبذبات الإرسال التليفوني ولا نراها، ونؤمن بوجود إشارات اللاسلكي ولا نراها، ونؤمن بأن الله تعالى جعلنا نشتاق إليه وإلى رؤياه، فلا نراه بعيوننا المجردة في الدنيا، وإنما نراه في الآخرة إذا دخلنا الجنة.

وأخبره أن الله تعالى نور السماوات والأرض، ولا أحد يقوى على رؤية نور الله تعالى، فإذا كنا نعجز عن النظر إلى ضوء الشمس؛ فكيف نقوى على النظر إلى من

الشمسُ بنورها خلقٌ مِن خلقه سبحانه وتعالى؟! وننتهز الفرصة لنعرف الصغير بأن خالق هذا الكون الفسيح هو سبحانه الذي يُسأل ويتوجه إليه بالدعاء لا غيره سبحانه وتعالى، مع ذكر قصص وحكايات تدل على وجوده تعالى، وعلى استجابته سبحانه للدعاء، وعلى ما يتضمنه الإيمان بالله تعالى من قضايا كثيرة.

وينبغي على المربي انتهاز فرصة الخلوة بالصغير لبذر بذور الإيمان بالله فيه، وتقوية صلته بالله تعالى، كما فعل ﷺ مع ابن عباس رضي الله عنهما، طبقًا لما روي في الحديث الشريف: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال له رسول الله ﷺ: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١) .

أمَّا الطريق الثاني لجعل الصغير يؤمن بالله تعالى فعن طريق: تعريفه بنعم الله تعالى عليه:

فقد جُبلت النفوس وفُطرت على حب من أحسن إليها، ونعم الله تعالى كثيرة، ذكرها سبحانه في القرآن فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣). وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤). وقوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القصص: ٧٣).

والله تعالى يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤). وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٦٣٥) في صفة القيامة، وأحمد (٤/ ٢٢٣).

وتوجه إليه بالسؤال: ماذا سيحدث لو فقدت نعمة البصر؟ وماذا سيحدث لو لم ينزل المطر؟ ماذا سيحدث لو لم يجد الناس الطعام؟

مع المقارنة دائمًا: هذا مبصر وهذا أعمى، هذا بلدٌ لا مجاعة فيه، وآخر يعاني من الجفاف.

إن الطفل هنا لن يؤمن بالله تعالى وحسب؛ بل سيحب الله تبارك وتعالى.

على أن يراعي الأب أو المربي على وجه العموم سن الصغير، مع سهولة العبارة وجزالتها، والإيضاح للمعنى الذي يريد إيصاله دون تقعر في اللفظ، أو تفريع للمسائل، ودون إكثار في الكلام، بل نسلك دائمًا أقرب الطرق وأسهلها.

يقول الخبير التربوي الدكتور/ عدنان صالح باحارث في كتابه مسئولية الأب المسلم[1]: «وعندما يقدم الأب لولده الصغير قبل سن التمييز برتقالة مثلاً، فإنه وقبل أن يعطيه إياها يقول له: يا بني هذه من عند الله، ويشير إلى السماء، فإذا لم يسترسل الولد معه في أسئلة حول الموضوع، كأن يقول: كيف جاء من عند الله؟ أو: هل هو أعطاك إياها؟ فإن الأب يكتفي بما أشار به من أن هذه البرتقالة من عند الله، ولا ريب أن حافظة الولد تسجل هذه المعلومة وتختزنها، ومع التكرار والتعويد تتركز المعاني وتترسخ في نفسه وقلبه.

أما الولد الأكبر سنًّا، أو الأكثر ذكاءً وفهمًا، والذي يحاول أن يعرف كيف وصلت هذه البرتقالة إليه، وعن أي طريق؟ فإن الأب يبين له بعبارة سهلة ميسرة التسلسل المنطقي في مسيرة البرتقالة من كونها بذرة صغيرة لا قيمة لها، حتى وصولها إلى الولد ثمرة حلوة لذيذة، ويحاول الأب من خلال شرحه وبيانه أن يبرز ويشير إلى قدرة الله عز وجل ولطفه ورحمته من وراء هذه النعمة.

فيبين الأب لولده أن الفلاح وضع البذرة في الأرض الخصبة، ثم سقاها بالماء الذي أنزله الله من السماء، وأشرقت عليها الشمس بأمر الله عز وجل تدفع فيها الحياة والنشاط، حتى كبرت وأصبحت شجرة بعد أن كانت بذرة صغيرة، ثم بدأت

---

(١) انظر (ص١٠٨، ١٠٩).

بعد ذلك تثمر برتقالاً حلو المذاق، ثم جاء الفلاح واقتطف هذه البرتقالات من الشجرة وغسلها، ثم وضعها في صندوق، وخرج بها إلى السوق ليبيعها للناس، فاشتريت البرتقالات منه بالمال الذي آتانيه الله، وقدمت بها إلى البيت، وها هي البرتقالة الجميلة بين يديك. ثم يعقب على هذا السرد الطويل بقوله: أرأيت يا بني كيف أن الله يحبك؟ سخر لك الفلاح، والماء، والشمس، والأرض، وسخرني لك لأجلب هذه الثمرة إليك لتأكلها.

وبهذا الأسلوب يكون الوالد قد بذر فعلاً في نفس ولده بذرة التأمل والتفكر في نعم الله من حوله، فإن كان هذا حاصلاً في البرتقالة، فإنه حاصل أيضًا مع باقي الفواكه والخضار، فيعمم الولد هذه القضية على باقي الأطعمة خاصة التي تنبت من الأرض لتشابهها بقصة البرتقالة.

ويختلف أسلوب الأب مع الولد المميز، الذي قد حصل عن طريق المدرسة على شرح لعملية الإنبات والتمثيل الضوئي، وهنا يبدأ معه بصورة مباشرة فيسأله مثلاً عن عملية التمثيل الضوئي وكيف تتم؟ فيسترسل الولد ذاكرًا ما تعلمه في المدرسة- وغالبًا ما يكون تعليمًا جافًا- من التفاعلات الكيميائية المختلفة التي تصاحب عملية الإنبات، من اشتراك الأرض، والماء، والشمس وغيرها في هذه العملية.

احذر، واحرص:

واحذر الحديث عن المتشابهات التي لا تأويل فيها، والتي يؤمن بها أهل السنة والجماعة بلا تأويل ولا تعطيل أو تجسيد أو تشبيه، كآيات الصفات، فلا حديث عن اليد أو العين أو غيرها مثل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (الملك: ١). أو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: ٤٨). فهذه أمور ثابتة، لكن يتأخر تعليمها حتى لا يقع الصغير في التشبيه ويوسوس له الشيطان بشيء، ولكن احرص على تعليمه أنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). وكيف نصفه ونحن لا نراه سبحانه.

والطريق الثالث: تعليم الصغير مراقبة الله تعالى:

وهذا أمرٌ هامٌّ، فنعلم الصغار أن الله تعالى يراقبنا لا يطاردنا، وهو ما حرص لقمان على تعليمه لولده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي

السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ١٦).

وعلمه النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما كما في الحديث الذي عرضناه وأوله: «**يا غلام إني أعلمك**»، وفيه: «**احفظ الله يحفظك**».

ولعل هذه الكلمات موجهة إلى كل أب يخشى الله ويتقه، لا أولئك الذين يطعمون أبناءهم من حرام، فيبيت أحدهم وهو غاش لرعيته، فمنقلبه سوء المنقلب، إذ هو خائن، والخيانة بئس البطانة.

ومراقبة الصغير لله تعالى ستعفينا من الوقوع في أخطاء عدة، وستجعل المجتمع يتعافى مبكرًا من أمراض الرشوة، والسرقة، والكذب، وشهادة الزور التي تفشت لقلة الإيمان بالله، وانعدام المراقبة له سبحانه وخشيته.

ومن الأخطاء التربوية الفظيعة التي تفسد ولا تُصلح أن الصغار يخوفون بالقوي من ذويهم، فيخوفون بالأب إن كان حيًّا، وببطش الأم إن كانت الكلمة العليا لها أو بالمدرس أو بغيرهم، فيظل الصغير مجافيًا للخطأ طيلة وقوعه تحت سيطرة هؤلاء وسطوتهم، فإذا ما غاب عنهم وغابوا عنه، راح يتقلب في حمأة الأخطاء التي نُهي عنها، ولعله يترك الصلاة في غياب مَن يُخوف به!!

وهذا خطأ لا محالة، وعلاجه أن نغرس في الصغار معنى مراقبة الله تعالى لهم، ومراقبته لهم «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1] ، لأننا إن ضمنا أنه لن يخطئ أمامنا- يعني الصغير- فما يدرينا أنه لن يخطئ بعيدًا عنا؟ فإذا ما علم أن ربه يراقبه وسيحبه عند فعل الخير، ويعاقبه أو يغضب عليه عند فعل السوء، قُضِي على انحرافه تمامًا، ورُبي فيه الاستقامة منذ نعومة أظافره، فلا يشب الصغير إلا مؤمنًا بربه، محبًّا لربه، خائفًا منه، مراقبًا له.

ويمكنك مثلاً أن تستعين ببعض الأشياء، فقل له مثلاً: أخف هذه الكرة في مكان لا يراه أحد. فإذا عاد وأخبرك أن أحدًا لا يعلم مكانها، فأخبره أن هذا يخفى على الناس، لكن لا يخفى على الله تعالى، والله سبحانه يعلم كل شيء.

---

(١) **صحيح**: مسلم (٨) في الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وليكن إشعاره بمراقبة الله تعالى حتى بما يدور في نفسه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦). فإذا كذب فسيغضب عليه الله، وإذا صدق أحبه الله. والأفضل أن نقول له: إن الصدق يجعلنا جميعًا نحبه كما يحبه الله، لأننا نحب ما يحب الله، وإن الكذب يجعلنا جميعًا نكرهه كما سيبغضه الله، لأننا نبغض ما يبغضه الله.

وليكن الترغيب هي السمة الغالبة قبل الترهيب حتى لا يقر في نفسه: أنه لم تُخلق إلا النار، فالصغار يخطئون كثيرًا، ولا معنى أن نقول في كل مرة: ستدخل النار!! حتى لا نفاجأ بسؤال: أين النار؟ أو: أنا موافق على دخولها، أو: كل مرة تقولون هكذا ولا أرى النار.

ويجدر بالمربي الاستعانة بتفسير جزئي (تبارك وعمَّ) لأن فيهما ما يعرف بالله تعالى في بساطة من الآيات وسهولة ويُسر، ويعلم الصغير ألفاظ: الله معنا، الله يرانا.

والطريق الرابع: تعليم الصغير التوكل على الله، والدعاء.

والطريق الخامس: تعليم الصغير عن طريق الدراسات المبسطة في العقيدة عن طريق السؤال والجواب.

وهذا مختصر مفيد في هذه المسألة يحوي مسائل الإيمان بالله تعالى وبعض القصص التي تتعلق به:

ما هو التوحيد؟

التوحيد هو: إفراد الرب تعالى بالعبادة.

فما معنى ذلك؟

* هذا معناه: أن نعبد الله وحده، ولا نشرك في عبادته أحدًا سواه.
* فإذا دعوناه دعوناه وحده.
* وإذا ذكرناه ذكرناه وحده.
* وإذا ذبحنا لم نذبح إلا له تعالى، فلا نذبح لأحد غيره.
* وكذلك فنحن نذبح على اسم الله، فنقول: باسم الله، ولا نذكر اسم أحد غيره.

* وإذا حلفنا أو أقسمنا على شيء أقسمنا به وحده، ولم نقسم بأي شيء سواه تعالى.

فلا نقول: والكعبة، ولا نقول: والنبي، ولا نقول: ورأس أبي.

وكذلك فهذا معناه: أن نصدق ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

فالله سبحانه وتعالى كامل في أسمائه، وهو سبحانه كامل في صفاته، وهو سبحانه لا يشبهه شيء من مخلوقاته.

أقسام التوحيد

إلى كم قسم ينقسم التوحيد؟

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي:

* **القسم الأول**: توحيد الربوبية.

* **القسم الثاني**: توحيد الألوهية.

* **القسم الثالث**: توحيد الأسماء والصفات.

والآن.. وقبل أن نتابع.. دعنا نراجع ما تعلمناه حتى الآن!

استخدم ذكاءك وقلمك

(١) ما هو التوحيد؟

التوحيد هو: .....

(٢) ينقسم التوحيد إلى .....أقسام.

القسم الأول: توحيد .....

القسم الثاني: توحيد .....

القسم الثالث: توحيد .....

☆☆☆

القسم الأول
توحيد الربوبية

ما هو توحيد الربوبية؟

توحيد الربوبية هو: أن يصدِّق المسلم ويعتقد اعتقادًا ليس فيه شك أن الله سبحانه وتعالى هو وحده: الخالق، الرازق، المدبِّر، المحيي، المميت.

والرب هو: المالك، والسيِّد، والمربِّي، والمُنعِم.

ولذلك يقال عن الوالد: ربُّ الأسرة؛ لأنه القائم عليها، والذي يجري على نفقتها وتدبير أمورها كلها.

وكذلك الله تعالى: هو رب العالمين، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢).

وهو سبحانه الذي يحيي ويميت، لا يشاركه في ذلك أحد. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٥٦).

وهو وحده الذي يرزق المخلوقات جميعًا من إنسان وحيوان ونبات وغيرها. قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت: ٦٠).

وهو وحده تعالى الذي يُدبِّر أمر العالم كله والخلق أجمعين وينظمه، ليس له معين، وليس له شريك، ولا مخالف لأمره.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١).

وهو سبحانه الذي خلق الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢).

التفكر في خلق الله

وقد دعانا الله سبحانه وتعالى أن نتأمل ونتفكر في خلقه، فإن المصنوع يدل على صانعه، والمخلوق يدل على خالقه. قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (آل عمران: ١٩١).

فالمسلم يتفكر في خلق السماء والسحاب والأرض والجبال والشمس والقمر، من خلقها؟ الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (العنكبوت: ٦١).

والمسلم يتفكر في الشجر والبحر والطير يطير في السماء، من خلقها؟ الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (النحل: ٧٩).

والمسلم يتفكر في النبات والحيوان، من خلقهم؟ الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية: ١٧)..

فالمسلم يتفكر في مخلوقات الله تعالى، ويتأملها، ويتدبر فيها، كيف خلقها الله تعالى؟ وكيف أبدعها؟ وكيف هيأها وسخرها؟ فذلك كله دليل على وجود الله تعالى، وذلك دليل على أنه: لا إله إلا الله.

استخدم ذكاءك وقلمك

(١) توحيد الربوبية هو: .....

(٢) الرب هو: .....

(٣) لماذا يتفكر المسلم في خلق الله؟

.....

.....

☆☆☆

القسم الثاني
توحيد الألوهية

ما هو توحيد الألوهية؟

توحيد الألوهية هو: إفراد الله تعالى بكافة أنواع العبادة، كالدعاء، أو النذر، أو الذبح، أو الاستعانة، أو الصلاة...

والإله هو: الذي تألهه القلوب، أي: تحبه وتطيعه فيما أمر ونهى، وتتبع طريقه، ولا تعصي له أمرًا. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩).

فالمسلم لا يتخذ إلهًا إلا الله عز وجل، فينبذ كل الآلهة من دونه، سواء أكانت حجرًا أم شجرًا أم بشرًا ممن رضوا بذلك. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤).

وقد جاء في الحديث أن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عندما أراد أن يسلم بعد أن كان نصرانيًا، أنه دخل المسجد، فسمع النبي ﷺ يقرأ قول الله عز وجل عن اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١). فقال عدي: إنَّا لم نتخذهم أربابًا! فقال النبي ﷺ موضحًا له حقيقة العبودية: «أوليسوا يُحِلُّوا لكم الحرام فتستحلوه، ويُحرِّموا عليكم الحلال فتحرموه، وتطيعوهم بما يأمرون؟». قال: بلى. فقال النبي ﷺ: «فتلك عبادتكم».

فالمسلم الذي نور الله قلبه بدين الإسلام لا يعبد غير الله:

١- فلا طاعة إلاَّ لله عز وجل، ولا يقبل منهجًا يحكمه إلا كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

٢- وهو كذلك إن ذبح ذبح لله تعالى، وعلى اسم الله تعالى.

٣- وإذا دعا في الرخاء أو الشدة دعا الله وحده، ولم يدع أحدًا غير الله.

٤- وإذا نذر أن يفعل شيئًا كان نذره لله تعالى، ولم ينذر لولي أو رجل صالح.

استخدم ذكاءك وقلمك

(١) ما هو توحيد الألوهية؟

توحيد الألوهية هو: .....

(٢) الإله هو: .....

(٣) المسلم يصلي لـ .....

(٤) المسلم يذبح لـ .....

(٥) المسلم ينذر لـ .....

(٦) المسلم يدعو .....



القسم الثالث

توحيد الأسماء والصفات

ما هو توحيد الأسماء والصفات؟

علمنا من قبل أن لله تعالى أسماء حسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠). وكذلك علمنا أنه سبحانه موصوف بصفات الكمال، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

فتوحيد الأسماء والصفات هو:

* أن نُثبت للرب تعالى أن له أسماء حسنى، وهي الأسماء التي سمَّى بها نفسه في القرآن الكريم، أو أخبرنا بها نبيه محمد ﷺ.

* وكذلك نُثبت له صفاته التي أثبتها لنفسه في القرآن الكريم، أو أثبتها له نبيه ﷺ.

* ونصدِّق تصديقًا جازمًا أن هذه الصفات غاية في الكمال، فهو سبحانه وتعالى لا يشبه أحدًا من مخلوقاته أبدًا.

* وكذلك ننفي عنه صفات النقص والسوء التي لا تليق به سبحانه وتعالى.

☆☆☆

أسماء الله الحسنى

المسلم يثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء، ومثال هذه الأسماء:

الرحمن: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الإسراء: ١١٠).

الرحيم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣).

السميع: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

العليم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧).

الغفور: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠).

الملك: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ﴾ (الحشر: ٢٣).

الرقيب: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ (الأحزاب: ٥٢).

الأول: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣).

الآخر: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣).

الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الإنفطار: ٦).

البصير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

الغني: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ (الأنعام: ١٣٣).

والمسلم يثبت لله تعالى أسماءه التي ذُكرت في سنة النبي ﷺ مما لم تُذكر في القرآن. فمن هذه الأسماء على سبيل المثال:

ستير - حيي: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر».

استخدم ذكاءك وقلمك

(١) ما هو توحيد الأسماء والصفات؟

- توحيد الأسماء والصفات هو: .....

☆☆☆

فضل أسماء الله تعالى

وقد يسأل أحدكم: هل ورد في حفظ أسماء الله تعالى أو معرفتها ما يدل على الفضل والثواب؟ فالجواب: نعم قد ورد عن الله تعالى، وورد عن رسوله ﷺ ما يدل على فضل أسماء الله تعالى، وفضل معرفتها.

فأما ما ورد عن الله تعالى في فضل ذلك، فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

فبين لنا الله سبحانه وتعالى أن له أسماء حسنى، وأنه سبحانه يحب من عباده إذا دعوه أن يدعوه بها؛ لأننا إذا دعوناه بها فقد أثبتناها له، بخلاف من ينفيها وينحرف بها عما أراد الله تعالى، فهؤلاء سوف يجازيهم الله تعالى عذابًا يوم القيامة لأنهم لم يقوموا بحق هذه الأسماء، وخالفوا مراد الله تعالى. وأما الذين يثبتونها لله تعالى، ويدعونه بها فهم الفرقة الناجية، لأنهم اتبعوا ما أمرهم الله به، وما أمرهم به رسول الله ﷺ.

وأما ما ورد عن رسول الله ﷺ في فضل ذلك، فقوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة». فمن استطاع أن يحصي هذه الأسماء ويعرفها، ويثبتها لله تعالى، ويعمل بمقتضاها فجزاؤه الجنة إن شاء الله تعالى.

صفات الله العلا

والمسلم كما أثبت أسماء الله الحسنى فهو يثبت صفاته الحسنى أيضًا التي وردت في القرآن، والتي وردت في السنة، ليس هذا فحسب، بل وينفي عن الله تعالى الصفات التي لا تليق به سبحانه مما نفاه الله تعالى عن نفسه، أو نفاه النبي ﷺ عن الله.

فمثلاً ينفي عن الله تعالى صفة الظلم لأنها صفة نقص. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

وينفي كذلك صفة النسيان لأنها صفة نقص. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: ٦٤).

فهو ينفي كل صفات النقص عن الله تعالى، وكذلك فهو يثبت لله تعالى صفات أسمائه التي أثبتها له من قبل.

هو يثبت أن اسم: الكريم من أسماء الله تعالى، والكرم صفة الكريم، فيثبت لله صفة الكرم.

وهو يثبت أن اسم: الرحمن، واسم: الرحيم من أسماء الله تعالى، والرحمة صفة الرحيم، فهو يثبت أن الرحمة من صفاته تعالى.

هكذا يثبت كل الصفات المتعلقة بأسماء الله تعالى الحسنى.

ليس هذا فحسب بل يثبت باقي الصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وهو مع ذلك: لا يُشبِّه الله سبحانه وتعالى بأحد من مخلوقاته؛ فكرم الإنسان المخلوق ليس ككرم الإله الخالق المالك لكل ما في الكون.

فنحن نقول: الرجل سريع، والسيارة سريعة، والقطار سريع، والطائرة سريعة، فكلهم اشتركوا في صفة السرعة، لكن لكلٍّ سرعته التي تناسبه. وهكذا باقي الصفات.

ثمرة التوحيد

ما هي ثمرة التوحيد؟

ثمرة التوحيد هي:

* أن يعلم المسلم أن الله تعالى هو خالقنا وخالق كل شيء، وهو رازقنا ورازق كل شيء، وأنه سبحانه المدبر والمسيِّر لأمر الكون كله، لا شريك له ولا معين.

* فإن أصابه خير حمد الله وحده.

* وإذا أصابه شر صبر على هذا الشر، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لأنه اختبار من الله تعالى له. ولم يقل: لو كنت فعلت كذا، أو فعلت كذا، لأنه اعتراض على أمر الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(البقرة: ١٥٥، ١٥٦) .

ومن ثمرة التوحيد:

* أن يعلم المسلم لماذا خلقنا الله؟ فلقد خلقنا الله تعالى لعبادته. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

* فإذا علم ذلك توجه إلى الله وحده بكل أنواع العبادة.

* فالمسلم يتوجه في صلاته ودعائه إلى الله وحده.

* وهو يتوجه بذبح الذبائح ونذر النذور إلى الله وحده.

* وهو كذلك لا يدعو أحدًا من الخلق، ولا يتخذ أحدًا من الخلق واسطة إلى الله في الدعاء، وإنما يدعو الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ومن ثمرة التوحيد أيضًا:

* معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى التي وردت في القرآن والسنة.

* معرفة صفاته العلى التي وردت في القرآن والسنة.

* معرفة صفات النقص عن الله.

وهذا ينفع المسلم، لأنه إذا أثبت ذلك استشعر عظمة الرب تبارك وتعالى، فيزيد الإيمان في قلبه، لأنه سوف يتبع ما أمر الله تعالى وما أمر رسوله ﷺ، وسوف يبتعد عن كل ما نهى الله عنه، وعن كل ما نهى عنه رسوله ﷺ.

* فالمسلم مثلاً إذا أصابه شر أو أصابته مصيبة دعا الله تعالى؛ لإيمانه أن الله سميع، فسوف يسمع دعاءه، وهو بصير بحاله، وهو رحيم فسوف يرحم ضعفه، وهو الذي يستجيب الدعاء، فسوف يستجيب لدعائه إن شاء الله.

* وكذلك فالمسلم يؤمن بأن الله تعالى شديد العذاب، فهذا يجعله يبتعد عن السيئات والوقوع في المعاصي.

* وهو كذلك يؤمن بأن الله تعالى رقيب عليه، فهذا يجعله لا يقترف المعاصي لأنه بعيد عن الناس، أو لأنه لا يوجد أحد يراه وهو يفعل المعصية، فإن الله تعالى يراه ويراقبه.

* وهو كذلك إذا اقترف ذنبًا استغفر الله تعالى، لأنه يؤمن بأن الله تعالى غفور.

ومن ثمار التوحيد أيضًا:

* أن يعلم المسلم أن كل ما يجري في هذا الكون غير خارج عن سيطرة الله عز وجل، وأن تسلط الكافرين على المسلمين اليوم هو سبب بعد المسلمين عن دينهم، وأن الله قادر- لو شاء- أن يمحق الكافرين، فالله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (البروج: ١٦).

* وكذلك يعلم المسلم أن الله وحده هو «المحيي» وهو «المميت» فالأجل إذن بيد الله عز وجل.

جزاء التوحيد

ما هو جزاء التوحيد؟

جزاء من وحد الله تعالى في: ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، هو محبة الله عز وجل له، وإدخاله الجنة إن شاء الله تعالى.

☆☆☆

الصغار وتعلم فضائل الأخلاق

تعريف الخلق وعلاقته بالإيمان.

١- الحياء.

٢- الصدق والنهي عن الكذب.

٣- التواضع والنهي عن الكبر.

٤- الكرم والنهي عن البخل.

٥- أداء الأمانة والنهي عن السرقة.

٦- الغضب.

٧- الخوف.

٨- الأنانية.

٩- الرفق، والرحمة، واللين.

☆☆☆

الأخلاق التي يجب أن يتعلمها الصغار

تعريف الخلق، والعلاقة بينه وبين الإيمان:

يُعرِّف علماؤنا الخُلق بأنه: هيئة ثابتة في النفس تصدر عنها الأفعال بدون تفكير، أو على حد قول الأصفهاني: «حال الإنسان الداعية إلى الفعل من غير فكرٍ ولا رَوِيَّة»[(١)] . وقد ربط الإسلام ربطًا كاملاً بين الإيمان والخلق، فالإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وما من موضوع في القرآن إلا ويربط القرآن فيه بين الإيمان والعمل الصالح حتى قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (الكهف: ١٠٧).

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٤٤) للراغب الأصفهاني.

والعمل الصالح يتضمن كل خير وكل فضيلة، ومن هنا يزداد الإيمان بالعمل الصالح وهو: مكارم الأخلاق، ولذا قرن النبي ﷺ بين الأخلاق والإيمان، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا»**(١).

ومن حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال ﷺ: **«ما من شيء يوضع في ميزان العبد أثقل من حُسن الخلق، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»**(٢).

إلى غير هذه الأحاديث التي تربط بين حسن الخلق وزيادة الإيمان، وعلى الجانب الآخر نبه ﷺ إلى أن أي خلل في الأخلاق يتبعه بالضرورة خللٌ في العقيدة والإيمان يُعاقب عليه صاحبه. فمن حديث أبي شريح رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«والله لا يؤمن - ثلاثًا- من لا يأمن جاره بوائقه»**(٣).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**. قيل: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»**(٤).

إنها مجموعة رذائل جاء الشرع ليجعلها كبائر تحرم العبد من درجات الصالحين وتهوي به في قاع النار، وهذا مما يؤكد ربط الإسلام بين الإيمان والأخلاق، ومن ثمَّ أهمية الإيمان قبل الأخلاق فـ«الإيمان بالله تعالى واتباع منهجه سبحانه الذي ألزم به الإنسان في القرآن، وبيَّنته السُّنة، هو السبيل الوحيد للتخلص من الهم والقلق، والطريق الوحيد الذي يؤدي إلى تحقيق أمن الإنسان وسعادته، وأن فقدان الإيمان بالله وعدم اتباع منهجه في الحياة يؤدي إلى الهم والقلق والشقاء»(٥).

إن الإيمان يهذب النفس ويوجهها إلى الخير، ويقودها إلى طريق السلامة، ومن

---

(١) **صحيح**: صحيح الجامع (١٢٣٠) للألباني رحمه الله.

(٢) **صحيح**: أبو داود (٤٧٩٩) في الأدب وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: مسلم (٤٦) في الإيمان.

(٤) **صحيح**: البخاري (٢٤٧٥) في المظالم والغصب، مسلم (٥٧) في الإيمان.

(٥) الدكتور/ محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس (ص٢٤٩) ط دار الشروق ١٩٨٢م.

هنا كان الإيمان هو الطريق الأوحد لـطهارة النفس التي لا تدرك عيوبها إلا بالبـصيرة (القلب) لأن من طابت نفـسه طاب خلقه وعـمله، ومن خبثـت نفسه خـبث خُلقه وعمله، وقد قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ (الأعراف: ٥٨).

وقد لاحظ ابـن قيم الجوزية رحـمه الله هذا التـرابط بين الخلق والدين، فـعرَّف حـسن الخُلق قـائلاً: «الدين هو الخُلُق، فـمن زاد عليك فـي الخُلُق، زاد عليك في الدين»[١] . وهذا ربط رائع من ابن قـيم الجوزية رحمـه الله بين العقـيدة والشـريعة والخُلق، لأن الأخـلاق من غيـر دين عبث، إذ الديـن هو الهادي إلى المُثُل العليـا، والعقيدة الدينـية هي أقوى رادع يزجر وينهى عن اتباع الهوى والشـهوات، ودائمًا ما يكون صوت الضمير المتدين قوي[٢] .

إن ما ذكرته هنا كان ضروريًّا من وجهة نظري لكي يعلم الجميع أنه لا خُلق بغير عقـيدة، ولا عقـيدة تستـقيم بغيـر تطبيق عمـلي على أرض الواقع: عبادة وعـملاً وسلوكًا.

واللبنة الأولى هي الفرد دائمًـا في كل المجتمعات، فـعلى المربين وأولي الأمر أن يتفـهموا جيـداً أن غرس معاني الأخـلاق وفضائلهـا في النفس لابد أن تأتي مبكراً للغاية، لأن النفس «مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة، لا يستغني محمودها عن تأديب، ولا يكتفى بالمرضي منهـا عن التهذيب»[٣] . قصد: أن النفس لابد لها من تربية، وتدريب، وتوجيه، وتهذيب، وإكساب لفضائل الأخلاق بلا إهمال.

العوامل المساعدة على تعليم الصغار الفضائل:

(١) **العامل الوراثي**: كالجود، والشجاعة، والتواضع فهي أخلاق تأصلت في نفس الرجل جتى انتقلت إلى صـغاره، على أن هذه ليست بقاعدة يمكن الاعتـماد عليها، لأن آباءً صالحين كُثر رزقوا أبناءً غير صالحين، والمثل الأكثر وضوحًا في هذه المسألة:

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٠٧).

(٢) الدين (٦٩) للدكتور/ محمد عبد الله دراز.

(٣) أدب الدنيا والدين (ص٢٢٦) للماوردي.

ابن نوح عليه السلام، وهو المسمى بـ«كنعان» فقد كفر رغم كون والده (الرسول نوح عليه السلام) أول رسول إلى أهل الأرض، فنفهم أن العامل الوراثي مِمَّا لا يُنْكر، لكن لا ينبغي التعويل عليه تمامًا.

(٢) التعليم وإكساب الصغير هذه الأخلاق: وهذا من خلال المزاولة الفعلية لهذه الأخلاق، كالجود مثلاً، فيُعطى الصغير فرصة للترحاب بضيوفه وتقديم القِرى لهم، وسؤالهم وتفقد أحوالهم، مِمَّا سيؤصل هذا الاتجاه فيه.

(٣) القدوة والتجربة: وكالأب، والأم، والمعلمة أو المعلم، والكبار من حوله الذين يمارسون سلوكًا قويمًا صحيحًا، وهو ما عبَّر عنه الماوردي رحمه الله إذ قال: «الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة، وكل ذلك لا ينال بتوفيق العقل، ولا بالانقياد للطبع؛ حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة، ويستفاد بالدربة والمعاطاة»[1].

إننا نمارس نوعًا من أنواع صناعة الحياة، فنصنع مسلمًا سوي الخُلق نافعًا لنفسه ولدينه ولأمته، سنعمق جذوره في أرض الإسلام ليرتوي من ماء الإيمان الذي لا ينبت إلا في تربة صالحة، وصدق من قال: كل بداية صعبة، وجذور التربية صعبة، لكنها حسنة النتاج.

☆☆☆

(١) أدب الدنيا والدين (ص١٢٦).

(١) خُلق الحياء

تعريف الحياء:

يعرف العلماء الحياء بأنه «انقباض النفس عن القبيح، وهو من خصائص الإنسان؛ ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي، فلا يكون كالبهيمة، وهو مركب من جُبْنٍ وعفة؛ فلذلك لا يكون المستحيي فاسقًا، وقلما يكون الشجاع مستحييًا، وقد يكون لمطلق الانقباض كما في بعض الصبيان»[١].

الخُلُق الطيب في الإنسان الذي يمنعه من ارتكاب الخطأ، أو التقصر في حق الناس، والعودة عن المعصية والفاحشة، أو ارتكاب القبائح. وفي الحكم والأمثال السائرة قالوا: «مَن كساهُ الحياءُ ثَوْبَهُ، لم ير الناس عيبه».

لماذا نُعلِّم الصغار الحياء؟

(١) لأن الحياء من الإيمان: ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال ﷺ: **«دعه، فإن الحياء من الإيمان»**[٢].

(٢) والحياء شعبة من شعب الإيمان: ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«الحياء بضعٌ وسبعون** - أو بضع وستون- **شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان»**[٣].

(٣) والحياء خلق الإسلام: ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: **«إنَّ لكل دين خُلُقًا، وخُلق الإسلام الحياء»**[٤].

(٤) والحياء والإيمان قرينان لا يفترقان: ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه

---

(١) فتح الباري (١/ ٧٤، ٧٥) لابن حجر رحمه الله.

(٢) **صحيح:** البخاري (٢٤) في الإيمان، مسلم (٣٦/ ٥٩) في الإيمان.

(٣) **صحيح:** البخاري (٩) في الإيمان، مسلم (٥٨/ ٣٥) في الإيمان.

(٤) **حسن:** صحيح الجامع (٢١٤٩) للألباني.

ﷺ قال: «الحياء والإيمان قرناء جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر»[1] .

(٥) والحياء يدخل صاحبه الجنة: ففي حديث أبي هريرة، وأبي بكرة، وعمران بن الحصين رضي الله عنهم جميعًا أنه ﷺ قال: «الحياءُ من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[2] . والبذاء: هو الفحش، ومنه: البذاءة، ويقال للفاحش: بذيء.

(٦) والحياء من صفات الله تعالى: ففي حديث سلمان رضي الله عنه أن ﷺ قال: «إن الله حَيِيّ كريمٌ، يستحيي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»[3] .

وحياء الله تعالى: حياء كرم وإجلال، وله عز وجل منه الحظ الأكمل، فيظهر بالحياء كرمه على عباده، ويدر به النعم، يكره أن يرد العبد إذا دعاه، من دون خوف منه سبحانه، لأن الخوف غير جائز في حقه.

(٧) والحياء خير كله - كما في الحديث المتفق عليه-.

(٨) والحياء من الحياة: فكلما كان الإنسان حيًّا كلما كان حي القلب، كلما كان حسن الخلق.

خطورة ترك الحياء:

وقد جاء في حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئتَ»[4] .

ومعنى الكلام هنا: كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: ٤٠) . أو: من لم يستح صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبائح هو: الحياء، فإذا نزع الإنسان عنه ثوب الحياء وقع في الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

☆☆☆

---

(١) صحيح: صحيح الجامع (٣٢٠٠) للألباني.

(٢) صحيح: صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٣) صحيح: الترمذي (٣٥٥٦) في الدعوات.

(٤) صحيح: البخاري (٦١٢٠) في الأدب.

كيف نتعلم الحياء؟

ونستطيع أن نتعلم الحياء عن طريق اتباع هذه الخطوات:

(١) أن نذكر أن الله عز وجل يرانا فلا نرتكب المعصية أو الخطأ. وقد حكَوا أن طفلاً كان له أبٌ لص يسرق البيوت، فقال له أبوه: سوف آخذك معي لسرقة بيت من البيوت، فقِفْ على الباب، وإذا رأيت أحدًا فنادِ عليَّ قبل أن يُكْشف أمري. فذهب الصغير مع أبيه، ثم دخل أبوه اللص إلى البيت ليسرقه، فنادى الصغير: يا أبتاه... أحدٌ يرانا. فجاء الأب مسرعًا فقال: مَن الذي يرانا؟ قال الولد: الله يرانا يا أبي!! فعندئذٍ تاب الأب ولم يسرق، حينما تذكر أن الله معه ويراه.

(٢) أن تذكر نعمة الله عليك، وأنك غير قادر على شكر هذه النعم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤).

فالله أعطاك السمع والبصر، وخلقك في أحسن تقويم، وهداك ورزقك، وشفاك من مرضك، فكيف تعصيه سبحانه؟!

فلو أن أباك وهو الذي يُطعمك وينفق عليك أمرك بأمرٍ فلابد أن تُطيعه، فكيف بالله سبحان الذي يرزقك ويرزق أباك؟!

(٣) أن تذكر أن الله سبحانه سيسألك عن كل ما فعلت من الكبير والصغير، والقليل والكثير.

الحياء في الصغير دليل على عقله:

وقديمًا قالوا: «الحياءُ في الصبي يدل على العقل». وقالوا: «نجابة الصبي تعرف بكثرة الحياء والأدب مع الكبار». وهنا نعلم أن الحياء بالنسبة للصغار سيساعدنا على الآتي:

أولاً: الاستماع إلينا بأدب وحرص شديدين، وعدم إساءة الأدب بترك توجيهات الكبار أو الاستخفاف بها.

ثانيًا: احترام الكبار على وجه العموم.

ثالثًا: ترك القبائح والمذموم من الأفعال والأقوال.

ولا يفعل هذا إلا صبي عاقل بالضرورة.

متى يتعلم الصغير الحياء؟

يجزم النفسانيون من الأطباء أن علامات الحياء تبدو منذ الشهر الرابع، وتكتمل عند اكتمال السنة[1]، وهو ما يعني أن تعليم الحياء سيبدأ مبكرًا من خلال تعرفنا على هذه المظاهر:

- كثرة كلام الصغير أمام الكبار.
- التعدي عليهم (بالبصق- بالسب- بالضرب).
- الإحجام عن الجلوس مع الكبار، أو اقتحام مجالسهم.

فهذا كله يعين على فهم نفسية الصغير وتعليمه الحياء، أو علاجه من البذاء، أو تخليصه من الخجل المذموم.

فالحياء نوعان: حياء مذموم، وحياء ممدوح:

والمذموم هو: العجز مما يعرف بالخجل، ففيه تقصير في شيء من الحقوق، وليس هذا بحياء بل هو عجز وضعف وخور[2]. فمثلاً: يحجم الصبي عن مقاتلة الضيفان، أو يخجل من مجالسة أقرانه، ويبدي انعزالاً وانزواءً عن الناس، أو خوفًا لا ندري له سببًا. أما المحمود فهو: التأدب بعدم رفع الصوت، أو اقتحام المجالس إلا بالإذن، والرد على السؤال بأدب وشجاعة، وهذا هو حياء القوة والإيمان.

ماذا نفعل لو أن الصغير كان صاحب خجل مذموم؟

هنا نعمل على تخليصه منه باتباع الآتي:

(١) الإكثار من جلوسه وسط الغرباء (الضيفان أو الأقارب).

(٢) التحدث معه وملاطفته، وتشجيعه على ذلك بالتحفيز المادي والمعنوي.

(٣) إدخاله ضمن دائرة الحديث فيكون طرفًا مهمًّا إن لم يكن هو محور الحديث، فمثلاً نتحدث عن أمرٍ يفهمه الصغير ثم نقول له: ما رأيك في هذا؟ ونستمع لرده باهتمام وإصغاء ليشعر هو بالأمان وتزول رهبته.

---

(١) نبيه الغبرة (ص١٥٢) المشكلات السلوكية عند الأطفال.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٣٣١) شرح الحديث (٢٠).

تنبيه:

إن معظم الأطفال الذين يخجلون يرجع ذلك إلى تدليل آبائهم وأمهاتهم لهم حتى سن متأخرة، وهذا ما ينبغي الابتعاد عنه، فأمام الناس نعاملهم معاملة الرجال (صغار الرجال) أمَّا إذا اختلينا بهم فلنفعل ما نشاء.

فالأولى: مناداة الصغير أمام الكبار باسمه لا باسم التدليل، فإذا كان اسمه (محمد) فلا نقول: «تعال يا حمادة»؛ بل نناديه باسمه هو، وهكذا.

نماذج من الحياء:

* وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يستحيي من ربه عز وجل، فإذا دخل لقضاء حاجته[1] غطى رأسه وقال: إني لأستحيي من ربي عز وجل.

* وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا أراد أن يستحم أغلق عليه داره، ولم يخلع ثوبه حتى قال عنه رسول الله ﷺ: «**إن الملائكة لتستحيي منك يا عثمان**»[2].

* وكانت امرأة مسلمة تلبس الحجاب، فتاهت منها طفلتها، فذهبت تبحث عنها، فقال أحدهم: تبحث عن طفلتها وهي تلبس الحجاب؟! فقالت: يا هذا لأن أُفجع في طفلتي خير لي من أن أُفجع في حيائي.

* وقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خِدرها[3]، فإذا رأى شيئًا لا يعجبه احمر وجهه وعرفه الصحابة[4].

فهذا هو رسول الله ﷺ حياؤه أشد من حياء البنت أو الفتاة الصغيرة تستحي أن يدخل عليها أحد من الناس، ولنا فيه ﷺ الأسوة والقدوة.

☆☆☆

---

(١) أي للخلاء.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها (٢٦/٢٤٠١) في فضائل الصحابة.

(٣) **العذراء**: الفتاة البكر. وخِدرها: حجرتها.

(٤) **صحيح**: البخاري (٦١٠٢)، مسلم (٣٢٢٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) الصدق والنهي عن الكذب

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الصدق أساسُ الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها»[١].

والكذب خُلق مذموم يتنافى مع طبيعة المسلم المؤمن الصادق، إذ أصل الإيمان تصديق القلب، مع إقرار اللسان، والعمل بالأركان، ومن هنا كان الكذب منافيًا لطبع المؤمن المجبول على التصديق والصدق منذ البداية، ومن هنا جاء التحذير النبوي من الكذب، والحث على الصدق، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الصدقَ يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»**[٢].

فالإنسان قد فطره الله تعالى على الصدق من أول خلقه، والكذب تغيير في الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فمما تعارف الناس عليه أن المؤمن قد يتسرب إليه كل خُلق سيء إلا الكذب والخيانة.

ومعنى هذا أن الكذب: عادة مكتسبة تأتي بأحد الطريقين:

- كذب الناس من حول الصغير في بيئته، إذ إن الصغير لا يولد كذابًا أبدًا.
- أو وجود مؤثرات خارجية تضغط على الصغير فتجعله يكذب.

وهذا كله يوصل الصغير إلى حافة النفاق والخيانة، مما يعني فقدان مؤمن، وقتله معنويًّا وأخلاقيًّا، وزيادة السوء في المجتمع الذي لم يعد يتحمل جديدًا من الأعباء والأمراض التي استشرت حتى صارت كالطاعون يحصد القلوب والأرواح حصدًا.

الأسباب التي تؤدي بالصغار إلى الكذب وعلاجها:

تتعدد أسباب لجوء الصغير إلى الكذب بالنسبة إلى بيئته وأسرته، وإلى طبيعة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٧٤).

(٢) صحيح: البخاري (٦٠٩٤) في الأدب، مسلم (٢٦٠٧) في البر والصلة.

التربية التي يتلقاها، والأشخاص الذين يلاقونه ويتحدثون معه.

(أ) أسباب ترجع إلى الوالدين أو الإخوة:

فأول أسباب كذبه: أن يكون أحد الوالدين كذَّابًا أو كليهما، فيتفشى الكذب بين صغارهم بأيديهم هم، فصارَوا بمثابة من يغرز الخنجر في قلب صغيره، إذ الكذب قتلٌ لكل شعور طيب جميل داخل النفوس خاصة إن كانت بريئة لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا.

وتزداد حدة هذا السبب بازدياد الخلافات الزوجية التي تسفر عن كذب الزوجة على زوجها، وطلبها من الصغار تأييدها في ذلك لتتلافى مشكلة مع الوالد، وكذا يفعل الوالد.

ومثال ذلك: أن يمنع الوالد الأم من محادثة جارة لها، ثم يحصل له العلم بأن زوجته قد ألقت بأمره ظهريًّا، واجترحت حرمة أمره ونهيه فتحدثت مع المنهي عن حديثها، فإذا بالزوجة عند مواجهتها تدفع هذه التهمة كذبًا وزورًا- فقد تحدثت مع الجارة فعلاً- على أن يكون الصغير قد رأى أمه تفعل ذلك، وإذا بالأم لا تستحيي من الكذب أمامه؛ بل تطلب منه إذا سأله الأب أن يشهد معها زورًا وبهتانًا!! هذا بالطبع مع إعطاء الصغير جرعة حقد وغيظ على أبيه، وروايات مختلقة عن ظلمه البيِّن وطغيانه، ووداعة الجارة وحبها لمصلحة الجميع.

ويشفع الكذب باليمين الغموس (الكذب)، ويضطر الصغير للكذب لأنه بين مخافتين:

- أن تُضرب أمه أو تُعاقب.
- أو يُضرب هو إن صدق من أمه، ومن أبيه إن كذب.

والنتيجة معلومة سلفًا: شخص كاذب، كذَّاب جديد يحترف الكذب بمرور الوقت، فمثل هذه البيئة لا تقوم إلا بهدم النفس وتوسيخها بالرذائل التي تعلق بالنفس والقلب والتي يصعب التخلص منها فيما بعد؛ خاصة أن الصغير يكتسب كل شيء سريعًا.

وعلاج هذا السبب: قائم على الوالدين، فلا يُقحم الصغار في الخلافات الزوجية

التي قد تكون في بعض الأوقات طاحنة، كما ينبه الوالدان على ضرورة احترام بعضهما البعض، والعمل على عدم جرح الآخر أو فعل ما يؤذيه معنويًا، ويبصران بالأخطار التي يمكن أن تحدث في حالة استمرارية تعليم الصغار الكذب، فمن يكذب لي اليوم، سيكذب عليَّ غدًا، ولا فارق بين الكذب لي والكذب عليَّ، إذ الكذب كله رذيلة لا محالة في ذلك، فكيف نعلمها لأبنائنا ونورثها لهم؟!

إن المسئولية تقع على الوالدين كراعيين لأولادهما و«كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»، فيخوف بالله تعالى، فإذا كان الكذب كبيرة من الكبائر، فكيف بتعليمه وتوريثه؟! إن هذا غش للرعية، وخيانة للأمانة، وفي الحديث: «أيُّما راعٍ غشَّ رعيته فهو في النار»[1]. ثم هذا تعليم لشهادة الزور، وفي كتاب الله: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان: ٧٢).

وفي حديث أبي بكرة: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...»، وفيه: «ألا وشهادة الزور»، وكان متكئًا فجلس فلا زال يرددها حتى قلنا: ليته سكت[2].

السبب الثاني: الإحساس بالكذب: أقصد بذلك إحساس الصغير بكذب والديه عليه، فيعدانه بما لا يستطيعان الإتيان به، ثم يخلفان العهد ولا يفيان به، أو ينجزانه الوعد، مما يترتب عليه ضرر بالغ في نفس الصغير.

وتعالوا نتفق: لا تقل: سينسى ما وعدته!! أبدًا لن ينسى، فذاكرته- أي: الصغير- لم تمتلئ بعدُ بما يجعلها تنسى، وهو يتمنى ما يأتي به الوالد حتمًا، فاعلم أن الصغير يتذكر دائمًا ولا ينسى، يتذكر وعدك، وإخلافك لهذا الوعد، وبعد ذلك يقتدي بك، ومن هنا حذَّر الإسلام من هذا النوع من الكذب، ففي حديث عبد الله ابن عامر قال: دعتني أمي يومًا، ورسول الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك. فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟». قالت: أُعطيه تمرًا. فقال لها رسول الله ﷺ: «أمَا إنكِ لو لم تُعْطِه شيئًا كُتِبت عليك كذبة»[3].

---

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع (٢٧١٣) عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

(٣) حسن الإسناد: أبو داود (٤٩٩١) في الأدب، وحسنه الألباني هناك.

فترى الإسلام يقوم بإجراء وقائي ضد الكذب منذ الصغر لأن ذلك مما يبقى محفورًا في قلب الصغير وعقله أو على الأقل: يتعود عليه.

وعلاج هذا الأمر: بالاقتصاد في المعيشة وعدم توسع الآباء والأمهات في الوعود الكاذبة التي يتيقنون حتمًا أنهمَ لم ولن يفوا بها، فعليهم مراعاة ظروفهم المعيشية، ثم إذا حدث النسيان أو عدم القدرة- يعني على الإتيان بما وُعد الصغير- توضح له الأمور بمنطقه وفهمه.

السبب الثالث: تكذيب الآباء والأمهات للصغار: وذلك بافتراض سوء النية، فيروي الصغير مثلاً قصة أو رواية حدثت، وربما ينكر فعله لأمر ما، فنجد الأب الجاهل أو الأم الحمقاء يقول أحدهما: أنت كذَّاب!!

والأمر يزداد سوءًا بهذا، فالانتباه كله يتوجه الآن نحو (الكذب) و(الكذَّاب) من جانب الصغير، فيكذب ويتعلم الكذب ولو على سبيل الملاطفة والمداعبة.

ولكن علي الأب أو المربي أن يسأل في غير ريبة أو اتهام، فمثلاً يقول: هل أنت متأكد من ذلك؟ الله يرانا ويسمعنا. وهنا يصحو صوت الفطرة فيوقظ الصغير فإن كان كاذبًا اعترف بكذبه، ولا ينبغي هنا معاقبته على الكذب السابق؛ بل مدحه على صدقه ورجوعه إلى الحق، والاكتفاء بلومه وتحذيره من الكذب مرة أخرى.

السبب الرابع: الكذب التمويهي: ومن الكذب التمويهي الذي يعمله بعض الآباء وله أثر سيء علي الولد يظهر أحيانًا عندما يتظاهر الوالد بمعاقبة أحد الأولاد لأنه ضرب أخاه الصغير، فيمثل الأب أنه يضربه وهو في الحقيقة لا يضربه، فهذا السلوك الخاطئ من الأب يعلم الولد المشتكي الكذب والغش، إذ إنه يعلم أن والده يكذب عليه، إلى جانب أن الولد المُعاقب هو أيضًا يتعلم مشروعية الكذب بهذه الطريقة، وبهذا الأسلوب الخادع[1].

هذه إذن الأسباب الدافعة إلى الكذب والمتسبب بها الوالدان أو الإخوة، وهو ما ينبغي تلافيه والابتعاد عنه تمامًا، لأن في ذلك تدميرًا لقلب الصغير، فالكذب ولو

---

(١) د/ عدنان صالح بحارث (ص١٩١).

لمرة واحدة قد يصيبه بهذا المرض العضال طيلة الحياة، فإن مرة واحدة يجد أمه تكذب على أبيه أو أباه يكذب على أمه أو أحدهما يكذب على الجيران، مرة واحدة كفيلة بأن تدمر قيمة الصدق في نفسه، ولو أخذا كل يوم وكل ساعة يرددان على سمعه النصائح والمواعظ والتوصيات بالصدق مرة واحدة يجد أمه أو أباه يغش أحدهما الآخر أو يغشان في قول أو فعل مرة واحدة كفيلة بأن تدمر قيمة الاستقامة في نفسه ولو انهالت على سمعه التعليمات، مرة واحدة يجد في أحد من هؤلاء المقربين إليه نموذجًا من السرقة كفيلة بأن تدمر في نفسه قيمة الأمانة، وهكذا في كل القيم والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية(١) .

وحين توجد القدوة الحسنة متمثلة في الأب المسلم والأم ذات الدين فإن كثيرًا من الجهد الذي يبذل في تنشئة الطفل على الإسلام يكون جهدًا ميسرًا وقريب الثمرة في ذات الوقت، لأن الطفل سيتشرب القيم الإسلامية من الجو المحيط به تشربًا تلقائيًّا وستكون تصرفات الأم والأب أمامه في مختلف المواقف مع بعضهما البعض ومع الآخرين نماذج يحتذيها ويتصرف على منوالها(٢) .

(ب) أسباب شخصية:

السبب الخامس: الإحساس بالنقص، ومحاولة اتباع الميول والرغبات: فالولد الذي لم يشبع غريزته من امتلاك الألعاب والأدوات، ولم تتمكن أسرته من تحقيق الإشباع لهذا الجانب في نفسه، فإنه يلجأ إلى الكذب، وادعاء ما ليس له؛ ليشبع رغبته وميله هذا.

ولا شك أن هذه القضية مهمة، خاصة في العائلة الفقيرة التي لا تستطيع أن تحقق لأولادها جميع متطلباتهم، وربما يكون أمثل حل لهذه المشكلة حفاظًا على الولد من اللجوء إلى الكذب هو قيام الأب حسب استطاعته بتأمين بعض احتياجات الأولاد خاصة من الألعاب البسيطة والقليلة التكلفة، مع الجودة في الصناعة والمتانة، بحيث يمكن أن يحتفظ بها الولد أطول مدة ممكنة، فيوزع هذه الألعاب والاحتياجات على

---

(١) محمد قطب (٢/ ١١٨) التربية الإسلامية.

(٢) السابق (٢/ ١١٩).

الأولاد مخصصًا لكل ولد منهم لعبة أو حاجة تخصه دون غيره، فيكون بذلك قد أشبع شيئًا من هذه الرغبة في نفوس أولاده دون أن تضر بميزانية الأسرة أو ترهقها، ويراعي قبل هذا الإجراء وبعده أن يركز في أولاده مفاهيم القضاء والقدر، وأن ما خصهم الله به من الفقر وقلة ذات اليد هو خير لهم، ورافع لمنزلتهم في الآخرة، مستعينًا في ذلك بما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من الأقوال المباركة المطمئنة للنفس في هذا الجانب[1].

السبب السادس: حب الظهور: بادعاءات غير صحيحة، كادعاء الغنى، أو رفعة مقام الوالد، أو تغيير مهنته، أو ادعاء الذهاب إلى أماكن ذهب إليها أقرانه ومُنعها هو.

ومثل هذه الأمور تحتاج إلى هدوء في التعامل معها، والقرب فيها من الصغير يعطي نتيجة طيبة.

* فتحاول الاقتراب منه تمامًا ليبوح لك بسر كذبته.

* وتبصره أنت بما عنده من نعم الله تعالى التي حُرمها الآخرون.

* وأنه لا داعي للكذب، مع تخويفه بآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ.

السبب السابع: **الإفلات من العقاب**: وهذا النوع من الكذب يستخدمه الولد ليحمي نفسه من العقاب فإن أخبر والده بالحقيقة ربما عاقبه وعنَّفه، فإن حدث أن كسر الولد زجاج النافذة حاول أن يخفي آثار فعلته، ويبتعد عن المكان، فإن سئل عن الفاعل نفى التهمة عن نفسه خشية أن يعاقب.

هذا النوع من الكذب والغش لا يفعله الولد إلا إذا علم أن العقاب الذي ينتظره أليم وعنيف، وأنه إذا قال الحقيقة لن ينجو، بل ربما كان الكذب أقرب إلى النجاة، لهذا فإن الولد يكذب، ولو أن الأب الفطن حاول أن يعلم أولاده أن الصدق نجاة لهم من العقاب، فإن الأولاد يسارعون إلى الصدق ويتعودونه إذا أيقنوا أنه سوف ينجيهم من العقاب.

---

(١) التربية والعقل (ص٦٠، ٦١) يوسف سعد الهلال، ومسئولية الأب المسلم (ص١٨٧).

وعلى الأب أن يوطن نفسه على أن يلتزم بما وعد به الأولاد، فلا يعاقبهم إن صدقوا القول واعترفوا بالخطأ مهما كان الجرم كبيرًا، بل يبين لهم أن ذلك خطأ لا يحبه الله ولا الوالدان، وأنهم بصدقهم قد نجوا من العقاب، ويحذرهم من العودة لمثل هذا الخطأ مرة أخرى.

وإن رأى الأب أنه لابد من العقاب مراعيًا في ذلك التوسط والحكمة، فإنه يشعر الأولاد بأن العقوبة هي- مثلاً- خصم نصف المصروف اليومي لمدة أسبوع لمن كسر زجاج النافذة، والتعهد بعدم العودة، فإن اعترف أحدهم بذلك طبق العقوبة عليه دون زيادة ولو سامحه لسرعة اعترافه وتأسفه وندمه كان ذلك حسنًا، وبذلك يؤصل الوالد في نفس أولاده حب الصدق وذم الكذب، وأن الصدق منجاة، وأن الكذب مهلكة ولا فائدة من ورائه.

ولا ينبغي للأب أن يُسهِّل لولده الإفلات بكذبه دون أن يشعر بذلك، ويفهمه أنه قد كذب، وأن والده علم بذلك، وهذا لأن نجاح الولد بالكذب يشجعه على المزيد منه، ويحمسه على تعاطيه.

ويحاول الأب أن يتجنب قدر الإمكان أسلوب الاتهام بمجرد الشك، فلا ينسب إلى الولد عملاً يشك في أنه قد اقترفه، حتى يتيقن بأنه هو الفاعل؛ لأن اتهام الولد مع إمكانية براءته، ولو بنسبة بسيطة يؤدي إلى إحساس الولد بالظلم والجور وعدم الثقة في والده؛ بل ربما دفعه ذلك إلى الكذب ليتخلص من العقوبة الظالمة، فلو حدث أن عاد الأب إلى البيت فوجد صنبور الماء مفتوحًا، أو علبة دهان الجدار ملقاة، وقد سال منها الدهان في فناء الحديقة، ولم يكن في البيت سوى الولد، فإنه لا ينبغي اتهام الولد باقتراف هذه الأعمال، خاصة إذا سئل عنها الولد فأفاد بأنه لم يعملها، فربما أن الخادمة قبل خروجها نسيت إغلاق الصَنبور، وربما أن قطة مرت على علبة الدهان فعبثت بها وأسقطتها فسال الدهان، والاحتمالات في هذا كثيرة، والمقصود هو أن لا يتهم الولد بمجرد الشك دون دليل قطعي لا يحتمل التأويل[1].

---

(١) السابق نفسه.

هذا ليس كذبًا:

يتفق العلماء على أن الطفل لا يعرف معنى الكذب إلا بعد الخامسة[1] ، وهذا يعني أن الطفل خلال السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من عمره لا يعرف الكذب أو الصدق، لكنه يتخيل بعضَ المواقف من خلال خياله الخصب الواسع كما تقول الدكتورة/ زينب الشيخي: «وهذا النوع من الكذب يسمى «الكذب التخيلي»، ولا خطر فيه، بل يمكن استغلال خصوبة خيال الطفل في هذه الفترة بتوجيهه نحو الروايات الخيالية المفيدة لإشباع هذه الرغبة عنده، كما أن الطفل الصغير في بعض الأحيان لا يفرق بين الخيال والواقع، فربما رأى منامًا، أو سمع قصة خيالية فظنها حقيقة واقعية حدثت فعلاً، وهذا النوع من الكذب يسمى «الكذب الالتباسي»، ويزول مع نمو الطفل وكبر سنه» .

والقاعدة: إذا انتفت التهمة؛ بطل العقاب، وإنما على الكبار توجيه الصغار بهدوء إلى أن هذه الأقصوصات والحكايات من نسج الخيال، وتسطير الوهم، ولا قلق فإن هذا الكذب (كذب صحي) إن صحَّ التعبير سرعان ما يزول مع كبر الصغير.

والمفترض أن تراعى هذه الأساسيات خلال التربية لئلا نعاقب الصغار بلا داعٍ فيكون الحصاد بعد ذلك مُرًّا.

عندي ولد كذّاب، فماذا أفعل؟

حين يصير الكذب عادة فلابد من التصدي لها عن طريق الآتي:

(١) تعليم الصغير عقوبة الكذَّاب، وجزاء الصادق.

(٢) تخويفه بالله تعالى، وترهيبه من العقوبة الأخروية.

(٣) إخباره بموقف الناس من الكذَّاب، وحبهم للصادق.

(٤) فإذا استفحل الأمر وجب مقاطعة الصغير والإعراض عنه.

(٥) ويحذر من الضرب مباشرة؛ لأن الضرب سيزيد الصغير كذبًا ونفاقًا.

---

(١) الدكتورة/ زينب الشنجي مجلة التربية والتعليم، الكذب عند الأطفال العدد (٤) (ص٤١).

(٢) انظر السابق (٤٢، ٤٣).

(٦) عزله بعيدًا عن إخوته، أو معاقبته بعدم اللعب.

(٧) وإذا ما كان قد بلغ العاشرة فاضربه جزاءً وفاقًا إن فشلت هذه الخطوات السابقة.

وهذا نموذج لتعليم الصغار الصدق، ونهيهم عن الكذب:

فقد كان الرسول ﷺ يُسمى في الجاهلية- أي: قبل البعثة- (الصادق) لكثرة صدقه، وهو الذي لم يكذب في حياته أبدًا.

كما مدح الله تعالى نبيه إسماعيل عليه السلام، فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤).

وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالصدق، وحينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب وكان كافرًا في ذلك الوقت فقال له: بِمَ يأمركم نبيكم؟ فقال: يأمرنا بالصدق.

وقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام النجاشي[١] ملك الحبشة: أمرنا رسول الله ﷺ بصدق الحديث وأداء الأمانة.

والمسلم الصادق شُجاع لا يخشى أحدًا إلا الله، بينما الكاذب جبان يخاف الناس، ولا يكون المؤمن كذَّابًا أبدًا.

والكذب: هو أن يقول الإنسان شيئًا لم يحدث، أو يتكلم بشيء ليس في نفسه. فمثلاً يقول: فعلت كذا، أو رأيت فلانًا وهو لم يفعل ولم ير. أو يقول لأخيه: أنا أحبك، وهو يكرهه في نفسه. وهذه هي إحدى صفات المنافقين الذين يكرههم الله ورسوله والمؤمنون.

من صور الكذب ونماذجه:

١- خرج النبي ﷺ ذات مرة فوجد صبيًا يلعب، فقالت أمه له: تعالَ أعطيك. فقال لها: «ما أردت أن تُعطيه؟». قالت: تمرًا. فقال لها: «إن لم تفعلي كُتبت عليك كذبة». فمنعها النبي ﷺ الكذب حتى على الطفل الصغير؛ لأن بعض الأمهات تُنادي على طفلها فتقول: تعال وأعطيك شيئًا، فإذا جاء لم تعطه شيئًا، فتكون

---

(١) انظر القصة في حياة محمد ﷺ للأطفال - دار الفجر للتراث.

كاذبة. وكذلك إذا قال أحد الناس لصديقه: سأعطيك غدًا شيئًا، ثم لا يعطيه فقد كذب عليه.

٢- أن يَدَّعي الإنسان كذبًا أن شيئًا ما له، وهو ليس له، مثل أن يجد مع صديقه قلمًا ثم يقول: هذا لي، ويكذب على صديقه وعلى ربه عز وجل.

٣- أن يقول قصصًا لم تحدث، فيدعي مثلاً أن عنده كرة وليست عنده، أو أن لديه أموالاً وهو ليس عنده مال، أو يقول: عندنا فاكهة أو طعام، وليس عنده شيء.

٤- الكذب على الوالدين، فبعض الأبناء إذا تأخر خارج منزله، وسأله أبوه أو أمه: أين كنت؟ يكذب فيقول: كنت مع صديقي فلان، أو: كنت في الدرس، أو: تأخرت في المدرسة، أو تعطلت في الطريق، والله عز وجل يعلم أنه كان يلعب أو يلهو، فيُحاسبه ربه على هذا الكذب.

٥- الكذب على المعلم أو المعلمة إذا كان الطالب أو التلميذ كسولاً لا يقوم بأداء واجبه، فيقول: كنت مريضًا، أو: كان أبي مريضًا، أو أي كذبة أخرى.

٦- أن يقول: رأيت حُلمًا في نومي كذبًا وليس صدقًا، ومن فعل هذا جاء يوم القيامة والله عز وجل غاضب عليه، ثم يدخل النار: «**ومن تَحَلَّم كاذبًا فليتبوأ**[١] **مقعده من النار**» كما في الحديث عن رسول الله ﷺ.

٧- شهادة الزور وقد قال الله تعالى: ﴿**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾ (الحج: ٣٠). أي: ابتعدوا عن الكذب وشهادة الزور. وقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾ (الفرقان: ٧٢). أي: المؤمنين البعيدين عن هذه الصفة الخبيثة.

وشهادة الزور معناها: أن يشهد الإنسان بغير الحق، فيسأله الناس: هل رأيت فلانًا يسرق أو يقتل؟ فيقول: نعم، وهو لم يره أو يسمعه، فيُقتل بريء بشهادته، وقد شدد النبي ﷺ على هذ الأمر فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور**»، وكان متكئًا[٢]، فجلس فقال: «**ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها ﷺ.

---

(١) **فليتبوأ**: أي ينال ويفوز.

(٢) **مُتكئًا**: نائمًا على جنبه، وجلوسه بعد اتكائه دليل على خطورة الأمر.

٨- أن يحلف المسلم بالله كذبًا وهذه من الكبائر- أي: الذنوب العظيمة- والحالف بالله كذبًا يدخل النار، ويُسمى هذا اليمين- القسم- (يمين الغَمُوس) لأن صاحبه يُغمس في النار- يعني يُغَطَّس فيها، ويدخلها حتى قعرها- وقعر النار مثلما يسير الرجل سبعين عامًا دون أن يستريح، فمن يتحمل مثل هذا العذاب؟!

ولقد تعوَّد كثير من الناس أن يقول: «والله» ونحن نعلم أن المسلم لا يحلف بالله إلا لأمر عظيم، وكثرة الحلف دليل على الكذب، وليست دليلاً على الصدق أبدًا، فطهِّر لسانك من أن تحلف بالله كذبًا، أو تتسرع في ذلك، والمسلم لا يحلف صدقًا ولا كذبًا.

٩- ومن صور الكذب أيضًا: الكذب على الله عز وجل في التوبة، فإذا فعل المسلم ذنبًا ثم تاب منه فلابد أن تكون توبته صادقة، ولو كانت توبته كاذبة، فسُرْعان ما سيعود لهذا العمل السيء، ثم يدخل النار.

١٠- ومن صور الكذب أيضًا أن يتحدث الإنسان بكل ما سمع، وقال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع**». أي: أن مَن يتحدث بكل ما سمع من الكلام، وينقله للناس فهو كاذب؛ بل ومن أشد الناس كذبًا.

١١- أن يقول المسلم كلامًا كذبًا ليضحك الناس، مثل النكت والطرائف التي لا أصل لها، وقد يكذب بعض الصغار لمجرد رغبتهم في إضحاك آبائهم أو أصدقائهم، وهو من صور الكذب وأنواعه.

عاقبة الكذب:

وقد أخبرنا ﷺ أن للكاذب عند الله عز وجل عذابًا شديدًا في النار، فقد رأى ليلة الإسراء والمعراج في النار رجلاً معه عود من حديد يضعه في خده الأيسر، فيُقطِّع به شدقه[1]، ثم يُخرجه من قفاه، حتى يخرجَ عود الحديد من خده الأيمن، فإذا أخرجه عاد ففعل هذا مرة ثانية وثالثة وهكذا، فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا؟**». فقال جبريل عليه السلام: هذا هو الكذَّاب، يُعذَّب هكذا إلى يوم القيامة.

---

(١) شدقه: جانب الفم من تحت الخد.

وذهب الإمام البخاري يومًا ليسمع حديثًا من أحد الناس، فوجده قد ثَنَى ثوبه، وراح يجري وراء فرسه- حصانه- ويقول: تعال هنا تِبْن أو شعير. فلما جاء الحصان، إذا بالرجل يبسط ثوبه وليس فيه شيء لا تبن ولا شعير، فقال الإمام البخاري: إن من يكذب على الحيوان يكذب على الإنسان.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح صادقًا:

وفي بعض الأوقات يظن المسلم أن غيره لا يضحك إلا إذا كذب وقال نكتة لم تحدث، ولكن يُعلمنا النبي ﷺ أن المزاح واللهو والمرح يكون بالصدق أيضًا.

- فقد قال رسول الله ﷺ لامرأة عجوز: **«إن في عينيكِ بياضًا»**. فقالت: لا يا رسول الله. وهي تظن أنه يقول لها: بياض من مرض، فقال: **«أليس في عين كلٍّ منا بياض وسواد؟!»**. فضحكت المرأة.

- وقال النبي ﷺ لامرأة عجوز يمزح معها: **«لا يدخل الجنة عجوز»**. وبكت المرأة، وظنت أنها لن تدخل الجنة، وضحك النبي ﷺ فقال لها: **«لا يدخل الجنة عجوز؛ لأن الله عز وجل يُعيد لأهل الجنة شبابهم مرة أخرى»**.

- وكان رسول الله ﷺ يأكل تمرًا، ومعه عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه، فكان عمر ينقل نوى التمر الذي يأكله هو أمام النبي ﷺ، ثم قال عمر: أكلت كل هذا التمر يا رسول الله؟ فقال ﷺ: **«أكلته كله بدون نواه، وأكلت أنت يا عمر التمر بنواه»**. وصدق رسول الله ﷺ الذي قال عن نفسه: **«أنا لا أقول إلا صدقًا»**.

عاقبة الصدق:

وقد خرج أحد الصغار يومًا في رحلة لطلب العلم، فقالت أمه له: لا تكذب يا ولدي، فإن الصدق نجاة ولو كان فيه الهلاك، وأعطته أمه مائة دينار، وخرج الصغير إلى الصحراء، وفي الطريق قابله بعض اللصوص، فقالوا له: هل معك من مال؟ قال: نعم، معي مائة دينار. وتعجَّب اللصوص من أمر الغلام، فالناس إذا رأوا اللصوص أخفوا المال وقالوا: ليس معنا مال. وضحك اللصوص وقالوا له: تسخر

---

(١) انظر حياة الصحابة -وفيها قصة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - ط دار الفجر للتراث.

منا. فقال: لا، ولكني معي هذا المال. فأخذه اللصوص إلى زعيمهم، فقال له زعيم اللصوص: لماذا تكذب وتقول: معك مائة دينار؟ قال الغلام: ما كذبت عليكم، وهذه هي أموالي، وأخرج المائة دينار، فقال زعيم اللصوص: يا بني لماذا لم تكذب؟ فقال: إن أمي أمرتني بالصدق، فلا أكذب أبدًا، حتى لا أعصي لها أمرًا. فبكى الرجل وقال: تخاف إن كذبت أن تُغضب أمك، وأنا لا أخاف أن أُغضب الله لقد علمتني يا ولدي درسًا قاسيًا، ثم تاب وتاب معه اللصوص، وتركوا الغلام وماله. وهكذا فإن في الصدق النجاة دائمًا.

- وكان بعض الظالمين يطاردون رجلاً مظلومًا، فذهب المظلوم واختبأ عند رجل من الصالحين، وجاء وراءه الظالمون، فسألوا الرجل الصالح: هل جاء عندك فلان؟ قال: نعم هو في الداخل، فتركوه وانصرفوا، فقال له المظلوم: لماذا فعلت هذا وأخبرتهم عن وجودي؟ فقال: يا ولدي إن الصدق نجاة، وقد نجَّاك الله بصدقي.

عقاب الكاذب وجزاء الصادق:

عقاب الكاذب:

* غضب الله عز وجل عليه، وإدخاله النار، كما يُكتب عند الله كذابًا.

* يشتهِر بالكذب، فيبتعد عنه الناس.

* يكون من المنافقين ومن الفاجرين.

وجزاء الصادق:

* يحبه الله عز وجل، يكتبه صدِّيقًا، ويدخله الجنة.

* يُعرف بالصدق ويحبه الناس كما كانوا يحبون رسول الله ﷺ.

* يكون من المؤمنين الصادقين.

* ينجيه الله تعالى بصدقه من كل سوء.

☆☆☆

(٣) التواضع والنهي عن الكِبْر

الكِبر داءٌ مهلكٌ، والمُـبْتَلَى به مريض سقيم، وهو عند الله ممـقوت بغيض، وعند الناس منبوذ، ذلك أن الكِبر صفة ذميمة لا يتصف بها إلاَّ صاحب نفس مريضة تأبى أن تفهم أنها مثل بقية عباد الله لا فضل لها على أحدٍ.

وقد جاءت آيات القرآن الكريم تذم هذا الخلق وتحمل عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠). وقال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٤٦). وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣).

وكان أول المسـتكبرين: إبليس اللعين، فقـد تكبر على ربه، وعلى خلقـه فرفض السجود لآدم عليه السـلام، فقال تعالى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٣). فكانت الذلة والهوان والصـغار مقـابل التكبر في ملكوت الله تعـالى بغير الحق، وهذه عـاقبة كـل متكبر يرى نفـسه خـيراً من الناس أجمعين.

وكـذا جاءت السنة المطـهرة تنهى عن هذا الخـلق الذميم، فـعند مـسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر**». ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**»[(١)] .

وروعة الحديث هنا تشبيه الكبرياء والعظمة باللباس، فإن لباس الإنسان لا يشاركه فيه أحد، وكذا ربك لا يشاركه في كبريائه وعظمته من خلقه أحد.

ماهية الكِبر:

يقول الغزالي رحمه الله: «وحقيقة الكِبر على العابد: استعظام النفس، واستحقار

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٠٩٠) في اللباس وصححه الألباني هناك.

الآخرين، والترفع عليهم وعدم الانقياد لهم، واستصغارهم، وعدم الرضا بالمساواة بهم»[(١)].

وهذه سفاهة من الإنسان ولا شك، فقد حكي أن مُطرِّف بن عبد الله التابعي الجليل نظر إلى المهلب بن أبي صُفرة أحد ولاة العراق وعليه حُلَّة يسحبها ويمشي فيها الخيلاء- الكبر- فقال مطرف: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يُبغضها الله ورسوله؟ فقال المُهلب: أما تعرفني؟ قال: بل أعرفك، أولك نطفة مَذِرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بولٌ وعذرة[(٢)].

فالإنسان يتناسى عمدًا حين تعمى بصيرته بالكِبر أن أصله التراب، ومخرجه من مجرى البول من نطفة، وأنه يحمل في عينيه عمصًا، وفي أذنه سهكًا، وفي أنفه مخاطًا، وفي معدته خُرْءًا، وفي كُلاه بولاً، وفي وجهه عرقًا، وأن نهايته التراب والعظم الرميم طعامًا للدود ولا شك في ذلك.

أسباب الكِبر:

وللكِبر أسباب معروفة، منها:

(١) عُلو اليد: كأن يكون الإنسان صاحب مال وثروة وجاه، أو صاحب مركز مرموق، أو عالمًا تُطأطأ له الرءوس، وقد مشوا خلف ابن مسعود ذات مرة فقال: «ارجعوا فإنها ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع».

(٢) نفوذ الأمر: عن طريق السلطان والمكانة الاجتماعية.

(٣) قلة مخالطة الأكفاء: فيخالط الإنسان من هم دون منه فيشعر بنوع من أنواع التميز مما يثير شهوة الكِبر في نفسه، وكما سبق فإن المتكبر صاحب نفسية مريضة، يزكي هذا ما حُكي عن لقمان الحكيم إذ وقف يومًا أمام حقل من حقول القمح، فاسترعى نظره سنابل تطاولت في خيلاء، وسنابل أخرى أحنت رأسها في تواضع وحياء، فراح يتلمسها فتعجب!! فقد رأى السنابل المتطاولة فارغة، والأخرى المحنية ممتلأة بحبات القمح، فقال: كم في حقول الحياة من سنابل رفيعة الرأس فارغة القلب.

---

(١) الإحياء (٣/ ٣٢٣).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص٢٨٩) للماوردي.

مظاهر الكِبر:

ومظاهر الكِبر كثيرة أهمها:

(١، ٢) **بطر الحق وغمط الناس**: ومعناه احتقار الناس، ودفع الحق وإنكاره ترفعًا وتجبرًا[(١)]. فمن ردَّ الحق علىَ أهله، ولم يسمع منهم فهو متكبر، وغمط الناس استحقارهم وعدم الاعتداد بهم[(٢)].

(٣) **التبختر والاختيال في المشية**: وهي مشية يبغضها الله ورسوله يحاول فيها المتكبر إظهار إعجابه بنفسه، وإظهار تميزه عن غيره وفضله عليه، كما قال القرطبي رحمه الله: «إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكِبر المذموم»[(٣)].

وقد ذمَّ الله تعالى هذا في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (الإسراء: ٣٧).

قال ابن كثير رحمه الله: «فنهى الله تعالى عِباده عن التجبر والتبختر في المشية ﴿مَرَحًا﴾ يعني: متبخترًا متمايلاً مشي الجبارين ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ أي: لن تقطع بمشيك الأرض ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ أي: بتمايلك وإعجابك بنفسك؛ بل ربما تُجازى بالشر لا بالخير»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨). أي: لا تكلم الناس بتكبر فتحقر عباد الله، فتكلمهم وأنت معرض عنهم بوجهك، ولا تمش في الأرض خيلاء متكبرًا جبارًا عنيدًا حتى لا يبغضكَ الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: معجب في نفسه، فخور على غيره[(٥)].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ٣٣٤) ط - دار الفجر.
(٢) جامع الأصول (١٠/ ٦١٥) لابن الأثير رحمه الله.
(٣) انظر تفسير القرطبي (٥/ ١٠١٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٨).
(٥) السابق (٦/ ١٩٤).

وقد حكى ﷺ عن مصير أولئك النفر فقال كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**بينما رجل يتبختر يمشي في بُرْديه، وقد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**»[١].

وهنا ندرك خطر هذا الخُلُق الذميم الذي ابتعد عنه الأنبياء والمرسلون ونهوا عنه تمامًا، ولذا وجب محاربته منذ الصغر، والكِبْر مرض من الخطورة بمكان لأنه مرض قلبي يصعب علاجه، وكلما تقادم الزمان عليه كلما زاد عتو الصغير وضلاله حتى يصبح عمودًا جلمودًا لا طائل له من نصحه فقد اعتاد احتقار الناس، وردَّ الحق، فالحرب على الكِبر حرب وقائية منذ البداية تعمد على محق هذا الخلق المذموم شرعًا وعقلاً وعرفًا، ذلك أن مصير صاحبه تحريم دخول الجنة كما سبق في الحديث. فالأصل هو استئصال هذا الخبث من قلب الصغار الذين نرجو فيهم خيرًا كثيرًا.

أسباب الكِبر عند الصغار:

وقد سبق عرض بعضها ونضيف إليها الآتي:

(١) رؤية الوالد أو الوالدة في منتهى الكِبر يعاملون الناس بازدراء واحتقار.

(٢) شعور الصغير بتميز على الآخرين في عدة نواحٍ كالآتي:

- بياض الوجه في بيئة تتسم بالسُّمرة.
- قوة الحسد بين الأقران.
- المهارة في عمل ما يفشل فيه البعض.
- التفوق الدراسي أو الرياضي.
- الغنى المادي أو المكانة الاجتماعية.

أمَّا مظاهر الكِبر عند الصغار فتكمن في الآتي:

- الاستخفاف بالكبار، وعدم الإصغاء إلى نصحهم.
- الغرور بالقوة والمال والفتوة.
- عدم الاعتذار عند الخطأ.

---

(١) صحيح: مسلم (٢٠٨٨).

- رفض اعتذار الآخرين.
- الاعتماد الدائم على الغير في الأمور الشخصية.
- حب القيادة والرياسة والزعامة.
- الحديث الدائم عن النفس.
- ترك خدمة الوالدين.
- الجلوس الدائم مع مَن هم أقل منه.
- المباهاة والافتخار على الآخرين، والإعجاب بالنفس.

هذا بالإضافة إلى التبختر في المشية، وإسبال الإزار، والمحاولات المستمرة للفت الانتباه إلى الذات.

علاج هذه الآفة الخطيرة:

يحتاج العلاج والدواء هنا تريثًا وعقلاً، وتؤدة وحكمة، فإن العلاج قد ينقلب إلى مرض آخر يحتاج إلى علاج آخر وهكذا، ولذا سنذكر العلاج مع التحذير من الإفراط أو التفريط فيه فنقول:

(١) **التخويف بالجزاء الأخروي للمتكبرين**: كعدم دخول الجنة، ودخول النار، وبغض الله تعالى له.

(٢) **إذا كان الولد مغروراً بعلمه** (تفوقه الدراسي على الآخرين): نضع له مسألة معينة نعلم أنه لن يستطيع حلها، على شرط أن يعرف بعضها، فيعلم ساعتها أن علمه ناقص، وأن أحدًا من أهل الأرض لا ولن يكتمل علمه كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥). ويبتعد تمامًا عن اتهام الصغير بالكبر والغرور حتى لا يصيبه ذلك بالتعنت والعناء، فلا نجد سبيلاً إلى تصحيح أخطائه مرة ثانية.

(٣) **إذا كان مغروراً محبًا للرياسة**: يقول الدكتور عدنان باصالح حفظه الله: «والولد الذي يحب أن يتصدر زملاءه، ويكون قائدًا لهم دائمًا ولا يرضى بغير القيادة، ولا يقبل إلا الصف الأول، والسير أمام الأولاد والأقران، فإنه يدرب على ترك هذا السلوك بضده، فيؤمر بالتزام التوسط في المجلس والسير بين الزملاء أو

خلفهم، وأن يقدمهم على نفسه، فإن دعاهم إلى البيت أُمر بالقيام على خدمتهم، وقدم لهم بنفسه الطعام والشراب، في تواضع دون كِبر أو إحساس بالتفضل، وأجلسهم في صدر المكان، وإن ظن الولد أنه أفضل من أصحابه وزملائه وإخوته وأنه متميز عنهم، فإن الأب يحاول استئصال هذا الاعتقاد بأن يبين للولد مميزات زملائه وإخوته، وأنهم متفوقون عليه في كذا وكذا، ويعدد بعض هذه المميزات التي اتصف بها زملاؤه وإخوته مدللاً على ذلك بالوقائع المختلفة، كأن يقول له: أتذكر يوم كذا وكذا كيف أن أخاك سبقك في العدو، وكيف أن ابن الجيران كان أحفظ منك لسورة كذا وكذا؟ فيحاول أن يبين له أنه كغيره من إخوته لديه مميزات ولديه نواقص، وأن غيره ربما تفوق عليه في بعض صفاته ومميزاته.

ويحذر الأب عند استخدام هذا الأسلوب أن يتعدى حدود الاعتدال في بيان قدرات وطاقات الولد، إذ إن التمادي في استنقاص الولد والتطرف في هذا الأسلوب ربما ساق الولد إلى الشعور بالنقص، وهذه آفة أخرى تحتاج إلى علاج جديد؛ بل يعطيه من البيان ما يحتاج إليه لتستقيم نفسه وتعتدل تصرفاته.

(٤) إذا كان مغروراً بقوته: نحضر له من يغلبه، على أن نكون في حالة يقين أن الطفل الآخر سيغلبه، وإلا فالطفل إذا غلب من تحداه ازداد غروره وكِبره.

(٥) إذا كان متعاليًا لا يحب خدمة نفسه ولا غيره: وهذه آفة يعمد الأثرياء- إلا من رحم ربي- إلى تربيتها في نفوس صغارهم عمدًا أو خطأً، فوجود الخادم في البيت يجعل الصغير في حالة أنفة مستمرة تجاه القيام بأعمال البيت أو المشاركة فيها، فيرفض حمل القمامة، أو شراء احتياجات البيت أو حملها، أو مساعدة الوالدة في عمل منزلي. وهنا يجب التدخل الفوري قبل استفحال الأمر واستطارته، وذلك عن طريق العلاج السريع.

وكثيرًا ما يخجل الأولاد ويترفعون عن الخدمة، خاصة أطفال الأغنياء، فلا يُرى أحدهم حاملاً مشتريات لأهله، أو خارجًا بالنفايات من البيت ليضعها في المكان المخصص في الشارع، بل يوجد في حالة من الترفيه وعدم تحمل المسئوليات مما يسوقه إلى التعالي والكِبر على غيره. وعلاج ذلك يكون أيضًا بالضد، فإن كان

يتعالى عن نزول السوق والشراء وحمـل الحاجيات أمر بذلك ودرب عليه، ولا بأس في أن يشارك الناس بالبيع والشـراء، فقد أمر الرسول ﷺ عبـد الله بن جعفر رضي الله عنه على أن يبيع في السوق بيع الصبيـان ولم ينكر عليه ذلك، بل دعا له، علمًا بأن عبـد الله بن جعفـر شريفِ من الأشراف وأبوه ابن عم الرسـول ﷺ فلم يمنعهم ذلك من الاشتغال بالبيع والشراء كعامة الناس، ولم يستح الرسول ﷺ من فعله[1].

(٦) إذا كان كثير التياه بنفسه: وإذا كان عند الولد كثرة مبـاهاة بنفسه، وإعجاب بها بدون مبرر، أي أنه لم يأت بأعمال تدفعه إلى هذا العجب، فإن الوالد يحاول أن يكلفه ببـعض الأعمال والمهـام البسيطة لينجـزها، ومن ثم يشكر ويمدح على ذلك، وهذه الطريقة ربما خففت من إعجاب الولد بنفسه كذبًا وزورًا[2].

(٧) إذا كان مفتخراً على غيره بمالٍ أو ذكاءٍ أو جمالٍ: التدخل هنا يكون عن طريق غرس قـاعدة في الصغـير وهي: أنه ليس لك يدٌ فـيما عنـدك، إنما هي هبة من الله تعالى، ينبـغي شكرها، والعمل على اسـتغلالها اسـتغلالاً أمـثل في طاعة الله، مع تذكيره بأن هناك من حُرم من النعمة التي يفتخر بها هو، وتخويفه بأن غروره بها ربما يكون سببًا في سلب هذه النعمة مع عرض قصة كـ(قصة قارون)، وفيها عاقبة الفخر والكِبر.

وينبغي العمل بهذه الأمور:

(١) مصاحبة الفقراء والمساكين والتواضع لهم.

(٢) غرس قاعدة أخرى داخل النفس وهي: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)

(٣) أن الإنسان بإيمانه وعمله الصالح لا بنسبه أو ماله أو وسامته.

(٤) الخشونة في الملبس والمأكل ومكان النوم.

(٥) المشاركة القوية من جانب الصغير في أعمال البيت.

(٦) ردُّ الفضل دائمًا إلى الله تعالى.

---

(١) دكتور/ محمد نور سويد (ص١٣٧) منهج التربية النبوية للطفل.

(٢) الحس الأخلاقي عند الأطفال مجلة التربية العدد (٨٠) (ص٦٤) د/ محمد عبد الرحيم عدس.

(٧) تعليمه- أي: الصغير- سير الأنبياء والصالحين وكيف كانوا متواضعين لله تعالى.

وهذا نموذج آخر لتعليم الصغير التواضع والنهي عن الكِبر:

☆☆☆

التواضع والنهي عن الكِبر

قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة**[١]**من كِبر**». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه[٢] حسنًا، ونعله[٣] حسنًا. فقال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكِبر: بَطَرُ الحق**[٤] **وغَمْطُ الناس**[٥]»[٦].

الكِبر هو: أن يعتقد الإنسان أنه خير من الناس، وأنه فوقهم جميعًا، وأنه أفضل منهم، وأن يعتقد أن عمله خير من عمل الناس. والتواضع هو: أن يرى الإنسان نفسه بسيطًا، لا يرتفع على غيره بعلمٍ ولا بمالٍ أو بعملٍ، بل يخفض جناحه لهم أي: يكون لينًا رفيقًا بهم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مَن تواضع:

لقد كان النبي ﷺ هو أكثر الناس تواضعًا وهو خير خلق الله، وخير الناس، فقد قال الله تعالى له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(الحجر: ٨٨). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات: ١٣).

فالناس كلهم من آدم، وآدم خُلق من تراب، فالكل متساوٍ أمام الله عز وجل، لا فضل لأحد على أحد إلا بالإيمان والعمل الصالح.

وقد كان سيدنا بلال بن رباح أسود الوجه لكن النبي ﷺ كان يُحبه ويُقدره،

---

(١) **مثقال ذرة**: قَدْر صغير جدًا.

(٢) **الثوب**: الملابس.

(٣) **النعل**: الحذاء.

(٤) **بطر الحق**: كرهه ورده.

(٥) **غمط الناس**: احتقارهم، واستصغارهم.

(٦) رواه مسلم.

وكان يقول عنه: «سيدنا»، لأنه كان من أوائل المسلمين، ولما قال له أحد المسلمين: يا ابن السوداء، فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا، حتى نام الرجل وقال لبلال: ضع قدمك على رقبتي يا بلال حتى لا يغضب رسول الله ﷺ. فعفا عنه[١] سيدنا بلال.

لقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد».

فالله عز وجل علَّم نبينا ﷺ أن يتواضع، ولا يفخر- أي: يتكبر- رجل على الآخر، أو امرأة على أخرى، فقد كان العرب يتفاخرون قديمًا فيقول أحدهم: أنا ابن فلان، أبي فلان وجَدِّي فلان. ويقول الآخر: نحن أغنياء، وعندنا كذا وكذا من المال.

لقد سأل رجل رجلاً آخر فقال له: كيف تنظر إلى الناس؟ وكان الرجل متكبرًا، فقال: أراهم مثل الذباب. فقال: وهم ينظرون أيضًا إليك أنك ذبابة.

وقال رسول الله ﷺ: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه». فالتواضع يرفع الإنسان ولا يخفضه، فقد تواضع رسول الله ﷺ فرفعه الله، حتى إنه ﷺ لما فتح مكة[٢] دخل وهو مُطأطِئ الرأس حتى كادت ذقنه تلتصق بسرج بغلته[٣] التي كان يركبها.

وقد تواضع النبي ﷺ أشد التواضع، فكان إذا مرَّ على الصبيان وهم يلعبون سلَّم عليهم. وبعض الناس يقول: هؤلاء صغار وأنا كبير لا أُسلم عليهم. ولكن رسول الله ﷺ أمرنا بالتواضع وترك الكِبر، كان ﷺ يُسلم على الغني والفقير ويبدؤهم هو بالسلام ﷺ.

كما أنه ﷺ كان يساعد أهله في بيته، ولا يخجل من هذا أو يتكبر، وبعض الصغار يتحرجون من مساعدة أمهاتهم أو آبائهم وهذا من الكِبر.

وكان ﷺ يحمل التراب مع أصحابه يوم الخندق[٤]، حتى غطى التراب بطنه

---

(١) فعفا عنه: سامحه.

(٢) انظر حياة محمد ﷺ للأطفال (ص٢٢٣، ٢٤٣) ط - دار الفجر للتراث.

(٣) سرج البغلة: أي ما يُفرش على ظهر البغل.

(٤) السابق: (ص٢١٢ - ٢١٦).

وشعره. وكان يجلس على الأرض، ويوضع طعامه بالأرض، ويعلف[1] دابته- أي: حماره أو بغلته أو جَمَلَه، وكان ﷺ يقول: «لا تطروني[2]... ولكن قولوا: عبد الله ورسوله».

وكان ﷺ إذا ناداه أحد كبير أو صغير، غني أو فقير، سيد أو عبد، سيد أو خادم قال: «لبيك». ولم يقل لأحد يومًا ما: أفٍّ.

معنى قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨):

لقد أنزل الله عز وجل هذه الآية يأمر النبي ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، ولكن لماذا قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾؟ لأن المتكبر يظن نفسه أنه يطير في السماء مثل الطائر يطير بجناحيه، ولكن حينما يقف على الأرض ويضم جناحيه إلى صدره وبقية جسده يكون متواضعًا ساكنًا، وهكذا أراد الله عز وجل من نبيه ﷺ وأراد منا رسول الله ﷺ أن نكون مثله ولنا فيه ﷺ القدوة الحسنة والأسوة.

من صور التواضع ومظاهره:

- ويومًا خرج النبي ﷺ مع أصحابه، فأرادوا أن يذبحوا شاة، ويضعونها على النار، فقال صحابي من الصحابة: أنا سأذبحها، وقال الآخر: وأنا أسلخها، فقال النبي ﷺ: «وأنا عليَّ جمع الحطب»، فتواضع رسول الله ﷺ، وشارك في جمع الحطب لتُشعل به النار.

- وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجلس مع أحد عُمَّاله في يوم، وانطفأ المصباح، فقال الرجل: أنا أشعله يا أمير المؤمنين. فقال عمر: بل أفعل أنا، ثم ذهب وأوقد المصباح، ولما عاد قال للرجل: ذهبت وأنا عمر، وعدت وأنا عمر، وما نقص مني شيء، وخير الناس من كان عند الله متواضعًا.

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلبس ثوبًا مُرقعًا يمشي به في المدينة وهو حاكم للمسلمين.

---

(١) يعلف: يقدم العلف لها.

(٢) لا تطروني: لا تعظموني وتمدحوني.

ونحن إذا أردنا التواضع فهذه صوره ومظاهره:

١- السلام على الكبير والصغير، والغني والفقير.

٢- التواضع للناس بمساعدتهم وتقديم العون لهم.

٣- ألاَّ يتكبر واحد منا فيقول: أنا من عائلة كذا الشهيرة، أو: نحن أغنياء وأنتم فقراء.

٤- إذا جاء إلينا الكبير يسلم علينا قمنا له توقيرًا واحترامًا وتواضعًا له.

٥- التواضع للوالدين؛ بتسوية ملابسهم، وتنظيف نعالهم، وتقبيل أيديهم.

٦- إجابة الدعوة من الغني والفقير.

٧- زيارة اليتيم والفقير والمسكين والمريض، والتواضع لهم.

قصة طريفة:

وقفت بعوضة على شجرة، فقالت البعوضة: وقفت على الشجرة العظيمة. فقالت الشجرة: وقفت وأنت ذبابة، وظللت أنا شجرة.

من مظاهر الكِبر:

وعلى الناحية الأخرى يقف المتكبرون، يذمهم الله تعالى، ومن مظاهر الكِبر:

١- **بطر الحق**: وبطر الحق معناه عدم الاعتراف به، والتصميم على الكذب؛ تكبرًا على الناس.

٢- **غمط الناس**: وهو احتقارهم، فتجد الشخص يحتقر أصدقاءه بحُجَّة أنه أغنى منهم، أو أنه من عائلة شهيرة، أو أن أباه صاحب منصب كبير، فيحتقر الناس جميعًا وهو من الكِبر.

٣- **إعجاب الإنسان بنفسه**: فيقول: أنا أفضل الناس وخيرهم وأشجعهم، وهذا هو الغرور بعينه، والإنسان المتكبر مغرور دائمًا لا يحبه الله عز وجل ولا يحبه الناس.

من قصص المتكبرين:

- وأكثر الناس تكبرًا هو قارون صاحب المال الكثير[١] على عهد موسى عليه

---

(١) انظر قصص الأنبياء - ط دار الفجر للتراث.

السلام، فكان جزاؤه حين قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨) . أي: المال، وأنكر فضل الله عز وجل أن زلزل الله الأرض به، فهلك، وهلكت معه أمواله.

- وحكى لنا النبي ﷺ أن رجلاً لبس ثوبًا جديدًا، وكان الرجل مغرورًا متكبرًا، فمشى متكبرًا، فخسف الله به الأرض- أي: زلزلها- فهو في بطن الأرض يُعذَّب فيها إلى يوم القيامة.

ليس من التكبر!!

ولكن إذا لبس المسلم ثوبًا نظيفًا، وحذاءً نظيفًا، واهتم بمظهره الخارجي، هل يكون متكبرًا؟ يجيبنا النبي ﷺ : **«إن الله جميل يحب الجمال»** ، فليس هذا من التكبر، ولكن من الجمال والنظافة، والله تعالى يحب المسلم الطاهر النظيف الجميل، لأنه سبحانه جميل يحب الجمال.

جزاء المتكبرين:

١- لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة، فالله عز وجل لا يكلم المستكبرين يوم القيامة.

٢- يدخلون النار مع قارون وفرعون وكل المتكبرين.

٣- يجعلهم الله تعالى يوم القيامة على هيئة وصورة الذَّر- وهو صغار النمل- فيدوسهم الناس بالأقدام، ثم يدخلون النار يعذبون فيها.

٤- يعذبهم الله عز وجل في النار عذابًا شديدًا.

٥- يكرهه النبي ﷺ ، ولا يشفع فيه يوم القيامة، ويبتعد عن مجلسه في الجنة.

٦- يكرهه الناس وينفرون منه.

أما المتواضع فهو من أهل الجنة، وقريب من رسول الله ﷺ ، يُحبه الناس جميعًا، ويقدرونه.

★★★

(٤) الكرم والنهي عن البخل

تعارف البشر منذ بدء الخليقة على ذم البخيل الذي يرون فيه شخصًا كريهًا يرى أحقية نفسه بكل شيء في هذا الوجود، ولا يشاطر الناس مشاعرهم أو ماله الذي جعل الله تعالى فيه حقًّا للسائل والمحروم، ولذا فالبخيل يوصف بعدة أوصاف، منها: (الأنانية- النذالة- الخسَّة- الدونية- اللامبالاة بمن حوله)، خاصة إن كانوا أصحاب حقوق، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩) . أي: من سلم من الشح وهو البخل فقد أفلح ونجح، ذلك أن البخل يورث العداوات، وانتهاك الحرمات واجتراحها، بل لا يجتمع البخل والإيمان في قلب عبد، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه ﷺ قال: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»(١) .

ومن حديث جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «...واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(٢) .

وفي رواية: «...وإياكم والشُّح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظُّلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»(٣) .

ومن هنا جاء الجزاء والعقاب حاسمًا حازمًا، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠) .

ولذا كان ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه يستعيذ من البخل فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل»(٤) . ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه

---

(١) صحيح الإسناد: أحمد وأبو داود ، وانظر صحيح الجامع (٧٦١٦) للألباني رحمه الله.
(٢) صحيح: مسلم (٢٥٧٨) في البر والصلة.
(٣) صحيح: ابن حبان (٦٢٤٨).
(٤) صحيح: مسلم (٢٧٠٦) في البر والصلة.

ﷺ قال: «شرُّ ما في الرجل شحٌ هالعٌ، وجُبنٌ خالعٌ»(١) . قال المنذري: «شُحٌ هالع: أي: محزن، والهلع: أشد الفزع»(٢) .

وعليه فخطورة البخل على المجتمع المسلم شديدة، فإن ترك هذه الصفة تنمو وتختمر في النفوس دون قمع لها تعمل على أكل الحقوق، وانتهاك المحارم، واستحلال المظالم، ثم التطويق بطوق من نار يوم القيامة، وهو أشد الفساد وأكبره، فوجب على أولي الأمر التصدي لهذه الرذيلة المهلكة المُبيرة، وكلما كان الحلُّ مبكرًا كلما كانت النتيجة أنجح وأنجع، وكلما كان الدواء أفلح وأكثر تأثيرًا.

ما هو البخل؟

البخل ضد البذل(٣) ، والبخل هو: إمساك المقتنيات عمًّا لا يحل حبسها عنه، وضده الجود، والبخيل هو من يكثر منه البخل، والبخل شرعًا: منع الواجب(٤) .

أسباب وجود البخل في الصغير:

(١) بخل الآباء أو الأمهات أو أحد الإخوة: فيبدو حرصهم الشديد على الأموال، ومساومتهم البائع أمام الصغار، وضرب الصغار بسبب المال بدون وجه حق، فيعتاد الصغير هذا الخُلق لأنه رآه شيمة أصيلة داخل أسرته، وبين أركان بيته وبيئته.

(٢) حب الطفل للادخار: عادة ما يكون تعود الطفل على ادخار كل شيء مما يملك بسبب أثر عكسي للتربية، وتفسير هذا: أن الأم أو الأب يحاول تعويد صغيره على الادخار لكن دون تفرقة بينه وبين البخل والشُّح، فتحمله هذه التربية الخاطئة على الطمع فيما في أيدي الناس، وادخار ما معه دون أن يجرحه، فيظهر هذا أثناء الأكل، فيعمد مثلاً إلى ادخار طعامه الخاص من (اللحم مثلاً) ومشاركة الآخرين طعامهم العام كـ(الأرز) مثلاً وبعد أن ينتهي الجميع من الطعام يبدأ في التهام طعامه وبشراهة، أو أنه يعمد إلى مشاركة الآخرين من الصغار حلواهم وطعامهم ويدخر ماله هو دون إنفاقه.

---

(١) **صحيح:** أبو داود (٢١٩٢).
(٢) الترغيب والترهيب (٣/٣٣٨) ط - دار الفجر للتراث.
(٣) الإحياء (٣/٥٩) للغزالي رحمه الله.
(٤) التعريفات (١/١١٧) للجُرْجَاني.

(٣) حب جمع المال دون إنفاقه، والتفنن في إخفائه: فترى الصغير يحاول ابتزاز من حوله ليحصل على المال، ويدخره بعيدًا عن الأيدي والأعين لئلا يظفر به غيره، وهذه نتيجة طبيعية في كثير من الأوقات لما يدور حول الصغير من حديث حول (حب المال وأهميته)، والمال ضروري للحياة، لكن الناس لا يحيون بالمال وحده، فيجب أن يقر هذا المفهوم في قلوب الكبار وعقولهم لينقلوه بسهولة إلى الصغار، فيفهم منذ البداية صغيرنا أن المال أداة من أدوات الحياة، وضرورة من الضرورات، وأنه نعم المال الصالح للرجل الصالح يكتسب به رضا ربه تعالى، ويدخل به الجنة، ولا يكون سببًا في دخوله النار.

علاج البخل:

ونحتاج هنا إلى عدة خطوات وهي:

أولاً: إبراز الوجه الحقيقي للبخيل: **وأنه ممقوت من الناس، كريه المنظر، يبغضه ربه، ويتوعده بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وأن صفة البخل تجافي صفة الإيمان ولا تجتمع معها في قلب عبد مؤمن.**

ويستخدم الآباء هنا قصص ذم البخلاء، وهي موجودة في عدة كتب كـ(البخلاء) للخطيب البغدادي، ونوادر البخلاء للجاحظ، وأيضًا بعضها في كتاب «المستطرف من كل فن مستظرف» للأبشيهي، وفيها سخرية من البخل والبخلاء.

وننبه على أن هذه الكتب تحمل بعض المخالفات، فينبغي اختيار قصص دون نصوص شرعية إلاَّ ما صحَّ منها فقط.

ومع ذم البخلاء والبخل، يجب امتداح صفة الجود والكرم، وسياقة القصص الدالة على ذلك.

ثانيًا: التخويف بالعقاب الأخروي الذي يستحقه البخيل: **وهذا من خلال عرض النصوص التي ذكرناها في أول هذا المبحث.**

ثالثًا: الإنفاق أمام الصغير، والكشف عن رسالة المال في هذه الدنيا: **فيتعود الأب أو الأم الإنفاق أمام الصغير لكن بلا تبذير، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾** (الإسراء: ٢٧) . **وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ**

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (لقمان: ٦٧) .

فيتصدق الوالد أو الوالدة أمام الصغير، فينفقان على أنفسهما وأولادهما بما شرع الله تعالى في اعتدال وتوسط، ويكرمان الضيف أمام الصغير الذي لابد من مشاركته في إكرام ضيافته ليتعود الكرم والسخاء، مع امتداحه على ذلك ليقر في نفسه هذا الخُلق، ويكشف أمامه عن رسالة المال في هذه الحياة، فالمال: للصدقات، وللزكاة، وللقوت، وللتوسيع على النفس والعيال، نملكه إذا أنفقناه واستفدنا به مستقبلاً عند الله، ولا يستعبدنا المال حين نمسكه ولا ننفقه، فما فائدة المال إذا لم يحقق لنا ثوابًا عند الله؟ وما لم نروِ ظمأنا مما أحله الله تعالى لنا بهذه الوسيلة وهي المال.

وعندئذٍ يعلم الصغير أن الدنيا كلها زائلة، وأن المال مع العائدين من الجنازة التي يذهب فيها المال، والعمل، والولد، والميت، فيعود الولد والمال ويبقى العمل.

رابعًا: تعويد الصغير على الإنفاق والبذل مقابل البخل: فنطلب منه المشاركة ببعض ماله في شراء احتياجات بسيطة للمنزل، أو التصدق على الفقراء والمعوزين والمحتاجين، أو على نفسه أيضًا كقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧) . ويمكن للوالد أو الوالدة إعطاء الصغير مالاً مخصصًا للزكاة أو الصدقات، مع تذكيره بنعمة الله علينا، وحق الفقير في الزكاة، ومدحه إذا فعل ذلك.

خامسًا: التحفيز بالسؤال: والرسول ﷺ قد ثبت عنه انتهاج هذا الأسلوب مع أصحابه الكرام فقد سألهم يومًا فقال: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟» . قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» . قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» . قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» . قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»[١] .

فيسأل المربي صغاره: مَن منكم أنفق اليوم وتصدق؟ وبذلك يعلمهم المسارعة إلى

---

(١) صحيح: مسلم (٨٧) في الزكاة.

الخيرات، وننبه على أن صدقة السر أوفى أجرًا من صدقة العلن كقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١).

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[١].

سادسًا: تذكيره بعقيدة القضاء والقدر: وأن الله تعالى قسَّم الأرزاق، وجعل الناس فقراء وأغنياء، فالمال مال الله، والخلق خلق الله، فإذا لم يتصدق بالمال سُلب المال، والله أعلم.



---

(١) متفق عليه.

(٥) أداء الأمانة والنهي عن السَّرِقة والغش

لا تعتبر السرقة مجرد عمل قبيح يتنافى مع الشرع والعقل وأعراف الناس فحسب، بل هي كبيرة من الكبائر التي جعل الشرع لها حدًّا رادعًا عن طريق قطع اليد، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨).

وهي- أي: السرقة- نوع من أنواع التعدي على حقوق العباد بأخذ ما لا يحل، وما يملكه الغير سلبًا وقهرًا وبدون وجه حق، وهو نوع من أنواع الظلم وأكل الحقوق.

فالسرقة لغة هي: أخذ الشيء من الغير على وجه الخُفية.

وفي الشريعة هي: حق القطع بأخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة محرزة بمكان أو حافظ بلا شبهة[١].

وتعبر السرقة عن نفس طمَّاعة في حق الغير، ونفس غير معمورة بخشية الله، كما تعبر عن نفس لا تعترف بحقوق الآخرين.

ومن هنا تتضح خطورة السرقة التي تُعد من أول أمراض الطفولة، ومظاهر الانحراف وضوحًا وحدوثًا، ويبدأ ظهورها منذ سن السادسة[٢]، بينما يتأكد الصغير من أن ما يفعله سرقة واعتداء على حقوق الآخرين عند العاشرة أو بعدها.

والحق أن أسوأ ما في السرقة هو تعودها واستمراؤها، لأنها مكسب سهل، وربح سريع على قلة بركته وحرمته، فإذا ما تعود الصغير السرقة وهو لا يدري قُبحها كان ذلك أدعى إلى تربية لص داخل نفسه ليصبح بعد من أكابرَ اللصوص والمجرمين.

وكما تعارفنا من أول هذه الدراسة، فإن الداء يجب مواجهته مبكرًا حتى يقضى عليه تمامًا، وتجتث جذوره منذ البداية.

---

(١) التعريفات (١/ ١٥٦) للجُرْجَاني.

(٢) عدنان صالح (ص١٩٢) مسئولية الأب المسلم.

الأسباب التي تؤدي إلى السرقة وكيفية معالجتها:

(١) أن يرى الصغير أحد الكبار يسرق: ولو كان هذا على سبيل المزاح، أو ملاعبته هو، فمثلاً لا نسرق منديل الصغير خاصة إذا لاحظ الصغير أيدينا تمتد لتسرق هذا المنديل، أو نسرق نقوده في غفلة منه، وأسوأ من هذا وذاك أن تسرق الأم من جيب الوالد مالاً تقتطعه أمام الصغير، أو يحاول الأب سرقة بعض المال من الأم، أو يرى الصغير أحد إخوته الكبار وهو يسرق، فيعمد إلى تقليده في كل شيء، لأنه لا يدري الأفعال الصحيحة من الأخرى الخاطئة. وينبغي على الجميع الابتعاد عن هذه السلوكيات الخاطئة التي تدمر الصغار، وقد نرى أن أحد الصغار تعلم السرقة بسبب مشهد تليفزيوني يحذرون فيه من السرقة!! تحت شعار: الجريمة لا تفيد!!

هذا أسوأ ما يمكن ارتكابه في حق براءة الصغير الذي يقلد كل شيء وأي شيء، حتى ولو كانت السرقة.

ولعله لا يفوتنا هنا أن بعض الحمقى- قبحهم الله- يأمرون صغارهم بالسرقة!! وهذه شريحة ليست بالقليلة داخل المجتمعات الإسلامية والعربية!!

إن مسئولية العلماء والمشايخ هنا كبيرة ثقيلة، ولابد من تحملها وأدائها، فينبغي تبصير الكبار والصغار بعقوبة السرقة خاصة أن كثيرًا من البلاد الإسلامية الآن تعطلت فيها الحدود فلا رادع فيها للسارق أو السارقة، مع عرض جزاء السارق في الدنيا والآخرة.

(٢) قلة ذات اليد: كأن تكون الأسرة فقيرة لا تستطيع تلبية حاجات الصغير ومطالبه مهما كانت ضعيفة قليلة، فيلجأ الطفل إلى السرقة (سرقة المال- أو الحلوى- أو الملبس) ليكمل جزءًا من النقص الذي يحياه، ولا نستطيع أن نعمم هذا السبب، فكثير من الفقراء بعيدون تمامًا عن السرقة، فهم أعزاء النفس، يشعرون بالعفة كآبائهم أو أمهاتهم، وإنما يسرق الطفل حين يرى أبويه أحدهما أو كليهما كثير السخط على قضاء الله وقدره، كثير الشكاية من الفقر وقلة الدخل، مع النظر بعين حاقدة حاسدة إلى الآخرين، وعدم الرضا بما قسم الله تعالى، فتنهار حصون العفة عند الصغير ليمد يده فيسرق.

ومعالجة هذا السبب: بالحديث أولاً عن القضاء والقدر كما سبق، والحديث عن الصبر والرضا وفضائلهما عند الله تعالى، ثم الحديث عن وجود الفقر كعنصر أساسي داخل حياة الأنبياء والرسل مع عرض زهد النبي ﷺ وكيف كان عليه السلام يعيش متواضعًا في طعامه، وملبسه، ومأكله، ومشربه، ونومه، وكيف أن «الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم»[1].

لكن لا يعني هذا التواكل وعدم تحسين المعيشة؛ بل العمل الدءوب من أجل تحسين الوضع المعيشي والمادي عن طريق العمل أو المذاكرة، وإطماعهم في رحمة الله وكرمه، والتوكل عليه، ودعائه سبحانه وتعالى، والحديث معهم عن أن الفقر ليس قادحًا في عدالة الإنسان وخلقه؛ بل ربما كان سببًا في ابتعاده عن الشهوات والملذات، وعصمة له من الوقوع في الزلل والمعاصي، وتنمية روح القناعة فيهم، وتوجيههم إلى النظر لمن هو أسفل منهم في أمر الدنيا.

فهذا فلان محروم من قطعة من جسده: أعمى، أعرج أو غير ذلك، وأن ما أعطاهم الله تعالى من النعم لا يُعدُّ ولا يحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨).

أما بالنسبة للأسرة القادرة على إشباع بعض الرغبات، فعلى المُربي هناك أن يعطي أولاده ما يعرف باسم (المصروف اليومي) الذي يكون مشبعًا للرغبات المعتدلة بلا إسراف ولا تقتير، مع توصيته بالإيثار ومواساة الفقراء.

(٣) بخل الوالد: وهو ما يغري الصغير بالسرقة نتيجة حرمانه من أبسط حقوقه وهي أمامه، فيلجأ إلى الحلول المحرمة، والأبواب الخلفية ليسطو على حقه الذي حرمه الوالد إياه أو الوالدة، وينبغي أن يفهم المربي أن البخل أول طرق إغراء الصغار بالسرقة، فيعالج البخل في نفسه أولاً.

(٤) قلة حب الوالدين للصغير: أو عدم إبدائهما عطفًا نحو الطفل الذي يلجأ إلى تعويض النقص العاطفي من خلال الحصول على ممتلكات الأب والأم والإخوة، إما

---

(١) هذا معنى حديث عند مسلم عن ابن عمرو، وعند الترمذي (٢٣٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني هناك.

إشباعًا للرغبة في داخله، أو استجابة للشهوة، أو نكاية في الأبوين، وبالطبع يعتدي الصغير على حقوق إخوته من المال أو اللعب، أو الأدوات المكتبية، وعند ظهور هذه الآفة يسرع الأب باحتضان ولده، وتقريبه منه، ومصاحبته ومصادقته، حتى لا يستطير شر السرقة، وعليه إبداء العاطفة الجيَّاشة للجميع، والمساواة بينهم في العطايا والهدايا، ولا يلجأ إلى الضرب إلاَّ في حالات اليأس من إصلاح السارق.

(٥) تكليف الصغير بالكسب والعمل في سن يحتاج فيها للعب: ومن أسباب تعاطي الولد السرقة أيضًا: تكليفه الكسب والتجارة، وإلزامه بدخل معين رغم صغر سنه وقلة عقله وخبرته، فقد نهى عن ذلك الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث قال: «**لا تكلفوا الصغير الكسب، فإنه إذا لم يجد سرق**»[١] .

فالوالد الفقير المحتاج إلى الاستفادة من طاقة ولده في طلب الكسب عليه أن يراعي عدم إلزام الولد بمدخول معين، ولا يشترط عليه تحصيل مبلغ معين يوميًّا، بل يلتزم بحسن التوكل على الله، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين، فإن لم يفعل ذلك ربما ساق ولده إلى الانحراف ليرضيه إما بالسرقة، أو الغش، أو غير ذلك من السلوكيات المنحرفة[٢] .

(٦) إشباع شهوة البطن أو الرغبة في اللعب: والصغار يسرقون من أجل الحلوى، أو من أجل شراء اللعب، وعن رافع بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أرمي نخل الأنصار، فأخذوني فذهبوا بي إلى النبي ﷺ ، فقال: «**يا رافع لِمَ ترمي نخلهم؟**» . قلت: يا رسول الله الجوع!! فقال: «**لا تَرمِ، وكُل ما وقع، أشبعَكَ الله ورواكَ**»[٣] .

فالظاهرة إذن موجودة منذ زمن بعيد، لكن يبحث عن أصلها وسببها، ففي الحديث السابق كانت العلة هي الجوع، وفي زماننا قد تتكرر نفس العلة، ويزيد عليها: بخل الأب، أو فقره، أو تعويد الصغير على الإسراف في الطعام والشراب

---

(١) **صحيح الإسناد:** مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب (١٦) حديث (٤٢) بتحقيقي وتخريجي ط- دار الفجر للتراث.

(٢) عدنان باحارث (ص١٩٤) مسئولية الأب المسلم.

(٣) الترمذي (١٢٨٨) وقال: حسن صحيح غريب وضعفه الألباني هناك.

خاصة في الحلوى التي تصيب بالبدانة أو السمنة، أو مشاهدة الصغير والده يعتدي على حق غيره، فربما اعتدى المربي على أموال صغيره التي يدخرها فيأخذها قسراً لنفسه، فيربي في الصغير حاسة السرقة.

وقد عالج النبي ﷺ الأمر بحكمة بالغة، فعلَّم الصغير ما يحل وما لا يحل، ثم دعا له بالخير، ولم يزجره بالضرب أو السب، وعلمنا السؤال قبل العقاب، ولو كان غير ذلك لكان ذلك منا إتلاف للنفس البشرية، والمساعدة على زرع الغل والحقد في نفس الصغير الذي سيسرق بعدها بدافع النكاية في الغير.

وعلى الأب والأم أن يعودا الصغير على مقدار معين من الطعام خاصة الحلوى حتى لا يطغى ولا نستطيع صد طوفان شهوته وحبه إلى الحلوى أو اللعب.

(٧) الجهل بالسرقة: وعادة ما يكون هذا خلال السنوات الخمس أو الست الأولى لجهل الصغير بما له وما ليس له، وأخذه حاجة غيره بلا استئذان مسبق، وعلاج هذا أن يُجعل لكل طفل خزانة خاصة به، وألعاب خاصة به، فإذا أراد أخذ حاجة غيره فليكن عن طريق الاستئذان من أصحابها.

(٨) النكاية في الغير وتعمد إيلامه: وهذا انتقام من الطفل ولذا يجب مصالحته فور حدوث خلاف بينه وبين الآخرين.

السرقة من الجيران:

وسرقة الأطفال من الجيران كثيراً ما تحدث، وربما سببت قطيعة أو خصامًا وشجاراً بين أولياء الأمور، فإن ثبت لدى الأب أن ولده أخذ شيئًا من ممتلكات الجيران، أو من أطفالهم، فإن أفضل حل لهذه القضية لتستأصل من أصلها هو إلزام الولد بإرجاع ما أخذ بنفسه، والإلحاح عليه في ذلك، لأنه سوف يستفيد ويتعلم من هذا الدرس الصعب فلا يعود لمثله، فإن خشي الأب بطش جاره، أو توقع سوء مقابلته لولده عند إرجاع ما أخذه منهم، فيستحسن أن يتفاهم مع الجار أولاً، معتذراً عما بدر من ولده، ومخبراً أنه سوف يأتيه معتذراً، فلا يزجره ولا يشتد عليه؛ بل يحسن مقابلته ويثني عليه حسن اعتذاره، وإصلاحه لسوء فعلته، وهذا يعد درسًا عمليًا

جيدًا للولد وتهذيبًا لنفسه، فلا يعود إلى السرقة بعد ذلك(١) .

وهذا نموذج لتعليم الصغار أداء الأمانة والانتهاء عن الغش:

☆☆☆

أداء الأمانة، والنهي عن الغش

مرَّ النبي ﷺ على صُبْرة(٢) طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً(٣) فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» . فقال: أصابته السماء(٤) يا رسول الله. فقال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، مَن غشنا فليس منا»(٥) .

يروي لنا هذا الحديث قصة حدثت مع رسول الله ﷺ ، فقد وضع يده في وعاء عرض فيه صاحبه طعامًا للبيع: قمح أو شعير، فلما وجد النبي ﷺ التاجر قد وضع الطعام المُبلل أسفل الوعاء، ووضع الجاف أعلاه عرف أنه يغش الناس، فقال: «مَن غشنا فليس منا»، فهذا هو الغش بعينه لمن أراد أن يشتري منه الطعام، يظنه جيدًا، فإذا عاد إلى بيته وجده مُبللاً لا يصلح للطعام أو الطهي.

والغش صفة للمنافقين، وليس من صفة المسلم؛ لأن الغش قريب من الكذب، والمسلم صادق لا يكذب. أما الكافر والمنافق فهو كاذب غشاش، والغش قريب من الشر، والشر في النار. والصدق والأمانة قريبان من الخير، والخير في الجنة.

فلابد على المسلم أن يكون صاحب صفة الأمانة بعيدًا عن صفة الغش، وهي صفة قبيحة لا تليق بالمسلم.

ومن صور الغش:

١- غش التاجر لمن يشتري منه، فيعرض بضاعة رديئة ويقول: هي جيدة، فيضع

---

(١) عدنان باحارث (ص١٩٤).

(٢) صبرة: وعاء من خوص يوضع فيه الطعام.

(٣) البلل: الندى، أو الماء.

(٤) أصابته السماء: نزل عليه مطرها.

(٥) رواه مسلم.

بضاعة جيدة وتحتها بضاعة سيئة.

٢- إفشاء السر، فيستودعك أحد الناس سرًّا وتقول له: سأحفظ السر، ثم تنشر السر بين أصدقائه، وتفضحه، فتكون غششته.

٣- الحلف الكذب (اليمين الغموس) على الأمر الكذب وهو من الغش.

٤- أن يعطيك أحد شيئًا فتضيعه، فيعطيك مالاً فتأخذه وتنفقه ثم تُنكر أنك أخذته منه.

أما الأمانة:

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨).

فأمرنا الله تعالى بأداء الأمانة إلى أهلها، وعدم الغش والتزوير، وكان رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله تعالى إلى الناس رسولاً كان يُسمى (الأمين) لكثرة أدائه الأمانة، حتى إنه لما هاجر إلى المدينة، أبقى سيدنا علي بن أبي طالب ليرد الأمانات إلى أهلها، حتى لا يُقال: ضيَّع محمد أماناتنا، ولكنه ﷺ الأمين. وقد مدح الله عز وجل موسى عليه السلام فقال عنه: ﴿الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

من قصص الأمانة:

وقد حكى لنا رسول الله ﷺ عن قصة حدثت قديمًا وهي: أن رجلاً اشترى دارًا، فلما اشتراها وجد فيها جَرَّةً من ذهب، فذهب هذا المشتري لصاحب الدار فقال له خُذ هذه الجرة التي وجدتها في دارك، فقد اشتريت الدار، ولم أشترِ الذهب. فقال له صاحب الدار: لقد بعت لك الأرض، فالذهب لك والجرة. فذهبا إلى رجل حكيم فقال: هل لكم أولاد؟ قالا: نعم، فقال أحدهما: عندي بنت. وقال الآخر: عندي ولد، فقال: زوجوا الولد للبنت، وأنفقوا عليهما من هذه الجرَّة، وأعطوا الصدقات للفقراء. وهذا هو جزاء الأمانة.

وحكى لنا قصة أخرى وهي أن رجلاً اقترض مالاً من أحد أصحابه، فقال له: من يشهد على دَيْنك هذا؟ قال: الله عز وجل. وسافر الرجل بعيدًا، وأراد أن يُعيد المال إلى صاحبه، فجاء بجذع شجرة ووضع فيه المال ثم قال: يا رب ادفعه إلى

صاحبـه، فقد كنت أنت شـاهدي على ديني هذا، ثم ألقى هذه الخشبة في الـبحر، وخرج صـاحب المال وهو في بلده إلى البـحر يومًا مـا، حتى وجـد هذه الخشـبة، ففتحها فوجد فيها المال فأخذه، وعاد صاحبه من سفره فقال له: هل أخذت المال من الخشبة؟ قال: وكيف عرفت؟ قال: إني جعلت الله شاهدي، لن يضيعني الله. وهذا أيضًا جزاء الأمانة والوفاء بالوعد.

جزاء الغشاش:

* وجزاء الغشاش أنه ليس من المسلمين، فقد قال لنا النبي ﷺ: «مَن غشَّنا فليس منا».

* ويوم القيامة ترفع له راية- علم- ويقال: هذا فلان الغشاش.

* وينفر منه الناس، ويبتعدون عنه، فيكون مكروهًا منبوذًا.



(٦) النهي عن الغضب

تعريف الغضب، ونوعاه:

الغضب ضد الرضا. وقال الراغب: «الغضب هو: ثوران دم القلب إرادة الانتقام»[١].

وقيل: هو غليان دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عنه خشية وقوعه، أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منه أذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف والسب والفُحش وربما ارتقى إلى درجة الكفر[٢].

إن ما يحدث في الغضب تحديدًا هو الآتي:

(١) هيجان الدم في القلب.

(٢) ذهاب العقل، فيصير الغضبان كالسكران، واستتاره يكون بستار الغضب.

(٣) فورة وثورة من الإنسان.

(٤) غلبة الشيطان وسيطرته على ابن آدم[٣].

والغضب نوعان:

(١) غضب محمود: وهو الغضب الديني، غضب لانتهاك محارم الله تعالى كما كان النبي ﷺ يغضب لانتهاك الحرمات في أكثر من موقف، فيحمر وجهه ﷺ، ولولا هذا النوع من الغضب لما بقيت حُرمة، ولا دافع إنسان عن محارمه، فهذا الغضب محمود لا محالة.

(٢) غضب مذموم: وهو الغضب الدنيوي للنفس أو لغير الله تعالى، وهو ما نتحدث عنه في هذا البحث، وهذا الغضب قال عنه صحابة رسول الله ﷺ: «يجمع الشر كله»[٤].

---

(١) انظر لسان العرب (٣٢٦٢) والرغب الأصفهاني (ص٣٦١) في المفردات.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٤١) لابن رجب الحنبلي - ط دار الفجر للتراث.

(٣) الوصايا النبوية (ص٤٠٦) للمؤلف.

(٤) صحيح: أحمد (٣/ ٤٨٤) في المسند.

وقال جعفر الصادق: «الغضب مفتاح كل شر». وقال ابن المبارك: «حسن الخلق ترك الغضب». وقال مجاهد: «قال إبليس: ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث:

- إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقُدناه حيث شئنا، وعمل لنا بما أحببنا.
- وإذا غضب قال بما لا يعلم، وعمل بما يندم.
- ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه»[١].

وقد ذمَّ الله تعالى هذا الغضب فقال سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٦). وأمر المؤمنين بالإمساك عنه فقال سبحانه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

وقد حرص النبي ﷺ على تحذير أمته من هذا الغضب المذموم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تغضب». فردد مرارًا قال: «لا تغضب»[٢]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٣].

ولأن الغضب تصاحبه تغييرات طارئة كاحمرار الوجه، وانتفاخ الأوداج، وتوقد حر الصدر والقلب، قال ﷺ لرجل غضب عنده: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[٤].

والغضب له أضراره فهو جماع الشر كله، يخرج من صاحبه أسوأ المقال، وأقبح الفعال، كما يولد الحقد والحسد وإضمار السوء، ويطرد الملائكة، ومن هنا تبدو خطورته، ويظهر لنا محاربته.

---

(١) شعب الإيمان (٥/ ١٣) للبيهقي رحمه الله.

(٢) صحيح: البخاري (٦١١٦) في الأدب.

(٣) صحيح: البخاري (٦١١٤) في الأدب، مسلم (٢٦٠٩) في البر والصلة.

(٤) صحيح: البخاري (٦١١٥) في الأدب، مسلم (٢٦١٠) في البر والصلة.

متى يبدأ ظهور الغضب؟ وهل هو عند الإناث أو الذكور أكثر؟ وصوره عند الصغار:

والغضب موجود عند الأطفال يبدأ منذ الستة أشهر تقريبًا، والأطفال الذكور خاصة أكثر ميلاً إلى الغضب من الإناث حيث يعتبر الغضب عاملاً جيدًا لتحقيق الرغبات وتأكيد الذات.

والغضب يظهر على الأطفال بصورة مختلفة ومتنوعة حسب السن، فالطفل في الثالثة مثلاً يظهر غضبه أحيانًا بكثرة البكاء، والضرب على الأرض بالأقدام، وربما قذف أغراضه. أما الطفل في التاسعة فيتخذ موقفًا سلبيًّا عند الغضب؛ فيرفض الأكل، وينزوي في غرفته مع ظهور علامات عدم الرضا والتسخط عليه، ولا ينبغي للأب أن ينجرف وراء العاطفة، فينصاع لرغبات ولده عند غضبه، فيلبي له كل ما يشاء، فلا يعرف الولد سوى الصراخ والعويل إذا أراد أن يتحقق له أمر ما، فإذا تعود الولد هذا السلوك أصبح من الصعب عليه مستقبلاً أن يحتمل فوات ملذاته، وعدم تحقيق رغباته، فيصطدم بمشكلات الحياة المتنوعة، فإما أن ييأس وينحرف، وإما أن يبدأ في التعود والتدريب على هذا النمط الجديد من الحياة، وهذا صعب بعد النضوج(١) .

ماهي أسباب الغضب عند الصغار؟

وككل خُلق تحدثنا عنه قبل ذلك لابد من سبب أو عدة أسباب للغضب، وهي كالآتي:

(١) الإسراف في التدليل: وهذا معناه أن رغبات الطفل ما هي إلا أوامر سرعان ما تُلبى، فإذا ما تأخر أحد في تلبية واحدة من رغباته هاج وماج، ويبدأ يعبر بطريقته المعتادة عن غضبه من تأخر تلبية الرغبة.

(٢) وجود عاهة في الطفل: أقصد بها العاهة الجسدية بالطبع، ولابد من دخول الأب والأم وغيرهما للطفل هنا من مدخل القضاء والقدر والإيمان بقسم الله تعالى.

---

(١) انظر دكتور/ عبد القادر زيدان (الغضب عند الأطفال) ضمن مجلة التوثيق التربوي (ص١١، ١٢).

(٣) القسوة من أحد الوالدين: وتستمر معه فترة طويلة ربما وصلت إلى أن تدخل معه صفة الغضب إلى القبر.

(٤) كون أحد الوالدين عصبيًا: فيقلده الصغير عفوًا فيكون مثله، خاصة التعصب الكروي.

(٥) عنف الأب في التربية، والتدليل: فهناك من يدلل بطريقة الأسود والقرود لا طريقة البشر فيعود الصغير على طريقة (التصادم) ويجعله كثير الغضب سريعه.

(٦) الفشل في ناحية من نواحي الحياة: كالناحية التعليمية، أو الاجتماعية، أو المادية، فتضيق نفس الصغير ذرعًا به حتى ينفس عن ذلك بطريقة الغضب.

(٧) عدم الاهتمام عاطفيًا بالصغير.

(٨) الغيرة ممن حوله.

طريقة معالجة الغضب:

(١) اجتناب العصبية والغضب أمام الصغار: فالوالد مثلاً يعرف أن زوجته تثير غضبه في بعض الأفعال كتأخير الطعام، أو إهمال بعض واجباتها، فعليه أن يتجنب إثارة المشاكل في هذا الجانب أمام الأولاد وأن يصطحب الزوجة لمكان مغلق، وليفعل فيها ما يشاء!! وليعلم أنه ما من بيت من البيوتات إلا وفيه نسبة الإهمال التي تزيد وتقل بحسب أخلاق الزوجة، فلا داعي للإثارة والغضب. وكذا تتوخى الأم الحذر في أفعالها، فتتجنب ما يثير غضب الزوج.

(٢) اتباع تعاليم السُنة المطهرة عند الغضب: ويكون هذا عن طريق الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كما سبق، وعن طريق تغيير وضع الصغير، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»[١]. وعن طريق الوضوء، ففي حديث عطية السعدي رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِق من النار، وإنما تطفئ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[٢].

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٧٨٢) في الأدب وصححه الألباني هناك.

(٢) ضعفه الألباني في سنن أبي داود، ورمز له السيوطي (١/ ٨٣) في الجامع الصغير بالحسن.

(٣) التعامل مع الطفل الغاضب بهدوء وسكينة لا بانفعال وعصبية.

(٤) إشعار الابن بالحنان والعطف، وتحول الغيرة إلى منافسة شريفة.

(٥) التدرج في التخلص من الغضب: لأن الغضب جبلَّة وطبع لو أردنا تخليص الطفل منها مرة واحدة لكنا كمن أراد نزح البئر بملعقة واحدة، ويقول الغزالي رحمه الله في هذه المسألة: «الغضب والشهوة لو أردنا قمعها وقهرها بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما»[١].

والطبائع منها ما يكون سريع الاستجابة، ومنها ما هو بطيء جداً عن ذلك، فإذا ما وجد الأب صدوداً من الصغير وتمادياً في الغضب فلا يغضب هو تجاه ذلك، وإنما يبحث عن السبب الأصلي ويقتلعه من جذوره اقتلاعًا، وعليه الملاطفة، ثم الإعراض والصد بعد التحفيز ونحذر من السخرية من الصغير أو محاولة اتهامه بالسفاهة عند الغضب لأن ذلك سيزيد غضبه.

وخلاصة القول في علاج الغضب: صبر المربي على الطفل وإلا خسرنا الطفل تمامًا، وعدم الانفعال حتى لا نزيد الصغير غضبًا إلى غضبه، مع تبيان عاقبة الغضب الوخيمة في الدنيا والآخرة.

☆☆☆

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٤).

(٧) الخوف وتخليص الصغير منه

تعريف الخوف وأنواعه:

الخوف ضد الأمن، وهو توقع مكروه أو فوت محبوب. وقيل: حذر النفس من أمور. وقيل: غمٌّ يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء.

وقال الراغب: «الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء توقع محبوب»[١].

والخوف يستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية، فمنه الخوف المحمود، ومنه الخوف المذموم، ومنه الخوف الفطري كما خاف موسى عليه السلام من فرعون فقال: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ (القصص: ٣٣). وكما خشي النبي ﷺ على نفسه لما نزل الوحي عليه كما في حديث عائشة المتفق عليه.

والخوف المحمود: هو الخوف من الخالق سبحانه الذي يجعله في وَجل ورهبة من الله تعالى، فيصده عن الحرام، كما قال تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥). وقال: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠). إلى غير هذه الآيات المرغبة في الخوف الذي جعله الله تعالى مع (الرجاء والمحبة) ثلاثة أسس لا يقوم الإيمان بغيرهن، ومن هنا فاز أصحابه يوم القيامة فوزًا عظيمًا، وكذا وصى به النبي ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ دخل على شاب عند الموت فقال له: «كيف تجدك؟». قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: **«لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»**[٢].

وهذا الخوف لطالما وصى به الصالحون وكانوا مثلاً فيه، وينبغي تعليمه لأبنائنا.

أما الخوف المذموم: فهو الخوف من المخلوقات حتى تساوي مشاعر الخوف منهم

---

(١) التعريفات (١/٣٢٨) للجرجاني.

(٢) حسن: حسنه الألباني (٤٢٦١) في الزهد من سنن ابن ماجه ط - الرياض (ص٧٠٦).

مشاعر الخوف من الله تعالى، فقد قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ (العنكبوت: ١٠). وهذا لخلو النفس من معرفة ربها سبحانه، أو الإيمان بصفاته العلا وأسمائه الحسنى، وكنتيجة طبيعية لعدم وجود تربية عقدية توحيدية صحيحة سليمة، ولقد قال الله تعالى: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود: ٥٦).

والنفع والضر إنما هما بيد الله تبارك وتعالى وهو (الجبار- المنتقم- شديد العقاب- القاهر- ذو البطش الشديد) إلى غير هذه الأسماء التي تبعث على الرهبة من عذابه وبطشه سبحانه، ثم تبعث على الاطمئنان من نصره للمؤمنين وجبر كسرهم.

وهذا النوع من الخوف ينبغي محاربته والقضاء عليه.

خوف الصغار من أي نوع؟

يتميز خوف الصغار عن الكبار بأنه خوف فطري يمكن التغلب عليه وتحويله إلى خوف محمود، ومن أمثلة خوف الصغار:

- الخوف من الحيوانات الضخمة بالنسبة له كالحصان أو الجمل أو الحمار.
- الخوف من القطة.
- الخوف من صعود المرتفعات، أو نزول الدرج.
- الخوف من أصحاب الوجوه الملونة أو الأغراب.
- الخوف من أصوات الحيوانات ليلاً.
- الخوف من الظلمات وهو القاسم المشترك بين جميع الصغار.

وحتى هذه اللحظة يمكن للجميع هزيمة الخوف داخل نفس الصغير.

الآباء قد يصبحون سبباً في إصابة الصغار بمرض الخوف:

نعم، هذه حقيقة، فقد تعودنا تطويع نفس الطفل لنا عن طريق تخويفه بهذه الطرق:

أولاً: اختراع شخصيات وهمية تأكل الصغار وتلتهمهم: كأبي رجل مسلوخة، وأبي غرارة، والعو، والسلعو، والبعبع، والرجل العجوز، وهذه الأسماء الشيطانية التي

ابتدعها الحمقى والجهال لتخويف الصغار.

ثانيًا: التخويف الدائم من الظلمة أو العقوبة بالوضع فيها: فيقول المربي: أتركك في الظلام. أو يطفئ المصباح ويهرب تاركًا الصغير يصرخ، أو يهدده: سأتركك وحدك في الظلام، أو يكون مع الصَغير فيقول له: أنا خائف من الظلام، أو: اسكت ونام لاحسن حاجة تطلع لنا في الظلام!!

ثالثًا: حكايات وهمية عن شياطين وعفاريت ووحوش: وما أكثر هذا السفه في بيوتنا، خاصة الجدات المحترمات اللاتي يلقين الرعب في نفوس الصغار بمثل هذه القصص.

رابعًا: مشاهدة أفلام الرعب: وقد سبق الحديث عنها.

خامسًا: تخويف الطفل بشخص معين: كأصحاب البشرة السمراء- وعلم الله كم نحبهم ونحترمهم-.

سادسًا: التخويف بالحيوانات: كقولهم: الكلب يأكلك، القطة تعضك.

سابعًا: الصراخ في وجه الصغير أو حمله في الهواء: ينبغي للوالد أن ينبه أهل البيت أن يجنبوا الولد الشعور بالخوف من احتمال السقوط من مكان مرتفع، أو الصراخ أمامه، فإن الطفل يولد مزودًا بكراهية هذه الممارسات والخوف منها، ويتجنب الأب ما اعتاده بعض الناس من قذف الطفل في الهواء ثم التقاطه مرة أخرى، فإن هذا النوع من اللعب يثير في نفس الولد الخوف، إلى جانب احتمال سقوطه على الأرض[1].

ثامنًا: خوف الأم خاصة من بعض الحشرات: كالفأر، أو الصرصور، أو الوزغ (البرص)، فترى الحمقاء منهن تجاهر بخوفها فتصرخ وتعدو، وربما كانت سفيهة فتتخذ من هذا الموقف فاتح شهية للتدلل على زوجها!! ولا تدري أن المصيبة التي ستجنيها أعظم بكثير من مجرد إثارة الزوج.

علاج هذه الأسباب:

(١) عدم استخدام الألفاظ والروايات والأشكال التي تخيف الطفل: فلماذا لا نحكي

---

(١) د/ عدنان باحارث (ص١٨٠) مسئولية الأب المسلم.

قصة الأنبياء والرسل بدلاً من قصة أبي رجل مسلوخة؟ ولماذا لا نُطمع الطفل في رحمة الله، أو نحفزه ماديًا ومعنويًا بدلاً من تخويفه؟ ولماذا نسلمه للجواهل يعلمنه ويروين له ما يدمر حياته ويقتل شجاعته؟

(٢) إضاءة الحجرات بمصابيح خافتة: فتصبح الحجرة التي ينام فيها الطفل حجرة ذات أنوار خافتة لا هي مضيئة ولا هي مظلمة، وهذه الطريقة معمول بها في بلاد العالم المتحضر- كما يسمونه- هذا إن لم يكن الصغير قد تعلَّم النوم في الظلام من البداية، فهو أنفع نوم وأكثر راحة، وتعويد الطفل عليه يبدأ منذ الولادة، فلا مانع من أن يصل إلى درجة التضايق من وجود إنارة في الحجرة.

(٣) إزالة أسباب الخوف: فمن الأشخاص: نقربه منهم، ونعرفه أن بلالاً رضي الله عنه كان أسود اللون ومع ذلك رفع الله تعالى درجته، وأن لقمان كان عبدًا حبشيًا، لكن اللون ليس أساسًا للتفريق بين الناس، أو الخوف منهم، مع طلب العون من الشخص الذي يخشاه الطفل عن طريق تقديم هدية للصغير، أو مداعبته، أو اصطحابه معه، مع الامتناع عن وجود أفلام الرعب كما سبق، ثم على الأم أو غيرها حتى وإن كان يخشى بعض الحشرات أن يخفي هذا الشعور ويطلب من غيره قتل هذه الحشرة، أو تعويد الصغير على ذلك منذ البداية.

(٤) تربية الخوف الصحيح داخل نفوس الصغار: مع تعليمهم أن الله تعالى هو سبحانه من نخشاه لا أحد سواه، وكيف كان المسلمون الأوائل يقتحمون الصعاب حِسبة لله، لا يخشون أحدًا إلا الله تعالى، مع التركيز على أن القوة المطلقة، والقدرة التي لا حدود لها إنما هي لله تعالى، ومن سواه عباد تتفاوت قدراتهم حسبما أراد الله تعالى لهم، لا كما يريدون هم بمن فيهم الجن والشياطين.

(٥) تدريب الصغار على الشجاعة منذ الصغر: وذلك من خلال تدريبهم رياضيًا على صعود الجبال، وركوب الخيل، والسير في الطرق الصحراوية وغيرها.

☆☆☆

(٨) الأنانية

الأنانية: حب الذات، وتحقق وجودها، وتفضيلها على الغير. ويقترب معناها للغاية من الأثرة وهي: ترك الإيثار. والإيثار هو: تقديم الغير على النفس في النفع له، والدفع عنه، وهو من معاني الأخوة[١].

وبمعنى أقرب: الأنانية هي: حب تملك الأشياء، فهي نوع من أنواع البخل واختلاس حق الآخرين والطمع فيه.

ولا خلاف بين الناس على أننا جميعًا قد جُبِلنا على حب الشهوات مما أباح الله تعالى لنا، فالكل يميل بفطرته إلى ما في الدنيا من الزينة التي قال الله تعالى عنها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ (آل عمران: ١٤).

فالناس على اتفاق في أنهم جميعًا يحبون هذه الأمور المزينة لهم، ولكن الأنانية صفة رذيلة مكتسبة من المجتمع سببها خبث الطوية، وطمع النفس، أو الوراثة عن الآباء والأمهات والإخوة.

وقد حذَّرت السُّنة المطهرة من مثل هذا، فقال ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[٢]. قال النووي رحمه الله: «فيه- في فوائد الحديث-: ذم الحرص على الدنيا، وحب المكاثرة بها والرغبة فيها»[٣].

فذمَّ ﷺ اللاهين وراء الدنيا مخبرًا بمآلهم، فمهما جمعوا وملكوا وحازوا وحصَّلوا؛ سيودعون القبر، فتمتلئ أفواههم من التراب، وعندها تنقطع أمانيهم إلا

---

(١) التعريفات (١/ ٥٩) للجرجاني.

(٢) صحيح: البخاري (٦٤٣٩) في الرقاق، مسلم (١٠٤٨/ ١١٦) في الزكاة عن أنس رضي الله عنه.

(٣) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٥٩) ط - دار الفجر للتراث.

من رجاء رحمة الله تعالى. فينبغي على العاقل ألاَّ يكون لاهثًا وراء شهواته، هائمًا في كل وادٍ يبحث عن تملك الدنيا، وهي قليل من قليل، نعيمها قليل، ومتاعها قليل، وبقاؤها قليل، والناس جميعًا شركاء في هذا القليل، فحظه من القليل قليل!!

وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنَى غِنَى النفس»[1] . فالعَرَض (بفتح العين والراء): هو متاع الدنيا، سمي كذلك لذهابه، والغِنَى المحمود: غِنَى النفس وشبعها وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالبًا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غِنى[2] ، ولو شرب الحريص كل نهر ما ارتوى.

أسباب الأنانية وحب التملك عند الصغير:

وبعد ظهور خطورة الأنانية وأنها تسبب جوعًا ماديًّا لا شبع له إلا مع دخول القبر، يتبين خطرها الاجتماعي من خلال وجود شخص يريد الاستئثار بكل شيء لنفسه ليملكه هو وحده دون الآخرين، مما سيفضي بالجميع إلى هوة الحقد والحسد، فتبدأ مواجهة هذه الرذيلة مبكرًا كما ووجهت أخواتها من الرذائل من قبل، ولكن لابد أولاً من التعرف على أسباب هذه الظاهرة التي قد تتفشى بين الصغار إذا لم تُهذَّب.

(١) **عدم تمييز الصغير؛ بل سيطرة الصبيانية عليه**: فالصغير إذا لم يرشَّد ويُعلَّم سار وراء غلمانيته وصبيانيته، فهو يريد كل شيء لنفسه، ولا يدري تمييزًا أو فارقًا بين ما له وما ليس له، وهذا حتى سن السادسة كما يجزم علماء النفس بذلك، فهو يكثر استخدام (حاجتي) (بَحْرِي) (سريري) (لي) (حقي) (بتاعتي) فيكثر من ذكر ياء المتكلم، وهنا لابد من توجيهه وترشيد هذه المشاعر بدلاً مَن طغيانها.

(٢) **تأكيد الكبار على الأنانية**: فبعض الآباء يفضل الذكر على الأنثى، وربما أخد

---

(١) صحيح: البخاري (٦٤٤٦) في الرقاق، مسلم (١٠٥١/ ١٢٠) في الزكاة.

(٢) النووي على شرح مسلم (٤/ ١٦٠) ط - دار الفجر للتراث.

حق الأنثى فأضافه للذكر، وقد يكون الكبير من الصغار هو محور الاهتمام، فيُعطى كل شيء له، وهذا مما يربي الأنانية عند الكبير والشعور بالظلم عند الصغار.

كيف نواجه هذه الرذيلة؟

(١) الأب يبدأ مع ولده في تأصيل مبدأ تحـديد الملكيات من خلال تحديد ملكيات الولد أولاً، ليعـرف ما له من أشياء، ومـا لغيره من ممتلكات فيـحترمهـا ولا يتعدى عليها، فيُعـرِّف الأب ولده ما يخصه من حاجيات كالملابس والألـعاب وغيرهما من خصوصياته، ويحاول أن يفهمـه أن هذا له يتصرف فيه كيف شاء، ويفضل أن تكون تلك الممتلكات في حجـرة خاصة به دون غيره، أو في خزانة تخـصه وحده، وبهذه الخطوة يكون الأب قد حدد للولد وأفهمه حدود ملكياته الخاصة، ويكون الولد نفسه قد فهم ذلك، حيث قـد وضعت أدواته وما يخصه في مكان يعرفـه ويمكنه التصرف فيها كما يجب، فإن حدث أن تعدى أحد إخوته على ممتلكاته، وحاول أن يأخذ منها شيئًا، فـبرز له الولد ومنعه، فإنه بذلك يكون قد علم فعـلاً حدود ممتلكاته وحاجاته الخاصة، وأنه ليس لأحد أن يأخـذ منها إلا بإذنه وموافقته، فـإن حاول هو نفسه أن يتعدى على خصوصيات أحد إخوته فمُنع، فإن ذلك يكون بمثابة درس عملي يعرف به الولد حـدود ممتلكاته، ويعلم أنه ليس له حق في ممـتلكات غيـره، كمـا أنه ليس لغيره حق في خصوصياته وما يملك، ويحاول الأب قدر المستطاع أن لا تكون ألعاب الأطفال مشاعة بينـهم دون تحديد أصحابها؛ لئلا يفقد الطفل مـعرفة ما له وما ليس له[1].

(٢) ويعمل الأب أو المربي عمـومًا على إعطاء صغيره (مـصروفًا) يكون له- بلا إسراف بالطبع- لينفق منه على رغـباته الخاصة غيـر الجامحة، حـتى لا يتعدى على حقوق الآخرين.

(٣) تعريـفه بالعـدل والمساواة، وأنه لا أحـد فوق العدل، ويـعيش الأب حيـاته مساويًا بين أولاده غير مفضل لأحدهم على الآخر في العطية.

---

(١) انظر محمد كامل عبد الصمد (ص١٢٧) (طفلك الصغير هل هو مشكلة؟).

(الرفق، والرحمة، والرأفة)

وهذا نموذج تعليمي لهذه الصفات:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله»[١] . وقال ﷺ: «مَن لا يَرحم الناسَ لا يَرحمه الله»[٢] .

الرفق والرحمة صفتان كريمتان نادى بهما الإسلام ورسول الإسلام ﷺ، والإنسان الرحيم هو رقيق القلب الذي يفعل الخير دائمًا، وقد سمى الله عز وجل رسوله ﷺ فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) .

فالرحمة خُلُق رفيع لا يتصف به إلا المؤمنون فقط، وقد قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) . فلو كان النبي ﷺ غير رحيم- أي: غليظ القلب- لما تجمع الناس حوله، ولكنه ﷺ كان لينًا- أي: رحيمًا- أحبه الناس حتى قال الله عز وجل فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) .

ومن أسماء الله تعالى وصفاته: (الرحمن الرحيم، والرفيق، والرءوف) وكل الكائنات تعيش برحمة الله، وتحيا في ظلالها.

نماذج من الرحمة والرفق:

(١) **الرحمة بالإنسان:** وقد كان النبي ﷺ هو أرحم راحمٍ على وجه الأرض، فقد كان قلبه رقيقًا يفيض بالرحمة ﷺ، يُعامل المسلمين بالرحمة، وينبض قلبه بالحنان، يُعامل الكل برحمته الكبير والصغير، والمؤمن والمشرك، فقد كان واسع الصدر، ضربه الكافر حتى سال الدم على وجهه الكريم ﷺ وهو يبكي، فلما نزل عليه جبريل عليه السلام يقول له: لو شئت لأهلكهم الله. فقال ﷺ: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

(١، ٢) متفق عليهما .

وجاء أعرابي من البدو، والأعراب هؤلاء اشتهروا بالقسوة وغلظة القلوب، فإذا بالأعرابي يقول: يا محمد أعطني من المال، فهو مال الله، ليس من مالك ولا مال أبيك. ثم جذب[١] النبيَّ ﷺ من ثيابه جذبةً أثَّرت في عُنقه[٢] الشريف، وقام الصحابة ليقتلوا هذا الأعرابيَ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اتركوه». فقال الأعرابي: إنك يا محمد تجزي السيئة بالحسنة. فرحمه النبي ﷺ، وعفا عنه، وصدق مَن سمّاه بالمؤمنين رءوف رحيم.

وكان رسول الله ﷺ يحب الأطفال الصغار ويُقبِّلهم، وقد جاءه رجل فوجده يُقبل طفلاً، فقال: إن لي عشرة من الأطفال لم أقبل منهم أحدًا قط. فقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الله، مَن لا يرحم الناس لا يرحمه الله». وقال ﷺ: «ليس مِنّا مَن لم يرحم صغيرنا».

الرفق بالحيوان:

وقد وصَّى رسول الله ﷺ المسلمين أن يرفقوا بالحيوان ويرحموه، فلا يُجوَّع الحيوان، ولا يُضرب أو يُظمأ ويُعطش، ولا يُحبس حتى يموت.

وفي إحدى أسفار النبي ﷺ نزل المسلمون واديًا ليرتاحوا فيه، فجاء رجل من المسلمين ببيضة لطائر، وهذا الطائر هو (الحُمْرة)، فجاء الطائر يرفرف بجناحيه فوق رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «أيكم أخذ بيضتها؟». فقال الرجل: أنا يا رسول الله أخذت بيضتها. فقال ﷺ: «اردُدها رحمةً لها».

وجاء جملٌ يبكي بين يدي النبي ﷺ، فكلمه[٣] النبي ﷺ وقال لصاحبه: «إن هذا الجمل يشكو كثرة العمل». فرحمه صاحبه بعد ذلك.

وحكى لنا رسول الله ﷺ عن رجل كان يمشي في الطريق، فاشتد به العطش، فوجد بئرًا، فنزل فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى[٤] من شدة العطش،

---

(١) جذب: شدّ.

(٢) عنق: العنق هو الرقبة.

(٣) هذه معجزة لرسول الله ﷺ.

(٤) يلهث: يخرج لسانه من شدة العطش. الثرى: التراب المبلل بالندى أو بماء البئر.

فنزل الرجل إلى البئر وملأ خفه[١] ماءً ثم أمسكه وسقى الكلب، فغفر الله للرجل.

وعلَّمنا النبي ﷺ أن نرحم الحيوان إذا ذبحناه بفعل الآتي:

١- إراحة الذبحة وإبعادها عن السكين.

٢- إحسان الذبيحة يعني إسراعها.

٣- أن تكون السكين حادَّة فلا يشعر الحيوان بالألم.

٤- لا يذبح الحيوان أمام أمه أو أي حيوان آخر.

٥- لا تعطش الحيوانات، ولا تحبس أو تجوَّع حتى الموت.

٦- وأخبرنا النبي ﷺ عن امرأة دخلت النار في هِرة[٢] حبستها حتى ماتت من العطش والجوع، فلا هي تركتها لتشرب، أو أطعمتها، أو تركتها ولم تحبسها.

وهذه هي أخلاق الإسلام، فقد كانت الرحمة هي صفة النبي ﷺ ، وصفة الصحابة جميعًا من بعده، فلابد من التحلي بها.

جزاء القسوة:

وقد اتضح لنا جزاء القسوة وغلظة القلب:

١- فغليظ القلب لا يدخل الجنة لأن الله تعالى لا يُحبه.

٢- ويكرهه الناس، وينفرون- أي: يبتعدون- عنه،

٣- ولا يرحم الله عز وجل من لا يرحم الناس.

جزاء الرحمة والرفق واللين:

١- حُب الله عز وجل ودخول الجنة.

٢- يرحمه الله عز وجل ويقربه منه.

٣- يُحبه الناس، ويقتربون منه، ويودونه.

٤- يكون متشبهًا برسول الله ﷺ وصحابته.

---

(١) خُفه: حذاءه.

(٢) هِرة: قطة.

من مظاهر الرحمة في المجتمع:

١- رحمة الأطفال الصغار وعدم القسوة عليهم.

٢- رحمة اليتيم والعطف عليه.

٣- رحمة الكبـار من الناس، فلا يجلس الشاب أو الشابة، ويقف الشـيخ الكبير أو المرأة لا تتحمل الوقوف.

٤- رحمة الوالدين عند كبر سنهما.

٥- والدعاء لهما بالرحمة بعد الموت: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء: ٢٤).

٦- رحمة الحيوان وعدم تعذيبه وإيذائه.



الحقوق والواجبات التي يجب أن يتعلمها الصغير

١- حق الوالدين. ٢- حق العلماء.

٣- حق الإخوة. ٤- صلة الأرحام.

٥- الأخوة والصداقة.

تعليم الصغير بر والديه

الأخلاق مع الوالدين

يتحدث القرآن صراحةً عن بر الوالدين موصيًا الأولاد بحفظ آبائهم في أنفسهم، وأموالهم، وأقوالهم، وأفعالهم، فيقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

ويقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت: ٨).

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

فالوصية هنا بالآباء لا بالأبناء، فقد سبق في علمه سبحانه أن الجفوة والعقوق يحدثان في أغلب الأحوال من الأبناء تجاه الآباء والأمهات، لذا جاء الأمر بالبر بعد ذكر التوحيد مباشرة ليكون آكد في الوجوب، وأشد في الوزر لمن عقَّ والديه.

ولو نظرنا إلى سورة لقمان لوجدنا لمحة طيبة، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ...﴾ (لقمان: ١٣). ثم قال: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ (لقمان: ١٤). فعاد الكلام إلى الله تعالى.

إن لقمان يعظ ابنه وكان من المفترض أن يقول له: «وأوصيك بي وبأمك»، لكن هذا لم يحدث، وإنما تولى الله تعالى الوصية بالوالدين ليقول لكل الأبناء: إن الوصية بالوالدين مصدرها ليس لقمان ولا غيره، إنما مصدرها الإرادة الإلهية العُليا التي لا يُعصى لها أمر، ولا يرد لها واجب مهما كانت الظروف والملابسات.

ولو جاءت الوصية على لسان لقمان لقال بعضهم: رجل يوصي ولده بنفسه، فقطع الله تعالى الألسنة قبل أن تتشدق بما يخالف الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها.

إننا لو سألنا أي أب في الوجود سؤالاً واحدًا تتعدد صيغته فقلنا: لماذا تقاسي الشدائد؟ لماذا تركب الصعاب؟ لماذا تضحي براحتك؟ سيكون الجواب كل مرة واحدًا: من أجل أبنائي ومن أجل راحتهم. حتى تعارف الناس على أمر واحد؛ ألا وهو: أنه لا أحد في هذا الوجود يتمنى لإنسان أن يكون خيرًا منه إلا الوالدين يتمنيان لولدهما هذا.

ومقابل التضحيات التي يقدمها الآباء للأبناء، فهم لا يريدون منهم إلا ابتسامة في الصغر، وصحة في البدن، ونجاحًا وفلاحًا في الحياة، فمرحلة عطاء الوالدين لابنهما تستمر حتى الممات، و من هنا كان التحذير من عقوق الوالدين، والوصية ببرهما.

والبر هو: ضد العقوق(١) ، ومعناه: الإحسان وصلة الوالدين.

وقال النووي: «هو الإحسان وفعل الجميل معهما، وفعل ما يسرهما».

والعقوق هو: ضد البر، ومعناه: قطع الوالدين وعدم صلة رحمهما(٢) .

وقال ابن الجوزي: «هو مخالفة الوالدين فيما يأمران به من المباح، وسوء الأدب في القول والفعل». وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» . قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «برُّ الوالدين» . قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»(٣) .

ويحذر ﷺ من العقوق فيجعله من الكبائر كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله» . قال: ثم ماذا؟ قال: «ثم عقوق الوالدين» . قال: ثم ماذا؟ قال: «ثم اليمين الغموس»(٤) . إلى غير هذه الأحاديث التي تحذر من العقوق، وتأمر بالبر.

---

(١) لسان العرب (٤/ ٥٣).

(٢) السابق (١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧)، والبر والصلة (ص٦٨) لابن الجوزي.

(٣) صحيح: البخاري (٥٠٤)، مسلم (٨٥).

(٤) صحيح: البخاري (٦٧٥) و (٦٨٧٠) و (٦٩٢٠).

ويجعل ﷺ الابن أعجز ما يكون عن أن يوفي والديه حقهما، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»[1].

ويُسأل معاذ بن جبل رضي الله عنه عن حق الوالدين على الولد فيقول: «لو خرجت من أهلك ومالك ما أديت حقهما»[2].

فهذا حق عظيم ينبغي أن يُؤدى على وجه الكمال، وللأم نصيبها الأكبر من البر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله؛ مَن أولى الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أبوك»[3].

وهذا معناه: أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، وذلك: لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع. فهذا تنفرد به الأم وتشقى به، ثم تشارك الأب في التربية[4].

وأزيد سببًا رابعًا ألا وهو: أن الأم أنثى ويغلب عليها دائمًا حال الضعف، أو التنازل عن بعض الحقوق، أمَّا الوالد فهو قوي ويمكنه إرغام أبنائه على بره ولو قسراً.

وإذا كنا نتحدث عن بر الآباء، فينبغي أن ننوه عن بر الأبناء بحسن التربية وأداء حقوقهم كما سبق، حتى تظفر بما تشاء وتتمنى من بر أبنائك لك، وإلا عقوك كما عققتهم.

كيف نربي صغارنا على معرفة حقوق الوالدين؟

كما سبق علمنا أن التربية الصالحة عليها المعول في تعليم الصغير بره بأبويه، وإلا كنا كمن زرع شوكًا ليحصد دماءً، والقاعدة تقول: كما تدين تُدان، فهناك ضوابط

---

(١) صحيح: مسلم (١٥١٠) في العتق.
(٢) أحمد في الورع (ص١٠٥، ١٠٦).
(٣) صحيح: البخاري (٥٩٧١)، مسلم (٢٥٤٨).
(٤) فتح الباري (١٠/٤١٦).

لابد من معرفتها وترسيخها داخل نفوس الوالدين قبل الأبناء وهي كالآتي:

(١) أن يكون الأبوان بارين بآبائهما: وهذه قضية في منتهى الخطورة، فالأب العاق لن يرزق إلا بمثله، وهذا الذنب تحديدًا- عقوق الوالدين- تُعجَّل عقوبته في الدنيا، وهو مرئي في أحوال الناس وحياتهم. يقول كعب الأحبار: «والذي نفسي بيده إن الله ليعجل أجل العبد إذا كان عاقًا لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارًا بوالديه ليزيد برًا وخيرًا»(١) .

والأب العاق لوالديه لن يرزق بابنٍ بارٍّ، نحلف على ذلك إلا إذا شاء الله تعالى أمرًا آخر، وكذا حال الأم العاقَّة التي لن ترزق إلا بمثلتها.

وعن ثابت البناني رحمه الله قال: «روي أن رجلاً كان يضرب أباه في موضعٍ، فقيل له: ما هذا؟ قال الأب: خلُّوا عنه فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع، فابتُليت بابني يضربني في هذا الموضع، هذا بذاك، ولا لوم عليه».

ويقال: من عصى والديه لم ير السرور من ولده، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته(٢) . فعلى الوالد أو الوالدة إن ابتلي أحدهما بهذا الداء أن يتوب إلى الله تعالى وأن يستغفره، وأن يذهب إلى مَن بقي من والديه يسترضيهما لئلا يعاجل بهذه العقوبة في الدنيا.

ونحذر من أن يكون العقوق بمرئى من الصغار، فيرد الوالد على والده (الجد) أو الأم (الجدة) أو يعقهما أمام صغيره قولاً وفعلاً، فهذا مما ينبت في قلب الصغير العقوق.

وقد روي أن رجلاً كان يؤوي أباه في بيته فلا يطعمه إلا في طبق خشبي، فسأله ولده عن سر الطبق الخشبي، فقال: إن جدك رجل كبير وأخشى إن أحضرت له طبقًا من خزف أو زجاج أن يكسره. فقال الصغير: إذن احفظ لي هذا الطبق حتى إذا كبرتَ أطعمتُكَ فيه!!

---

(١) الكبائر (ص٢٦) للإمام الذهبي رحمه الله.

(٢) هذا والسابق في تنبيه الغافلين (ص٦٩) للسمرقندي.

(٢) أمر الصغير بما يطيق، وبما لا مهانة فيه: يقول السمرقندي رحمه الله: «وروي عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنه بأمرٍ، وكان إذا احتاج إلى شيء يأمر غيره، فسُئل عن ذلك فقال: إني أخاف أني لو أمرت ابني بذلك يعصيني فيستوجب النار، وأنا لا أحرق ابني بالنار»[١].

وهذا فهم راقٍ من السلف رحمهم الله في مسألة البر، ويؤكد ذلك خارجة بن معصب إذ قال للآباء موضحًا كيف يحملون أبناءهم على برهم: «يعطيه، ويحسن إليه حتى يبره».

ويقول الغزالي رحمه الله: ومساعدتهم حتى يكونوا بارين به غير عاقين له، فيقول: «يعينهم على بره، ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم، ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم، ولا يمنعهم من طاعة ربهم، ولا يمن عليهم بتربيتهم». فالوالد لا يشتد مع ابنه، ويختبر طاعته له بالامتحانات الشاقة، كأن يمنعه النوم في بعض الأوقات لإتمام عمل غير مهم، أو يكلفه من أعمال البر والملاطفة وخفض الجناح ما يلغي شخصية الولد ومكانته، كأن يغضب إذا نسي الولد أن يقبل يده، أو سها أن يهيئ له مجلسه، أو يقرب له حذاءه؛ بل يحاول الأب أن يتغافل عن بعض زلات الولد، ولا يعاقبه إلا على الواجبات إن قصر فيها، أو الأخطاء الكبيرة، كأن يُسيء الأدب معه، أو يرفع صوته في وجهه، أو يقل أدبه مع الأم أو الجد أو الجدة.

إن هذه الأعمال التي لا يطيقها الصغار معنويًا لا تتسبب إلا في إذلالهم ومهانتهم، وإضعاف شخصيتهم، وتربية الذل فيها، والمسلم بعيد النظر يرى ببصيرته وبصره، وهو مشفق على ولده حانٍ عليه، فليفكر ألف مرة في الأمر قبل أن ينطلق به لسانه، فرحم الله رجلاً أعان ولده على برِّه.

فهل من المعقول أن نقول للصغير: من أجل أن نحبك اترك اللعب ونَمْ، في وقت يحب هو اللعب فيه؟ أم هل يترك اللعب للعمل لتغتال طفولته وبراءته ويشيخ قلبه قبل الأوان؟

---

(١) السابق (ص٦٩).

اسأل نفسك أيها الأب المسلم، وأنت أيتها الأم المسلمة: ما جدوى ما آمر به الصغير؟ وماذا سيترتب عليه؟ وما هو نفعه أو ضرره؟ ثم قرِّرْ بعد ذلك ما تشاء.

(٣) **الاهتمام بتربيته وتعليمه**: فإن الجهل داء فتَّاك، ولو ترك الصغير بلا توصية وتعليم وحسن تعهد لكان الجهل وحده كفيلاً بقتل قلبه، وخنق صوت الحياة فيه، يحكي أبو حفص البيكندي- من علماء سمرقند- أنه قد أتاه رجلٌ فقال: إن ابني ضربني وأوجعني!! فقال البيكندي: سبحان الله، الابن يضرب أباه!! قال: نعم، ضربني وأوجعني. قال: هل علمته الأدب؟ قال: لا. قال: فهل علمته القرآن؟ قال: لا. قال: فأي عمل يعمل؟ قال: الزراعة. قال البيكندي: هل علمت لأي شيء ضربك؟ قال الرجل: لا. قال: فلعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه، والكلب من خلفه، وهو لا يحسن القرآن فتغنى، وتعرضت له في ذلك الوقت، فظن أنك بقرة فضربك، فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك (١).

أفرأيت ما يفعل الجهل بأهله؟ هكذا أراد هذا الفقيه أن يوصل إلى من وراءه ما يفعل الجهل وإهمال التعليم بالناس، فمن باب أولى تعليم الصغير وإحسان تربيته ليفهم بعد ذلك ما ينبغي عليه فعله.

وهذه القضايا والحقوق لا يمكن أن يفهمها الولد الصغير، ويدرك أبعادها من خلال التوجيه والإرشاد النظري فقط، خاصة إن كان الولد دون سن التمييز؛ بل إن الإرشاد العملي التطبيقي أمام الولد أكبر تعليم، وأفضل بيان؛ فالولد الذي يقبل والده ووالدته في يديهما ورأسيهما أمام نظر الولد، يُعلِّم الولد هذا الفعل ويدربه عليه عمليًّا، كما أن الظهور أمام الوالدين بمظهر الذل والخضوع لهما، وتنفيذ أمرهما وتوقيرهما، كل هذا يوقع في نفس الولد عظم منزلة الوالدين ومكانتهما.

كما أن تعريف الولد بحق والديه، وأن رضاهما من رضا الله عز وجل، وأن غضبهما من غضبه سبحانه وتعالى، يُحيي في قلبه الخشية من العقوق، كما أن

---

(١) تنبيه الغافلين (ص٦٨) للسمرقندي.

تعريف الولد وإطلاعه على أجر بر الوالدين ومنزلته عند الله، وأن جزاءه الجنة، وأن عصيانهما سبب لمقت الله ودخول النار، له دوره أيضًا في تركيز معاني بر الوالدين في نفسه، فيعيش الولد بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب، فإن عصى أو عاند ذُكِّر بذلك، ليراجع نفسه، ويقلع عن خطئه.

ولتعريف الولد جهد والديه معه، وما قدماه من الخدمات الجليلة له في حضانته وتربيته عندما كان صغيرًا لا يعقل، فإن الأب يلفت نظره إلى المعاناة التي يلقاها الوالدان مع أخيه الرضيع، وكيف تسهر الأم تطعمه وتنظفه، وإن مرض لم تفارقه حتى يبرأ، وكيف أن الوالد يسارع بحمله إلى المستشفى لعلاجه عندما يشعر بوعكة أو ألم. كل هذه المواقف بشعر بها الولد المُميز ليدرك عظم حق والديه، والجهد الذي قدماه له، فيحس في نفسه بواجب الشكر والتقدير على هذه الفضائل الأبوية العظيمة.

وللقصة وقعها في نفس الولد، فإن الأطفال يحبونها ويتأثرون بها، فيمكن للوالد اختيار بعض القصص التي تبرز جانب بر الوالدين، وكيف كانت عاقبة العاق لوالديه حيث قيَّض الله له من ولده مَن يعقه عند كبره فلقي جزاءه بالمثل، كما أن الولد الطائع لوالديه، البار بهما سخر الله له من ولده من يبر به ويطلب رضاه، فكان جزاؤه بالمثل للمحسن الإحسان، وللمسيء الإساءة، وعند سرد القصة يكثر الأب من الثناء على الطفل البار، ويذم الطفل العاق، ليقع في نفس الولد حب هذا وبغض الآخر.

ولما كانت منزلة الأم عظيمة تفوق منزلة الأب، فإن توجيه الولد لأخذ رضا الأم أمر هام، فيأمره الأب أن يقبل يدها في كل صباح ويسلم عليها، وفي بعض الأوقات والمناسبات يقترح عليه أن يهدي والدته هدية مَناسبة، فيعطيه بعض النقود ليختار لها هدية تناسبها، ويحاول الأب أن يوجد في نفس ولده التعظيم للوالدة ويبين له حقها ومنزلتها، وينبهه على ذلك دائمًا، كأن يقول له: هل أغضبتَ أمك اليوم؟ ماذا فعلت اليوم لتكسب رضاها؟ هل دعوت لها؟ وهكذا، يتابعه في ذلك ليشعر ويحس بمنزلتها.

ولا شك أن الوالدة أيضًا مأمورة ومدعوة لتعظيم حق الوالد في نفس الأولاد، وإبراز دوره، وإيجاد المهابة له في قلوبهم على أن يكون ذلك في غير رعب أو شدة أو قسوة، فإن قصَّرت في ذلك ذكَّرها الأب ونبهها.

ويحاول الأب قدر المستطاع أن يجنب أولاده سماع النزاع أو الشجار بينه وبين الأم، فإن هذا يؤلمهم، إلى جانب أنه يُضعف الثقة بهما، لما يرونه من التناقض بين التوجيهات التي يتلقونها منهما، وبين سلوكهما تجاه بعضهما البعض.

وهذا نموذج عملي يمكن تعليمه للصغار:

★★★

بر الوالدين

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله مَن أحقُّ الناس بصحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أبوك»(١) . وقال ﷺ: «رَغِمَ أنف(٢)، ثم رَغِمَ أنف، ثم رَغِمَ أنف مَن أدرك أبويه عند الكِبَر أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة»(٣)

فضل الآباء والأمهات:

لو سألنا كل أب وأم في هذه الحياة فقلنا: لماذا تُضحي من أجل أولادك؟ لماذا تترك منزلك، وتُضحي براحتك، وتُقاسي في الحياة؟ سيكون الجواب واحدًا في كل الحالات: نحن نتعب ونشقى من أجل أبنائنا، ليكونوا سُعداء في حياتهم، وسُعداء في دراستهم وأعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت: ٨). وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل

---

(١) متفق عليه

(٢) رغم أنف: دعاء من الرسول ﷺ على من لم يُطع والديه، ومعناه التصق أنفه بالتراب، وأدرك: لحق، الكبر: الشيخوخة والعجز.

(٣) رواه مسلم.

لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤)

لقد عَرفَ الله تعالى أن الآباء يعانون في حياتهم من أجل الأبناء، فالأم تتحمل المشاق والمتاعب فهي التي تتحمل آلام الحمل والولادة، ومشاق الرضاعة كما قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا[١] عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ[٢] فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤).

هي التي حملت الجنين الذي كان يُشاركها طعامها، فكانت ضعيفة الجسد والبدن، ولكنها تحملت حين أحسَّت أن ولدها هو الذي يأكل طعامها، ولو أخذ روحها لأعطته هذه الروح هدية منها، ثم راحت تُرضعه عامين كاملين، وترعاه صغيرًا وهو الذي لا يملك من أمره شيئًا، فالطفل يبكي وهو صغير، ولا يستطيع المشي أو الكلام فترعاه، وتسهر الليالي طويلة بلا نوم أو راحة حين يبكي صغيرها، وهي التي تسيل دموعها على خديها إذا أحسَّت أن صغيرها مريضًا، فلا تدخر جُهدًا لراحته، ثم يأتي دور الأب الذي يسعى ويعمل ويجتهد من أجل توفير الحياة الكريمة لأبنائه الصغار فهو سر الوجود للطفل بعد الله عز وجل.

وحينما يكبر الأطفال ينسون هذه الأفضال والنعم، ويبخلون على الوالدين حتى بالنعم، ونُذكر الصغار مِنَ الآن بهذه الأسئلة:

- مَن الذي حملتك في بطنها تسعة أشهر؟

- مَن التي تحمَّلت آلام الولادة والوضع وكادت تموت من أجلك؟

- مَن التي أرضعتك من لبنها عامين كاملين؟

- مَن الذي سهر الليالي، وضحَّى براحته من أجلك ليوفر لك الطعام والكساء[٣]؟

- مَن الذي إذا مرضتَ ذهب بك للطبيب، واشترى لك الدواء، وفارقت البسمة وجهه حتى يشفيك الله من مرضك؟

---

(١) وهنًا: الوهن: الضعف.

(٢) فصاله: فطامه بعد الرضاعة.

(٣) أي الغطاء والملابس.

إننا لا نشعر بقيمة الأب أو الأم إلا إذا فقدنا أحدهما، فأكرِم والديك يُكرمك الله عز وجل.

قصة عجيبة:

وقد ذكروا قديمًا أن رجلاً كان عاقًّا[1] لوالدته، ومُحبًّا لزوجته، ومرضت زوجته ذات يوم، فقال الطبيب: لابد من قلبٍ جديدٍ لزوجتك. فذهب هذا الرجل القاسي إلى أمه فقتلها، واستخرج قلبها، ثم حمله على يده، وفي الطريق عثَر هذا الرجل بحجر، فأوشك على السقوط، فناداه قلب أمه: احترس يا ولدي من الوقوع. فيا للعجب، ويا للحنان والروعة!!

حقوق الوالدين:

وقد جعل الله تبارك وتعالى حقوقًا للوالدين، فمنها:

(١) الطاعة لهما في الصِّغَر والكِبَر.

(٢) الإحسان إليهما كما قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

(٣) إكرامهما، وتقبيل أيديهما، واحترامهما، وتوقيرهما.

(٤) عدم إجهادهما بكثرة الطلب، وكثرة السؤال.

(٥) تقديم الأب والأم على الناس، فإذا أراد المسلم أن يهدي هدية فليهد لوالديه أولاً.

(٦) الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، ويدعو الإنسان لهما قائلاً: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء: ٢٤).

(٧) عدم التضجر منهما ولو بكلمة: ﴿أُفٍّ[2]﴾ (الإسراء: ٢٣).

وهي كلمة مكونة من حرفين، ولو كان في اللغة كلمة أقل منها لقالها القرآن.

(٨) مناداتهما بـ(أبي) و(أمي) ولا تقلد مثل أولئك الذين ينادون آباءهم (يا فلان) و(يا فلانة) فهو سوء أدب معهما.

---

(١) عاقًا: لا يؤدي حق أمه، فيضربها ويشتمها.

(٢) أُف: هي كلمة تُقال عند الضجر والملل.

(٩) المبالغة في احترامهما، فقد كان أحد الصالحين لا يأكل مع أمه، فسأله الناس عن ذلك، فقال: إنني أخاف إذا أرادت هي طعامًا أن أسبقها إليه، فأحرمها منه، فأكون عاقًا لها.

(١٠) الحرص على رضاهما، وعدم إغضابهما.

ولقد مدح الله عز وجل يوسف[١] عليه السلام فقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (يوسف: ١٠٠). ومدح إسماعيل[٢] عليه السلام حين قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢). ومدح عيسى[٣] عليه السلام فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ (مريم: ٣٢).

وخرج رجل للجهاد في سبيل الله، وترك أبويه- والديه- فبكيا، فقال له النبي ﷺ: «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما».

ماذا يفعل من مات والداه؟

وقد يموت الوالد أو الوالدة، أو يموتان معًا، وهنا يجب على المسلم أن يفعل بعض الأمور، ومنها:

١- الإكثار من الدعاء لهما، والاستغفار لهما، فالله عز وجل يرفع درجتهما في الجنة بكثرة الاستغفار.

٢- إخراج الصدقات لهما بعد الموت.

٣- أن يبرَّ الإنسان صديق والده أو صديقة أمه.

٤- أن يصل رَحِمَ أبويه، فيزور عمه وعمته ويكرمهما، ويزور خاله وخالته ويكرمهما.

وقد أمر النبي ﷺ مَن ماتت أمه أن يُكرم خالته.

هل نستطيع أن نرد فضل الوالدين؟

وبعد أن نؤدي هذه الواجبات، هل نحن بذلك نكون قد رددنا الفضل لوالدينا؟

لقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد حملت أمي على

(١ - ٣) انظر قصصهم في قصص الأنبياء للأطفال - ط دار الفجر للتراث.

كتفي، ثم حججت[1] بها، فهل أكون جزيتها- رددت لها الفضل-؟ فقال النبي ﷺ: **«لا، ما جزيتها ولو بطلقةٍ»**. والطلقة هي جزء من الألم الذي تجده الأم عند الولادة، والرجل قد حمل أمه على كتفه، فحج بها- أي: طاف حول الكعبة- وسعى بين الصفا والمروة، ووقف بها على جبل عرفة، وقام بمناسك الحج كلها وهي على كتفه، وأطعمها وسقاها، وأعانها في كل أمورها ومع ذلك فقد عجز عن أن يوفيها ولو بجزء واحدٍ من الألم الذي كانت تتألمه عند الولادة.

وقال النبي ﷺ: **«لا يجزي ولدٌ والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»**. أي: أن الابن لا يستطيع أن يرد فضل والده عليه إلا في حالة واحدة فقط؛ حين يراه عبدًا يُباع ويُشترى، فيشتريه ثم يُحرره من الرق والعبودية، فمَن منَّا يستطيع أن يرد هذا الفضل الكبير؟ ومَن منَّا يستطيع أن يُوفي والديه حقهما أو جزءًا منه؟

فلنطع والدينا، فمن أطاعهما دخل الجنة، ورضي عنه الله تعالى.

جريمة عقوق الوالدين:

ويرتكب بعض الأبناء جريمة كبرى وهي (عقوق الوالدين)، والعقوق عكس (بر الوالدين)، فتراه جاحدًا لهما، لا يطيعهما، وربما شتمهما، أو امتدت يده الآثمة فضربهما، أو ترك أباه وأمه وهما مُحتاجين إليه، وقد أخبرنا النبي ﷺ عن هذه الجريمة الفظيعة فقال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر[2]؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»**. وقال: **«مِن الكبائر شتمُ الرجل والديه»**. فقالوا: كيف؟ وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: **«نعم؛ يسُبُّ[3] أبا الرجل، فيَسُبُّ أباه وأُمَّهُ»**. ومعنى الحديث: أن الرجل يشتم صاحبه فيقول له: يا ابن كذا، فيقول له: أنت ابن كذا، ويرد عليه السب والشتيمة.

وهي جريمة كبرى وعظيمة عند الله عز وجل، لا يفعلها إلا العصاة، أما المؤمنون فألسنتهم طاهرة من مثل هذه العيوب والكلمات. وقال ﷺ: **«إن الله عز وجل حرَّم عليكم عقوق الأمهات»**.

---

(١) **حججت**: أديت فريضة الحج.

(٢) أي أعظم الذنوب والآثام، وأنبئكم: أُخبركم.

(٣) **يَسب**: يشتم.

ومن مظاهر عقوق الوالدين:

(١) أن يعصي الولد والديه فلا يطيعهما في أي أمرٍ، أو يطيعهما فيما يحب، ويعصيهما فيما يكره، فيُتعِبهما ويُجهدهما. فبعض الأبناء يفضل النوم والراحة على مساعدة أبيه وأمه، وبعضهم يُفضل مشاهدة التلفاز على مساعدتهما.

(٢) يتسبب بعض الأبناء في إحزان أبويهما، من خلال الرسوب في الدراسة، أو التسبب في المشاكل الكثيرة لهما، أو عصيانهما فيما يأمرانه به.

(٣) وبعض الأبناء ربما عامل أبويه معاملة قاسية، وتسبب في غضبهما.

(٤) وبعضهم سليط اللسان، يسب أباه وأمه.

(٥) وقد يكون مُجرمًا فتتطاول يده لتنال من أبيه أو أمه.

(٦) وبعض الأبناء قد يتحرج من إظهار مهنة أبيه، ويخجل من عمل أمه، وهو لا يفهم أن أباه لو كان يملك نجوم السماء لجعلها في يده، وإنما يعمل من أجله هو.

(٧) وآخرون يرفعون أصواتهم على آبائهم أو أمهاتهم.

(٨) وكثير من الأولاد يحب صديقه أو أقاربه أكثر من أبيه وأمه، ويكثِر الهدايا لهم، وينسى والديه.

(٩) وقد ينسى البعض أبويه بعد الممات فلا يدعو لهما، أو يُخرج عليهما الصدقات.

(١٠) وبعض الأبناء يبخل على أبويه بالمال، ويكون أنانيًّا لا يحب إلا نفسه.

(١١) وآخرون يرهقون آباءهم وأمهاتهم بكثرة الطلب والأوامر.

جزاء عاق والديه:

حكى الناس قديمًا أن رجلاً كان يضرب أباه، ويشده من ملابسه حتى يصل إلى دُكان رجل يبيع الطعام، فلما كبر هذا الرجل، ومات أبوه، نظر صاحب الدكان فرأى عجبًا: لقد جاء الرجل الذي كان يضرب أباه، ولكن هذه المرة جاء معه ولده، ويا للعجب! لقد كان الولد يضرب أباه كما كان يفعل مع جده، فلما وصل الولد بأبيه إلى دكان الرجل صاح فقال: كفى يا ولدي، إن أباك جرَّ جدك إلى هنا فقط، فلا تزد على ذلك.

وكان رجلٌ غني عنده ولدٌ صغير، وكان له أب كبير في السن وهو جد ولده، فكان الرجل يضع الطعام لأبيه في إناء[1] خشبي، فسأل الولد الصغير أباه فقال: يا أبي لماذا تضع الطعام لجدي في هذا الطبق الخشبي؟ فقال: إن جدك كبير، ونخشى أن يكسر أطباقنا الغالية الثمن. فقال الولد: إذن يا أبي احفظ الطبق الخشبي حتى أُقدم لك فيه الطعام وأنت في سِنِّه.

وهكذا مَن يحصد الشر يزرع ندامة، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وأخبرنا رسول الله ﷺ: «**أن كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يُعجِّله لصاحبه في الحياة قبل الممات**». فكل الذنوب التي يرتكبها الإنسان يغفرها الله له، أو يحاسبه عليها في الآخرة، إلا عقوق الآباء والأمهات فلابد من تعجيل العقاب وسرعته.

ماذا يفعل عاق والديه إذا أراد التوبة؟

وقد يرضى الله عز وجل عن الولد العاق فيجيب له التوبة، ويريد أن يتوب، فمَن أراد التوبة عن عقوق الوالدين فليذهب إلى أبويه ويطلب منهما العفو والمسامحة على جحوده، ووالله إن قلب الأب وقلب الأم رقيق يقبل العفو، ويغفر سريعًا، ثم يستغفر الله عز وجل ويعاهده ألا يعود إلى مثل هذا الذنب مرة أخرى.

ومَن كان قد فقد والديه وهو عاقٌّ لهما، فليذهب إلى قبريهما ويستغفر الله لهما، ثم يطلب من الله عز وجل المغفرة، ويُخرِج الكثير من الصدقات على روحهما، ويبر قرابة أبيه وأمه، لعل الله عز وجل أن يغفر له بهذا.

وتذكر: لقد وصَّى الله الأبناء بالوالدين، ولم يوصِ الوالدين بالأبناء!!



---

(١) **إناء**: طبق أو وعاء.

الأخلاق مع العلماء

العلماء هم ورثة الأنبياء[١] ، ومشاعل النور للناس، وسادتهم، مَن اتبعهم على هدى كان من الناجين، ومَن خالفهم على جهل وكِبرٍ كان من الضالين الهالكين.

وقد جاء عن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مدحهم ورفع منزلتهم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١). وقال سبحانه وتعالى مفرقًا بينهم وبين غيرهم من الجهلاء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩). ووصفهم سبحانه وتعالى بالخشية، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

فالعلماء هم أولياء الله وأحبابه، وأعلم الناس به، وهم أهل خشيته، ولابد أن يكونوا كذلك، فإن من زاد علمه بالله، وعرف عظمته وقدره، وقعت في نفسه الخشية منه، والمهابة لجلال قدره وعظيم شأنه.

ويقول الرسول ﷺ في بيان فضل العلماء على غيرهم، وكيف أن الله اختارهم وفضَّلهم: «مَن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[٢] . فهم موقع رحمة الله وفضله ومنته.

ويقول ابن رجب رحمه الله مبينًا منزلتهم وقدرهم: «إن لم يكن العلماء والفقهاء أولياء الله فليس لله ولي»[٣] .

ومن هذا البيان يتضح فضل العلماء ومنزلتهم عند الله، فإذا كانوا هم أولياء الله وخاصته وأحبابه، فإن حبهم وموالاتهم واجبة، كما أن مخالفتهم، والوقوع في أعراضهم، وعدم الاكتراث بهم، حرام لا يجوز في حق غيرهم من العامة، فكيف بهم؟! لهذا يقول عليه الصلاة والسلام آمرًا المسلمين بتعظيم حق العالم وتوقيره

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٦٤١) في العلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه وصححه الألباني هناك.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٦٤٥) وصححه الألباني.

(٣) شرح حديث أبي الدرداء (ورثة الأنبياء)، لابن رجب (ص١٣٣).

ومعرفة منزلته: «**ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا**»[1] . أي: يعرف قدر وفضل العالم، ففي العلماء اجتمعت خصلتان من الحديث: العلم وكِبر السن، ففي العادة يكون العلماء من كبار السن. وفي الأمر بطاعتهم واتباعهم يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩). وأولو الأمر هم الفقهاء والعلماء كما قال الضحاك رحمه الله تعالى[2] ، فطاعتهم في حدود طاعة الله وما أمر به سبحانه وتعالى واجبة ولازمة.

قال سهل بن عبد الله رحمه الله: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم»[3] .

ولما كان الأمر كذلك فإن طاعتهم واتباعهم لا تتم إلا بكمال محبتهم وموالاتهم، لهذا فإن مسئولية الأب في إيجاد هذا الحب والتوقير للعلماء في نفوس الأولاد أمر في غاية الأهمية، وتكون بداية الوالد في إيجاد هذا الحب عند الأولاد: بذكر فضائل العلماء عند الله، ومحاسن أفعالهم، حتى يقَع في نفوس الأولاد حبهم، ويُذكِّرهم الأب بأسمائهم ليحفظوها، ويتعرفوا على العلماء.

وتُعد صلاة الجمعة من أفضل المناسبات المتكررة التي يلتقي فيها العلماء مع عامة الناس ليعظوهم ويصلوا بهم، وهي فرصة جيدة للأب يعرف ولده على الخطباء من علماء المسلمين، فيقول له: يا بني هذا الخطيب هو العالم الفلاني الذي أخبرتك عنه. فإذا انتهت الصلاة أخذ ولده وتقدم إلى المحراب وسلَّم على الشيخ مقبلاً رأسه توقيرًا له، ويأمر ولده بذلك أيضًا، ولو أمره بتقبيل يده فلا بأس، فقد ورد ذلك عن السلف، فعن عبد الرحمن بن رزين عن سلمة بن الأكوع قال: «بايعت النبي ﷺ بيدي هذه فقبلناها فلم ينكر ذلك»[4] . وقد نقل أن ابن عمر قبل يدي النبي ﷺ

---

(١) **صحيح بشواهده**: الحاكم (١/ ١٢٢) في المستدرك.
(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٥٩).
(٣) السابق (٢٥٩، ٢٦٠).
(٤) **صحيح**: الهيثمي في المجمع (٨/ ٤٥) ورجال الحديث ثقات.

وأن بعض اليهود قبلوا يديه ورجليه[١] ، ولكن لا يجعل الأب من تقبيل الأيدي عادة عند الولد، فتندثر شخصيته وتضمحل؛ بل يكون تقبيله لأبيه أو أمه أو العالم في الرأس أو اليد من باب التكريم وتعريف الناس بقدرهم ومنزلتهم، خاصة في زمن قل فيه توقير العلماء وتبجيلهم.

ويوقع الأب في نفس الولد المهابة للعالم، فهذا منهج السلف في توقير العلماء والفضلاء، فقد روي أن ابن عباس رضي الله عنهما هاب أن يسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن مسألة حتى مر عليه عام، ثم سأله عندما حانت فرصة مناسبة[٢].

ويعمل الأب جاهدًا على إحضار ولده لدروس العلماء ومواعظهم في المساجد أو الأندية الثقافية، ويحاول أن يربطه بهم في هذه الدروس، فيتعود على حضورها ولا يمل من الجلوس، وإذا بدا للولد سؤال وجهه الوالد لأن يسأل العلماء، فإن كان في المسجد أمره بأن يسأل الخطيب، وإن كان في البيت أمره أن يتصل بأحد العلماء بالهاتف، ولا بأس أن يعوده المراسلة في ذلك، فملازمة العلماء في مجالسهم ومزاحمتهم هي نصيحة لقمان لابنه حيث قال له: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر»[٣] .

وتعتبر اللقاءات بين العلماء وعامة الناس مهمة جدًّا، وذلك ليعيش العلماء مشاكل الناس، ويتعرفوا عليها عن كثب، ويصفوا لها الحلول المناسبة، كما أن العامة يستفيدون من خلال لقائهم بالعلماء علومًا جديدة، إلى جانب أنهم يشاهدون قدواتهم من فضلاء الأمة تعيش بالإسلام منهجًا وسلوكًا واقعيًا، فيوقنون أن هذا الدين صالح لكل مكان وزمان، خاصة وأن بعض الناس يظنون صعوبة أو استحالة العيش بالإسلام في جميع شئون الحياة، وأن هذا الدين قد انتهى ولم يعد له دور في الحياة.

لهذا ينظم الأب مع أولاده زيارات لبعض العلماء في البلد، فيشعر العالم أو

---

(١) **صحيح**: ابن ماجه (٣٧٠٤، ٣٧٠٥) في الأدب.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١١٢) لابن عبد البر المالكي النمري.

(٣) السابق (١/ ١٠٦).

الشيخ بهذه الزيارة ويحدد معه موعدها، ويفضل أن تكون في بيت الشيخ، أو في بيت الأب، وذلك لتحصل الفرصة للأولاد ليتحدثوا مع عالمهم، ويتصلوا به مباشرة، فيسألوه ما بدا لهم، وهو بدوره يرشدهم ويعلمهم ما يناسبهم من العلوم البسيطة الموافقة لسنهم.

فإن قرر الوالد ورغب الولد في ملازمة عالم من علماء البلد يدرس على يديه كتابًا، أو تفسيرًا للقرآن، أو غير ذلك من العلوم في وقت الفراغ، فإن الوالد يستأذن الشيخ أولاً فإن وافق شجع ولده على ذلك، وأدبه وعلمه أصول مصاحبة ومرافقة العلماء، فقد جمع الغزالي رحمه الله شيئًا من ذلك فقال: «يبدؤه بالسلام، ويُقِل بين يديه الكلام، ويقوم له إذا قام، ولا يقول له: قال فلان خلاف ما قلت، ولا يسأل جليسه في مجلسه، ولا يبتسم عند مخاطبته، ولا يشير عليه بخلاف رأيه، ولا يأخذ بثوبه إذا قام، ولا يستفهمه عن مسألة في طريقه حتى يبلغ منزله، ولا يكثر عليه عند ملله»[1].

☆ ☆ ☆

---

(١) الأدب في الدين (ص١٦، ١٧).

صلة الأرحام

إن للأقارب حقًا من حقوق صلة الرحم أيضًا، والإحسان إليهم حق واجب على المسلم، فالأب ينميه في نفوس أولاده، ويربيهم عليه، والأمر بذلك في القرآن واضح، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١). وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (النحل: ٩٠).

فهذا أمر واضح من الله عز وجل بالإحسان للقرابة، ومراقبة الله فيهم، والحذر من إيقاع الأذى بهم عن طريق مقاطعتهم أو هجرهم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: مَن وصلني وصله الله، ومَن قطعني قطعه الله**»[١]. وقال أيضًا: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[٢]. وفي هذا تحريم واضح، وزجر وترهيب لقاطع الرحم المسيء للأقارب، الصاد عنهم والمجافي لهم، وفيه أيضًا بيان فضل المحسن إليهم والموصل خيره إليهم، وصلة الله للواصل وتأييده وتوفيقه له.

وهذه المعاني المباركة يجب أن تقدم للأولاد في قوالب عملية بجانب التوجيهات النظرية؛ لتكون أكثر رسوخًا وتمكنًا في نفوس الأولاد، فإن الولد في طفولته المتأخرة تزيد عنده القدرة على التكيف الاجتماعي، ومشاركة الآخرين في مسرّاتهم وآلامهم مشاركة وجدانية[٣]، فلو استغل الوالد هذه القدرة في الولد لينمي جوانب صلة الرحم المختلفة، فإنه لا يبلغ مبلغ الرجال إلا وقد تأصل هذا المبدأ العظيم في نفسه وضميره، فلا ينفك عنه أبدًا، ولن يصدر منه في الغالب ما ينافي المعاني التي تربى عليها من الإحسان للأقارب والأرحام والبر بهم.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم (١٧)، (ج٤/ ص١٩٨١).

(٢) المصدر السابق، حديث رقم (١٨).

(٣) الحاج، فائز محمد علي، بحوث في علم النفس العام (ص٢٢٢).

ويمكن للأب المسلم في هذا المجال أن ينتهج مع أولاده أساليب شتى، وطرقًا متنوعة تؤصل مبدأ صلة الرحم، ومن أهم هذه الأساليب والوسائل: الزيارات بين الأقارب، فيتخيَّر الأب الوقت المناسب لزيارة الجد والجدة- إذا لم يكونا معه في نفس السكن- ويصطحب معه الأولاد؛ خاصة المميزين منهم، ويحاول أن تكون زيارة الجد والجدة زيارة دائمة متكررة، لا تفصل بينها فواصل زمنية طويلة، إذ إن حقهما كبير، وشأنهما عند الله عظيم خاصة بالنسبة للأب نفسه.

ويحاول الأب أن يشوق الأولاد لزيارة الجد والجدة بالآيات والأحاديث والآثار، ويذكرهم بفضل هذه الزيارات، وأجرها عند الله، ولا يغفل مكافأتهم إن أحسنوا التأدب في الزيارة، فإن كبار السن لا يحتملون عادة إزعاج الأطفال، وكثرة تحركاتهم.

ولو أحس الأب بملل الأولاد من الزيارة، وخشي أن يتبرموا من الجلوس مع الكبار، والاستماع إلى حديثهم الذي لا يفهمونه، فإن الأب يأمر الأولاد باصطحاب بعض ألعابهم البسيطة المسلية ليلتهوا بها حتى نهاية الزيارة، أو يؤمن الأب بعض الألعاب في بيت الجد والجدة ليتسلى بها الأولاد أثناء الزيارة، وهذا إذا كان الأولاد لا يستمتعون بحديث الجد والجدة، أما إن كانوا يرغبون في حديثهما، ويتشوقون إليه وللزيارة؛ فإنه من العبث وقلَّة الحياء أن يُلتَهى عنهما بالألعاب أو غيرها.

ولا يقسو الأب على أولاده ويجبرهم على هذه الزيارة، خاصة إن كانت مملة فعلاً؛ بل يحاول أن يأخذ بعضهم دون بعض بالترتيب، ويكثر من مكافأتهم وترغيبهم بالأجر والمثوبة، ويلحق هذه الزيارة ببرنامج ممتع مثل الخروج إلى النزهة، أو الذهاب إلى حديقة الحيوان، أو غير ذلك من المرغبات التي تسهل على الطفل القيام بهذه الزيارة المملة في نظره وموازينه.

أما زيارة الأعمام والعمات والأخوال والخالات وباقي الأقارب فهي دون منزلة زيارة الجد والجدة.

وهذا النوع من الزيارات يرغب فيه الأولاد عادة، وذلك لأنه في المعتاد يكون لدى العم أو العمة، أو الخال أو الخالة، أطفال في سنهم وعمرهم، يتشوقون

لرؤيتهم واللعب معهم، فلا يحتاج الأب في هذا النوع من الزيارات إلى كثير جهد في ترغيب الأولاد.

كما أن هذا النوع من الزيارات لا يكون عادة متكررًا ومنتظمًا في أوقات معينة؛ بل يحتاج إلى تنسيق مسبق مع المضيف قبل الزيارة، ويحاول الأب أن يوجه الأولاد إلى إحسان النية والقصد قبل القيام بالزيارة والخروج لها، بأن تكون نيتهم لله خالصة، فيسألهم: لماذا نزور العم فلانًا؟ فيقولون: لأن الله أمرنا بذلك. ويركز الأب على هذا الجانب ليقوي صلتهم بالله عز وجل، ويدربهم في نفس الوقت على تحسين القصد والنية، خاصة وأن مقصد الولد في هذه الزيارة يكون للعب مع ابن عمه فلان، أو لركوب دراجته الجديدة، أو للعب بالكرة، أو لغير ذلك من المقاصد.

وليتجنب الأب وقوع شغب من أولاده، أو إزعاج للمضيف، ويفضل أن يأخذ على الأولاد المواثيق والعهود بأن يلتزموا الأدب والاحترام، وأن يتجنبوا الإزعاج والمشاغبات، ويذكرهم بأن ما يجدونه عند أبناء عمهم من الألعاب هو ملكهم، وخاص بهم، فإن سمحوا لهم باللعب لعبوا معهم، وإن منعوهم لم يصروا عليهم، ولم يجبروهم. فإن صدر من أحد الأولاد مخالفة ومشاغبة مع أولاد العم، عاقبه الأب بما يستحق، ومنعه من الزيارة المقبلة، ليعتبر هو وباقي الإخوة.

وللزيارات الرسمية بين الأقارب مثل الولائم، والدعوات، والعقيقة، وغيرها من الدعوات الرسمية دورها في تقوية أواصر المحبة بين الأقارب، لهذا فإن الوالد يجتهد في حضورها، وأخذ الأولاد إليها، وذلك لإجابة الدعوة، وصلة الرحم، والتقاء الأولاد مع الأقارب من الصغار والكبار، وليتعرفوا عليهم، ويعتادوا رؤيتهم، فقد أقر الرسول ﷺ هذه الزيارات وحث عليها، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «أبصر النبي ﷺ نساءً وصبيانًا مقبلين من عرس، فقام ممتنًا، فقال: **«اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ»**»[(1)] . فهذا إقرار منه عليه الصلاة والسلام بمشروعية اصطحاب الأطفال إلى الأعراس، وحضورهم اجتماع الناس والأقارب.

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس (ج٧/ ص٣٢).

ويُقترح أن يتولى الأب إقناع الأقارب وعلى رأسهم الجد والجدة بأن يكون لهم لقاء في كل شهر، أو في كل شهرين، أو أكثر، يجتمع فيه جميع الأقارب من نسل الجد والجدة، يلتقون على عشاء أو غداء في بيت الجد، فيحصل من هذا اللقاء زيادة ألفة بين الأقارب، وتعارف الأولاد الصغار بعضهم مع بعض، وقضاء وقت ممتع.

ويراعي الأب تنبيه أولاده على الأخطاء التي يمكن أن يشاهدوها عند أقاربهم من الذين لا يعتمدون منهج التربية الإسلامية الصحيح، فإن سألوه عن بعض الممارسات التي شاهدوها، فإنه لابد من إقرار الحق، وبيان الخطأ إن وجد.

ولا تقتصر صلة الأرحام على الزيارات فقط؛ بل يدخل فيها كل خير يمكن إيصاله إليهم من مال، أو هدية، أو معروف، أو كلمة طيبة، أو غير ذلك من البر حتى السلام، فقد ورد في الحديث: «**بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام**»[١].

ومن الأساليب التي يستخدمها الأب لتحقيق مبدأ صلة الرحم عند الأولاد قضية استخدام جهاز الهاتف، فيُعلم الولد كيف يستخدم هذا الجهاز، ثم يُكلفه الاتصال بالأقارب والأرحام والسؤال عنهم وعن أحوالهم، خاصة المقيمين منهم خارج المدينة، وهذا الأسلوب يمكن أن يكون ناجحًا هذه الأيام، خاصة وأن أكثر الناس قد انشغل بنفسه، وأصبح اجتماع الأقارب وزيارتهم من الصعوبة بمكان، فلو تدرب الولد على الاتصال بالأقارب، خاصة في المناسبات للسؤال عنهم وإبلاغهم السلام فإن في ذلك نفعًا كبيرًا، وتدريبًا عمليًّا للولد على صلة الرحم.

كما يمكن للأب استخدام أسلوب تدريب الولد على كتابة الرسائل، وهذا يكون مع الولد الكبير القادر على الكتابة، فيشجعه الأب على كتابة الرسائل الحاملة للتهاني في المناسبات الشرعية المختلفة، ويكافئه على ذلك، ويثني عليه.

☆☆☆

---

(١) الترمذي، الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، (ص١٩١)، والحديث حسن، انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٢٨٣٥)، (ج٣/ ص٩).

علاقة الصغير بإخوته

يمتد دور الأب ومسئوليته مع الأولاد ليشمل تقوية أواصر المحبة والتآلف بينهم، ونبذ الشحناء والتباغض إذ إنه كثيرًا ما تحدث الشحناء والغيرة، والتنافس والحسد بين الإخوة والأخوات.

وقد جاء في السنة المطهرة ذم الحسد وبغضه، فقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب- أو قال: العشب-»(١). فالولد الذي يتربى مع إخوته في جو مليء بالتوتر والتنافس الشديد، والحسد والبغض، يصعب عليه عند كبره أن يتخلص من هذا الوصف المذموم، فربما تأصل فيه هذا الداء، فيأكل حسناته ويفنيها، وتتعذب نفسه وترهق، لهذا كان دور الأب هامًّا في التخفيف من حدة التوتر والغيرة بين الأولاد، إذ إن إزالة الغيرة والحسد بالكلية من الأطفال لا يمكن أن يتم، وذلك لأن الحسد مخلوق وموجود في أعماق النفس لا يمكن استئصاله بالكلية.

يقول الحسن البصري فيما نقله عنه ابن الجوزي رحمهما الله: «ليس من ولد آدم أحد إلا وقد خلق معه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا فعل لم يتبعه شيء»(٢). فلا يمكن إزالة الحسد والغيرة من نفوس الأولاد بالكلية، إنما دور الأب التخفيف من حدتهما، آخذًا بالوسائل والأساليب التربوية الجيدة في ذلك.

ويعتبر نجاح الأب في تدريب الأولاد على العيش معًا في جو من الوئام والتآلف مؤشرًا جيدًا لإمكانية نجاح هؤلاء الأولاد في العيش مع غيرهم في المجتمع عندما يخرجون للحياة العامة، فالأسرة مجتمع صغير يتدرب فيه الأولاد على أنماط مختلفة من السلوك والممارسات والعلاقات بين الأفراد.

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في الحسد، حديث رقم (٤٩٠٣)، (ج٤/ ص٢٧٦).

(٢) ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص٣٦١).

ولما كان للمولود الأكبر أهمية في إصلاح باقي الأولاد[١]، فإن اهتمام الأب به يجب أن يكون كبيرًا، فلا يجعله محط تجارب يمارس معه أساليب مختلفة من التربيات- كما هو حاصل في كثير من الأسر- بل يُوطِّن نفسه في بداية الأمر على اتخاذ المنهج الإسلامي في ترَبيته وتنشئته.

وكثيرًا ما يبدأ بغض الولد الكبير لأخيه الصغير عندما يجد أن الاهتمام من الوالدين قد اتجه نحو أخيه الصغير، ولم يعد هو محط نظر أو اعتبار، فيلجأ إلى الانطواء على النفس، أو البكاء، أو التبول غير الإرادي، أو ربما ادعى المرض والألم، ليجذب نظر والديه إليه[٢]، فهذه الأحوال لا ينبغي أن يُساق الولد إليها؛ بل ينبغي أخذ الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث مثل هذا، فيذكر له أثناء الحمل محاسن الطفل الجديد، وأنه قادم ليلعب معه إذا كبر، وأنه يحبه، فيحاول الأب أن يشعره دائمًا بموالاة الطفل الجديد وحبه له، فإذا وُلد بالمستشفى وقرر جلبه إلى البيت يستحسن ألا يكون الولد الكبير موجودًا في البيت لئلا يصطدم بالاهتمام البالغ الذي يلقاه أخوه عند قدومه، خاصة وأن الوالدين مرتبكان بتجهيزه وتهيئة مكانه[٣]، ولكن يؤتى بالولد الكبير بعد استقرار الوضع وسكونه، فلا يشعر بالتغيير.

ومن أساليب تحبيب الولد الأكبر في المولود الجديد عند أول لقاء بينهما توضع في يد المولود قطعة حلوى، فيقال: انظر ماذا يعطيك أخوك، إنه يعطيك حلوى، إنه يحبك. وبهذا الأسلوب تبدأ علاقة الوالدين بداية حسنة يُرجى بعدها أن لا تحدث بينهما مصادمات كبيرة، أو شقاق دائم.

ولا ينبغي أبدًا الاطمئنان لسلوك الولد الأكبر مع أخيه، حتى وإن لم تصدر عنه مظاهر تدل على غيرته؛ لأن الغيرة موجودة فيه، بل إن بعض رجال التربية يعد عدم

---

(١) انظر: علوان، عبد الله صالح، تربية الأولاد في الإسلام (ج٢/ ص٦٦٢).

(٢) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، (ص٦١). الطراونة، ساهرة النابلسي، «الغيرة عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣) (ص٤٢).

(٣) سروري، نادرة أحمد، «حماية أطفالنا من الغيرة»، مجلة رسالة المعلم، العددان (٥)، (٦) (ص٤٢).

إظهار الطفل لغيرته من إخوته أمرًا يحتاج فيه الطفل إلى معالجة ومساعدة[١] .

وإذا أظهر الولد غيرة من أخيه الصغير، وحاول إيذاءه أو الانتقام منه، وجب تحذيره من ذلك، وإفهامه أنه سوف يُعاقب إن أضر بأخيه، فإن هذا الأسلوب يخفف من حدة غضب الولد الأكبر وغيرته[٢] .

ولابد أن يُفهم «أن الطفل، سواء أكان المولود الأول أم المولود الثامن، بطبيعته يريد أن يستحوذ على كل شيء، إن الأطفال يريدون كل العطف، وكل اللعب، وكل الامتيازات، وكل الاهتمامات[٣] ، فإذا رأى الطفل أن بعض الاهتمام والامتياز انصرف إلى غيره من الإخوة غار وغضب. وليس أمام الأب المسلم لحل هذه المشكلة سوى الاجتهاد في توزيع حبه وعطفه على جميع الأولاد بالتساوي، وقبولهم جميعًا على علاَّتهم، ولا يفرق بينهم، حتى وإن أظهر بعضهم أدبًا أكثر من الآخرين، ولا يعقد بينهم المقارنات؛ إذ إن عقد المقارنات بين الأبناء يزيد من تنافسهم وغيرتهم من بعضهم البعض، ويربي فيهم الأحقاد والضغائن، ولا فائدة من وراء ذلك»[٤] .

والحل الصحيح لتنفيس غضب الأطفال ومشاغباتهم هو عقد المنافسات البريئة بينهم، مثل المسابقات الثقافية، أو الرياضية، أو غيرهما من مجالات التنفيس النفسي، فيُعد لهم الأب أسئلة ثقافية توافق أعمارهم، ويطرحها عليهم، ويكافئ الذي يجيب، كما يمكنه عقد المباريات في كرة القدم، أو الطائرة، أو العدو، أو غيرها من الألعاب الرياضية المُنشطة والمنفسة للطاقات، وتكون هذه المسابقات والألعاب بصورة مستمرة وفي أوقات منتظمة يوميًّا.

وبهذه الوسيلة يكون الأب قد استنفد طاقات الأبناء فيما يعود عليهم بالفائدة، ويكفُّهم عن المشاغبات والمشاكل، فإن السلوك العدواني عند الأطفال يظهر عندما تُكبت وتُقيد الحركات البدنية، خاصة وأن الأطفال لديهم طاقات جسمية كبيرة[٥] .

---

(١) المرجع السابق، (ص٤٤).

(٢) بونر، هيلين، كيف نعاون الإخوة والأخوات على التفاهم (ص٢٧، ٢٨).

(٣، ٤) المرجع السابق (ص٢٥) (ص٣١).

(٥) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس (ص٤٣).

وكثيرًا ما يتنازع الأولاد على الألعاب، فليس من الحكمة أو الصواب أن يُفرض على الولد السماح لأخيه باللعب معه خاصة إن كان الولد غير راضٍ بذلك، إذ إن هذا الفرض يزيد من أنانية الولد وحقده على أخيه، وربما سبب له رد فعل سيء، والمفروض أن تنبعث الرغبة في المشاركة واللعب من نفس الولد دون فرض أو قهر، فتكون عادة مستقرة في نفسه لا تكلف فيها[١].

ويضاف إلى موضوع الألعاب عدم اختيار ألعاب للأولاد من نفس النوع، فكثير من الآباء يظنون أن اختيار الألعاب من نفس النوع للأولاد يجعلهم راضين مقتنعين بذلك ويحسون بالعدل والمساواة، وفي الحقيقة فإن هذا الاختيار المتشابه والمتساوي للألعاب ربما دفع الولد إلى محاولة معرفة الفرق بين اللعب حتى وإن كان بسيطًا لا يلاحظ إلا بالدقة فينتج من جراء هذا نزاع وفرقة، والأفضل في هذا أن يختار لكل ولد لعبة تناسب سنه، مع إفهامه أنها تناسبه أكثر من غيرها، ويُقنع بذلك[٢].

وتكون الغيرة على أشدها في السن دون الخامسة، وذلك لأن الطفل لا يزال معتمدًا على الأبوين ومحتاجًا لهما[٣]، أما بعد سن التمييز في الطفولة المتأخرة، فإن الطفل يكون أقدر على فهم المعاني المجردة حول مراتب الأخوة وصلة الرحم، ونبذ الخلافات والتقاطع.

وفي هذا السن يعمل الأب جاهدًا على إبراز معاني الأخوة في الله، والحب فيه، إلى جانب أخوة الدم والمنشأ، فيعلمهم التأدب مع بعضهم البعض، واحترام الأخ الأكبر، وتقديمه عليهم، وينشر بينهم السلام، فإن السلام يزيد من الحب وعاقبته المحبة الموصلة إلى الجنة ورضوان الله، فقد قال عليه الصلاة والسلام: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[٤]، فإفشاء السلام بين الأولاد، ومتابعتهم في ذلك هو الطريق إلى

---

(١) سروري، نادرة أحمد، «حماية الأطفال من الغيرة»، مجلة رسالة المعلم، العددان (٥) و (٦)، (ص٤٦).

(٢، ٣) المرجع السابق (ص٤٧) (ص٤٦).

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم (٩٣)، (ج١) (ص٧٤).

التأليف بينهم وترابطهم. وتعتبر الغيبة والنميمة من الأعمال الممقوتة، وكثيرًا ما يلجأ إليها الأولاد فيذمون بعضهم بعضًا عند الوالدين، وواجب الأب هنا هو كفهم عن ذلك، وعدم الاستماع إلى شيء من هذا الباطل، ويُذكِّرهم بالله، ويُعرفهم بالغيبة، وما ورد في القرآن والسنة من مقتها وذمها حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢). فهذا من أعظم الزجر عن هذا العمل القبيح والسلوك المنحرف.

وفي الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»**[(١)] .

فهذه الآية وهذا الحديث وغيرهما إذا عُرضت على الأولاد وشُرحت لهم، فإنهم سوف ينفرون من هذا السلوك ويكرهونه، خاصة إن شعر أحدهم أنه يأكل لحم أخيه، ويأتي يوم القيامة يخدش وجهه في منظر قبيح مرعب.

فإن حدث من الولد- بعد التنبيه والزجر- أن اغتاب أحد إخوته، أو ذكره بسوء، أُمر بأن يعتذر له ويتأسف لما بدر منه، فإن هذا الأسلوب ينتزع الغيبة انتزاعًا من الولد، لما في ذلك من الجهد النفسي الكبير الذي يقدمه الولد عندما يعتذر لأخيه عن خطئه، كما يؤمر بالإضافة إلى الاعتذار أن يدعو لأخيه ويستغفر له حتى يحس أنه كفَّر عن هذا الجرم، ولا بأس في بعض الأحيان أن يُؤمر الولد بالصدقة إذا أخطأ أو أذنب، ويراعي الأب في كل هذا أن يكون هو قدوة صالحة لأولاده فلا يسمعون منه غيبة أو ذكرًا سيئًا عن أحد.

وليس من المستحسن أن يبقى الأولاد طول الوقت مع بعضهم البعض في مكان واحد فإن هذا بلا شك يزيد من منازعاتهم ومشاكلهم؛ بل الأفضل هو تفريقهم في بعض الأوقات ليشتاقوا إلى بعضهم البعض، فهذا سلوك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أولاده، فقد كان يقول لهم: «إذا أصبحتم فتبددوا، ولا تجتمعوا في دار

---

(١) أحمد، المسند (ج٣/ ص٢٢٤)، والحديث صحيح: انظر: هامش ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، في الغيبة والنميمة، حديث رقم (٦٢١٥)، (ج٨) (ص٤٤٨).

واحدة فإني أخاف عليكم أن تقاطعوا، أو يكون بينكم شر»[١] . وهذا من فقه عمر رضي الله عنه، وبعد نظره؛ إذ فهم أن بقاء الأولاد في دار واحدة يكون مدعاة للتناحر والتقاطع لكثرة تنازعهم، فأمرهم بالانتشار والتبدد.

والأب المسلم يمكنه أن يأخذ هذه الوصية ويطبقها على أولاده، فيجعل لكل واحد منهم غرفة تخصه، فإن لم يتمكن من ذلك قسم الغرفة بطريقة هندسية إلى عدة أقسام، حتى وإن تطلب الأمر جعل الغرفة دورين مستعملاً الخشب أو غير ذلك من المواد، ثم يخصص لكل واحد منهم مكانه وزاويته التي تخصه.

كما يمكنه في بعض الأوقات اصطحاب بعضهم دون بعض عند الخروج للسوق، أو في زيارة بعض الأقارب، فإذا غاب بعضهم عن بعض في بعض الأحيان اشتاقوا ونسوا ما كان بينهم من خلاف وشجار.

☆☆☆

---

(١) الهندي، كنزل العمال في سنن الأقوال والأفعال، حديث رقم (٤٥٩٤٨) (ج١٦) (ص٥٨٣).

الصغير والأصدقاء

يتأثر الإنسان- رجلاً كان أو طفلاً- بالأصدقاء والقرناء، ولا يمكن أن يُظن عدم حدوث هذا التأثر، ودليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام واصفًا أثر الجليس الصالح، وأثر الجليس السوء: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**»(١) . ففي كلا الحالين يتأثر الجليس بجليسه، إما بالسوء وحرق الثياب، وأقله الريح الخبيثة، وإما بالخير والفائدة والعطر الحسن.

ولما كان تأثير الصاحب والجليس بهذه الدرجة، فإن تأثير الأطفال بعضهم في بعض أكثر تحققًا ومضاءً، إذ «تعتبر جماعات الرفاق من أشد الجماعات تأثيرًا على تكوين أنماط السلوك الأساسية لدى الطفل»(٢) . وقد تفطن العلماء المسلمون الأوائل لهذه القضية، فحذروا ونبهوا، فهذا الإمام ابن الجوزي رحمه الله يقول: «أما تدبير الأولاد فحفظهم من مخالطة تفسد، وليحمل على صحبة الأشراف والعلماء، وليحذر من مصاحبة الجهال والسفهاء، فإن الطبع لص»(٣) . وينقل رحمه الله عن إبراهيم الحربي قوله: «أول فساد الصبيان بعضهم من بعض»(٤).

وأشار الإمام الغزالي رحمه الله إلى أن تكوين الأخلاق الحسنة يمكن أن يكون عن طريق مصاحبة الأخيار والصالحين، وكذلك الأخلاق السيئة، فقال رحمه الله: «الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعًا»(٥) . ويذهب رحمه الله إلى أبعد من

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم (١٤٦) (ج٤) (ص٢٠٢٦).

(٢) الشرقاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث (ص١١٦).

(٣) ابن الجوزي، صيد الخاطر، (ص٢٢٠).

(٤) ابن الجوزي، ذم الهوى، (ص٩٧).

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (ج٣) (ص٥٨).

هذا، ولا يكتفي بالتحذير من قرناء السوء فقط؛ بل حتى من المترفهين والمتنعمين من الصبيان، فيقول: «ويُحفظ الصبي من الصبيان الذين عُوِّدوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة»(١) .

ولا يقصد من هذا التحذير والتنبيه عزل الولد مطلقًا عن قرنائه من الأطفال، والحجر عليه للحفاظ على أخلاقه وسلوكه، فهذا النهج المستبعد الوقوع يعد سلبية وتشاؤمًا؛ إذ إن وجود الطفل- في بعض الأوقات- في محيط من الأطفال يعد من العوامل الأساسية والهامة في التربية(٢) ؛ إذ يتعلم الولد من خلال الجماعة كيف يعامل غيره، ويتدرب على تقديم التضحيات المختلفة مسايرة لإرادة الجماعة، وليكون مقبولاً عندها(٣) ، وهذه الفوائد التربوية وغيرها مما يتحصله الولد عن طريق أصدقائه وقرنائه، لا يمكن أن يتحصل عليه بدونهم، فيكون القصد إذًا من هذا التحذير هو حفظ الولد من قرناء السوء الذين يضرونه ويؤذونه، وفي الجانب الآخر ربطه بقرناء الخير من الصالحين الذين يمكن أن ينفعوه ويعينوه على الخير، ويحضُّوه عليه.

ولا شك أن تكوين محيط اجتماعي صالح خير للولد في مثل هذه الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم يعد أمرًا صعبًا شاقًّا، ولكنه ليس بالمستحيل المتعذر الوقوع والتحقق؛ إذ يمكن للأب المسلم أن يجعل من بيته وبيوت بعض أقاربه وأصحابه مجتمعًا صالحًا يمارس فيه الأولاد السلوك الإسلامي السوي، حتى يشتد عودهم، وتقوى إرادتهم، ويملكوا القدرة على التمييز بين الخبيث والطيب، ثم يمكنوا بعد ذلك من الدخول والمشاركة في المحيط الاجتماعي العام الذي لابد له منه(٤) .

ولا يعني هذا أنهم لن يتأثروا ببعض سلبيات وانحرافات المحيط الخارجي، فإن التأثر به لا شك واقع، ولكن مع وجود هذا المجتمع الصغير الصالح، يكون التأثير ضعيفًا ليس بالقوي، وذلك لقلة الاحتكاك به، وقيام أفراد ذلك المجتمع الصغير

---

(١) المصدر السابق، (ج٣/ ص٧٠).
(٢) فينكس، فيليب، فلسفة التربية، (ص٣٢٦).
(٣) رحاحلة، سليمان فياض، «السلوك العدواني عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (١) ص(٩٠).
(٤) انظر: الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، (ص١٩).

الصالح بإزالة ما يقع في نفوس الصغار وعقولهم من الأفكار والأخلاق المنحرفة أولاً بأول، فلا يسمحون لها بالتراكم والتمكن.

ويسعى الأب جاداً في تكوين ذلك المجتمع والمحيط الصغير الصالح من أقربائه وجيرانه وأصدقائه الصالحين، الذين انتهجوا المنهج الإسلامي اعتقاداً وسلوكاً، فيعمل على توطيد العلاقات معهم، والإكثار من الزيارات واللقاءات، ويمكن أن يُحقق ذلك من خلال الاتفاق على تنظيم زيارات دورية أسبوعية منتظمة يلتقي فيها الكبار على حدة، ويمارس الأطفال معًا نشاطاتهم وألعابهم على حدة، بعيداً عن ضغط الكبار وتوجيهاتهم المباشرة، فيعيشون بعض الوقت في جو من الحرية والانطلاق.

ويمكن أن تتولى كل عائلة أسبوعيًّا استضافة باقي العوائل في منزلها إذا توفر المكان المتسع والقدرة على ذلك، فإن لم يتوفر ذلك، ووجد عند أحدهم مكان متسع وفناء كبير، فإن ذلك أنسب للقاء خاصة إذا تجنب الجميع المبالغة والتكلف في الإكرام، فإن تعذر هذا وذاك التقوا في الخلاء وأماكن النزهة البريئة.

ويحاول الأب أن ينسق مع زملائه من الآباء المشاركين معه في هذه اللقاءات: أن يعدوا للأولاد برنامجًا ثقافيًّا دينيًّا وآخر رياضيًّا، فيتوزعوا مهام الإعداد بصفة دورية، ويكون إعداد البرنامج الثقافي عن طريق كتابة أسئلة وإجابات في بطاقات صغيرة، مع مراعاة أعمار ومستويات الأولاد المختلفة، ومراحلهم الدراسية في اختبار المعلومات والأسئلة.

وتتضمن هذه البطاقات أسئلة من القرآن الكريم، وأخرى من الحديث والسيرة، والثقافة العامة، وغير ذلك، مع مراعاة التركيز على المفاهيم الإسلامية العامة، كشمول الإسلام لكامل نشاطات الإنسان، ومفهوم العبادة، والأخوة في الله، وحب الصالحين، وبغض الفاسقين، وغير ذلك من المفاهيم العامة التي يمكن أن يدركها الأطفال، حيث تُبسَّط لهم وتقدم في صورة جميلة سهلة ميسَّرة.

كما يمكن إعداد مسابقات تنافسية بين الأولاد في حفظ بعض السور القصيرة، أو حفظ بعض الأحاديث النبوية الشريفة، أو حفظ بعض الأناشيد الإسلامية الهادفة، والقصائد الشعرية.

ولا ينبغي أن يُغفل جانب الجوائز، فإن تأثير الجائزة كبير، خاصة عند الأطفال، فيُعد لذلك جوائز تقديرية مناسبة لأعمار الأولاد دون تكلف مراعين رخصها وفائدتها وذلك مثل الأقلام، والمراسم، والكراسات، وعلب أدوات الهندسة البسيطة، وغيرها من الأدوات المكتبية المفيدة الرخيصة، كما يمكن اختيار بعض الهدايا من الألعاب البسيطة مثل الكور، أو العربات والسيارات الصغيرة للأطفال صغار السن.

أما ما يخص النشاط الرياضي، فيفضل أن يكون موعده سابقًا للبرنامج الثافي، وذلك لشغف الأولاد وتعلقهم به، إذ إن علم الأولاد بوجود برنامج رياضي بعد البرنامج الثقافي يقلل من إقبالهم وتفاعلهم الكامل مع البرنامج الثقافي، ويفضل أن يتولى الإشراف على النشاط الرياضي أحد الآباء ذوي الخبرة الرياضية والميل إلى الحركة والنشاط، فيعد لهم برنامجًا منظمًا يمارس فيه الأولاد معًا أنواعًا مختلفة من النشاطات الرياضية، فإن كان عددهم كبيرًا جعلهم في مجموعات تمارس كل مجموعة لعبتها المفضلة.

ويراعي الأب التنوع بين كرة القدم، والطائرة، والركض، واللعب بالرمل، والسباحة- إن تيسر- وتسلق الحبال ذات العقد، وغير ذلك من الألعاب المتنوعة المختلفة، والتي تعود على الأولاد بالفائدة الجسمية والنفسية.

ويحاول الأب بين فترة وأخرى أن يذكّرهم بأن هدف الرياضة ليس من أجل الرياضة فحسب؛ بل هو تقوية الجسم، والمحافظة عليه، ليتقوى على طاعة الله، والقيام بالواجبات الشرعية التي كُلِّف بها المسلم.

ويلاحظ الأب في اختيار الألعاب الرياضية بعدها عن العنف والخطورة، كاللعب بالأخشاب وضرب بعضها ببعض، أو الملاكمة، أو استعمال الآلات الحادة أو الحديد، فقد جاء النهي عن ذلك، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**مَن أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[1] . ففي الحديث نهي عن

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، حديث رقم (١٢٥)، (ج٤) (ص٢٠٢٠).

ترويع المسلم وتخويفه بحديدة أو نحوها، فربما أخطأ الولد وزلَّت يده وأوقع الحديدة أو الآلة الحادة على أخيه أو زميله، فآذاه وآلمه وعكَّر جو المرح والأُنس.

كما يؤدب الأب أولاده ويعلمهم كيف يلاعبون ويخالطون زملاءهم، فيعلمهم المصافحة والسلام، ويعرفهم أجر ذلك عند الله، ويوطِّنهم على تقديم الخير لهم بنفس سخية، وأن لا يبخلوا عليهم بما عندهم، ويعلمهم الترفع عن الأخذ منهم، إلا أن تكون هدية، فقد نصح بذلك ابن الحاج رحمه الله حيث قال: «ويُمنع أن يأخذ من الصبيان شيئًا، بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ»[1] . ويعلم الأولاد أن لا يأخذوا من أحد شيئًا دون رضاه حتى وإن كان ذلك من باب المزاح والمداعبة، فقد ورد النهي عن ذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام: **«لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعبًا ولا جادًا، فإذا أخذ أحدكم عصا صاحبه، فليردها عليه»**[2] . والحديث لم يترك حتى العصا التي لا يلتفت إليها، فالألعاب والملابس والأمتعة الأخرى من باب أولى يكون التحذير من أخذها أشد وأبلغ.

وفي سبيل تقوية أواصر المحبة بين الأولاد وأصدقائهم من الصالحين، يحث الأب أولاده على دعوة زملائهم إلى المنزل في بعض الأحيان لتناول طعام العشاء مثلاً، ويحاول الأب أن يدخل عليهم جميعًا السرور مظهرًا بهجته بحضورهم، وأنه سعيد بقدومهم، مراعيًا عدم الإطالة في الجلوس معهم، إذ إن ذلك يقلل من حريتهم وانطلاقهم، ويحث أولاده على تقديم الهدايا لزملائهم إذا زاروهم فإن للهدية وقعًا طيبًا في النفس، كما أنها تُذهب ما يقع في الصدر من غل أو حقد، فقد قال عليه الصلاة والسلام: **«تهادوا فإن الهدية تذهب وغر**[3] **الصدر»**[4]

وإن حصل أن وجدت علاقة بين الولد وأحد الأولاد من غير الصالحين، وخشي الأب أن يؤثر على ولده سلبيًا، وعجز عن توجيهه إلى الخير، أو لم يتمكن من

---

(١) ابن الحاج، المدخل (ج٤/ ص٢٩٧).

(٢) البخاري، الأدب المفرد، باب ما لا يجوز من اللعب والمزاح، حديث رقم (٢٤١)، (ص٩٥).

(٣) الوغر: هو الغل. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج٥/ ص٢٠٨).

(٤) أحمد، المسند (ج٢/ ص٤٠٥).

ذلك، فإن عليه أن يسارع بتنبيه ولده إلى وجوب قطع علاقته به وأن لا يخالطه، مبينًا له ضرر ذلك الولد عليه، فإن تعذر ذلك لشدة تعلق الولد بزميله عمل الأب على تنفير الآخر بسوء استقباله وإظهار الاستياء لحضوره، وإن احتاج الأمر إلى إشعار أهله بذلك فحسن، إذ إنهم إن علموا بعدم رغبة الأب في مخالطة ولده لابنه أخذتهم العزة والأنفة، وحجزوا ولدهم ومنعوه عنه.

أما ما يخص الصداقات والزمالة في المدرسة، فإن الأب يحاول أن يوجه ولده للانخراط في نشاطات المدرسة الصيفية، وأهمها النشاط الكشفي؛ لما فيه من برامج تدرب على الجدية والرجولة والإقدام إلى جانب تعلم الانضباط واحترام القيادة، وخدمة المجتمع، ويضاف إلى النشاط الكشفي نشاطات اللجان الطلابية مثل: لجان التوعية الإسلامية، واللجان الثقافية والاجتماعية، وعادة ما يكون الطلاب الملتحقون بهذه النشاطات جيدين ومثقفين أكثر من غيرهم، فلو تكونت بعض العلاقات والصداقات بين الولد وبعض هؤلاء الطلاب فلا بأس إن شاء الله.



الصغار وعلو الهِمّة

* كلمات في علو الهمة.
* اكتشف عالي الهمة منذ الصغر.
* مسئولية الآباء والعلماء في تربية علو الهمة داخل نفوس الصغار.

☆☆☆

كلمات في علو الهِمَّة

تعريف علو الهمة:

الهِمَّة هي: قوة راسخة في النفس طالبة أوالي الأمور وعواليها، هاربة من خسائسها. والهِمة: اعتناء القلب بالشيء، وتكون بمعنى المهموم: المطلوب[١].

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: «مِن علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء».

ولم أر في عيوب الناس عيبًا ☆ كنقص القادرين على التمام[٢]

ويقول رحمه الله: «فمن علت همته يختار العالي». وقال: «علو الهمة: خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل».

ويُعرِّف ابن قيم الجوزية (علو الهمة) فيقول رحمه الله: «أن لا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلاً منه، ولا تبع حظها من الله، وقربه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج به بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور؛ لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان، فإن الآفات قواطع وجواذب،

---

(١)التعريفات (١/ ٧٤٣) للجرجاني.

(٢)صيد الخاطر (ص١٧) بتحقيقي - ط دار الفجر للتراث.

وهي لا تعلو إلى المكان العالي فتجتذب منه، وإنما تجتذب من المكان السافل فلاحه، وسفول همته عنوان حرمانه»[١] .

والهمة تولد مع الناس، فما منهم إلا وفيه هِمَّة لكن منهم مَن يُعلي همته، ومنهم مَن تسفل به همته، فتقعد به أبدًا، وما فعل ذلك إلا لخساسة نفسه وحقارتها، وتعودها عن طلب المعالي، وكسلها عن إدراك الخير المتناثر في كل مكان.

وفي هذا الزمان الذي نحياه نرى قعود الهمم وقصورها وانحطاطها، وذلك لشيء وقر في الصدور منذ الصِّغر وهو: أننا صغار، ضعاف، لا قدرة لنا على التقدم، ولا على الرفعة، فنحن متخلفون رجعيون، لا مادة عندنا للحضارة ولا أسباب. أو لأننا استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فرضينا بالدون من كل شيء، فلم نر إلا قليلاً ممن يدفعون هذه الهواجس ويهزمونها، ويقهرون واقعنا الأليم ليكونوا مصابيح تضيء في هذه العصور المظلمة التي نحياها.

وإن كنا قد عجزنا عن علاج الأجيال الملوثة التي أصيبت بـ(سرطان انحطاط الهمة) نتيجة مؤثرات تربوية خاطئة، ومؤثرات إعلامية أُديرت عجلتها منذ الاحتلال الصليبي لبلادنا في العصر الحديث، فإنه يجب علينا أن نغرس علو الهمة في نفوس صغارنا الذين نرجوهم لأعدائنا حربًا وسلاحًا، ولديننا نُصْرة ورفعة.

فإذا ما ضاع الصغار أيضًا فقد ضاع جزء كبير، وقطاع عريض من الأفراد الذين نرجو إصلاحهم، ليصلحوا ما قد أفسده الآخرون. وعليه فإن تعليم الصغير كيف يعلو بهمته يجب أن يبدأ مع بدايات قدومه إلى الحياة!! فمنذ اللحظات الأولى التي يقدم فيها الصغير إلى الحياة يجب علينا أن نفهم أنه لا ينبغي الإكثار من حمله، أو إطعامه، أو الاستجابة السريعة له عند بكائه، فذلك مما يُقِر في نفسه مبدأ (بالبكاء يأتيك كل شيء)، فتنحط همته ولا زال في مهده كما سبق.

ولا زال الناس يعرفون قدر علو هذه الهمة، وقد كان أهل الجاهلية يلقون

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣) لابن قيم الجوزية رحمه الله.

بأولادهم في البوادي ليتعلموا خشونة العيش والكلام، وليعيشوا بعيدًا عن ترف المترفين، وإسراف المتنعمين، يسمونهم بأسماء: حرب، وسهم، وتلك الأسماء التي تحمل معنى الغلظة، بينما يسمي مملوكه: أفلح، ويسار، ورباح، وعطاء، فإذا سئل قال: مماليكنا نربيهم لأنفسنا، وأبناؤنا نربيهم لعدونا. كان الجاهلي يضرب ولده ضربًا مبرحًا لا يضربه لعبده، فإذا سُئِل قال: أضربه ليكون رجلاً يتحمل الحرب، ويصبر على عدوه حتى يهزمه.

كانت هذه هي حياتهم، فقلَّ أن ترى منهم جبانًا يفر من الحرب، حتى إنهم ثبتوا في يوم (ذي قار) حتى هزموا جند كسرى الذي كان قد ملك جيشه آنذاك ما يربو على نصف ممالك الأرض، ولقد دخل إلى الشام وغيرها حتى نقل تراث الصليبيين إلى بلاده، فما وهن العربي أمامه بل هزمه.

كان يسمي الصحراء مفازة ليشجع نفسه ولا يجبن، يسمي اللديغ سليمًا حتى لا يخشى المرض، يسمي المسحور مطبوبًا ليتفاءل بالشفاء، ذلك أنهم كانوا أصحاب همم عالية، فما أن جاء الإسلام حتى حوَّل هذه العادات إلى خير مما كانت عليه، وأزاح شرها، وجعل تربية الصغار على علو الهمة عبودية لله تعالى حتى نبغ الصغار بين الكبار فلمعت أسماؤهم كـ(معاذ بن جبل) و(زيد بن ثابت) و(ابن عباس) رضي الله عنهم جميعًا.

ومن هنا ينبغي على الكبار أن يعلموا أن إهمال تعليم الصغار كيف تعلو همتهم إحدى الكُبر في هذا الزمان الذي يحاول الأعداء فيه ترسيخ مفهوم (المسلم الذي لن يتقدم، ولن يعلو أبدًا).

لقد اشتد حرص السلف على مباشرة هذه المهمة الجسيمة، حتى إن المنصور بعث إلى مَن في الحبس من بني امية، يقول لهم: «ما أشدُّ ما مرَّ بكم في هذا المحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا».

واشتد نكيرهم على مَن يصرف همه إلى الكبار فقط، ويهمل الصغار، وما ذاك إلا لأن الأمة محتاجة إليهم، وهم الأعمدة التي تبنى لتحمل ثقل البناء فيما بعد.

قال عمرو بن العاص لحلقة قد جلسوا إلى جانب الكعبة، فلما قضى طوافه

جلس إليهم وقد نحوا الفتيان عن مجلسهم، فقال: «لا تفعلوا، أوسعوا لهم، وأدنوهم، وألهموهم، فإنهم اليوم صغار قوم يوشك أن يكونوا كبار قوم آخرين، قد كنا صغار قوم أصبحنا كبار آخرين». وقد علق الإمام ابن مفلح رحمه الله على هذه العبارة قائلاً: «وهذا صحيح لا شك فيه، والعلم في الصغر أثبت، فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة لاسيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم، فلا ينبغي أن يجعل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعًا من مراعاتهم والاعتناء بهم»(١).

وكان الإمام الشاشي محمد بن الحسين الفقيه الشافعي رحمه الله ينشد:

تعلم يا فتى والعود رطب ★ وطينك ليِّنٌ والطبع قابل

★★★

اكتشاف عالي الهمة من الصغار

يقول المثل السائر بين الناس: «الكتكوت الفصيح في البيضة يصيح»، يقصد الناس بذلك أن علامات النبوغ تظهر من بدايات الإنسان، تظهر في كلماته وتصرفاته وبعض تحركاته التي تنبئ عن نفس عالية الهمة، لا ترضى بالدون من الأفعال أو الأقوال أو المقامات.

وكثير من العلماء أو الأمراء بدأ نبوغهم مبكرًا حتى نطقت الألسنة رغمًا عنها، ودون أن تشعر بأن لهؤلاء مستقبلاً عند الله تعالى إن قُدِّر لهم البقاء.

وأول الأمثلة على هذا ما كان في قصة أصحاب الأخدود، فقد لفت الأنظار بذكائه المفرط بعد أن طاف زبانية الملك آنذاك المملكة بحثًا عن غلام يرث السحر، فلما ظهرت علامات نبوغه أخذوه ليكون ساحرًا، وصدقوا حين توسموا خيرًا فيه، فقد تحول الطائر الصغير إلى نسر للإيمان، وبنبوغه وذكائه وهداية ربه له من قبل اختار الإيمان على الكفر، والإسلام على السحر، وآثر الحق على الباطل حتى ضحى بنفسه لتؤمن قريته فآمنت، فخُلِّدت القصة في القرآن الكريم، وفي حديث النبي

---

(١) «الآداب الشرعية، والمنح المرعية» (١/ ٢٢٥)، نقلاً عن علو الهمة للدكتور/ محمد إسماعيل (ص٣٦٧).

ﷺ، مما يبدو لنا واضحًا في هذه القصة التي رواها الإمام مسلم في صحيحه كالآتي:

أخرج الإمام مسلم[1] في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملكٌ فيمَن كان قبلكم وكان له ساحر فلمَّا كَبُرَ قال للملك: إني قد كَبِرتُ فابعث إليَّ غلامًا أُعلِّمه السحر. فبعث إليه غلامًا يعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلمُ الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستُبتلى فإن ابتُليتَ فلا تدل عليَّ. وكان الغلام يُبرِئُ الأكْمَهَ[2] والأبرص ويُداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك. فآمَنَ بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: مَن ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجِيءَ بالغُلام، قال له الملك: أي بني قد بلغ من سِحْرِك ما تُبْرِئُ الأكمه والأبرص وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيءَ بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمِئْشار[3] فوُضع المئشار في مفرق رأسه فشقَّه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقَّه به حتى وقع شِقَّاهُ، ثم جيءَ بالغُلام فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته[4] فإن رجع عن دِينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به

---

(١) مسلم (حديث ٣٠٠٥). (٢) الأكمه: هو الذي ولد أعمى.

(٣) بالمئشار: مهموز في رواية الأكثرين: ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء. وروي: المنشار، بالنون وهما لغتان صحيحتان.

(٤) ذروته: ذرورة الجبل أعلاه، وهي بضم الذال وكسرها.

فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئتَ. فرجف بهم الجبل[1] فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[2] فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة[3] فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد[4] واحد وتصلبني على جذع، ثم خُذ سهمًا من كِنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس[5]، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسمِ الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك[6] قد آمن الناس. فأمر بالأخدود[7] في أفواه السكك[8] فخُدَّت وأضرم النيران وقال: مَن لم يرجع عن دينه فأحموه فيها[9]. أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست[10] أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أُمَّهْ اصبري فإنك على الحق»

---

(١) فرجف بهم الجبل: أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

(٢) قرقور: القرقورة السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة. واختار القاضي الصغيرة، بعد حكايته خلافًا كثيرًا.

(٣) فانكفأت بهم السفينة: أي انقلبت.

(٤) صعيد: الصعيد هنا: الأرض البارزة.

(٥) كبد القوس: مقبضها عند الرمي.

(٦) نزل بك حذرك: أي: ما كنت تحذر وتخاف.

(٧) بالأخدود: الأخدود: هو الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد.

(٨) أفواه السكك: أي: أبواب الطرق.

(٩) فأحموه فيها: هكذا هو في عامة النسخ: فأحموه بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة ونقل القاضي اتفاق النساخ على هذا ووقع في بعض نسخ بلادنا: فأقحموه، بالقاف، وهذا ظاهر. ومعناه اطرحوه فيها كرهًا، ومعنى الرواية الأولى ارموه فيها. من قولهم: أحميت الحديدة وغيرها، إذا أدخلتها النار لتحمى.

(١٠) فتقاعست: أي: توقفت ولزمت موضعها، وكرهت الدخول في النار.

وعن محمد بن الضحاك أن عبد الملك بن مروان قال لرأس جالوت أو لابن رأس جالوت: «ما عندكم من الفِراسة في الصبيان؟ قال: ما عندنا فيهم شيء، لأنهم يُخلَقون خلقًا بعد خلق، غير أنا نرمُقهم، فإن سمعنا منهم مَن يقول في لعبه: مَن يكون معي؟ رأيناه ذا همة وحُنُوٍّ صَدَقَ فيه، وإن سمعناه يقول: مع مَن أكون؟ كرهناها منه، فكان أولُ ما عُلِم من ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي، فمرَّ رجل فصاحٍ عليهم، ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى، وقال: يا صبيان اجعلوني أميركم، وشُدُّوا بنا عليه.

ومرَّ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو صبي يلعب مع الصبيان، ففرُّوا ووقف، فقال له: ما لك لم تفر مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم أُجْرِم فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسِّع لك[1].

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: «كنت يتيمًا في حجر أمي، فدفعتني إلى الكُتَّاب، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما جمعتُ القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث والمسألة فأحفظها، فلم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به القراطيس، فكنت أنظر إلى العظم آخذه فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرَّة، فاجتمع عندي حبَّان[2]».

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: «كنت وأنا في الكتاب أسمع المعلم يلقِّن الصبي الآية، فأحفظها أنا، ولقد كان الصبيان يكتبون إملاءهم، فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم كنت قد حفظت جميع ما أملى، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئًا. قال: ثم لما أن خرجت من الكتاب كنت ألتقط الخزف، والرقوق[3]، وكَرَب[4] النخل، وأكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث، وأجيء إلى

---

(١) علو الهمة (ص٣٦٩) للدكتور/ محمد إسماعيل.
(٢) الحُبُّ: وعاء الماء كالزير والجرة.
(٣) الرقوق: جمع رَق، جلدٌ رقيق يُكتَب فيه، والصحيفة البيضاء.
(٤) الكَرَب: الأصل العريض للسعف إذا يبس.

الدواوين، وأستوهب منهم الظهور فأكتب فيها، حتى كان لأمي حُبان، فملأتهما أكتافًا» اهـ.

وحفظ الإمام أحمد بن حنبل القرآن في صباه وتعلم القراءة والكتابة، ثم اتجه إلى الديوان يمرن على التحرير، ويقول عن نفسه: «كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة». وكانت نشأته فيها آثار النبوغ والرشد حتى قال بعض الآباء: «وأنا أنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا، فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظروا كيف!!». وجعل يعجب من أدبه وحسن طريقته.

وكان عمه يرسل إلى بعض الولاة بأحوال بغداد ليعلم بها الخليفة، وقد أرسلها مرة من ابن أخيه أحمد بن حنبل فتورع عن ذلك ورمى بها في الماء تأثمًا من الوشاية والتسبب لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين، وقد لفت هذا الورع وهذه النجابة كثيرًا من أهل العلم والفراسات حتى قال الهيثم بن جميل: «إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه».

وقال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة رحمه الله: «بلغني أن بعض مشايخ حلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت أن في هذه البلاد صبيًا يقال له: أحمد بن تيمية، سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلي أراه. فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة يمر ذاهبًا إلى الكُتَّاب. فلما مر قيل: ها هو الذي معه اللوح الكبير. فناداه الشيخ، وأخذ منه اللوح، وكتب له من متون الحديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثًا، وقال له: اقرأ هذا. فلم يزد على أن نظر فيه مرة بعد كتابته إياه ثم قال: أسمعه عليَّ. فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما يكون، ثم كتب عدة أسانيد انتخبها، فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم يُر مثله. فكان كما قال»[1] اهـ.

قال يحيى بن أيوب العابد: حدثنا أبو المثنى قال: «سمعتهم بمرو يقولون: قد جاء

---

(1) غاية الأماني (٢/ ١٦٩، ١٧٠).

الثوري، قد جـاء الثوري. فخرجت أنظر إليـه، فإذا هو غلام قد بَقَلَ وجـهه». قال الذهبي: «كان يُنَوَّه بذِكره في صغره من أجل فرط ذكائه وحفظه وهو شاب»(١).

وعن الإمام النووي:

وقال الشـيخ يسين بن يوسف المُرَّاكشي: «رأيت الشـيخ- يعني النووي- وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيـان يُكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، قال: فوقع في قلبي محبته، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشـتغل بالبيع والشراء عن القرآن، قال: فـأتيت الذي يقرئه القرآن توصية به، وقلت له: هذا الصبي يُرجَى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به. فقـال لي: أمنجم أنت؟ فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك. فـذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام»(٢).

وقال صـاحب «أنباء نجباء الأبنـاء»: «بلغني أن أبا سليمان داود بن نصـير الطائي رحـمه الله لما بلغ من العـمر خـمس سنين أسلمـه أبوه إلى المؤدب، فابتـدأه بتلقين القرآن، وكـان لَقِنًا فلما تـعلَّم سورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (سورة الإنسان). وحفظها؛ رأته أمـه يوم جمعة مقـبلاً على حائط وهو يفكر ويشير بيده، فـخافت عليه وقالت له: قم يا داود فاخرج والعب مـع الصبيان. فلم يجبـها فضـمته إلى صـدرها، ودعت بالعويل فقـال: ما لكِ يا أماه؟ فـقالت: أبِكَ بأسٌ؟ قال: لا. قالت: أين ذهنك؟ كلمتك فلم تسمع. قال: مع عباد الله. قالت: فأين هم؟ قال: في الجنة. قالت: ما يصنعون؟ قال: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ (الإنسان: ١٣، ١٤).

ومرَّ في السورة وهو شاخص ببصره كأنه ينظر إليهم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ (الإنسان: ٢٢). ثم قال: يا أماه! ما كان سعيهم؟ فلم تدر ما تجيبه به فقـال: قومي عني حـتى أتنزه عندهم سـاعة. فقـامت وأرسلت إلى والده، فـجاء فأخبرته الخبر فقال له: يا داود كانِ سعيهم مشكورًا أنهم قالوا: لا إله إلا الله محمد

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٦).

(٢) طبقات الشافعية (٨/ ٣٩٦، ٣٩٧).

رسول الله. فكان داود بعد ذلك لا يدع أن يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

وروى الذهبي عن محمد بن أبي حاتم قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: «وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فإذا جئت أستحيي أن أُسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبتَ اليوم؟ فقلت: اثنين- وأردت بذلك: حديثين- فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا تضحكوا، فلعله يضحك منكم يومًا».

وقال بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: «كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب «الجامع» لسفيان الثوري من كتاب والدي، فمرَّ أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته فقال الثانية والثالثة، فراجعته فسكت ثم قال: من هذا؟ قالوا: ابن إسماعيل. فقال: هو كما قال، واحفظوا أن هذا يصير يومًا رجلاً».

علامات النبوغ إذن تبدو ظاهرة منذ البداية ليكتشفها الآباء في أبنائهم فيعلون من همتهم ويساعدونهم على تنمية هذه المواهب، ونستطيع إجمال هذه العلامات كالآتي:

(١) قوة الفهم، وقوة الملاحظة.

(٢) ملاحة القول، وحسن المنظر.

(٣) قوة الحفظ مع الفهم.

(٤) سلامة الصدر فلا حقد ولا حسد.

(٥) الثقة بالنفس.

(٦) الحرص على التحصيل.

(٧) عدم اليأس والإحباط.

(٨) عدم الميل إلى اللعب كثيرًا، أو الشره نحوه، بل ترى الصغير يحب العزلة في غير مرض، يبتغي بذلك تحصيل ما يعجز عنه الغير.

(٩) الإحساس بأنه يكبر من هم في سنه.

(١٠) الاتصاف بالشجاعة والنجدة وحب القيادة بغير رياء ولا سُمعة.

هذه هي علامات علو الهمة التي قد تظهر في الصغار ولا يشترط أن تكون مجتمعة؛ بل قد تظهر بعضها، أو نحرص نحن على محاولة إيجادها، وعندئذ نحاول تنمية هذه البذرة وتعهدها حتى تثبت غرسًا لا يزال الله تعالى يستعمله لخدمة هذا الدين.

فإذا ما تركت هذه الصفات بلا تنمية ولا تعهد ولا رعاية ماتت إذ هي كالزرع لابد من تعهده، وإلا ذبلت أوراقه، وضعف جذره، وخار ساقه، ومن ترك أرضًا خصبة، وبذرة جيدة فلم يتعهدها، أقل ما يقال فيه: إنه أحمق.

إن الخسارة عظيمة لا شك عندنا حين تتبعثر هذه الهمم ولا تجد من يلم شتاتها فينظمها في عقد واحد لخدمة هذا الدين ورفعته، والأخذ بأسباب النصر والتمكين له.

☆☆☆

مسئولية الآباء والعلماء في تربية علو الهمة داخل نفوس الصغار

(١) المسئولية المادية والاجتماعية:

تولد الهمة مع الإنسان كما سبق، والناس على شاكلتين: عالي الهمة، ومنحط الهمة.

وقد سبق وصف عالي الهمة، والإشارة إلى علامات نبوغه التي تظهر معه فتكبر كلما كبر، وفي نهاية المبحث السابق نوَّهت على أن إعلاء الهمة ليس شأن الصغير الذي لا يدرك إلا شعورًا فطريًّا يحركه ناحية التفوق أو الحفظ، أو صفة تبدو عليه وتغلب دون ملاحظة منه، إلى آخر هذه العلامات التي تبدأ في الظهور مبكرًا كبشريات لإنسان عالي الهمة على استعداد لتحمل المشاق وخوض غمار الحياة.

والمسئولية تقع على المجتمع بكامله في هذا الشِّق تحديدًا، فظهور غلام يتصف بعلو الهمة والذكاء نعمة تستحق الشكر، ولابد من الاستفادة بها في عصر يعج بالفاشلين والمحبطين والمهووسين بالفساد والغناء والكرة، وأوثان العصر الحديث، فيجب على الآباء والأمهات والعلماء أن يدركوا جيدًا أن المسئولية تقع عليهم خاصة للحفاظ على هذه المواهب الربانية التي تتفجر في صدور الصغار ونفوسهم، حتى نصل بهم إلى شاطئ الأمان وساحل السلامة، وحتى نعطي الصغير من معطيات القوة والفهم والعلم والمال ما يقوى به على مواجهة صعاب الحياة وهزيمتها والعلو فوقها.

يقول الدكتور/ محمد إسماعيل المقدم: «والأمة التي تهتم بالنابغين، تصنع بهم مستقبلها المشرق، لأنهم يصلحون أمرها، ويسهمون في ازدهارها، والأمة التي تهمل رعاية نابغيها سوف تشقى حين يتولى أمورها جهلة قاصرون يوردونها المهالك، أو مرضى نفسيون معقدون يسومونها سوء العذاب، أو سفلة أصحاب نفوس دنيئة وهمم خسيسة يبيعونها لأعدائها بثمن بخس.

ومع كون المواهب استعدادات فطرية فإنها لا تؤدي إلى النبوغ إلا إذا توفرت لأصحابها الظروف البيئية المناسبة والتربية الصالحة اللازمة لتنميتها وصقلها، وتعد

الأسرة- وبخاصة الوالدان أو من يقوم مقامهما- أهم عناصر البيئة تأثيرًا في إظهار النبوغ، وزراعة الهمة العالية في قلوب الأطفال منذ نعومة أظفارهم، وهذا ما قد يفسر لنا سر اتصال سلسلة النابغين من أبناء أسرٍ معينة، كآل تيمية- مثلاً- حيث اجتمعت الاستعدادات الفطرية الموروثة، والقدرات الإبداعية مع البيئة المساعدة التي تكشف هذه المواهب مبكرًا، وتنميها وتوجهها إلى الطريق الأمثل.

فرب أم ذكية محبة للعلم[1]، أو أب عالم مشهود بعلمه، كان سببًا في تيسير السبيل إلى العلم ومجالسة العلماء، مما كان له أثر بليغ في تنمية نبوغ أبنائهم.

فهذا «الزبير بن العوام» فارس رسول الله ﷺ الذي عدل به عمر رضي الله عنه ألفًا من الرجال، يشب في كنف أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وأخت أسد الله حمزة، وهؤلاء الكملة العظماء عبد الله، والمنذر، وعروة أبناء الزبير، كلهم ثمرات أمهم ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يتربى على يد أمه فاطمة بنت أسد، وخديجة بنت خويلد رضي الله عنهما، وهذا عبد الله بن جعفر سيد أجواد العرب تعاهدته أمه أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وهذا أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أريب العرب وألمعيها، ورث عن أمه هند بنت عتبة همة تجاوز الثريا، وهي القائلة- وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها-: إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه، قالت: ثكلتُه إذًا إن لم يسد إلا قومه. ولَمَّا نُعي إليها ولدها يزيد بن أبي سفيان قال لها بعض المعزين: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خلف منه. فقالت: أوَ مثل معاوية يكون خلفًا من أحد؟ والله لو جمعت العرب من أقطارها، ثم رُمي به فيها، لخرج من أيها شاء.

وقد كان معاوية رضي الله عنه إذا نوزع بالفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأي، انتسب إلى أمه، فصدع أسماع خصمه بقوله: أنا ابن هند.

وهذا سفيان الثوري الإمام الجليل، والعلم الشامخ كان ثمرة أم صالحة غذته

---

(١) انظر: عودة الحجاب (٢/ ١٩١ - ٢١٢).

بلبانها، وحاطته بكنفها، حتى صار إمام المسلمين، وأمير المؤمنين في الحديث، قالت له أمه وهو صغير: هيا بني! اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي.

وكذا فعلت أم الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن، شيخ الإمام مالك، فقد كان ثمرة تربية أم فاضلة أنفقت عليه أمه ثلاثين ألف دينار خلَّفها زوجها عندها وهي حامل به، وخرج إلى الغزو ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة.

وها هي أم الإمام مالك إمام دار الهجرة تؤزه على طلب العلم، وتلبسه ثياب العلم، وتقول له: اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه.

ومات والد الإمام الشافعي وهو جنين أو رضيع، فتولته أمه بعنايتها، وأشرقت عليه بحكمتها، وتنقلت به من «غزة» إلى «مكة» مستقر أخواله، فربته بينهم هنالك. ونشأ الإمام الشافعي فقيرًا، ولم تستطع أمه دفع أجر معلمه، إلا أن المعلم قَبِلَ أن يعلمه بدون أجر، وتعهده بالرعاية، وجعل له منزلة خاصة بين التلاميذ، لما لمسه فيه من نباهة وسرعة في الحفظ. قال الشافعي رحمه الله: «كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي أن يعلمني بدون أجر، وأن أخلفه في الدرس إذا قام».

وهذا إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله مات أبوه إسماعيل وهو صغير، فنشأ يتيمًا في حجر أمه، وكانت أمه عابدة صاحبة كرامات».

ثم قال حفظه الله: وتأمل كيف اكتشف والد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله نضوجه الاجتماعي المبكر، فراح ينمي ثقته بنفسه، ويصقل مواهبه، ويُعِدُّه لتحمل المسئوليات، فقد كتب في ذلك إلى صاحب له فقال رحمه الله: «تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل إكمال سن اثنتي عشرة سنة على التمام، ورأيته أهلاً للصلاة بالجماعة والائتمام، فقدمته لمعرفته بالأحكام، وزوَّجته بعد البلوغ مباشرة، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبته بالإسعاف إلى ذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام»[١] اهـ.

---

(١) رعاية النابغين (ص ١٦٠).

وبغير هذا «النضوج الاجتماعي المبكر» والتربية الواعية التي تنمي الملكات، وتغرس الثقة في النفس، وتحررها من التواكل والتبعية والطفولية، لا نستطيع أن نفسر ظاهرة ارتحال العلماء في سن الصبا والشباب المبكر في أقطار الدنيا طلبًا للعلم، وقد فارقوا الأهل والأوطان، وكابدوا المخاطر والمشاق دون كلل ولا ملل ولا تبرم.

وقد تكون البيئة المترفة عائقًا بليغ الإعاقة عن المضي في طريق المجد، ومع ذلك يترفع عليها صاحب الهمة العالية، ويسخرها لإنجاز المطالب الجسيمة، كحال الإمام أبي محمد علي بن حزم رحمه الله، الذي نشأ نشأة مترفة، ولكنه انصرف عن مطامح الدنيا ومطامعها في سبيل طلب العلم، فقد جرت مناظرة بين الإمامين ابن حزم وأبي الوليد الباجي رحمهما الله، فلما انقضت قال الباجي لابن حزم: تعذُرُني فإن أكثر مطالعاتي كانت على سُرُج الحُرَّاس. فأجابه ابن حزم: وتعذرني أيضًا فإن أكثر مطالعاتي كانت على منائر- أي: مصابيح- الذهب والفضة[1] . قال ياقوت الحموي: «أراد أن الغنى أضيع لطلب العلم من الفقر!».

فماذا لو كان النابغة في ظروف لا تؤهله للنبوغ؟ هل تدفن مواهبه؟ أم يُرْجَى له الموت، وتكون موهبته وبالاً عليه؟ إن عالي الهمة لا يكف عن إظهار همته رغمًا عنه لعلو نفسه ورفعتها لا لكبرها، فمن الإنصاف أن يتكافل المجتمع المسلم للحفاظ على هذه الموهبة.

وأذكر الآن أن قوافل الفنانين تمر لاكتشاف مواهب التمثيل والغناء!! وأن كشافي كرة القدم يبحثون عن اللاعبين بـ(المنقاش) للاستفادة بهم، فلِمَ لا يكون أهل الحق أولى من غيرهم بهذا الاكتشاف وهذا البحث، وتقديم الرعاية الكاملة لهؤلاء؟

هذا هو أبو حنيفة رحمه الله، تذكر عنه هذه القصة: وذكر الكردري في مناقبه بسنده إلى أبي يوسف رحمه الله تعالى، قال: «كنت أطلب الحديث وأنا مقل المال، فجاء إليَّ أبي وأنا عند الإمام فقال لي: يا بني لا تمدنَّ رجلك معه، فإن خبزه

---

(١) معجم الأدباء (١٢/ ٢٣٩) لياقوت الحموي.

مُسَوًّى وأنت محتاج. فقعدت عن كثير من الطلب، واخترت طاعة والدي، فسأل عني الإمام وتفقدني، وقال حين رآني: ما خلَّفك عنا؟ قلت: طلب المعاش. فلما رجع الناس، وأردت الانصراف دفع إليَّ صرة فيها مائة درهم فقال: أنفق هذا، فإذا تمَّ أعلمني، والزم الحلقة. فلما مضت مدة دفع إليَّ مائة أُخرى، وكلما تنفد كان يعطيني بلا إعلام كأنه كان يُخبَر بنفادها، حتى بلغت حاجتي من العلم، أحسن الله مكافأته، وغفر له».

لقد تكفَّل أبو حنيفة رحمه الله بإخراج جيل قال عنه: «ستحتاجه الدولة»، ورفض تقلد منصب القضاء، ولكن ذهب فأنفق على تلامذته حتى قامت حضارة دولة بني العباس على أكتافهم، وصمدت زمنًا طويلاً بفضل الله أولاً، ثم بآراء هؤلاء العلماء والقضاة الذين أنفق عليهم أبو حنيفة رحمه الله من ماله الخاص، وعلى الدولة أن تسلك هذا المنحى كما في هذه اللمحة.

هذا الخليفة الموحدي الثالث «المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن» الذي أنشأ «بيت الطلبة»، وأشرف عليه بنفسه، وعندما بلغه حسد بعض حاشيته على موضع الطلبة النابغين عنده، فزع منهم، وخاطبهم قائلاً: «يا معشر الموحدين! أنتم قبائل، فمن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته، وهؤلاء الطلبة لا قبيلة لهم إلا أنا، فمهما نابهم من أمر فأنا ملجؤهم، إليَّ فزعهم، وإليَّ ينسبون».

(٢) تشجيع الصغار عند اكتشاف نبوغهم:

والتشجيع هنا له أعظم الأثر في الدلالة على الخير، والتحريض عليه، والحرص على فعله، والحث على الإقدام عليه، وعبارات الثناء وحدها كفيلة بجعل الصغير ممتلأ همة ونشاطًا، ثم يحفز ماديًا واجتماعيًا، وترفع منزلته مما سيرفع لا شخصه؛ بل أمته كلها.

وقد كان النبي ﷺ يمارس هذا التشجيع ليعلم الصحابة أثره العظيم في تنمية الخير في نفوس الصغار والغلمان كما في هذه المواقف:

فيما أخرجه ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: «كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد فرا من

المشركين فقالا: «يا غلام هل عندك لبن تسقينا؟». فقلت: إني مؤتمن ولست أسقيكما. فقال النبي ﷺ: «هل عندك من جزعة لم ينز عليها الفحل؟». قلت: نعم، فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا فحفل الضرع ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ثم قال للضرع: «اقلص»، فقلص. قال: فأتيته بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول. قال: «إنك غلامٌ معلَّمٌ». فأخذت من فيه سبعين سورة لا يُنازعني فيها أحد»[١].

ولما طعن الناس في إمارة أسامة بن زيد رضي الله عنه إذ إنه ﷺ يفعل الآتي كما يقول ابن عمر: أمَّر رسول الله ﷺ أسامة على قوم، فطعنوا في إمارته فقال: **«أتطعنون في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وايم الله لقد كان خليقاً بالإمارة، وإن كان من أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده»**[٢].

من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. فقال لي الآخر سرًّا من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء».

وفي رواية للبخاري[٣]: «ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: «أيكما قتله؟». قال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: «هل مسحتم سيفيكما؟». قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله». فأعطى سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح».

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي، فجرني فجعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله ﷺ على

---

(١) صحيح: ابن سعد (٣/ ١/ ١٠٦) في طبقاته.

(٢) صحيح: البخاري (٤٢٥٠) في المغازي، مسلم (٢٤٢٦) في فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: البخاري (٣٩٨٨) و (٣١٤١)، مسلم (١٧٥٢).

صلاته خنست، فصلى رسول الله ﷺ، فلما انصرف قال لي: «ما شأني أجعلك حذائي فتخنس؟!». فقلت: يا رسول الله أوَ ينبغي لأحد أن يُصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟ قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علمًا وفهمًا. قال: ثم رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته ينفخ ثم أتاه بلال فقال: يا رسول الله، الصلاة. فقام فصلى ما أعاد وضوءًا»(١) .

وفي رواية البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ ضمه إلى صدره وقال: «اللهم علمه الحكمة»(٢) .

ويسير عمر رضي الله عنه على نفس طريق النبي ﷺ: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لِم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم. فدعا ذات ليلة فأدخله معهم فما رُئيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُريهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾ (سورة النصر). فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ - وذلك علامة أجلك- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ٣). فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول»(٣) .

وهذه واحدة أخرى لعمر رضي الله عنه: «فمن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟». فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟! قال: فقال: «هي النخلة». قال: فذكرت ذلك لعمر قال: لأن تكون قلت: هي النخلة، أحب إلي من كذا وكذا»(٤) .

---

(١) صحيح: أحمد (١/ ٣٣٠) في المسند.
(٢) صحيح: البخاري (٣٧٥٦) في فضائل الصحابة.
(٣) صحيح: البخاري (٤٩٧٠) في التفسير.
(٤) صحيح: البخاري ومسلم.

على هذا السنن سار ابن عباس منذ طفولته، غير مبالٍ بتثبيط مَن هو أقصر منه همة، قال رضي الله عنه: «لما قُبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير. فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم؟! قال: فتركت ذاك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلاَّ أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني»[١] .

وقد كان ابن شهاب رحمه الله يشجع الأولاد الصغار، ويقول لهم: «لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل، دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم»[٢] .

وهذا نموذج آخر في عصر ليس بالبعيد عنا: يقول الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله: «ومن عجيب النماذج الناجحة في زراعة الهمة العالية في الأطفال ما يقال من أن الشيخ أقشمس الدين الذي تولى تربية السلطان محمد الفاتح العثماني رحمه الله، كان يأخذ بيده، ويمر به على الساحل ويشير إلى أسوار القسطنطينية التي تلوح من بعد شاهقة حصينة، ثم يقول له: أترى إلى هذه المدينة التي تلوح في الأفق؟ إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن رجلاً من أمته سيفتحها بجيشه، ويضمها إلى أمة التوحيد، فقال ﷺ فيما رُوي عنه: **«لتفتحُنَّ القسطنطينية، ولنِعْمَ الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»**، وما زال يكرر هذه الإشارة على مسمع الأمير الصبي إلى أن نمت شجرة الهمة في نفسه العبقرية، وترعرعت في قلبه، فعقد العزم على أن يجتهد ليكون هو ذلك الفاتح الذي بشَّر به الصادق المصدوق ﷺ،

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٢٥٠) لابن كثير.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٨٥).

وقد كان، فقد كان والده السلطان مراد الثاني منذ صغره يستصحبه معه بين حين وآخر إلى بعض المعارك، ليعتاد مشاهدة الحرب والطعان، ومناظر الجنود في تحركاتهم واستعداداتهم ونزالهم، وليتعلم قيادة الجيش وفنون القتال عمليًّا، حتى إذا ما ولي السلطنة، وخاض غمار المعارك خاضها عن دراية وخبرة.

ولما جاء اليوم الموعود شرع السلطان محمد «الفاتح» في مفاوضة الإمبراطور قسطنطين ليسلمه القسطنطينية، فلما بلغه رفض الإمبراطور تسليم المدينة قال رحمه الله: «حسنًا عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر».

وحاصر السلطان «محمد الفاتح»- أنعِمْ به من فاتح- القسطنطينية واحدًا وخمسين يومًا، تعددت خلالها المعارك العنيفة، وبعدها سقطت المدينة الحصينة التي استعصت على الفاتحين قبله، على يد بطل شاب، له من العمر ثلاث وعشرون سنة، وحقق هذا الفاتح البطل للمسلمين أملاً غاليًا ظل يراودهم ثمانية قرون، حاولوا تحقيقه مرارًا فلم يفلحوا، وكأن القدر كان قد ادَّخر هذا الشرف لهذا البطل المغوار.

لكن هنا تحذير: فلابد من مراقبة الصغير بعد الثناء عليه، والنظر بعين المربي إليه، هل أثمر الثناء والتشجيع ثمارًا طيبة ممزوجة بالتواضع، أم أورثته كبرًا وغرورًا وعلوًّا على الآخرين؟ وللوقاية من هذا الداء يحذر من كثرة الثناء، مع مزجه بتعليم الصغير التواضع.

ماذا لو تعثر الصغير مرة؟

تشجعه ألف مرة ومرة لينجح حتى لا يتعود الفشل فييأس ويترك ما كان يظن أنه سينجح فيه، وإياك ثم إياك من تثبيط الهمم، وهذا مرض متفشٍّ بين جموع المسلمين، فقد درج بعض الناس على تثبيط الهمم عامة، ولهذا أسباب منها:

(١) تكبر بعضهم على الآخرين.

(٢) وجود الغيرة التي تورث الحقد.

(٣) وجود عائلات غنية تخشى زلزلة عرشها من الفقراء، وهم مثبطون من الدرجة الأولى، ظنوا الدنيا حكرًا عليهم، فإن لم يكونوا كذلك دبروا المؤامرات لوأد

مواهب وإبداعات كثيرة، وما يدرون أنهم يقتلون الحياة بقتل هؤلاء، ويحرمون أمتهم من خير كثير.

(٤) الجهل.

(٥) معاداة الدين، أو المعيشة في وهم القديم والتمسك به على خطئه، لكن ما كان صحيحًا منه عُمل به.

(٦) النفسيات الساخرة التي تود السخرية ممن حولها، فإن لم تجد سخرت من نفسها.

(٧) انحطاط همة المثبط نفسه.

(٨) الغرور بالنفس والاعتداد بها.

يحكي الشيخ علي الطنطاوي عن مثل هؤلاء المثبطين وأفعالهم، فيعرض لأكثر من نموذج، فيذكر أولاً أثر هؤلاء في قتل الحياة ومفرداتها، فيقول: «إن الشيخ محمد أمين «ابن عابدين» لما نشأ، وأنس المثبطون منه الميل إلى العلم، وعرفوا فيه الذكاء المتوقد، والعقل الراجح، خافوا منه فذهبوا يقنعون أباه- وكان أبوه امرأً تاجرًا- ليسلك به سبيل التجارة، ويتنكب به طريق العلم، وجعلوا يكلِّمونه، ويرسلون إليه الرسل، ويكتبون إليه الكتب، ويستعينون عليه بأصحابه وخلصائه، ولكن الله أراد بالمسلمين خيرًا، فثبت الوالد فكان من هذا الولد المبارك ابن عابدين صاحب «الحاشية»، أوسع كتاب في فروع الفقه الحنفي.

بل أرادوا أن يصرفوا أستاذنا العلاَّمة «محمد بن كرد علي» عن العلم، فبعثوا إليه بشقيقين من آل . . . بشقيقين قد ماتا فلستُ أسميهما، على رغم أنهما قطعا عن العلم أكثر من أربعين طالبًا، فما زالا بأبيه- ولم يكن أبوه من أهل العلم- ينصحانه أن يقطعه عن العلم، ويعلمه مهنة يتكسب منها، فما في العلم نفع ولا منه فائدة، ويُلحَّان عليه ويلازمانه، حتى ضجر فصرفهما فكان من ولده هذا، الأستاذ «كرد علي» أبو النهضة الفكرية في الشام وقائدها، ووزير معارف سورية الأسبق ومفخرتها، الذي من مصنفاته: خطط الشام، وغرائب الغرب، والقديم والحديث، والمحاضرات، وغابر الأندلس وحاضرها، والإدارة الإسلامية، والإسلام والحضارة

العربية، والمقتبس. ومن مصنفـاته: «المجمع العلمي العربي بدمشق»، ومن مصنفاته «هؤلاء الشعراء والكتَّاب من الشباب»!

ولعل في الناس كثيرين كانوا لولا الاحتكـار والتثبيط كابن عابدين وككرد علي، وها هو ذا العلامة الشيخ «سَليم البخاري» رحمـه الله مات وما له مصنَّف رسالة فما فوقها، على جـلالة قدره، وكثرة علمه، وقوة قلمـه، وشدة بيانه، وسبب ذلك أنه صنَّف لأول عهده بالطلب رسالة صـغيرة في المنطق، كتبها بـلغة سهلة عذبة، تنفي عن هذا العلم تعقيد العبارة، وصعوبة الفهم، وعرضها على شيخه، فسخر منه وأنَّبه وقال لـه: أيها المغـرور! أبلغ من قدرك أن تصنف، وأنت... وأنت...؟ ثـم أخذ الرسالة فسجَّر بها المدفأة، فكانت هي أول مصنفات العلامة البخاري وآخرها.

وإليك هذه القصة لتـتعلم منها: «نشأ الشـيخ «محمد إسمـاعيل» الحائك عاميًّا، ولكنه محبٌّ للعلم، محـب للعلماء، فكان يحضر مجالـسهم، ويجلس في حلقهم للتـبرك والسـماع، وكـان يواظب على الدرس لا يفـوته الجلوس في الصف الأول، فجـعل الشيخ يؤنسه ويلطف به لمـا يرى من دوامه وتبكيره، ويسـأل عنه إذا غاب، فشدَّ ذلك من عزمـه، فاشترى الكتب يُحيي ليله في مطالعـة الدرس، ويستعين على ذلك بالنابهين من الطلبـة، واستـمر عـلى ذلك دهرًا حتى أتقن علوم الآلة، وصـار واحد زمانه في الـفقه والأصول، وهو عاكف علـى مهنته لم يتركـها، وصار الناس يأتونه في محلِّه يسـألونه عن مشكلات المسـائل، وعويصات الوقائـع، فيجيـبهم بما يعجـز عنه فحولة الـعلماء، وانقطع الناس عن المفـتي من آل العمادي، فـساء ذلك العماديين وآلمهم، فتربَّصوا بالشيخ وأضمروا له الشر، ولكنهم لم يجدوا إليه سبيلاً، فقد كان يحـيا من عمله، ويحيا الناس بعلمه، وكـان يمر كل يوم بدار العماديين في «القيمرية» وهو على أتان[1] له بيضاء، فيـسلِّم فيردون عليه السلام، فمـر يومًا كما كان يمر، فوجد على الباب أخًا للمفـتي، فرد عليه السلام وقال ساخرًا: إلى أين يا شيخ، أذاهبٌ أنت إلى إسطنبول لتأتي بولاية الإفـتاء؟ وضحك وضحك من حوله، أما الشيخ فلم يزد علـى أن قال: إن شاء الله. وسار في طريقه حـتى إذا ابتعد عنهم

---

(1) الأَتَان: الحِمارة.

دار في الأزقة حتى عاد إلى داره، فودع أهله، وأعطاهم نفقتهم، وسافر، وما زال يفارق بلدًا، ويستقبل بلدًا حتى دخل القسطنطينية، فنزل في خان قريب من دار المشيخة، وكان يجلس على الباب يطالع في كتاب أو يكتب في صحيفة، فيعرف الناس من زيِّه أنه عربي فيحترمونه ويُجِلُّونه، ولم يكن الترك قد جُنُّوا الجِنَّة الكبرى بعدُ، فكانوا يعظمون العربي، لأنه من أمه الرسول الأعظم الذي اهتدوا به، وصاروا به وبقومه ناسًا.

واتصلت أسباب الشيخ بأسباب طائفة منهم فكانوا يجلسون إليه يحدثونه، فقال له يومًا رجل منهم: إن السلطان سأل دار المشيخة غن قضية حيَّرت علماءها، ولم يجدوا لها جوابًا، والسلطان يستحثهم وهم حائرون. فهل لك في أن تراها لعل الله يفتح عليك بالجواب؟ قال: نعم. قال: سر معي إلى المشيخة. قال: بسم الله. ودخل على ناموس المشيخة- سكرتيرها- فسأله الشيخ إسماعيل عن المسألة فرفع رأسه فقلَّب بصره فيه بازدراء، ولم تكن هيئة الشيخ بالتي تُرضي، ثم ألقاها إليه وانصرف إلى عمله، فأخرج الشيخ نظارته فوضعها على عينه فقرأ المسألة ثم أخرج من منطقته هذه الدواة النحاسية الطويلة التي كان يستعملها العلماء وطلبة العلم للكتابة وللدفاع عن النفس، فاستخرج منها قصبة فبراها، وأخذ المقطع فقطعها، وجلس يكتب الجواب بخط نسخي جميل حتى سوَّد عشر صفحات ما رجع في كلمة منها إلى كتاب، ودفعها إلى الناموس، ودفع إليه عنوان منزله وذهب، فلما حملها الناموس إلى شيخ الإسلام وقرأها، كاد يقضي دهشةً وسرورًا، وقال له: ويحك! مَن كتب هذا الجواب؟ قال: شيخ شامي من صفته كيت وكيت. قال: عليَّ به. فدعوه وجعلوا يعلمونه كيف يسلِّم على شيخ الإسلام، وأن عليه أن يشير بالتحية واضعًا يده على صدره منحنيًا، ثم يمشي متباطئًا حتى يقوم بين يديه... إلى غير ذلك من هذه الأعمال الطويلة التي نسيها الشيخ ولم يحفظ منها شيئًا، ودخل على شيخ الإسلام فقال له: السلام عليكم ورحمة الله. وذهب فجلس في أقرب المجالس إليه، وعجب الحاضرون من عمله، ولكن شيخ الإسلام سُرَّ بهذه التحية الإسلامية، وأقبل عليه يسأله حتى قال له: سلني حاجتك. قال: إفتاء الشام وتدريس القبَّة. قال: هما لك،

فاغدُ عليَّ غدًا. فلما كان من الغد ذهب إليه، فأعطاه فرمان التولية، وكيسًا فيه ألف دينار، وعاد الشيخ إلى دمشق فركب أتانه، ودار حتى مرَّ بدار العماديين، فإذا صاحبنا على الباب، فسخر منه كما سخر وقال: مِن أين الشيخ؟ فقال الشيخ: من هنا، من إسطنبول، أتيت بتوليَة الإفتاء كما أمرتني. ثم ذهب إلى القصر فقابل الوالي بالفرمان، وسلَّم الشيخ عمله في حفلة حافلة.

وكم كان العالم الإسلامي سيخسر لو أن الرجل قعدت همته بسبب هؤلاء؟! فعلى المربي ألا يُحِطَّ من همة أحد، ولا يزدريه، بل يشجعه ويرشده إلى الصواب ويعينه عليه.

(٣) النصيحة والمتابعة:

فينصح الوالد ولده بما ينفعه ويوجهه إليه، ويأطره عليه وإليه أطرًا، فكما يقول سفيان بن عيينة رحمه الله- ت (١٩٨هـ)-: «قال لي أبي- وقد بلغ خمس عشرة سنة- إنه قد انقضت عليك شرائع الصبا، فاتبع الخير تكن من أهله. فجعلت وصية أبي قبلةً أميل إليها، ولا أميل عنها»[١].

إننا نلمح النبوغ من جهة معينة من الصغار فعلينا أن نحفزهم وننصحهم ونعينهم عليها، وأن نختار من الكلمات والنصائح ما يبقى في آذانهم دهرًا طويلاً.

(٤) معاملة الصغير معاملة العاقل:

فيكون له (كيانٌ) يشعر به دون أن يتكبر أو نعطيه نحن الفرصة لذلك، فمثلاً: يستأذنه فيما هو حق له.

إن إعطاء الطفل حقه يشعره بقيمته في الحياة، ويؤهله مستقبلاً أن ينضبط، فلا يفرط في حقوق الآخرين. وهذا النبي القدوة ﷺ يستأذن غلامًا جالسًا عن يمينه أن يتنازل عن حقه في الشراب للشيخ الكبير الجالس عن يسار النبي ﷺ، وإذا بالطفل يرفض التنازل عن حقه لأي أحد إلا للنبي فقط، فأعطاه النبي ﷺ الإناء ليشرب ويستأثر بحقه، ولو كان قبل الشيوخ.

---

(١) صيد الخاطر (ص٢٢٣) لابن الجوزي رحمه الله.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**». فقال الغلام: لا، والله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا. قال: فتلَّه- وضعه- رسول الله ﷺ في يده[١]. سبحان الله! محمد سيد الخلق، وأعظمهم منزلة، وأعلاهم مكانة، يستأذن صبيًّا!!

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أعطى النبي ﷺ الجالس عن يمينه، وهو الذي أمر بإعطاء الكبير أولاً كما في قوله ﷺ: «**كبِّر كبِّر**»، وما نُقل عنه أنه ﷺ إذا سقى قال: «**ابدءوا بالكبير**»؟

والجواب: إن هذا إشكال يحتاج إلى توضيح، وتوضيحه كما قال ابن حجر رحمه الله: «ويُجمع بأنه محمول على الحالة التي يجلسون فيها متساوين، إما بين يدي الكبير أو عن يساره كلهم أو خلفه أو حيث لا يكون فيهم فتخص هذه الصورة- وهي البدء بالكبير- من عموم تقديم الأيمن، أو يُخص من عموم هذا الأمر بالبداءة بالكبير ما إذا جلس بعض عن يمين الرئيس وبعض عن يساره، ففي هذه الصورة يُقدَّم الصغير على الكبير والمفضول على الفاضل. ويظهر من هذا أن الأيمن ما امتاز بمجرد الجلوس في الجهة اليمنى؛ بل بخصوص كونها يمين الرئيس، كالفضل إنما فاض عليه من الأفضل.

وقال أيضًا: «إن تقديم الأيمن سنة عامة في كل موطن، وإن تقديم الذي على اليمين ليس لمعنى فيه؛ بل لمعنى في جهة اليمين وهو فضلها على جهة اليسار»[٢].

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضرب أروع المثل في الاقتداء بالنبي ﷺ في استئذان الصغير في حقه، فكان أبو بكر فوق الستين من عمره حين استأذن أسامة بن زيد البالغ من العمر ثماني عشرة سنة أن يترك له عمرَ الفاروق ليساعده في شئون الخلافة وذلك بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وكان الرسول ﷺ قد بعث أسامة أميرًا على جيش لغزو الروم، وكان عمر أحد جنود هذا الجيش بقيادة أسامة، وتأخر

---

(١) **صحيح**: البخاري ومسلم، والغلام قيل: هو ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الفتح (١/ ٨٧).

خروج ذلك الجيش بسبب وفاة النبي ﷺ، ثم بعد دفن النبي ﷺ أمر أبو بكر رضي الله عنه بأن يمضي جيش أسامة لغزو الروم.

قال الإمام الذهبي: «قال أبو بكر: امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر فأستشيره وأستعين به. ففعل أسامة»[١].

أو أن يقدم للصلاة إن كان هو أحفظ القوم كما في حديث عمرو بن سلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليؤمكم أكثركم قرآنًا**»[٢]. وكان عمرو حينها أصغر قارئ (ست سنوات).

وقد امتثل أصحاب النبي ﷺ لتقرير هذا الحق للصغير، فعن عمرو بن سلمة قال: «وبادر أبي قومي بإسلامهم، فلما قَدِمَ قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقًّا، فقال: «**صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنًا**». فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني لِما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة، كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: غطوا است قارئكم. فقطعوا لي قميصًا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص»[٣].

وقد صحت الأحاديث بإمامة الأقرأ والأحفظ لكتاب الله، فهي حقه، قال ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سنًّا، ولا يؤم الرجل في سلطانه، ولا يُجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه**»[٤].

أو يصحبه معه ليحيا حياة الكبار، ويكتسب خبرات أكثر وأكثر، فمن حق الطفل أن يصحب الكبار ليتعلم منهم، فتتغذى نفسه، ويتلقح عقله بلقاح العلم والحكمة،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٢) انظر صحيح الجامع (٥٣٥٠).

(٣) صحيح: البخاري في الصلاة.

(٤) صحيح: الترمذي (٢٣٥).

والمعرفة والتجربة، فتتهذب أخلاقه، وتتأصل عاداته.

وقد كان النبي ﷺ قدوة في ذلك، فعلِمْنا أنه صحب أنسًا، وكذلكم صحب أبناء جعفر ابن عمه، والفضل ابن عمه، وها هو عبد الله بن عباس، ابن عمه ﷺ، يسير بصحبته ﷺ على دابته، فيستفيد النبي ﷺ من تلك الصحبة في الهواء الطلق، والذهن خالٍ، والقلب منفتح، فيعلِّمه كلمات على قدر سنه واستيعابه، في خطاب مختصر ومباشر وسهل، مع ما يحمله من معانٍ عظيمة يسهُل على الطفل فهمها واستخلاصها، يقول: **«يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»**[1] .

وينبغي أيضًا تعويده على مكارم الأخلاق، قال ابن القيم رحمه الله: «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلُقه، فإنه ينشأ على ما عوده المُربي في صغره من: حَرَدٍ، وغضبٍ، ولَجَاجٍ، وعَجَلَةٍ، وخِفَّةٍ مع هواه، وطيشٍ، وحِدَّةٍ، وجَشَعٍ، فيصعب عليه في كِبَره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولابد يومًا ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قِبَل التربية التي نشأ عليها، وكذلك يجب أن يجتنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه، عسر عليه مفارقته في الكبر، وعز على وليه استنقاذه منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية، والخروج عن حُكم الطبيعة عسر جدًّا.

وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي، ويعوده البذل والإعطاء، وإذا أراد الولي أن يعطي شيئًا أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء، ويجنبه الكذب والخيانة أعظم

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٢٥١٦) في صفة القيامة وصححه الألباني هناك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

مما يجنبه السم الناقع، فإنه متى سهَّل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة، وحرمه كل خير.

ويجنبه فضول الطعام والكلام والمنام، ومخالطة الأنام، فإن الخسارة في هذه الفضلات، وهي تفوت على العبد خير دنياه وآخرته، ويجنبه مضار الشهوات المتعلقة بالبطن والفرج غاية التجنب، فإن تمكينه من أسبابها والفسح له فيها يفسده فسادًا يعزُّ عليه بعد صلاحه، وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء» (١).

وقال الغزالي: «وينبغي أن يُعَوَّد ألا يبصق في مجلسه، ولا يتمخط، ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره، ولا يضع رِجْلاً على رجلٍ، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده؛ فإن ذلك يدل على الوقاحة، وأنه فِعل اللئام، ويُمنع اليمين رأسًا، صادقًا كان أو كاذبًا، حتى لا يعتاد ذلك من الصغر، ويُمنع أن يبتدئ بالكلام، ويُعود ألا يتكلم إلا جوابًا وبقدر السؤال، وأن يُحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سِنًّا، وأن يقوم لمن فوقه، ويوسِّع له المكان، ويجلس بين يديه، ويُمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك، فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء» (٢).

وبمثل هذا نخرج عالي الهمة، مع مزج ما سبق بالدعاء له، وأن تكون نية المربي لله تعالى خالصة لا تشوبها شائبة.

(٥) التدريب على حمل المسئولية منذ الصغر:

خاصة إن كان الصغير ولدًا، فالرجل بطبعه يحب المسئولية، وإذا كان الصغير مجبولاً على أنه خالٍ من المسئولية فلنبدأ نحن في تعليمه كيف يتحملها، نبدأ بتعليمه

---

(١) تحفة المودود (ص١٩٤ - ١٩٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٦٢).

كيف يقضي حاجاته وحده (يشرب، يأكل، يقضي حاجته) مع مساعدة وعون، نعلمه كيف يخلع ملابسه ويرتديها، وقد نسمح له بحل بعض المشاكل الصغيرة التي نرى له قدرة على حلها كـ(ربط الحذاء) مثلاً، أو إجراء المصالحة بين أخوين له أو صديقين، أو طلب المثابرة منه على فهم مسألة معينة، وبعثه برسائل لا تحمل طابع الأهمية إلى الجيران أو الأصحاب، أو إرساله لشراء بعض الحاجيات، وتعويده الاعتماد على النفس، ونعلمه كيف يتحمل النتائج المترتبة على خطئه هو، ويُعوَّد على ترتيب حجرته، ولم البعثرة التي يحدثها أثناء اللعب. وهذه الأمور على صغرها إلا أن لها أكبر الأثر بعد ذلك في إخراج الرجال.

يقول الدكتور عدنان باحارث[١]: «كما يمكن تحميل الولد المميز أعباء خطئه فيشعر بالمسئولية، ويحس بها من خلال تحميله مسئولية تنظيف ألعابه وأدواته التي تركها في فناء المنزل فأصابها المطر، وأتلف بعضها، كما يتحمل تكاليف كسره لزجاج النافذة بالكرة حيث أهمل ولم يلعب في المكان المخصص لذلك.

ويلاحظ الأب في تحميل الولد تبعات أخطائه أن يكلفه ويحمله الأخطاء التي ارتكبها عمدًا أو بتفريط منه، أما الأخطاء التي وقعت له بدون قصد أو سابق إرادة، فإنه لا يعاقب على ذلك، بل يشرح له ويبين، ويؤمر بأخذ الاحتياط في المستقبل، كما يحاول الأب أن يثيب الولد بعد اعترافه بخطئه وتحمله لتبعاته ونجاحه في ذلك، فيعطيه هدية، أو يظهر له الثناء على عمله وأنه راضٍ عنه، وذلك لئلا يشعر الولد بأن والده يكرهه أو يحقد عليه، بل يتعلم أن خطأه هذا هو الذي جر عليه غضب والده، وأن تحمله أعباء خطئه وإصلاح ما أتلفه أعاد له رضا والده عنه مرة أخرى.



---

(١) مسئولية الأب المسلم (ص١٦٧).

التربية بالقصة

* أهمية التربية بالقصة والزوايات.

* ثمان قصص إسلامية.

☆☆☆

أهمية القصة والروايات في تربية الأولاد

تعد القصة وسيلة تربوية هامة في منهج التربية الإسلامية، حيث لا يقتصر دورها التربوي وتأثيرها العاطفي والنفسي على الأطفال الصغار فحسب؛ بل يتعدى ذلك ليشمل الكبار والشيوخ، فهذا كتاب الله عز وجل قد تضمن بين دفتيه المباركتين قصصًا كثيرة تربى عليها الكبار في العهد النبوي وما بعده قبل أن يتربى عليها الصغار، فأثمر تأثيرها- ممتزجًا بباقي جوانب المنهج الإسلامي- نماذج بشرية فاقت كل جيل قبلها، وأعجزت كل جيل بعدها أن يماثلها أو يساويها.

إن وجود هذا العدد الهائل من القصص في كتاب الله عز وجل، وسرد بعضها بتفصيل دقيق، وذكر بعضها في أكثر من سورة، رغم الإيجاز في توضيح أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج، رغم أنها أركان الإسلام وأساساته، فهذه الشعائر التعبدية العظيمة لم يرد لها تفصيل في القرآن الكريم كما هو الحال في حق القصص القرآني الذي فُصِّل تفصيلاً دقيقًا وكثيرًا، إن في هذا إشارة بالغة الوضوح في أن لهذا القصص مكانته وأهميته التربوية في منهج التربية الإسلامية. وإذا كان الأمر كذلك فإن استخدام الأب للقصة في مجال توجيه الولد وتربيته، يعد أمرًا موافقًا لمنهج التربية الإسلامية الصحيح، خاصة وأن التربويين يكادون يجمعون على أهمية استخدام القصة في تربية النشء، وأن لها أثرًا تربويًا جيدًا على شخصياتهم، فهي تقوي الخيال عندهم، وتشد انتباههم، وتنمي لغتهم، وتُدخل عليهم السرور والبهجة، إلى جانب أنها تعلمهم الفضائل والأخلاق من خلال أحداثها المثيرة(١).

---

(١) انظر: سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، (ص٣٠٤). الإستانبولي، محمود =

وعند اختيار الأب للقصة يراعي بعض الأمور[1]:

(أ) أن تهدف إلى فوائد خلقية وأدبية وعلمية مع تجنب القصص السخيفة.

(ب) أن تضم جانبًا من الفكاهة والمرح لجذب انتباه الولد وإدخال السرور عليه.

(ج) إظهار الانفعالات على الوجه والصوت حسب المواقف المختلفة ليعيش الولد مع القصة.

(د) الثناء على أصحاب الفضل في القصة، وذم أصحاب الباطل والتقليل من شأنهم.

(هـ) تجنب الوقائع التاريخية التي لا يفهمها الأطفال وليس فيها دروس أخلاقية تنفعهم، مثل مقتل عثمان رضي الله عنه، أو موقعة الجمل، أو معركة صفين وغيرها من القصص التي لا تناسب الأطفال.

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأمور بعض القضايا الخاصة بالقصص المقروءة، فيراعي الأب أن تكون القصة مكتوبة بخط كبير وواضح، وبلغة سهلة ميسرة، مع استخدام الصور الزاهية الملونة[2].

أما ما يخص اختيار القصة نفسها من بين المعروضات المختلفة من قصص الأطفال، فإن الاهتمام بأدب الأطفال، والكتابة لهم، يعتبر من الاهتمامات الحديثة في هذا العصر، وقد أصبح في الآونة الأخيرة في توسع كبير، «إلا أن معظم هذه الكتابات تتم في غياب النقد والرقابة الوطنية التربوية»[3]، فالكتب والقصص الخاصة بالأطفال، والتي تُترجم إلى العربية لا تمثل في الحقيقة احتياجات أطفالنا، ولا تعالج موضوعات تخصنا؛ بل هي بعيدة عن واقع حياتنا الذي نعيشه، إلى جانب أن أكثرها ضعيف الترجمة والنقل إلى العربية، فتصعب على الطفل قراءتها[4].

= مهدي، كيف نربي أطفالنا، (ص٦٦). مراد، جوليا، قصص الأطفال، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣) (ص٨٦).

(١) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا (ص٦٩ - ٧٢).

(٢) مراد، جوليا، قصص الأطفال، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣) (ص٨٧).

(٣) معمر، عيد، أدب وأدباء الطفولة، مجلة التربية، العدد (٦٥)، (ص٥٧).

(٤) أبو النصر، جوليندا، تنمية القراءة لدى الأطفال العرب، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية (ص٢٦).

والقصص والمجلات المنشورة مثل: «سوبر مان»، و«لولو»، و«الوطواط»، و«ميكي» وغيرها تدور أحداثها حول المغامرات والعنف، وشخصيات خرافية وهمية غير حقيقية، وبعضها شخصيات حيوانات أو رجال فضاء، كما أن استخدام هذه المجلات للغة العربية العامية مكتوبة ومقروءة، يعد بلا شك أشد خطرًا على اللغة العربية الفصحى من كون العامية مسموعة فقط دون كتابة(١) .

ولا شك أن لهذه القصص بجانب هدمها للغة العربية الفصحى، فإن لها أثرها السيء في توجيه الأطفال، فهي لا تتضمن معاني تربوية رفيعة، كما أنها لا تهدف إلى غرس الأخلاق والقيم، إلى جانب أنها خرافية بعيدة عن الواقع والحقيقة، وأعظم من هذا كله أنها تُغفل وجود الله عز وجل بالكلية، وإن حدث وذكر جل شأنه، كان بلا دور حقيقي وفعال، فإن أبطال تلك القصص والمجلات هم الذين يتحكمون في الكون ومقدراته بما أوتوه من القوة الخارقة، والأجسام العملاقة، والأجهزة الفتاكة، ولا تخفى على الأب المسلم خطورة مثل هذه المنشورات على عقيدة الأولاد وأخلاقهم.

ويُضاف إلى هذا النوع من القصص والروايات التي يتجنبها الأب تلك القصص المرعبة التي تدور أحداثها حول الجن والشياطين، فإنها تضر الولد، وتوقع في نفسه الفزع والخوف، إلى جانب أنها لا تحمل قيمًا أو فائدة علمية(٢) .

والمربي أو الأب يجد وفرة من القصص القرآني والنبوي الذي يتميز بحقيقته وواقعيته وبعده عن الخيال والخرافة، فيقوي عند الولد صلته بالتاريخ الإسلامي المجيد، إلى جانب ما يتضمنه من تقوية العقيدة بالله، وأنه هو المؤيد للمؤمنين، المخزي للكافرين، كما أن هذا القصص يتضمن إبراز الصراع الدائم بين الحق والباطل، وانتصار الحق في النهاية، وفي القصص القرآني وصل للولد بالأمم المؤمنة السابقة وأنبيائها، فيستشعر الولد أن تاريخه يبدأ من آدم عليه السلام، وينتهي إلى

---

(١) الدسوقي، فاروق أحمد، مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي، وقائع ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين (ج١/ ص٣٥٢، ٣٥٣).

(٢) جرجس، ملاك، مخاوف الطفل وعدم ثقته بنفسه أسبابها والوقاية منها وعلاجها، (ص٢٦).

آخر إنسـان يقول: «لا إله إلا الله» على وجه هذه الأرض، وهذا الاستشعار الهام يوقد في قلبه جذوة الإيمان، ويهبه علو الهمة والشأن، حتى وإن كان ضعيفًا مغلوبًا على أمره فهو موصول بكل هذا التاريخ الطويل المجيد الضارب أطنابه في القرون الخالية واللاحقة، أما غيره من الأعداء والمجرمين فهم مبتورون منقطعون عن هذا التاريخ العظيم.

وعرض الأب أو المربي للقصص القرآني والنبوي على هذا النحو الفريد له بالغ الأثر على نفس الولد، ففي مجال اختيار القصص القرآني يمكن أن يعتمد على القرآن الكريم وكتب التفسير، وفي القصص النبوي يعتمد على سيرة الرسول ﷺ في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام، أو كتاب «زاد المعاد» لابن القيم.

وهناك من الكتب المعنية بالأطفال كثير كما كان لي شرف الكتابة فيها، فقد أصدرت دار الفجر مجموعة من كتب الأطفال تهتم بالقصص وهي كالآتي: (قصص الأنبياء، السيرة النبوية للأطفال، حياة الصحابة للأطفال، من وصايا الرسول ﷺ للأطفال، فقه السنة للأطفال) وهي من الكتب التي لاقت رواجًا كثيرًا بحمد الله تعالى، وننصح الأب أو المربي عمومًا بالتحضير والقراءة المسبقة مع اختيار وسيلة جيدة للعرض، ليؤهل الصغير بعد ذلك للقراءة، ويزرع فيه حبها، وهذه قصص ثمانٍ نمزج فيها بين القصص القرآني والنبوي، فاستعن بها بعد الله تعالى.



رحلة العجائب
قصة موسى والخَضِر[1] عليهما السلام

وقف موسى عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل[2] يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر، ويُذكِّرهم بالله وطاعته، حتى بكت العيون، وخشعت القلوب، فقام رجل من بني إسرائيل فقال: مَن هو أعلم[3] الناس؟ فقال موسى عليه السلام: أنا. وانصرف بنو إسرائيل، وبقي موسى عليه السلام وحده، فأوحى الله إليه يُعلِّمه أن هناك مَن هو أعلم منه، فقال موسى عليه السلام: ومَن هو يا ربِّ؟ فقال الله تعالى: عبدٌ لي اسمه: الخَضِر بمجمع البَحْرين[4]. فقال موسى عليه السلام: كيف أراه؟ وكيف أصل إليه يا رب؟ فقال الله عز وجل: خذ حوتًا[5] في مِكْتل[6] فإذا فقدت الحوت فارجع إلى مكان فقده، فهذه علامة على مكان الخضر. فاستدعى موسى عليه السلام فتاه (يُوشَع بن نون) وأمره أن يأتي بحوتٍ في مكتل، وأن يستعد للسفر معه إلى مجمع البحرين، في رحلة علمية سيريان فيها العجب العُجاب.

وانطلق موسى عليه السلام إلى مجمع البحرين، يتمنى لقاء (الخَضِر) ليتعلم منه ما علَّمه الله، ولا عجب فالمرء يتعلم طيلة حياته، ولا ينبغي ترك العلم حتى الممات، والإنسان مهما آتاه الله من العلم هناك مَن هو أعلم منه، والله تعالى الذي له العلم كله، والبشر إنما يتعلمون جزءًا من علم الله تعالى.

كان الخضر شخصية عجيبة، فقد علمه الله علومًا لا يفهمها إلا هو، وكان الخضر قد ذهب ليجلس على فَرْوةٍ فلما قام عنها إذا بها تهتز خضراء، فسماه الناس:

---

(١) **الخَضِر**: بفتح الخاء وكسر الضاد.

(٢) **بني إسرائيل**: هم قوم موسى عليه السلام.

(٣) **أعلم**: أكثر الناس علمًا.

(٤) **مجمع البحرين**: اسم لمكان.

(٥) **الحوت**: السمكة الكبيرة.

(٦) **المكْتل**: الزنبيل، أو القُفَّة، وهو وعاءٌ من خوص.

الخضر، وصار هذا اسمه الذي اشتُهر به بين الناس.

وكان الزمان القديم قبل بعثة رسول الله ﷺ إذا بُعث النبي يُبعث إلى قومه فقط، فيمكن أن يكون في الزمان الواحد أكثر من نبي، فلما بُعث رسول الله ﷺ كانت بعثته للناس جميعًا، فليس بعده من رسول، فلم يكن غريبًا أن يكون في زمان موسى عليه السلام أكثر من نبي: هو، والخضر عليهما السلام.

كان موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون يقطعان الطريق من ديار بني إسرائيل إلى مجمع البحرين لعلهما أن يلتقيا بالخضر، والحوت كائن مائي إن ترك الماء وخرج منه مات، وهذا بالضبط ما حصل للحوت الذي وضعه (يوشع بن نون) في المكتل، لكن حدث العَجَبُ العُجاب!! لقد نام موسى عليه السلام ونام معه فتاه يوشع بن نون عند صخرة من الصخرات الكبيرة القريبة من البحر، فإذا بالحوت يأمره الله تعالى أن يعود حيًّا، والله على كل شيء قدير، فعاد الحوت يهتز كما كان، فخرج من المكتل ليتوجه إلى البحر، ويتابع طريقه ليعود من حيث أتى، دون أن يشعر موسى عليه السلام ولا فتاه يوشع بن نون، فلا زالا نائمين، فما إن استيقظا حتى واصلا طريقهما باحثين عن الخَضِر عليه السلام، فمضى اليوم، ومضت الليلة ولم يجداه، فلما كان الغدُ وهما يواصلان البحث، أحس نبي الله موسى عليه السلام بالجوع الشديد، فقال لفتاه: آتنا غداءنا، فقد أصابنا من هذا السفر الطويل نصبٌ وتعبٌ. فنظر يوشع في المِكْتل فلم يجد الحوت، فقال لنبي الله موسى: أرأيت لو رجعنا إلى الصخرة التي كنا نائمين عندها، فإني نسيت الحوت هناك. فاستبشر موسى عليه السلام وفرح على ما به من الجوع، لأن فقد الحوت علامة لقائه بالخضر عليه السلام، فعاد إلى الصخرة سريعًا وهو يقول لفتاه: ذلك ما كنا نبغ[1]. وعاد ينظر إلى آثار قدميه حتى وصل إلى هذه الصخرة.

هناك عند الصخرة كان الخضر عليه السلام قد حطَّ رحاله، ثم تسجَّى[2] بثوب له، وبعد رحلة العجب إذا بالخضر يرى أمامه مَن يُلْقي عليه السلام، فردَّ الخضر

---

(١) نبغ: نريد.

(٢) تسجى: تغطى.

السلام، فقال موسى عليه السلام: أنا موسى!! فقال الخضر: موسى بني إسرائيل؟ فقال كليم الله[١] في تواضع: نعم، أتيتُك لتُعلِّمني مما علمك الله من الهداية والعلم. وهذا أدب الاستئذان الذي ينبغي أن يتأدب به الطالب مع شيخه وأستاذه، فقال: إنك يا موسى علَّمك اللهُ علمًا لا أعلمه أنا، وعلَّمني اللهُ علمًا لا تعلمه أنتْ. فقال موسى عليه السلام: هل أتَّبِعُكَ؟ قال الخضر: لكنك لا تستطيع أن تصبر على ما سأفعله، فهو علمٌ لم يُخبرك الله به. قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا. فقال الخضر عن الشرط الذي وضعه ليلتزم به نبي الله موسى: فإن اتَّبعْتَنِي فلا تسألني عن شيءٍ حتى أكون أنا الذي أبدأ بالحديث عنه. فوافق موسى عليه السلام على هذا الشرط، وقَبِلَ به.

وانطلق الرجلان في رحلة علمية تستحق أن تُسمَّى (رحلة العجائب)، ولم يدر موسى عليه السلام أن العلم الذي علمه الله للخضر أغرب وأعجب مما تعلمه هو، وأن صبره سينفد عند أول لقاء، ولتبدأ الرحلة.

شيخٌ وطالبٌ وقفا على شاطئ البحر في انتظار سفينة تُقلُّهما إلى الوِجْهة التي أراد الذهاب إليها، وسرعان ما لاحت[٢] على البعد سفينة، فأشار إليها، فوقف أصحاب السفينة لينظروا مَن يشير إليهم، فإذا بهم فَرْحى إذ وجدوا أن مَنْ يشير لهم بالتوقف: الخضر ذلك الرجل الصالح، فلم يكن الشيخ والطالب إلاَّ: الخضر وموسى عليهما السلام، فرحبوا بهما أشد الترحاب، وأركبوهما معهم على الرَّحب والسعة، بلا أجرة يدفعونها، وجاء عصفور فوقف على حرف السفينة، فنقر بمنقاره في البحر نقرةً أو نقرتين، فقال الخضر لموسى عليه السلام: يا موسى!! فانتبه نبي الله الكليم ليسمع أول درس يُلْقى عليه من نبي الله الخضر عليه السلام، والذي قال له: ما نَقَص عِلْمي وعِلْمُك من عِلم الله إلا مثل هذا العصفور بمنقاره في البحر!! فعلم الكليم أنه أمام نبي متواضعٍ عالمٍ، فإن العلم يغرس في أصحابه التواضع، وأجمل ما يكون التواضع لله تعالى الذي أحاط بكل شيء علمًا، فما علم البشر

---

(١) **كليم الله**: لأن الله تعالى كلَّم موسى عليه السلام من غير حجاب.

(٢) **لاحت**: ظهرت.

جميعًا مهما زاد بما فيه علم الأنبياء إلا كنقطة أو نقطتين في بحر عظيم واسع ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).

راحت السفينة تمخر عُباب البحر، تعلو فوق أمواجه حتى وصلت إلى وسط البحر، ووسط البحر أعلاه، وفوق السفينة ركاب، وأصحابها مساكين يبدو عليهم الفقر، ورغم ذلك حملوا الخضر وموسى عليهما السلام بغير أجرة، ووسط انشغال أصحاب السفينة بقيادتها وسط الريح والأمواج إذا بموسى عليه السلام يرى شيخه الخضر، الأكثر منه علمًا يفعل شيئًا إِمْرًا[1]: إن الخضر تناول فأسًا، ونزع لوحًا من ألواح السفينة!! وإذا بنبي الله موسى عليه السلام يستشعر الخطر، فهذا اللوح سيدخل الماء منه، فيغرق السفينة بأهلها، وما ذنب أصحابها المساكين الذين فعلوا معروفًا معهما، فقال في غضبٍ: أخرقت السفينة لتغرق أهلها وأصحابها!! أصحابها حملونا بغير أجرة تكافئهم على معروفهم بإغراق سفينتهم!!

وفي هدوء وسكينة قال الخضر لموسى مُذكِّرًا بالشرط الذي قطعه على نفسه: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا؟! فهدأت نفس الكليم وهو يعلم أن قدر الله لا يحمل إلاَّ الخير لأصحابه، وأن الله لا ولن يعلم الخضر ما يؤذي به الناس، فهناك حكمة خافية، وستظهر عمًّا قريب، فليصبر.

فقال موسى عليه السلام: لا تُؤاخذني فقد نسيت، ولا ترهقني[2]، فإن ما أراه صعبٌ عليَّ. إن موسى عليه السلام إنما أخذته رِقَّةٌ وشفقةٌ بالبشر من أصحاب السفينة وركابها، وهذا حال الأنبياء جميعًا عليهم السلام رقة ورحمة ورأفة. لقد وصلت السفينة إلى الساحل فنزل النبيان الكريمان وشكرا أصحاب السفينة على معروفهم.

لم يكن الخضر عليه السلام ينتقل في الأرض إلا بأمر الله تعالى وبوحيه، وهذه المرة انطلق مع نبي الله موسى إلى قرية من القُرى، وكأنما يبحث الخضر عن شيء بعينه داخل طُرق هذه القرية، حتى وصل إلى مجموعة من الصبيان يلعبون، تلتمع

---

(١) إمرًا: مُنكرًا عجبًا هائلاً.

(٢) ترهقني: لا تحملني فوق طاقتي، فإن فيما أراه شدة عَلَيَّ.

في عيونهم براءة الصغار، ويشع منهم الطُّهر، وبينهم طفل هو أحسنهم وأجملهم، يقفز في براءة، ويتقلب مع الصغار، فيضحك معهم ويبتسم حتى إن العيون إذا رأته تمنت أن يكون لها مثله من الولد. ويظل الخضر يحوم حول هؤلاء الصغار حتى استدعى هذا الصغير الجميل من بينهم، وذهب به بعيدًا، وموسى عليه السلام ينظر إليه ما سيفعل به، وفجأة، وبدون مقدمات إذا بالخضر يـ... يقتلع رأس هذا الغلام!! نعم، لقد قتل الخضر طفلاً صغيرًا، فأسرع نبي الله موسى عليه السلام، وهو هذه المرة غير ناسٍ، بل متذكر للشرط الأول، أسرع ليقول للخضر: أقتلت نفسًا زكية[1] بغير ذنب فعلته، وبغير نفسٍ قتلتها، لقد فعلت شيئًا نُكرًا[2]. وعاد الخضر عليه السلام في هدوءٍ ليُذكر الكليم عليه السلام بما اشترطه عليه، ورضي هو به فقال: ألم أقل لك: إنك لن تستطيع معي صبرًا؟! فهدأ الكليم، وطابت نفسه، وعادت السكينة إلى نفسه، لكنه اشترط على نفسه شرطًا أصعب فقال: إن سألتُك بعدها فلا تُصاحبني، قد بلغت من لدنِّي عذرًا[3]. ولم يكن موسى عليه السلام قد فعل ذلك إلا حياءً من الخضر عليه السلام، فقبل الخضر عليه السلام هذا الشرط الذي ألزم موسى عليه السلام به نفسه، ثم انطلقا.

لوحٌ يُقلع من سفينة للمساكين!! وصغيرٌ يُقتل على براءته!! ماذا سيفعل النبيان الكريمان من العجائب إذن؟ إن العجيبة الثالثة في طريقهما، كما أن موسى والخضر عليهما السلام لا يزالان في طريقهما، لكنّ شعورًا بالجوع بدأ يهاجمهما، فرحلة موسى عليه السلام من ديار بني إسرائيل إلى مجمع البحرين دون طعام كفيلة وحدها بأن تقتله جوعًا، فكيف بما بعدها من رحلة البحر وقرية الغلام؟

ولا أحد يدري كم مشى الخضر عليه السلام هو الآخر، وهما بشر من البشر؛ يجوعان ويعطشان!! وكانا قد وصلا إلى قرية، هي قرية البُخل واللُّؤم، فإن أهلها أبَوا أن يضيفوهما[4]، ومضى الخضر يسير بموسى حتى وصلا إلى جدارٍ من جدران

---

(١) زكية: بريئة، طاهرة، صالحة.
(٢) نُكْرًا: منكر.
(٣) أي: صبرت عليَّ، وانتهت أعذاري إليك.
(٤) أبَوْا: رفضوا. يضيفوهما: يقومون بواجب الضيافة وكرمها.

هذه القرية قد أوشك على السقوط، فراحا يبنياهُ من جديد، الخضر يبني وموسى يناوله ويساعده حتى تم البناء بلا أجرةٍ، ولا عطاءٍ على شدة جوعهما، فإن موسى عليه السلام رأى أهل هذه القرية بخلاءَ لِئامًا لا يستحقون المعروف، فإذا به يقول للخضر: لو كنا أخذنا على هذا البناء أجرًا؟! وهنا قال الخضر: هذا فِراقُ بيني وبينك!!

لقد نسي موسى هذه المرة الشرط الذي وضعه هو على نفسه بعدم سؤال الخضر، فإن سأله يفارقه فورًا، وقد فعل، وهما نبيان كريمان، والنبي لا يُخْلِف وعده أبدًا، وقبل الفراق أراد الخضر أن يعلم موسى ما وعده به من العلم.

حقائق وغرائب لا يمكن أن يتصورها العقل وحده، فإن الخضر الآن يبُث الأسرار لموسى عليه السلام ليعلم أنه فوق كل ذي علم عليم، فقال: سأنبئك[1] بتفسير ما لم تصبر عليه:

أما السفينة التي خرقتها، ونزعت اللوح منها: كانت لمساكين يعملون في البحر، لا يملكون غيرها، وكان وراءهم بمسافة قليلة ملكٌ ظالمٌ من الملوك، يأخذ السُّفُن من أهلها غصبًا وكراهية، فإذا ما وجد السفينة بها عيبٌ تركها لأصحابها وأهلها.

وبذلك نستطيع نحن أن نقول: إن الملك جاء إلى السفينة فوجد لوحًا من ألواحها منزوعًا فتركها للمساكين، فشكر المساكين الله تعالى أن نجَّاهم منه، وهكذا صارت المصيبة خيرًا لأهلها.

وأما الغلام. فكان أبواه مؤمنين، ولو كبر لصار كافرًا فأتعبهما، فأراد الله تعالى أن يموت هذا الغلام رِفقًا بأبويه المؤمنين، على أن يرزقهما بولدٍ أو بنتٍ أخرى مؤمنة يكون قُرَّة عين لهما، وهكذا صار الموت خيرًا من الحياة، وقَدَرُ الله تعالى يحمل الخير دائمًا للعباد.

وأما الجدار الذي بنياه: فإنه لغلامين صغيرين يتيمين في المدينة، وكان أبوهما صالحًا، وقد دفن تحت الجدار كنزًا[2]، فأراد الله تعالى أن نبني هذا الجدار حتى لا

---

(١) أنبئك: أخبرك.

(٢) الكنز: المال المخبوء تحت الأرض.

يسقط ويظل الكنز تحته، حتى يكبر الغلامان فيستخرجا هذا الكنز بإذن الله، فحفظ الله الغلامين بصلاح أبيهما.

وعلى وجه موسى عليه السلام ارتسم العجب، وبَدَت[1] علامات التعجب والفرح والسرور، وتمنى أن لو كان تابع المسير حتى يرى العجب العُجاب في رحلة الغجائب.

وافترق النبيان الكريمان كلٌّ عائدٌ إلى حيث وجَّهه الله تعالى، وبعد أن مضى زمن طويل، حكى لنا النبي ﷺ هذه القصة، فتمنى أن لو صبر موسى عليه السلام ليعلمنا الله به خيراً كثيراً فيقول: «يرحم الله موسى، لو كان صبر يُقصُّ[2] علينا من أمرهما!!».

☆☆☆

الدروس المستفادة

(١) الله تعالى أحاط بكل شيء علمًا.

(٢) فوق كل ذي علم عليم.

(٣) ردُّ العلم دائمًا إلى الله تعالى بقولنا: اللهُ أعلم.

(٤) الإيمان بالقضاء والقدر.

(٥) التأدب بآداب الاستئذان، والصبر على العلم.

(٦) قدر الله خيرٌ دائمًا للإنسان.

(٧) العقل وحده لا يكفي في فهم الأمور، بل لابد من الوحي: الكتاب والسُّنة لنفهم الأمور فهمًا صحيحًا.

(٨) العُذر للناسي، لأن النسيان طبيعة بشرية.

(٩) يظل المرء يتعلم حتى الموت.

---

(١) بدت: ظهرت.

(٢) يَقُص: يحكي القصة.

(١٠)إذا كان الأدب مع العلماء مستحبًّا، فإنه مع الله تعالى واجب وفرض.

☆☆☆

الأسئلة

اختر الصحيح من بين الأقواس:

- وعاءٌ من خوص يسمى الزنبيل أو القُفَّة، وضع فيه فتى موسى الحوت... (المكتل- الصندوق- القفص).

- كان لقاء نبي الله موسى مع الخضر في مكان يُسمى.... (مجمع النهرين- مجمع البحرين- مجمع الأرضين).

- ركب موسى والخضر سفينة كانت لمساكين يعملون في.... (البر- البحر- الجو).

- كان تحت الجدار للغلامين اليتيمين.... (كنز- زرع- مال).

من هو؟

- فتى موسى عليه السلام المذكور في القصة؟

- النبي الذي صاحبه موسى عليه السلام ليتعلم منه؟

- النبي الكريم الذي تمنى أن يصبر موسى عليه السلام على الخضر ليقص من خبرهما؟

- **[الصخرة- السفينة- الجدار]: لكل كلمة من هذه الكلمات وظيفة في القصة، فما هي؟**

اذكر لنا السبب في الآتي:

(١)قلع الخضر للوح من السفينة. (٢)قتل الخضر للغلام.

(٣)بناء الخضر وموسى الجدار.

الإجابات

(المكتل- مجمع البحرين- البحر- كنز).

(يوشع بن نون- الخضر- محمد ﷺ.

(الملك- الساحر- والغلام)

أصحاب الأخدود

هل يمكن لغلامٍ صغيرٍ أن يغيِّر حياة أُمَّةٍ بأكملها؟ وهل يمكن لغلام صغير أن يزرع الإيمان داخل قلوب الكبار؟

إن الإيمان لا يعرف وطنًا إلا قلوب الصالحين، ولا يعرف سنًّا، إنما المؤمن بعمله لا بسنِّه ولا بعمره، والصغار ربَّما فاقوا الكبار بإيمانهم وأعمالهم الصالحة؛ بل ويظل التاريخ يذكرهم ضمن العظماء الذين تبقى سيرتهم وأعمالهم سجلاً من نورٍ لا يمحو سطورها أحد.

وهذا بالضبط ما فعله غلام أصحاب الأخدود «عبد الله بن الثامر» الذي جعله الله سببًا في إسلام قرية بكاملها تحوَّلت من الكفر إلى الإيمان، فتزلزل عرش[1] الملك الظالم، واختنق صوت الكفر، ومات السِّحر، وعاش الإيمان حيًّا رغم أن أصحابه قُتِلوا حرقًا بالنار، بعد أن حُفر لهم الأُخدود[2] وأشعلت فيه النيران، وأُلقي فيه المؤمنون حتى الأطفال الرُّضع منهم، لكن بقيت قصتهم حية، قُرآنًا يُتلَى[3]، وسيرة للمؤمنين والصالحين.

يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑨ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١- ١٠). هذه هي القصة كما ذكرها القرآن الكريم، ولكن للقصة حكاية حكاها النبي ﷺ للصحابة لتصل إلينا، فكيف كانت أحداثها؟

---

(١) **عرش**: كرسي المُلْك.

(٢) **الأخدود**: شِق - حفرة - مستطيلة في الأرض.

(٣) **يُتْلَى**: يقرأ.

بعد أن رفع الله نبيه عيسى عليه السلام إلى السماءِ، ومضى على ذلك زمنٌ، لم يُبعث نبيٌّ ولا رسولٌ حتى بُعث رسول الله ﷺ ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، وخلال هذه الفترة الخالية من الأنبياء كان الصالحون من كل قومٍ يعظون قومهم ويدعونهم إلى الحق، بينما عَلاَ بعض الكفار في الأرض وأعلنوا كفرهم وشركهم، وجعل بعضهم نفسه إلهًا يُعبد من دون الله تعالى، هذا ما حدث بالضبط مع الملك الظالم الذي حكم القرية التي دارت فيها أحداث قصة أصحاب الأخدود، فقد كان كافرًا ظالمًا، أجْبَرَ الناس وأرغمهم على عبادته من دون الله، واستعان بأحد السَّحرة المهرة الذين يخدعون الناس بألاعيبهم، ويسيطرون عليهم بقوة تأثيرهم ومساعدة شياطينهم.

ومضى زمن ولا زالت الأحوال كما هي لم يتغيَّروا إلاَّ شيئًا واحدًا: لقد كَبُر الساحرُ وأدركته الشيخوخة، فضعفت عظامه، وشاب شعره، وبدأ يشعر بأن أيَّامه في الحياة صارت معدودة، وأنه بين لحظة والأخرى ينتظر الموت لتخرج روحه من جسده، فذهب الساحر إلى الملك يقول له: إنِّي قد كبرت سني، فاختر لي غُلامًا أعلمه السحر.

لقد كان الساحر هو السبب الذي ثبت أركان مُلك هذا الظالم، فهو شريك للملك، ويريد أن يُورِّث هذا الباطل وهذا الظُّلم حتى لا يضيع ما قدمه خلال سنوات حياته التي ضيعها في السحز وهو باطلٌ.

وذهب رجال الملك في كل مكان من أرجاء[١] مملكته لاختيار أذكى غلام ليكون تلميذًا للساحر، وخادمًا للملك، فما تركوا صغيرًا إلا وجرَّبوه حتى وقع اختيارهم على غلامٍ من الغلمان، هو الأذكى بينهم، فقد بدت على وجهه معالم النَّباهة والفِطنة[٢]، فسُرعان ما قرزوا اصطحابه ليكون السَّاحر الجَديد. وانطلق الغلام «عبد الله بن الثامر» إلى الساحر ليشهد أول درس من دروس السحر على يد الساحر العجوز، يُحَدِّث نفسه بالمال، والغِنى، والمكانة العالية، والقُرب من الملك، وما من

---

(١) أرجاء: نواحي وجهات.

(٢) الفطنة: الذكاء.

عينٍ إلا وتنظر إليه تتمنى أن تكون مكانه قريبًا من الملك وقصره، بينما كانت الأقدار تحمل السعادة لعبد الله بن الثامر، كأنها تقول له: أرادوك ساحرًا، والله يريد لك خيرًا، وهم يريدون، والله فعَّال لما يريد.

اختار الساحر غلامًا صغيرًا يعلمه السحر؛ لأن الغلام الصغير صافي الذهن، بعيدٌ عن المشاكل والمشاغل، ولأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، و بدأت دروس السِّحر يلقيها الساحر العجوز على تلميذه ابن الشامر، وبدأ عبد الله يكتشف أن السحر ما هو إلا أكاذيب وخداع وحيل تعتمد على خِفّة اليد، وقوة تأثير الساحر على من أمامه من الناس، فقلَّ حُبُّه للسحر، وفي طريقه إلى الساحر يرى عجبًا: إنه راهب(١) من الرُّهبان يتعبد لله تعالى في صومعته، فكان الغلام يتسلل إلى حيث الراهب فيستمع إلى ما يقوله من دعاء في صلاته!! فسمع الغلام كلماتٍ لم يكن أهل قريته يعرفونها، ولم يُرددها أحد منهم أمامه من ذي قبل، لقد سمع الراهب يردد: لا إله إلا الله، سمعه ينادي: يا ربِّ، سمعه يقرأ من الآيات ما يقرأ، فأحَسَّ الغلام الصدق في كلامه، فكان يجلس إليه كل يوم حتى عرف أن للكون إلهًا أعظم وأكبر من هذا الملك الظالم، إن الإله الذي خلق الكون لا ينام ولا يغفل، ولا يجوع ولا يعطش، والملك الظالم ينام، يجوع، يعطش، يحتاج إلى من يخدمه، والإله الذي يملك ويخلق لابد أن يكون مستغنيًا عن خلقه، الخلق يحتاجون إليه، لا هو الذي يحتاج إليهم، والملك يحتاج إلى الساحر والسحر، فكيف يكون إلهًا وهو فقير ضعيف، لو أن برغوثًا قرصه لم يستطع النوم ليلته. فأقرَّ الغلام بالعبودية لله، وآمن مع الراهب بالله العظيم، لكن في كل يوم مشكلة تحدث، مشكلة واحدة لا تتغير!! الغلام يذهب إلى الراهب فيتأخر عنده، فيضربه الساحر، فإذا ما ذهب إلى الساحر وبدأت دروس السحر تأخر، فإذا عاد إلى أهله ضربوه مرة ثانية!! إنه صغير، والضرب شديد، وليت الضرب مرة و احدة، لكنه مرتان وكل يوم، فماذا يفعل؟ شكا ذلك إلى الراهب، قال له الراهب: إذا أراد الساحر ضربك فقل:

---

(١) راهب: رجل نصراني منقطع للعبادة في بيت يُسَمَّى (صومعة) وهو أمر كرهه الإسلام وحرَّمه لأن فيه انشغالاً عن الجهاد، والشيطان أقرب منه للواحد من الاثنين.

حبسني [1] أهلي. وإذا أراد أهلك ضربك فقل: حبسني الساحر. وكفَّ الضاربون عن الضرب، وعادت الحياة إلى ما كانت عليه من الهدوء، واستمر عبد الله يتلقى دروس السحر بغير اهتمام، بينما يتلقى دروس العقيدة والتوحيد بكل اهتمام، وهكذا اختار الله الخير لابن الثامر.

السَّاحر: إما كاذب مخادع يخدع الناس بألاعيبه وحِيَلِه، فهو كذاب. وإما يخدم الشياطين ويخدمونه فهو كافر بالله العظيم، لكن معه الغِنَى، وعنده المال، وبالسحر يكون القُرب من الملك. والراهب: رجل مؤمن فيه صلاح وتقوى، لكنه فقير منعزل عن الناس. فأيهما أقرب إلى الصواب؟ وأيهما الذي يتَّبِعه عبد الله بن الثامر؟

كانت هذه الأسئلة تدور في رأس عبد الله، فإنه يريد أن يُقرر مع مَن يكون؟ مع الساحر أم الراهب؟ وجاءت اللحظة التي عرف فيها إلى أيِّ الفريقين سينتمي، ومع مَن يكون:

هذه أصوات عالية، وزحام شديد، والصغار قد اختلطوا بالكبار، والبهائم بالبشر، ولا يدري عبد الله ما حدث حتى اقترب، فرأى دابة [2] عظيمة قد سدَّت طريق الناس، فنظر عبد الله إليها وقد التقط حجراً من الأرض ثم قال: اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم الراهب؟ ثم دعا الله عز وجل قائلاً: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي [3] الناس. ثم ألقى بالحجر الصغير، فماتت الدابة، فمرَّ الناس ذاهبين إلى أعمالهم وإلى حيث يريدون، وحملت الغلام رجلاه إلى الراهب، فأخبره بخبر الدابة، فقال الراهب: أي بني! إنك اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى [4]، وإنَّك ستُبتلى [5]، فإن ابتُليتَ فلا تَدُلَّ عليَّ. واستقبل الاثنان القبلة، ودخلا في صلاة مليئة بالخشوع والدعاء والبكاء من خشية الله تعالى.

---

(١) حبسني :أخّرني.

(٢) الدَّابة :كل ما له قدمٌ أو حافرٌ يَدُبُّ به على الأرض.

(٣) يمضي :يمُر.

(٤)يعني: صرت خيراً مني، ودعاؤك مستجاب.

(٥) ستُبْتلى :تعذَّب وتُمْتحن.

كان للملك جليسٌ أعمى، يتمنى أن لو أنفق ما عنده من المال والثروات مقابل أن يرى النور ولو مرة واحدة، فـإن فاقد البصر لا يعرف دائمًـا إلا الظلام بعد أن انطفأ نور عينيـه، وعلم الجليس الأعمى أن في المملكة طبـيب صغيـر السن يشفي المرضى من جلسة واحدة، فجمع هَدايا وأموالاً وأشياء ثمينة[1] نفيسة[2] ، وحملها متوجهًا إلى دار الطبيب لعله أن يشـفيه بطبه ودوائه فيـعود إليه بصره ليـرى مرة أخرى، ثم دخل الجليس الأعمى على الـطبيب الصغيـر ليقول: كل هذه الهـدايا وهذه الأموال والتُّحف لك إن أنـت شفيـتني ورددت إليَّ بصري. فـقال الطبيب: لـكني لا أشفي أحدًا. فقال الأعمى: إن كنت لا تشفي أحـدًا، فمَن يشفي؟ فقال الطبيب: ربي الله يشفي!! فقال الأعِمى: الله!! فقال الطبيب: إن أنت آمنت بالله دعوته فشفاك. فآمن الجليس الأعـمى بالله، فدعـا الطبـيب الله، فعـاد إلى الأعـمى بصره ليـرى النور، ويضيء قلبه ليرى الحقيقة، لقد شهد أنه: لا إله إلا الله!!

ولما تفتحت عيناه لم يجد الطبيب إلا: عبد الله بن الثامر!! نعم، إنه هو، عوَّض الله بالدعاء المستجاب بدلاً من السِّحر، فلن يتـرك المرء شيئًا من الحرام إلا عوَّضه الله خيرًا منه من الحـلال، لقد أعطى الله تعالى الغلام نعمـة الدعاء المستجاب، فـيدعو الغلام ربَّه للمريض فـيُشفى بإذن الله، وكانْ ممن دعا له فـشُفي هذا الجليس الأعمى الذي صار مبصرًا، فآمن بالله العظيم.

ويستـدعي الملك جليسه فـإذا به يراه قد صار مبـصرًا، فيـقول له الملك: مَنْ ردَّ عليك بصرك؟ وهنا تأكـد الجليس بأن الملك مجرد بشـر، فالإله لا يخفى عليـه أمر أحد من خلقه، ولا يسـأل أحدًا منهم عن حاله؛ لأن العلم من صـفات الإله، فلما سأل الملك الجليس عمن رد إليه بصره عَلِمَ الجليس أنه جاهل، مجرد إنسان لا أكثر، فقال: شفاني الله. فقال الملك: أوَ لَكَ ربٌّ غيري؟! فقال: ربي وربُّك الله.

فهاج الملـك، وغضب، وثار، فقد حدث مـا كان يخشاه، لقـد عرف الناس الله وآمنوا به، فمُلْكه في خطر، وعـرشه يتزلزل من تحتـه، وليس بينه الآن وبين الهلاك

---

(١) ثمينة: غالية الثمن.

(٢) نفيسة: نادرة.

إلا القليل، فلابد من معرفة مَن يدعو الناس إلى الإيمان.

أنين[١] ، وتأوه[٢] ، ورجال يضربون رجلاً يعذبونه عذابًا أليمًا بأمر ملكهم، حتى نطق الشخص المُعذَّب: إنه الغلام عبد الله بن الثامر. لقد عذِّب الجليس الذي أبصر ليرى نفسه معذبًا، حتى دلَّ الملك وحُرَّاسه على الغلام، وأخبرهم أنه الذي دعاه إلى الإيمان، وبسرعة كانت أقدام جنود الملك تسابق الريح لإحضار الغلام أمام الملك، فقال الملك له: أي بني، هل برعت في السِّحر حتي صرتَ تشفي المرضى؟! فقال الصغير في ثبات واطمئنان: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي اللهُ. فجُنَّ جنون الملك فقد زاد عدد المؤمنين إلى اثنين، فأمر بتعذيب الغلام، فعُذِّب رغم صغر سنه حتى دلَّهم على الراهب، ثم أُحضر الراهب، فوقف المؤمنون الثلاثة أمام الملك في قصره وبين جنده، وتحت تهديد السلاح والسيوف!! لكن الثلاثة المؤمنون هم الأقوى من ذلك كله، قوَّاهم الإيمان لعلمهم أن الله تعالى قدَّر المقادير، وأن الملك لن يقدرعليهم إلاَّ بأمرالله، فلن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم.

وخيَّر الملك الراهب بين الكفر وبين القتل، فاختار الراهب القتل على الكفر، فنشروه بالمنشار، فقسموه نصفين، فلقي الله تعالى شهيدًا، بينما جيء بالجليس فقيل له: تكفر بالله أو تُقتل كما قُتل الراهب؟ فاختار القتل على الكفر، فوضعوا المنشار على رأسه فشقوه إلى نصفين، فلقي الله تعالى شهيدًا، ثم بقي الغلام، وقد رأى مصرع صاحبيه، لكنه لم يزدد إلا إيمانًا بالله العظيم، فلو كان إلهًا فلماذا لم يعلم بأمر الجليس؟ ولِمَ لم يشفه ويردُّ إليه بصره؟ ولِمَ عجزَ عن ردِّ الراهب والجليس إلى الكفر بعد الإيمان؟ إنه ضعيف ولو كان قويًا لواجههم بالحجة!! وهنا قيل للغلام: تكفر بالله، أم تُقتل كما قُتل صاحبيك؟ فاختار هو الآخر القتل على الكفر، فوضع المنشار على رأسه استعدادًا لقتله.

صيحات تعجب!! ونظرات غيظ من الملك!! وابتسامة رقيقة من الغلام ابن الثامر الذي يبدو كعصفور صغير، فقد تعطَّل المنشار عن العمل، فلم يستطع جند الملك

---

(١) الأنين: صوت الألم.

(٢) التأوُّه: صوت المضروب يقول: آه. آه !!.

قتله ولا شقَّه بالمنشار إلى نصفين!! فـهزمهم وحده، فمنعه الله الذي لا يُهزمُ جنده، ولا يُذلُّ مَن والاه، ولا يضيـع مَن توكل عليه. فـإذا بالملك يقول لـبعض حـرسه: خذوا هذا الغلام حـتى تصلوا به إلى أعلى قمة لأعلى جبل، فإمـا أن يكفر وإما أن تُلقوه من فوق الجبل ليموت. وذهبوا به، فـدعا الله قائلاً: اللهم اكْفِنيهم بما شئتَ. فرجف الجـبل واهتز واضطرب، وسـقط جند الملك، ونجا الغـلام، وعاد إلى الملك يدعـوه إلى الإيمـان بالله، لكن الملك قـال لـبـعض جنده: خـذوا هـذا الغـلام في قُرْقُور[1]، فإذا وصلتم إلى وسط البحر فألقو[ه] يموت غريقًا فنستريح منه.

ووسط البحر علت الأمواج، وظهرت كأنها الجـبال، فقال الغلام: اللهم اكْفِنيهم بما شئتَ. فغـرق جند الملك، وبقي يالغلام حيًّا بإذن الله ليعود إلـى الملك، واحتار الملك مـا يفعل مع هذا الصـغيـر ليحـمي مملكته من (الإيمان بالله)!! ويا للعـجب، فالطُّغـاة والظالمون من الكفار يَرَوْنَ الإيمان بالله خطرًا يتـهددهم، ولو فكَّروا لآمنوا، لكنهم أحبوا الدنيـا وباعوا الآخرة، فقال ابن الثامـر للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمـرك به. فقال الملك: وما أفعل؟ قـال: اجمع الناس في مكان واحد، ثم اربطني على جذع شجرة كالمصلوب، ثم خذ سهمًا من كِنَانتي[2]، وضع السهم في كبد[3] القوس، ثم ارمني وقل: بسم الله رب الغلام، فإذا فعلت ذلك قتلتني. فوافق الملك.

خرج الملك في موكب عظيم، أمام شعبه وجنده وحُرَّاسه، وجلس على كرسيه، ثم استـدعى الحـراس آمـرًا إياهم بربط الغـلام في شجـرة قـد اختـاروها من بين الأشجار لِعُلو مكانها حتى يرى النَّاسُ جميعًا مقتل الغلام.

وانتهى الحُرّاس من ربط الغلام الذي نظر إلى قومه وأهله يودعـهم بابتسامة رقيقة تلتمع فيهـا براءة الصِّغار، وطُهْر المؤمنين، بينما سالت الدُّمـوع تبكي هذا العصفور الصغير الذي سيـدفع حياته ثمنًا لدينه وعقيدته، بينما لا زال أمثـاله يلهون ويلعبون

---

(١) قرقور: قارب صغير.

(٢) كنانتي: الكِنانة: مخلاة توضع فيها السهام.

(٣) كبد: وسط.

ويمرحون والتقط الملك سهمًا من كنانة الغلام، ثم وضعه في كبد القوس، وقال بصوتٍ عالٍ: باسم الله رب الغلام، ثم ألقى السهم فوقع على خُدغ الغلام، فمات، فلقي الله شهيدًا.

وهنا علم الجميع أن للكون إلهًا حمى الغلام من القتل، وكان هو الشَّافي الذي شفى مرضاهم، وهو إلهٌ أعظم وأكبر من الملك، فصاحوا: آمنا بالله رب الغلام، آمنا بالله رب الغلام، آمَنَّا بالله ربِّ الغُلام. فآمنت أُمةٌ لما رأَوْا عجز الملك عن قتل هذا الغلام الصغير حتى أَذِن ربُّ الغلام بمقتله فارتعب الملك، وخاف، والتف حوله جنده ووزراؤه، وأشاروا عليه بخطة شيطانية. أمروه بحفر أخدود عظيم، بجواره أخدود، وأخدود، حتى خارت أخاديد كثيرة، ثم يُشْعل فيها النيران، ويُلْقي فيها المؤمنين إلاَّ أن يكفروا بالله.

وقعد الجنود على النَّار، بينما كان المؤمنون يساقون إليها فيخيّرون بين الكفر والقتل حرقًا فيختارون الحرق على الكفر.

حتى جيء بامرأة على يدها طفل رضيع لها، فقالوا: إمّا أن تكفري، وإما أن نحرق طفلك الرضيع. فيا للقسوة، ويا للقلوب الكافرة التي لا ترحم حتى الرُّضع!!

فتأخرت هذه المرأة تريد أن تنطق بكلمة الكفر حتى لا يحرق صغيرها، فإذا بالله تعالى يأمر الصَّغير فينطق قائلاً: يا أُمَّه اخبري، فإنَّك على الحق.

فتراجعت عن الكفر، وأبت[1] إلاَّ الإيمان، فألقوا رضيعها في النار، ثم ألقوا بها هي الأُخرى وراء رضيعها.

وبينما أصحاب الأخدود قعود على النار إذ خرجت النار وارتفعت حتى أحرقتهم، ويوم القيامة لهم عذاب الحريق عند الله.

لقد آمن الجميع على يد غلام صغير، فما أجمل الإيمان الذي يرفع الصغار ليجعلهم في بعض الأوقات أكبر من الكبار!!

---

(١) أبت: رفضت.

الدُّروس المُسْتفادة

(١) الإيمان بالله وحده لا شريك له.

(٢) الكل عبيدٌ لله، ولا يجوز لأحد أن يدعي الألوهية من دون الله.

(٣) الساحر إمّا كذاب، وإما كافر.

(٤) الإيمان يهزم الكفر في كل معركة.

(٥) الصغار يجعلهم الإيمان كباراً.

(٦) الله تعالى هو الشافي، والأطباء مجرد سبب في الشفاء.

(٧) الدعوة إلى التوحيد.

(٨) الله تعالى قادرٌ على إنطاق الصغار في المهد.

(٩) الصبر على البلاء والامتحان.

(١٠) الله تعالى يمتحن المؤمنين ليعلم الصادق من الكاذب.

★★★

الأسئلة

(١) اذكر السبب:

- جعل الله تعالى دعوة الغلام مستجابة.
- قتلُ الملكِ للراهب والجليس.
- حفر الملك للأخدود.
- عدم استطاعة جند الملك قتل الغلام.

(٢) أكمل التالي:

- كان الغلام قد اختاره جنود الملك ليكون ..... ولكن الله تعالى أراده مؤمنًا، فكان في طريقه إلى ..... يرى ..... يتعبد في صومعته، فآمن بـ ..... وتأكد الإيمان في قلبه حين قتل ..... بحجر صغير، وجعله الله تعالى .....

الدُّعاء، واختار الراهب والجليس ..... على الكفر، ودعا الغلام ربَّهُ فقال: اللهم ..... بما .....

(٣) اذكر معاني هذه الكلمات:

[الأخدود - يُتلى - الأنين - قُرقور].

(٤) اذكر القصة في عشرين سطرًا بأسلوبك الخاص.

☆☆☆

الإجابات

(ليعوضه عن السحر - لأنهما آمنًا بالله - لقتل المؤمنين - لأنه دعا الله فكفاه).

(ساحرًا - الساحر - الراهب - الله - الدابة - مستجاب - القتل - اكفنيهم - شئت).

☆☆☆

الشُّكر، والجُحود
الأبْرص، والأقْرع، والأعمى

عاش ثلاثةٌ في بني إسرائيل كلٌّ بعَاهةٍ غير الآخر:

فالأول: أبْرَص أصابه البَرَص وهو مرض جلدي - عافاك الله - يصيب بشرة الإنسان فيجعلها بيضاء يَسْتقْذِرُها الناس، فينفرون[1] من صاحبها، فكان الناس يتجنبونه، خاصة أن البَرَص لم يكُن له علاج ولا دواءٌ آنذاك.

وفوق هذا كان هذا الأبْرص فقيراً مُعْدمًا، فجمع بين الفقر والمرض، ونُفُور النَّاسِ منه، وكان أكبر أملٍ له أن يشفيه اللهُ تعالى من مرضه ليعود سليمًا صحيحًا يُخالط الناس من جديد.

والثاني: أقْرع لا شعر له، وكان الناس ينفرون منه، ويستقذرونه كما يَسْتَقْذِرون الأبرص، ولا مال له هو الآخر، فكان كُلَّ ما يتمناه أن يُنْعِمَ اللهُ عليه بِشَعْرٍ حَسَنٍ يعيد إليه الناس ويعيده إليهم بعد نفورهم منه، واستقذارهم له.

وبقي الثالث: فقد كان أعْمَى لا بصر له، يراهُ الناس ولا يراهم هُوَ، حُرِمَ نعمة البصر التي لا يشعر بها إلا مثله ممن لا يرون النُّور طيلة حياتهم، فكان رَجاؤه من الله تعالى أن يَرُدَّ إليه بَصَرَهُ.

وعالم البشر عالم غريب، فالبشر يتشابهون في خلقهم: فلكل إنسانٍ عين، وأذن، ويد، وقدم، وفم، ولكن يختلفون في إيمانهم، والإيمان مكانه القلب. فمنهم من يمتلئ قلبه بالإيمان، ومنهم من يضعف الإيمان في قلبه، وصنف ثالث لا إيمان له، فالقلب دائمًا يجعلِ الإنسان في أعلى مرتبة، أو في أدنى درجة.

وأراد الله تعالى أن يختبر إيمان الثلاثة: الأبرص، والأقرع، والأعمى، ليكونوا مثلاً للمؤمنين من بعدهم، وعِبْرة لمن يريدُ العظة، واختباراً لهم: هل يظلون على إيمانهم فيشكرون الله؟ أم يُغَيِّرُهم المال، وتُحولهم النعمة إلى صف الجاحدين الذين

---

(١) ينفرون: يبتعدون، والنفور: الابتعاء والتقزز.

ينكرون نعمة الله تعالى؟ فجاءت أحداث هذه القصة التي حكاها النبي ﷺ لأصحابه في حديثه.

لا زال الثلاثة (الأبرص، والأقرع، والأعمى) سجناء الحزن، والفقر، كلٌّ منهم قد أغلق داره على نفسه، وأشدَّ ما كان يحزن الجميع هو: نفور الناس وتقززهم منهم.

وبأمر الله تعالى يتنزَّل مَلَكٌ[١] كريم من السماء، ليكون الاختبار والامتحان على يديه.

وبدأ المَلَكُ بـ(الأَبْرص)، فجاء يسأله- بعد أن سلَّم عليه- فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك[٢]؟ فقال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قَذَرَنِي الناس[٣].

فمسحه الملك الكريم، فذهب عنه البَرَصُ بإذن الله، وذهب عنه بياض البَرَص، وحَسُنَ لونه وجلده. فقال الملك: أي المال تُحب؟ فقال: أُحب الإبل[٤]. فأعطاه الله تعالى ناقة عُشَراء[٥]، ثم دعا المَلَكُ له فقال: بارك اللهُ لك فيها. ثم تركه المَلَكُ وانطلق إلى دار الأقرع.

لا زال المَلَكُ الكريم بأمر الله تعالى في طريقه إلى بيت الأقرع، ولا زال الأقرع حبيس داره بعد أن قَذَرَه الناس واشمأزُّوا منه، فلم يخالطوه، فما فُوجِئَ إلاَّ والملك عنده يقول له: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ فقال: شعرٌ حسنٌ، ويذهبُ عني الذي قَذَرَني الناسُ. فمسح الملك عليه، فنبت له شعرٌ جميلٌ حَسَنٌ إذا نظر إليه الناس تَمَنَّوا مثله، ثم قال الملك له: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ فقال الأقرع ذو الشعر الحسن: البقر. فأعطاه الله تعالى بقرة حاملاً، ودعا له المَلَكُ فقال: بارك اللهُ لك فيها. ثم مضى منطلقًا ليُتَمِّم ما بدأه.

---

(١) المَلَكُ: مفرد الملائكة وهم مخلوقات من نورٍ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم ذوو أجنحة يصعدون إلى السماء ويهبطون إلى الأرض.

(٢) يعني: ماذا تتمنى؟

(٣) يعني: يذهب عنه البرص الذي تجنبه النَّاسُ لأجله.

(٤) الإبل: الجمال.

(٥) عُشَراء: حاملاً.

لا يعرف نعمة البـصر ولا قدرها إلا مَنْ قد حُرِمها وسُلبهـا، وإن كان من فاقدي البصر مَن هم أشـد بصيرة[١] ، والله تعالى يقول: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦). فالعمى عمى القلوب والبـصائر، لا عمى العيون والأبصار.

لقد ذهب الملك إلى فاقد بصره- الأعمى- فقال له: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟- أي: ماذا تتـمنى؟- فقال: أن يَرُدَّ اللهُ إليَّ بصري، فـأُبصِر[٢] الناس. فمسح الملك على عينه، فعـاد إليه بصره بإذن الله تعالى، فـيا لشدة فرحه بالنـور الذي عاد يملأ بصره حتى أضـاءت عينه من جـديد، فقال المـلك: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ فقـال: الغنم. فـأعطاه الله شاةً والدًا، وقـال: بارك الله لك فـيهـا. ثم انطلق الملك الكريم، وقـد تغيـرت أحوال الثـلاثة: فالأبرص: جلده الآن حـسن، ومنظره حـسن، ومعـه ناقة عشـراء. والأقرع: صـار ذا شعر حـسن، ومعـه بقرة حـامل. والأعمى: عـاد إليه البصر، ومعه شاة والد.

تُرى مَن سيـصمُد[٣] أمام شيطانه ونـفسه، ويشكر ربه على النعمـة ولا يجحد؟ لندع الأيام تمر، لنرى ما قد حدث.

فارق كبـير بين الحال قديمًا والحـال الآن، فقديمًا قذره الناس متـقززين منه، وهم الآن يضربون المثل بلونه الحسن الجميل. وقديمًا كان الفقر يقتله كل ليلة، والآن يملك واديًا[٤] من الإبل بعـد أن أنتجت[٥] الناقـة العشـراء وولدت، وولد ما بعـدها من أولادها فتكاثروا ببركة الله تعالى، واستـجابة لدعاء الملك إذ دعا فقال: بارك الله لك فيـها. فـبارك الله تعالـى، وبركة الله لا انقطاع لهـا، حتى إن ماله كل يـوم ليزيد، والناس يبحثون عن طريقه ليصادقوه بعد أن كانوا يتجنبونه.

---

(١) البصر: نظر العينين، والجمع أبصار، والبصيرة: القلب والجمع بصائر.

(٢) أُبْصر: أرى.

(٣) يصمد: يثبت.

(٤) الوادي: طريق بين جبلين.

(٥) أنتجت: ولدت.

هذا هو حال الأبرص الذي بارك الله له في جلده وفي ماله وما يملك. ويدخل على الأبرص رجلٌ مسكين، انقطعت به السُّبل وضاع ماله، يريد الصدقة عليه، وهذا هو (ابن السبيل)، الذي خرج بعيدًا عن وطنه فضلَّ الطريق، أو ضاع ماله، فما أن رآه الأبرص حتى قال: مَنْ أنت؟ فقال: رجلٌ مسكين، قد انقطعت بي الحبال[1] في سفري، فلا بلاغ[2] لي اليوم إلاَّ بالله ثم بك. ثم قال هذا المسكين مستعطفًا قلب الأبرص الذي كان فقيرًا من وقت قريب، ذاق طعم الحرمان كما يذوقه هو الآن، فهو أكثر الناس إحساسًا به وشعورًا، فلا يعرف شعور الفقير المسكين إلاَّ مَن كان مثله، فقال: أسألك بالذي[3] أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرًا[4] أتبلغ[5] به في سفري. فقال الأبرص: الحقوق[6] كثيرة. لقد جحد نعمة الله ونسي ما كان عليه قبل أن يُنعِم ربه عليه باللون الحسن والمال الكثير، فقال المسكين: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله؟ فاشتد غضب الأبرص، وقال في كبرياء كاذبًا: إنما ورثتُ هذا المال كابِرًا عن كابر[7]!!

وما أسوأ الإنسان حين يكذب، وينسى نعمة الله عليه فيجحدها ولا يشكر ربه، وينسب الفضل إلى نفسه، فقال المسكين: إن كنت كاذبًا، فصيَّرك[8] الله إلى ما كنت.

فإذا بكل شيء يعود إلى ما كان عليه، لقد ذهب الجلد الحسن، واللون الحسن، والمال الكثير، وبقي الفقر، وعاد البرص، وانفض الناس من حوله، وتلك عاقبة الجحود، وجزاء الكذب.

---

(١) الحبال هنا معناها: الأسباب أو الطرق يعني: لا مال لي، ولا حيلة، ولا طريقة أتكسب بها وأحصل على الطعام.

(٢) بلاغ: وصول إلى ما أريده من الرزق والطعام.

(٣) يعني: أسألك بالله.

(٤) بعير: جمل.

(٥) أتبلغ: أصل.

(٦) الحقوق: المطالب والمصروفات.

(٧) كابرًا عن كابر: يعني ورثته عن أجدادي وآبائي.

(٨) صيَّرك: حوّلك وأعادك.

لعله الآن يذكر ما كان عليـه، وما أصبح فيه وصار إليه، فالوادي أمـامه قد امتلأ بالبقر وأولادها، وكثُر بحيث لا يستطيـع أحدٌ أن يحسبه أو يَعُدُّه، والناس سينظرون إليه نظرة غِبطة[١] أو حسد، فيتمنون أن لو كانوا مكانه، فبعد معاناة طويلة مع الفقر صار من أغنى أغنيـائهم، وبعد أن كان الناس ينفرون منه صـاروا ينظرون إلى شعره الجمـيل الذي أعطاه ربه فيحـسدونه عليه، ويتمنـون لأولادهم مثله، إنه ثاني أبطال القصة «الأقـرع» ذو الشعر الجميل، الذي بارك الله له في بقرته حـتى صارت بقرات وبقرات، كأنما أعطاه الله ما في الأرض من بقرٍ.

وبينما هو جالس في ماله، يسمع ثُغاء[٢] البقر، إذ دخل عليه المسكين الذي كان من قليل يبحث عن صدقة الأبرص، فمـا أن رآه الأقرع حتى قال: مَن أنت؟ فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبـال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن، والمال، بقرة أتبلغ بـها في سفري. فقال الأقرع يبخل بالـعطاء والصدقة: الحـقوق كـثيرة!! ونسي أنه ذاق نفـس الكأس يوم أن كان فقيـرًا أقرع يقذره الناس وينفرون منه، ونسي أن ماله هذا من عند الله، وأن للفـقير المسكين في الصدقة حقًّا.

فقال للمسكين: كأني أعرفك، ألم تكن أقـرع يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال كـاذبًا، جاحدًا نعمـة الله، ينسب الفضل إلى نفســه: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر!! فما أن قالها حتى صـاح المسكين قائلاً: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت!!

وكما بارك الله له بدعوة، أزال الله عنه النعمة بدعوة أخرى، وراح الشعر الجميل يتساقط أمام عينيه وعاد إليه ما كان علـيه من ذي قبل، فهو الأقرع!! فاجتمع عليه: الفقر، ونفور الناس، والحسرة على ماله الذي ضيَّعه لجحوده وإنكاره نعمة الله عليه، وبخله بالصدقة، وكذبه على الله، ونسبة المال إلى نفسه، وهذه عاقبة الجحود.

المال كثـير والحمـد لله، والبصر ثاقب فلله الحـمد الذي ردَّ عليه بصـره، وغنمه

---

(١) غبطة: حسدٌ لا يتمنى المرء فيه زوال نعمة الغير.

(٢) ثُغاء: صوت البقر، والرُّغاء: صوت الإبل.

تسعى هنا وهناك، يعلو صوتها، ويكثر عددها كل يوم كأنما الوادي اجتمع فيه غنم العالم كله، والرزق دارٌ وفير، والخير والبركة تعمان المكان، فلله الحمد على نعمائه، له الحمد على أن ردَّ البصر، وأغنى مِن الفقر، وبارك في المال.

هذا هو الأعمى الذي أبصر، وبارك الله له في الشاة فولدت، وولد أولادها، وأولاد أولادها حتى صار الوادي ممتلئًا بالغنم الصغار والكبار.

وأتاه المسكين فقال: رجلٌ مسكينٌ وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلَّغ بها في سفري.

فردَّ الأعمى في سكينة وطُمأنينة وحمدٍ لله وشكرٍ على نعمائه: قد كنتُ أعمَى فردَّ اللهُ إليَّ بصري، فخُذ ما شئت[1]، ودَع[2] ما شئت، فوالله لا أَجهدك[3] اليوم بشيء أخذته لله عز وجل. وانتظر الأعمى أن يدخل المسكين ليأخذ ما أراد من غنم، لكن كانت المفاجأة!! لم يكن المسكين مسكينًا، ولم يكن ابن سبيل، بل هو المَلَك الكريم الذي جاءهم أول مرة، جاءهم هذه المرة على هيئة مسكين ليمتحنهم، ويختبر إيمانهم بإذن الله تعالى، وإذا به يقول للأعمى: أمسك[4] مالك، فإنما ابتُليتُم[5]، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك[6].

فبارك الله للأعمى في ماله، وزاده ورضي عنه، وهذه عاقبة الشكر، وجزاء الشاكرين، وانطلق الملك ليصعد إلى السماء بأمر الله تعالى، بعد أن ترك لنا درسًا رائعًا خلاصته: أن الشاكر يزيد الله نعمته ويبارك له، وأن الجاحد يُزيل الله نعمته ولا يبارك له.

---

(١) شئت: أردت.

(٢) دع: اترُكْ.

(٣) أجهدك: لا أشق عليك في شيء تطلبه مني فَخُذ ما شئت.

(٤) أمسك مالك: يعني أبْقيه واجعله معك.

(٥) ابتليتم: اختبرتم، وامتحنتم.

(٦) سخط: غضب، صاحبيك: الأبرص، والأقرع.

فما بقي للأبرص وللأقرع غير الفقر والحسرة والندامة، ونفور الناس، وغضب الله تعالى فوق ذلك، وبقي للأعمى رضا الله تعالى، والمال، والبركة.

☆☆☆

الدروس المستفادة

(١) يجب على المرء شكر الله تعالى على سلامة أعضائه وحواسه.

(٢) حق الفقير في الصدقة.

(٣) قدرة الملائكة على التشكل على هيئة بشر.

(٤) الملائكة يصعدون إلى السماء ويهبطون منها.

(٥) عاقبة الشكر: البركة ورضا الله تعالى.

(٦) عاقبة الجحود: غضب الله تعالى، وضياع النعمة.

(٧) الشاكرون من الناس قليل.

(٨) النهي عن البخل.

(٩) فضل الصدقة على الضعفاء والفقراء.

(١٠) لا تقل لفلان: أنا بالله وبك، ولكن: أنا بالله ثم بك. ولا تقل: على الله وعليك؛ بل تقول: على الله ثم عليك.

☆☆☆

الأسئلة

(١) اذكر معاني هذه الكلمات:

(صيَّرك- دَعْ- النفور- البرص).

(٢) عبِّر عن الآتي بكلمة واحدة:

(أ) من فقد بصره فلا يرى.

(ب) مخلوقات من نور لا تعصي الله تعالى ما أمرهم به، ويصعدون إلى السماء ويهبطون منها.

(ج) من خرج بعيدًا عن وطنه، وانقطعت به الحبال.

(د) من سقط شعره فظهرت جلدة رأسه.

(٣) أكمل العبارات التالية:

ذهب ..... إلى الأبرص فمسحه فصار له ..... حسن و..... حسن، ولما أراد منه الصدقة قال: ورثت هذا ..... كابرًا عن كابر، ورضي ..... أن يعطيه من الصدقة، فبارك ..... له في ماله ورضي عنه و..... على صاحبيه.

(٤) ما هي الدروس المستفادة من هذه القصة؟

☆☆☆

الإجابات

(٢) (الأعمى- الملائكة- ابن السبيل- الأقرع).

(٣) (المَلَك- جلد- لون- المال- الأعمى- الله- سخط).

☆☆☆

أمانةٌ وإخلاص

الجرَّة الذهبية

كأنه حُلْمٌ من الأحلام، أو أسطورة(1) من الأساطير، أو خيال من الخيال، ووهم من الأوهام، فماذا لو أنك حفرت في أرضك، وبينما تحفر، وتحفر تجد صندوقًا، فتفتحه فإذا به ملآن بالكنوز من الذهب والفضة والمال والجواهر الثمينة؟!

سيسيل لُعابك، ستفرح، ستسعد، ستفكر كيف تنفق هذه الأموال؟ ستفكر ماذا ستشتري بها؟ وكم ستدخر؟ وستكتم الخبر عن الجميع حتى لا يشاركك أحدٌ في هذه الأموال التي وجدتها، وسيكون سر الأسرار عندك: أنك وجدت كنزًا من الكنوز!!

لكن صاحب هذه القصة لم يفعل ذلك، فقد فكَّر كيف يرد المال إلى أصحابه؟ فلما وجد صاحب المال وأراد إعطاءه المال، كان لصاحب المال رأيٌ آخر!!

فلماذا لا نذهب إلى رسول الله ﷺ ليقص علينا خبر الرجلين: صاحب الكنز، ومَن وجد المال، وكيف كان حالهما؟

هذه إذن قصة أخرى حكاها رسول الله ﷺ لأصحابه حدثت في بني إسرائيل وأوحى الله تعالى إليه بها، حتى وصلت إلينا، وهذه أحداثها:

حين يسود الإيمان، وتمتلئ القلوب به، لا يعرف الإنسان إلا الخُلق الحسن، وبعيدًا عن الإيمان لا يعرف الإنسان إلا مساوئ الأخلاق، فلا خُلُق كريم، ولا حُسن خُلق، بل فساد وضياع.

هذا رجلٌ في بني إسرائيل من مؤمنيهم، وأصحاب الخلق الحسن، ظل يبحث عن عقار يشتريه حتى وجد مؤمنًا آخر فاشترى منه عقارًا(2). وبدأ صاحب العقار يُخلِي العقار لصاحبه الجديد الذي اشتراه، حتى استلمه منه، وبدأ يحفر في هذه الأرض، وبينما هو يحفر ويحفر إذ ارتطم مِعْوَله(3) بشيءٍ في الأرض، فخفف الضرب والحفر

---

(1) **أسطورة**: أكذوبة.

(2) **عقار**: أرض فيها منزل وضيعة.

(3) **معْوله**: المعول: أداة التكسير والحفر.

حتى بدأت تتراءى له جَرَّةٌ[1] مدفونةٌ في الأرض، فنفض التـراب من حولها، وراح يخـرجها بهـدوء حتى استـخـرجهـا من مكانها سليـمة كـما هي، وبعـد عناءٍ في استـخراجـها وتعبٍ، فـتح المالك الجديد للعـقار الجـرَّة، فإذا بالذهب يلتـمع بلونه الأصفر المعروف!!

فيالله: إنها جرَّة ذهبية، امتلأت عن آخرها بالذهب، فهي ثروة هائلة، وبدلاً من أن ينشغل بِعَـدِّ الذهب، والبحث عن مكان جـديد لإخفائه حـتى لا يعلم بأمره ولا بأمرها أحد، أغلقـها ثانية، وقرر الدخول إلى داره ليستـعد للذهاب إلى مكان آخر، وقد حمل الجرَّة معه، فانطلق في طريقه.

طرقاتٌ شـديدةٌ على الباب تدلُّ على أن صـاحب هذه الطرقات[2] يحمل خـبرًا هامًّا، ونبأً لا يحتمل التأجيل، فأسرع صـاحب الدار ليفتح الباب، فإذا به يُفاجأ بأن صاحب الطرقات ليس هو إلا المشـتري الذي دفع المال له عما قليل ليشـتري أرضه، فقال: خـيرًا، ما جاء بك؟ فـقال: هذه الجرَّة!! فنظر البائع إلى الجـرَّة نظرة تعجب ودهشـة، فقـال المشتـري: هذه جرة مملوءة بالذهب، وجـدتها في أرضـك. فازداد عجب البائع واستـغرابه، وإذا بالمشتري يقول: خُذ!! خُـذ ذهبك مني، إنما اشتريتُ منك الأرض، ولم أبتع[3] الذَّهب.

ولن يفكر أحدنا فيما فكَّر فيـه البائع!! فلو أن أحدنا في هذا الزمان قيل له: خذ ذهبًا، لأخـذه دون سؤال- إلا من رحم ربي- لكن صاحب الأرض الذي باعـها لم يكن بأقل إيمانًا من صاحبه المشـتري، فقد آمنا، فملأ الله قلبيهـما أمانةً، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

فقال البائع: وأنا بِعتُكَ الأرض وما فيها.

فحدثت خصومة طريفـة بين الرجلين: أحدهما يريد إعطاء المال للآخر، والثاني:

---

(١) جرَّة: وعاء من فخار.

(٢) طرقات: دقَّات.

(٣) أبتع: ابتاع يعني: اشتري.

لا يريد أخذ المال. فلما احتمدت[1] الخصومة بينهما كان لابد من اللُّجوء إلى قاضٍ يحكم بينهما في هذه الخصومة اللطيفة التي لا تكون إلا بين الأُمناء من المؤمنين.

جلس البائع والمشتري أمامهما الجرَّة المملوءة ذهبًا، وبينهما جلس رجلٌ صالح ليقضي بينهما في هذه القضيَة!! فسمع من المشتري قصته وأنه وجد الجرة الذهبية في الأرض فليست من حقه لأنه إنما اشترى الأرض فقط، ويريد ردَّ الجرة إلى المشتري. بينما قال البائع: بل بِعتُه الأرض بما فيها، ولم أكُن أدري عن الجرَّة شيئًا.

فابتسم القاضي أمام هذين المؤمنين الأمينين، وعلم أنه مهما قضى بالجرة لأحدهما فلن يقبل، فهداه الله تعالى إلى حُكمٍ عجيب، فقال لأحدهما: هل عندك ولد؟ فقال: نعم. وقال للآخر: هل عندك ابنة لم تتزوج؟ قال: نعم. قال: فليتزوج الولد من البنت، ويُنفَق عليهما من الذهب الذي امتلأت به الجرة، وما بقي أنفقوا منه عليهما، وتصدقا على الفقراء والمساكين.

فقام الرجلان وقد رضيا بالحكم الرائع الذي قضى به هذا القاضي الصالح، فتزوج الولد بالبنت، فالطيبات للطيبين، والخبيثات للخبيثين، وإذا كان الأصل صالحًا كان الفرع صالحًا.

وبعد أن حكى رسول الله ﷺ هذه القصة للصحابة إذا بهم يتناقشون ويتساءلون: مَن أكثر أمانة مِن الآخر، المشتري أم البائع؟ واختلف الصحابة في ذلك اختلافًا لطيفًا، فهل عرفت أنت أيهما أكثر أمانة؟

☆☆☆

الدروس المستفادة

(١) الأمانة خُلق قويم يجب أن يتحلى به المؤمنون.

(٢) الأمانة لا حدود لها.

(٣) الطيبون يتزوجون بالطيبات.

(٤) جزاء الصدق والأمانة خير دائمًا.

---

(١) احتدمت: اشتعلت.

(٥) خلق المؤمنين خُلق رفيع.

(٦) لا خلق حسن إلا بإيمان وتقوى.

(٧) القضاء بين المتنازعين والإصلاح بينهما.

☆☆☆

الأسئلة

(١) ضع علامة (✓) أو (×) أمام العبارات التالية:

- خبأ المشتري الجرة الذهبية ولم يعلن عنها، وطمع فيها. ( )
- قتل البائع المشتري ليأخذ منه جرة الذهب. ( )
- رفض القاضي الإصلاح بين البائع والمشتري. ( )
- الأمانة خلق رفيع قويم يتصف به المؤمنون. ( )

(٢) ضع هذه الكلمات في جمل مفيدة:

(العقار- الجرَّة- البائع- القاضي- الخصومة).

(٣) أيُّ الرجلين أكثر أمانة من الآخر في رأيك؟

(٤) ما هي الدروس المستفادة من هذه القصة؟

(٥) اكتب هذه القصة في عشرة أسطر من أسلوبك.

☆☆☆

الإجابات

(١)(× × × ✓).

☆☆☆

الشمس تُحبَس

يوشع بن نون عليه السلام والشمس

لما خرج نبي الله موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر، وجاوز بهم البحر وعبره بعد أن ضربه بعصاه فانشق بإذن الله، فعبر بنو إسرائيل وغرق فرعون وجنده، وبعد أن تأكد اليهود من غرق فرعون وجنده، أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يسير بجيش بني إسرائيل نحو الشام، وتحديدًا نحو بيت المقدس الذي احتله المشركون آنذاك، وكان هؤلاء المحتلون أصحاب قوة وشدة في القتال، فقال موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَاكُم (١) مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ (٢) الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ(٣) فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٢٠، ٢١).

إلاَّ أن بني إسرائيل كان لهم رأي آخر، فالكنعانيون الذين كانوا يحتلون بيت المقدس آنذاك اشتهر عنهم القوة في حروبهم، لكن الله على كل شيء قدير، وهو الذي فلق البحر لهم، وهو سبحانه قادر على هزيمة أعدائهم، فقالوا: يا موسى!! هكذا بلا أدب ولا مراعاة لمقام النبوة ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ (٤) وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢٢).

فأغضبت الكلمات رجلين من المؤمنين فقالا: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣).

فالنصر لبني إسرائيل لو دخلوا الباب فقط، وتوكلوا على الله تعالى، لأن بيت المقدس يجب أن يبقى في يد المؤمنين لا الكافرين، ولكن اليهود جبناء، يخشون

---

(١) آتاكم: أعطاكم.

(٢) الأرض المقدسة: بيت المقدس.

(٣) ترتدوا على أدباركم: ترجعوا إلى ما كنتم عليه خوفًا من الجبارين.

(٤) جبارين: أقوياء.

القتال والحرب فقالوا: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤).

وهذه هي الوقاحة والجرأة على الله تعالى، والجحود بنعمته، فبدلاً من شكر نعمة الله الذي نجّاهم من فرعون بعد أن كان يقتل أولادهم الذكور، ويترك الإناث، وبعد أن كان يعذبهم ويسخرهم في الأعمال الشاقة، بدلاً من شكر الله على إغراق فرعون، وإنقاذهم منه كفروا بالله ونعمته حتى قالوا ما قالوا لموسى عليه السلام، فغضب نبي الله موسى وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥).

فطلب من الله تعالى أن يفرق بينه وبين هؤلاء الفاسقين الذين عصوا أمر الله تعالى، فكان العقاب من الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا(١) مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ(٢) عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٦).

فكان العقاب أن يظل بنو إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة كاملة في أرض سيناء في بقعة منها تعرف بـ(أرض التيه) فكان بنو إسرائيل يمشون طيلة نهارهم ثم يعود الرجل ليجد نفسه في اليوم التالي في النقطة التي بدأ منها المسير، عقوبة لهم على عصيانهم لله تعالى، والمدة: أربعون سنة كاملة.

فاستقبل بنو إسرائيل العذاب وظلُّوا فيه مدة أربعين سنة حدثت فيها وقائع عظيمة، وتغيَّرت الأحوال، وتبدلت الأمور، ومات الكثير، وولد الكثير.

توفي نبي الله هارون عليه السلام قبل نبي الله موسى، فحزن بنو إسرائيل لفراقه، فقد كان هارون عليه السلام لينًا رفيقًا بهم، ثم تبعه موسى عليه السلام فتُوفي هو الآخر، فأوحى الله إلى (يُوشَع بن نُون)، وهو فتى موسى عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في قصة الخضر إذ قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ (الكهف: ٦٠). فصار يوشع بوحي الله إليه نبيًّا إلى بني إسرائيل.

---

(١) فإنها: يعني أرض بيت المقدس.
(٢) تأسى: تحزن عليهم.

وكان بنو إسرائيل لا يعـرفون ملكًا ولا أميرًا ولا رئيسًا حـتى عهد طالوت وداود عليه السلام، وإنما كان الأنبياء يقومون بأمور بني إسرائيل، فلا نبي: نبيٌّ ورئيسٌ في وقت واحد، يـدبر أمور الدين والدنيـا، ويرجع إليه الكبـير والصـغير فـي أمورهم جميعًا.

لقد كانت فتـرة العقاب (أربعين سنة) مات فيها مـعظم العُصاة الذين قالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤). وبدأ جيلٌ جديد من المؤمنين يظهر في أواخر حـياة موسى عليه السلام، فبدأ مـوسى عليه السلام في تربية هذا الجيل الجديد على الإيمان والتوحـيد، والطاعة لله عز وجل ولرسوله موسى عليه السلام.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ(١) بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا(٢) وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ١٢).

فعـوَّدهم نبي الله موسى على التوحـيد، وإقامـة الصلاة، وإيتاء الزكـاة، وطاعة الرسل، مقابل أن يغفر الله لهم ذنوبهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

وتوفي موسى عليـه السلام قبل أن تنتـهي فترة العقـاب فتولى المهـمة (يوشع بن نون) عليه السلام وكانت قبائل بني إسرائيل (اثنتي عـشرة) قبيلة، فعيَّن من كل قبيلة رئيسًا لمجموعـة من الجيل الجديد حتى انتهت فترة العقـاب، ففتح الله تعالى الطريق لبني إسرائيل، فخرجوا من أرض التِّيـه متجهين إلى الشام، وإلى أرض بيت القدس تحديدًا ليحرروها من الكنعانيين الكفرة الذين دنسوها في ذلك الوقت، وانطلق جيش بني إسرائيل وجهته تحرير بيت المقدس.

في ديار الكنعـانيين عـاش رجلٌ يُسـمى (بلْعـام بن بَاعُـوراء) كـان يدَّعي الإيمان والتقـوى، وكان يدعي فـوق ذلك العلم والعبادة، عـاش بين قومه يـنظرون إليه أنه

---

(١) ميثاق: عهد.

(٢) نقيبًا: رئيسًا.

أتقاهم وأعلمهم وأكثرهم تقوى، فقد كان الوحيد المؤمن في هذه القرية الكافرة، ونظر قومه فوجدوا أنهم سيهزمون أمام بني إسرائيل في أول جولة من المعركة إذا لم يلجأوا إلى الحيلة والمكر، فجيش بني إسرائيل في ذلك الوقت كان جيش الإيمان، والإيمان كالبُركان، وويلٌ لمن وقف أمام البُركان، فلم يجرؤ الكنعانيين على الوقوف أمام بني إسرائيل، فأرادوا هزيمتهم بسلاح آخر قبل القتال، فذهب القوم إلى (بلعام ابن باعوراء) ليدعو على بني إسرائيل بالهزيمة، فعارضهم (بلعام) وتمنَّع ورفض، لكنهم أداروا رأسه، فأغروه بالمال والهدايا والثروات، فمال إليهم.

ركب (بلعام) بغلته وصعد على الجبل، وتوجه ناحية جيش بني إسرائيل يدعو عليهم، فاندلع[١] لسانه على صدره، وكلما أراد الدعاء على بني إسرائيل انقلب لسانه يدعو على نفسه وقومه، فعلم أن ربه عليه غضبان، فإذا به يعود إلى قومه يقول لهم: ذهبت مني الآخرة، ولم يبق لي إلاَّ الحيلة. قالوا: بماذا تأمرنا؟ فأوحى إليه شيطانه بفكرة جديدة، فإذا به يقول: زيِّنوا نساءكم، وأعطوهم بعض السِّلع والبضائع، وأرسلوهن حتى يدخلن في جيش بني إسرائيل على أنهن بائعات، ومُرُوهن ألاَّ يمنعن أنفسهن من أحدٍ من بني إسرائيل، فإذا وقعت الفاحشة فإن الله سيرسل غضبه على بني إسرائيل، وعندئذٍ تهزمونهم. ففعل قومه ما أمرهم به.

في جيش بني إسرائيل تجاورت خيام الجند، وفي كل خيمة كان الجنود يأوون إلى الراحة أو الصلاة، ووسط الخيام كان بعض الجند يتحدثون عن المعركة المنتظرة يتمنون النصر على أعدائهم، ودخول بيت المقدس، مهجر أنبياء الله قديمًا، وقبلتهم التي يصلون إليها.

وإذا بالجند يتساقطون قتلى وموتى، حتى مات عددٌ كبيرٌ منهم بسبب الطاعون، وبسرعة خرج أحد الجنود بحَرْبَته[٢] يمسح الدم عنها، وهو يقول: اللهم إني قتلت هذين، فارفع عنا العذاب. ولم يكن القاتل إلا مؤمنًا من المؤمنين، علم أن سبب الطاعون الذي انتشر بين جند بني إسرائيل سببه الفاحشة التي ارتكبها أحدهم مع

---

(١) اندلع: يعني خرج على صدره فطال كالكلب.

(٢) الحربة: عود من حديد، رأسه محددة تُستعمل في الحرب، والجمع حِرَابٌ.

واحدة من نساء الكنعانيين اللاتي تزيَّنَّ، ودخلن في الخيام، ووسط الجند على أنهن بائعات، كما أشار بذلك بلعام، فما كان من المؤمن إلا أن قتلهما ليرفع الله العذاب عن بني إسرائيل، فاستجاب الله تعالى له.

ففشلت خُطة (بلعام) وراحت منه الدنيا، وضاعت الآخرة، فصار كالكلب يلهث إن كان عطشانًا ويلهث إن كان ريَّانًا، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٥، ١٧٦)

لقد شبهه الله بـ(الكلب) إن طردته يلهث، وإن تركته يلهث، يريد كل شيء لنفسه، يَشِمُّ كل شيء بأنفه ويطمع فيه وحده ولو كان خُرْءًا، وبلعام كالكلب إن تركته فهو ضالٌّ، وإن وعظته فهو ضالٌّ، ولو أنه آمن لكان خيرًا له، لكنه اختار الكفر، فخرج من الإيمان، وخرج الإيمان منه كأنما كان الإيمان قميصًا لبسه بعض الوقت ثم خلعه، باع الآخرة بالدنيا، واشترى ما عند الناس، وباع ما عند الله تعالى.

واقترب اللقاء الموعود بين بني إسرائيل والكنعانيين بعد فشل خطة بلعام.

جيش بني إسرائيل يقترب من أسوار بيت المقدس أكثر وأكثر، واليوم هو يوم الجمعة، وبعد مغيب الشمس يوم الجمعة يَحْرُم على اليهودي أن يصنع شيئًا إلاَّ العبادة، فيوم (السبت) عند اليهود هو يوم العبادة، اختاروه بأنفسهم وحرموا فيه العمل، والحرب، وكل نشاط إلاَّ العبادة فقط.

وشاء الله تعالى أن تبدأ الحرب يوم الجمعة، وعليه فإن الحرب يجب أن تنتهي قبل غروب الشمس هذا اليوم، وإلا اضطُّر بنو إسرائيل للانسحاب من المعركة.

ها هو (يوشع بن نون) عليه السلام، والنقباء معه يشعلون حماسة الجنود، ويعدونهم بنصر الله تعالى لهم ليقاتلوا عدوهم، فإمَّا النصر على الأعداء، وإمَّا الشهادة والجنة، وكلما مر الوقت كلما ازدادت سخونة الحرب، فالغبار يرتفع إلى

السماء، ولا تسمع إلا صهيل[١] الخيل، وصليل[٢] السيوف، ولا يرتفع إلا صوت صيحات الحرب وهتافاتها، وبدأ النهار ينتصف والمعركة دائرة لم تنته بعد.

وبدأت المعركة تميل ناحية بني إسرائيل، فالكنعانيون كفار لا يقاتلون إلا من أجل الأرض والمال، أما نبي الله يوشع بن نون ومَن معه فيقاتلون من أجل تنفيذ أمر الله، والوقت يمر، والنصر في جانب بني إسرائيل، والقتلى يتساقطون من الكنعانيين، وجيشهم بدأ يشعر بالهزيمة، وجند بني إسرائيل يحملون على عدوهم، ولم يبق إلا القليل ليُعْلَن انتصار بني إسرائيل.

ولكن. . .الشمس ستغيب!! معنى هذا أن بني إسرائيل سينسحبون ويتركون أرض المعركة، ولن يقاتلوا عدوهم إلاَّ يوم الأحد، وقد يهاجمهم عدوهم يوم السبت فينتصر عليهم، فتوجه نبي الله يوشع بن نون إلى الشمس فقال: إنَّكِ مأمورة[٣]، وأنا مأمور. ثم قال: اللهم احْبسها[٤] عليَّ شيئًا. فاستجاب الله تعالى لدعائه فلم تغرب الشمس، فحبسها الله عليه وعلى قومه، وأمر الله الشمس ذلك اليوم ألاَّ تغرب حتى ينتصر بنو إسرائيل، وانتهت المعركة بانتصار بني إسرائيل على عدوهم فالحمد لله رب العالمين.

الغنائم هي: مكاسب الحرب، كان في شريعة الأنبياء السابقين على رسول الله ﷺ أنهم يجمعون هذه الغنائم، ويضعونها على جبلٍ حتى تتنزل نارٌ بيضاء من السماء فتأكل هذه الغنائم، فإن لم يقبلها الله تعالى، لم تنزل النار، وإنما تبقى الغنائم على قمم الجبال.

وجمع نبي الله (يوشع بن نون) عليه السلام الغنائم التي اكتسبها بنو إسرائيل من حربهم ووضعها على جبلٍ من الجبال، فلم تنزل النار البيضاء، فعلم أن هناك مَن سرق من الغنائم شيئًا، فقال: فيكم الغلول- يعني اللص السارق-. ثم قال:

---

(١) صهيل: صوت الحصان.

(٢) صليل: صوت السيوف.

(٣) يعني: يأمرك الله بالشروق أو الغروب.

(٤) يعني: أخرها فلا تغرب حتى أنتصر أنا وقومي على عدونا.

ليصافحني من كل قبيلة رجلٌ. فـالتصقت يدُ رجلٍ من هؤلاء بيد يوشع عليه السلام فـقــال: فـيكم الغلول، أنتم غللتم- يـعني سـرقتـم-. ثم صافـح كل رجل منهم فـالتصـقت يد رجلين أو ثلاثة منـهم بيده فـقــال: فيكم أنتم الـغلول!! فلم ينكروا السرقــة؛ بل أخرجـوا له رأس بقرة من ذهب، فـوضعـوها مع الغنائم، فنزلت نارٌ بيضاء من السماء، فأكلت الغنائم فقبلها الله تعالى.

أوحى الله تعـالى إلى يوشع بن نون أن يبـلغ قومـه بدخـول بيت المقـدس وهم سـاجـدون، وأن يقولوا: حِـطَّة؛ يعني: يا رب حُطً[1] عنَّا ذنوبنا. فـإذا باليـهـود يستهـزءون بأمر الله تعالى، فدخلوا بيت المقـدس على أستاههم[2] يزحفون وقالوا: حبَّة في شعرة. أو قالوا: حنطة- يعني قمح- بدلاً من حِطَّة.

وعندئذٍ عاقبهم الله تعالى بأن أرسل عليهم (الرِّجز) وهو الطاعون عقابًا لهم على عصيان أمـر الله تعالى، ولو أطاعوه لحفظ لهم انتصارهم، لكن اليـهود هم اليهود: كلهم عصاة لله تعالى، وهذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٨، ٥٩). وتوفي نبي الله يوشع بن نون، فانتهت حياته، لكن فضائح اليهود لم تنته بعدُ.

☆☆☆

الدروس المستفادة

(١) طاعة أمر الله تعالى.

(٢) الغنائم لم تكن حلالاً لأحد قبل الإسلام.

(٣) العصيان لله تعالى يورث الذلة والعقاب.

(٤) النصر للموحدين على الكافرين.

---

(١) حُطً: ارفع وامحُ.

(٢) أستاهم: الأست: مؤخرة الإنسان.

(٥) **لا يجوز أن تكون بيت المقدس إلاَّ** للمؤمنين الموحدين.

(٦) **بيت المقدس للمسلمين الموحدين لا** لليهود العصاة.

(٧) **اليهود قوم سوء حرفوا كلام الله** وعصوا أمره.

(٨) **فضل أمة الإسلام على** غيرها من الأمم: أعطاها الله يوم الجمعة، وأحلَّ لها **الغنائم**.

☆☆☆

الأسئلة

(١) أكمل التالي مختارًا الصحيح من بين الأقواس:

(أ) **قام بأعباء بني إسرائيل** بعد موسى عليه السلام ..... (دانيال- يوشع- **أشعياء**).

(ب) أرض جعلها **الله تعالى** للموحدين دائمًا... (مكة المكرمة- المدينة المنورة- **بيت المقدس**).

(ج) مرض **كان قديمًا يُسمى** بالرجز... (الطاعون- الطاحون- الطاهون).

(د) تُسمى مكاسب الحرب بـ..... (الغنم- الغنائم- الغنيمات).

(هـ) يُسمى صوت الحصان بـ..... (صهيل- صليل- عويل).

(٢) رتب العبارات التالية:

(يوشع- حربهم- قاد- بني- نون- إسرائيل- في- الكنعانيين- بن- ضد).

(عاش- إسرائيل- بنو- أربعين- التيه- سنة- أرض- في).

(الذي- آيات - انسلخ- بلعام- من- **الله**- باعوراء- بن- هو).

(٣) مَن هو؟

- نبي أحبَّه بنو إسرائيل لرفقه بهم ولينه.
- رجلٌ عاصٍ كافر شبهه **الله** في القرآن بالكلب.
- قوم احتلوا بيت المقدس وحاربهم يوشع وبنو إسرائيل.

(٤) ما هي الدروس المستفادة من هذه القصة؟

☆☆☆

الإجابات

(١) (يوشع- بيت المقدس- الطاعون- الغنائم- صهيل)

(٢) قاد يوشع بن نون بني إسرائيل في حربهم ضد الكنعانيين.

- عاش بنو إسرائيل في أرض التيه أربعين سنة.

- بلعام بن باعوراء هو الذي انسلخ من آيات الله.

(٣) هارون- بلعام بن باعوراء- الكنعانيون.



الخشبة الأمينة

خشبة الوفاء ورجلان من بني إسرائيل

في كل أمة من الأمم يوجد أناس صالحون، منهم الأمناء، ومنهم المخلصون، ومنهم مَن يتورع عن الوقوع في الحرام، وآخرون مجاهدون شهداء، وصنف من أهل الحق والخير.

والإيمان لا تخلو الأرض منه، ولا تخلو قلوب المؤمنين منه، وكلما ازداد الإيمان في القلوب، كلما كان الإنسان صاحب خُلُق حسن فاضل يحبه الناس، ويشيرون إليه، ويتمنون أن لو كانوا مثله.

ومن الزمن القديم يحكي لنا النبي ﷺ قصة مُسْلِمَيْن من بني إسرائيل اقترض[١] أحدهما من الآخر مالاً قدره ألف دينار، ووعده أن يؤديه إليه- أي: الدَّيْن- في موعدٍ مُحددٍ، وجاء الموعد، وقد رحل المُستدين إلى بلد آخر، فلم يجد وسيلة لرد المال إلى صاحبه إلا أن يـ....!!

هذه أحداث القصة التي لا نريد عرضها الآن، وإلاَّ أضعنا متعتها وتشويقها قبل عرضها، لكن في هذه القصة درس عظيم ينبغي أن نذكره قبل أن نحكي ما فيها كما حكاه رسول الله ﷺ، وهو: أن الأمانة حين تضيع تضيع معها الأخلاق كلها، وأن الوفاء بالوعد حين يضيع تضيع معه كثيرٌ من خصال الخير وصفاته، وأن المؤمن يفي بعهده دائمًا، وأن إخلاف العهد ونقضه، وإخلاف الوعد إنما هو من صفات المنافقين كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خصلة[٢] منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها[٣]: إذا ائْتُمِنَ خانَ، وإذا حدَّث كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ**»[٤]. فخيانة

---

(١) **اقْتَرض**: استلف.

(٢) **خصلة**: صفة.

(٣) **يدعها**: يتركها.

(٤) رواه البخاري (٣٤) في كتاب الإيمان، مسلم (٥٨/ ١٠٦) في كتاب الإيمان.

الأمانة ربُع النِّفاق، وصاحبها- يعني الخائن- إيمانه ناقص يحتاج إلى التوبة الصادقة، وإلاَّ كان فيه صفة من صفات المنافقين.

وأعظم مثال للأمانة: رسول الله ﷺ الذي كان الناس قبل الإسلام يسمونه (الصادق) أو (الصادق الأمين)، واختارته السيدة خديجة رضي الله عنها قبل أن تتزوجه ليعمل في تجارتها لأمانته، وكان أهل مكة إذا أرادوا أن يحفظوا ودائعهم عند أحد، جعلوها عند رسول الله ﷺ، وهو الذي جعل الكفارُ ودائعهم عنده حتى بعد أن كذبوه ووصفوه بالساحر الكذاب الشاعر، ولم يؤمنوا به، ورغم ذلك جعلوا أماناتهم عنده، فلما أراد الهجرة جعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يبيت في فراشه، ويبقى في مكة ليرد الودائع إلى أصحابها، وفاءً منه ﷺ بالعهد، وأداءً للأمانة، وعدم خيانة لها، فهو أعظم أمين عرفته البشرية كلها ﷺ.

يحتاج الإنسان في بعض الأوقات إلى المال ليصلح به بعض أموره، وكثير من الناس يتعرض لضوائق مادية ومالية تُرْغِمُه على الاستدانة من أصحابه أو إخوانه أو أقربائه.

وأكثر الناس تعرضًا لهذه الضوائق: التُّجار الذين يحتاجون دائمًا إلى المال للتربح منه، ثم إعادته إلى صاحبه مرة أُخرى، والقَرْض يحل مشكلة، لكنه قد يكون مشكلة حينما يعجز صاحبه عن ردِّه، أو يُماطل صاحبه فلا يريد ردّه إليه، أو يَرُدُّه بعد عذابٍ وعناء، فلا يُقرِضُه الناس مرة أخرى، إذ يشتهر عنه أنه مضيع للحقوق، لا يؤديها إلى أصحابها.

ومن عادة الناس[1] أن يأخذوا ضمانًا لردِّ الدَّين إليهم بكتابة صك أو ورقة تضمن رد الدَّين، وإشهاد الشهود على هذا الدَّين، وبعضهم يقول: هات لي كفيلاً أو ضامنًا، يعني: من يتكفل بردِّ هذا الدَّين، ويضمن ردَّه إلى صاحبه إذا لم يَرُده المقترض.

ويقول الناس: الضامن غارم، يعني: يغرم دفع الدَّين عند تأخر سداده، فماذا لو

---

(١) وقرر الإسلام هذا، وانظر آية الدَّين أطول آيات القرآن رقم (٢٨٢) من سورة البقرة.

أن الله تعالى هو الشهيد، وهو الكفيل على الدَّيْن؟! هذه قصتنا، وإليك أحداثها:

خرج الرجل الصالح من داره يبتغي دار أخٍ صالحٍ له، حتى وصل إلى هناك متثاقلة خطواته يكاد الحياء يردُّه إلى بيته، فإنه عقد العزم على أن يستدين من أخيه هذا ألف دينار، وهو مبلغ طائل في ذلك الزمان، ومالٌ كثيرٌ، مما يدل على أنه كان تاجرًا أو غنيًّا يمكنه سداد هذه الأموال بعدُ، لكنه توكل على ربه، وطمع في إحسان أخيه فطرق بابه، فما أن رآه صاحبه حتى هشَّ له وبشَّ، وازداد به فرحه فقال له: أَقْرِضْنِي ألف دينارٍ!! فلم يُمانع الرجل، لكنه قال: ائتني[1] بشهداء أُشهِدهُم.

وليس في هذا عيبٌ فهو يريد ضمان حقه لنفسه، أو لولده من بعده، ويبدو أن بني إسرائيل في ذلك الوقت انتشر بينهم الغدر والخيانة، وتضييع الأمانات، فأراد الرجل أن يضمن حقوقه لئلا تضيع.

فقال الرجل الصالح: كفى بالله شهيدًا. فأحسَّ أخوه منه صدقًا فقال: صدقت. ولكنه عاد فقال: ائتني بكفيلٍ[2]. فلم يملك الآخر إلا أن قال: كفى بالله كفيلاً. فقال له صاحبه: صدقت، فأحضر الألف دينار، وحدَّد لأخيه موعدًا للسداد، فوافق المُقترض على ذلك، وانطلق بالألف دينار يُدبر بها أموره وشئونه، ولم يغب عنه أنه جعل الله تعالى شهيدًا عليه وكفيلاً له، فعقد العزم على ردِّ الدنانير الألف في موعدها المحدد.

لم يكن الناس في الزمان القديم يعرفون ما نعرفه نحن من وسائل المواصلات السريعة الآن كالطائرة، والقطار وغيرها من الآلات الحديثة التي يسَّرها الله لنا فقضت على كثير من متاعب السفر ومشاقه، وكان السفر قديمًا بوسيلتين:

الأولى: الدواب: الحصان- البغل- الحمار- الناقة (الجمل).

والثانية: ركوب البحر عن طريق السُّفن الشراعية القديمة.

فكان السَّفر يستغرق وقتًا طويلاً ربما شهور، وربما أيام طوال، لكن يبقى أن السفر كان يتطلب من صاحبه جهدًا، ومالاً، ووقتًا.

---

(١) ائتني: هات لي، أو احضر لي.

(٢) كفيل: ضامن.

وقد انطلق صاحبنا الذي اقترض الألف دينار فركب مركبًا فنقله إلى بلد أخرى ليتاجر ويربح ولا زالت مركبه تتهادى في البحر تضربها الأمواج وتتقاذفها، وتعاكسها الرياح، والرياح دائمًا تأتي بما لا تشتهي السُّفُنُ.

فاستغرق سفره في البَحر وقتًا ومُدَّة، حتى وصل إلى وجهته التي يريد، فباع واشترى، وربح، ولم يغب عنه أن لسداد الدَّيْن موعدًا لابد أن يفي به، وأن يؤدي المال فيه إلى صاحبه، فإنه أشهد الله على ذلك، ويخشى أن يضيع الأمانة.

والصالح يُعظم أمر الله تعالى، ولا يضيعه، وقد خشي أن يلقى الله بـ(ربع النفاق إذا أخلف موعده).

وقبل أن يأتي الموعد المحدد لسداد الدَّيْن كان هذا الصالح قد وقف على ساحل البحر ينتظر مركبًا تحمله إلى بلدته ليردَّ الدَّيْن إلى صاحبه، ولكنه لم تأتِ مركبٌ قطُّ، وانتظر، وانتظر، وطال انتظاره، حتى يئس من قدوم مركب تحمله، فتوجَّه إلى الله تعالى قائلاً: اللهم إنك قد علمتَ أنِّي استلفتُ من فُلانٍ ألف دينارٍ، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بكَ، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وإني جَهِدْتُ[1] أن أجد مركبًا أبعثُ إليه بماله، فلم أجد مركبًا، وإني استودعتكها!!

ثم جاء بخشبة فنقرها[2] ، وأدخل فيها ألف دينارٍ، وكتب برسالة إلى صاحبه الذي استلف منه المال يخبره بأن هذه هي دنانيره الألف، ثم سوَّى موضع النَّقر، وأصلحه ورمى بالخشبة وقد قال: وإني استودعتكها!! أي: جعلت المال والخشبة والصحيفة وديعة عندك يا رب، ولا تضيع الودائع عندك!!

ومضى عائدًا حتى يجد مركبًا في وقتٍ آخر، ولن يضيع الله من جعله على وعده شهيدًا وله كفيلاً، ولن يضيع الله من توكل عليه أبدًا، ومَن يدري إلى أين تذهب هذه الخشبة العجيبة: خشبة الوفاء والأمانة.

تُرى هل سيأتي في موعده ليفي بعهده معي، ويرد المال إليَّ؟ أو سيماطل في دفع

---

(١) جهدت: يعني بذلت غاية جهدي، وبحثت قدر استطاعتي.

(٢) نقرها: ثقبها.

الدِّين كما هو حال معظم بني إسرائيل؟ إنه جعل الله تعالى عليه شهيدًا، وله كفيلاً، ولن يُخلِف وعده إن شاء الله.

هذه أسئلة لابد أنها كانت تدور في عقل صاحب المال، وقد وقف على ساحل البحر ينتظر مركبًا قادمًا من البلد التي سافر إليها أخوه الذي اقترض المال، ولكن لم يأت مركب ولا قارب، فلعل البحر أن تكون قد هاجت أمواجه، أو عصفت رياحه فأخَّرته عن موعده، وله العُذر إن كان الأمر كذلك.

ولم يبق على غروب الشمس إلا قليلاً، ولم يَلُح[1] في الأفق[2] سفينة ولا مركب، ولا حتى قارب من القوارب، فقرر الرجل العودة إلى دياره وأهله بلا مال.

ولكنه قرر الدُّخول على أهله بما يدفئهم، فالناس قديمًا كانوا يتخذون الخشب والشجر وقودًا لهم في البيوت، وفحمًا يتدفؤن بنيرانه، فالتقط إحدى الخشبات التي قذفها البحر، لتكون عوضًا له عن وقفته طيلة يومه انتظارًا لمركب صاحبه.

ودخل داره ثم بدأ في تكسير الخشبة التي التقطها من أمام الشاطئ، فإذا به يرى فيها ثُقبًا فيفتح الثقب فتنسكب منه الدنانير وتصب صبًّا فراح يجمعها ويعدها فإذا هي ألف دينار بالتمام والكمال لا تنقص دينارًا واحدًا، ثم نظر في الخشبة لعل دينارًا آخر يختبئ بين أجزائها فإذا بصحيفة كُتب فيها رسالة، والرسالة لم تكن إلا من صاحبه الذي جعل الله عليه شهيدًا، وله كفيلاً، يخبره أنه لم يقدر على الوصول إليه في موعده، لكن الله تعالى الذي رضي به شهيدًا وكفيلاً على كل شيء قدير، أوصل إليه الأمانة التي استودعها صاحبه، والله تعالى لا ولن تضيع ودائعه.

فأخذ ماله، وشكر ربه، ودعا لأخيه، وعرف أنه صالح يُعظِّم أمر الله، فلم يستغل صلاحه وتقواه، ويستدين منه ثم يضيع ماله، بل أوفى بعهده خوفًا من الله تعالى، ولئلا يكون منافقًا.

وما هي إلا أيام قلائل حتى سمع مَن يطرق الباب، فلما فتح الباب، إذا به صاحبه الذي أودع المال الخشبة قد جاءه ومعه ألف دينار أخري ظنًّا منه أن الخشبة قد

---

(١) يلح: يظهر.

(٢) الأفق: آخر ما تصل إليه العين.

تاهت في البحر، ولم تصل إلى صاحبه، وقال له كالمعتذر: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي عُدت فيه، ثم قدم إليه الألف دينار.

فقال صاحبه: إن الله الذي جعلته شهيدًا وكفيلاً قد أدَّى عنه، ولقد التقطت الخشبة، وأخذت المال، وقرأت الصحيفة، فانصرف بالألف دينار راشدًا يرحمك الله!!

فانصرف يحمد الله ويشكره، ويتعجب من لطف الله به، ومن عاقبة الأمانة والحرص على سداد دين الغير، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، ومن أمانة صاحبه الذي كان بمقدوره أن ينكر أنه التقط الخشبة بما فيها من مال، لكنهما مُسْلِمَيْن، والمسلم لا يأكل حرامًا قط.

هذه إذن قصتهما وفعلهما، ولكن لا يمكن لأحدنا أن يقترض ثم يضع المال في خشبة ويفعل مثل صاحبنا فإنها مرة وذهبت، والله أعلم!!

☆☆☆

الدروس المستفادة

(١) الصالحون موجودون في الأمم السابقة.

(٢) الله تعالى يعين الأمين الذي يريد سداد دينه وأداء الأمانة.

(٣) خيانة الأمانة، وتضييعها ربع النفاق.

(٤) أداء الأمانة من صفات الأنبياء والمرسلين، وهو خلق يجب أن يتحلى به المؤمن.

(٥) الإسراع في سداد الديون.

(٦) التوكل على الله وتفويض الأمر إليه سبحانه.

☆☆☆

الأسئلة

(١) تصوَّر نفسك الرجل الذي اقترض المال أو وضعه في الخشبة ثم احك لنا القصة.

(٢) صِلْ هذه العبارات ببعضها البعض وصلاً صحيحًا:

(أ) مَن يضمن المستدين ويغرم الدَّين إذا تأخر عن السداد.	(أ) الوديعة.
(ب) عبارة تعني أن الضامن يدفع المال إذا تأخر صاحب الدين.	(ب) الشُّهود.
(ج) مالٌ أو شيء ثمين يضعه الناس كأمانة عند صاحب لهم.	(ج) الضامن غارمٌ.
(د) مَن يشهد على أن فلانًا اقترض من الآخر.	(د) الضامن أو الكفيل.

(٣) أكمل هذه العبارات بالاختيار الصحيح:

* الثقب في الخشبة يسمى .... (الفقر- البقر- النقر).
* قال الرجل: اللهم إني قد .... (عملت- جهدت- مهدت).
* عاد الرجل إلى داره بخشبة ففتحها وجد فيها ألف .. (ريال- درهم- دينار).

(٤) ماهي الدروس المستفادة من هذه القصة؟

(٥) اذكر معنى الكلمات التالية:

(نقرها- الأُفق- كفيل- اقترض).

الإجابات

(٢) (أ- د) (ب- ج) (ج- أ) (د- ب).

(٣) (النقر- جهدت- دينار).

(٥) (ثقبها- آخر ما تصل إليه العين من الرؤيا- ضامن- استلف).

طفلٌ يتكلم في المهد[١]

جُريج العابد

صلاتي أم أمي؟

هذا هو السؤال الذي دار في ذهن جُـريج العابد أحد رجـال بني إسرائيل، وهذا هو السؤال الذي كان سببًا في حدوث قصته التي حكاها لنا النبي ﷺ.

لقد نادته أمــه في الصلاة، وكـانت أمه صالحـة، فلم يَرُدَّ عليهـا، ولم يُجِبْـها، فكانت أحداث مثيرة، ووقـائع مشوقة، لو لم تحدث لفاتنا خيرٌ كـثيرٌ، ولضاع علينا سماع قصة فيها فوائد عديدة. وقبل البداية:

* اعلم أن المسلم إذا كـان في صلاة النافلة وهي غيـر الفريضـة، فنادته أمه، أو دعـاه أبوه جاز له الخـروج من الصلاة إلاَّ إذا كـانت صـلاته فريضـة كالصُّبح، أو الظُّهر، أو العصر، أو المغرب، أو العشاء.

* وسيظهر لك في القـصة أن مَنْ سبقنا كانوا يصلون كصـلاتنا، مع اختلاف في بعض الأوقات لكنهم حرفوا هذه الصلاة وبدَّلوها.

* وقد كان في الزمن القديم قومٌ انقطعوا للعبادة بعيدًا عن الناس، وهذا ما حرَّمه الإسلامُ، فإن المسلم الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم، من هؤلاء الذين انقطعوا للعبادة: جُرَيْج العابد صاحب بني إسرائيل، الذي كان له مع والدته وقـومه قصة عجيبة، وواقـعةٌ غريبة، ولا غرابة في ذلك، فقد كان في السابقين العجب كل العجب.

من داخل الصَّوْمعة[٢] ينبعث صوتٌ رقـيقٌ يختلط فيه القراءة بالخـشوع، وينبعث منها ضوءٌ خافتٌ[٣] يدل على أن صاحب الصـومعة رجلٌ صالح ترك مـتاع الدنيا،

---

(١) المهد: فراش الطفل.

(٢) صومعة: بيت الراهب.

(٣) خافت: ضعيف.

وانصرف عنه إلى العبادة يرجو وجه الله تعالى، ويبتغي رضاه.

ولا عجب، فالكل يعـرف هذه الصومعة التي بُنيت ببسـاطة شديدة، بحيث تمنع صاحبها وتحمـيه من برد الشتاء ومطره، وحر الصيف ولهيبه، إنهـا صومعة (جُرَيْج) العابد الذي كـان يعرفه أهـل بلدته، ويُقدمونه على الجـميع، ويسألـونه الدعاء لهم ولأبنائهم مِن بعدهم.

وفضلاً عن هذا كان جُرَيْج بارًّا بأُمِّه الصالحة التي كانت تأوي إليـه كثيرًا ليقضي حاجتها، أو تقضي له بعض أموره، فجمع الإيمان بين الولد والوالدة: جُرَيْج وأمه.

وذات يومٍ دخل جريج في صـلاته حتى أحس فيهـا بخشوع عجـيب، وبدأ قلبه يبكي قبل عينـيه كأنما ينسكب النور من حوله، حتى كـأنه الآن يرى الجنة والنار وما أعدَّ الله فـيهمـا لأهلهما، ولم يقطع صـلاته إلا صوت يناديه: جُـريج!! إنه صوت يعرفه جيدًا، فكيف لا يعرف المرء صوت أمه؟! إنها أمه التي كررت النداء: جُريح يا ولدي!!

واحتـار جريج، أيترك الصـلاة ليجيب أمـه، أم يمضي في الصلاة فلا يقطعـها؟ ونسي جـريج أن خشوعـه قد ذهب بعـد أن نادته أمه، وأنه في صـلاة تطوع ونافلة ليست بالفريضة، وأنه إن أطاع أمه ولبَّى نداءها برًّا بها كان خيرًا له، لكنه عابدٌ، ولو كان عالمًا لكان خيرًا له، والناس تعارفوا أن العالم خيرٌ من سبعين عابدًا.

وكررت الأم نداءها، وجريج حائر يقول: يا رب! أُمِّي وصلاتي. لكنه مضى في الصلاة ليتمها، ولم يُجبْ أُمَّه، فحـزنت الأم الصالحة، وغضبت من ولدها فقالت: اللهم لا تُمِتْـهُ حتى تُرِيَهُ وجوه المومـسات[1] . ثم مضت الأم تاركـة ولدها جريج، وتاركة الدعوة التي دعت بها عليه، ومن الدعـاء المستجاب: دعوة الوالد على ولده، ودعوة الوالدة على ولدها.

ذاع صيتها، واشتُهر أمرها بين الناس: جميلة هي يُضرب المثل بحُسنِها وجمالها، بَغِيٌّ من المومسـات لا تتحرج من الوقـوع في الفاحشـة وفعل السوء، وهي تفـاخر

---

(١) المومسات: البغي الفاحشة الخُلق والفعل.

بذلك وتتباهى[١] به، وهكذا الفُجَّار لا يرون فيما يصنعونه خطأ؛ بل يرون سيئاتهم حسنات، ومعايبهم فضائل يفتخرون بها.

إنها إحدى البغايا في قرية جريج التي اختلط فيها الصالحون بالمفسدين، وكانت الفاحشة قد شاعت[٢] في بنِي إسرائيل حتى صارت مهنة لبعض النساء والرجال.

وفي إحدى مجالس الفُحش والفجور ذكر الفُجَّار العُصاة (جريج) وذكروا عبادته، وراحوا يتمنون أن لو كان مُفسدًا مثلهم، وهكذا المفسدون دائمًا يريدون العالم كله مفسدًا مثلهم حتى لا يأمرهم أحدٌ بمعروف ولا ينهاهم عن منكر، فإن المفسد إذا رأى الصالح تذكر فساده وعيوبه، فكره هذا الصالح وتقواه وإيمانه، وتمنى أن لو كان معه على فساده.

ولذا يُنصح العُقلاء من أهل الإيمان ألاَّ يصاحب المسلم إلا مسلمًا صالح الخلق طيب السيرة، وفي الحديث: «لا تُصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي».

وجلس المفسدون ليتفقوا على خطة شيطانية يجرون بها (جريجًا العابد) إلى الفساد ليكون مثلهم، فاتفقوا مع بغي القرية أن تفتن جريجًا وأن توقعه في الفاحشة، وأن تفضحه بين الناس حتى يتخلص المفسدون منه، ومن تقواه وعبادته وإيمانه، فقالت لهم موافقة: لأَفْتِننَّهُ لكم. ثم مضت إلى حيث صومعة العابد جريج.

فارقٌ كبيرٌ بين استجابة الدعوة وبين وقوعها وحدوثها، فالله تعالى يستجيب الدعوة لكن ليس من شرط استجابتها أن تتحقق في الحال، فربما أراد الله تعالى أن يؤخر استجابة الدعاء إلى وقتٍ آخر تكون فيه مصلحة العبد، فلو قال الرجل: يا رب ارزقني مالاً، فإن الله يستجيب له، لكن ربما أخَّر تحقق الدعوة بعض الشيء، لأن الرجل إذا رُزق المال الآن سيفسد به في الأرض، أو ينفقه في غير مصلحة، أو في وجه من وجوه الحرام.

وهذ ما حدث مع دعوة أم جريج، فقد استجاب الله تعالى لها، لكن أخَّر وقوعها وتحققها على الأرض، حتى جاء الموعد المحدد لذلك بقدر الله تعالى.

---

(١) تتباهى: تُفَاخر.

(٢) شاعت: انتشرت.

لقد تزينت البغي وهي من (المومسات)- كما دعت أم جريج- ثم ذهبت إلى خيمة جريج عليها من الزينة والحُلي ما عليها، تعطرت، ولبست أبهى ما عندها من ثياب تُريد إغواءه، لكنه لم يلتفت إليها إلا مرة واحدة رأى فيها وجهها، فكانت الدعوة قد أُجيبت، فرأى وجوه المومسات.

وعادت البغي تزين له الفاحشة وهو معتصم بالله تعالى، يستعيذ بالله من الشيطان والشهوة، حتى يأست منه، فنزلت من صومعته.

لكن... هل تتركه هكذا دون أن تحقق ما وعدت به؟ لقد رفضها ولا طريق إليه فماذا تفعل؟ لقد كان أحد الرعاة قريبًا من صومعة جريج، فعرضت عليه نفسها، فوقع معها في الفاحشة، فحملت منه، فلما ولدت قيل لها: ولدُ مَن هذا؟ مَن أبوه؟ قالت: جريج!! فما بقي من أحدٍ من النساء إلاَّ وقد أخذه العجب.

انزل جريج!! إن لم تنزل أنزلناك!! اخرج من صومعتك!! وإلا هدمناها وأنت فيها.

هذه صيحات وهتافات أهل قرية جريج الذين خرجوا بالفئوس يريدون هدم صومعة جريج إذ صدقوا البغي بأنها زنت مع جريج، وما هي إلا لحظات حتى صارت الصومعة كومًا من تراب، وحتى انهال الناس على جريج ضربًا، وهو لا يدري لِمَ يضربونه؟ ولِمَ هدموا صومعته؟ فلم يكن يدري عن أمر البغي شيئًا، حتى قال لهم بعد أن أبرحوه ضربًا: ما شأنكم؟! فقالوا: زنيت بهذه البغي، فولدت منك!! فقال جريج: أين الصبي؟- يعني الذي ولدته البغي-، فجاءوا به رضيعًا في مهده، فنظر إليه جريج، ثم قال لهم: دعوني[1] حتى أُصلي. ثم دخل في صلاته، فصلى يدعو ربه عز وجل دعاءً عريضًا يرجوه أن يُظهر براءته، حتى لا يكون ذلك سببًا في قتله، وأن يقال عن العُبَّاد من أمثاله أنهم سيئو الخلق.

وانصرف من صلاته متجهًا إلى الرضيع الصغير، فضرب بإصبعه في بطنه ضربة خفيفة.

---

(1) دعوني: اتركوني.

لم يكن الولد الذي ولدته هذه البغي إلا ابن الراعي الذي فجر بها، ولا علاقة لجريج من قريب أو بعيد بهذا الأمر، ولم يكن على هذه الحادثة من شهود إلا الله تعالى، ثم الراعي والبغي، فلا أحد يشهد لجريج، ولن يصدقه قومه ولو حلف لهم ألف ألف مرة.

لكن جريجًا كان صالحًا مُجاب الدعوة، فما أن صلى حتى ذهب إلى الغلام فطعنه بإصبعه والكل يرتقب المشهد، وما سيحدث فيه، فقال جريج يكلم الطفل الرضيع: يا غلام! مَنْ أبوك؟

وعجيبٌ والله أمره، أينطق الرُّضع وهم في المهد؟! أم يفهم الصغار لغة الكبار ولم يكتمل عقلهم بعد؟ لكن فعلها الغلام الرضيع، فهم كلام جريج؛ بل أجاب فقال: أبي هو الراعي الذي بجوار صومعتك!!

يا الله: لقد نطق الصغير الرضيع، وظهرت الحقيقة واستجاب الله لدعاء جريج، فترك الناس الفئوس، وأقبلوا على جريج بعد أن عرفوا الفاعل الحقيقي، فراحوا يُقَبِّلون جريجًا، ويتمسَّحون به، ويعتذرون إليه، ثم نظروا إلى صومعته التي صارت كومًا من تراب فقالوا: نبنيها لك من ذهب. فقال: لا، أعيدوها كما كانت.

فأقبل الناس على صومعته، فأعادوا بناءها بمنتهى البساطة كما كانت، ثم تركوه وعادوا بعد أن تأكدوا من تقواه وصلاحه.

وعاد جريج يستغفر ربه، وقد تعلَّم الدرس، فما نادته أمه وهو في صلاة النافلة بعد إلا وأجابها، فلو لم تكن قد دعت عليه لما حدث ذلك كله، ولو كان عالمًا مع عبادته لما دعت عليه، فما أجمل العلم والعبادة إذا اجتمعا!!

☆☆☆

الدروس المستفادة

(١) طاعة الوالدين مُقدمة على صلاة التطوع والنافلة.

(٢) بر الوالدين وعدم عقوقهما.

(٣) العلم والعبادة خيرٌ من العبادة فقط.

(٤) المسلم عفيفٌ لا يحب الخطأ ولا الفاحشة.

(٥) لا يُصاحب المسلم إلا مسلمًا مؤمنًا تقيًّا مثله.

(٦) المظلوم يستجيب الله دعوته.

(٧) دعوة الوالدة على ولدها مجابة، فاحذر منها.

☆☆☆

الأسئلة

(١) اختر العبارة الصحيحة من بين الأقواس:

- بطل القصة هو ..... (جريح- جرير- جريج).

- كانت أم جريج ..... (صالحة- طالحة- مفسدة).

- لا تُصاحب إلا ..... (مفسدًا- أحمق- مؤمنًا).

- المسلم الذي .... (يعتزل- يخالط- يضرب) الناس خيرًا من المسلم الذي لا يصبر على أذى الناس.

- ما دون الفريضة من الصلاة يسمى ..... (قافلة- رافلة- نافلة).

(٢) ما معني هذه الكلمات:

(راهب- صومعة- بغي- المهد).

(٣) ماذا استفدت من هذه القصة؟

(٤) للصلاة دور عظيم في كشف الكربات، وإزالة المصائب، فكيف كان هذا ضمن قصة جريج؟

☆☆☆

الإجابات

(١) (جريج- صالحة- مؤمنًا- يخالط- نافلة).

(٢) (منقطع للعبادة- بيت الراهب- سيئة الخلق- فراش الصغير).

☆☆☆

البطاقة العجيبة

فضل لا إله إلا الله

لم يعرف البشـر كلمة أرْقى ولا أعلى من هذه لكلمة: كلمة التـوحيد: لا إله إلا الله، إنها الكلمة التي من أجلها بعث الله الرسل والأنبياء، فما من رسول إلا وقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (هود: ٥٠). وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وهي الكلمة التي كـان النبي ﷺ يدعو الناس إليها لما بعـثه الله، فكان ينادي في طرقات مكة، وأسواق العرب في مواسم الحج: «قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا»[١].

وقبل وفاة أبي طالب عـم النبي ﷺ قال له رسول الله ﷺ: «يا عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله»[٢]. وبعث رسول الله ﷺ معـاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن فقال له: «إنك تقدُم على قومٍ من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسـول الله»[٣]. وقال ﷺ: «أُمـرتُ أن أُقـاتل الناس حـتى يقـولوا: لا إله إلا الله»[٤].

معنى: لا إله إلا الله، وأركانها:

معناها: لا معبود بحق إلا الله.

وأركـانهـا: يعني مـا لا يصلح الإيمان بهـا إلا بعـد الإقـرار بهـمـا: النفي[٥]، والإثبات.

فالنفي: قولنا: (لا إله)، فنفينا جميع ما يُعبد من دون الله تعالى.

---

(١) صحيح: أحمد (٤/ ٣٤١) في المسند عن ربيعة الدِّيلي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٣٦٠)، مسلم (٢٤/ ٣٩) عن المسيب بن حزن رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (١٣٩٥)، مسلم (١٩/ ٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١/ ٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) النفي: الإنكار.

والإثبات: (إلا الله)، فأثبتنا أن الله تعالى له العبادة وحده، ولا شريك له في ملكه.

ما هي شروط لا إله إلا الله؟

شروط لا إله إلا الله سبعة:

- العلم بها بلا جهلٍ.

- واليقين بها بلا شكٍ.

- والإخلاص الذي لا شرك فيه.

- والصدق الذي لا كذب فيه.

- والمحبة لله تعالى.

- والانقياد والخضوع لله تعالى، فلا يعصي من أمر الله تعالى شيئًا.

- والقبول لأوامر الله عز وجل، فلا يرد من أمره سبحانه وتعالى شيئًا.

فضائل لا إله إلا الله:

ولكلمة التوحيد فضائل- مميزات وخصائص- ليست لأي كلمة أخرى:

(١) فهي دعوة الأنبياء جميعًا، فما من نبي إلا ودعا قومه إلى التوحيد كما رأينا، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦). وما من نبي من أنبياء الله إلا وقد أمر قومه بتوحيد الله وقول: لا إله إلا الله.

(٢) كلمة التوحيد سببٌ في دخول الجنة: وقد قال رسول الله ﷺ: «مَن لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يُشرك به شيئًا دخل النار»[١]. وقال رسول الله ﷺ «مَن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢]. وقال ﷺ: «مَن قال: لا إله إلا الله، وكَفَر بما يُعبد من دون الله، حُرِّم ماله ودمه، وحسابه على الله»[٣].

(٣) أن التوحيد بُنيت عليه أركان الإسلام جميعًا: فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ

---

(١) رواه مسلم (٩٣/ ١٥١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (٤٣/ ٢٦) في الإيمان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم عن طارق الأشجعي رضي الله عنه.

صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

والمسلم إذا نظر في حياته كلها وجدها مبنية على التوحيد، فالمسلم لحظة الولادة يُؤذَّن في أُذنه: الله أكبر... لا إله إلا الله، وفي المناسك (الحج) نقول: لبيك وحدك لا شريك لك، وفي الدعاء نقول: لا إله إلا أنت سبحانك، وفي الاستغفار نقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت.

(٤) أن (لا إله إلا الله) وهي كلمة التوحيد سبب دخول الجنة، والشرك سبب دخول النار: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨). وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨). وقال: ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ (المائدة: ٧٢).

وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ (النساء: ١١٦). وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٧).

ومَن كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة كما في الحديث الصحيح، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله حرَّم الله عليه النار»[١] .

(٥) أن التوحيد يبعث الاطمئنان في قلوب أصحابه: والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا[٢] إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢). فزرع الإيمان في القلوب بالتوحيد.

وقد قال الله تعالى عن الذين كفروا: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ (آل عمران: ١٥١).

فلو كان الكون كله بأرضه وسمائه، وإنسه وجنه ضد الموحدين لانتصروا عليهم بإذن الله، ولو تخلى الموحدون عن العقيدة الصحيحة لهزمهم جيش من النمل!!

---

(١) رواه مسلم (٢٩/٤٧).

(٢) يلبسوا: يخلطوا.

(٦) أن كلمة التوحيد تنقل صاحبها من النار إلى الجنة يوم القيامة: وهذا حقٌّ، وله قصة عجيبة تحدث يوم القيامة، لولا أن رسول الله ﷺ حكاها لنا ما كنا علمناها، ولا عرفنا عن خبرها من شيءٍ، وهي قصة تحدث لرجل من أمة الإسلام يوم القيامة تُنقذه فيها كلمة التوحيد من النار وتدخله الجنة!!، ومعلوم أن الناس يوم القيامة تُنصب لهم الموازين، فمن رجحت كفة حسناته دخل الجنة، ومن رجحت كفة سيئاته دخل النار.

والسِّجلات[١] التي كتب الملائكة الحفظة فيها الحسنات والسيئات هي التي توضع في الميزان يوم القيامة، ونحن نؤمن بالميزان، وبالسجلات، وبوجود الملائكة الكرام الذين يكتبون أعمال العباد ويدونونها لتكون سببًا في دخول العباد الجنة أو النار، وهكذا تبدأ قصة البطاقة العجيبة!!

هكذا الأحوال يوم القيامة: الشمس تدنو[٢] من العباد حتى تكون فوق الرءوس مباشرة، والكل فوق أرض واحدة بيضاء لم يصنع عليها ذنب قط، والمخلوقات من إنس، وجن، وحيوانات، وطير وقفت في مكان واحد تنتظر العرض على الله تعالى.

والملائكة قد وقفت على أرجاء السماوات والأرض، والجبال زالت، والأرض غير الأرض، والعرق شديد، فالناس اجتمع عليها حرٌّ الخوف من الله تعالى، وحر الزحام، وحر الشمس، فالناس يعرقون، فمنهم من يعرق حتى يُلجمه العرق إلجامًا، ومنهم من يصل العرق إلى ركبتيه، وآخر إلى سُرته، كلٌّ حسب عمله وما قدمه.

ولا ظل يومئذٍ يستظل به العبد من الشمس، ولا جبل ليختبئ وراءه، وما هي إلا لحظات حتى يشعر الإنسان بالعطش ولا ماء، ويشعر بالجوع ولا طعام، ويريد الراحة في يوم لا راحة فيه إلا للمؤمنين.

وهناك من يمر على الصراط وهو جِسر بين الجنة والنار، أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف، مَن سقط من عليه دخل النار حتمًا، بينما تتطاير الكتب، فمن الناس

---

(١) السجلات: الكتب والدفاتر.

(٢) تدنو: تقترب.

من يأخذ كتابه بيمينه وأولئك أصحاب الجنة، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله وهم الكفار والعُصاة.

ومِن عُصاة أمة الإسلام رجلٌ يرى هذه الأهوال يوم القيامة، ثم يُعرض عليه عمله، ويُعرض هو على الله تعالى، والخلائق جميعًا ينظرون إليه، فيُنشر له تسعة وتسعون سجلاً[1]، كل سجل منها مدُّ البصر، ومدُّ البصر: يعني إلى آخر نقطة تصل إليها عينه، وما في هذه السجلات إلا سيئات قد ارتكبها، فعندئذٍ يتيقن من دخوله النار لا محالة، إذ إن العُصاة من أمة الإسلام إن لم يتُب الله عليهم يدخلون النار يُعذبون بما ارتكبوا من معاصٍ ثم يخرجون منها لأنهم موحدون.

فبعد مطالعة هذه السجلات يأس هذا العبد من دخول الجنة، واستعد لدخول النار، فيقول الله عز وجل: أظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول الله عز وجل: أفَلَكَ عُذرٌ؟ فيقول العبد: لا يا رب!! وهنا زاد يقين العبد أنه داخلٌ النار لا محالة.

حرَّم الله تعالى الظُّلم على نفسه فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: ٤٠). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (يونس: ٤٤). وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦). وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا عبادي! إني حرَّمت الظُّلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا، فلا تظالموا»[2].

ولأن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة- يعني وزن نملة صغيرة- فإنه يقول للعبد الذي تيقن بدخول النار: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظُلم عليك اليوم.

لكن، ماذا تفعل حسنة مع جبال السيئات التي سطَّرها الملائكة الكاتبون الحافظون في هذه السجلات التسعة والتسعين، ولكن لماذا لا يتمسك برحمة الله تعالى، ويرجو عفوه سبحانه؟! لقد ذهب العبد ليستخرج بطاقة، مجرد بطاقة[3] صغيرة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله. إنها بطاقة صغيرة، وليست إلا كلمتين

---

(١) يعني: يُعرض ويفتح له تسعة وتسعون كتابًا كتبها الملائكة من أعماله.

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧/ ٥٥) عن أبي ذر عن النبي ﷺ عن ربه تعالى.

(٣) بطاقة: رقعة صغيرة من الورق يكتب عليها كلمات معدودات.

فقط، فماذا تفعل مع سجلات عددها تسعة وتسعون؟! لكنه يعود لينفذ أمر الله تعالى، فيأتي إلى الله عز وجل بها، فيقول الله تعالى: احْضِر وزنكَ. فإذا بالعبد يقول: يا رب! ما تفعل هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فقال الله تعالى: إنك لا تُظلم.

لقد نسي العبد أن الكلمة التي كُتبت في البطاقة ليست كأي كلمة، إنها كلمة التوحيد، فلا كلمة تشابهها ولا تماثلها، فيأتي العبد بوزنه، فتوضع السجلات المليئة بالسيئات في كفة، والبطاقة الصغيرة في الكفة الأخرى، فإذا بالمفاجأة تحدث: لقد طاشت السجلات وطارت ورجحت كفة البطاقة التي فيها كلمة التوحيد، فإن اسم الله تعالى لا يثقل معه شيء، فإذا بالعبد يدخل الجنة بكلمة التوحيد لأنه كان مخلصًا إذ قالها ولو يومًا من الأيام، ورحم الله مَن قال:

تبارك ذو الجلال والإكرام ☆ ومَن شهد أن لا إله إلا هو
مَن يغفر الذنوب ومَن يمحصها ☆ غيرك يا مَن لا إله إلا هو
جنات خلدٍ لمَن يُوَحِّدُهُ ☆ أشهدُ أن لا إله إلا هو
ناره لا تحرق مَن ☆ يشهد أن لا إله إلا هو
أقولها مخلصًا بلا بُخلٍ ☆ أشهد أن لا إله إلا هو

☆ ☆ ☆

الدروس المستفادة

(١) شرف التوحيد وفضله، وأنه رسالة الأنبياء جميعًا، والمقصود الأول من الإيمان بالله عز وجل.

(٢) شرف كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وفضلها.

(٣) لابد من توافر شروط (لا إله إلا الله) سبعة.

(٤) الميزان حق، والصراط حق يوم القيامة.

(٥) الله تعالى لا يظلم الناس شيئًا.

(٦) رحمة الله بعباده يوم القيامة.

الأسئلة

(١) من فضائل كلمة التوحيد: لا إله إلا الله:

(أ)

(ب)

(ج)

(د)

(٢) عبِّر بكلمة واحدة عن الآتي:

- رسالة الأنبياء جميعًا حتى نبينا محمد ﷺ.
- رُقعة صغيرة مكتوب فيها بعض الكلمات.
- جسر يُضرب يوم القيامة بين الجنة والنار أدق من الشعرة وأحد من السيف.
- كلمة تعني: لا معبود بحق إلا الله.

(٣) أكمل التالي:

ركنا كلمة التوحيد هما ...... و...... بينما كلمة التوحيد .... في دخول الجنة، ومن ...... وهو يعلم أنه لا إله إلا ...... دخل ...... ودعوة ...... هي دعوة الأنبياء، ونؤمن بأن ...... حق يوم القيامة وأن ......حقٌ، وحديث ...... دليل على أن الموحدين يدخلون الجنة.

(٤) اكتب لنا عشرة أسطر عن أهمية وفضل لا إله إلا الله.

☆☆☆

الإجابات

(٢) (التوحيد- البطاقة- الصراط- كلمة التوحيد).

(٣) (النفي والإثبات- سبب- مات- الله- الجنة- التوحيد- الميزان- الصراط- البطاقة).

صوتٌ في السَّحاب
ساقي الحديقة والزَّكاة

فـرض الله تعالى الزكـاة على الأغنيـاء من المسلمين، فـجعـلها رُكنًا من أركـان الإسلام حتى إن الله تعالى ذكر الزكاة في القرآن ثلاثين مـرة مفردة، وسبعة وعشرين مرة مـرتبطة بالصلاة، فقـال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣) . وقال سبـحانه في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٢- ٤) . وقال الله تعالى في أكثر من موضع: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣)

وفي حديث البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت مَن استطاع إليه سبيلاً»

لكن: مـا هي الحكمة من فـرض الزكاة على الأغنيـاء؟ الحكمة من فـرض الزكاة على الأغنياء لهذه الأسباب:

(١) غرس بذور التآلف والحب والمودة بين المسلمين، فيعلم الغني أن في المال حقًّا للفقير، فالزكاة ليست تفضلاً من الغني على الفقير، بل هي حق له، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ㉔ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤، ٢٥) .

(٢) وبالزكاة يحدث التوازن، فلن يظل الفقيـر فقيراً؛ بل سيجد المال الذي يوسع على نفسه وأهله به، ويُلبي حاجته، فلن يكون هناك غنيٌّ يتمتع بالمال وحده فيموت هو وأولاده من التُّـخمـة، بينما هناك آخـرون يموتون جوعًـا لا يجدون مـسكنًا ولا مأوى، ولو بين قبور الموتى.

(٣) وساعتها لن يكـره الغني الفقير، ولن يحقد الفقيـر على الغني؛ بل سينتشر الحب والتآلف بين الجميع.

(٤) والفقير حـينما يمر على زروع الغني أو محلاته يتمنى أن لو كـان له فيها من

نصيب، فإذا أعطى الغني الفقير حقَّه طابت نفسه، ولم يتمن زوال نعمته.

(٥) ويجب أن يعلم الغني أنه لا يملك المال وحده في الحقيقة؛ بل المال ملك لله تعالى، جعل الله الغني راعيًا له، فإن منع حق الفقير، كانت العاقبة شديدة.

وقد حذر الله تعالى الذين لا يخرجون زكاة أموالهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥)
فمن منع زكاة المال كان عقابه عند الله تعالى يوم القيامة عظيمًا.

(١) يؤخذ كنزه- يعني ما ادخره من المال- فيوضع في النار، ثم تُحمى النار عليه- أي: يشتد لهيبها-.

(٢) حتى تسيل، فتكوى بها جبهة مانع الزكاة، وجنبه، وظهره.

(٣) ويلومه ربه فيقول له: هذا كنزك.

ثم يلقى في نار جهنم حتى يقضي الله تعالى بين العباد، ثم ينظر في أمره بعد ذلك، هل يدخل الجنة أم النار؟

وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة حتى أدُّوها إليه بعد ذلك.

والقصة التي بين أيدينا تستحق أن توصف بأنها قصة جميلة، حكاها النبي ﷺ ليُعلِّم أُمته أن مَن أدَّى الزكاة نمَّى الله له ماله، وزاده، فالصدقة لا تُنقص المال أبدًا، بل هي والله تزيده وفي الحديث: «ما نقص مالٌ من صدقة».

لكن كيف؟ أنا معي عشرة ريالات، تصدقت بخمسة وبقي خمسة، فكيف لا تكون قد نقصت؟! نقول لك: إنها خمسة في يدك، لكن الله يبارك فيها، فتبقى وتشتري بها ما كنت تشتريه بعشرة دراهم، وقد تدخر منها، بل قد تشتري شيئًا فيحقق الله لك الربح فيه، وبذلك يزداد المال ولا ينقص من الصدقة أبدًا.

وهذه القصة التي بين أيدينا توضح ذلك، فكيف؟

أرضٌ واسعةٌ، يبدو عليها أن المطر لا يتنزل فيها كثيرًا، ومن بعيد يظهر سواد[1]

---

(١) سواد: خيال أو شبح أو صورة.

إنسان يسير قد أجهده السفر، وأتعبه المسير في هذه الأرض التي لا أنيس فيها ولا جليس، وبدأت الصورة تظهر، إنه رجلٌ يسير في هذه الأرض الواسعة التي خلت من الماء والناس، وإذا به ينظر في السماء يتجول ببصره فيها ويتأمل روعة الخالق سبحانه في رفعه السماوات بلا عمدٍ، وفي خلقه السماء بزُرقتها الصافية التي تلمع فيها النجوم ليلاً، كأنهن يواقيت في جو السماء، فإذا ما طلع القمر أضاء الليل، وأنارت السماوات، وها هو السحاب في السماء يسير كأنه جيش جرَّار يسير وراء بعضه البعض، ولكن: أيتحدثُ السحاب؟ أيتكلم السحاب؟

إن السحاب ما هو- كما يقول العلماء- إلا بخار ماءٍ متجمع في الجو إذا ما طلعت عليه الشمس أذابته حتى تتنزل حبات المطر منه، فلا لسان للسحاب، ولا فم، ولا أذن.

فماذا يحدث لو أنك سمعت سحابة تتكلم؟ وما العمل إن سمعت وتأكدت أن في السحابة صوتٌ؟ بل الصوت يأمر السحابة فتتحرك بأمره، فيا لقدرة الله عز وجل!!

لقد نظر الرجل السائر في الفلاة(١) إلى سحابة، فسمع صوتًا في هذه السحابة يقول: اسق(٢) حديقة فلان!! فاضطرب الرجل، وخاف، لكنه سُرعان ما رأى السحابة تُنفذ ما أُمرت به، فسارت نحو حديقة قريبة!!

تحركت السحابة قليلاً، ثم مالت نحو حَرَّةٍ من الحرار، والحَرَّةُ: أرض صلبة فيها حجارة سوداء، ثم بدأت السحابة تمطر في هذه الحديقة فسكبت ما فيها من الماء في هذه الحرة فقط، فلم تتعداها إلى حرَّة أخرى فإنها مأمورة أن تُفرغ ماءها وأن تسكبه في مكانٍ واحدٍ، فإذا بالماء يسير في اتجاه شَرَجةٍ من الشراج، والشَّرَجة: هي مسيل من مسايل الماء في الصحراء والحِرار.

وكأن الماء يسير ومعه من يضبط له حركته، ولِمَ لا، وقد كان سحابة منذ قليل أمرها مَن أمرها أن تذهب إلى مكان واحد لا تتعداه.

---

(١) الفلاة: الأرض الواسعة.

(٢) اسق: اروي.

لقد دخل الماء في هذه الشرجة، وبدأ الرجل يتتبع الماء ليعلم إلى أين يذهب، ولا زال الماء يسير ويسيل، وهو وراءه حتى رأى على البُعد حديقة فيها رجلٌ قد أمسك بـ(المِسْحاة)[1] يجر الماء ويحوله إلى حديقته، فأسرع ودخل عليه فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ فقال: اسمي فلان. فيا للمفاجأة الرائعة، إنه نفس الاسم الذي سمعه في السحاب منذ قليل!! ففكر الرجل كثيرًا، إن في الأمر سرًّا؛ بل سرٌّ خطيرٌ، فما الذي يجعل سحابة في السماء تُمطر في أرضه وحده؟ أهو ساحرٌ؟ إن السحرة لا يُسخر لهم السحاب. أم هو شيطانٌ؟ إن الشياطين لا تحب الماء، ولا تزرع؛ بل تحب الخراب والنار. أم أنه ملكٌ من الملائكة؟

ولم يقطع تفكيره إلا سؤال صاحب الحديقة: يا عبد الله! لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي أمطر هذا الماء الذي تجرفه أنت، وتجُرُّه إلى حديقتك يقول: اسقِ حديقة فلان؛ لاسمكَ، فما تصنع لكي يحدث هذا كله، ويمطر السحاب في أرضك وحدك؟

لم يكن الأمر سرًّا خطيرًا، وصاحب الحديقة بشرٌ من البشر، ليس بملَك، ولا هو جني، ولا شيطان، إنما يفعل شيئًا مما أمر الله به لا أكثر، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف: ٩٦) . فهذا رجلٌ تقي، مؤمن، ينفذ أمر الله تعالى، فتح الله له من بركات السماء ومن بركات الأرض، فماذا كان يفعل؟

قال صاحب الحديقة ردًّا على سؤال الرجل: أما إذ قلت هذا، وسألتني، وعرفت سري، فإني سأُخبرك بما أفعل: إنني أنظر إلى ما يخرج من هذه الحديقة من ثمرٍ، فأقسمه إلى ثلاثة أقسامٍ:

- فأتصدق بثُلثه، أجعله للمساكين، والسائلين، وابن السبيل.
- وآكل أنا وعيالي ثلثه.
- وأرُدُّ فيها ثلثه- يعني أصلح به الحديقة وأزرعها مرة ثانية-.

---

(١) المِسْحَاة: أداة لسحب الأرض أو الماء، وهي المِجْرَفة.

فعلم الرجل أن الله تعالى يبارك في الصدقة، ولصاحبها، وفيما تبقى منه.

إن البركة هنا ظاهرة واضحة، فالله تعالى يبارك للمتصدق في حديقته، فيجعل له سحابة تُمطِر في أرضه، ويزيد من زرعه وثمره، ويبارك له ولعياله، ولو كان في مكانٍ بعيد منعزلٍ عن الناس، فما أعظم الصدقة؟! وما أعظم بركة الله تعالى للمؤمنين؟! وما أكثر النعم إذا ما أطاع العباد ربهم سبحانه وتعالى؟!

☆☆☆

الدروس المستفادة

(١) فضل الصدقة والزكاة.

(٢) الله تعالى يبارك لمن أطاعه من عباده.

(٣) عقوبة مانع الزكاة في النار شديدة.

(٤) فضل الفِلاحة والزراعة.

(٥) في الزروع والثمار صدقات وزكاة.

(٦) لو أطاع العباد ربهم لكانت البركة لهم في أموالهم وزروعهم.

(٧) الصدقة تبارك المال ولا تنقصه.

☆☆☆

الأسئلة

(١) اختر الصحيح من بين هذه الإجابات:

- ما نقص مالٌ من . . . . . (صدقة- زكاة- ثروة).

- من فوائد الزكاة وحكمتها غرس بذور . . . . . (الكراهية- الخصومة- التآلف).

- سمع الرجل في الصحراء صوتًا في . . . . . (السماء- سحابة- الصحراء).

(٢) اذكر كلمة واحدة تُعبر بها عن العبارات الآتية:

- مسيل من مسايل الماء.

- ماءٌ متجمع في السماء إذا طلعت الشمس جعلته مطرًا.

- آلة لجرف الماء، وسحوه، وتسويته.

(٣) ما هو جزاء الصدقة كما فهمت من هذه القصة؟

(٤) تخيل نفسك مكان الرَجل الذي سمع السحابة، ما هو وصفك لما حدث؟

☆☆☆

الإجابات

(١) (الصدقة- التآلف- سحابة).

(٢) (شرجة- سحاب- مِسْحاة).

☆☆☆

قصص الإيمان بالله

الإيمان[1]:

كان النبي ﷺ جالسًا ومعه أصحابه رضي الله عنهم، فرأوا رجلاً آتيًا من بعيد، يرتدي ثيابًا بيضاء ناصعة، وشعره شديد السواد، لا تبدو عليه آثار السفر كالتعب والإرهاق وغُبار السفر، ولا يعرفه أحد منهم، وجلس الرجل أمام النبي ﷺ، وأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ، وقال: يا محمد.. أخبرني عن الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال الرجل: صدقت. فعجب الصحابة له.. يسأله ويصدقه! قال الرجل: فأخبرني عن الإيمان؟ قال النبي ﷺ: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال الرجل: صدقت.. فأخبرني عن الإحسان؟ قال النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». ثم سأل الرجل الغريب عن يوم القيامة فأخبره النبي ﷺ بأن علمها عند الله عز وجل، ثم انطلق الرجل، وغاب عن عيون الصحابة، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[2].

لا إله إلا الله[3]:

كان النبي ﷺ جالسًا بين أصحابه، فسألهم قائلاً: «هل فيكم غريب؟» - يعني من أهل الكتاب- فقال الصحابة: لا يا رسول الله. فأمرهم النبي ﷺ بغلق الباب، وقال: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله». فرفع الصحابة أيديهم ساعة، ثم وضع النبي ﷺ يده، ثم قال: «الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها،

---

(١) قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ (يونس: ١٠٠).

(٢) متفق عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله» الترمذي، لذلك يستحب للمسلم أن يكون له وِرد يومي يذكر فيه هذه الكلمات عدة مرات بخشوع واطمئنان.

ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد». ثم قال: «أبشروا، فإن الله قد غفر لكم»(١) .

صفة الرحمن(٢):

بعث رسول الله ﷺ رجلاً على سرية (جماعة من المسلمين المجاهدين)، فكان الرجل يقرأ لأصحابه في صلواتهم، ويختم قراءته بسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع هذا؟!». فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله عز وجل يحبه»(٣) .

البشرى(٤):

جاء قوم من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال لهم: «اقبلوا البشرى يا بني تميم». قالوا: بشرتنا فأعطنا- قالوها مرتين- فتغير وجه رسول الله ﷺ لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة، وفي وقت لم يكن لديه ما يعطيهم ليتألفهم به، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال لهم النبي ﷺ: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم». قالوا: قبلنا. جئنا لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»(٥) .

والذِّكر هو اللوح المحفوظ، وهو خلق عظيم من خلق الله، سجل الله فيه كل ما يتعلق بجميع الكائنات التي قدرها.

---

(١) أحمد.

(٢) سُئل النبي ﷺ: صف لنا ربك؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص).

(٣) متفق عليه.

(٤) الله سبحانه هو خالق جميع الكائنات، وهو المُصيِّر لها، فلا يتحرك شيء ولا يسكن إلا بإذنه. قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: ١٦).

(٥) البخاري.

رؤية الله[1]:

أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أنه سوف يكلمه على جبل طور سيناء، وينزل عليه التوراة، فأوصى موسى أخاه هارون بأن يرعى بني إسرائيل حتى يعود، ثم جاء موسى عليه السلام إلى الجبل، فكلمه الله سبحان وتعالى، فطلب موسى عليه السلام أن يرى الله فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فأخبره الله تعالى بأنه لا يقوى ولا يستطيع أن يراه، فقال: ﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فنظر موسى عليه السلام إلى الجبل، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣). فآمن موسى عليه السلام أن الإنسان ضعيف، لا يقوى على رؤية نور الله عز وجل، فهذا الجبل بضخامته وقوته لم يقو ولم يصمد أمام نور الله، فما ظننا بالإنسان؟!

ولكنه سبحانه يمكننا أن نرى الله في آياته ومخلوقاته، نراه في اتساع هذا الكون ونظامه وجمال مخلوقاته.

المحيي المميت[2]:

الله سبحانه وتعالى يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وهو القادر وحده على ذلك، ولقد آمن بذلك نبي الله إبراهيم عليه السلام، ولكن أراد أن يطمئن قلبه، فتوجه إلى الله بالدعاء، وسأله كيف يحيي الموتى قائلاً: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾، فقال الله تعالى له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، فأمره الله تعالى بأن يأخذ أربعة من الطير، فيقطعهن أجزاءً، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم يناديهن، فإنهن سوف يأتين إليه سعيًا. ففعل إبراهيم عليه السلام ما أمره الله، ونادى الطيور فأقبلت أجزاؤها حتى اجتمعت وعادت كما كانت طيورًا تطير وتمرح وتأكل وتشرب، فشكر إبراهيم ربه على نعمته

---

(١) الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

(٢) قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١).

وزاد يقينًا واطمئنانًا بقدرته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

قدرة الله[١] :

في زمان قديم عاش رجل صالح اسمه عُزَيْر، وكان مشهورًا بين قومه بالحكمة والصلاح، ركب عزير حماره ذات يوم،.وخرج في سفر، فمر على قرية خربة، فلفت نظره دمارها وخلوها من أي كائن حي، فقال متعجبًا: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩). ونزل عزير عن حماره، ثم وضع طعامه وشرابه، وقبل أن يأكل بعث الله إليه ملك الموت، فقبض روحه، وبعد مائة عام من موته، وبعد أن أصبحت عظامه بالية، أراد الله عز وجل أن يريه قدرته على بعث الموتى، فأرسل إليه ملكًا، وخلق منه أول ما خلق عيناه، فجعل عزير ينظر إلى عظامه وهي تتجمع بعضها إلى بعض، ويكسوها اللحم والجلد والشعر، ثم نفخ فيه الروح، فسأله الملك: كم لبثت؟ فقال عزير: لبثت يومًا أو بعض يوم. فقال الملك: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتغير، وانظر إلى حمارك. فنظر عزير فرأى عظام حماره تجتمع، ويكسوها اللحم والجلد، ثم نفخ فيه الروح، فقام الحمار رافعًا رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقًا، فآمن عزير بقدرة الله سبحانه على كل شيء.

الحجة القوية[٢] :

في قديم الزمان، كان في بابل حاكم ظالم، اسمه النمرود بن كنعان، يدَّعي أنه إله، وكان يستعبد الناس، ويستبد بأمورهم، فجاءه نبي الله إبراهيم عليه السلام، ودعاه إلى الإيمان بالله تعالى، وذكره بعظمة الله وقدرته، وأنه هو الذي يحيي ويميت، فقال النمرود في غطرسة: وأنا أحيي وأميت. ثم أحضر رجلين فقتل أحدهما، وترك الآخر حيًّا، وقال: أحييت هذا، وأمتُّ هذا. فرد عليه نبي الله

---

(١) قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

(٢) الإيمان بالله يقتضي منا أن نؤمن بقدرته على بعث الموتى، وأنه وحده هو الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

إبراهيم عليه السلام قائلاً: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، فبُهت النمرود، ولم يستطع الكلام، وبرغم ذلك لم يؤمن مع إبراهيم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

المنقذ(١):

يحكى أن رجلاً أنكر وجود الله تعالى، فقال له جعفر الصادق رضي الله عنه: «هل ركبت البحر؟ فقال الرجل: نعم. فقال جعفر: هل رأيت أهواله ومخاطره؟ فقال الرجل: أجل، هاجت يومًا رياح هائلة، فكسرت السفن، وأغرقت الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها، ثم ذهب عني ذلك اللوح، فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج حتى دُفعت إلى الساحل. فقال جعفر: قد كان اعتمادك أولاً على السفينة والملاح، ثم على اللوح حتى تنجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد؟ قال الرجل: بل رجوت السلامة. قال جعفر: ممن كنت ترجوها؟ فسكت الرجل، فقال جعفر: إن الصانع (الله) هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت، وهو الذي أنجاك من الغرق. فأسلم الرجل على يد جعفر.

ذكاء الأعرابي(٢):

الفطرة السليمة تهدي صاحبها إلى وجود الله سبحانه وتعالى، فقد روي أن أعرابيًّا سئل عن الدليل على وجود الله تعالى، فنظر الأعرابي إلى السماء، وقلب بصره في جوانبها، ثم نظر إلى الأرض نظرة فيها تفكر واعتبار، حرَّكت في قلبه الإيمان والإذعان، فقال: البعرة (الرَّوث) تدل على البعير، والماء يدل على الغدير، وأثر

---

(١) قال تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: ٦٣).

(٢) قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٦١).

الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج (نجوم وكواكب)، وأرض ذات فجاج (طرق واسعة)، وبحار ذات أمواج، أما تدل على الصانع الحليم العليم القدير؟

ورقة التوت[1] :

يحكى أن جماعة من الناس سألوا الإمام الشافعي رضي الله عنه عما يثبت وجود الله، فقالوا له: ما الدليل على وجود الله؟ فقال الإمام الشافعي: ورقة الفرصاد (التوت). فاندهش الناس وقالوا: ورقة التوت. . كيف ذلك؟! فقال الإمام: ورقة التوت، طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم؟ قالوا: نعم. قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منه الإبريسم (الحرير)، ويأكلها النحل فيخرج منها العسل، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر (الروث)، وتأكلها الظباء فينعقد في نوافحها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد؟ فاستحسن الناس كلامه، وأسلموا على يده، وكانوا سبعة عشر رجلاً.

الزورق[2] :

يحكى أنه في أحد الأيام جاء رجل ملحد إلى أحد أمراء المسلمين، وطلب منه عالمًا مسلمًا يتحداه ويناظره، وكان هذا الملحد ينكر وجود الله ويقول: ليس هناك إله في هذا الوجود! أحضر الحاكم عالمًا تقيًا، وأخبره بأمر ذلك الملحد، فقال العالم: أيها الأمير! أنا مستعد لهذه المناظرة، غير أن لي حاجة سوف أقضيها، وأعود إليكما سريعًا. فأذن له الأمير، وقعد ينتظره هو والملحد، وفات الوقت وتأخر العالم، فقال الملحد: أرأيت أيها الأمير، لقد هرب عالمكم من المناظرة لعجزه. وبينما هما كذلك جاء العالم، واعتذر عن تأخره، وقال: بينما أنا في طريق العودة لم أجد زورقًا أعبر عليه النهر، فانتظرت طويلاً، فلم أشعر إلا وقد ظهرت على وجه الماء ألواح من الخشب، وجاءت من هنا وهناك، واجتمع بعضها إلى بعض، وظهرت مطرقة،

---

(١) حث الله عز وجل على التفكر في خروج العسل من النحل، فقال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل: ٦٩) .

(٢) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾(النساء: ١٣٦) .

وتطايرت مسامير فتهيأ أمامي في لحظات زورق، فركبت فيه وحضرت. فضحك الملحد ساخرًا وقال: أيها الأمير أرأيت هذا الأحمق المجنون، يزعم ويدَّعي ويهذي. فقال العالم: إذا كان من الحمق والهذيان أن يدَّعي الإنسان حصول زورق صغير، يُرَكَّب من ألواح خشبية ومسامير، أفليس من الجنون أن يقول الإنسان بأن هذا الكون بما فيه من سماء، وأرض، وإنسان، وحيوان، وعجائب، وغرائب، ودقة صنع، ونظام، إنما وجد نفسه بلا خالق موجد؟! فأُفحم الملحد وبهت، وخرج يجر أذيال الخيبة والخسران، وفرح الأمير بهذا التدبير، وشكر العالم المسلم على ذكائه.

الفطرة السليمة[1] :

يحكى أنه في إحدى المدارس الابتدائية وقف معلم ملحد أمام التلاميذ، وسألهم: أتروني؟ فقالوا: نعم.. نراك. فقال: إذًا أنا موجود..أترون اللوح؟ قالوا: نعم..نراه. قال: فاللوح إذًا موجود..أترون الطاولة؟ قالوا: نعم. قال: فالطاولة إذًا موجودة، أترون الله؟ قالوا: لا. قال: فالله إذًا غير موجود. فوقف أحد التلاميذ الأذكياء وقال لزملائه: أترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا. قال: فعقل الأستاذ إذًا غير موجود.

وهكذا توصل الطفل الصغير بفطرته إلى وجود الله، فالناس يؤمنون بوجود الهواء- مثلاً- لأنهم يحسون به ولا يرونه، ويؤمنون بوجود الروح وهم لا يرونها، ويؤمنون بوجود الأمس والغد وهم لا يرونهما، ويؤمنون بأن الأجداد كانوا موجودين برغم أنهم لا يعايشونهم.

هل ينام الله[2]؟ :

يحكى أن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام سؤالاً غريبًا..قالوا له: يا موسى! هل ينام ربك؟! فقال موسى عليه السلام: «اتقوا الله». فنادى الله سبحانه

---

(١) نحن نشعر بوجود الله دائمًا، لأننا في حاجة مستمرة إليه، فإذا كنا لا نراه بالعين فإننا نراه بالقلب وبالعقل.

(٢) قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وقال ﷺ: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» مسلم.

وتعالى موسى: يا موسى.. سألوك: هل ينام ربك؟ فخذ زجاجتين في يديك، فقم الليل.

فقام موسى عليه السلام وهو يحمل الزجاجتين، في كل يد زجاجة، فلما مر ثلث الليل نعس موسى ووقع برأسه على ركبتيه، فانتبه بسرعة، وضبط الزجاجتين قبل أن يصطدما، وظل موسى يغالب النوم حتى إذا كان آخر الليل نعس ولم يشعر، فسقطت الزجاجتان وانكسرتا، فنادى الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام: «يا موسى! لو كنت أنام لسقطت السماوات والأرض فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يديك»[١].

تمجيد الله[٢]:

قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحًا. فيقول: فماذا يسألونني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: كيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصًا عليها، وأشد طلبًا لها، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول الله عز وجل: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[٣].

---

(١) الهيثمي.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» مسلم.

(٣) البخاري ومسلم.

مُلْكُ الله[١] :

قال رسول الله ﷺ : «آخر مَن يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين. فتُرفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها. فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة أخرى هي أحسن من الأولى- ويتكرر نفس هذا الموقف مع شجرة أخرى- ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب أدنني من هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يصريني-. ما يمنعني- منك؟! أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أي رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر»[٢] .

كلام الله[٣] :

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، يؤمن بذلك الملائكة والمؤمنون من الإنس والجن، فإذا قرئ القرآن استمعت له الملائكة وأنصتوا.

فذات ليلة، جلس أسيد بن حضير رضي الله عنه يقرأ القرآن، وكانت فرسه مربوطة عنده، وبينما هو يقرأ جالت الفرس وصهلت، فسكت أسيد عن القراءة،

---

(١) قال ﷺ : «إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول: تمن، فيتمنى ويتمنى، فيقول له: تمنيت؟ فيقول: نعم فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه» مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) الكلام صفة من صفات الله عز وجل، والقرآن من كلامه سبحانه وتعالى، ولكن كلامه ليس ككلامنا، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت، فانصرف إلى ابنه يحيى وكان قريبًا منها، فخاف أن تصيبه، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء، فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح، عرجت- صعدت- إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدَّث رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسول الله ﷺ: «أتدري ما ذاك؟». قال: لا يا رسول الله. قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها، لا تتوارى عنهم»[1].

إيمانٌ.. ويقين[2]:

أخذ نبي الله إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنه الرضيع إسماعيل إلى مكة، حيث أمره الله سبحانه وتعالى، وكانت مكة صحراء جرداء موحشة، لا ماء فيها ولا زرع ولا ناس، وترك إبراهيم معهما جرابًا به تمر وسقاء به ماء، ثم تركهما ورجع عائدًا إلى بلاد فلسطين، فذهبت هاجر وراءه وهي تقول: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا.

ورجعت هاجر وهي تؤمن بأن الله معها، وما دام أراد لها ذلك فسوف يتكفَّلها هي ووليدها ولن يضيعهما. وأخذت هاجر ترضع إسماعيل وتشرب من الماء حتى انتهى، فعطشت وعطش ابنها، وصرخ من ألم العطش والجوع.

ونظرت هاجر إلى وليدها وهو يتلوَّى، ولم تملك أن تصبر، فجرت إلى جبل الصفا وصعدت فوقه، ونظرت هل ترى أحدًا، ثم نزلت وهرعت نحو جبل المروة، وظلت تسعى بين الجبلين سبع مرات فلم تجد أحدًا.

وقبل أن يدب اليأس جاءت رحمة الله، فأنقذت هذه السيدة المؤمنة وأنقذت وليدها، وتفجرت عين زمزم، فسقت ولدها وشربت، وأرسل الله عز وجل إليها ملكًا قال لها: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيت الله الحرام يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وأهل الله هم المؤمنون به والموقنون بوجوده وعظمته.

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٢، ٦٣).

تعليم الصغار الإيمان بالملائكة

وهو العنصر الثاني من عناصر الإيمان، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٢٣). والغيب: هو كل ما غاب عن عيوننا فلا نراه، والملائكة من هذا الغيب الذي أخبرنا الله تعالى به، وقال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿ءامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

مَن هم الملائكة؟

هم خلق خلقهم الله تعالى من نورٍ كما جاء في الحديث: «**خُلقت الملائكة من نورٍ، وخُلق الجان من مارجٍ من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم**[1]»[2].

كما خلقهم الله تعالى قبل خلق آدم عليه السلام، وبذلك فهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناسلون، كما أعطاهم الله تعالى عدة صفات، منها:

١- القدرة على التشكل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ١٦، ١٧). والروح هو جبريل عليه السلام أعطاه الله تعالى القدرة على التشكل في هيئة إنسان سوي الخلقة.

٢- كما أن لهم القدرة على العروج- أي: الصعود- إلى السماء: فقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

٣- كما أن لهم خَلْقٌ عظيم يفوق خلق الإنسان: فقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناحٍ، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه الدرّ- أي: اللؤلؤ-.

٤- وهم منظمون في صفوفهم، يصطفون لملم الله تعالى يُتِمون الصف الأول فالذي يليه.

---

(١) أي: كما وصف الله تعالى لنا في القرآن.

(٢) رواه مسلم.

٥- وهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ١٩، ٢٠). وقال عنهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦، ٢٧).

٦- وهم أيضًا لا ينسون ما قد علمهم الله تعالى؛ حيث قال سبحانه عنهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: ١٠- ١٢).

وظائف الملائكة، ورؤساؤهم:

(١) لقد أوكل الله تعالى إلى الملائكة وظائف عدة تتعلق بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم هم القائمون بها بإذن الله تعالى وبأمره.

(٢) فرؤساء الملائكة الثلاثة: جبريل عليه السلام، وهو الموكل بالوحي ونزول القرآن، وبه حياة القلوب والأرواح. وميكائيل عليه السلام الموكل بالقطر- المطر- الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان. وإسرافيل عليه السلام الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

(٣) ومنهم حملة العرش الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ (غافر: ٧). وقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٧).

(٤) ومنهم مَلَك الموت، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١).

ونتبه: على أن ملك الموت لا يصح أن نسميه: عزرائيل، فلم يصح هذا في القرآن ولا في صحيح السنة المطهرة.

(٥) ومنهم من يشهد مجالس الذكر والعلم كما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

(٦) وللملائكة وظائف أخرى، فهم يقفون على باب المسجد يوم الجمعة يكتبون

أسماء المصلين، ثم يسمعون الخطبة إذا قام الإمام للخطبة، ويؤمنون مع الإمام بعد تلاوة الفاتحة، وهم يصلون على المؤمنين ويدعون لهم، ويصلون- يعني يستغفرون- على المصلين وعلى من يفطر الصائمين، ويضعون أجنحتهم لطلبة العلم، ويدعون لهم بالبركة، ويقاتلون مع المؤمنين، ومنهم خزنة الجنة، وخزنة النار، وهناك المَلَك الموكل بأمر الجبال، إلى غير تلك المهمات التي أعطاها الله تعالى إياهم.

ولكن كيف نبدأ مع الصغار تعلم الإيمان بالملائكة؟

- البداية مع تعلم الإيمان بالغيب عن طريق الآيات، وعن طريق الأدلة العقلية التي ذكرناها في مسألة (الإيمان بالله تعالى)، فيعطى مثال الكهرباء التي نؤمن بوجودها ولا نراها، وما هو على وزنها.

- ثم نربط بين الصغير وبين الملائكة عن طريق إظهار حب الملائكة لبني الإنسان، فيقول الدكتور عدنان باصالح: «ويبدأ الأب ببيان حب الملائكة للمؤمنين، وأنها تستغفر لهم، كما أخبر بذلك الله عز وجل حيث قال: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ (الشورى: ٥). فيُشعر ولده بحب الملائكة له، وأنهم يدعون له، ويطلبون له النجاة والفوز بالجنة، كما يخبره أنهم يحمونه مما يؤذيه، ومن كل ما يمكن أن يضره، فقد قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١). فالمعقبات هم الملائكة الذين يتعاقبون على الناس بالليل والنهار، يحفظونهم بأمر الله عز وجل مما لم يكتب عليهم.

ويبين الأب لولده أن الملائكة هم الذين ينزلون بالوحي الذي تحيا به القلوب، ويهتدي به الناس فكل أعمالهم لخير الناس وصلاحهم، وبهذا البيان يقع في نفس الولد حب الملائكة وموالاتهم، لما لهم من فضل وإحسان»[١].

- كما نربط بين حب الملائكة وحب الله تعالى، وأن من أبغضهم، كان من أعداء الله سبحانه وتعالى، فقد قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

---

(١) مسئولية الأب المسلم (ص١٥٧).

- والتذكير الدائم بمرافقة الملائكة لبني البشر من ساعة الخلق ونفخ الروح حتى الممات، ليعلم الصغير أن ربه تبارك وتعالى حفظه بهؤلاء الملائكة الكرام.

- وعن طريق القصص الذي يعرض حب الملائكة لبني البشر ومساعدتهم لهم، وعلاقتهم بهم. وهذه نماذج من هذه القصص:

المَلَك الفارس[1]:

يحكى أنه في يوم من الأيام، خرج «أبو معقل الأنصاري» في تجارة له، وكان من أصحاب النبي ﷺ، وكان تقيًا مؤمنًا، يتَّجر بماله ومال غيره، فقابله لص شرير رفع عليه السلاح وقال له: ضع متاعك فإني قاتلك. فقال له أبو معقل: شأنك بالمال. فقال اللص: لست أريد إلا دمك. فقال أبو معقل: فذرني أصلي. قال اللص: صلِّ ما بدا لك. فتوضأ أبو معقل، وصلى ودعا الله قائلاً: يا ودود.. يا ذا العرش المجيد.. يا فعال لما تريد.. أسألك بعزتك التي لا ترام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك.. أن تكفيني شر هذا اللص.. يا مغيث أغثني.. يا مغيث أغثني. فإذا بفارس يأتي وبيده حربة، فطعن اللص فقتله، فسأله التاجر أبو معقل: مَن أنت فقد أغاثني الله بك؟ قال: أنا مَلَكٌ من أهل السماء الرابعة، لما دعوت سمعت لأبواب السماء قعقعة (صوتًا)، ثم دعوت ثانيًا فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم ثالثًا فقيل: دعاء مكروب، فسألت الله أن يوليني قتله[2].

الملائكة الضيوف[3]:

كان نبي الله إبراهيم عليه السلام في داره، فجاء إليه شبان أقوياء، حسان الوجوه، فسلموا عليه، فرحب بهم واستضافهم، ثم ذهب ليختار عجلاً سمينًا ليذبحه ويشويه ويقدمه للضيوف، وتعجب نبي الله إبراهيم، فبعد أن وضع العجل مشويًا أمام الضيوف، لم يمد أحد يده إليه، فسألهم إبراهيم مندهشًا: ألا تأكلون؟!

---

(1) الملائكة من أعظم جنود الله، ينصرون المؤمنين على أعدائهم، ويسارعون إلى عونهم ونجدتهم.

(2) ابن أبي الدنيا.

(3) الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، ولا يتزوجون، ولا ينجبون، ولا يتناسلون.

ودخله الخوف منهم والمهابة، فطمأنوه وأخبروه بأنهم ملائكة، وبشروه بأن زوجته سارة ستلد له ولدًا، وكانت السيدة سارة تستمع إلى بشرى الملائكة، فتعجبت من تلك البشرى، وضربت بيدها على جبهتها، وقالت: عجوزٌ عقيم. فأخبرها الضيوف أن تلك إرادة الله سبحانه، وهو القادر على كل شيء.

خلق الملائكة(١) :

الملائكة يتصفون بعظم الخِلْقة، ويختلف بعضهم عن بعض في عدد الأجنحة، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: ١).

وروي أن رسول الله ﷺ سأل جبريل أن يتراءى له في صورته، فقال جبريل: إنك لن تطيق ذلك. قال: «إني أحب أن تفعل». فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته، فغُشي على رسول الله ﷺ حين رآه، ثم أفاق وجبريل يسنده، ووضع إحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أرى أن شيئًا من الخلق هكذا!». فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل، إن له اثني عشر جناحًا، منها جناح في المشرق، وجناح في المغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه يتضاءل أحيانًا لعظمة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع (الدبّة)، حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته»(٢) .

جبريل وسدرة المنتهى(٣) :

جاء ثلاثة من الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم عند الكعبة- وكانت قريش تنام حول الكعبة- فقال أحد الملائكة: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم. فقال أحدهم: خذوا خيرهم. فاحتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل فشق ما بين نحره إلى لبَّته (موضع القلادة من الصدر) حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله

---

(١) وصف النبي ﷺ جبريل عليه السلام، فقال: «ما بين منكبي جبريل خمسمائة عام للطائر السريع الطيران» أبو الشيخ.

(٢) ابن المبارك في الزهد.

(٣) عن عبد الله بن الزبير، أنه كان إذا سمع الرّعد قال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ثم يقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد» مالك.

من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتي بطست (إناء) من ذهب فيه نور محشوًا إيمانًا وحكمة، فحشا به صدره ولغاديده (عروق حلقه)، ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابًا من أبوابها، فناداه أهل السماء: مَن هذا؟ فقال: جبريل. قالوا: ومَن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد بُعث؟ قال: نعم. قالوا: فمرحبًا به وأهلاً. فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه. فسلم عليه ورد عليه آدم وقال: مرحبًا وأهلاً يا بني، نعم الابن أنت. ثم عرج به إلى باقي السماوات حتى السابعة، يقال له في كل سماء مثل ما قيل له في السماء الدنيا، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلَّى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى[١].

ملَك الجبال[٢]:

اشتد أذى الكفار بالنبي ﷺ في مكة، فخرج النبي ﷺ إلى الطائف، وهو يلتمس العون من أهلها، ويرجو الله أن يهديهم للإيمان، ولما وصل النبي ﷺ إلى الطائف وعرض دعوته على أهلها، فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم، فشتموه وضربوه، عاد النبي ﷺ إلى مكة وهو حزين.

وبينما كان ﷺ في طريق عودته، رأى سحابة فوق رأسه، فيها جبريل عليه السلام يناديه ويقول: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فنادى ملك الجبال، وسلم على النبي ﷺ وقال له: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (الجبلين المحيطين بمكة). فقال النبي ﷺ في تسامح عظيم: «بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[٣].

---

(١) البخاري.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر...» البخاري.

(٣) متفق عليه.

دعاء الملائكة[1] :

الملائكة تدعو للمؤمن، وتؤمِّن على دعائه، فإذا دعا المؤمن دعاءً، وسأل الله شيئًا، قالت الملائكة: آمين. لذلك أوصانا النبي ﷺ أن ندعو بالخير دائمًا.

ففي يوم موت أبي سلمة رضي الله عنه ذهب النبي ﷺ إليه، وأغمض عينيه، ثم قال لمن حوله: «إن الروح إذا قُبض تبعه البصر». فأحدث بعض الناس من أهل أبي سلمة ضجيجًا، فقال النبي ﷺ: «لا تدعو على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». ثم دعا النبي ﷺ الله عز وجل لأبي سلمة أن يغفر له، ويحافظ على أولاده وأهله فقال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونوِّر له فيه»[2].

الملائكة المشيعون[3] :

ذات يوم، خرج النبي ﷺ يشيع جنازة أحد المسلمين، فأُتي بدابة ليركبها، فرفض النبي ركوبها، فلما أنهى ﷺ تشييع الجنازة أُتي بدابة له فركبها، فسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «إن الملائكة كانت تمشي، فلم أكن لأركب وهم يمشون، فلما ذهبوا ركبت»[4]. وخرج رسول الله ﷺ في جنازة، فرأى ركبانًا فقال: «ألا تستحيون؟! إن ملائكة الله على أقدامهم، وأنتم على ظهور الدواب»[5].

الملائكة وأهل الجنة[6] :

بينما كان رسول الله ﷺ بين أصحابه ذات يوم، سألهم: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟». فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال لهم النبي ﷺ: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تُسد بهم الثغور، وتُتقى بهم المكاره، ويموت

---

(1) الملائكة يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم بالخير، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: 7).

(2) مسلم.

(3) قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام: 61).

(4) أبو داود.

(5) الترمذي.

(6) قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: 23، 24).

أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم. فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم؟! فيقول: إنهم كانوا عباداً يعبدونني لا يشركون بي شيئًا، وتُسد بهم الثغور، وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاءً». عند ذلك تأتي الملائكة هؤلاء الفقراء ويدخلون عليهم من كل باب قائلين لهم: ﴿سَلامٌ عليكُم بما صبرتُم فنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤).

ملَك في صورة رجل[١]:

حكى رسول الله ﷺ أن رجلاً أراد زيارة أحد إخوانه في قرية أخرى، وفي أثناء سيره قابله ملك في صورة رجل، أرسله الله عز وجل على طريقه، فسأله الملك: أين تريد؟ قال الرجل: أريد أخًا لي في هذه القرية. فسأله الملك عما إذا كان له مصلحة عند أخيه يريد قضاءها، فقال له: هل لك من نعمة تربُّها عليه؟ فقال: لا، غير أني أحبه في الله. قال الملك: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه[٢].

بيت لا تدخله الملائكة[٣]:

وعد جبريل عليه السلام النبي ﷺ أن يأتيه في ساعة معينة، فجاءت الساعة ولم يأته، وكان في يد النبي ﷺ عصًا فألقاها من يده وقال: «ما يخلف الله وعده ولا رسله». ثم التفت النبي ﷺ، فرأى كلبًا صغيراً تحت سريره، فقال لزوجته: «يا عائشة! متى دخل هذا الكلب هاهنا؟». فقالت: والله ما دريت. فأمرها النبي ﷺ أن تخرجه، فلما أخرج الكلب جاء جبريل عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: «واعدتني فجلست لك فلم تأت». فقال جبريل: منعني الكلب الذي كان في بيتك،

---

(١) قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لو أنكم تكونون إذا خرجتم على حالكم ذلك، لزارتكم الملائكة في بيوتكم» الترمذي.

(٢) مسلم.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير» البخاري. لذلك لا تجوز تربية الكلاب إلا لضرورة شديدة كالحراسة.

إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب أو صورة[1] .

طاعة الملائكة[2] :

خلق الله الملائكة قبل أن يخلق الإنسان، وأنشأهم على طاعته، وجعلهم يسبحون بحمده ويقدسونه ليلاً ونهارًا، ومن أمثلة طاعة الملائكة لله تعالى أنه لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أخبر الملائكة بذلك، ليكونوا على علم به، فقال سبحانه لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا﴾ (البقرة: ٣٠). فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: ٣٠).

فأخبرهم الله أنه يعلم ما لا يعلمون، وأمرهم سبحانه أن يسجدوا له بمجرد أن ينفخ فيه من روحه، فأطاع الملائكة أمر الله، فسجدوا جميعًا لآدم طاعة لأوامر الله عز وجل وامتثالاً لها، فهم مخلوقون على الطاعة، ومطبوعون على العبادة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

حياء الملائكة[3] :

الحياء خلق من أخلاق الملائكة، فهي تستحي كما يستحي البشر، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوَّى ثيابه، فدخل فتحدث، ولما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له، ولم تباله- أي: لم تكترث به وتحتفل لدخوله-، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست وسويت ثيابك. فقال ﷺ: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة؟!»[4] .

---

(١) مسلم.

(٢) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤).

(٣) جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب.

(٤) مسلم.

ملائكة بدر[١] :

بينما كان أبو لهب جالسًا عند زمزم، يستطلع أخبار معركة بدر، والتي تدور أحداثها بين المسلمين والمشركين، إذ أقبل المغيرة بن الحارث من ميدان القتال، فناداه أبو لهب قائلاً: هلم إليَّ، فعندك- لعمري- الخبر. فجلس المغيرة إلى جانبه، والناس حوله، فقال أبو لهب: يا ابن أخي! أخبرني كيف كان أمر الناس؟ فقال المغيرة: والله، ما هو أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وايم الله! مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضًا على خيلٍ بُلقٍ- لونها يختلط فيه السواد والبياض- بين السماء والأرض، والله ما تلق شيئًا ولا يقوم لها شيء. وكان أبو رافع غلامًا للعباس بن عبد المطلب، وقد أسلم وكتم إسلامه، فلما سمع كلام المغيرة بن الحارث قال: تلك والله الملائكة.

الملائكة واليهود[٢] :

سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف (يجني الثمر)، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال ﷺ: «أخبرني بهن جبريل آنفًا». قال: جبريل؟ قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (البقرة: ٩٧). «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت». قال عبد الله بن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

ملائكة الرحمة[٣] :

في قديم الزمان، كان هناك رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، وأحب أن يتوب إلى

---

(١) جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم؟» قال: «من أفضل المسلمين»، قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» البخاري.

(٢) قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

(٣) للجنة ملائكة، وللنار ملائكة، وخازن النار ملك اسمه مالك، قال تعالى عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ (الزخرف: ٧٧).

الله عز وجل، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدله الناس على راهب، فذهب إليه وأخبره بقصته، وسأله: هل لي من توبة؟ فقال الراهب: لا. فقتله فأكمل به مائة، ثم سأل الرجل عن أعلم أهل الأرض، فدله الناس على عالم، فذهب إليه، وأخبره بقصته، وسأله: هل لي من توبة؟ فقال العالم: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء.

فانطلق الرجل حتى إذا كان في نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاه ملك في صورة آدمي، فجعلوه (أي: حكمًا)، وقد أرسله الله تعالى ليحكم بينهم بحكم الله تعالى، فقال: قيسوا ما بين الأرضين- أي: الأرض التي خرج منها، والأرض التي قصدها- فإلى أيها كان أدنى (أقرب) فهو لها. فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي قصدها، فقبضته ملائكة الرحمة[١].

الملائكة تحمي النبي ﷺ[٢]:

في غزوة أحد اتجه المشركون إلى النبي ﷺ، وحاولوا قتله بشتى الطرق، فلما رأى بعض الصحابة ذلك، أسرعوا إلى النبي ﷺ، وأحاطوا به، ليدفعوا عنه هجوم المشركين، وكان من بين من يدافع عن النبي ﷺ جنديان مجهولان، عليهما ثياب بيضاء، ويقاتلان أشد القتال، هذان الجنديان كانا جبريل وميكائيل، وقد رآهما بعض الصحابة، وما رآهما قبل ولا بعد، وكان النبل يأتي من كل ناحية، ورسول الله ﷺ وسطها لا يصيبه منها شيء، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد»[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٤٩، ٥٠).

(٣) متفق عليه.

وروي أن عبد الله بن شهاب الزهري- وكان مشركًا- ظل يبحث عن النبي ﷺ ليقتله، وكان يصيح في أصحابه: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، ورسول الله ﷺ إلى جنبه، لكنه لم يره، لأن الله تعالى قد أعمى بصره عن النبي ﷺ، فلما انتهت المعركة عاتبه صفوان على ذلك، فقال ابن شهاب: والله ما رأيته، أحلف بالله أنه ممنوع منا، خرجنا أربعة، فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله، فلم نخلص إلى ذلك.

الملائكة الطوافون[١] :

كان النبي ﷺ يخطب في أصحابه، فأخبرهم أن لله ملائكة يطوفون في الأرض، يبحثون عن العابدين الذاكرين، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله، نادى بعضهم بعضًا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء، فيسألهم ربهم- وهو أعلم بهم-: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. فيقول: فماذا يسألونني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: كيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصًا عليها، وأشد طلبًا لها، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول الله عز وجل: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[٢] .

الملك جبريل[٣] :

كان النبي ﷺ يقضي شهر رمضان متعبدًا في غار حراء، يتفكر في خلق

---

(١) الملائكة أكثر خلق الله طاعة له، يكثرون من تسبيح الله وتمجيده، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٠).

(٢) متفق عليه.

(٣) جبريل عليه السلام هو الملك الموكل بالوحي، من الله عز وجل إلى رسله من بني آدم.

السماوات والأرض، وفي عظمة ذلك الخلق، فجاءه جبريل، وضمه إلى صدره، ثم تركه وقال له: اقرأ. فقال النبي ﷺ: «ما أنا بقارئ». فأخذه جبريل وضمه إلى صدره، ثم تركه وقال له: اقرأ. فقال النبي ﷺ: «ما أنا بقارئ». فأخذه جبريل مرة ثالثة ثم تركه وقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ (العلق: ١ - ٣).

فرجع النبي ﷺ وهو يرتجف، ودخل على زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها، فواسته وخففت عنه، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخًا كبيرًا ضريرًا، فلما سمع ورقة كلام النبي ﷺ قال له: هذا الناموس (جبريل) الذي نزّل الله على موسى[(١)].

الملائكة تحب وتكره[(٢)]:

أخبر النبي ﷺ صحابته بأن الملائكة تحب من يحبه الله تعالى، وتكره من يكرهه الله تعالى، قال ﷺ: «إذا أحب الله تعالى عبداً، نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحببه. فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»[(٣)].

الملائكة والشهيد[(٤)]:

في غزوة أحد، استشهد والد جابر بن عبد الله، فجاء به المسلمون وهو مغطى، وقد مثَّل به المشركون، فجرحوه في وجهه بعد أن مات، وأراد جابر أن يرفع الثوب الذي يغطي أباه، ويكشف عن وجهه، فمنعه قومه، ثم أراد أن يرفع الثوب، فنهاه

---

(١) البخاري.

(٢) الإيمان بالملائكة له ثمار جليلة، منها: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

(٣) مسلم.

(٤) من ثمار الإيمان بالملائكة، محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى، وطاعة لأوامره.

قومه مرة أخـرى، فأمر به رسول الله ﷺ فرفع الثوب، فـسمع صوت امرأة تبكي، فقال ﷺ: «مَن هذه؟». فقالوا: بنت عمرو. فقال النبي ﷺ: «ولِمَ تبكي، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفع- ومعناه: سواء بكت عليه أم لا، فما زالت الملائكة تظله، وحصل له من الكرامة، فلا ينبغي البكاء على مثل هذا-»[١].

مصافحة الملائكة[٢]:

قـابل أبو بكر الصديق رضي الله عنـه حنظلة الأسيـدي رضي الله عنه، فوجـده حزينًا، فسألـه: كيف أنت يا حنظلة؟ فأجابه: نافق حنظلة. فقال أبـو بكر: سبحان الله! ما تقول؟ فقال حنظـلة: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالجنة والنار، حتى كـأنا نراهما رأي الـعين، فإذا خـرجنا من عند رسـول الله ﷺ عافـسنا- خـالطنا- الأزواج والأولاد والضيعات- أمـور المعيشة-، فنسينا كثـيرًا. قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا.

ثم انطلق أبو بكر ومعه حنظلة رضي الله عنهما حتى دخلا على رسول الله ﷺ، قال حـنظلة: نافق حنظلة يا رسـول الله. فقـال رسول الله ﷺ: «ومـا ذاك؟». قال حنظلة: يا رسول الله! نـكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، كـأنا نراهما رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، ونسينا كثيرًا. فقال النبي ﷺ: «والذي نفـسي بيـده لو تـدومون على ما تكـونون عندي، وفي الـذكـر، لصـافـحـتكـم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة»[٣].



---

(١) متفق عليه.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدّجال» البخاري.

(٣) مسلم.

تعليم الصغير الإيمان بالكتب السماوية

ولكي يكتمل إيمان المسلم بالله تعالى فلابد له من الإيمان بجميع ما أنزل الله تعالى من الكتب على جميع الأنبياء من قبل، وهي: (صُحُف إبراهيم عليه السلام، وصحف موسى والتوراة، وزبور داود عليه السلام، وإنجيل عيسى عليه السلام، ثم القرآن الكريم).

وقد تحدث عن هذه الكتب في مواضع متفرقة فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٨، ١٩). ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٤). ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣). ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَءَاتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٦). ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ﴾ (يوسف: ٣). ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ (النساء: ١٣٦).

والكتاب هنا يعني القرآن في المرة الأولى، وفي الثانية يعني: التوراة والإنجيل والزبور، وما أنزل الله من كتب على الأنبياء الذين لم يحدثنا عنهم، وقد كانت هذه الكتب تدعو إلى توحيد الله حينما نطق بها الرسل الكرام عليهم السلام، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

فالتوحيد والإيمان هي رسالة الأنبياء جميعًا، إلا أن هذه الكتب تعرضت للتحريف والتغيير، إلا أن على المسلم أن يؤمن بأنها نزلت من عند الله على رسل الله تدعو إلى توحيد الله تعالى في وقت هؤلاء الرسل.

ثم جاء القرآن كلام الله تعالى لفظًا ومعنى، ووحيه، والنور المبين، والهادي إلى الصراط المستقيم، والمسلم يؤمن بأن القرآن كلام الله لفظًا ومعنى، نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، والمصحف الشريف هو الجامع للقرآن وآياته.

وعـدد أجزاء القـرآن: ثلاثون جزءًا، وعـدد سور القـرآن: ١١٤ سورة، وعـدد الأحزاب: ستون حزبًا، والحزب: أربعة أرباع، وعدد آيات القرآن: ٦٢٣٦ آية، وعدد كلماته: ٧٧٤٣٩ كلمة، وعدد أحرف القرآن: ٣٤٠٧٤٠ حرفًا، والله أعلم.

وهذه بعض القصص عن الكتب السماوية وعن القرآن الكريم:

☆☆☆

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أنزل الله عز وجل الكتب السماوية على رسله بوحي منه، لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والإيمان بها ركن من أركان الإيمان.

والإيمان بالكتب يتضمن عدة أمور، منها: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًّا، والتصديق بما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة، والعمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها.

والكتب السماوية التي نعلم أسماءها هي: صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والتوارة التي نزلت على موسى عليه السلام، والزبور الذي أوتيه داود عليه السلام، والإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام، والقرآن الذي نزل على رسولنا محمد ﷺ.

ونظرًا لأن الكتب السابقة طرأ عليها التحريف والتزييف، ونسخها القرآن، فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكامها إلا ما صح منها وأقرَّه القرآن.

والإيمان بالكتب له فوائد عظيمة، وثمرات جليلة، منها: العلم بعناية الله بعباده، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به، والعلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨).

لذلك وجب شكر الله على هذه النعمة العظيمة.

صحف إبراهيم وموسى(١)

سأل أبـو ذر الغفـاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ: مـا كانت صـحف إبراهيم عليه السلام؟ فقال: «كانت أمثالاً كلها: أيها الملك المسلط المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله، أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل ألا يكون ظاعنًا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمَّة معاش- أي: إصلاح المعيشة-، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظًا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله، قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه». فسأله أبو ذر: يا رسول الله! فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال ﷺ: «كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح! عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك! عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب- يتعب-! عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها! عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل!»(٢).

☆☆☆

الجهاد في الكتب السماوية(٣)

الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء كلها من مصدر واحد، وهي من عند الله عز وجل، فالتوراة التي نزلت على موسى، والإنجيل الذي نزل على عيسي، والقرآن الذي نزل على محمد صلوات الله عليهم أجمعين، كلها نزلت من عند الله، ولذلك اشتركت جميعًا في بعض الأحكام والتعاليم التي أمر الله بها، ومن ذلك أن الله عز

---

(١) الكتب السماوية هي: التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، والصحف هي: صحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٨، ١٩).

(٢) ابن حبان والحاكم.

(٣) كان ورقة بن نوفل عنده علم بالكتب السابقة، فلما أسمعه النبي ﷺ ما نزل عليه من الوحي، قال ورقة: «هذا الناموس الذي نزله الله على موسى» البخاري.

وجل فرض الجهاد في سبيله، وأنزل ذلك في الكتب الثلاثة، وذلك موجود بها قبل أن تُحرَّف، ويدلنا على أن الجهاد نزل في الكتب الثلاثة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

فقد أمر الله بالجهاد أمة موسى في التوراة الصحيحة، وأمر به أمة عيسى في الإنجيل الصحيح، كما أمر به أمة محمد ﷺ في القرآن.

☆☆☆

النبي في الكتب السماوية(١)

ذُكر النبي محمد ﷺ في الكتب السماوية جميعًا، في التوراة والإنجيل والقرآن، وقد أكد الله تعالى ذلك في القرآن فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٦، ١٥٧). وقد بشَّر عيسى عليه السلام بالنبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقرأ في كتب أهل الكتاب، فلما نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفتح: ٨). قال عبد الله: هي في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا»(٢).

---

(١) قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: ٣، ٤).

(٢) البخاري.

المحجة البيضاء[١]

بعدما فتح المسلمون خيبر، سمع عمر رجلاً يهوديًّا يقرأ في بعض صحف التوراة، فأعجب عمر بها، فطلب من الرجل أن يكتب له ذلك، فأملاه الرجل، وكتب عمر ذلك في صحيفة، ثم ذهب بها إلى النبي ﷺ، ولما رآها النبي ﷺ في يده سأله: «ما هذا في يدك يا عمر؟». فقال عمر: يا رسول الله! كتاب نسخته لنزداد علمًا إلى علمنا. فغضب النبي ﷺ حتى احمر وجهه، وقال لعمر: «أمتهوِّكون - هل أنتم متحيِّرون- فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»[٢].

ثم جمع النبي ﷺ الناس، ووقف يحذرهم من مثل ذلك، فقال: «يا أيها الناس! إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختُصر لي اختصارًا، ولقد آتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تهوّكوا- أي: لا تتحيَّروا ولا تضطربوا-، ولا يغرنكم المتهوّكون». فقال عمر: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً[٣]. ثم أمسك عمر بالصحيفة ومحا ما فيها.

☆☆☆

المعجزة الخالدة[٤]

اجتمع المشركون يومًا، وقرروا أن يطلبوا من النبي ﷺ بعض الأشياء، فقالوا له: لو سيَّرت لنا جبال مكة حتى تتسع، أو قطعت الأرض كما كان سليمان يُقطِّع لقومه

---

(١) المسلم لا يصدّق ولا يكذّب ما جاء عن أهل الكتاب، ولا يأخذ عنهم إلا ما يتفق مع القرآن والحديث الصحيح، قال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم» البخاري.

(٢) أحمد.

(٣) أبو يعلى.

(٤) القرآن معجز في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، مما يدل على صحة دعواه.

بالريح، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه. فأنزل الله عز وجل يرد عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٣١). أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب فعل ذلك لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو هو أولى من غيره بهذا لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع إنسي ولا جني إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله.

وقد أكد النبي ﷺ على أن القرآن معجزته الخالدة فقال: «**ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[١]. أي: أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على مر الأيام، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معجزاته.

☆ ☆ ☆

نزول القرآن[٢]

كان رسول الله ﷺ يتعبد شهر رمضان في غار حراء قبل نزول الوحي عليه، فلما أتم الأربعين عامًا، وجاء شهر رمضان، ذهب النبي ﷺ يتعبد في الغار، فجاءه المَلَك فقال: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارئ**». فضمه ضمة شديدة ثم تركه، وقال له: اقرأ. فقال: «**ما أنا بقارئ**». وتكرر ذلك ثلاث مرات، وفي الثالثة قال له الملك: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ (العلق: ١-٣).

فرجع النبي ﷺ إلى زوجته السيدة خديجة يرتعد ويقول: «**زمّلوني زمّلوني**». فزملوه حتى ذهب عنه الخوف، فأخبر خديجة بما حدث، وقال لها: «**لقد خشيت على نفسي**». فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وكان عنده علم بالكتب السابقة، وكان شيخًا

---

(١) البخاري.

(٢) جبريل عليه السلام يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، وذلك في شهر رمضان، فعرضه عليه مرتين في العام الذي تُوفّي فيه.

كبيرًا قد عمي، فلما سمع النبي ﷺ قال له: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى. وأخبره أنه نبي هذه الأمة.

☆☆☆

حلاوة القرآن(١)

أرسلت قريش الوليد بن المغيرة المخزومي ليطلب من النبي ﷺ أن يكف عن دعوته، فلما جاءه قرأ ﷺ عليه آيات القرآن، فتأكد أن هذا ليس من كلام البشر، وخرج من عند النبي ﷺ وهو يقول: يا عجبًا لما يقول- يعني النبي ﷺ-، فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله.

☆☆☆

جمع القرآن(٢)

بعدما تولى أبو بكر الصديق الخلافة دخل المسلمون في عدة حروب مع المرتدين ومانعي الزكاة، فاستشهد عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم، فخشي عمر على ضياع القرآن، فقال لأبي بكر: إن القتل قد استحر بالحفاظ، وإني أخشى أن يُقتل من بقي منهم في المعارك الأخرى، فيذهب بذهابهم القرآن. فقال أبو بكر: وماذا ترى أن أفعل؟ فقال عمر: تجمع القرآن في مصحف حتى يظل مرجعًا يرجع الناس إليه. فقال: وكيف أصنع شيئًا لم يصنعه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلما اقتنع أبو بكر برأي عمر، واستراح إليه استدعى زيد بن ثابت، وكان ممن يكتبون الوحي، وأمره بجمع آيات القرآن من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال، فرفض زيد أول الأمر، فلما اقتنع قام بذلك وجمع القرآن.

☆☆☆

---

(١) القرآن أحسن الكلام، وأجمله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣).

(٢) تولى زيد بن ثابت مهمة جمع القرآن، وكان يقول: «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به أبو بكر من جمع القرآن» البخاري.

مصحف عثمان (رضي الله عنه)[1]

المصحف الذي جمعه أبو بكر لم يكن مقصوراً على حرف، ولا على لهجة واحدة، وإنما كانت الآيات تشمل كل اللهجات التي نزل بها القرآن، فلما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة، وكان الإسلام قد انتشر خارج جزيرة العرب، ودخل كثير من الأعاجم الإسلام، اختلفوا في القراءة، وكادت الناس أن تقتتل في ذلك، وشاهد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه هذا في أرمينية، فاشتد غمه، ولم يكد يرجع إلى المدينة المنورة حتى ذهب إلى عثمان رضي الله عنه قبل أن يدخل بيته وقال له: يا أمير لمؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن تتفرق حول القرآن كما تفرق أهل الكتاب حول التوراة والإنجيل. ثم أخبره بما يحدث بين الناس في القراءة، فأمر عثمان رضي الله عنه بإحضار نسخة المصحف التي جمعها أبو بكر واستودعها عمر عند حفصة رضي الله عنها، فجاءوا بها، فاستدعى عثمان بعض الحفاظ وكتبة الوحي، وثبّت قراءة واحدة، نسخ منها عدة نسخ، فأرسل بها إلى الأمصار، واحتفظ لنفسه بنسخة منها. وهكذا جمع عثمان الأمة على قراءة واحدة، وعلى مصحف واحد، وهو ما يُعرف اليوم بمصحف عثمان.

☆☆☆

القرآن والقلوب[2]

خرج النبي ﷺ إلى الحرم ذات يوم، فوجد جمعًا كبيراً من قريش، كان فيه ساداتها وكبراؤها، فوقف النبي ﷺ يتلو سورة النجم، ولم يكن هؤلاء الكفار قد سمعوا كلام الله من قبل، فلما فاجأهم النبي بالقراءة استمعوا دون أن يشعروا،

---

(١) أمر عثمان زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث، بكتابة المصحف، وقال لهم: «إذا اختلفتم في عربية (كلمة) من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أُنزل بلسانهم» ففعلوا.

(٢) القرآن كلام الله، له تأثير قوي على الأسماع والقلوب، بل إنه يؤثر في الجبال، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).

وبقي كل واحد مصغيًا إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى وصل النبي ﷺ إلى آية السجدة: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (النجم: ٥٩- ٦٢).

ثم سجد النبي ﷺ، فلم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجدًا، فقد أخذت روعة الحق بعقولهم، وصدعت العناد في نفوسهم، فما تمالكوا أن خروا لله ساجدين، ولكنهم لما أفاقوا أحسوا أن جلال كلام الله لوى زمامهم، فاستكبروا ثانية، وعاندوا وذهبوا معرضين جاحدين، وقد عُرف هذا الحدث في السيرة النبوية باسم «سجدة النجم».

☆☆☆

الحجاب المستور[١]

لما نزل قول الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (سورة: المسد).

ادَّعى أبو لهب وزوجته أن محمدًا قد هجاهما، وأن هذا شِعر من عنده يهجوهما به، فأخذت أم جميل زوجة أبي لهب- حجرًا، وذهبت تبحث عن رسول الله ﷺ لتضربه به، حتى وصلت عند الكعبة، وكان النبي ﷺ جالسًا عندها وبجانبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلما رآها أبو بكر خشي على النبي ﷺ منها، فقال: يا رسول الله! لقد أقلبت هذه وأنا أخاف أن تراك. فقال له النبي ﷺ: «إنها لن تراني»، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥). فلما وصلت المرأة عندهما رأت أبا بكر، ولم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر! بلغني أن صاحبك هجاني. فقال أبو بكر: لا ورب البيت ما هجاك. فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنت سيدها[٢].

---

(١) القرآن الكريم يحفظ الإنسان من المكروه والضر، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» متفق عليه.

(٢) أبو يعلى.

القرآن يحفظ أهله(١)

في إحدى السنين جمع رسول الله ﷺ زكاة رمضان، واختار أبا هريرة وكيلاً لحفظها، فكان أبو هريرة يحرسها كل ليلة في المكان الذي جمعت فيه، وذات ليلة.. وجد أبو هريرة شخصًا يحاول أن يسرق منها، فأمسكه وأراد أن يأخذه إلى النبي ﷺ، فاعتذر بأنه فقير ومحتاج وعنده عيال، وأنه لن يعود، فتركه أبو هريرة، وفي الصباح سأل النبي ﷺ أبا هريرة: «ما فعل أسيرك البارحة؟». فقال: اشتكى حاجة وعيالاً، فرحمته وتركته. فقال له النبي ﷺ: «أما إنه كذبك وسيعود». فتربص به أبو هريرة في الليلة الثانية، فجاء فأمسكه، فاعتذر أيضًا، فتركه، وتكرر ذلك في الليلة الثالثة، فأمسكه أبو هريرة، وأصرَّ أن يأخذه للنبي ﷺ، فقال له: اتركني وأنا أعلمك كلمات ينفعك الله بها. فسأله: وما هي؟ فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لم يزل معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فلما أصبح أبو هريرة أخبر النبي ﷺ بما حدث، وبما قاله الشخص، فقال له النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب»، ثم أخبره أن هذا الشخص كان شيطانًا(٢).

☆☆☆

الشفاء بالقرآن(٣)

خرج أبو سعيد الخدري رضي الله عنه في سفر مع بعض الصحابة، فلما وصلوا إلى حي من أحياء العرب نزلوا عندهم، وطلبوا منهم طعامًا، فلم يعطوهم، ولم يستضيفوهم، فنزل الصحابة في مكان قريب منهم، وبعد فترة جاء رجل من أهل هذا الحي، وقال للصحابة: إن عقربًا لدغت سيد الحي، وقد سعينا له بكل شيء

---

(١) قال ﷺ لأبي بن كعب: «يا أبا المنذر، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟» فقال أبي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. فقال ﷺ: «لِيَهْنِكَ (هنيئًا لك) العلم أبا المنذر» مسلم.

(٢) البخاري.

(٣) أكد الله عز وجل أن القرآن يشفي الأمراض، البدنية والقلبية، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢).

حتى يشفى، فما نفع معه شيء، فهل عند أحد منكم شيء؟ هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا له: إنكم لم تقرونا- لم تضيفونا- ولا نعمل حتى تجعلوا لنا جُعلاً- أجرًا- فاتفقوا على أن يعطوهم قطيعًا من الغنم، فقام أحد الصحابة وذهب إلى سيد الحي، ورقاه بالفاتحة، فجعل يتفل في يديه، ويقرأ الفاتحة، ويمسح بها على الرجل، فشفي الرجل بإذن الله، وقام كأن لم يكن به وجع أو شيء، فأخذ الصحابة الغنم فقالوا: لن نطعمها حتى نسأل رسول الله ﷺ . فلما عادوا سألوا النبي ﷺ ، فضحك ﷺ وقال للرجل الذي رقى: «وما أدراك أنها رقية؟ لقد أصبتم، خذوها، واضربوا لي معكم بسهم»[١] .

☆☆☆

أهل القرآن[٢]

يتمنى الإنسان يوم القيامة أن يجد من يدافع عنه لينجو من عذاب الله، فيأتي القرآن مدافعًا عن أهله الذين كانوا يحفظونه ويعملون به، فيدافع عنهم، ويطلب من الله عز وجل أن يحفظ صاحبه، فيقول: يا رب! منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفع فيه. وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث، منها قوله: «يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يا ربِّ حلِّه - أي: ألبس صاحبي حُلَّة- فيُلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده. فيُلبس حلة الكرامة. ثم يقول: يا رب ارض عنه. فيرضى عنه فيقال له: اقرأ وارق، وتزداد بكل آية حسنة»[٣] .

القرآن وعذاب القبر[٤]

كان رجل من الصحابة يسير في مكان، فجاء عليه الليل، فوجد مغارة فدخلها،

---

(١) متفق عليه.

(٢) القرآن يشفع لأهله يوم القيامة، الذين كانوا مشتغلين به متمسكين بأمره ونهيه، قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» مسلم.

(٣) الترمذي.

(٤) سورة تبارك تشفع لصاحبها حتى يغفر له، قال رسول الله ﷺ: «من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: تبارك الذي بيده الملك» أبو داود والترمذي.

ونصب فيها خيمته لينام حتى الصباح، وكان هذا المكان به قبر، ولم يكن الصحابي يعلم ذلك، فإذا به يسمع صوتًا خارجًا من القبر يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ...﴾ (الملك: ١). حتى ختم السورة، فلما أصبح الصحابي ذهب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني ضربت- أقمت- خبائي- خيمتي- على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ...﴾ حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»[(١)] .

☆☆☆

---

(١) الترمذي.

تعليم الصغار الإيمان بالرسل والأنبياء عليهم السلام

والإيمان بأنبياء الله ورسله أصلٌ عظيمٌ من أصول الإيمان، إذ الرسل هم الواسطة التي عرفنا عن طريقها وحي الله تعالى وكتبه وشرائعه، وقد قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٥٢). وقال سبحانه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

فمن عادى الرسل ولو رسولاً واحدًا كان عدوًّا لله تعالى، ومن ثم وجب الإيمان بهم جميعًا عليه الصلاة والسلام.

وقد ورد في القرآن والسنة أسماء عدد من الأنبياء والرسل، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، واليَسَع، وداود، وسليمان، ويونس، وأيوب، وإلياس، والخضر، وذو الكفل، وشعيب، وزكريا، ويحيى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام جميعًا.

وذكر النبي ﷺ يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام في السنة المطهرة، وهو فتى موسى في رحلته مع الخضر عليه الصلاة والسلام، وخاتم الرسل هو محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين. وخير الرسل أولو العزم من الرسل، وهم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ومحمد ﷺ ثم خيرهم على الإطلاق محمد ﷺ ولكل من الرسل كرامة كرمه الله بها.

فآدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيده وصوره، ونوح عليه الصلاة والسلام أول رسول إلى أهل الأرض، وأبو الأنبياء وخليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذبيح هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وكليم الله موسى عليه الصلاة والسلام، وروح الله عيسى عليه الصلاة والسلام.

لكن ما هو الفارق بين النبي والرسول؟

النبي: أوحى الله إليه ولم يأمره بالتبليغ، وقد يكون مُقرًا لشريعة مَن قبله، كما كان الأنبياء من بعد موسى عليه الصلاة والسلام، فكانوا يعيدون الناس إلى شريعة موسى عليه الصلاة والسلامَ، ومنهم داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام.

أما الرسول: فإنه قد أوحى الله إليه وأمره بالتبليغ، وربما أنزل عليه كتابًا كما حدث مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وبذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

☆☆☆

لماذا نحب رسول الله ﷺ؟[1]

محبة رسول الله ﷺ ما محبته، محبته واجب شرعي، وأصل إيماني، وبغضه ناقض إيماني، وفساد اعتقادي، فكمال حبه ﷺ من كمال الإيمان، والنقص في محبته نقصٌ في الإيمان كما جاء في حديث البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». فليست محبة رسول الله ﷺ مجرد كلمات تقال، ولا قصص تثار، ولا مدائح تلقى، بل عمل قلبي من أجلِّ أعمال القلوب، وعلامة على نقص الإيمان أو زيادته، وعاطفةٌ تدفع المحب نحو اتباع حبيبه ﷺ وطاعته في كل الأمور ومتابعته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

ويروي البخاري من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر رضي الله عنه، فقال عمر- بحسب الطبع والجبلة- : يا رسول الله! لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي. فقال ﷺ وهو يقسم- وهو الصادق المصدوق وإن لم يقسم- : «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فتأمل عمر وتدبر وتفكر، فأدرك أن رسول الله ﷺ لابد أن يكون أحبَّ إليه من نفسه، فهو الذي أخرجه الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهو

---

(١) كانت هذه محاضرة ألقيتها في إحدى المحافل ورأيت أن أعيد ذكرها هنا للانتفاع بها.

الذي بسببه سيسكن الجنة سكنى خلود سرمدي أبدي لا ينقطع، فعندها أيقن عمر فقال: فإنك والله أحب إليَّ من نفسي. فقال ﷺ: «الآن يا عمر». أي: عرفت الآن، فنطقت الآن، فآمنت الآن يا عمر. وذلك مرتقى صعب لا يبلغه القلب إلا بمجاهدة طويلة، وترويض دائم، ويقظة مستمرة، ورغبة تستنزل عون الله.

ولقد ضرب الصادقون أروع الأمثلة في تقديم رسول الله ﷺ على النفس، ففي يوم الحديبية بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان المسلمون يكنونه بأبي عبد الله، فبعثه إلى قريش ليخبرهم أنه وأصحابه إنما جاءوا عُمَّاراً يريدون الطواف بالبيت، لا يريدون حربًا ولا غزوًا، فانطلق عثمان رضي الله عنه إلى مكة، وطالت غيبته هناك حتى ظن المسلمون أنه قُتل، فلما عاد قال المسلمون له: هنيئًا لك يا أبا عبد الله لقد اشتفيت من الطواف بالبيت. فما كان من عثمان رضي الله عنه إلا أن أجاب بلسان الإيمان الصادق قائلاً: بئسما ظننتم بي، والذي نفسي بيده لو مكثت بالكعبة سنة ما طُفت بها حتى يطوف بها رسول الله ﷺ، ولقد دعتني قريش للطواف بالبيت فأبيت.

لقد كان عثمان إذًا يستشعر قول رسول الله ﷺ: «حتى أكون أحب إليه من نفسه»، ويستشعر وعيد الله لمن قدَّم على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ أحدًا في أشد آية نعت على الناس ما لا يتخلص منه إلا من أدركته رحمة الله وعنايته ولطفه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

فانظر كيف قرَّع الله تعالى مَن قدَّم هذه المحبوبات على محبته، وتوعدهم وهددهم بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ثم فسقهم بتمام الآية، وحكم بأنهم ممن ضلَّ فلم يهده الله، وبهذا عاش صحابة رسول الله ﷺ حتى إن طلحة بن البراء رضي الله عنه، وكان غلامًا، جاء في قصة إسلامه كما عند الطبراني في الكبير أنه لما رأى النبي ﷺ جعل يدنو ويقترب منه ويقول: يا رسول الله مُرني بما أحببت، والله لا أعصي لك أمرًا. فعجب النبي ﷺ له فقال: «اذهب فاقتل أباك». فوالله ما تردد، ولكن ذهب،

ذهب ليفعل ما أمره به رسول الله ﷺ، إلا أن رسول الله ﷺ لما رآه مطيعًا لأمره قال: «أقبل فإني لم أُبعث بقطيعة الرحم». فعاش صحابته يحبونه ويقدرونه، ويقفون على كل أمر أمرهم به، ويتوقفون عن كل نهي نهاهم عنه، فكانوا على الصراط المستقيم، والهدى المبين، ولكن: لماذا نحب رسول الله ﷺ؟ إن هذا السؤال لا يحتاج إلى إجابة، ولكن سنضع له إجابة لتقر العقيدة في قلبك، ليحيى مَن حي عن بينة، ويهلك من هلك على بينة.

أولاً: لأنه حبيب الله عز وجل وخليله وصفيه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

ثانيًا: لأنه رحمة للعالمين، فجميع العالمين وعمومهم حصل لهم النفع برسالته ﷺ، أما أتباعه الذين آمنوا به: فنالوا كرامة الدنيا والآخرة، وأما من قاتلهم من المحاربين له: فذلك لهم رحمة، فإن طول أعمارهم في الدنيا تغليظ للعذاب عليهم في الآخرة، وأما المعاهدون له: فعاشوا تحت ظله وفي ذمته خير معيشة، وأما المنافقون: فحصل لهم بالإيمان حقن دمائهم وحفظ أموالهم وجريان أحكام المسلمين عليهم. فهو ﷺ لكل أحد رحمة، وإنما بُعث رحمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ثالثًا: لكمال رحمته ورأفته خاصة بأمته كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ويروي الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٣٦). وقال في عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨). فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم أمتي». وبكى فقال الله عز وجل: «يا جبريل! اذهب إلى محمد- وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟». فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك».

إن هذا الحديث يحمل معنى عظيمًا غير رحمة النبي ﷺ بأمته، ألا وهو: عظم منزلة النبي ﷺ عند ربه، حتى إنه ليسترضيه، ويعده ألا يحزنه، وليس فوق هذا الشرف شرفٌ وجدير والله عبد كان بمثل هذه المحبة والرحمة أن تتوجه إليه قلوب المسلمين وقد كان، فلم تعرف الدنيا رجلاً فاضت بمحبته القلوب، ولا فدته بالأرواح والنفوس مثلما عرفت رسول الله ﷺ، ها هو خبيب بن عدي، أسره المشركون، وأرادوا قتله، فخرجوا به من الحرم- كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رفعه- وإنه لموثق في الحديد، فبعد أن صلى ركعتين، وكان أول من سن ركعتين قبل الممات، واستعد للقاء ربه تعالى، جاءه أبو سفيان بن حرب، لعله أن ينتزع منه ولو كلمة ترضي غروره في لحظاته الأخيرة، فقال: يا خبيب! أتحب أن يكون محمد مكانك تُضرب عنقه وأنت في أهلك آمِن؟ فقال خبيب رضي الله عنه: لا، والله ما أرضى أن محمدًا يشاك شوكة وأنا في أهلي صالح سالم. فبُهت الذي كفر وقال: ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا.

هذا شأن الذين آمنوا به وأحبوه، أما الذين ناصبوه العداوة والبغضاء فلم يملكوا أنفسهم من تبيان حبه ﷺ، نطق العداة بفضله، والفضل ما شهدت به الأعداء، يقول اليهودي- واليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا-: والله ما وجه محمد بوجه كذاب. لسان حاله:

فهبني قلت هذا الصبح ليل ☆ أيعمى العالمين عن الضياء

إن رسول الله ﷺ لغني عن حبنا له، فلن يزيده حبنا رفعة، ولن يبخسه بغضنا منزلةً، لكن مَن أحبه كانت له هذه الثمرات:

أولاً: الشعور بحلاوة الإيمان: ففي الحديث المتفق عليه عن أنس: «ثلاث من كن فيه....أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...».

ثانيًا: أن محبه ﷺ سيكون معه في الآخرة: وتلك ثمرة عالية، وكفى بها، ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رجل أحب قومًا فلم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب». وفي رواية مسلم عن أنس رضي الله

عنه: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم».

فاسلك طريقهم إن أردت اللحاق بهم، واستفرغ وسعك، وابذل غاية جهدك، فإنما خلق الله الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ولم يقل: أكثر عملاً، وفي كل زمان يكثر المدعون للمحبة، ويا للأسى حين ترى أن أكثر المدعين للمحبة هم أكثر الناس مخالفة لسنته ﷺ، مع أن المحب لمن أحب مطيعٌ، ومن ادعى شيئًا فليأت بالبنية، وليأت بالشهداء، فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون، فأحضر شهود محبتك وإلا كنت كمن ترك النيل باحثًا عن النيل في الصحراء.

وإليك بعض شواهد ودلائل وعلامات محبة النبي ﷺ، فإن وجدتها في نفسك فاحمد الله، وسله الثبات والتوفيق، وإن لم تجدها فحاسب نفسك قبل نزول الموت، وقبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

العلامة الأولى: امتثال أمره واجتناب نواهيه: نقصد بذلك الاتباع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧). وبالإسناد الحسن بمجموع طرقه وشواهده روى ابن أبي عاصم في السنة والنووي في الحجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

إن من أحب محمدًا ﷺ، أو أراد محبته كان لزامًا عليه أن يطيعه في كل ما جاء به، وأن يكون صورة حية متحركة للإسلام، يحب ما أحبه الله ورسوله، ويكره ما كرهه الله ورسوله، وكل من ادعى محبة رسول الله ﷺ، وخالف أمره، فدعواه باطلة، وهو من الكاذبين، و آية المنافق ثلاث، منها: أنه إذا حدث كذب.

لقد كانت أفعال الصحابة رضي الله عنهم تنطق بمحبة رسول الله ﷺ وطاعته، وتؤكد ذلك، فقد علموا أن محبته تعني طاعته، فقد قال الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠). وسمعوه ﷺ يقول- كما في الحديث الصحيح-: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري». فاتبعوه ﷺ.

يروي أبو داود بالسند الصحيح عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يرغب في جعل باب للمسجد للنساء، فقال ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء». يقول نافع رحمه الله: فوالله ما دخل ابن عمر من ذلك الباب حتى مات.

وروى ابن إسحاق في سيرته- وله أصل في البخاري- أن سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم بدر قال لرسول الله ﷺ معبراً عن طاعته له: «قد آمنا بك، وصدقناك، وتشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد».

إيه إيه علَّم القومَ سعدٌ، فإنهم ادعوا وما لدعواهم دليل، كأن لسان حال سعد: سأتبعك ما كان في القلب خافق، سأتبعك ما كانت العين تطرف.

فلو قلت لي مِن يمت سمعًا وطاعة ☆ لقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبًا

إن محبة رسول الله ﷺ تعني أن يخضع المرء رغباته لما جاء به رسول الله ﷺ، موقنًا أن الخير كل الخير في طاعته، ولو خالف ذلك هواه ومبتغاه، فلا يحق لكائن من كان أن يضع رأي جميع أهل الأرض في كفة، وقول رسول الله ﷺ في كفة، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

هذا هو الشاهد العدل، هذا هو الميزان الفصل، من مال عنه فقد هوى، ومن أطاع الهوى فقد هوى، إياك أن تقول: لِمَ؟ ولماذا؟ وكيف؟ ارمِ بهم في قاع البحر وقل: السمع والطاعة لله ولرسوله.

أيها المسلمون! احفظوا عني: ليس بعد ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣). نقصان، وليس بعد ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣). قول ولا فعل إلا الاتباع، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم.

الشاهد الثاني: الحرص على رؤيته وصحبته ﷺ حيًا وميتًا: فمن أحب رسول الله ﷺ حقًا، ومن ادعى محبته صدقًا، رغب في صحبته وحرص في الدنيا والآخرة على

رفقته، فلو خيّر بين نعيم الدنيا بحذافيرها وبين رؤيته ﷺ ما أخر شيئًا على رؤيته ﷺ، وحاله في ذلك كحال القائل في روضة المحبين: خيالك في ذهني، ذكرك في فمي، مثواك في قلبي، فأين تغيب؟!

ها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يجسد ذلك في حديث الهجرة الذي رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فذكرت: أن رسول الله ﷺ خرج في نحر الظهيرة مستخفيًا، في وقت يلوذ منه الناس ببيوتهم من شدة الحر والفيح، فلا يتجول في تلك الساعة في الطرق إلا السراب ولهيب الشمس، فأقبل رسول الله ﷺ على الصديق، فلما رأته أسماء ذات النطاقين صاحت وقالت: أبي! ذا جاءك المصطفى. فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ!! فقال ﷺ: «أخرج مَن عندك - يريد أبناءه-». فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «فإني قد أُذن لي في الخروج - يعني الهجرة». فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟! وهملت عينه سرورًا بالدمع، وقمة الفرح أن يُشفع بالبكاء، وإنه والله لحبٌّ صادقٌ أبرزه إيمان لو وُزن بإيمان الأمة لرجح بها، فصار يرى المخاطرة مع رسول الله ﷺ قُربة وشرفًا يعبر عنهما بالبكاء:

فعلمت أن من الدموع محدثًا وعلمت أن من الحديث دموعًا

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: والله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن رجلاً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي لذلك.

وحق للصديق رضي الله عنه أن يبكي، وكيف لا، وقد صار ثاني اثنين إذ هما في الغار، فائزًا برفقة خاتم النبيين؟ فكيف يملك دمع العين من كان لسان دمعه ينطق بالغرام؟!

وها هم الأنصار رضي الله عنهم يجسدون المحبة لرسول الله ﷺ، لما سمعوا بمخرج النبي ﷺ من مكة، وأنه مهاجر إليهم، خرجوا إلى طريق مكة يترددون كل صباح إلى الحرّة ينتظرونه ﷺ حتى تغلبهم الشمس على الظلال، ويؤذيهم حر الظهيرة فيرجعون، ولا زال موكب رسول الله ﷺ يسير وقلوب الأنصار يكاد جناح الشوق أن يطير بهم بحثًا عن رسول الله ﷺ في بيداء الحجاز بين مكة والمدينة، وكل

تراب داسه النبي ﷺ يقول: قِفْ لا تفارقني يا حبيبي، فما داسني أشرف منك ولا أغلى. ولا عجب في ذلك فهو الذي بكى الجذع حنينًا له، وهو الذي نطق بحبه الحجر.

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلِّم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». ولا زالت ديار المدينة ديار طيبة، وقلوب أهلها تنادي الحبيب: أقبل فإني عليك أقبل.

وفي ذات يوم وقد عاد الأنصار إلى ديارهم هتف يهودي فوق جذع نخلة: يا معشر بني قيلة! هذا جدكم الذي تنتظرون. فخفَّ الرجال إليه، ولو يقدرون مشوا على وجناتهم وعيونهم فضلاً عن الأقدام، تلقوا رسول الله ﷺ، وقد تحولوا إلى مشاعر وأحاسيس تظله وتحبه، فنزل ﷺ بقباء، ومكث بها بضع عشرة ليلة، وحال من في المدينة كحال القائل:

مرحبًا مرحبًا يا مرحبًا ✫ بنسيم هبَّ من تلك الربُّا
عبق الأرجاء نبئني ✫ أنه من طيب سكان قُبا

لقد ذهب رسول الله ﷺ إلى المدينة، ودخلها في لحظة يتمنى كل مسلم أن لو عاشها، وسكب الدمع فرحًا بها، الموكب يتحرك ببطء، والطريق مزدحم، لا أقول مزدحمًا بالأجساد بل مزدحم بالقلوب، بالإيمان، بالمحبة، ورسول الله ﷺ على ناقته قد أرخى زمامها، فما من دارٍ من دور الأنصار إلا وأمسك كبيرها بزمام الناقة يدعو رسول الله ﷺ لا ليكون ضيفًا عليه؛ بل نوراً يضيء قلبه وداره وسكنه، ورسول الله ﷺ يقول: «دعوها فإنها مأمورة». وعلى الطرق، وفوق البيوت لا تكاد تسمع إلا: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ. المدينة كلها: سلاحها، رجالها، نساؤها، أطفالها، شعابها، أشجارها، أحجارها كلٌّ قد عبر عن حبه بلسانه، فربما أبكى الأخرس من يتكلم.

الموكب يتهادى بين هذه الجموع، والكلُّ يبحث عن رسول الله ﷺ بمن فيهم الأطفال ببراءتهم، حتى إن أنس بن مالك رضي الله عنه يصور لنا مشاعر الصغار فيقول: إني لأسعى في الغلمان وهم يقولون: جاء محمد رسول الله ﷺ، فلا أرى

شيئًا، وأسعى ولا أرى شيئًا، فكمنا له في بعض جُدر المدينة حتى جاء، فخرج أهل المدينة، فما رأينا منظرًا شبيهًا بيومئذٍ، والله لقد أضاء من المدينة كل شيء، فذاك يوم طيب أطيب من كل طيب.

ولا يزال أنس رضي الله عنه ذلك الطفل الذي بهره نور النبي ﷺ يسير وراءه يتبعه في براءة وإعجاب، وهو على الفطرة ورسول الله ﷺ بعث على دين الفطرة، فيا له من نبي، ما أعظمه! يعلن حبه للكبير والصغير في البيوت وعلى الطرقات، بل ويعلن حبه للجبال، فيمر على جبل أُحد كما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه، فيقول: «هذا أُحدٌ جبل يحبنا ونحبه». ولو كان لأُحد ألف لسان، لقال لهم: أحبَّك الله يا رسول الله كما أحببتني!!

ولا زال الموكب يسير، القلوب له بيوت، والبيوت له قلوب، والأيدي إلى الزمام تمتد، والعيون تشخصُ، والركب يتواصل، والكل يهتف: المنزل عليَّ أيها النبي. فتنافس الأنصار وما دروا لمن المفاز وأيهم أولى به؟

وأمام بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وقفت ناقة رسول الله ﷺ، فنزل عنها، فازدحم الأنصار كلٌّ يعرض على رسول الله ﷺ النزول عليه، فتسلل أبو أيوب وأخذ رحل النبي ﷺ إلى بيته، وبينما الجميع في هذا الخضم قال ﷺ: «أين رحلي؟». قال أبو أيوب: في دار أبي أيوب. وحلَّ في قلب أبي أيوب والمدينة كلها تغبطه على ذلك الشرف، إن جدران بيته تفاخر حصى المدينة وجدرانها بنزول رسول الله ﷺ في بيته.

ونزل رسول الله ﷺ في سُفل البيت برغبته، وتملك الحرج أبا أيوب رضي الله عنه، فلو رأيته وهو في منزله لأشفقت عليه، لو رأيته وهو يتحرك في مساحة ضيقة من الطابق الثاني لا يتعداها في حسٍّ مرهف، وإيمان عميق، كأنه يخاطب نفسه: ويحك أبا أيوب!! أتعلو رسول الله ﷺ؟! وأصبح أبو أيوب فأتى النبي ﷺ فقال: لا تكون تحتنا بأبي أنت وأمي ونفسي يا رسول الله. فقال ﷺ: «يا أبا أيوب! السُّفل أرفق بنا». فقال أبو أيوب: والله لا أعلو سقيفة أنت تحتها يا رسول الله. فتحول رسول الله ﷺ، وقرَّت عين أبي أيوب، ولا عجب، فإنه نبعٌ من سحابة الإيثار،

وهم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).

وهذه شهادة الله لهم فخرٌ على الأزمان، وكان الجزاء أن آية الإيمان حب الأنصار، وعلامة النفاق بُغض الأنصار.

وفي الصحيح المسند من أسباب النزول أن أحد الصحابة جاء إلى رسول الله ﷺ وقد تغيَّر وجهه، ولم يخف على مَن رآه علامة الحزن التي ارتسمت في وجهه، فقال ﷺ: «ما بك؟». فقال: يا رسول الله! ما بي شيء، إلا أنني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم إني إذا ذكرت الآخرة أخاف ألا أراك؛ إن دخلت الجنة كنتُ في منزلة دون منزلتك، وإن لم أدخلها لم أرك أبدًا. فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩) فلا تسل عن حاله، نطقت مدامعه بسر ضميره.

وها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين- وكان رسول الله ﷺ قد توفي يوم الاثنين-. قال الصديق: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي إلى الغد، فإن أحب الأيام إليَّ أقربها من رسول الله ﷺ.

فاجمع بمن أهوى شملي يا ★ جامع الأرواح بعد شتاتها

هذا حال صحابة النبي ﷺ، وهو أحب إليهم من أنفسهم، وأمره بينهم نافذٌ مُطاع، كأن لسان حال أحدهم:

لو قلت مِت، لَمتُّ سمعًا وطاعةً ★ ولقُلتُ لداعي الموت أهلاً ومرحبًا

الشاهد الثالث: بذل النفس والمال من أجله ﷺ: فكل محب صادق يترقب الفرصة ليبذل ماله، وروحه، وما ملكت يمينه في سبيل مَن أحب، وصحابة رسول الله ﷺ كلهم ذلك الرجل، ومَن بعدهم يجد في نفسه الحسرة لفوات تلك الأمنية، فيبدلونها بنصرة دينه وشريعته وسنته ﷺ، وعلى قمة أهل المحبة يأتي الصديق أبو بكر رضي الله عنه وهو مع رسول الله ﷺ في طريقه إلى غار ثور يوم الهجرة، فيتحول أبو بكر

رضي الله عنه إلى سحابة من حب تظل رسول الله ﷺ، فيجعل من جسده درعًا يحمي به رسول الله ﷺ يتذكر الرَّصد والطلب فيمشي عن يمين الحبيب وعن شماله وبين يديه، ويقلب عينيه خوفًا عليه، وتقلب العينين دليل على ما في القلب والخلد، ويلمحه النبي ﷺ فيقول: «يا أبا بكر! لو كان شيء أأحببت أن يكون بك دوني؟». فيقول الصديق: نعم، والذي بعثك بالحق. ذلك جسد المحب، أما ماله فمنثور بين يدي رسول الله ﷺ، حمل أبو بكر ماله كله، وقدمه لله كله، فلم يكن أبقى لأهله منه شيئًا، حتى قال لما سئل: ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. ولذا لما سمع عمر مَن يفضله على أبي بكر غضب وذكر ليلة الهجرة فقال: «والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر».

وفي أُحد حين حصل الخلل والاضطراب في الصفوف، كان الكفار يريدون رسول الله ﷺ، صاح عليه الصلاة والسلام: «مَن للقوم؟». فتقدم قوم فقتلوا دونه حتى مات آخرهم على قدم النبي ﷺ، ثم تقدم آخرون لحماية رسول الله ﷺ، فسل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، كانت قضيته يوم أُحد: نجاة رسول الله ﷺ. جعل أبو طلحة يهجم على المشركين حتى يدفعهم ويعيدهم ويبعدهم عن رسول الله ﷺ، ثم يحمل رسول الله ﷺ على كتفه إلى الجبل ليسنده، ثم يعود إلى المشركين أخرى حتى صدهم عن رسول الله ﷺ، دماء طلحة تنزف، يده شُلَّت، وكتفه قُطعت، وسقط في حفرة مغشيًّا عليه، وحاله: لا أُبالي بعدُ إذا سلم رسول الله ﷺ.

ومن قبل ينحني (أبو دجانة) على رسول الله ﷺ يتلقى النبل في ظهره حتى كثر وهو ثابت لا يتحرك، ويشرف النبي ﷺ لينظر إلى الناس، فيقف دونه أبو طلحة الأنصاري فيقول: لا تُشرف بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك، وجهي لوجهك الفداء، نفسي لنفسك.

أما سعد بن الربيع رضي الله عنه فبه سبعون طعنة، لم يبق بينه وبين الآخرة إلا لحظات، وقد نسي نفسه، وشغل قلبه بمن هو أحب إليه من نفسه، فتراه يقول وهو في الرمق الأخير: أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام، وقل له: إني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم

عين تطرف. ثم فاضت روحه. فهل عملت مثلهم أيها المسلم؟ اللهم ارفع عنا ما بنا.

أما يوم حنين فحدث عن الأنصار، فقد روى أحمد في مسنده بالسند الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الأنصار حزنوا في أنفسهم لما أعطى رسول الله ﷺ بعض المسلمين الذين أسلموا حديثًا يوم فتح مكة من غنائم حنين، ولم يعط الأنصار، ظنًّا منهم أنه ﷺ فضَّل أهله من قريش على الأنصار فتركهم بدون عطاء، فأمر النبي ﷺ بجمع الأنصار في حظيرة، ثم قام فيهم خطيبًا فقال: «يا معشر الأنصار! ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟». فقالوا: بلى يا رسول الله. فقال ﷺ: «ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟». قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ قال: «والله لو شئتم لقلتم، فصدقتم وصُدِّقتم: جئتنا طريدًا فآويناك، وعائلاً فآسيناك، وخائفًا فأمنَّاك، ومخذولاً فنصرناك». فقالوا: المَنُّ لله ولرسوله ﷺ. فقال: «أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاعة من الدنيا- أي: بقية يسيرة- منها تألَّفت بها قومًا أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شِعبًا وسلكت الأنصار شِعبًا، لسلكتُ شِعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار». فبكى القوم حتى أخضلوا -بللوا- لحاهم وقالوا: رضينا بالله ربًّا، وبرسوله قسمًا. ثم انصرفوا، ففازوا برسول الله ﷺ إذ فاز قوم بالمال، ففاز الأنصار فوزًا عظيمًا لما صدقوا في محبتهم.

الشاهد الرابع: حب صحابة رسول الله ﷺ وحب آل بيته: فمن أحب رسول الله ﷺ، وكان من قلبه قريبًا، فهو لنا حبيب وقريب، والقريب من القريب قريب، وها هو الصديق في طليعة المحبين يقول كما في صحيح البخاري ومسلم: «والله لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي». وقال عمر رضي الله عنه للعباس عم رسول الله ﷺ: «والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب».

وفي خلافة عمر رضي الله عنه يفرض عمر لأسامة بن زيد بن حارثة وهو حِب رسول الله ﷺ وابن حِبه زيد، يفرض له عطاءً من بيت المال أكثر مما افترض لولده عبد الله بن عمر، وكان عمر قد رتب المسلمين حسب شهودهم المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن عمر لأبيه: لِمَ قدَّمت أسامة عليَّ، والله ما شهد أبوه مشهدًا إلا وشهدته، وما شهد أسامة مشهدًا إلا شهدته مع رسول الله ﷺ؟ فقال عمر رضي الله عنه: صدقت يا بني، لكن أباه (زيدًا) كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك (عمر)، وهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك.

فليست مَحَبَّة آل بيت رسول الله ﷺ تطوافًا بقبورهم وأضرحتهم المزعومة، أو وضع أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ من أجلهم، والاستغاثة والتوسل بهم، وإنما بحبهم ونجلهم، وندعو لهم، ونتمنى أن يجمعنا الله وإياهم في مستقر رحمته تحت ظلال عدالة قدسية في جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين.

الشاهد الخامس: الدفاع عنه ﷺ ورد شبهات الكفار: فندافع عنه ﷺ، ونقف في مواجهة كل من يسبه أو يخطئ في حقه، أو يحاول تجريحه والانتقاص منه ﷺ ولنا فيه ﷺ أسوة، فهو الذي كان يقول في أُحد: «مَن يردهم عنا وله الجنة؟». ويقول لحسان بن ثابت كما في الصحيحين: «اهجهم وجبريل معك». ويهدر دم امرأة كانت تسبه ﷺ وتقع فيه، وكذلك ندافع عن سنته ﷺ في مواجهة شبه المبطلين والمفترين على أنها والحمد لله متهافتة كالزجاج، تتحطم ولا تستقيم، لكن ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

أما الدفاع عن صحابته ﷺ فهو جزء من الدفاع عنه ﷺ، فليس في الأمة كالصحابة في كل شيء: إيمانهم، علمهم، تقواهم، خلقهم، وعلى رأسهم الشيخان: أبو بكر وعمر.

وكل ذم في الصحابة هو ذم في رسول الله ﷺ؛ لأنهم خاصة رسول الله ﷺ وصحابته، فكأن من يسبهم يقول: رجل سوء وله أصحاب سوء. والمدافع عنهم يقول: عرضهم عرضي، وشتان ما بين ذابٍّ وساب، ها هم العبيديون والذين يعرفون خطأً بالفاطميين، وأصلهم يهود عطلوا الصلوات، وابتدعوا البدع، جاءوا

بأربعة آلاف عالم من علماء الأمة، وخيروهم بين ترك الترضي عن أصحاب رسول الله ﷺ وبين الموت، فاختار العلماء جميعًا الموت على سب صحابة النبي ﷺ.

وكم من أحمق ضال مبتدع يؤمر بالاستغفار لصحابة النبي ﷺ فيسبهم ويقع فيهم، ويبحث عن أخطائهم، ويدعي المحبة وهو أهل سوء وسُبة، لكأن ظله ينجس الشمس إن صورته، كيف يجرؤ على صحابة بذلوا الأرواح والمهج والأموال والأولاد دون رسول الله ﷺ، ها هو السلطان التركي المسلم محمود بن سبكتكين، وكان محبًّا لله ولرسوله ﷺ، قائدًا فاتحًا غازيًا، أرسلت إليه الدولة العبيدية بكبير دعاتهم على بغلة فارهة، تتلون كل ساعة بلون، فدعى السلطان إلى ملته الخبيثة مستغلاً أنه تركي يجهل الكثير من أصول دينه، وكان العبيديون كارهين للصحابة يلعنونهم ويسبونهم، ولم يصرح مبعوثهم لكنه جمجم ولَّح، فأدرك السلطان مغزى الرسالة التي لا تفرق بين أبي جهل وأبي هريرة، فانتفض وانبرى وأطلق قذيفته وقتل العبيدي الخبيث بسيفه، وما أمهله، فقد أنزل الله الحديد وبأسه ليكون في يد الموحدين لخدمة التوحيد، ثم أهدى بغلته لكبير علماء أهل السنة في بلدته، ثم عزم عليه أن يركبها، فركبها فقال السلطان: الحمد لله، كان يركبها رأس الملحدين، والآن يركبها رأس الموحدين.

الشاهد السادس: الدفاع عن المسلمين في كل مكان وكل زمان: خاصة في هذا الزمان، وهو زمان دم المسلم فيه هدر، وعرضه مباح، وماله فيء، وصراخه من الألم نغم، فحيثما وليت بوجهك رأيت مسلمًا مهانًا مستباحًا في العراق، في فلسطين، وأفغانستان، والشيشان، وأسرانا في جوانتانامو.

الشاهد السابع: التأدب معه ﷺ حيًّا وميتًا: واسمع كيف كان صحابة رسول الله ﷺ يوقرونه ويجلونه: كانت أبوابه ﷺ تقرع بالأظافر لا بالأصابع، وكانوا يكثرون من الصلاة عليه، والأحاديث في فضل الصلاة على النبي ﷺ كثيرة منها الصحيح والضعيف والموضوع المكذوب، لكن أعلاها وأشرفها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «مَن صلَّى عليَّ واحدة صلَّى الله عليه بها عشرًا». وكانوا لا يذكرونه ﷺ باسمه مجردًا كما قال الله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣).

وكان التابعـون يوقرون النبي ﷺ عند سماع حـديثه وسيرته، حتى إن سـعيد بن المسيب رحمـه الله وهو في مـرض وفاته لا يقـدر على الجلوس أو القيام، يقـول لأولاده: أقعـدوني، لا أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مـضطجع. الكل ساكت خاشع مستشعر قول الله تعالى: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢).

ويوم الحديبية حدث عن عروة بن مسعود الثقفي وهو يصف توقير الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ، فـيقول وهو يومـئذٍ على كـفره لم يسلم بعد كـما روى البـخاري في صـحيحـه: لقد وفـدت على الملوك، ووفـدت على قيـصر وكـسرى والنجـاشي- وهم ملوك الأرض آنذاك- والله إن رأيت ملكًا قط يعظمـه أصحابـه ما يعظم أصحاب مـحمد ﷺ محمداً، والله إن يتنخم نخـامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلَّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتـدروا أمره» وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده.

ويبلغ التوقيـر منتهى الجمال والجلال حين يقول عـمرو بن العاص رضي الله عنه كما روى مسلم في صحيحه: «والله ما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، والله ما أطقت أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلتُ أن أصفه اليوم ما أطقت».

أدب لو كان ماءً لم ينضب، ولو كان سحابًا لهطل كالسيل، ولو كان بحرًا لجرى بالدرر.

هذا حال أصـحابه رضي الله عنهم، وسـيأتي قوم من أمـته- وهم فيـنا- يتمنى أحدهم لو رآه ﷺ بمالهم وأهليهم كما روى ذلك مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «مِن أشد الناس حبًّا لي ناسٌ يكونون من بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله». فاللهم لا تحرمنا رؤياه ﷺ في الدنيا ولا في الآخرة.

هكذا ينبغي أن تكون المحبـة لا إفراط فيها ولا تفـريط، فلا يؤله ﷺ وهو القائل كما عند البخاري عن عمر رضي الله عنه: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم».

وتمام المحبـة في متابعـة سنته ﷺ وعدم الخروج عليـها أو الانحراف عنهـا، فإن

المحب لمن أحبَّ مطيعٌ، وإلا فأنت لقيط دعيٌّ مـا لك نسب، فالزم سنته ﷺ، فكل الطرق مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر محمد ﷺ.

قلت: وهذا ما ينبـغي أن نتعلمه ثم نعلـمه لأبنائنا من بعدنا، ولقـد أطلت حتى يستفيد الجميع من بعض المعاني التي قد تغيب عنا رغم بساطتها وسهولتها.



من قصص الإيمان بالرسل

أول الرسل(١)

خلق الله عز وجل آدم عليه السلام، وأمر الملائكة أن تسجد له تحية وتكريمًا، وعلَّمه سبحانه الأسماء كلها، وأسكنه هو وزوجته الجنة، وحذرهما من إبليس، وأباح لهما الأكل من جميع شجر الجنة إلا من شجرة واحدة، ولكن الشيطان وسوس لهما فأكلا منها، وعصيا أمر الله، فعاقبهما الله عز وجل بأن أخرجهما من الجنة، وأهبطهما إلى الأرض.

وآدم عليه السلام هو أول الأنبياء، روي أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: أي الأنبياء كان أول؟ فقال رسول الله ﷺ: «آدم». قال أبو ذر: أو نبي كان يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «نبي مكلَّم». قال أبو ذر: فكم المرسلون يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ثلثمائة وخمسة عشر، جمًّا غفيراً»(٢). وكان آدم عليه السلام يدعو أبناءه وأحفاده إلى عبادة الله وحده، ويعلمهم شرائع الدين الحنيف.

☆☆☆

تبليغ الرسل(٣)

في يوم القيامة يجيء كل نبي ومعه أمته، فيجيء نوح عليه السلام وأمته، فيسأله الله عز وجل: «هل بلغت؟». فيقول نوح عليه السلام: «أي رب (نعم يا رب)». فيسأل الله أمته: «هل بلغكم؟». فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي. فيقول الله عز وجل لنوح: «من يشهد لك؟». فيقول نوح: «محمد وأمته». فتأتي أمة محمد ﷺ، فتشهد

---

(١) دعوة رسل الله واحدة، وهي دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد وإقامة دينه، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء: ٢٥).

(٢) أحمد.

(٣) التبليغ من أهم وظائف الرسل، قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (المائدة: ٦٧).

أنه قد بلغهم[١] . وقد أكد الله عز وجل على شهادة أمة محمد ﷺ على الأمم السابقة، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

فكل رسول قد بلغ أمته بما أمره الله به، وحثهم على عبادة الله الواحد الأحد، وكان نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل، فقد أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، فلم يصدقوه، وحاربوه، وأكثروا من إيذائه، وهو رغم كل ذلك لم يقصر في دعوته، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: ٥- ٩).

☆☆☆

معجزات الرسل[٢]

أرسل الله عز وجل الأنبياء، وجعل لكل نبي معجزة تؤكد للناس أنه رسول من عند الله إليهم، فمن آمن فله السعادة في الدنيا والآخرة، ومن كفر بتلك المعجزات فله العذاب الأليم، وقد كانت معجزة صالح عليه السلام ناقة عظيمة خلقها الله على خلاف سنته في خلق الإبل، ثم جعل لها صفات تخالف صفات الإبل، ورغم هذه المعجزة لم يؤمن من قوم ثمود إلا قليل، وكذبوا رسولهم، فحذرهم صالح عليه السلام من التعرض للناقة بسوء، ولكنهم عصوا أمره فقتلوا الناقة، وتجاوزوا حدود الله، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: ٧٧).

فلما فعلوا ذلك أرسل الله عليهم الهلاك في الدنيا، ونجى الله صالحًا والذين آمنوا

---

(١) البخاري.

(٢) المعجزات أمور خارقة للعادة، يؤيد الله عز وجل بها رسله صلوات الله عليهم وتسليماته، وذلك ليتأكد الناس من صدقهم، ويؤمنوا برسالتهم.

معه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ (هود: ٦٦- ٦٨).

☆☆☆

توكل الرسل(١)

كان قوم إبراهيم يعبدون الأصنام، ويقدمون لها القرابين والعطايا، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله الواحد، فرفضوا دعوته، وكذبوه، فقام إبراهيم بكسر أصنامهم وهم يحتفلون بالعيد، فقرروا أن يعذبوه، وقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨).

وأخذوا يجمعون الحطب مدة من الزمن، حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبًا لحريق إبراهيم، ثم ذهبوا إلى حفرة عظيمة، ووضعوا فيها الحطب، وأشعلوا فيه النار، فكانت نارًا عظيمة علا لها لهب وشرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق بعدما قيدوه، فجاءه جبريل عليه السلام وقال له: «يا إبراهيم ألك حاجة؟». فقال إبراهيم: «أما إليك فلا». وكان يقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل، لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك». فجاء أمر الله إلى النار، قال تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

ونجى الله خليله من النار، ورد كيد الكافرين في نحورهم، قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (الصافات: ٩٨).

☆☆☆

---

(١) الأنبياء أكثر الناس توكلاً على الله واعتمادًا عليه، قال تعالى على لسان هود: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (هود: ٥٦).

محاربة الغش[١]

أرسل الله عز وجل إلى أهل مدين نبيه شعيبًا عليه السلام ليدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن الغش والخداع في البيع والشراء، وظل خطيب الأنبياء شعيب يذكر قومه بنعم الله عليهم، ويذكرهم بعذابه وعقابه لمن سبقهم من الأمم الكافرة الفاسدة، ولكنهم رفضوا دعوته، وحاربوه، وأخذوا يجادلونه بالباطل، ويصدون الناس عن الإيمان به، وقالوا له: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود: ٨٧). ثم أخذوا يهددونه ومن آمن معه ولكن شعيبًا لم يهتم بتهديدهم، واستمر في دعوته للناس، وأخذ يتوعد الكافرين والمعاندين، ويقول لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (هود: ٩٣).

فلما رأى الكفار صلابة شعيب عليه السلام، وتمسك من معه من المؤمنين بالحق، أخذوا يؤذونهم ويتعرضون لهم، فأرسل الله عليهم العذاب الشديد في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار.

☆☆☆

رعاية الله[٢]

الله عز وجل يرعى أنبياءه ورسله، ويحافظ عليهم منذ صغرهم، فيحميهم من الأخطار التي يتعرضون لها، ويقيهم شرور أعدائهم الحاقدين عليهم، وهذه سنة الله في جميع أنبيائه، فنبي الله يوسف كان أبوه يعقوب عليه السلام يحبه حبًا شديدًا، فلما رأى إخوة يوسف حب أبيهم له حقدوا عليه، واشتد غيظهم وحسدهم، وقالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨).

---

(١) كل الأنبياء حاربوا الغش والخداع في جميع أمور الحياة، لاسيما في التجارة، وقد نهى رسولنا محمد ﷺ أمته عن الغش، فقال ﷺ «من غش فليس منا» مسلم.

(٢) كان يوسف عليه السلام من أفضل الناس وأكرمهم، فقد سئل النبي ﷺ أيُّ الناس أكرم؟ فقال ﷺ «يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» البخاري.

وأخذوا يفكرون في التخلص منه، فقال بعضهم: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف: ٩). فقال أحدهم: ﴿لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف: ١٠).

وكانت رعاية الله ليوسف، فتربى في بيت العزيز، تعلم العلم والحكمة، وصار ذا منزلة رفيعة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

☆☆☆

نصر الله[1]

ظل يوسف عليه السلام في السجن مدة من الزمن، وتحمل كثيرًا من المتاعب، كما فقد يعقوب عليه السلام بصره حزنًا وبكاءً على ابنه، وصبر كل منهما على ذلك البلاء انتظارًا لنصر الله وفرجه، فكان لابد أن يأتي نصر الله وفرجه، فتلك هي سنة الله مع أنبيائه، إنهم يتحملون في سبيل الله الكثير من المتاعب، ويتعرضون لكثير من الأذى ثم يأتي فرج الله ونصره لهم، ولهم خير الجزاء عند ربهم يوم القيامة، فأنعم الله علي يوسف بخروجه من السجن، حيث أرسل إليه الملك ليفسر له رؤيا رآها، فقد رأى الملك سبع بقرات عجاف يأكلن سبع بقرات سمان، وسبع سنبلات خضر، وأخر يابسات، ففسر له يوسف الرؤيا بأن البلاد سوف تتعرض لسبع سنين شداد تصاب فيها البلاد بالقحط والجدب، وذلك بعد سبع سنين من الرخاء ورغد العيش، فأخرج الملك يوسف من السجن، وثبتت براءته أمام الناس، وعينه الملك على خزائن البلاد، ثم جاءه إخوته فعرفهم، ثم جمع الله بينه وبين أبيه وإخوته، ورد الله على يعقوب بصره الذي فقده حزنًا على يوسف، وجمعه بأحب أبنائه يوسف عليه السلام.

☆☆☆

---

(١) الله عز وجل يحمي رسله، وينصرهم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(يوسف: ١١٠).

صبر الرسل(١)

كان أيوب عليه السلام مثالاً للصبر العظيم، فقد ابتلاه الله بفقد ماله وهلاك أولاده، ثم ابتلاه بالمرض الشديد المزمن الذي أقعده عن الحركة، فانصرف عنه الأقارب والأصدقاء، ولم يبق معه غير زوجته، وصبر أيوب على ذلك الابتلاء، ولم ينقطع عن عبادة ربه وشكره، وصبرت معه زوجته بصدق وإخلاص، وقامت بخدمته، ولما نجح أيوب في اختبار الله له أمره الله أن يحرك رجله، فنبعت من تحتها عين ماء، فاغتسل منها وشرب، فأعاد الله إليه صحته، ثم رزقه بضعف ما كان عنده من المال والأولاد. قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٤).

وقد جعل الله عز وجل قصة أيوب عليه السلام عبرة لأهل البلاء، وعظة للصابرين، وذكرى للعابدين، ليعلموا أن الله يبتلي أولياءه وأحب عباده إليه وهم الأنبياء والرسل، وقد مدح الله عز وجل أيوب عليه السلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٤).

☆☆☆

القرية المؤمنة(٢)

أرسل الله عز وجل يونس بن متى عليه السلام إلى قومه أهل نينوى بالموصل، وكان قومه يعبدون الأصنام، فأخذ يدعوهم إلى عبادة الله الواحد أكثر من ثلاثين سنة، فلم يؤمن معه إلا قليل، فلما يئس منهم حذرهم من عذاب الله وسخطه ثم تركهم وذهب إلى البحر، فوجد قومًا يركبون سفينة، فركب معهم، وفي البحر

---

(١) أنبياء الله أكثر الناس بلاء وشدة، فقد سئل النبي ﷺ: أيُّ الناس أشد بلاء؟ فقال ﷺ: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل (أي: الأفضل فالأفضل)» الترمذي.

(٢) يجب أن نؤمن بالأنبياء جميعًا، ولا نفاضل ولا نفرق بينهم، قال ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى» البخاري.

أصابت السفينة ريح شديدة كادت تغرقها، فاقترعوا على من يُلقى في البحر لتنجو السفينة من الغرق، فوقعت القرعة على يونس عليه السلام ثلاث مرات، فألقى بنفسه في البحر، فابتلعه حوت عظيم، وظل يونس حيًّا في بطن الحوت ثلاثة أيام، يذكر الله ويستغفره، ثم قذفِ الحوت يونس من بطنه إلى الشاطئ، ثم أنبت الله له شجرة يستظل بها ويأكل من ثمرها، حتى استرد عافيته، وشفاه الله، ثم ذهب يونس إلى قومه فوجدهم قد أسلموا جميعًا، وخرجوا إلى الصحراء بنسائهم وأبنائهم ودوابهم، وعلت أصواتهم بالدعاء والبكاء، فرحمهم الله وكشف عنهم العذاب.

☆☆☆

حرفة الرسل(١)

كان رسول الله ﷺ جالسًا يومًا مع أصحابه، فقال لهم: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم». فسأله الصحابة: وأنت يا رسول الله؟ فقال ﷺ «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»(٢). فرسل الله وأنبياؤه كانت لهم حرف ومهن وأعمال، وقد روي أن آدم عليه السلام كان حراثًا، وكان نوح عليه السلام نجارًا، وكان إدريس عليه السلام خياطًا، وكان موسى عليه السلام راعيًا(٣).

كما روي أن زكريا عليه السلام كان نجاراً(٤). وقد كان داود عليه السلام يعمل بيده، قال ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»(٥). فكان داود عليه السلام يصنع الدروع، وهو أول من نسج حلقاتها من الحديد، فقد ألان الله له الحديد، حتى يطويه بيده، لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة، قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ: ١٠، ١١). وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٨٠).

---

(١) كان رسول الله ﷺ يعمل بالتجارة في بداية حياته، فقد عمل في تجارة السيدة خديجة، وعُرف بالأمانة والصدق في البيع والشراء.

(٢) البخاري.

(٣) الحاكم.

(٤) ابن ماجه.

(٥) البخاري.

عبادة الرسل(١)

قال عبد الله بن عمرو بن العاص يومًا: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت. فعلم رسول الله ﷺ بذلك، فاستدعاه وقال له: «أنت الذي تقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت؟». فقال عبد الله: قد قلته. فذكر له النبي ﷺ أن أفضل الصيام، وأفضل الصلاة هما صيام وصلاة نبي الله داود عليه السلام، فقال ﷺ لعبد الله: «فصُم يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام». فقال عبد الله: إني أطيق أفضل منه يا رسول الله. فقال ﷺ: «لا أفضل من ذلك»(٢). وقال له ﷺ: «وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»(٣).

وكان داود عليه السلام يكثر من قراءة الزبور، وكان صوته حسنًا جميلاً، ومن دعائه عليه السلام قوله: «اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»(٤).

☆☆☆

الرسول المعجزة(٥)

كان عيسى عليه السلام معجزة في خلقه دون أب، ومعجزة في كلامه صغيراً، إلى جانب تأييد الله له بشفاء المرضى وإحياء الموتى، ونزول المائدة وغير ذلك، حملت أمه به دون أن يمسسها بشر، فلما ظهر حملها خرجت إلى مكان بعيد، فولدت، وجعل الله لها رزقًا من رطب وماء لتأكل منه وتشرب، ثم عادت مريم

---

(١)كان داود عليه السلام من أكثر الأنبياء عبادة لله عز وجل وتقربًا إليه، وقد مدحه رسول الله ﷺ فقال عنه: «كان أعبد الناس»مسلم.

(٢، ٣)البخاري.

(٤)الترمذي.

(٥)قال رسول الله ﷺ «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها»البخاري.

بابنها إلى قومها، فلما رأوها اتهموها بالفاحشة، فلم تتكلم وأشارت إلى الطفل الذي نطق بقدرة الله أمامهم جميعًا.

وأراد ملك الشام الظالم (هيرودس) قتل عيسى وهو طفل صغير، فهربت به مريم إلى مصر، فلما مات (هيرودس) كان عمر عيسى اثنتي عشرة سنة، فرجعت به مريم إلى فلسطين، ونشأ نشأة دينية صالحة، فلما بلغ ثلاثين عامًا جاءه الوحي وبعثه الله رسولاً، وعلمه التوراة وأنزل عليه الإنجيل، فدعا قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد، فآمن به بعض الناس، وكفر به كثير من بني إسرائيل، وتآمروا على قتله، فأنقذه الله منهم، ورفعه إليه.

☆☆☆

الشفيع[١]

في يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في مكان واحد، وتدنو الشمس منهم، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم. فيذهبون إليه ليشفع لهم عند ربهم، فيقول لهم: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيذهبون إلى نوح، فيقول لهم: اذهبوا إلى محمد. فيذهبون إلى محمد ﷺ، ويطلبون منه أن يشفع لهم عند الله، فينطلق رسول الله ﷺ حتى يقف تحت عرش الرحمن، فيسجد لربه، ويثني على الله عز وجل ثناءً ومدحًا جميلاً، فيقول له ربه: «يا محمد! ارفع رأسك، سل تُعط، واشفع تُشفع» . فيرفع رسول الله ﷺ رأسه، فيقول: «أمتي يا رب، أمتي يا رب» . فيقول الله عز وجل: «يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»[٢] .

☆☆☆

---

(١) محمد رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠) .

(٢) متفق عليه .

هداية الرسل[١]

في رحلة المعراج رأى رسول الله ﷺ مَن آمن بالأنبياء في الأمم السابقة، فرأى نبيًا ومعه أقل من عشرة من أمته، ونبيًا معه خمسة، ونبيًا معه رجلان، ونبيًا معه مؤمن واحد، ونبيًا لم يؤمن به أحد من أمته، وفجأة رأى رسول الله ﷺ عددًا كثيرًا من الناس، فظن النبي ﷺ أنهم أمته، فقال لجبريل عليه السلام: «يا جبريل! هؤلاء أمتي؟». فقال جبريل عليه السلام: «لا، هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق - السماء-». فنظر رسول الله ﷺ، فإذا بخلق كثير قد سدوا الأفق وامتلأ بهم، فقال له جبريل عليه السلام: «هؤلاء أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

وقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه بصفات هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقال: «هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون - لا يطلبون الرقية من غيرهم- ولا يتطيرون - لا يتشاءمون- وعلى ربهم يتوكلون»[٢].

☆☆☆

أخوة الرسل[٣]

تشاجر رجل من اليهود مع رجل من المسلمين، فأقسم اليهودي قائلاً: لا والذي اصطفى موسى على البشر. فسمعه رجل من الأنصار، فقال له: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا- أي: يعيش بيننا-؟ ثم لطمه على وجهه، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ وقال له: أبا القاسم! إن لي ذمة وعهدًا، فما بال فلان لطم وجهي؟ فأرسل النبي ﷺ للمسلم الذي ضربه، ثم سأله: «لِمَ لطمت وجهه؟». فذكر

---

(١) الأنبياء يرشدون الناس إلى الحق، ولكنهم لا يملكون هدايتهم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(البقرة: ٢٧٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) قال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، والأنبياء إخوة لعلّات، أمهاتهم شتى (أي: بنو رجل واحد، وأمهاتهم متعددة) ودينهم واحد» البخاري.

الأنصاري ما حدث بينهما، فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا وقال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله، لا تخيروني على موسى، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يبعث، فإذا موسى آخذ- ممسك- بالعرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله-أي: لم يصعق» (١).

☆☆☆

وصية الرسل (٢)

أراد النبي ﷺ أن يوصي أصحابه قبل موته بعدة وصايا، فقال لهم وهو على فراش الموت: «ائتوني باللوح والدواة، أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا». فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن. فاختلف الناس، وتنازعوا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر: حسبنا كتاب الله. فزاد اللغو والاختلاف بينهم، وما ينبغي عند نبي تنازع، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوني، فالذي أنا فيه خير، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم- أي: أكرموا الوفود- ». ونسي الراوي الثالثة إلا أن تكون وصيته ﷺ بتجهيز وبعث جيش أسامة بن زيد.



---

(١) البخاري.

(٢) وصية الرسل لأبنائهم وأتباعهم واحدة، وهي الوصية بالإسلام والإيمان بالله واتباع أوامره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢).

تعليم الصغار الإيمان باليوم الآخر وقدرة الله تعالى على بعث الناس بعد موتهم:

الإيمان باليوم الآخر أصلٌ عظيم من أصول الدين، لأن مَن آمن باليوم الآخر كان مُصدقًا بقدرة الله تعالى على بعث الناس من قبورهم بعد أن ماتوا ودُفِنوا.

إننا سنحاول الآن أن نفرق بين رجلين:

الرجل الأول: لا يؤمن بيوم القيامة، ويقول: إن الدنيا هي النهاية ولا بعث ولا حساب.

والرجل الثاني: يؤمن بالحساب، وبيوم القيامة، وبأن الدنيا مجرد مرحلة من مراحل البشر، وبعد الموت سيبعثه الله تعالى ويُحاسبه. إن الرجل الأول سيفعل كل ما يحلو له، وكل ما تسول له نفسه، وسيفسد في الأرض لأنه يريد أن يستفيد من كل لحظة في حياته، وطالما أنه لن يُحاسَب فلن يخشى شيئًا من الله تعالى، وهنا ينتشر الفساد في الأرض. أما الرجل الثاني فإنه سيخاف من الله تعالى أن يحاسبه على ما قدم من خيرٍ أو شرٍّ، فيعمل جاهدًا على أن يكون كل عمله الذي يقدمه في الدنيا عملاً صالحًا، ويجتنب العمل السيء حتى لا يُحاسب به أمام الله تعالى به.

الدليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس من قبورهم بعد الموت:

أما من القرآن الكريم: فقد قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٧٨- ٨٣).

وفي هذه الآية وضَّح الله تعالى قدرته على أن يعيد الخلق مرة أخرى وهو سبحانه الذي قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ[1] عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).

---

(١) أهون: أسهل، وأيسر.

فما دام الله تعالى هو الذي خلق أول مرة فهو القادر على إعادة الخلق مرة ثانية، ونحن في حياتنا نرى أن صانع الآلة هو القادر على تجميع أجزائها بعد أن تتكسَّر، فلله المثل الأعلى هو سبحانه القادر على إعادة الخلق لأنه هو الذي خلقهم أول مرة.

ثم هذا هو الشجر الأخضر الذي يتصف بالرطوبة والبرودة وقد رواه الماء تراه قد تحوَّل إلى كتلة ملتهبة بعد أن يوضع في النار، والذي يفعل ذلك يستطيع أن يأتي بالحياة بعد الموت.

والله تعالى قد وصف نفسه بأنه الذي يُخرج الحي من الميت، ويُخرج الميت من الحي، فنرى النواة الميتة توضع في الأرض فتُسقى بالماء حتى تصير شجرة كبيرة ثم من الشجرة الكبيرة تخرج النواة أو البذرة مرة ثانية، وهكذا خرج الحي من الميت، وخرج الميت من الحي.

إن الله تعالى بيده ملكوت كل شيء، إذا أراد سبحانه شيئًا أمره فقال: كن، فإذا بالشيء يكون كما أراد الله تعالى.

إننا نعيش في كل يوم تجربة الموت والحياة، أو الموت والبعث تارة أخرى، فإننا ننام ونصحو، فالنوم شبيه بالموت، فإذا استيقظ الإنسان من نومه فكأنما عاد إلى الحياة مرة أخرى.

فلا غرابة في أن يعود الإنسان من الموت الحقيقي إلى البعث، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام: ٦٠، ٦١)

ومن أجل الارتباط بين النوم والموت كان الرسول ﷺ يقول إذا أراد النوم: «باسمك اللهم أحيا وأموت» وكان إذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»

إن الإيمان باليوم الآخر واحد من أهم الأمور التي تضبط الحياة وتسعدها، فإن الإنسان إذا آمن بالبعث والحساب عمل جاهدًا على أن يكون عمله عملاً صالحًا بعيدًا عن الفساد والمعاصي، وساعتها تسعد الحياة ويسعد الإنسان.

قصص الإيمان باليوم الآخر

علم الساعة[1]

جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وسأله عن الإيمان وعن الإسلام وعن الإحسان، والرسول ﷺ يجيبه وجبريل عليه السلام يصدقه فيما يقول، والصحابة يعجبون؛ كيف يسأله ويصدقه، وهم لا يعرفونه، ثم قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال النبي ﷺ: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها -علاماتها-؛ إذا ولدت المرأة ربتها- سيدتها- فذاك من أشراطها، وإذا كان الحُفاة العراة رءوس الناس فذاك من أشراطها، خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

ثم انصرف جبريل عليه السلام، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «ردُّوه عليَّ». فقاموا ليردوه، فلم يروا شيئًا، فقال النبي ﷺ لهم: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»[2].

★★★

متى الساعة[3]

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وسأله: متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما أعددت لها؟». قال: حب الله ورسوله. فقال الرسول ﷺ: «أنت مع من أحببت». فقال الأعرابي: فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم. فالأعرابي آمن أن عبادته قليلة في جنب ما لله عليه من حق، وإن كانت كثيرة في ذاتها إذا قورنت بعبادة غيره، وهذا من قبيل الاعتراف بعجزه عن عبادة ربه

---

(١) لا أحد غير الله يعلم متى تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب: ٦٣).

(٢) البخاري.

(٣) قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (الأعراف: ١٨٧).

حق عبادته، وشكره حق شكره، لذلك أخبر الأعرابي النبي ﷺ أنه ما أعد لليوم الآخر كثير صوم ولا صلاة ولا صدقة، ولكنه يحب الله ورسوله، ففرح المسلمون فرحًا شديدًا بقول النبي ﷺ «أنت مع من أحببت»[١] .

☆☆☆

العلامات العشر[٢]

خرج النبي ﷺ على عدد من الصحابة وهم يتحدثون ويتذاكرون يوم القيامة، فقال لهم النبي ﷺ «ما تذكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. فقال ﷺ «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» وذكر النبي ﷺ الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفًا بالمشرق، وخسفًا بالمغرب، وخسفًا بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم[٣] .

☆☆☆

الأمانة والساعة[٤]

كان النبي ﷺ في مجلس يحدث أصحابه، فجاءه أعرابي وسأله: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع ما قال. حتى إذا قضى النبي ﷺ حديثه، فقال: «أين السائل عن الساعة؟» قال الأعرابي: ها أنا ذا يا رسول الله. قال النبي ﷺ «إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة» قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[٥]

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى» مسلم.

(٣) مسلم.

(٤) قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر الذي وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله» البخاري.

(٥) البخاري.

أول من يفيق[1]

في عهد النبي ﷺ وفي سوق المدينة قال رجل يهودي: والذي اصطفى موسى على البشر. فغضب أحد الأنصار، ولطم اليهودي على وجهه وقال له: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ فلما علم النبي ﷺ بما حدث غضب، وقال: «قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨)، فأكون أول من يرفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان فيمن استثنى الله»[2]

☆☆☆

اقتراب الشمس[3]

كان النبي ﷺ جالسًا مع أصحابه، فقال لهم: «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل». قال سُليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين؟ قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه- »[4].

☆☆☆

---

(١) قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢٦)

(٢) الترمذي.

(٣) تحدث ﷺ عن عذاب الناس يوم الحشر، فقال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترْقُوته» مسلم.

(٤) مسلم.

خلود بلا موت(١)

بينما كان النبي ﷺ يخطب في أصحابه قال: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح- أبيض- فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة !هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون يرفعون رءوسهم إلى المنادي- وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. ويقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩). وأشار بيده إلى الدنيا(٢).

☆☆☆

دموع وبكاء(٣)

كان النبي ﷺ عند زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها، فنعس وأخذه النوم، فذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها يوم الآخرة، فبكت حتى سال دمعها، فنقط على خد رسول الله ﷺ، فانتبه فقال: «ما يبكيك يا عائشة؟». قالت: ذكرت الآخرة، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه: إذا وضعت الموازين، ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أم بشماله، وعند الصراط»(٤)

☆☆☆

---

(١) قال ﷺ: «يُدْخِل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل فيما هو فيه» مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) قرأت السيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨)، ثم قالت: يا رسول الله أين يكون الناس؟ قال: «على الصراط» مسلم والترمذي.

(٤) أبو داود.

الصراط[١]

أخبر النبي ﷺ أصحابه بصفة الصراط، وكيف يمر عليه الناس يوم القيامة، قال: «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينًا وشمالاً، وعلى جانبيه ملائكة يقولون: اللهم سلم. .اللهم سلم، فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس المجري، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبوا حبواً، ومنهم من يزحف زحفًا، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحمًا ثم يؤذن في الشفاعة»[٢]

* * *

مسكن أهل الجنة[٣]

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضًا»[٤]

وقال: «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون»[٥]

وسأل الصحابة النبي ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ (التوبة: ٧٢) فقال: «قصر في الجنة من لؤلؤة فيها سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونًا من طعام، في كل بيت سبعون وصيفًا ووصيفة، يعطى المؤمن بقوة ما تأتي على ذلك كله في غداة واحدة»[٦]

---

(١) قال ﷺ: «الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني لأقول: يا رب سلم سلم» البيهقي.

(٢) متفق عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» مسلم.

(٤) مسلم. (٥) متفق عليه. (٦) الطبراني.

شهادة الأعضاء(١)

قال أنس بن مـالك رضي الله عنه: كنا عند رسول الله ﷺ فضحـك فقال: «هل تدرون مم أضحك؟». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول العبد: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ يقول الله: بلى. فيـقـول العبـد: فإني لا أجيـز على نفسي إلا شاهداً مني. فيـقـول الله تعـالى: كـفى بنفسك اليـوم عليك شـهيـداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً». قال ﷺ: «فيختم على فيه- فمه- فيقال لأركانه: انطقي. فتنطق بأعمـاله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكنَّ وسحقًا، فعنكن كنت أناضل»(٢)

وفي رواية أخرى: «ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسـه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط عليه»(٣)

☆☆☆

الجنة(٤)

كان النبي ﷺ يجلس مع أصحابه، ويصف لهم الجنة والنـعيم الذي يلاقيه أهلها ويخبرهم بأن فيهـا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، والجنة جزاء الصـالحين المؤمنين يوم القيـامة، قال ﷺ لأصـحابه: «إن أهل الجنة ليتـراءون- ليرون- أهل الغرف من فوقـهم كمـا تراءون الكوكب الدري الغابر- الذاهب في السماء- في الأفق من المشرق أو المغرب لتـفـاضل مـا بينـهم». قالوا: يا رسـول الله! تلك منازل الأنبـياء لا يبلغـهـا غـيرهم؟ قـال: «بلى والـذي نفـسي بيـده رجـال آمنوا بالله وصـدقـوا المرسلين»(٥) .

---

(١) قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥).

(٢، ٣) مسلم.

(٤) الإيمان باليوم الآخـر يتطلب منا أن نؤمن بوجود الجنة ومـا أعده الله فيـها من نعيم، قـال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

(٥) متفق عليه.

وأخبرنا النبي ﷺ أنه: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب - يرفعه الله عنه- فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»[1]

☆☆☆

---

(١) مسلم.

تعليم الصغار الإيمان بالقضاء والقدر

ونحن نؤمن بأن الله تعالى قـدَّر الأقدار، وهو سبـحانه الحكيم أي: الذي في كل أفعاله وأقواله حكمة، فخلقَ بعض الناس أغنياء، وخلق آخرين فقراء، وجعل هؤلاء مرضى، ورزق آخـرين الصحة، وجعل من الناس أصـحاب بشرة بيضـاء، وآخرين أصحـاب بشرة سمراء، وأعطى هذا الولد، وأعطـى ذلك البنت، أو منع آخرين من الأطفال.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩). فنحن نؤمن أن الله تعالى خلق كل هذا وقدّره حسب إرادته، لأنه سـبحانه علم أن بعض الناس لا يصلح لهم إلا الغنى، وبعضهم لا يصلح له إلا الفقر، وبعضهم لو كان سليمًا صحيحًا من كل مرضٍ لطغى في الأرض وأفسد فـيها، وبعضهم لو رزقه الله المال والغنى لاسـتخدمه في غير ما ينفع ولارتكب به المعاصي.

وقد علَّمنا الله تعـالى أن ندعوه في كل بلاءٍ ينزل بنا فقال سـبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافـر: ٦٠). لأن الدعـاء يرد البلاء إن كـان صالحًـا من قلبٍ سليم، فنحن نؤمن بقـضاء الله، ونعـمل بجدٍّ واجتـهاد، ونسـأله سبـحانه الـعون والمساعدة على الخير.

فمـثلاً: يذاكر الإنسان لكي ينجح، ومع المـذاكرة يدعو الله تعالى بالتـوفيق، ثم يتوكل على الله تعالى.

بعض أسئلة الصغار المتعلقة بالقدر:

على المربي أن يتحرى الابتـعاد عن التعقيدات التي قـد تحار عقول الصغـار فيها، وأن يوجز لهم عقيدة القضاء والقـدر كما أوجزناها له، وقد تدور بعض الأسئلة في هذه السن الحرجـة، وتتعلق هذه الأسـئلة بمسألة (الجبـر والاختيـار)، والسؤال تأتي صيـغه قريبة من هذه الصـيغة: إذا كان الله تعـالى قد كتب أن فلانًا ضـال، وفلانًا مهدي، فلماذا يعذبنا؟ وماذا ارتكب الشخص ليكون أعمى أو أعرج أو غير ذلك؟

يقول الدكتور عدنان باصالح(١): «ولعل أكثر الأسئلة في هذا الجانب تكون حول مسألة (الجبر) طالما أن الرب سبحانه وتعالى قد كتب في الأزل أن شخصًا ما يخطئ ويضل- وهذا لابد واقع- فإنه لا ذنب لهذا الشخص فقد كتب عليه الضلال والضياع، فلماذا يعاقب على ذنب قد أجبر عليه؟ ورد هذه الشبهة عن ذهن الولد تحصل بطريقة عملية، كأن يضع الأب بين يدي الولد كأسًا زجاجيًّا، ويقول له: هل تستطيع أن تلقي بهذا الكأس على الأرض فتكسره؟ فيجيب الولد بنعم، فيقول له الأب: وما الذي يمنعك من ذلك؟ فيرد عليه بأن هذا خطأ لا ينبغي فعله، فيعلق الأب على هذا الموقف: إن الله علم في الأزل البعيد أنك لن تكسر هذا الكأس، وعلم أيضًا أن الولد الشقي سوف يكسر الكأس، فكتب سبحانه وتعالى كل هذا عنده، فهل منعك أحد يا بني عن إلقائك للكأس على الأرض، وهل أجبر أحد ذلك الولد الشقي على أن يكسر الكأس؟ وقطعًا سوف يكون جواب الولد (بلا)، فيعقب الأب بقوله: وكذلك يا ولدي الهداية والضلال، والخير والشر، كل إنسان يختار لنفسه أحد الطريقين، والله سبحانه وتعالى يعلم بالتفصيل كل شخص ماذا يختار، وأي طريق يسلك، فييسر لكل طريقه وما خلق له».

وهذه بعض القصص لمعالجة قضية القضاء والقدر في نفوس الصغار:

☆☆☆

قصص الإيمان بالقضاء والقدر

سؤال النفس(٢)

دارت في نفس «ابن الديلمي» بعض التساؤلات عن القدر، فذهب إلى أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال له: قد وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني لعل الله أن يذهبه من قلبي. فقال أُبي: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت

---

(١) مسئولية الأب المسلم (ص١٣٩).

(٢) يصل المؤمن إلى حقيقة الإيمان حينما يؤمن بالقدر، قال ﷺ: «لكل شيء حقيقته، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه» أحمد.

مثل أُحُد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار.

وسمع ابن الديلمي هذا الكلام، فوجد فيه إجابة عن تساؤلاته، لكنه أحب أن يطمئن أكثر وأكثر، فذهب إلى عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهم فحدثوه عن النبي ﷺ بمثل ذلك(١).

☆☆☆

عدل الله(٢)

في يوم من الأيام ذهب عمرو بن العاص إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وقال له: وددت أني وجدت من أخاصم إليه ربي- أحاكمه-. فقال أبو موسى: أنا- أي: أجيبك عما تريد السؤال عنه- فقال عمرو: أيقدِّر الله عليَّ شيئًا يعذبني به؟ فقال أبو موسى: نعم. قال عمرو: ولِمَ؟ قال أبو موسى: لأنه سبحانه لا يظلمك. فقال عمرو: صدقت.

☆☆☆

حقيقة الفرار(٣)

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة متجهًا إلى الشام، وفي الطريق قابله أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأصحابه فأخبروه أن وباء الطاعون قد وقع بأرض الشام، فاستشار عمر رضي الله عنه من معه في الأمر، ثم عزم على الرجوع، ونادى في الناس بذلك، فقال أبو عبيدة: أفرارًا من قدر الله؟ قال عمر: لو قالها

---

(١) أبو داود.

(٢) القدر: هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة، والقواعد والأسباب التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها.

(٣) الإيمان بالقضاء والقدر له آثار طيبة، منها: الشجاعة والجرأة والإقدام، والصبر، والتسليم، والرضا، والتوكل.

غيرك يا أبا عبيدة- أي: لأدبته وقيل: تعجبت منه- نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل، فهبطت واديًا له عدوتان- جانبان- إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟!»[1].

☆☆☆

حقيقة الأسباب[2]

ذهب الصحابي الجليل «أبو خزيمة» رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت رُقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتُقاة نتقيها- أي: أن المسلم يسترقي بالرقى الشرعية، ويتداوى بما أحله الله، ويتقي المصائب بما شرع الله-، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال ﷺ: «هي من قدر الله»[3]؛ (ذلك من الأسباب التي أمر الله عباده أن يأخذوا بها).

☆☆☆

الكلمات النافعة[4]

ذات يوم ركب عبد الله بن عباس رضي الله عنه خلف النبي ﷺ على دابته، وكان عبد الله غلامًا صغيرًا، فقال له النبي ﷺ: «يا غلام! إني أعلمك كلمات». فانتبه عبد الله وأصغى إلى ما يقوله النبي ﷺ، فقال: «احفظ الله- التزم أوامره واجتنب ما نهى عنه- يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك- تجده معك يحفظك ويعينك-، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف- أي: أن

---

(١) مسلم.

(٢) القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال، وإنما يوجب الجد والاجتهاد، والحرص على العمل الصالح.

(٣) الترمذي وابن ماجه.

(٤) إذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» أبو داود.

المقادير قد تم الانتهاء من كتابتها منذ زمن بعيد-»(١).

☆☆☆

اختبار الله(٢)

في يوم من الأيام تنكَّر الشيطان في صورة إنسان، وذهب إلى نبي الله عيسى عليه السلام ليوسوس له، فقال له: ألست تـزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟ قال عيسى عليه الصلاة والسلام: بلى. فقـال إبليس لعنه الله: إذا كان الأمـر كذلك، فاقفز من فوق هذا الجبل، فإنه إن قدَّر الله لك السـلامة فسوف تسلم. فأدرك عيسى عليه السلام أن الذي يكلمه هو الشيطان، فقال له: يا ملعون! إن الله عز وجل يختبر عباده كيف يشاء، وليس للعبد أن يختبر مولاه عز وجل(٣).

☆☆☆

الجمل الأجرب(٤)

حكى الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «لا عـدوى- أي: لا يعـتقـد أحد في أن المرض ينتـقل إليه بالعـدوى من مريض آخر-». وكان من بين الحاضرين رجل أعرابي، فقـام ليذكر دليلاً يثبت به أن المرض يمكن أن ينتقل بالعدوى، فقال: أرأيت الإبل في الرمال أمـثال الظباء، فيأتيها البعير الأجرب فـتجرب. فقال ﷺ: «فمن أعدى الأول؟»(٥). بهذا يؤكد النبي ﷺ أن النفع والضر من الله عـز وجل وحده، فإذا انتـقل المرض من جسد لآخـر، فإنما يكون بإذن الله وقدرته، وليس لأن المرض انتقل من تلقاء نفسه.

---

(١) الترمذي.

(٢) كان النبي ﷺ يذكـر ربه بعد الصـلاة بقوله: «لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، اللهم لا مـانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» البخاري.

(٣) ابن كثير - قصص الأنبياء.

(٤) قال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «كلمة طيبة» مسلم. والطيرة: هي التشاؤم.

(٥) البخاري.

غضب النبي ﷺ(١)

في يوم من الأيام جلس بعض الصحابة يتناقشون، ويتنازعون في موضوع القدر، فحضر رسول الله ﷺ وهم كذلك، فغضب غضبًا شديدًا حتى احمر وجهه وقال: «أبهذا أُمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»(٢)

☆☆☆

السلام المردود(٣)

في يوم من الأيام أتى رجل إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبلغه السلام من أحد الناس، فقال له: إن فلانًا يقرأ عليك السلام. فقال عبد الله: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان أحدث فلا تقرئه مني السلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في هذه الأمة- أو في أمتي- خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر»(٤).

☆☆☆

كل شيء بقدر(٥)

حكى عبد الواحد بن سليم- وهو أحد التابعين- فقال: قدمت مكة فلقيت عطاء ابن أبي رباح، قلت له: يا أبا محمد! إن أهل البصرة يقولون في القدر. قال: يا

---

(١) القدر يرد بالدعاء، قال ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» الترمذي، لذلك يستحب للمسلم أن يكثر من الدعاء والتضرع لله.

(٢) الترمذي.

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله بقسطه (بعدله) وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

(٤) الترمذي.

(٥) قال الله تعالى في الكافرين المكذبين بالقدر: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٨، ٤٩).

بني! أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فاقرأ الزخرف. فقرأت: ﴿حمٓ ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: ١- ٤). فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض، فيه أن فرعون من أهل النار، وفيه تبت يدا أبي لهب وتب.

☆☆☆

كلمة الرضا(١)

يحكى أن رجلاً من الأجانب كان يدرس علم الاجتماع، ويطبقه على المجتمع الشرقي خاصة، فقرر الذهاب إلى إحدى القبائل المسلمة، لدراسة سلوك وأنماط حياتهم، ولكنه لاحظ شيئًا مهمًا، فإذا أُصيب أحدهم بأذى قال كلمة فاستراح بعدها وهدأ، وكان هذا المشهد يتكرر أمامه باستمرار، وفي كل مرة يقول المصاب نفس الكلمة، سألهم: ماذا تقولون في وقت المصائب؟ فقالوا: إننا قوم مؤمنون، رضينا بالله ربًا، ورضينا بما قدره علينا، ولذلك نقول: قدر الله وما شاء فعل. فاندهش الرجل لهذه الكلمة السحرية التي يخضع لها الجميع، ولما تدبرها علم أنها تحقق للإنسان الرضا الكامل، وأحس أنه عثر على شيء كان مفقودًا منه، فأعلن إسلامه على الفور.

☆☆☆

المكان المعلوم(٢)

في يوم من الأيام كان ملك الموت عند نبي الله سليمان عليه السلام وهو في الشام فشاهد معه رجلاً، فتعجب ملك الموت تعجبًا شديدًا، لأن الله عز وجل قدَّر على

---

(١) قال ابن عون: «إن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء.

(٢) الإيمان بالقدر لا يمنع أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

هذا الرجل الموت بعد قليل، وقد طلب الله عز وجل منه أن يقبض روحه في الهند، ولكن الملك امتثل لأمـر الله عز وجل وذهب إلى الهند، وفي هذا لوقت كان الرجل قد أصـابه الرعب والفزع من شكل ملك الموت، فـطلب من نبي الله سليمـان عليه السلام أن يحمله إلى مكان بـعيد، فأمر الرياح فحـملته إلى الهند، وهناك في المكان المحدد والموعد المحدد وجد ملك الموت في انتظاره، فـقبض روحه حيث قدر الله عز وجل .

☆☆☆

الصبر الجميل(١)

عندما انتـهى المسلمون من القتـال في غزوة أحد، عـادوا إلى المدينة، وكانت بهم جراح كثيرة، كما استشهد كثير من المسلمين في هذه المعركة، وفي طريق عودتهم قابل النبي ﷺ السيدة حمنة بنت جحش رضي الله عنها فقال لها: «احتسبي». فقالت: مَن يا رسول الله؟ قال: «خالك حمزة». قالت: إنا لله وإنا إليـه راجعون، غـفر الله له، هنيئًا له الشـهادة. ثم قال لها: «احتسبي». فقالت: مَن يا رسول الله؟ قال: «زوجك مصعب بن عـمير». فقـالت: واحزناه، وصاحت وولولت، فسـألها ﷺ: «لِمَ فعلت ذلك؟». قالت: تذكرت يتم بنيه فراعني-أفزعني-. فدعا لها رسول الله ﷺ.

☆☆☆

ثمرة الفؤاد(٢)

إذا مات ولد الإنسان، وقبضت الملائكة روحه، سأل الله عز وجل ملائكته- وهو أعلم بالجواب-: «قبـضـتم ولد عبـدي؟». فيـقولون: نعم. فيـقول: «قبـضـتم ثمـرة فؤاده؟». فيقولون: نعم. فيقول: «وماذا قال عبدي؟». فيقولون: حمدك واسترجع-

---

(١) حث النبي ﷺ على الرضا بالقـدر، فقال: «... وإن أصابك شيء فـلا تقل: لو أني فعـلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» مسلم.

(٢) للصابرين على قضاء الله أجر كبير. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

أي: قال: الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون- **فيقول الله تعالى: «ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد»**(١) . وهكذا استحق **الإنسان أن يفوز ببيت في الجنة،** لأنه صبر عند الابتلاء، ورضي بقضاء الله.

☆☆☆

الحجة الساطعة(٢)

ذات يوم اجتمع المشركون لمناقشة قضيتي الإيمان والشرك، فقال أحدهم: **إن الله** هو الذي قدر علينا الشرك. فقال آخر: وكيف ذلك؟ قال: **لأن الله لو لم يشأ أن** نكون مشركين لما كنا كذلك. وكان الله عز وجل قد أنزل آية تنبئ بما سيكون من هؤلاء المشركين، وتبطل حجته في نفس الوقت، قال تعالى: **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** (الأنعام: ١٤٨، ١٤٩)

☆☆☆

القول المفزع(٣)

ذات يوم تحدث «عمران بن حصين» رضي الله عنه مع «أبي الأسود الدؤلي» رحمه الله، فقال عمران: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال أبو الأسود: **بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم.** قال عمران: أفلا يكون ظلمًا؟ ففزع أبو الأسود من قوله فزعًا شديدًا وقال: **كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يُسأل عما يفعل، وهم يسألون.** فقال عمران: **يرحمك الله، إني لم**

---

(١) الترمذي وأحمد.

(٢) سخر الله من المشركين، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ (الزخرف: ٢٠، ٢١).

(٣) خلق الله عز وجل الإنسان وزوده بقوى وملكات، يمكنه أن يوجهها إلى الخير، كما يمكن أن يوجهها إلى الشر، وهو محاسب على توجيهه إياها في الخير أو الشر.



أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك- أختبرك وأمتحنك- إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ، فسألاه هذا السؤال، فأجابهم رسول الله ﷺ بقوله: «لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿ونَفْسٍ ومَا سوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورهَا وتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧، ٨)»[1].

☆☆☆

أعمال الناس[2]

جلس سراقة بن مالك رضي الله عنه يتفكر في أعمال الناس؛ أهي قديمة مما كتبه الله عز وجل عليهم سابقًا، أم أنها جديدة مما يعملونه في الحاضر والمستقبل؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله! بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم: أفيم جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ فقال ﷺ: «لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير». قال سراقة: ففيم العمل؟ فقال ﷺ: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، وكل عامل لعمله»[3].

☆☆☆

مقاعد الجنة والنار[4]

خرج الصحابة رضوان الله عليهم في جنازة في بقيع الغرقد، فأتاهم النبي ﷺ فقعد وقعدوا حوله، وكان معه عصا، فجعل ينكت- يخط- بها في الأرض، وكأنه يفكر في شيء، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) كل الأشياء مقدرة قبل وجود الخلق، قال تعالى: ﴿ما أصاب من مُّصيبةٍ في الأَرْضِ ولا في أَنفُسكُمْ إلاَّ في كتاب مِّن قَبْلِ أن نَّبْرأَهَا إنَّ ذَلكَ علَى اللهِ يسيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

(٣) مسلم.

(٤) الله عز وجل عالم بما سيعمل الناس في الدنيا، وما يصيرون إليه في الآخرة من ثواب أو عقاب.

ومن كان من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة». ثم تلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ (الليل: ٥- ١٠)[1]

☆☆☆

الصحبة الطويلة[2]

يحكي أنه كان هناك رجل خبيث ساحر، يشعوذ على الناس، يزعم أنه يعلم الغيب، ويغير القدر، فتنبه له رجل كان يحضر مجالس الذكر، ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالقرآن والحديث، فذهب إليه ليبين للناس كذبه، فقال له: إني أريد أن أنكح امرأة، ما ترى فيها، هل هي سعد لي أو نحس علي؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية، ثم قال له: دعها، فإنك إن أخذتها لا تبلي معها ثوبًا- أي: يموت سريعًا، ولا تطول معها صحبة- وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسماها له هي زوجته، وقد طالت صحبته معها، وله منها خمسة من الأولاد، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا، فقال له: هؤلاء أولادي منها. فبين الرجل للناس أنه لا يستطيع أحد أن يرد شيئًا مما قدره الله، ولا يعلم الغيب إلا الله[3].

وبعد: فلقد كانت هذه كلمات أرجو الله أن تكون نافعات في مسألة العقيدة التي يجب أن نبدأ تعليمها للصغار، فإن أول أصوات الهزيمة الإيمانية على الإطلاق وأول نذر الكوارث هو تنحية العقيدة عن مناهج التربية حتى صار الصغار والكبار جسدًا خواءً لا روح فيه، أجوف بلا قلب، وهكذا رأينا الإيمان قبل القرآن حتى يتهيأ الصغير لحفظ القرآن فيكون عليه سهلاً يسيرًا، يشعر بما فيه من معانٍ سامية راقية فيؤمن بمحكمه ومتشابهه، شاعرًا بعظمته وبنعمة ربه تبارك وتعالى عليه في إنزال القرآن.

---

(١) متفق عليه.

(٢) المسلم لا يحزن على ما فاته، ويشكر الله على ما أوتي قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٣).

(٣) معارج القبول.

تعليم الصغار القرآن الكريم

ماذا كان سيحدث لو لم يتنزل هذا القرآن؟

كثيرًا ما يلح هذا السؤال عليَّ، فلا أجد الإجابة إلا مختلطة بشكر الله تعالى على هذه النعمة التي لا تضاهيها نعمة أخرى في هذا الكون الفسيح الرحيب، ولقد امتن الله تعالى على عباده بهذه النعمة فقال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ② خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ (الرحمن: ١- ٣) . فقدَّم سبحانه نعمة تعليم القرآن على منة خلق الإنسان وإيجاده من العدم، وعلَّم: أي: سهَّل ويسَّر، فلم تقتصر النعمة على إنزال القرآن وبلاغه فحسب، وإنما في تعليمه.

يقول الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: «الرحمن أيها الناس برحمته إياكم، علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ بصَّركم ما فيه رضا ربكم، وعرَّفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم، وعملكم بما أمركم به، وبتجنبكم ما يسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجو به من أليم عقابه»[1] .

يقول الأستاذ/ سيد قطب: «القرآن.. هذه النعمة الكبرى التي تتجلى فيها رحمة الرحمن بالإنسان... القرآن.. الترجمة الصادقة الكاملة لنواميس هذا الوجود، ومنهج السماء للأرض الذي يصل أهلها بناموس الوجود، ويقيم عقيدتهم وتصوراتهم وموازينهم وقيمهم ونظمهم وأحوالهم على الأساس الثابت الذي يقوم عليه الوجود، فيمنحهم اليسر والطمأنينة والتفاهم والتجاوب مع الناموس.

القرآن الذي يفتح حواسهم ومشاعرهم على هذا الكون الجميل، كأنما يطالعهم أول مرة، فيجدد إحساسهم بوجودهم الذاتي، كما يجدد إحساسهم بالكون من حولهم، ويزيد فيمنح كل شيء من حولهم حياة نابضة تتجاوب وتتعاطف مع البشر، فإذا هم بين أصدقاء ورفاق أحباء حيثما ساروا أو أقاموا طوال رحلتهم على هذا الكوكب.

---

(١) تفسير الطبري (٢٧/ ١٢٠).

القرآن الذي يقر في أخلادهم أنهم خلفاء في الأرض، أنهم كرام على الله، وأنهم حملة الأمانة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال، فيشعرهم بقيمتهم التي يستمدونها من تحقيق إنسانيتهم العليا بوسيلتها الوحيدة.. الإيمان.. الذي يُحيي في أرواحهم نفخة الله، ويحقق نعمته الكبرى على الإنسان، ومن ثم قدَّم تعليم القرآن على خلق الإنسان، فبه يتحقق في هذا الكائن معنى الإنسان»[(١)].

لقد اتضح أن القرآن نعمة كبرى، فلولاه لضاعت أمة الإسلام سُدى، وصارت مجرد أقاصيص تحكى، وروايات تُقص على المسامع، شأنها في ذلك شأن كثير من الأمم التي لم يكن لها كتاب رباني جامع يتحركون من خلاله، ويشهد التاريخ أن أمتي الهنود الحمر والزنوج قد ضاعتا وذابتا، لكن بقيت هذه الأمة يحميها القرآن بسياج الإيمان حتى تعافت من مصائب كثيرة.

إن القرآن هو كلام الله، وكتاب الله الذي يصل الأرض بالسماء، تتضح فيه معالم العقيدة التي يجب أن نسير عليها، كتابٌ لا يعتريه النقصان محفوظ بحفظ الله تعالى، يحيي به موات الأفئدة المتحجرة، وهو العاصم من الزلل، المجمع من بعد الفُرقة، شرفت به الأيام والليالي، فعظم به رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ (البقرة: ١٨٥). وصارت به ليلة القدر مباركة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣). ليعلم الجميع أن القرآن سر وجود هذه الأمة، وعنصر بقائها، ولولا القرآن لحدثت مصائب لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

ومن هنا كان تربية الصغار على حفظ القرآن منذ الصغر أحد شعائر الإسلام التي درج المسلمون عليها منذ بدء الإسلام، ولذا قالوا: «وتعليم الولدان القرآن الكريم شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الإسلام ودرجوا عليه من جميع أمصارهم لأن آياته ترسخ الإيمان وعقائده، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخًا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه»[(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٤٥، ٣٤٤٦) للأستاذ/ سيد قطب رحمه الله.

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص٥٢٥) ط - دار الفجر للتراث.

وتنقل كتب السُّنة أن هذا- يعني تحفيظ القرآن- كان دأب النبي ﷺ وصحابته، وقد رأينا هذا في قول جندب رضي الله عنه حيث قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»(١) . وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم»(٢) .

وحفظ الطفل للقرآن في الصغر أدعى إلى ثبوته ورسوخه عنده كما يقال: «التعلم في الصغر كالنقش في الحجر».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه الكتاب»(٣) . وكان ابن عباس إذ ذاك غلامًا مميزًا، وفيه الحض والترغيب في تعليم الغلمان كتاب الله عز وجل وفيه جواز احتضان الصبي القريب على سبيل الشفقة(٤) .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»(٥)

ولقد قدَّم القرآن الصغار حتى صاروا أئمة، فعن عمرو بن سلمة أن النبي ﷺ قال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا...، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمَّكم أكثركم قرآنًا». فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني؛ لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بُردة كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنَّا است قارئكم؟ فاشتروا- يعني

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفضائل القرآن باب تعليم الصبيان القرآن (٨/ ٧٠١) (٥٠٣٥)، وأحمد برقم (٢٢٨٣) شاكر.

(٣) أخرجه البخاري في العلم باب قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب» (١/ ٢٠٤) (٧٥)، وابن ماجه في المقدمة (١/ ٥٨) (١٦٦) بلفظ: «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب»، وأحمد (١/ ٣٥٩).

(٤) قاله الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٤) بتصرف.

(٥) أخرجه مسلم في المساجد (١/ ٤١٣) (١٣٤/ ٥٩٠)، وأبو داود في الصلاة (٢/ ١٩٠) (١٥٤٢).

ثوبًا-، فقطعوا لي قميصًا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص[١] .

وفي هذا الحديث نرى كيف أمهم الصغير فقدمه القرآن رغم صغر سنه، وقدَّم الأشعث بن قيس غلامًا، فعابوا عليه، فقال: ما قدَّمته ولكن قدَّمه القرآن[٢] .

فهذه كلها أسباب لتعليم الصغار القرآن الكريم، لكن كيف نعلم الصغار القرآن الكريم؟ وكيف نحفزه على ذلك؟ وما هي آداب تلاوة القرآن، والأسباب المعينة على حفظه؟

هذه دراسة بسيطة مستلة من كتاب «من وصايا الرسول ﷺ للأطفال» من تأليفي:

☆☆☆

كيف تحفظ القرآن الكريم؟

قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا[٣] لأصحابه»[٤]

وقال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[٥] .

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي نزَّله على رسوله ﷺ، ويقرؤه المسلمون في صلاتهم، ويرونه مكتوبًا في المصحف، وهو الكتاب الصادق الذي ينطق بالحق، وحفظة القرآن هم أحباب الله تعالى، يدخلهم الجنة، ويقربهم منه، وهم الفائزون.

وقد قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١). فلو نزل القرآن على الجبل وهو الحجر الكبير بل هو الحجارة الكبيرة لأصبح خاشعًا من جمال كلام الله تعالى، وشدته عليه، فلابد للمؤمن حين يقرأ القرآن أن يخشع قلبه، وأن يبكي من خشية الله تعالى، فلن يكون الجبل أرقّ من قلب الإنسان.

---

(١) صحيح: البخاري (٤٣٠٢) في المغازي.

(٢) الفتح (٨/ ٧٢) وعزاه لابن أبي داود وصححه.

(٣) شفيعًا: مانعًا من دخول النار.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

القرآن يؤثر في قلوب الكافرين:

لقد ذهب أحد المشركين وهو عتبة بن ربيعة فقال: يا محمد اقرأ عليَّ القرآن. فقرأ رسول الله ﷺ القرآن وهو من قول الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ١ - ٣).

وطلب الكافر من رسول الله ﷺ أن يعيد عليه الآيات مرة أخرى، فقد أعجبته الآيات، ودُهش من روعتها وجمالها، وانتبه قلبه إليها، فلم يستطع أن يقاومها، فقال الكافر عن القرآن: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة[١]، وإن أسفله لمورق[٢]، وإن أعلاه لمثمر[٣]، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما هذا بقول البشر.

وكان الكفار يستمعون إلى القرآن، فيسدوا آذانهم حتى لا يستمعوا إلى القرآن، ولكن في الليل كانوا يذهبون سرًّا لسماع الآيات التي يقرؤها النبي ﷺ فإذا قابل بعضهم بعضًا قالوا: لن نعود للاستماع إلى القرآن مرة أخرى، فإذا كان اليوم التالي رأى بعضهم بعضًا وهم يذهبون سرًّا لسماع آيات الله عز وجل، وكثيرًا ما آمن بعض الناس من سماع الآيات حتى ولو لم يفهموها، لأنه كلام الله، وهل هناك أحلى من كلام الله عز وجل؟!

لماذا الخشوع في قراءة القرآن؟!

والخشوع في قراءة القرآن أمرٌ هام، فلو أننا افترضنا أن صديقًا أرسل إليك رسالة، وأنت تُحب صديقك هذا، إنك ستقرأ الرسالة أكثر من مرة، وستقرؤها بعناية شديدة، فكيف إذا كان الذي بعث إليك الرسالة هو الله عز وجل؟! لابد أن تخشع قلوبنا لآيات الله تعالى، ولا تقرأ القرآن كما تقرأ الجرائد أو المجلات.

وقد كان رجل من الصالحين يقول: «من أراد أن يُكلم الله عز وجل فليصل، ومن أراد أن يسمع الله تعالى فليقرأ القرآن». وكان رجل آخر من الصالحين إذا قرأ القرآن يَصفَرّ وجهه ويخاف، فقيل له: لماذا يحدث لك هذا؟ قال: إنني أقرأ كلام الله عز

---

(١) طلاوة: حسن وجمال.

(٢) مورق: كثير الورق كالشجرة الطيبة.

(٣) مثمر: كثير الثمر.

وجل، فكيف لا أخاف منه سبحانه ولا أخشع، وقد خشعت الجبال التي ليس لها قلب مثلي؟!

وصايا النبي ﷺ بالقرآن:

وقد وصَّانا النبي ﷺ بقراءة القرآن الكريم، وعرَّفنا جزاء قارئ القرآن، ومن هذه الأحاديث التي يوصينا فيها النبي بالقرآن:

١- قال ﷺ: «مَن قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ».

فإن النبي ﷺ يُعلمنا أن كل حرف من القرآن بحسنة، والحسنة عند الله تعالى بعشرة حسنات، فإذا قرأنا كلمة (الم) ليست حرفًا واحدًا، ولكن (أ)= حسنة و(ل)= حسنة و(م)= حسنة، ويصبح المجموع= ٣ حسنات، والحسنة عند الله عز وجل= ١٠ حسنات، فيكون ٣ × ١٠= ٣٠ حسنة في كلمة واحدة، فكيف لو قرأنا آيات الله عز وجل كلها، أو الكثير منها؟! سوف تكون حصيلة الحسنات كثيرة إن شاء الله تعالى.

٢- وقال ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه». فإن القرآن يأتي يوم القيامة على هيئة مخلوق حسن الصورة، جميل المنظر، ويعرفه أصحابه الذين كانوا يحفظونه في الدنيا، فيشفع لهم عند الله عز وجل، فلا يدخلون النار، ويغفر لهم ربنا عز وجل.

٣- وقال ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفَرة الكِرام البَررة[١]، والذي يقرأ القرآن ويَتَعْتعُ فيه[٢] وهو عليه شاقٌ له أجران». والحديث السابق يوضح لنا فيه النبي ﷺ أجر قارئ القرآن، فإذا كان من أصحاب المهارة في قراءته، يعرف أحكامه، وضبط كلماته فهو مع الملائكة الأبرار يوم القيامة، وإذا كان من الذين لا يستطيعون قراءته جيدًا فيعطيه الله عز وجل أجرين، فالكل رابحٌ في هذه التجارة مع الله عز وجل.

---

(١) أي الملائكة الأبرار الأطهار.

(٢) أي: يقرؤه بصعوبة.

المسلمون والقرآن الكريم:

وقد قسَّم النبي ﷺ المسلمين بالنسبة لقراءة القرآن أربعة أقسام فقال: «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجَّة[1] ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مُرٌّ». وهكذا نرى أن النبي ﷺ قد قسَّم المسلمين بالنسبة للقرآن أربعة أقسام، وهم:

القسم	قراءة القرآن	التشبيه	هل يحبه الله ؟
مؤمن	يقرأ القرآن بخشوع	مثل الأترجة (نبات يُشبه التفاح) لها ريح وطعم	نعم
ومؤمن	لا يقرأ القرآن	مثل التمرة ليس لها ريح وطعمها حلو	نعم
منافق	يقرأ القرآن بغير تدبر وخشوع	مثل الريحانة وهي زهرة طيبة الرائحة مُرة الطعم	لا
منافق	لا يقرأ القرآن ولا يتدبره	كأنه الحنظل وهو نبات سيئ الرائحة ومُر الطعم	لا

آداب تلاوة القرآن الكريم:

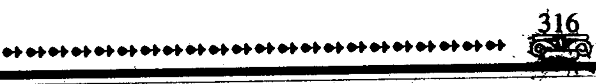
وقد علمنا أيضًا النبي ﷺ آداب تلاوة القرآن الكريم، وهي:

١- أن يقرأ المسلم وهو على وضوء أو طهارة، فالمصحف ﴿لا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٩).

٢- أن نستقبل القبلة، يعني يكون وجهنا ناحية القبلة كما نكون في الصلاة.

---

(١) الأُترجة: فاكهة تُشبه التفاح.



٣- نجلس في أدبٍ وسكينةٍ ووقارٍ، ولا يشغلنا شيء كالمذياع أو التلفاز مثلاً.

٤- لا نقرأ القرآن سريعًا كما نقرأ الجريدة، ولكن نخشع في قراءته ونتدبر معانيه، ونسأل الكبار عن المعنى الذي لا نفهمه، أو نسأل العلماء عما لا نعرفه من الآيات.

٥- أن نُحَسِّن الصوت بالقرآن، فقد قال النبي ﷺ «زيِّنوا أصواتكم بالقرآن» وقال ﷺ: «ليس منا مَن لم يتغنَّ بالقرآن»

٦- إذا كان أحد الناس يصلي، ونحن نقرأ القرآن، فلنخفض أصواتنا حتى لا نشوش على المصلي.

٧- نتعلم أحكام التلاوة والتجويد على أيدي المشايخ والعلماء.

٨- لا يُقرأ القرآن في الأماكن النجسة كالحمام مثلاً، فلا يصح ذلك، لأن القرآن طاهر، وهو كلام الله عز وجل، فلا ينبغي أن نقرأه إلا في مكان نظيف طاهر.

٩- أن نحفظ من القرآن ما استطعنا حتى يحبنا الله عز وجل ويرضى عنا.

وصية لحفظ القرآن الكريم:

وكثيراً منا يحفظ آيات القرآن الكريم، بل ويحفظها سريعًا، ولكن ربما نسينا في بعض الأوقات ما حفظناه، فلماذا ننسى؟ يُخبرنا رسول الله ﷺ فيقول: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عُقُلِها» ويقول أيضًا: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعَقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»

فإن النبي ﷺ يُشبه حافظ القرآن الكريم مثل الجمل الذي يكون مشدودًا بالعقال وهو الحبل الذي يُربط به، فإذا ترك صاحب الجمل الحبل؛ هرب الجمل؛ بل هرب بسرعة.

وهكذا القرآن إن راجعته ثبت في ذهنك، وإن تركته ولم تقرأه هرب كما تهرب الجمال والإبل، وننصح حفظة الكتاب الكريم بتعاهد القرآن ومراجعته، فإن القرآن يفتح الأبواب المغلقة، ويعين على الحياة، ويبارك الله تعالى صاحبه، ويزيد له في رزقه، ويرضى عنه، بل إن الناس لتنظر إلى حامل القرآن أنه ثروة، والتعليم في

الصغر كالنقش على الحجر، فبادروا للتعلم والحفظ قبل الانشغال عند الكبر وساعتها لا تنفع الندامة.

من قصص أهل القرآن:

- وقرأ رجل من الصحابة القرآن ذات مرة، وكانت قراءته جميلة رائعة، فإذا به يرى نورًا من السماء، ثم رأى سحابة في السماء تدنو من فرسه، فلما ذهب إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، قال له النبي ﷺ: «تلك السّكِينةُ تنزَّلت للقُرآن». فقد خشع الكون كله لله عز وجل بصوت هذا الرجل الطيب الصوت، والذي كان يقرؤه بخشوع وتدبر.

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو خليفة للمسلمين يسير في الطرقات فاستمع إلى رجل يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ (الطور: ٧، ٨). فوقع عمر رضي الله عنه مغشيًا عليه، وظل مريضًا شهرًا كاملاً، يزوره المسلمون في مرضه وهم لا يعلمون ما به، وهو الذي سمع القرآن فخشع قلبه له.

فضائل بعض سور القرآن:

١-سورة الفاتحة هي السبع المثاني، وهي التي يحبها الله عز وجل فيرد على عبده فيها، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله عز وجل: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى عليَّ عبدي- أي: مدحني-. وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي. فإذا قرأ بقية السورة قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.

٢-سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقد أحبها أحد الصحابة فقال رسول الله ﷺ «إن حبها أدخلك الجنة»

٣-سورة البقرة مَن قرأها لم يدخل الشيطان بيته أربعين يومًا.

٤-سورة المُلك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مَن قرأها نجته من عذاب القبر.

٥-سورة الواقعة مَن قرأها لم يصبه الفقر أبدًا.

٦- سورة الدُّخان مَن قرأها استغفر له سبعون ألف مَلَك.

٧- آية الكرسي تعصم من الشيطان وتطرده.

جزاء قارئ القرآن:

* وقد جعل الله عز وجلَ لقارئ القرآن جزاءً عظيمًا عند الله تعالى، كما أخبرنا النبي ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ[١] ورتل[٢] كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك[٣] عند آخر آية تقرؤها». فهذه منزلة صاحب القرآن وحافظه، يظل يقرأ أمام الله عز وجل حتى يبلغ أعلى منزلة وأعلى مقام في الجنة، وما أجمل القراءة أمام الله عز وجل.

* ويؤتى بأهل القرآن يوم القيامة وأمامهم سورتا البقرة وآل عمران تدافعان عنهم أمام الله تبارك وتعالى.

* يرفع الله تعالى صاحب القرآن في الدنيا وفي الآخرة، فخير الناس من تعلم القرآن وعلمه.

☆☆☆

---

(١) ارتقِ: اصعد.

(٢) ورتل: اقرأ.

(٣) منزلة: مكانة.

تعليم الصغار شعائر الإسلام وعباداته

الصلاة أولاً

«الصلاة وما ملكت أيمانكم»(١) . هكذا كانت صيحة النبي ﷺ في آخر كلماته التي ودَّع المسلمين بها تاركًا في عقبه الوصية بالصلاة لتكون أمانة في عنق الأمة خاب وخسر مَن ضيعها، وهي عمود الإسلام كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعًا: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة...»(٢) .

وقد جاء الأمر صريحًا في القرآن بالمحافظة على الصلاة، فقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨). و بقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ (البقرة: ٤٣).

وشدَّد سبحانه النكير على مَن فرَّط في الصلاة وهدد من ضيعها فقال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩). وقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤، ٥).

وللصلاة فضائل لا تعدلها فضائل (٣) ، فترى الصلاة تحتل مكانة عالية سامية بين العبادات، لا ترقى إليها عبادة أخرى، فإنما فرضها سبحانه على عباده ليتمتعوا بطاعته، ويظفروا بمناجاته؛ بل هي أعظم الفروض وأولها، جاء الأمر بها بلا واسطة، تاركها إما منافق وإما كافر، فالصلاة حد فاصل بين المؤمن والكافر، والصالح والفاسق، وعلامة على الإيمان الصادق.

ولن نستفيض هنا في حشد الأدلة على فضل الصلاة، أو كفر تاركها أو نفاقه فهذا موضعه كتب الفقه، لكن ما نعني به هنا هو ضرورة تعليم الصغار الصلاة،

---

(١) صحيح :أحمد (٣/١١٧) في المسند، ابن ماجه (٢٦٩٧) في الوصايا عن أنس رضي الله عنه وصححه الألباني.

(٢) صحيح :الترمذي (٢٦١٦) في الإيمان.

(٣)انظر كتابي الوصايا النبوية (من ص١٠٢ - ١٢٧) ففيه هذا التفصيل.

والعمر الذي ينبغي فيه البدء في هذه المهمة التي ستظل سهلة إلا إذا كبر الصغير فإنها ستصعب، وربما استحالت.

والبداية: مع ملاحظة، ألا وهي: كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟ فكيف يصلي الصغير وأبواه لا يصليان، أو أحدهما لا يفعل؟! وكيف يستقيم تعليم الصغير الصلاة وهو لا يواظب عليها منذ الصغر، والأم معول هدم يعينه على ذلك- أو الأب- فيتكاسل في تعليمه الصلاة، أو يتهاون في ذلك، أو يضرب عنه صفحًا؟!

لابد من الاقتناع أولاً بأن تعليم الصلاة للصغار ليست مجرد توريث عبادة، أو تعويد جيل جديد على شعيرة من الشعائر أو الطقوس، فالأمر يتجاوز ذلك بكثير إلى ما هو أكثر أهمية، فنحن بتعليمنا للصغير الصلاة نغرس العبادة التي تعمل على صياغة قلبه وتقويم نفسه، وربطه بربه تبارك وتعالى، وتظهر شعائر الإسلام ونحييها بدلاً من تضييعها وإذهابها سُدى حتى تغيب، فيغيب بغيابها كل معنى حسن: تغيب القلوب الطاهرة، والنفوس السليمة، والعلاقة الطيبة بالله تعالى، يغيب الإيمان إذ العبادات دليل الإيمان وعنوانه، يغيب الوجدان المستقيم الذي لا يعرف الخلق السيء، وإنما يعرف النصاعة والطهارة.

إننا نريد منزلة عالية، ومن أراد المنزلة العليا في الآخرة فليتبوأها في الدنيا، فالأمر يحتاج إلى قناعة ذاتية منذ البداية بهذه الأهمية القصوى لنوليها الصلاة وبقية العبادات.

فإذا ما قرَّ ذلك في نفس المربين سهل علينا إدراك النجاح في إخراج جيل مسلم صحيح العقيدة، ولو بعد فترة طويلة، فإنما أعمار الأمم تقاس بالسنوات الطوال لا بسنة أو سنتين.

متى يبدأ تعليم الصغير الصلاة؟

جاء في حديث سبرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشرة»[1]. وفي بعض رواياته: «مروا الصبي...».

---

(١) صحيح: أحمد (٢/ ٩٩، ١٧٧) في المسند، وصححه الألباني (٤٠٢٥) في صحيح الجامع.

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «**علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعًا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(١) .

ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(٢) .

فعلى الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم علي ذلك إذا عقلوا، فمن احتلم أو حاض أو استكمل خمس عشرة سنة لزمه الفرض(٣) .

فمنذ السابعة يبدأ تعويد الطفل على الصلاة مع أنهم لم يكلفوا بها إلا بعد سنوات لتكون هناك فسحة طويلة لإنشاء هذه العادة وترسيخها حتى إذا بلغ الطفل العاشرة وصار على مقربة من موعد التكليف فقد وجب أن يكون قد تعودها بالفعل فإن لم يكن قد تعودها من تلقاء نفسه خلال سنوات التعويد الثلاث فلابد من إجراء حاسم يضمن إنشاء هذه العادة وترسيخها(٤) .

نفهم إذن من مجموع هذه النصوص أن:

* البدء بتعليم الصلاة للصغار يبدأ مع السابعة، ولا بأس به قبل ذلك.

* أن فترة الثلاث سنوات للتعليم دون ضرب فترة طويلة، إذا ما استنفدت دون تعليم وجب على المربي أن يقسو على صغيره بالضرب.

ومن يك ذا رأي فليقسُ ★ أحيانًا على من يحب ويحزم

* عظم أمر الصلاة التي تفرق بين المسلم وغيره ولذا اختصها ﷺ بالذكر والتعليم.

* أن تعليم الصلاة يأتي بعد إدراك الصغار معنى الإيمان، وحفظهم لبعض آي

---

(١) **صحيح**: انظر صحيح الجامع (٤٠٢٦)، وعزاه للبزار.

(٢) **حسن**: أبو داود (٤٩٥)، أحمد (٢/ ١٨٧)، وحسنه الألباني (٥٨٦٨) في صحيح الجامع.

(٣) معالم السنن (١/ ٣٣٤) للخطابي.

(٤) الإبراشي: منهج التربية الإسلامية (٢/ ١٤٧، ١٤٨).

القرآن مما يتيح لنا فرصة أفضل لترسيخ معنى الصلاة وإقامتها وأدائها داخل نفوس الصغار.

ما هي العوائق التي تواجهنا عند تعليم الصغير الصلاة؟ وكيف نتغلب عليها؟

تتمثل هذه العوائق في بعض الأمور وهي:

(١) حب الصغير للهو واللعب، وعدم حبه للانضباط.

(٢) التكاسل الذي يبدو من الصغار تجاه التكليفات والمسئوليات.

(٣) النفس الأمارة بالسوء، والشيطان الذي يتلاعب بالصغار.

وهذه الأمور على صعوبتها الظاهرة إلا أنه من السهل التغلب عليها بخطوة واحدة نشبهها بحجر واحد يُصاد به ألف عصفور، وهذه الخطوة هي: أداء بعض الصلوات في المنزل، وهذا ما يسمونه «أسلوب التربية بالعادة»، فلا بأس أن يصلي الأب بعض الصلوات في المنزل- وهي النوافل دون الفريضة- فإذا بالصغير- وقد غرس فيه عادة التقليد- يندفع ليشابه أباه فيما يقوم به دون وعيٍ ودون إدراكٍ منه، ويكفيه ساعتها أنه عرف أن هناك أمرًا اسمه: الصلاة. وهذه العادة لابد أن تبدأ مبكرًا، يعني قبل السابعة، كعملية تمهيد طويلة المدى لتعليم أركان الصلاة وفرائضها وواجباتها وشروطها، وهو ما سيوفر علينا جهدًا كبيرًا عند أمرنا الصغار وتعليمنا لهم الصلاة، لأنهم قد بدءوا الأمر مبكرًا.

فما هي فوائد صلاة النوافل في المنزل؟

الفائدة الأولى: محبة الله عز وجل: فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «...**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...**»(١).

الفائدة الثانية: طرد الشياطين من البيت: لأن الشيطان لا يقر في المكان الذي يُذكر فيه الله تعالى.

الفائدة الثالثة: امتثال أمر النبي ﷺ: ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢) في الرقاق.

أنه ﷺ قال: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورًا»(١) . وفي معنى هذا الحديث قال الخطابي رحمه الله: «يحتمل أن المراد : لا تجعلوا بيوتكم وطنًا للنوم فقط، لا تصلوا فيها، فإن النوم أخو الموت، والميت لا يصلي». وقال التوربشتي: «يحتمل أن يكون المراد: مَن لم يصل في بيته جعل نفسه كالميت وبيته كالقبر».

قال ابن حجر: ويؤيدها ما رواه مسلم: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت...»(٢) . وحمل رحمه الله المعنى على صلاة النوافل طبقًا لحديث مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته».

قلت: وقد يكون المعنى : أن الصلاة في القبر محرمة، والبيت الذي لا يصلى فيه كالقبر، والله أعلم.

الفائدة الرابعة: ما يختص بالصغير الذي سيأتي إلى أبيه يقلده بوعيٍ وبدون وعيٍ فيتعرف على الصلاة مبكرًا، ثم يعتاد الأمر ويألفه، وربما حفظ الأوقات بالفطرة، وكلما سمع صوت الأذان اندفع إلى أبيه يحركه ليصلي، ذلك أنه اعتاد الصلاة فأراد أن يؤديها فلا زالت نفسه على الفطرة لم تتلوث بعد.

ونفس الصغير عجيبة فقد يلاحظ ما لا نلاحظه، فإنه يصمت بفطرته عند سماع الأذان وتلاوة القرآن، ثم ينظر إلى وجه أبيه فإذا ما رآه خاشعًا مقبلاً على الله تعالى لا يلتفت يمنة ولا يسرة، أقبل هو الآخر على الله يقلد أباه في كل صغيرة وكبيرة، إذ نفسه بعد لم تشتغل أو تمتلأ بما امتلأت به قلوب الكبار، فملاحظة الصغير في العادة أقوى من الكبار.

النبي ﷺ وتعليم الصغار الصلاة:

قال أبو محذورة: «خرجت في عشرة فتيان مع النبي ﷺ وهو أبغض الناس إلينا، فأذَّنوا، فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال النبي ﷺ: «ائتوني بهؤلاء الفتيان». فقال: «أذِّنوا». فأذَّنوا فكنت أحدهم، فقال النبي ﷺ: «نِعْم هذا الذي سمعت صوته، اذهب

---

(١) **صحيح**: البخاري (١١٨٧) في التهجد، مسلم (٧٧٧/٢٠٨، ٢٠٩) في صلاة المسافرين.
(٢) الفتح (١/ ٥٢٩).

فأذّن لأهل مكة». فمسح على ناصيته، ثم علّمه الأذان وقال له: «أسمِعْتَ؟». قال: وكان أبو محذورة لا يجز ناصيته ولا يفرقها لأن رسول الله ﷺ مسح عليها»[1].

أما الصلاة فقد أمر ﷺ الآباء بتعليمها للأبناء عند سبع سنين، وضربهم على تركها عند عشر، قال ﷺ: «علّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر»[2].

وكان ﷺ يأمرهم بتسوية الصفوف، قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»[3]. وكان يحذرهم ﷺ من الالتفات في الصلاة فيقول: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[4].

وكذلك يعلمهم ما يحتاجونه في الصلاة، كما قال الحسن رضي الله عنه: علّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، وصلى الله على النبي محمد»[5].

وكان ﷺ يصحبهم للصلاة ويمسح خدودهم رحمة وإعجابًا بهم، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى- الظهر- ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله وِلْدانٌ، فجعل يمسح خدّي أحدهم واحدًا واحدًا، قال: وأمَّا أنا فمسح خدي، فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها ﷺ من جؤنة عطَّار»[6].

---

(١) **صحيح**: أصله عند مسلم في الصلاة، ورواه ابن خزيمة (١/ ٣٨٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري (٧٠٩).

(٥) **صحيح**: الترمذي، وابن ماجه عن الحسن بن علي رضي الله عنه.

(٦) **صحيح**: مسلم في كتاب الفضائل.

بل كان يصفهم ﷺ عن يمينه بجواره في الصلاة رغم صغر سنهم، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: دخلت على النبي ﷺ وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، إذ دخل علينا النبي ﷺ قال: «**ألا أصلي بكم؟**». وذاك في غير وقت صلاة، فقال رجل من القوم: فأين جعل أنسًا منه؟ فقال: جعله عن يمينه، ثم صلى بنا، ثم دعا لنا- أهل البيت- بكل خير من خير الدنيا والآخرة، فقالت أمي: يا رسول الله! خويدمك؛ ادع الله له. فدعا لي بكل خير، كان في آخر دعائه أن قال: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له**»[1] .

فالنبي ﷺ لا يقتصر على تعليم الصغار الصلاة فحسب؛ بل الأذان، وتسوية الصفوف، ويثني عليهم خيرًا، وهذا كله امتثال لأمر الله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ (طه: ١٣٢). وهذا ما نجعله في بعض الخطوات كالآتي:

(١) تعليم الصغير الطهارة والوضوء:

ولا شك أن عملية التربية ترتبط بعضها ببعض لا تنفصل خطوة عن الأخرى، فنحن حين نربي في الصغير معرفة الله، ورقابته سبحانه، لا زلنا نخبره أن من حق الله تعالى علينا: الصلاة، ولا يصح الدخول على الله تعالى إلا والإنسان طاهر: طاهر القلب، وطاهر الجسد.

فيدربه بدءًا على الاستنجاء، والاستبراء من بولته ومن خُرئه، ويعلمه ذلك مباشرة، وبصورة عملية مباشرة، فيجلسه أمامه ويقول: امسح كذا، ونظِّف كذا بطريقة كذا، موجهًا إياه لاستخدام يده اليُسرى في التنظيف لا اليُمنى، موضحًا له تفوق الإسلام والمسلمين في هذا الجانب على غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى الذين يتقربون إلى الله بالقذارة.

ويرشد المربي ولده إلى آداب دخول الحمام وقضاء الحاجة ليشب على ذلك منذ نعومة أظافره، وهكذا نكون قد أرشدنا الصغير إلى أمرين: طاعة ربه تعالى، والنظافة الشخصية له.

---

(١) **صحيح**: وقد سبق.

ثم نعلم الصغير (الوضوء) ويراعى عدة أمور:

(أ) الرفق واللين.

(ب) التعلم بعيدًا عن مكان قضاء الحاجة.

(ج) استخدام ماء مناسب، فلا يستخدم الماء المتجمد في الشتاء البارد، ولا الماء الساخن في الصيف الحار.

(د) استخدام النصوص القرآنية والنبوية في تعليم الصغير الوضوء كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: ٦). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢). وقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

وحديثه ﷺ عن عثمان رضي الله عنه: «مَن توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قام فصلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

(هـ) مجانبة البدع والمنكرات ومخالفة السُّنة، لأن تعلم الصغير للبدعة يصعب محوه بعد ذلك، إذ التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

(و) تعليق الملصقات والصور- بدون رأس؛ حتى لا تمتنع الملائكة من دخول البيت- التي تعلم الصلاة، ولا بأس من الاستعانة ببعض شرائط الفيديو، أو أسطوانات الحاسب الآلي (الكمبيوتر).

(ز) تكرار الوضوء أمام الصغير وتشجيعه على ذلك.

(ح) معالجة الخطأ المتكرر برفق وتأنٍّ حتى يقر في نفس الصغير ما نريده، فإنه عنيد بطبعه (٢).

(٢) تعليم الصغير الصلاة:

(أ) مرحلة التعليم: إذا كان الأب مسئولاً عن إطعام أطفاله وتغذيتهم، فإنه مسئول

---

(١) صحيح: مسلم (٢٣٤) في الطهارة.

(٢) انظر كتاب (تعليم الصلاة) ط - دار الفجر للتراث فهو مبسط جمع مسائل الوضوء والصلاة.

بالضرورة عن تربيتهم تربية روحانية تشبع حاجة القلب التي أودعها الله تعالى فيه، ولا أفضل من تعليم الصلاة من بعد الإيمان وتحفيظ القرآن، وقد عرضنا لصورة من الصور التي ينبغي على الأب أو المربي بوجه عام أن يعمل بها في تعليم الصغار الصلاة، وهي طريقة التربية بالعادة من خلال تكرار الصلاة- صلاة النوافل- داخل البيوت، فيعمد الصغير إلى محاكاة الكبار فيها حتى يخرج بعدُ رجلاً يعرف للصلاة قدرها وقيمتها فيواظب عليها، وهذه الطريقة تبدأ مبكرًا، وقبل السنة السابعة، وهذه مرحلة التعليم التي تمتد إلى ما قبل السابعة، فإذا بلغ الصغير السابعة تحولت الطريقة إلى الأمر لا التعليم.

(ب) مرحلة الأمر: وتبدأ هذه المرحلة عند بلوغ الصغير السابعة وحتى ما قبل العاشرة، وفي الحديث: «مروا الصبي» وفي رواية: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين»[(١)].

يقول ابن قدامة رحمه الله: «يجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة والصلاة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها، ويلزمه أن يؤدبه عليها إذا بلغ عشر سنين»[(٢)].

وهنا يبدأ المربي في تحري ما لم يكن قد تحراه من ذي قبل:

* فيستر عورة الولد عند الصلاة وعند الوضوء، فقد صار الصغير الآن مميزًا.

* فلا صلاة بلا استنجاء وبلا وضوء، وإلا بطلت الصلاة، وتعوَّد الصغير على الصلاة بلا وضوء، كأن الأمر لا حرج فيه، حتى إن ابن قدامة رحمه الله ليقول: «ويعتبر لصلاة الصبي من الشروط ما يعتبر في صلاة البالغ»[(٣)]. ثم عقب قائلاً: «إلا أن قول النبي ﷺ «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» يدل على عدم صحة صلاة الحائض بغير خمار»[(٤)].

إن ما سنجنيه بعد تعليم الصغير الصلاة بشروطها أننا سنتعافى من مرض (من صلى لكنه لم يُصلِّ) على وزن حديث: «اذهب فصلِّ فإنك لم تصلِّ» كما هو حديث

---

(١) سبق تخريجه بسند صحيح.

(٢) المغني (١/ ٣٥٧) لابن قدامة وعزاه للقاضي - ط دار الفكر.

(٣، ٤) السابق نفسه.

المسيء صلاته[1] الذي صلى وأمره النبي ﷺ بإعادة الصلاة رغم قيامه وركوعه وسجوده.

والصغير طالما كان صغيرًا سهل تعليمه وجبر كسره، فإذا ما اشتد عوده قوي، وصعب التعامل معه، وأمر الصغير بالصلاة يحتاج إلى تضافر وتعاون بين جميع أفراد الأسرة، فنحن الآن نُعد الصبي ليتجاوز مرحلة الطفولة إلى ما بعدها، فلا يمكن أن يواظب على الصلاة مع رؤيته أفراد الأسرة لا يصلون، أو أحدهم لا يصلي، إلى جانب كسله بالطبع والجبلّة، فيحتاج الأمر إلى أم حازمة تلاحظ طفلها في فترة غياب الأب عن البيت فتخبره بتقصير الصغير إن لم تكن قد أدبته وذكّرته وخوّفته بالله تعالى. ولابد من تعاون الإخوة والأعمام والأخوال وبقية القرابات في هذا الأمر، فتجتمع كلمتهم على: ضرورة أداء الصلاة، والتحذير من التهاون فيها.

طرق تعليم الصلاة والأمر بها:

يقول الأستاذ/ أحمد القطان: «الصلاة أهم حدث ديني واجتماعي وأخلاقي وتربوي؛ بل وتاريخي في حياة الطفل، فيجب أن لا ندعها تمر في حياة الطفل مرورًا عابرًا[2]، لهذا يقترح تعميق هذا الحدث الهام في نفس الولد من خلال إعلامه بقرب موعد تكليفه بالصلاة، فإذا أتم السابعة وصلى أول فرض؛ جمع له أبوه بعض أصدقائه وإخوته، وعمل حفلاً صغيرًا ابتهاجًا بهذه المناسبة الطيبة، ويقدم له ساعة يد هدية بهذه المناسبة الهامة، فهي أفضل هدية تقدم للطفل في هذا السن، لتكون حافزًا له على أداء الصلاة في أوقاتها»[3].

ولعل هذا النص التربوي يجعلنا نحصر خطوات تعليم الصلاة في الأمور التالية:

* أداء الأب للصلاة- صلاة النوافل- في البيت كما سبق.

* الترغيب عن طريق التحفيز بالهدايا والمكافآت، والثناء على الصغير في الملأ، وإغرائه برضا الله تعالى، وبمكافأة قيمة.

---

(١) **متفق عليه.**

(٢، ٣) واجبات الآباء نحو الأبناء (ص٣٠).

* ربط الصلاة بما يحبه الطفل، والأطفال يحبون اللعب واللهو، فلا لعب إلا بعد أداء الصلاة على وجهها الكامل، ولا فسحة أو نزهة إلا بعد أداء الصلاة أو تؤدى الصلاة أثناء ذلك.

* وتعطى الصلاة الأهمية القُصوى، فيترك الأب ما في يده، وكذا الأم لأداء الصلاة ليستشعر الجميع أهمية هذه العبادة التي يفرغ الناس لها ومن أجلها، ولا يضيعونها.

* وقد يعمد الأب إلى إمامة أهل البيت في صلاة نافلة كنافلة الوتر مثلاً ليكون قدوة للصغار.

* استخدام وسيلة الشريط لتعليم الصغار أهمية الصلاة.

* تزويد الصغار بالآيات والأحاديث والقصص التي تحث على أداء الصلاة، والتنفير من تركها يستخدم في ذلك كتب (الكبائر للذهبي- الترغيب والترهيب للمنذري- الزواجر لابن حجر).

* ولا يترك الأب ولده نائمًا ساعة الصلاة؛ بل يوقظه فليس في ذلك حرج، ناهيك عن عدم نوم الأب أو الأم عن الصلاة.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه قصة قيام الليل مع رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فيذكر ابن عباس أنه قام إلى جانب رسول الله ﷺ قال: «فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها»[(١)] . وفي رواية: «. . .ثم وضع يده على رأسي كأنه يمس أذني، كأنه يوقظني. . .»[(٢)] .

فابن عباس رضي الله عنهما كان في نفس المرحلة السنية التي نتحدث عنها- ما بين السابعة إلى العاشرة- ومع ذلك يوقظه ﷺ لقيام الليل والتهجد، وفي رواية أنه ﷺ صلى بـ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ (سورة: المزمل)[(٣)] . تخفيفًا منه ﷺ، وبذلك ينصح الآباء بالتخفيف حتى لا تثقل الصلاة على الصغار.

---

(١) صحيح: البخاري (٦٣١٦)، مسلم (٧٦٣).

(٢) صحيح: أبو داود (١٣٦٤) في الصلاة.

(٣) هي عند أبي داود (١٣٦٥) في الصلاة.

لكن ماذا إذا تكاسل الصغار عن الصلاة في هذه السن؟

هنا لم يأت الأمر بالضرب بعد، فيكون التأديب كالآتي:

(أ) لوم وتوبيخ.

(ب) عقاب بعدم الكلام، والهجران.

(ج) تغليظ المعاملة بترك المداعبة والمزاح.

(د) ولا يُحرج الصغير أمام أقرانه.

(هـ) ويجتمع أهل الدار على العقاب دون اختلاف.

(و) والتخويف بالضرب، فإن مشهد العصا وحده كفيل بإخافة الصغير، ولا ضرب قبل العاشرة.

وهذه أساليب لابد من الصبر على الصغير فيها، لأنه إن لم يستجب الآن، فلن يستجيب بعد إلا بشق الأنفس.

ولاحظ هنا أمرين:

الأول: الصبر على الصغير لأنه كسول.

الثاني: كون البيت كله يدًا واحدة في الأمر بالصلاة وعدم السكوت على تركها.

فعلى الأم أن تبلغ عن كل تقصير يقع من الصغير، ولا تتستر عليه لأن هذا إفساد لا إصلاح، وهذه هي الحماقة بعينها، وقد أعيت الحماقة من يداويها.

نقول لكل أم مسلمة: الله الله في أولادك، كوني معلمة للخير لا عونًا للشيطان، إن نسي ولدك فذكريه، وإن ضعف فأدبيه وقويه، وإن تكاسل فشدي من أزره وحمسيه، فإن لم تقدري فالأب أولى بذلك.

وليعلم الجميع أننا نصلح ما أفسده الآخرون، فلابد من حزم وقوة، وما أروع الساعة التي يدق الصغير فيها الباب ليوقظ الجميع للصلاة، فتلك لعمري قرة العين.

وقد يفاجئك الصغير بسؤال مثل: لماذا نتوضأ لكل صلاة مع أننا لم تتسخ ملابسنا؟ أو مثل: ولماذا نصلي هذه الأوقات بعينها وبعددها وبهذا الترتيب؟

وهذه أسئلة لو علمنا الصغير الإيمان أولاً لتعافى منها مبكرًا، لأنه سيعلم أن الأمر

أمر الله، وهنا أجبه بالآيات السالف ذكرها، وبأنه ﷺ قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1] ، وهذا كله بابتسامة ورقة لا عنف أو قسوة.

اصطحاب الصغير إلى المسجد:

وهذا داخلٌ في تعليم الصغير صلاة الجماعة، وبدءاً نعرض الحكم الشرعي لدخول الصغار إلى المسجد: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يصان المسجد عما يؤذيه، ويؤذي المصلين فيه، حتى رفع الصبيان أصواتهم فيه، وكذلك توسيخهم لحصره، ونحو ذلك، لاسيما إن كان وقت الصلاة، فإن ذلك من عظيم المنكرات»[2] .

حديث موضوع:

وفي هذا الحديث عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا: «جنِّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم». والحديث عند ابن ماجه (٧٥٠) في المساجد والجماعة، وقال صاحب مصباح الزجاجة (١/ ٩٥): «هذا إسناد ضعيف: أبو سعيد هو: محمد بن سعيد، قال أحمد: عمدًا كان يضع الحديث. وقال البخاري: تركوه. وقال النسائي: كذاب. قال الكناني صاحب مصباح الزجاجة: والحارث بن نبهان ضعيف. (اهـ.) وقال البيهقي (١٠/ ١٠٣) في السنن: ولا يصح. وضعفه المنذري (١/ ١٢٣) في الترغيب والترهيب، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في مواضع عدة، منها تخريجه على سنن ابن ماجه.

وللأسف الشديد فإن كثيراً من خريجي المعاهد والكليات الشرعية يحتجون بهذا الحديث على ضرورة إخراج الصغار من المساجد، وكنت أتوسم في أحدهم خيراً حتى بادر بهذا الحديث بعد رؤيته صغيراً يرتقي المنبر ساعة الصلاة، فلما بادرناه بأن الحديث لا يجوز الاحتجاج به هاج وماج- يهديه الله-.

إن هذا الحديث صراحة يخالف ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يصحب الحسن أو الحسين إلى المسجد، وفي حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أنه

---

(١) صحيح: البخاري (٦٣١) في الأذان، وبعضه عند مسلم (٦٧٤) في المساجد عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٠٤).

قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»(١) .

وفي حديثه ﷺ عن ابن مسعود قال: «**ليليني منكم أولو الأحلام والنُّهى، ثم الذين يلونهم- ثلاثًا-**»(٢) . وعن قيس بن عباد- وكان من التابعين- قال: «بينا أنا في المسجد في الصف المقدم فجبذني رجلٌ من خلفي جبذة فنحاني- أي: شدني وأعادني إلى الخلف- وقام مقامي، فوالله ما عقلت صلاتي، فلما انصرف فإذا هو أُبي بن كعب فقال: يا فتى لا يسؤك الله، إن هذا عهد من النبي ﷺ إلينا أن نليه. . .»(٣) .

وفي الحديث دليل على أن الصغار في عهد النبي ﷺ كانوا يصلون لكن خلف الرجال كما جاء في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه فقال: «. . .ويجعل الرجال قدام الغلمان، والغلمان خلفهم، والنساء خلف الغلمان»(٤) .

فهذا عهد رسول الله ﷺ إلينا بجواز دخول الصغار إلى المسجد إلا للمفاسد التي قد تترتب على ذلك كما وضّح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في فتواه التي ذكرناها.

ولكن متى نحفز الصغير ليدخل إلى المسجد؟

بعد أن نكون قد مهدنا الطريق لذلك تمامًا عن طريق الخطوات التالية:

(أ) أن نكون قد أحسنا تربيته بحيث يجلس مؤدبًا في المسجد لا يؤذي المصلين، ويلتزم بآداب المسجد، هذا عادة ما يكون في السابعة أو قبلها بقليل حتى ينزجر إن زجرناه، وينتهي إن نهيناه.

(ب) أن يكون عارفًا بالصلاة على وجهها الصحيح حتى لا يثير ضحك من حوله وسخريتهم.

---

(١) صحيح: البخاري (٢٧٠٤) في الصلح.

(٢) صحيح: مسلم (٧٠٩).

(٣) صحيح: النسائي (٢/ ٨٨).

(٤) حسن: أحمد (٢٨٨٠٩) في المسند.

(جـ) عن طريق التشويق بإخباره أنباءً سارة عن المسجد، وعمًا فيه، وعمَّن فيه، حتى تكون أمنية الصغير: الذهاب إلى المسجد ورؤيته، والصلاة فيه، والتشويق أيضًا قد يكون عن طريق:

* رؤية المسجد من الخارج فتطمع نفس الصغير وتطمح بطبعها إلى رؤية ما بداخله.

* الحديث الدائم عن المساجد وقصصها كما في قصة بناء الكعبة، أو المسجد الأقصى، أو المسجد النبوي.

* عن طريق ترديد الأب: أنا ذاهب إلى المسجد، وهنا سيخرج من إطارنا من لا يحافظون على صلاة الجماعة، وننصح بقراءة كتاب (الكبائر) للذهبي رحمه الله.

أو: أنا اشتريت هذه اللعبة من محل بجوار المسجد.

(د) أو إذا سمع الأذان قال: هذا الصوت منبعث من المسجد.

(هـ) ويلمح علماء النفس إلى أن ما يساعد على تقبل الصغير لفكرة المسجد أنه «يميل إلى مشاركة الكبار في أداء الشعائر التعبدية، ويحب مرافقتهم إلى دور العبادة»[1].

وهنا نهيئ الصغير لدخول المسجد، فإذا ما أردنا إدخاله المسجد نراعي التالي:

(أ) ابتعد يرحمك الله عن مساجد الأوقاف أو الزوايا التي يحتلها الجهلة، والجهلة قد يكون منهم مشايخ الأزهر الذين قد يدخن أحدهم في المسجد أو في حجرة داخل المسجد. والجاهل: كثير من الكبار والعجائز الذين يحتلون أماكن معينة، ولا يحلو لهم غيبة الناس أو مضغ لحومهم إلا في المساجد، ولا يطيب لهم (قلة الأدب) إلا هناك.

والجاهل: إمام عصبي غضوب لا يعرف للصغير حقه.

والجاهل: إمام لا يراعي وجود طفل صغير وراءه فيطيل في الصلاة حتى تتكسر قدمه، وفي الحديث: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمَّ قومًا فليوجز؛ فإن خلفه

---

(١) النمو من الطفولة إلى المراهقة (ص٤١٠) محمد جميل منصور.

الضعيف والكبير وذا الحاجة»[١] . وفي رواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«إذا أمَّ أحدكم فليخفف؛ فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليُصلِّ كيف شاء»**[٢] .

والجاهل: إمام غليظ الصوت لا يسمح لمن آتاه الله علمًا وحفظًا وصوتًا حسنًا أن يؤم الناس. فاحذر هؤلاء تمامًا، لأن الصغير سيتقزز من المسجد وسيطلب عدم الذهاب إليه، ولكن تحرى المسجد الذي يعلو أهله البسمة والاعتدال، وعدم التنفير، وحسن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(ب) واجعل من يوم ذهاب صغيرك إلى المسجد احتفالاً بمباركة أصدقائك من الجيران أو الأقارب أو الأصحاب، فيعملون على استقباله في المسجد لتحتفر هذه الذكرى الطيبة في ذهن صغيرك.

(جـ) مع التسليم على المؤذن أو الإمام، وطلب الدعاء منهما حتى يفرح الصغير بذلك.

(د) ولعل الإمام أن يدرك أنه بحسن تعامله مع الصغار قد أهدى لنا نفسًا تحافظ على الصلاة.

(هـ) ويكتسب الأب لصغيره أصدقاء من المسجد ليكونوا عونًا له على أداء صلاة الجماعة.

(و) وربما كانت هناك بعض المسابقات أو اللقاءات أو الندوات من نشاطات المسجد فيحضرها الصغير ليعتاد جو المسجد أيضًا، ويدخل في هذا أيضًا صلاة الجمعة التي يجب حضورها.

يقول الدكتور عدنان باصالح: «ولابد للأب من الحكمة وتقدير طبيعة الطفل، فلا يشتد مع الولد دون سن العاشرة، بل يسلك معه أسلوب الترغيب والتشويق، ويحاول أن يعرف سبب إحجامه عن الذهاب إلى الجمعة، فإن كان بسبب طول

---

(١) صحيح: البخاري (٧٠٤)، مسلم (٤٦٦/ ١٨٢) في الصلاة عن أبي مسعود الأنصاري.
(٢) صحيح: مسلم (٤٦٧/ ١٨٣) في الصلاة.

الخطبة وعدم قدرته على امتلاك نفسه، وحاجته إلى قضاء الحاجة، حاول الأب اختيار مسجد آخر يوجز إمامه في خطبته، ولا بأس أن يتعاهد ولده في المسجد قبل الخطبة إن كان محتاجًا إلى قضاء الحاجة أم لا؟ أما إن كان سبب زهد الولد في حضور الجمعة راجعًا إلى التبكير في الخروج إليها، فلا بأس أن يتأخر الأب، فيذهب قبل الخطبة بقليل، أو يخرج الأب من المسجد ليأتي به قبل الخطبة إن كان المسجد قريبًا، فإن كان الولد قادرًا على الخروج بنفسه تركه وشأنه في اختيار الوقت والحضور للصلاة».

ماذا لو أن الصغير رفض حضور صلاة الجمعة؟

أما إذا أبدى الولد عدم رغبته في حضور الجمعة لغير سبب معروف سوى الميل إلى اللعب أو نحو ذلك، فليس على الأب محظور في تركه مرفهًا حتى يكبر ويبلغ العاشرة، ويدرك فضل الجمعة، ويقدم بنفسه عليها راغبًا فيها، وهذا ما ذهب إليه أبو هريرة رضي الله عنه إذ كان يميل إلى ترك الولد الصغير وشأنه، فلا يشتد معه في حضور صلاة الجمعة، فقد روي أنه دخل مرة المسجد يوم الجمعة فوجد غلامًا فقال له: يا غلام اذهب العب. قال: إنما جئت إلى المسجد. قال: يا غلام اذهب العب. قال: إنما جئت إلى المسجد. قال: فتقعد حتى يخرج الإمام؟ قال: نعم[(١)]. ففي هذه الرواية فقه لأبي هريرة وبُعد نظر، حيث لا يرى تحميل الولد ما لا يطيق من الصبر على الطهارة، والجلوس طويلاً دون لعب حتى يخرج الإمام، ثم الاستماع إلى الخطبة وأداء الصلاة، فالولد الصغير غير مكلف بهذا شرعًا، والقسوة عليه وإلزامه بها وهو عنها عاجز يُكرِّهه فيها، فإذ كبر صعب عليه أداؤها على الوجه المطلوب، فالأب يقتدي بعلماء السلف في هذا، فلا يوجب صلاة الجمعة على ولده دون سن العاشرة؛ بل ينتهج معه أسلوب الترغيب دون الترهيب، فإن أقبل وإلا تركه وشأنه مرفهًا حتى يبلغ العاشرة أو ما قبلها بقليل فيبدأ معه بالإلزام[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٨٣) في المسند.

(٢) مسئولية الأب المسلم (١٣٣، ١٣٤). وهذا مع الالتزام بآداب الجمعة كالاغتسال، والتبكير في الحضور، والإنصات، وفهم الخطبة ومناقشتها.

هل يجوز للصبي الأذان والإقامة؟

إمامة الصبي جائزة كما سبق في قصة عمرو بن سلمة رضي الله عنه، أما الأذان فهو جائز أيضًا للصبي المميز؛ يعني الذي يدرك الوقت كما وضح ابن قدامة[1] .

(٣) مرحلة التأديب:

تبقى هذه المرحلة كسرًا لعناد الصغير إذا صمم على عدم الصلاة، والضرب هنا ضرب عقوبة الذي يصلح الحال، لا ضرب الأذى، وفي أغلب الأحوال تكون وسيلة الضرب دلالة على أحد أمرين: عجز الأب عن التعامل الصحيح مع طفله، أو إهماله في تعليم الصلاة واستفاقته متأخرًا جدًا.

وقليل من الحالات التي يكون سببها عناد الصغير، والضرب هنا ضرب مندرج من الضعف إلى القوة، دون ضرب للوجه كما سبق مع إخلاص النية لله واحتساب هذه الضربات التي توجع الأب في قلبه قبل أن توجع الصغير في جسده، احتسابها لله تعالى امتثالاً لمنهج الأنبياء في التعامل مع صغارهم، وكذا فعل لقمان عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ (لقمان: ١٧).

يقول ابن قدامة رحمه الله: «وهذا التأديب المشروع في حق الصبي لتمرينه على الصلاة كي يألفها ويعتادها ولا يتركها عند البلوغ، وهذا التأديب للتمرين والتعويد كالضرب على تعلم الخط والقرآن والصناعة وأشباهها»[2] . فالضرب كالكي آخر الدواء، هو آخر المطاف، إذا انتهت كل أساليب التعليم والتأديب للصغير.

تعليم الصيام:

وقد قاسه العلماء على الصلاة[3] ، فيبدأ من السابعة ويضرب عليه من العاشرة، وفي ذلك نصوص: عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت: «أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: مَن أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم. قالت: فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا

---

(١) المغني: (٢/ ٥٤ - ٥٦).

(٢) المغني (١/ ٣٥٧).

(٣) انظر الفتح (٤/ ٢٠٠، ٢٠١).

ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار»[١] . وفي رواية: «فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم»[٢] .

هل يجوز للصغير الحج؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي ركبًا بالروحاء فقال: «**مَن القوم؟**». قالوا: مسلمين. فقالوا: مَن أنت؟ قال: «**رسول الله**». فرفعت إليه امرأة صبيًّا فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم ولك أجر**». وإنما فعلوه تمرينًا له ليعتاده فيفعله إذا بلغ[٣] . وفي الحديث دليل على أن الصبي له حج من ناحية الفضيلة وإن لم يحسب عن الفرض[٤] .

وأما الزكاة فيعلم الصغير أنها أمر الله الذي افترضه لصيانة حقوق الفقراء، فالمال مال الله، والناس عبيد الله، ولابد من الائتمار بأمره سبحانه وتعالى في ذلك، مع تدريب الصغير على الإحسان إلى الفقراء بإعطائه صدقة يعطيها لفقير، أو زيارته لإحدى الدور التي يسكنها الأيتام أو الفقراء، ليتعلم شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه، ويحمده سبحانه على فضله، ثم ليعلم أن حقًّا لله في ماله يجب إخراجه: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤، ٢٥).



---

(١) **صحيح**: البخاري (١٩٦٠) في الصوم، مسلم (١١٣٦/ ١٣٦، ١٣٧) في الصيام.

(٢) **صحيح**: مسلم (١١٣٦/١٣٧).

(٣) **صحيح**: مسلم (١٣٣٦/ ٤١٠) في الحج.

(٤) النووي (٩/ ٩٩) في شرحه على صحيح مسلم.

آداب يجب أن يتعلمها الصغير

يقول الغزالي رحمه الله: «ويعلم الطفل آداب الأكل والشرب مثل ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول عليه: «بسم الله» عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه، ولا إلى من يأكل، وألا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وألا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه»[1] .

وهذا النصّ واضح في ضرورة تعليم الصغار عدة آداب طالما كانوا صغاراً، وهي آداب طالما حرص الإسلام على تبيانها وتعليمها لأصحابها منذ نعومة أظافرهم ليخرج الفرد المسلم فردًا مقبولاً داخل أوساط المجتمعات الإسلامية بدلاً من أن يكون شخصًا غير مرغوب في صحبته لعدم التزامه بآداب لطالما نادى المنادون بتربيتها في الصغار والكبار.

لقد بُعث النبي ﷺ في بيئة لم تكن تعرف إلهًا إلا الهوى، فتجردت من عبودية الله تعالى، فكانت النفوس جامحة لا تعرف أدنى مراتب الأدب لجهلها بالعقيدة الصحيحة، مما ملأها بالآفات والرذائل، فبعث الله فيهم رسولاً منهم ﷺ كانت وظيفته بجوار الدعوة إلى التوحيد: تطهير النفس وتزكيتها داخليًّا وخارجيًّا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة: ٢).

ومن هنا كانت الآداب الخارجية: (آداب الطعام- الشراب- النوم- الملبس...) وغيرها نتيجة طبيعية لطهارة النفس والقلب وحساسيتهما، وقلّ أن تجد غير مسلم نظيفًا أو مراعيًا الآداب الشرعية التي حددها القرآن، وبينتها السُّنة المطهرة.

يروي الشيخ على القرني حفظه الله في شريط (همسات للسراة) قصة طالب سوداني مسلم كان يدرس في إحدى الجامعات الغربية في بلاد غير المسلمين، فرآه أحد الأساتذة يتوضأ في حوض من أحواض المياه هناك، فقال الأستاذ الكافر: كيف

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٢).

تغسل قدميك في حوض أغسل فيه وجهي؟ فقال الطالب السوداني المسلم: كم مرة تغسل وجهك في اليوم؟ فقال: مرة أو مرتين. فقال السوداني المسلم: وأنا أغسل قدمي كل يوم خمس مرات، فلا جرم أن قدمي أنظف من وجهك. فبُهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين.

هذه إذن هي الطهارة الخارجية التي تنم عن طهارة القلب والنفس، وإلا كان الإنسان كجيفة مُرغت في مسك لا جرم أنه سينفك عنها.

وتنقل المصادر التاريخية التي سجلت الحقبة الطويلة التي قضاها المسلمون في الأندلس أن أحد المؤرخين النصارى كتب عن تأثير المسلمين في قومه، وكيف أنهم- يعني النصارى- كانوا يتقربون إلى الله بالقذارة، قبل دخول المسلمين الأندلس، فلما دخلوها علموا الأندلسيين دخول الحمام!!

إن طهارة المسلم الداخلية والخارجية نابعة من طهارة التوحيد ونقائه، ومن إيمان المسلم بربه، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كِبرٍ**». قال رجلٌ: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنةً. قال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(١). وهذا الجمال: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء(٢).

وقال ابن قيم الجوزية: «والجمال يتناول جمال الثياب المسئول عنه في نفس الحديث، ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شيء، فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسًا وزينة تجمل ظواهرهم، وتقوى تجمل بواطنهم فقال: ﴿**يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ (الأعراف: ٢٦). فهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة»(٣).

---

(١) صحيح: مسلم (٩١/١٤٧) في الإيمان.
(٢) بدائع الفوائد (١/١٩٩) لابن قيم الجوزية.
(٣) الفوائد (ص٢٠١) لابن قيم الجوزية.

إنه جمال إذن منبثق عن التوحيد، ومن هنا كانت نفس الموحد جميلة الباطن، ففعله وهيئته وصورته جميلة الظاهر أيضًا، فالله تعالى افترض على العباد النية كركن في كل عمل ليكون العمل خالصًا له، ثم افترض الطهارة للصلاة، وغسل الإحرام، وغسل الجمعة، وسنَّ ﷺ غسل العيدين، وكل هذا دالٌّ على الحال الظاهر والباطن سويًّا.

إنها إذن آداب ترتبط بالعقيدة ينال المؤمن ثوابها إذا فعلها، وإذا احتفرها في قلوب الصغار ونفوسهم، ليخرج للمسلمين فردًا جميل الباطن، جميل الظاهر ترتاح العين إلى رؤياه كما يرتاح القلب إلى معرفته.

وهناك عدة أساسيات لابد من مراعاتها في الآداب عمومًا وهي:

(١) أن تكون النية لله تعالى: والنية في كل عمل فرض وركن، حتى إنها لتحول العادة أو المباح إلى عبادة كما سبق، فإذا ما كانت النية خالصة لله تعالى في إخراج مسلم موحدٍ مؤدبٍ نظيفٍ كان ذلك أدعى لاستجلاب توفيق الله تعالى، ليسهل الأمر العسير، ويهون الأمر الوعر.

(٢) تعليم الصغير الخشونة منذ صغره: فعن أبي عثمان النهدي قال: «أتانا كتاب عمر بن الخطاب: اخشوشنوا، واحشوشبوا، واخلولقوا، وتمعددوا، وإياكم والتنعم وزي العجم». قال الطحاوي في شرح هذا الأثر بعد إيراده: «أفلا ترى أنه ينهاهم عن زي العجم، وأمرهم بالتمعدد وهو: العيش الخشن الذي تعرفه العرب»[(١)] .

وقال ابن عبد البر رحمه الله: « واخشوشبوا واخشوشنوا: بمعنى واحد من الخشونة في الملبس والمطعم، وكل شيء غليظ خشن فهو أخشب وخشب، وهو من الغلظ، وابتذال النفس في العمل وامتهانها ليغلظ الجسد ويخشن»[(٢)] .

هذا ما كان يبتغيه سلفنا: الخشونة منذ الصغر، وهو ما رباه النبي ﷺ حين قال فيما يرويه معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إياكم والتَّنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**»[(٣)] .

---

(١) شرح معاني الآثار (٤/ ٢٧٥) للطحاوي. وبعض الأثر عند مسلم (٢٠٦٩) في اللباس.

(٢) ابن عبد البر (١٤/ ٢٥٣) في التمهيد ط - وزارة الأوقاف المغربية.

(٣) رجاله ثقات: الهيثمي (١٠/ ٢٥٠) وعزاه لأحمد ورجاله ثقات.

إن التنعم والإسراف فيه لا يخرجان إلا إنسانًا كسولاً متواكلاً يعتمد على غيره في شئونه كلها، كما يؤدي إلى طول الأمل، ومن هنا أمر النبي ﷺ أمته بترك هذا التنعم، وتربية الصغار وغيرهم على الخشونة لأنهم أمة كتب الله عليها الجهاد والقتال، فكيف يقاتل عدوه مَن لا يستغني عن عدوه؟ ولا ما يصدره إليه من (شيكولاتات، وملابس حريرية، وأجهزة كهربائية، وألعاب ترفيهية، وفُرش وثيرة)؟ أم كيف يقوى على الصمود في ساحة الوغى من تعود أن تُجاب مطالبه ولو كان ما يطلبه مقيمًا في جناح طائر؟ أو بين أنفس الضرر- يعني الوحوش الضارية-؟

إن ما نرجوه حقًّا هو ألا يفرط الآباء في شراء الملابس مثلاً للصغار بأثمان باهظة لنعومة ملمسها كالحرير مثلاً، أو لجمال مظهرها حتى لا يعتاد الصغير ذلك في حياته كلها، فيستخشن ما نَعُم، ولا يقبل إلا بالتنعم منهجًا في الملبس والطعام والشراب، وفي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ﷺ: «إن البذاذة من الإيمان»[1] . والبذاذة: التقحل؛ يعني التقشف كما قال أبو داود وابن ماجه رحمهم الله عقب الحديث.

فالملبس والمطعم والمشرب فيهما الاعتدال دون الإسراف أو التقتير ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧). ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١).

وبذلك يستقيم الصغير فيتعلم ما نريد، فإن أجبناه إلى كل ما أراد ليتنعم فلن يطيع أمرًا إلا بالرشوة، ومعلوم أن سن (الرشوة) من بعد ثلاث سنوات، فالصغير صارت له إرادة، وهو يريد أن يستخدمها، فلا يطيع بعض الأمور، فنضطر إلى رشوته بمال أو طعام أو غيرهما، حتى إن الأطباء ليجعلون من هذه السن (ما بعد ثلاث سنوات) سن التخمة والسمنة، لكثرة ما يعطاه الصغير من رشا!! وأطعمة يحبها فيلتهمها وهو لا يدري أنه بعد فترة سيصبح (فيلاً صغيرًا) من كثرة ما يلتهمه من الأطعمة التي تُغري بحلاوتها الصخور، ويتفنن أهل الإعلام في الدعاية لها والإعلان عنها.

---

(١) صحيح: أبو داود (٤١٦١) في الترجل.

وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صُلبه، فإن كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس»[(١)] . فهذا هو التقسيم الذي يعطي الاعتدال في الحياة كلها؛ لا في الطعام فقط، وبه نضمن إن شاء الله خيرًا للصغار.

(٣) معرفة فوائد الآداب التي أتت بها السنة المطهرة: حتى يكون الاقتناع من داخلنا نحن، فنصدره إلى الصغار سريعًا، وهذا بالطبع لن يكون إلا بعد الطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ﴿وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر: ٧).

فلماذا اليمنى دائماً هي المستخدمة في الطعام والشراب، ولماذا اليسرى في الاستنجاء؟

هذا لأنه ﷺ قال: «...وإذا أتى أحدكم الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه، ولا يتمسح بيمينه»[(٢)] . وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كانت يد رسول الله ﷺ اليُمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليُسرى لخلائه وما كان من أذى»[(٣)] .

ومعروف أن اليمنى من اليدين إذا استنجى بها الإنسان خلطها بالقذر والنجاسة، ثم أكل بها فكان ذلك مظنة وقوعه صريعًا للمرض، فحفظ الإسلام صحة أتباعه منذ البداية.

ولماذا نشرب على ثلاث مرات؟

وفي الشرب على السنة ثلاثًا حكَم جمة وفوائد مهمة، وقد نبه ﷺ على مجامعها بقوله: «إنه أروى وأبرأ وأمرأ». فأروى: أشد ريًا وأبلغه وأنفعه، وأبرأ: أفعل من البرء وهو الشفاء، أي: يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه، وأيضًا فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة. وأمرأ: هو أفعل من مرئ الطعام والشراب في بدنه إذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع.

---

(١) صحيح الإسناد: الترمذي (٢٤٨٦)، ابن ماجه (٣٣٤٩)، أحمد (٤/ ١٣٢).

(٢) صحيح: البخاري (١٥٣) في الوضوء، مسلم (٢٦٧/ ٦٣) في الطهارة.

(٣) صحيح: البخاري (١٦٨) في الوضوء، مسلم (٢٦٨/ ٦٧) في الطهارة.

ومن آفات الشرب نهلة واحدة أنه يخاف منه الشرق بأن ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغص به فإذا تنفس رويدًا ثم شربَ أمِنَ من ذلك(١) .

ولماذا نهى ﷺ عن التنفس في الإناء؟

ونهى ﷺ عن التنفس في الإناء والنفخ فيه لأنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لأجلها ولاسيما إن كان متغير الفم، فأنفاس النافخ تخالطه(٢) ، ولأنه ربما حصل له تغير من النفس إما لكون المتنفس كان متغير الفم بمأكول مثلاً أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة والنفخ في هذه الأحوال كلها أشد من التنفس(٣) .

ولماذا أمر ﷺ بالنوم على الجانب الأيمن لا الأيسر؟

لأنه أنفع النوم لاستقرار الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقرارًا حسنًا فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلاً وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضرة بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه فتنصب إليه المواد(٤) .

وهذه الأمور لابد من وصولها للصغير حتى يكون عالمًا منذ صغره أن دينه قام على حفظ (النفس- النسل- المال- الدين- العقل)، وجاء لدفع المفاسد ودرئها، وجلب المنافع، فيعلم أن دينه لا يضاهيه في الوجود دين، فيزداد يقينًا وإيمانًا فلا يزحزحه عنه أحد.

(٤) الصبر على الصغير في مرحلة تعليمه هذه الأمور: فالطفل كما سبق كسول، يحب اللهو، والنفس بطبعها لا تحب الانضباط، وهي أمارة بالسوء، فيجب الصبر على الصغير مع استخدام أساليب الترغيب والترهيب والتأديب، مع عدم امتداد الأيادي للضرب قبل سن العاشرة.

☆☆☆

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٣٠)، وما بعدها.
(٢) السابق (٤/ ٢٣٥).
(٣) فتح الباري (١٠/ ٩٥).
(٤) زاد المعاد (٤/ ٢٤٠).

آداب الاستئذان

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع»[1]. وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن ...»، منها: «لا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن، فإن فعل فقد دخل»[2]. وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإذن من أجل الإبصار»[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَن اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه»[4].

وعن عطاء قال: «سألت ابن عباس: أستأذن على أختي؟ فقال: نعم. فأعدت فقلت: أختان في حجري، وأنا أمونهما وأُنفق عليهما، أستأذن عليهما؟ قال: نعم، أتحب أن تراهما عريانتين؟ ثم قرأ الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: ٥٨)[5]. قال ابن عباس: فالإذن واجب- زاد ابن جريج: على الناس كلهم-»[6].

---

(١) صحيح: البخاري (٦٢٤٥) في الاستئذان، مسلم (٢١٥٣/ ٣٣) في الآداب.

(٢) رواه أبو داود (٩٠) في الطهارة، الترمذي (٣٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في اللباس (١٠/ ٣٧٩) (٥٩٢٤)، ومسلم في الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره (٣/ ١٦٩٨) (٤٠/ ٢١٥٦)، والترمذي في الاستئذان (٧/ ٤٤٨) (٢٨٥٢)، والنسائي في القسامة (٨/ ٦١)، والدارمي (٢/ ١٩٨)، وأحمد (٥/ ٣٣٠).

(٤) أخرجه مسلم في الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره (٣/ ١٦٩٩) (٤٣/ ٢١٥٨)، وأبو داود في الأدب (٥/ ٣٦٦) (٥١٧٢) بنحوه، والنسائي (٨/ ٦١)، والدارمي (٢/ ١٩٨)، وأحمد (٢/ ٢٤٣- ٢٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٣٨)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٦٧)، والدارقطني في السنن (٣/ ١٩٩).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد فضل الله الصمد، برقم (١٠٦٣)، والآية من سورة النور (٥٨).

(٦) نفسه.

وذلك لأن المستأذن لو دخل بغير إذن لرأى بعض ما يكره من يدخل إليه أن يطلع عليه، فيشرع الاستئذان على كل أحد حتى المحارم لئلا تكون منكشفة العورة[١].

ومعنى الآية: أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما يستأذن الرجال الكبار، الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن[٢].

عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا بلغ بعض ولده الحلم عزله فلم يدخل عليه إلا بإذن[٣]. وعن موسى بن طلحة قال: «دخلت مع أبي على أمي فدخل فاتبعته فالتفت فدفع في صدري حتى أقعدني على استي ثم قال: أتدخل بغير إذن؟!»[٤].

وعن جابر رضي الله عنه قال: «يستأذن الرجل على ولده وأمه وإن كانت عجوزاً وأخيه وأخته وأبيه»[٥]. وعن علقمة قال: «جاء رجل إلى عبد الله قال: أأستأذن على أمي؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها»[٦]. وسأل رجل حذيفة رضي الله عنه فقال: «أستأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره»[٧].

إن مما ذكرناه أن (الجنس في مأمن ما دام في مكمن)، فلا يطَّلع الصغير على ما يجري بين الأبوين ولا يسمعه، ومن أجل ذلك شُرِّع الاستئذان لئلا تُغتال براءة الصغار باطلاعهم على أمور تحوله من بريء نظيف النفس إلى شيطان يدري عن أمور الجنس ما يعجز عن فهمه الكبار ولا يدرون عنه خبراً.

---

(١) قاله الحافظ في الفتح (١١/٢٦، ٢٧) بتصرف.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٢/٤٥٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد فضل الله الصمد (٢/ ٥٠٠) (١٠٥٨).

(٤) نفسه برقم (١٠٦١).

(٥) نفسه برقم (١٠٦٢).

(٦) نفسه برقم (١٠٥٩).

(٧) نفسه برقم (١٠٦٠) ولقد ذكر الحافظ ابن حجر في هذه الآثار في الفتح (١١/٢٦، ٢٧) وقال عنها: «وأسانيد هذه الآثار كلها صحيحة».

وإذا كان الإسلام حـريصًا على عدم اطلاع الصغـار على هذه الأمور، فكيف بمن يدير تلفازه ليل نهـار ليطلع الصغيـر على مشاهد جنسـية فاضحـة، ليطرح جلباب الحياء، ويظل طيلة الليل والنهار لا يـفكر إلا في تكرار الفعل الفاضح الذي رآه أمام عينه بمباركة الوالدين!! ليت الحياء إذن يسكن قلوبنا وديارنا.



وهذا نموذج لتعليم آداب الطعام من كتاب
(وصايا الرسول ﷺ للأطفال)

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلامًا في حِجر [١] رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش [٢] في الصَّحْفة [٣]، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سَمِّ الله [٤]، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك [٥]» [٦].

لم يكن النبي ﷺ يترك مجالاً إلا ويُعلم المسلمين فيه أدبًا من الآداب، أو أمرًا من الأمور التي ينتفعون بها، وكثيرًا ما يجتمع الناس على الطعام، وهنا لابد من مُراعاة آداب الطعام، وقد وضحها النبي ﷺ في هذا الحديث وغيره من الأحاديث.

آداب الطعام:

(١) أن نقول قبل البدء في الطعام: «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٢) وقبل الطعام أيضًا يُعلمنا النبي ﷺ دُعاءً آخر وهو: «بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقِنا عذاب النار». أو يقول: «بسم الله» فقط.

ولكن ماذا يفعل مَن نسي أن يذكر اسم الله تعالى؟ يُخبرنا بذلك النبي ﷺ فيقول: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله، فليقل: بسم الله أوَّله وآخره». فنقول: بسم الله أوله وآخره.

والسر أننا نقول: بسم الله قبل الطعام هو أننا نريد إبعاد الشيطان عن الطعام حتى تكون البركة في الطعام ويشبع منه كُل مَن أكل منه.

---

(١) في حجر النبي ﷺ: أي أن النبي ﷺ ربّاه بعد موت أبيه لما تزوجَ أمه أم المؤمنين أم سلمة.

(٢) تطيش: تتحرك وتمتد.

(٣) الصَّحْفة: الطبق أو إناء الطعام.

(٤) سَم الله: أي قُل بسم الله الرحمن الرحيم.

(٥) مما يليك: من أمامك.

(٦) متفق عليه.

(٣) أن يكون الأكل باليمين لا بالشمال لأن الشيطان هو الذي يأكل بشماله، بينما الله تعالى يحب أصحاب اليمين، ولأن اليد اليمين دائمًا هي الأقوى.

(٤) الأكل بثلاثة أصابع فقط.

(٥) الأكل من حافة الطعام، وليس من وسطه، وقد قال رسول الله ﷺ: «البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه[1] ولا تأكلوا من وسطِه».

(٦) أن يأكل الإنسان مما يليه، يعني من أمامه، فلا يمد يده إلى ما هو أمام غيره من الطعام، حتى لا يُحرج صاحبه، أو يجعله يتقزز منه.

(٧) لا يعيب الإنسان الطعام فيقول: هذا الطعام غير جيد، أو نيء[2]، أو يقول: أنا لا أُحب هذا الطعام.

(٨) فإذا وجد طعامًا لا يحبه يتركه، ويأكل من غيره، وقد كان النبي ﷺ إذا وُضع الطعام أمامه أكل منه، فإذا كرهه لم يأكل منه، ولم يذكر عيبًا للطعام أبدًا.

(٩) ولا يأكل المسلم متكئًا، يعني وهو نائم على جنبه، فهذا ضار بصحة الإنسان أولاً، ثم هذه من صفات المتكبرين.

(١٠) ويُستحب للإنسان أن يأكل في جماعة، ولا يبخل بطعامه، فقد ذهب رجل يشتكي إلى رسول الله ﷺ فقال: نحن نأكل ولا نشبع. فقال رسول الله ﷺ: «فلعلكم تفترقون- يعني يأكل كل واحدٍ منكم منفردًا- ؟». فقال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله، يُبارك لكم فيه». فالاجتماع على الطعام يُشبع، ويُبارك الله تعالى فيه خاصة إذا ذُكر اسم الله تعالى عليه.

(١١) حمد الله تعالى بعد الطعام فنقول: «الحمد لله». أو نقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين». وبذلك يبارك الله تعالى لنا في الطعام، ويرضى عنا.

ونُضيف إلى هذه الآداب: غسل اليد قبل الطعام وبعده.

---

(١) حافتيه: مثنى حافة- وهي جانب الطبق.

(٢) نيئ: غير مطبوخ جيداً.

أمور مكروه فعلها عند الطعام:

(١) نسيان التسمية، فيأكل الإنسان دون أن يذكر الله تعالى، فيشاركه الشيطان طعامه.

(٢) الأكل باليد اليسرى- الشمال- وقد نهانا الله عز وجل ورسوله عن ذلك.

(٣) الأكل من أي جانب من الطبق، فيتقزز من يأكل معك.

(٤) بعض الناس يأكل دون أن يغسل يده، فيسبب التقزز لمن أمامه.

(٥) وبعضهم يعيب الطعام، ويسبب الحرج لأصحاب الدار، وربما لا يكون عندهم سوى هذا الطعام فيقدمونه له.

(٦) وبعض الصغار يبصقون أو يتنخمون أو يلعب أحدهم في أسنانه وفمه فيدخل يده ويخرجها، ويتقزز من أمامه.

(٧) وآخرون يتجشئون[1] فيزعجون من معهم.

(٨) وآخرون لا يحمدون الله عز وجل على ما رزقهم من الطعام، وعلى الجميع تعلم هذه الآداب وتعليمها لمن حوله.

آفات يجب أن يتجنبها المربي، وينبه إلى عدم ارتكابها عند الطعام:

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «ومن سوء التدبير للأطفال أن يمكنوا من الامتلاء من الطعام وكثرة الأكل والشرب، ومن أنفع التدابير لهم أن يُعْطوا دون شبعهم ليجود هضمهم وتعتدل أخلاطهم، وتقل الفضول في أبدانهم، وتصح أجسامهم، وتقل أمراضهم لقلة الفضلات في المواد الغذائية.

قال بعض الأطباء: وأنا أمدح -قومًا ذكرهم- حيث لا يُطعِمون الصبيان إلا دون شبعهم، ولذلك ترتفع قاماتهم، وتعتدل أجسامهم، ويقلُّ فيهم ما يعرض لغيرهم من الكُزاز- التيتانوس- ووجع القلب وغير ذلك.

قال: فإن أحببت أن يكون الصبي حسن الجسد، مستقيم القامة، غير منحدب، فَقِه كثرة الشبع، فإن الصبي إذا امتلأ وشبع، فإنه يكثر النوم من ساعته ويسترخي

---

(١) التجشأ: خروج الصوت من البلعوم (الحَلْق).

ويعـرض له نفخـة في بطنه ورياح غليظة»[1]. فـهذه الأمـور ينبـغي العـمل على تحقيقها- يعني الأمور النافعة- وهي متلخصة في: تقليل الطعام.

كما ينبغي تدارك الشره والشبع عند الصغار قبل استفحال هذا الأمر في أنفسهم، لئلا يصابوا بداء البطنة أو السـمنة، ويتعود أحدهم الكسل، غير مـا يترتب من نتائج سلبية على البطن والمعدة من كثرة الريح، وظهور الكرش أو كثرة الدهن خاصة فوق منطقة الحوض بالنسبة للأطفال مما يؤثر سلبًا على طول العضو الذكري.

وجدير بالذكر أن الطفل البدين عادة ما يسخر منه أقرانه، ويعيرونه بالسمنة، فيقل أصحابه فـيؤثر ذلك في نفسه سلبًا لا إيجـابًا، كما تمنعه السـمنة من ممارسة الرياضة بشكل طبيعي فيجعله ذلك عرضـة للحقد على أقرانه والشعور بالنقص، وربما كانت البدانة أيضًا سببًا رئيسيًا في الإصابة بأمراض القلب والجهاز الصدري.

لكن ما هو سبب إكثار الصغير من الطعام وشراهته؟

السبب نفسيٌ بحتٌ، فالطفل يشعر بالقلق لكن ممن؟ تقول الدكتورة سامية حمام: «وتعود بعض أسباب الشره وكثرة تناول الطعام عند الطفل إلى قلق نفسي يؤرقه، أو وجود من ينافسه من إخوته الصغار، أو فقدان أحد الوالدين، فإن شعور الطفل بهذا القلق يزيد من تناوله للطعام، لعدم شعورة بالطمأنينة والراحة النفسية»[2].

ونضيف سـببًـا آخر وهو: ترغيب بعض الآباء والأمـهات أو الجـدات على وجه الخصوص الصغار فـي الأكل بشراهة، وهذا ملاحظ في أن بعض الجدات تظن خطأً أن علامة صحة الصغير إقباله على الطعام، وأن الصحة في السمنة لا الاعتدال دون نحافة أو بدانة، وهذا مرجـعه الجهل بفوائد الطعام والتربية الخـاطئة، فقد ظنت خطأً أن الإنسان يعيش ليأكل، وأن الطعام الكثير يغنيه عن الجوع.

وخطأً ظنت فالإنسـان يكفيه جزء مـعين يسد جوعـه، وكثرة الطعام تضـره، وما الأكل والشـرب إلا جزء من الحيـاة، لا الحيـاة كلهـا، فنحن نأكل لنعـيش وليس العكس، نقول: والبهائم وحدها هي التي تكثر من الطعام لا الإنسان.

---

(١) تحفة المودود (ص١٩١).

(٢) مجلة التربية العدد (٧٤) (ص١٣٨) مقال بعنوان: سمنة الأطفال تسبب التعاسة والمرض.

فكيف نعالج هذه السلبية؟

نعالجها بإشعار الصغير بالاطمئنان، مع إظهار العطف عليه، وتجنيبه الأماكن التي يُظن فيه إكثاره الطعام فيها، فيأكل قبل الذهاب لجدته، مع نشر المفاهيم الطبية الصحيحة، ولوم الصغير المكثر من الطعام، وتقديم كميات معينة للصغير يتعود عليها.

ولكن لماذا يمتنع بعض الصغار عن الطعام أو يقللون كميته؟

هذا بسبب مشكلة عارضة، أو محاولة من الصغير للضغط على والديه، أو تقليده للوالد أو الوالدة أو أحد الإخوة حين يجده ممتنعًا عن الطعام لسبب أو آخر، وعلاج هذه النقطة يكون بترغيب الصغير في الطعام، وتعريفه فوائده، وعرض لشيء من سيرة النبي ﷺ الذي كان يحب بعض الأطعمة كما ثبت في الصحيح كـ(الدباء) وهي القرع، والذراع من الشاة، وثبت أكله اللحم والدجاج والحُبَارى والحلوى والخبز وغيرها من الأطعمة التي جاءت بها السُّنة المطهرة، ويُنصح باستخدام كتاب (الشمائل المحمدية) للترمذي في هذا المضمار، ففيه عرض لهذا الجانب من حياة النبي ﷺ ويمكن الاستعانة به.

كما يقال للصغير عن فوائد الطعام، ومضار التقليل أو الامتناع عنه كالإصابة بالأنيميا وغيرها من الأمراض، مع مكافأته بالنزهة واللعب عند أكله بمقدار معين لا إفراط فيه ولا تفريط، ويُنصح هنا بالأطعمة المحببة إلى النفس كالحلوى والفواكه والأطعمة السريعة التي لا نحتاج إلى الوقت الكثير في هضمها، ومع ذلك تحقق النفع والفائدة سريعًا.

وننصح الآباء والأمهات بإشاعة جو البهجة لفتح الشهية على الطعام، فإذا ما امتنع الصغير عن الطعام وزاد امتناعه، فالمسألة مرضية يستشار فيها الطبيب إذن.

الجو الذي يجب أن يسود الطعام:

وهذا مثال له عن طريق هذه الخطوات:

(١) اجتماع الأسرة على الطعام دون انفراد أحدهم لتسود البركة.

(٢) عدم الاتكاء لقوله ﷺ كما في صحيح البخاري: «**لا آكل مُتكئًا**» وإنما

تكون جلسة الطعام بطي القدم اليسرى، ورفع اليمنى، أو بإقامة الركبتين معًا، لأن ذلك تصغير لحجم المعدة، ولا يأكل الصغير نائمًا أو منبطحًا على وجهه.

(٣) والأكل على الأرض، أو المائدة غير المرتفعة كالخوان (المنضدة) أفضل، وهذا يعني انضباط الأب والأم أولاً بهذه الأمور.

(٤) ويحبذ مشاركة الجميع في تحضير الطعام.

(٥) ويحاول المربي لفت الانتباه إلى أن هذا الطعام رزق من الله، وهو مدخل آخر للتوحيد ومعرفة اسم الله تعالى (الرزّاق)، كما ينبههم إلى نية المؤمن في طعامه: ليتقوى على الطاعة والعبادة.

(٦) ثم يقال الدعاء المأثور كما سبق.

(٧) ويوجه الأب الصغير إلى آداب الطعام المذكورة آنفًا كما فعل ﷺ مع عمرو ابن أبي سلمة.

(٨) ولا يعيب الوالد طعامًا حتى لا يفعل الصغير مثله، وإن كان ولابد فليتظاهر بأنه يأكل ثم ليعاتب الزوجة فيما بعد.

(٩) ويقول الغزالي رحمه الله في الإحياء: «وأن يُعوَّد الخبز القفار (بغير إدام) في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأُدم حتمًا، وأن يقبَّح عنده كثرة الأكل، بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم، وبأن يُذم بين يديه الصبي الذي يُكثر الأكل، ويُمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل، وأن يُحبب إليه قلة المبالاة بالطعام، والقناعة بالطعام الخشن».

(١٠) وإذا وجد المربي امتناعًا من الصغير عن الطعام فليتلطف في ترغيب الصغير حتى لا يتخذها الصغير أسلوبًا للضغط على الوالدين، ويعالج الأمر كما ذكرنا آنفًا.

(١١) وبعد الطعام يحمدون الله على ما أعطاهم من النعم.

★★★

وهذا نموذج لتعليم آداب الشرب من كتاب (وصايا الرسول ﷺ للأطفال)

وقال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا واحِداً كشُرب البعير[1]، ولكن اشربوا مَثْنَى[2] وثُلاث[3] واحمدوا[4] إذا أنتم رفعتم[5]»[6] .

ومن الآداب التي علمنا النبي ﷺ إياها آداب الشرب أيضًا حرصًا منه ﷺ على المسلم وصحته، ورغبةً منه في الثواب والخير للمسلم ولو كان في الطعام أو الشراب.

ومن آداب الشُّرب:

وعلمنا النبي ﷺ هذه الآداب ومنها:

(١) تسمية الله عز وجل فنقول: «بسم الله»، أو: «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٢) الشُّرب على مرتين أو ثلاثة، فيكون الشُّرب هكذا: نمسك الإناء،ونرفعه ونقول: «بسم الله»، ثم ننزله ونقول: «الحمد لله»، ونفعل هكذا مرتين أو ثلاثة، ويكون الشُّرب أول مرة كمية بسيطة ثم نزيدها في المرة الثانية ثم نزيدها في المرة الثالثة.

ولكن ما السر في ذلك؟

إن السر في ذلك هو أن الإنسان إذا شرب مرة واحدة أصابه ذلك بألم في بطنه، وما لبث أن عطش مرة أخرى، ولكن إذا شرب على مرتين أو ثلاثة تكون المرة الأولى هي التي تروي ظمأه[7] ، وتجهز معدته وحلقه لاستقبال الماء، ويبرد المعدة والحلق، وبذلك يرتوي الإنسان ولا يعطش سريعًا.

---

(١) البعير: الجمل وهي تشرب مرة واحدة.

(٢) مثنى: مرتين.

(٣) ثلاث: ثلاث مرات.

(٤) احمدوا: قولوا الحمد لله.

(٥) رفعتم: وضعتم الإناء عند فمكم.

(٦) حديث حسن: رواه الترمذي.

(٧) أي: عطشه.

وهذه آداب النوم من الكتاب السابق

قال رسول الله ﷺ لأحد الصحابة: «إذا أتيت إلى مضجعك[١] ، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجعْ على شقِّك الأيمن وقُل: اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى[٢] منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك[٣] الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت»[٤] .

وهذا أدب جديد من رسول الله ﷺ يُعلمنا إياه عند النوم فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). فكل ما في حياتنا من أقوال وأفعال يجب أن تكون خالصة لوجه الله عز وجل: الصلاة- الصوم- الزكاة- الحج- الحياة، وحتى بعد الموت كل هذه الأمور يجب أن تكون لوجه الله تعالى.

ولقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تعليم أصحابه كل شيء، حتى قال أحد اليهود: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى دخول الخلاء.

وقد علمنا النبي ﷺ أن للنوم أيضًا آدابًا يجب اتباعها كما في هذا الحديث الذي ذكرناه في البداية، ومن هذه الآداب:

(١) أن نتوضأ وضوءنا للصلاة، يعني نتوضأ كما نفعل قبل الصلاة، وذلك ليكون المسلم قد نام على نظافة، ويمكننا استخدام فرشاة الأسنان أو السواك.

(٢) يجب علينا أن نمسك بثوب أو أي قُماشة ونبدأ بنفض السرير أو مكان النوم ثلاث مرات بحيث إذا كان هناك تُراب أو بعض القذارة على السرير ينظف منها.

---

(١) مضجعك: سريرك أو مكان نومك. ثم اضطجع: أي نم.
(٢) لا ملجأ ولا منجى: لا مفر.
(٣) كتابك: يقصد القرآن.
(٤) متفق عليه.

(٣) ننام على الشق الأيمن؛ أي: الجانب الأيمن، وفي هذا معجزة لرسول الله ﷺ لأن الطب الحديث أثبت أن النوم على الشق الأيمن أفضل من النوم على الشق الأيسر، أو على الظهر.

(٤) وقد نهانا النبي ﷺ عن النوم على البطن لأنها نومة أهل النار.

(٥) ويجب على المسلم أن يقرأ آية الكرسي قبل النوم فيقول: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

(٦) ونقرأ سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. وسورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، وسورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، كل سورة ثلاث مرات، ثم نضم كفينا وننفخ فيهما، ثم نمسح بقية جسمنا ووجهنا بهذه اليد التي نُفخ فيها هواء طيب قُرئت فيه آيات الله.

(٧) ومن الدعاء الذي يمكننا أن نذكره عند النوم: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، أو نقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك- ثلاث مرات-»، أو نقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»، أو نقول: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه».

وآخر دعائنا عند النوم ما ذكرناه في الحديث أولاً: «اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت».

(٨) وإذا استيقظ أحدنا أثناء الليل يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق».

(٩) وعند الاستيقاظ في الصباح نقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور». ثم يصلي الصبح بعد الوضوء.

(١٠) وإذا لم يكن أحدنا يحفظ هذه الآيات أو الأذكار يطلب من والديه أو من يكبره في السن أن يقول هذه الآيات والأذكار، ويرددها وراءه حتى يحفظها بعد ذلك. كما أننا يجب أن نطلب من والدينا الدعاء، ونقبلهما.

بعض الأخطاء التي تُرتكب قبل النوم:

١- بعض الصغار ينام دون وضوء، أو غسل أسنانه، فيكون عُرضة للمرض والميكروبات.

٢- وبعض الصغار ينام دون تنظيف سريره، فيتسخ السرير أكثر.

٣- وآخرون ينامون بدون الدعاء أو قراءة القرآن.

٤- والبعض حين يستيقظ يقول: صباح الخير. وهذا خطأ فنحن نقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». كذلك إذا نام قال: «تصبحون على خير». والأفضل أن نقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». لأن السلام والرحمة والبركة هي تحيتنا، ولسنا نقلد غيرنا في تحيته أبدًا.

جزاء مَن تأدَّب بآداب النوم:

ومَن قال الآيات والأذكار، واتبع ما علمنا رسول الله ﷺ كان الجزاء رائعًا، فلقد قال النبي ﷺ: «مَن أوى[1] إلى فراشه - سريره - طاهرًا، وذكر الله حتى يدركه النعاس[2]، لم يستيقظ في ساعة من الليل يدعو الله إلا أعطاه الله خير الدنيا والآخرة» يعني يستجيب الله تعالى له إذا دعاه.

☆☆☆

---

(١) أوى: أي ذهب.

(٢) النعاس: النوم.

ضرورة ترك وقت يلعب فيه الصغار

ساعة وساعة:

ومن حديث حنظلة الأسيدي (كان من كُتَّاب رسول الله ﷺ) قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذكرنا بالنار والجنةِ حتى كأنا رأي عين[١] فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا[٢] الأزواج والأولاد والضيعات[٣] فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. قال: «**وما ذاك؟**». قلت: يا رسول الله نكون عندك تُذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيُ عينٍ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً. فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكم وفي طُرُقِكم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعة- ثلاث مرات-**»[٤].

وفي رواية عن حنظلة أيضًا قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فوعظنا فذكر النار. قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة. قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر. فلقينا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة! فقال: «**مَهْ؟**». فحدثته بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل. فقال: «**يا حنظلة ساعةً وساعةً، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق**»[٥].

هكذا وضع النبي ﷺ القاعدة: ساعة يستروح فيها القلب بالعبادة، وساعة يستريح فيها من عناء الدنيا وكدها ونصبها وسط أولاده وأهله، فإن القلب سريع

---

(١) كأننا نراها بعيننا.

(٢) عافسنا: اشتغلنا.

(٣) الضيعات: الضيعة: عمل الرجل وحرفته أو زرعه.

(٤، ٥) رواه مسلم (٢٧٥٠).

التقلب يحب هذا وذاك، فيجب إشباع رغباته المتنوعة، وفي حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لقلب ابن آدم أشدُّ تقلبًا من القدر إذا استجمعت غليانًا»(١) .

وهذا صريح في أن قلب الإنسان في تقلبه أشد من قِدرٍ قد اشتد غليانها، فحافظ الإسلام على إشباع رغبة القلب في بعض اللهو البريء الذي يمحو ملل الحياة، ويُعدّ الإنسان للعبادة من جديد، فلا إفراط ولا تفريط، ولا لهث وراء اللعب على حساب العبادة، ولا عبادة يمل القلب منها، وإنما هي حاجات إنسانية يقضيها المسلم دون أن يكون لها الأثر السيئ على نفسه وقلبه.

وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة بالنسبة للكبار، فإن الصغار لهم الحق في اللعب البريء الذي يشبع حاجاتهم؛ بل نتجاوز ذلك لنقول: اللعب للصغار كالعمل للكبار، لا عيش بدونه.

ويثبت القرآن الكريم ذلك حين يقول تعالى على لسان إخوة يوسف بن يعقوب عليهما السلام: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف: ١٢) .

فلم يكن لدى يعقوب عليه السلام ما يمنعه عن ذلك إلا خوفه المنبعث من الطريقة التي جاء الإخوة يطلبون بها أخاهم ليلعب معهم فقال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف: ١٣) .

فالأنبياء كان لهم القدرة على فهم رغبة الصغار في اللعب، فكانوا يشبعونها.

ونملك نصًّا آخر في هذه المسألة، فالنبي ﷺ رغم إعداد الله تعالى له للنبوة، كان يلعب صغيرًا في ديار بني سعد، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقةً فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طستٍ(٢) من ذهب بماء زمزم ثم لأمه(٣) ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى

---

(١) صحيح: أحمد والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٥١٤٧).

(٢) طست: بفتح الطاء هي إناء معروف.

(٣) لأمه: جمعه وضمه.

أمه- يعني ظئره[١] - فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون[٢]، قال أنس: وقد كنت أرى ذلك المخيط[٣] في صدره[٤]. وهذه القصة تعطي انطباعًا قويًا بأن للعب أثره الطيب على الصغار دون شك، لكن مع انضباط هذا اللعب بما شرعه الله تعالى، وبأوقاته، ودون خروج على الأُطر الشرعية.

المضار المترتبة على منع الصغار من اللعب، وفوائد اللعب:

نملك هنا نصًا عن الإمام الغزالي رحمه الله يقول فيه: «وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكُتَّاب أن يلعب لعبًا جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائمًا يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا». وقال: «ويعوَّد الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل»[٥] اهـ.

ورحم الله الغزالي، فقد أجاد في هذه المسألة، فوضَّح المضار المترتبة على منع الصغير من اللعب، وهي:

- الإراحة من جهد الدراسة.
- إماتة القلب.
- إبطال الذكاء.
- تنغيص العيش حتى يحتال في التخلص من الدراسة ليميل إلى اللعب.
- ثم ميله إلى التكاسل بوجهٍ عام.

فإذا ما نال الصغير القسط المعقول من اللعب كان ذلك أدعى إلى تحويل هذه المضار إلى فوائد ينعم بها في حياته، وفي دراسته، وقد لوحظ أن كثيرًا من الرياضيين الناجحين هم المتفوقون في دراستهم بشكل كبير، وإن لم تكن هذه هي

---

(١) ظئره: المرضعة أو زوجها.

(٢) منتقع: من امتقع أو ابتقع أو انتقع ومعناه كله: تغير اللون من حزن أو فزع.

(٣) المِخْيط: بكسر الميم وسكون الخاء: الإبرة.

(٤) صحيح: مسلم (١٦٢ - ٢٦١) في الإيمان.

(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ١٦٣).

القاعدة، ولكن علاقة الجسم والعقل علاقة وثيقة لا تُغفل، فما يؤثر في الجسد يؤثر في العقل، فمثلاً: نوم الجسد يفيد العقل، وجرح الإصبع يجعل العقل يفكر في الألم دون غيره، وكثرة الطعام تبعث على انشغال العقل بالهضم أو غيره، وكذلك اللعب الذي إن نال الصغير منه حظه كان سليم العقل، وكثيرًا ما نسمع: الجسم السليم في العقل السليم.

النبي صلى الله عليه وسلم يسمح للصغار باللعب:

(١) **النبي ﷺ وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها**: وقد كانت رضي الله عنها يومئذ صغيرة، ولم تكن قد نالت حظها الوافر من اللعب أو اللهو، فإذا بالنبي ﷺ يعلم هذا فيها، فيعمد إلى إشباع هذه الرغبة الملحة في نفسها بما يتوافق مع كونها أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ، وبما يتناسب مع كونها أنثى.

تقول عائشة رضي الله عنها: «كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو»[(١)] . ومعنى كلامها: القريبة العهد بالصغر راعوا فيها حبها للهو واللعب.

وفي رواية أخرى لهذه القصة تقول رضي الله عنها: «دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي- أي: رسول الله ﷺ- : «**يا حُميراء! أتحبين أن تنظري إليهم؟**». فقلت: نعم. فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خده. قالت: ومن قولهم يومئذ- يعني من غنائهم-: أبا القاسم طيبًا. فقال رسول الله ﷺ: «**حسبك**». فقلت: يا رسول الله! لا تعجل. . .» الحديث[(٢)] .

هذه مراعاة منه ﷺ إذن لحب أم المؤمنين للعب، وهي يومئذ قريبة العهد بالصغر، ويتجاوز الأمر ما هو أكبر من ذلك حين تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كنت ألعب بالبنات- يعني العرائس- عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن- يعني يختفين- منه فيسربهن

---

(١) **صحيح**: البخاري (٥١٩٠) في النكاح، مسلم (٨٩٢) في العيدين.

(٢) **صحيح**: عزاه الحافظ (٢/ ٤٤٤) في الفتح للنسائي وصححه.

إليَّ- يعني يرسلهن- فيلعبن معي»[1] .

وفي هذا الحديث أمور منها:

(١) جواز اتخاذ العرائس للعب- على شكل البنات- وجواز بيعها للبنات[2] . ونقل النووي رحمه الله أن مذهب جمهور العلماء: اللعب بهن[3] .

(٢) أن الفائدة من ذلك تدريب البنات من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن[4] .

(٣) جواز لعب الزوجة صغيرة السن مع صواحبها في دارها، والفسحة في ذلك.

والصواحب: على وزن (فواعل) هن البنات من أقرانها، وصيغة فواعل هي للمؤنث دائمًا.

ويسابق رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعيدًا عن أعين الناس، فتقول رضي الله عنها: إنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، فقالت: فسابقته فسبقته على رِجلَيَّ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: «هذه بتلكَ السَّبْقة» .

وفي رواية قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالي حتى أُسابقك»، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت، ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالي حتى أُسابقك»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك»[5] .

النبي صلى الله عليه وسلم يلاعب أبا عمير:

ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: «يا أبا عُمير! ما فعل النُّغير؟!»[6] .

---

(١) البخاري (٦١٣٠) في الأدب، مسلم (٢٤٤٠/ ٨١) في فضائل الصحابة.

(٢) الفتح (١٠/ ٥٢٧) لابن حجر.

(٣) النووي (٥/ ٢٩٥) على شرح مسلم.

(٤) صحيح: أبو داود (٢٥٧٨) في الجهاد.

(٥) صحيح: النسائي (٥/ ٣٤) في الكبرى.

(٦) صحيح: وقد سبق.

إن هذا النص والنصوص السابقة إقرار نبوي بحاجة الصغار إلى اللعب والترفيه، واحترام هذه الرغبة بإشباعها بما يتوافق مع الشرع حتى لا يشب الصغير وفي نفسه شيء من أهله.

النبي ﷺ وعدم التفرقة بين الصغار وقت اللعب:

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: لا والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال أنس: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أُنيس! أذهبت حيث أمرتك؟». فقلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله»[1].

وهنا عمد رسول الله ﷺ إلى أنس دون أن يمنعه من اللعب، ودون أن يفرق جماعة الصغار وهم يلعبون، وفي رواية أخرى: يقول أنس رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ يومًا حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمتي قلت: يقيل[2] رسول الله ﷺ، فخرجت إلى صبيان يلعبون، فجئت أنظر إلى لعبهم، فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون، فدعاني فبعثني إلى حاجة له، فذهبت فيها وجلس ﷺ في فيءٍ[3] حتى أتيته»[4].

فالمسألة تتعدى كونه ﷺ يسمح للصغار باللعب إلى احترام لعبهم ذاته، وعدم تفريق جماعة الصغار وهم يلعبون لأن ذلك يؤثر في أنفسهم سلبًا، ويجعلهم يمقتون ذلك الشخص الذي يخرج عليهم طاردًا لهم، ومفرقًا لألفتهم، ومناديًا فيهم: عودوا إلى دياركم.

إلا أن الصحابة الصغار- كما في رواية أنس- كانوا يتخيرون المتسع من الأماكن للعب فيها كالسوق، لأنه واسع المساحة، وفيه متسع للعبهم، وفي هذا إرشاد للكبار

---

(١) صحيح: مسلم (٢٣٠٨) في الفضائل.
(٢) يقيل: ينام وقت القيلولة.
(٣) في ظل.
(٤) صحيح: أحمد (٣/ ١٧٤) في المسند.

لتعليم الصغار اللعب في الأماكن التي لا يتأذى فيها الآخرون بسبب لعبهم، فمن غير المعقول مثلاً أن يأوي الناس إلى بيوتهم في يوم الجمعة يطلبون الراحة في شارع ضيق، ليلعب الصغار في هذا الوقت، فلا يجد التَّعِب راحته، ولا يجد المريض إلا ضوضاءً توقظه طاردة النوم عن عينيه، فليراعى مثل ذلك.

إن النبي ﷺ في قصة أنس الماضية علمنا أمورًا وهي:

(١) أن إبعاد الصغير عن اللعب، وتفريق جماعته سيؤدي إلى كراهية الصغير لمن فعل ذلك.

(٢) ووضح حق الصغير في التنفيس عن طاقاته المخزونة التي إن لم تفرَّغ تحولت إلى كبت يوشك أن ينفجر.

(٣) احترام الصغار بالتسليم عليهم لزيادة المودة.

(٤) بل جلس ﷺ في الظل يلاحظ لعبهم، فما ازدادوا له إلا حبًّا، فكن مثلما كان ﷺ.

اختيار وقت اللعب:

وقد تقدم أن الحياة: ساعة وساعة، فلا لعب وقت الصلاة عامة، ووقت الجمعة خاصة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (الجمعة: ٩).

وهناك أوقات أخرى نهى الشرع عن اللعب فيها، فقد تقدم أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان جُنْحُ الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ**»

وللحديث روايات أخرى يفيد ذكرها: قال ﷺ: «**إذا استجنح الليل[١] أو قال: كان جَنحُ الليل فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلُّوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مُغلقًا، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأَوْكِ سقاءك واذكر اسم الله، وخمِّر إناءك[٢] ولو تعرض عليه شيئًا**»[٣]

---

(١) استجنح: دخل وأظلم.
(٢) خمِّر إناءك: غطِّه.
(٣) صحيح: وقد سبق.

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «كفوا صبيانكم حتى تذهب فحمة أو فورة العشاء ساعة تهب الشياطين»[١] . وفي رواية عنه أيضًا ﷺ: «اكفتوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشارًا وخطفة»[٢] . واكفتوا صبيانكم: أي: ضموهم، وفورة العشاء أو فوعة العشاء: هي شدة سوادها وظلمتها، ولذلك قال في الرواية الأخرى: «فحمة العشاء»، وهي شدة السواد، والمراد هنا أول الليل، فإنها «ساعة تخترق فيها الشياطين»، وتنتشر، وهي مردة الجن، فإن أول الليل محل تصرفهم، وحركتهم في أول انتشارهم أشد اضطرابًا.

وقال ابن الجوزي: «إنما خيف على الصبيان منهم تلك الساعة لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة فيهم غالبًا، والذكر الذي يحترز به منهم مفقود من الصبيان غالبًا، والسواد أجمع للقسوة الشيطانية من غيره، والجن تكره النور وتتشاءم به، وإن كانت خُلقت من نار- وهي الضياء-، لكن الله تعالى أظلم قلوبها، وخلق الآدمي من طين ونوَّر قلبه، فهو محب للنور بالطبع، وعبَّر بالاحتراق عن الانتشار لأنه إشارة إلى أنه انتشار لابتغاء الفساد، فإن الخرق في الأصل- كما قال الراغب- قطع الشيء على سبيل الفساد بغير تفكر وتدبر»[٣] .

كما نصح ﷺ بعدم اللعب عند هدوء الليل، ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إياكم والسمر بعد هدأة الليل، فإنكم لا تدرون ما يأتي الله من خلقه»[٤] . والهدأة: السكون عن الحركات، أي: بعدما يسكن الناس عن المشي، والاختلاف في الطرقات[٥] .

الألعاب المسموح بها شرعًا، والأخرى المحرمة:

(١) الرماية: وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ

(١، ٢) سبق تخريجهما بسند صحيح.

(٣) فيض القدير (١/ ١٨٠) للمناوي.

(٤) حسن: الحاكم (٤/ ٢٨٤) وصححه.

(٥) الصحيحة (٤/ ٣٤٦) للألباني رحمه الله.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠).

ومن حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[١]. وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون[٢]، فقال النبي ﷺ: «ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان راميًا، ارموا وأنا مع بني فلان». قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟». قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ: «ارموا فأنا معكم كلكم»[٣].

(٢) السباق والعدو: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي أُضمرت من الحَفْياء، وأمَدُها ثنيَّة الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمَر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأن عبد الله بن عمر- قصد نفسه- كان فيمن سابق بها. وفي رواية مسلم: «فجئت سابقًا فطفف بي الفرس المسجد- أي: علا ووثب لأن الجدار كان قصيراً-».

والحَفْياء: موضع بينه وبين ثنية الوداع خمسة أميال أو ستة، وبين الثنية إلى مسجد بني زريق ميل. وبنو زريق: بطن من الأنصار من الخزرج. والخيل التي أُضمرت: يعني قُلِّل علفها لمدة، حتى يجف عرقها، فيجف لحمها وتقوى على الجري.

قال النووي رحمه الله: «وأجمع العلماء على جواز المسابقة بغير عوض بين أنواع الخيل، قويها مع ضعيفها، وسابقها مع غيره، سواء كان معها ثالث أم لا، فأما المسابقة بعوض فجائزة بالإجماع، لكن يشترط أن يكون العوض من غير المتسابقين، أو يكون بينهما ويكون معهما محلل، وهو ثالث على فرس مكافئ لفرسيهما، ولا يخرج المحلل من عنده شيئًا ليُخرج هذا العقد عن صورة القمار»[٤].

---

(١) صحيح: مسلم (١٩١٧) في الإمارة.

(٢) ينتضلون، ويتناضلون: يترامون للسباق.

(٣) صحيح: البخاري (٣٥٠٧) في المناقب.

(٤) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٧) ط - دار الفجر للتراث.

فالمستفاد هنا جواز لعب الطفل الألعاب المتاحة التي ليس فيها إثم ولا محرم؛ بل يلعب ما يفـيده، ويفيد جـسده وعقله، وهذا متوافـر في أنواع الرياضة كالسـباحة، والرماية، وركـوب الخيل، والعدو- يعني الجـري-، على أن يُجنب الصغيـر كل ما يؤذيه ماديًا ومعنويًا.

فالمعنوي: هو لعب الكرة بالهـوس الموجود الآن، وقد سـبق التعـرض له، وسبق الحديث في الجزء السابق عن مضاره ونتائجه التي تعود بالوبال على الأمة كلها.

وأما الأذى المادي: فهو ما نهى عنه ﷺ؛ لأنه يسبب أذى للصغير في جسده، يظهر هذا من خلال طائفة من الأحاديث، ومنها:

حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا- أو في سوقنا- ومعه نبلٌ فليُمسك على نصالها- أو قال: فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيءٍ»(١).

فلا يلعب الصغـير بشيء مدبب له نصل أو حد أو سن كالألعـاب المعدنية، وإنما يشتـري له الألعاب المصنوعة من القمـاش أو البلاستيك، أو الألعـاب الأخرى التي تحتوي على مواد آمنة، ويبتعد عن الألعاب التي تحتوي على مواد كيماوية ضارة.

حديث أبي هريرة رضي الله عـنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشـر أحـدكم على أخيـه بالسـلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يديه فيـقع في حفـرة النار»(٢). فلا يعطى الصغير سلاحًا أو يمكن منه أبدًا لأنه لا يدري ما يسببه هذا السلاح، وقد يتلاعب به الشيطان، فيؤذي قرينه به.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معـه فأخذه ففزع فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»(٣).

فلا يلعب الصغار تلك الألعاب التي تؤذيـهم، أو تفزعهم وتروعهم وتجعلهم في

---

(١) صحيح: البخاري (٧٠٧٥)، مسلم (٢٦١٥).
(٢) صحيح: البخاري (٧٠٧٢)، مسلم (٢٦١٧).
(٣) صحيح: أبو داود (٥٠٠٤) في الأدب.

اضطراب وخوف شديدين، خاصة الألعاب التي تصدر أصواتًا مخيفة، أو بيوت الرعب فيما يعرف بـ(مدينة الملاهي) أو أشكال العفاريت والشياطين وغيرها مما حرَّم الله تعالى تصويره وصناعته.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١).

وهذا نص صريح في تحريم الميسر وهو (القمار) وله أشكال كثيرة منها (الأوراق (الكوتشينة)- الدومينو- والطاولة) وغيرها مما يندرج تحت (النردشير) وهذا مما حرمته السُّنة المطهرة، ففي حديث بريدة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «مَن لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»[١]. ومعلوم أن النردشير هو: النرد أو ما يعرف الآن باسم (الزَّهر)، ولا يجوز اللعب به ولو على سبيل الدعابة، لأن بعض الحمقى يقول: طالما لم يلهني عن ذكر الله، ولم ألعب قمارًا فهو حلال.

لقد عقَّب النووي رحمه الله على هذا الحديث السابق فقال عنه: «وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد وقال أبو إسحاق المروزي من أصحابنا: يكره ولا يحرم. وأما الشطرنج فمذهبنا أنه مكروه ليس بحرام، وهو مروي عن جماعة من التابعين، وقال مالك وأحمد: حرام، قال مالك: هو شر من النرد وألهى عن الخير، وقاسوه على النرد، وأصحابنا يمنعون القياس ويقولون: هو دونه»[٢].

فهذا فيه شر كبير على الصغار فيمنعون منه، واللعب كثيرة والحمد لله، فلا يغلظن جلدك، ولا تعاندن ربك، واتق الله، وأبعد عن صغارك مقدمات القمار والميسر التي ستجري في دمائهم حبًّا وعِشقًا فلا يستطيعون فراقها.

ويُجنب الصغار الألعاب التي تعتمد على ضرب الوجه كالملاكمة فقد سبق حديث: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه»[٣]. وهذا نص صريح في حرمة الملاكمة التي

---

(١) صحيح: مسلم (٢٢٦٠) في كتاب الشعر.

(٢) شرح النووي على مسلم (٨/ ٤٥) ط- دار الفجر للتراث.

(٣) وقد سبق تخريجه.

يصاب لاعبوها فيما بعد بـ(الشلل الرعاش) أو أمراض عصبية، أو ضربات قاتلة داخل الحلبة، ناهيك عن أن معظم مشجعيها من المخبولين أو المعقدين نفسيًا، ويلحق بذلك المصارعة التي يركب الصغار فيها فوق بعضهم البعض فتثار شهواتهم!!

ويجنبون اللعب بما حُرِّم كالأجراس التي لا تصحب الملائكة أصحابها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس»[١] . وعنه أيضًا: «الجرس مزامير الشيطان»[٢] . يلحق بذلك الموسيقى التي نعتقد حرمتها، والتماثيل، والألعاب التي تحتوي على صلبان أو على هيئة خنازير وغيرها، ومعلوم أن الملائكة تمتنع عن دخول البيوت التي تحتوي على تماثيل أو كلاب.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: اشتريت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية، قالت: يا رسول الله! أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت؟ قال: «ما بال هذه النمرقة؟». فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتوسَّدها. فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصورة يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم». وقال: «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»[٣] .

ومن حديث ابن عباس قال: أخبرتني ميمونة أن رسول الله ﷺ أصبح يومًا واجمًا فقالت ميمونة: يا رسول الله! لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله ﷺ: «إن جبريل كان واعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني أما والله ما أخلفني». قال: فظل رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأُخرج ثم أخذ بيده ماءً فنضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: «قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة». قال: أجل ولكنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة...»[٤] .

---

(١) صحيح: مسلم (٢١١٣).

(٢) صحيح: مسلم (٢١١٤).

(٣) صحيح: البخاري (٥٩٥٤)، مسلم (٢١٠٧) في اللباس.

(٤) صحيح: مسلم (٢١٠٥) في اللباس.

ومن حـديث أبي طلحـة أنه ﷺ قـال: «إن الملائكة لا تدخل بيـتًـا فيـه كلب ولا صورة»[١] . وهذا فيه فائدة: فلا تعلق الصور الفـوتوغرافية في البيوت إذ تمنع دخول الملائكة.

ويجنب الصـغيـر اللعب بما يترتـب عليه أذًى للملعـوب به، فقـد سبق حـديث (النُّغير) وجواز لـعب الصبي المميز بالطير إن كان ذلك مـأمونًا، لكن إن ترتب عليه الأذى فهو غير جائز، فلا يعذب حيـوانًا وهو يلعب به أو يجعله غرضًا لرميته، وقد مرَّ ابن عمر بقومٍ نـصبوا دجاجة يرمونها، فقال ابن عـمر: مَن فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا[٢] . وسوف يأتي الحديث موسعًـا عن هذا عما قريب إن شاء الله تعالى.

وعليه أيضًا يجنب الصغير كل ما فيه أذى كألعاب العنف، وألعاب اللهو التي قد تصـيب قلبه باضطراب وترويـع وخوف كـألعاب الملاهي التي تُهـدر فيـها الأمـوال والجهـود بلا فائدة إلا تخويف الناس وسـماع صرخـاتهم، ويبعد أيضًـا عن ألعاب العنف (الكمبيوترية) وغيرها، ولا يلعب إلا ما فيه صلاح له ولأمته.



---

(١) صحيح: البخاري (٥٩٥٨)، مسلم (٢١٠٦) في اللباس.

(٢) صحيح: البخاري (٥/ ٥٥)، مسلم (١٩٥٨) في الصيد.

أسئلة طفلك المحرجة وكيفية الرد عليها

أربعون (٤٠) سؤالاً والإجابة عنها

الأسئلة المحرجة للصغار كيف نجيب عنها؟

في أحيان كثيرة يفاجئنا الصغار بأسئلة بريئة، تصيبنا بالدهشة والحيرة وأحيانًا الجمود وعدم القدرة على الرد، لتناولها أمورًا اعتدنا على مواجهتها بالخجل الشديد وحده، وقد يلجأ بعضنا إلى إجابات خالية من الصحة لتفادي إحراج نفسه أمام الصغير، وقد يلجأ البعض إلى الهروب منه بطرق شتى، وقد يلجأ هذا البعض الآخر إلى نهر الطفل وحثّه على التزام حدود الأدب.

ويؤكد الأطباء الأخصائيون أنه للمحافظة على الصحة النفسية للطفل وعلى صيانة نموه الصحي مستقبلاً يجب أن نتعلم كيفية إجراء الحوار (الصحي) و(الصحيح) مع الصغار حتى لو كانت أسئلتهم من وجهة نظرنا (مبتذلة) أو (سخيفة)، فهم لا يعرفون ولا يقدرون على جهل ما لا يعرفون أصلاً.

إذن هذه الأسئلة ظاهرة صحية للغاية ولا خوف ولا ضرر على الصغير منها؛ بل هي إثبات قوي على قوة ملاحظته، ودقة تفكيره، وصحة عقله.

الأطفال لا يريدون معرفة كل شيء كما نظن:

وهذه حقيقة فالصغار لا يريدون معرفة كل شيء عمًّا يسألون فيه؛ بل يكفيهم أن تجيب بعض الإجابة لا كل الإجابة، وربما تحتاج الإجابة إلى تمييع للقضية لا صراحة مباشرة.

فمثلاً الأم الحامل في الشهر السابع قد تتعرض لسؤال من صغيرتها التي تبلغ الثالثة من عمرها فقط تقول فيه: لماذا تبدين سمينة بهذه الصورة؟ ويقول الأخصائيون: إن الحوار يجب أن يتم بالصورة الآتية:

- إن أخًا لك ينمو في داخلي وخلال شهرين سوف يكبر وينزل ليكون بيننا، فأنا لست سمينة ولكنني فقدت رشاقتي مؤقتًا.

- هل أستطيع الحصول أنا الأخرى على طفل، من فضلك؟

- ليس الآن يا عزيزتي، عليك الانتظار حتى تكبري وتستقري في منزل مستقل حيث تستطيعين رعاية طفلك بصورة مناسبة، وعلى كلٍّ سوف تجربين معي طريقة تربية أخيك والعناية به.

وبهذه الطريقة تعرف الصغيرة هذه الحقائق عن الحياة والحمل ومسئولية تربية الأطفال والسن المناسبة لذلك وإمكانية المشاركة وتعلم المسئولية.

هذا على سبيل المثال، وهناك بعض الإرشادات التي يجب اتباعها كالآتي:

أولاً: لا تُثِر طفلك بنفسك، فيحدثك بما تكره:

فلماذا تعلق صورة عارية داخل حجرة الوالدين؟ ولماذا يُقَبِّل الوالد الوالدة أمام الصغير؟ ولماذا لا يتعلم آداب الاستئذان حتى لا تقع عينه على ما يكره؟ ولماذا تُغتال براءته بمشاهدة مقاطع جنسية فاضحة في ظل هجوم الفضائيات؟

النتيجة الطبيعية لكل هذه الأسئلة أن الطفل سيسأل: لماذا يقبلها؟ لماذا خلعت ملابسها؟ ما هذا الشيء الضخم في صدر المرأة؟ هل هما زوجان؟... إلخ.

فلماذا نثير نحن أطفالنا إلى هذه الناحية المدمرة؟ إن الأحرى بنا أن نبتعد نحن قبل الصغير عن هذه الأمور التي تدمر حياتنا، وتجعل المرء حيوانًا شبقيًّا همه لبس وكسا، وعُري ونسا لا أكثر ولا أقل، إننا سنوجه الطفل تجاه الأسئلة الجنسية مباشرة إن تركنا شهواتنا تتحكم فينا وتقودنا، والأولى بنا أن نعمل على عدم إثارة هذه الأمور قولاً أو فعلاً أو صورة، حتى لا نكون كمن زرع ثمرًا وبجواره رعى آفة لتقتل هذا الزرع، واجعل البلاء يأتيك من الخارج لا من الداخل الذي يجب أن تحصنه تمامًا كما سبق.

وفي ظل الهجمات المتتالية على الشرع والعقيدة يجب علينا أن نُبعد الصغار عن سماع الشبهات المثارة ضد الدين والصحابة الكرام وليكن شغلنا الشاغل زرع العقيدة الصحيحة لا بالدفاع عنها في هذه المرحلة السنية.

كذلك يجب عدم إثارة مسائل الخلاف بيننا وبين المغايرين لنا في الأديان حتى يعي الصغير عقيدته تمامًا ويتفهمها ويعلم أن ما سواها باطل لا محالة.

ثانياً: لتكن إثارتك للأسئلة نحو ما ينفع الصغير دائمًا:

وكذا يجب إثارة ما يعود على الصغير بالنفع، فمثلاً تسأله؛ لماذا خلق الله الإنسان؟ ثم تجيب عن هذا السؤال وأمثاله كثير، كـ(مَن خلق هذه الشجرة وهذا النهر؟) حتى تكون إثارتك دافعًا لزيادة إيمانه وترسيخ العقيدة السليمة الصحيحة فيه، وعلى شاكلة هذا السؤال المسائل العلمية التي قد ينتفع بها الصغير، كتعريفه الفوارق بين السائل والمتجمد، أو التاريخ الإسلامي وهكذا.

ثالثًا: لا تُبد قلقًا أو تغيراً أو عنفًا تجاه الأسئلة المطروحة من الصغار:

فكما سبق أسئلة الطفل ظاهرة صحيحة فيجب ألا تثير قلقًا أو انزعاجًا في نفسك، فلا تتلعثم أو يتغير لون وجهك، أو تبدي عنفًا تجاه السؤال بزجر الصغير وصدِّه لأنه لن يكف أبدًا عن البحث عن بغيته في إجابة السؤال المطروح عليك، فاغتنم أنت الفرصة وأسمعه الإجابة بدلاً من سماعه إياها من طرف آخر قد يعطيه معلومة خاطئة تكون مسمارًا يُدق في نعش التربية الإسلامية، وجرثومة فيها تسبب متاعب كثيرة في المستقبل.

والأطفال كما يقول علماء النفس يحبون السماع من الآباء من بعد سن الرابعة والخامسة، فيكثرون من الأسئلة لاستفزاز آبائهم، أو يطلبون سماع الحكايات، لأنهم كوعاء فارغ لابد من ملئه، فاملأه بالخير ولا تتركه عرضة ليملأ بالسموم، أو مجرد هواء فارغ.

لاطف طفلك وداعبه وتبسم له وأنت تجيب عن السؤال، لتكون مصدر الإجابة والمعرفة الدائم له، وحتى لا يتطلع إلى غيرك طالبًا منه الإجابة.

رابعًا: وسِّع دائرة معرفتك: عن طريق القراءة والسؤال وكثرة السماع، والحوارات مع الأصدقاء، واستشارة المأمونين من العلماء والشيوخ.

خامسًا: إذا جهلت الإجابة فتهرب بلطف: حتى لا يفقد طفلك الثقة فيك، ولا تتعلل بعدم المعرفة (الجهل)، لأنه حتمًا سيفقد ثقته فيك، ويلجأ لمن يظن أن لديه المعرفة.

سادسًا: بادر طفلك بالمعرفة قبل أن يبادرك هو بالسؤال: وذلك عن طريق جلسات

علمية ودينية وتاريخية وقصصية، لتحد من جموح الطفل ناحية المعرفة، وتجعله يسير في درب أنت رسمت خُطاه قبل أن تحتوشه أسئلة كثيرة لا طائل من ورائها إلا تضييع الوقت والفضول وحسب.

سابعًا: ابتعد عن كل ما يجعل الطفل يفكر بطريقة خاطئة: كأفلام الكارتون التي تعرض لفكرة الزندقة، والأفلام الجنسية وغيرها، وقد سبق الحديث عنها قبل ذلك.

☆☆☆

نماذج من الأسئلة المحرجة للصغار وكيفية الإجابة عنها

(١) لماذا لا نرى الله تعالى؟

فالصغير قد يبغتك بسؤال لا تتوقعه، فتكون على مائدة الطعام وتقول له: احمد الله تعالى أو ادعه، فيقول: أنا أريد رؤية الله تعالى، لماذا لا أراه؟ وهنا تكون الإجابة كالآتي:

إن في الكون أشياء كثيرة نؤمن بوجودها ولا نراها، فنحن نؤمن بوجود الهواء ونشعر به، لكننا لا نراه، كما نؤمن بوجود الكهرباء لكننا لا نراها، ونؤمن بوجود ذبذبات الإرسال التليفزيوني والتليفوني ولا نراها، ونؤمن بأن أحدًا يكلمنا من بلاد بعيدة من خلال الهاتف مع أننا لا نراه، والله تعالى- على أن تكون قد أتيت بأدلة وجوده سبحانه- لا نستطيع أن نراه، لكننا نستدل على وجوده سبحانه، فالخالق يرى المخلوق، والمخلوق لا يرى الخالق كقوله سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

كما أن عيوننا الآن في الدنيا لا تتحمل النظر إلى الله تعالى، فقد طلب نبي الله موسى عليه السلام من ربه سبحانه أن يراه فلم يستطع وقال تعالى له: ﴿لَن تَرَانِي﴾ (الأعراف: ١٤٣).

ويوم القيامة يعطينا الله تعالى عيونًا قوية تراه سبحانه، ويكون هذا للمؤمنين فقط كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣). وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). وهو سبحانه يختبرنا بهذا فمن آمن فله الجنة، ومن كفر فله النار.

(٢) أخي الصغير في بطن أمي كيف دخل إليها؟

ولا داعي للقلق من مثل هذه الأسئلة، فالطفل يسأل لمجرد فضوله وتنمية معارفه، لكنه لا يعي ولا يدرك شيئًا مما يدركه الكبار، فلا يريد معرفة كل شيء كما سبق، فالهدوء مطلوب تمامًا قبل الإجابة، ثم تبدأ فتقول: كل إنسان لا يستطيع الإتيان وحده إلى الدنيا؛ بل لابد له من فترة يعيشها في بطن أمه أولاً لكي يقوى ويقدر على تحمل الحياة بما فيها من (شمس وحرارة، وقمر وضوء، وبرد وحر)، كما أن النبات يعيش بذرة تحت الأرض، وكل الناس خلقهم الله تعالى في بطون أمهاتهم أولاً مدة تسعة أشهر، ثم يأذن بعد ذلك في نزولهم وقدومهم إلى الحياة، ولو قدم إلى الحياة قبل ذلك لمات ولما استطاع أن يعيش، وتضرب له الأمثال بالكتكوت الذي يظل جنينًا في البيضة، والزرع الذي يظل بذرة حتى يظهر وهكذا، فكما رأيت أنت تميع القضية وتعطيه طرفًا من الإجابة لا كل الإجابة.

(٣) لماذا لا تحمل أنت يا أبي بدلاً من أمي؟

قل له: خلق الله تعالى كل شيء وقسمه بقدره، فالرجل يعمل ويتحمل المشاق الخارجية، ويأتي بالنقود، والمرأة تحمل وتلد، ولا يمكن أن نتبادل الأدوار، والله تعالى خلق الكون كله هكذا: الذكر للعمل والكد، والأنثى للحمل والرضاعة والتربية، وأعطى لكل واحد القدرة على ذلك.

(٤) فلماذا لا تحمل أختى الصغيرة بدلاً من أمي؟

حين تكبر أختك وتتزوج كما تزوجت أمك سيعطيها الله إن شاء سبحانه الطفل، فالله تعالى لا يعطي الولد إلا للزوج والزوجة اللذين تزوجا بشرع الله تعالى بعقد صحيح سليم، وكذلك أنت حين تكبر سيعطيك الله زوجة وولدًا إن شاء.

(٥) ولماذا لا أتزوج أختى يا أبي؟

ابدأ هنا في ترسيخ القواعد المتعارف عليها بين الناس عن طريق المشاهدات، فقل له: لا يمكن لأحدٍ في العالم كله أن يتزوج أخته، فأمك ليست أختي، وزوج خالتك ليس بأخيها، وعمك فلان ليس شقيق خالتك فلانة، كما أن الله تعالى حرَّم علينا أن نتزوج بالأمهات والأخوات فقال سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ (النساء: ٢٣)

(٦) عمي حامد متزوج بامرأتين، لماذا؟ ولماذا لا تفعل مثله يا أبي؟

وأسلم الإجابات هنا أن تقول له: اسألك أمك!! فهي سر التوقف عن الزواج بثانية، وهي التي أقرت ذلك!! هذه بالطبع إجابات معظم الرجال على ما أعتقد في قرارة نفسي، لكن للأمر إجابات أخرى كالآتي:

إن الله تعالى جعل الرجل محبًّا للمسئولية، والمرأة ضعيفة تحتاج إلى مَن يرعاها ويكفلها فجعل الله تعالى الرجل سببًا في حماية المرأة فأباح له الزواج حتى أربع نساء لبعض الأسباب، فالرجال يحاربون والنساء لا تحارب، فيسقط القتلى من الرجال ويزيد عدد النساء، وتحتاج المرأة إلى من يدير لها شئونها ولا أفضل ساعتها من الزوج. أو تكون المرأة يتيمة ولا عائل لها فيتزوجها الرجل وعنده امرأة أخرى (زوجة أخرى). أو تكون أرملة وعندها يتامى فيكفلها وأولادها كما كان النبي ﷺ يفعل.

ويُمتدح هذا الجانب في حياة الرسول ﷺ والصحابة تحديدًا بعد الهجمات الشرسة المتتالية من العلمانيين وأذناب الغرب.

ونضيف سببًا آخر وهو: قد تكون المرأة لا تلد، والرجل يتمنى على ربه الولد فيتزوج بأخرى، أو تكون الزوجة مريضة تحتاج إلى الخدمة والرعاية فتكون الزوجة الثانية عونًا لها على ذلك.

وإياك أيها الذي تُسفِّه شرع الله تعالى أنت والأخرى، إياكما من الطعن في شرع الله تعالى بتسفيه من تزوج بامرأة ثانية، فهذا شرع ربنا ولله الحمد والمنة، واسألوا أوروبا التي تعاني تفككًا أسريًّا بسبب خيانة الرجل للمرأة، لأنه لا يكتفي بواحدة، فيزني ويزني لماذا؟ لأنه يؤمن بشرع لا يجيز له الزواج بأخرى، ولو كان غير ذلك لتقلصت فرص وقوعه في الزنا.

(٧) إذا كان الأمر هكذا فلماذا لا تتزوج المرأة بأربعة رجال؟

هذا شرع الله تعالى أولاً، وهذا خلق الله، والرجل عنده القدرة والقوة على حكم أربع نساء، لكن المرأة لن تستطيع ذلك، لأنها لو تزوجت بأكثر من رجل وولدت لن نعرف والدًا للطفل، وسيحدث نسبة الولد إلى غير أبيه.

والمرأة يا بني تحمل والرجل لا يحمل، وحين تحمل المرأة تحتاج للمساعدة حتى إن الله تعالى رفع عنها الصيام، فهي ضعيفة طيلة حياتها، ومن هنا كان الزواج بأكثر من امرأة للرجل لا للمرأة.

(٨) لماذا نتوضأ قبل كل صلاة رغم أننا قدّ نكون على طهارة ونظافة؟

يجب يا صغيري أن نفرق بين أمرين هامين:

- النظافة العادية وهي نظافة جسد الإنسان، وملبسه، ومنزله.
- والنظافة الأخرى التي جعلها الشرع من أجل العبادة كالوضوء.

فالوضوء ليس مجرد نظافة الجسد وأعضائه، وإنما له فوائد أخرى:

أولاً: أنه أمرٌ من الله تعالى الذي قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: ٦). ولا يقبل الله تعالى صلاةً بغير طهور، فلابد من الوضوء.

ثانيًا: أن الوضوء شرط من شروط الصلاة بأمر الله تعالى، والإنسان قد يفعل أمر أبيه دون أن يفهمه لأنه يحبه، وينفق عليه، ونحن نحب الله الذي يرزقنا جميعًا فنطيع أمره حتى ولو كان هذا الأمر بغير سبب.

ثالثًا: أن الوضوء تصحبه نية العبادة، وهذا هو الفرق بينه وبين النظافة العادية التي يشترك فيها مع المسلمين الناس جميعًا.

رابعًا: لا يقتصر الوضوء على النظافة الظاهرية للجسد فحسب، وإنما يمحو الله تعالى به الذنوب، ففي حديث مسلم (٢٤٤/ ٣٢) في الطهارة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قَطْر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًّا من الذنوب». فالوضوء ذو فوائد عدة، وأول فوائده وأعظمها طاعة الله تعالى.

(٩، ١٠) الصلاة لماذا هي واجبة؟ ولماذا نكرر في كل صلاة ما سبق وإن قلناه في الصلاة السابقة؟

كلام للآباء: الصلاة وغيرها من الأمور الشرعية بهذا الترتيب وهذا الشكل ليست من وضع البشر، وإنما هي وحيٌ من الله تعالى الذي أمر نبيه ﷺ بذلك.

وهناك أمور لا يستطيع العقل أن يصل إليها، والدين بالنص لا بالرأي ولا بالعقل، وقد نُقل عن السلف رحمهم الله ذمهم هذه الأسئلة التي تبحث عن أمور أصولية غير عقلية، وغير عقلية: لا تعني الجنون، بل تعني عجز العقل عن إدراك فهمها وكُنهها، ولو كان الدين بالرأي لكان المسح على الخف أسفله لا أعلاه كما أُثر عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ومن هنا فطاعة هذه الأمور غير مشروطة بالاقتناع أو الفهم العقلي لها لأنها اختبار وامتحان من الله تعالى لعباده، ثم هي إعلان من العبد عن حبه لربه تعالى وطاعته مهما كانت التكاليف، يضاف إلى ذلك أن الله تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

وقد تكون الحكمة خافية، والمسلم يؤمن بطبعه أن الله تعالى (حكيم) قد تبدو الحكمة فنفهمها وقد تخفى علينا فلا نلحظها.

هذا ما ينبغي أن يقر أولاً في أذهان الآباء والأمهات لأن كثيرًا منهم يُعمل عقله بلا داعٍ داخل نصوص شرعية لا تحتمل إعمال العقل متهمين الفقهاء وغيرهم بالجمود والتقليد وتعطيل العقل، وهذا وهم منهم، فالطبيب يسخر ممن يحاول ممارسة العمليات الجراحية وهو غير حاصل على شهادة عليا في الطب ويجرم ذلك، ويُحوَّل ملفه إلى القضاء حتى ولو كان (صيدليًّا أو ممرضًا)، ولا تقبل الدولة منح التراخيص للأفراد إلا مشفوعة برسم هندسي على يد أحد المهندسين، فكيف يسمح الناس لأنفسهم بالتعدي على شرع الله تعالى لمجرد فكرة في رأسه وهو غير عالم ببقية الأحكام الشرعية؟! ولمجرد أنه (عاقل) لو كان هذا كذا فلماذا نرى العقل ضعيفًا كلما صغر الإنسان ويكبر معه كلما كبر، ويغيب بالنوم والإغماءات والغضب والسُّكر والجنون؟

إن العقل قوة بشرية محدودة، ولو كان كاملاً لعُبِد من دون الله تعالى، ولاستبد كل إنسان بعقله وما احتجنا الرسل، والله تعالى يقول: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ

يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولاً﴾ (الإسراء: ٩٥). فهم ملائكة لا تفارقهم طبيعتهم، يمشون باطمئنان، ولكن تبقى حاجتهم للرسالة والشريعة موجودة ملحة حتى ولو كانوا ملائكة!! فما بال البشر؟

لقد نجح الغرب في عملية (رضاعة) التشكيك، فراحوا يرضعون الناس لمحات التشكيك والريبة في دينهم من بعيد، ثم زادت الكمية، حتى فُطِم الكثير على محاجة الشرع والاعتراض عليه، وإبداء الأسئلة التي تحمل طابع الطعن لا طابع السؤال المستزيد الباحث عن الإجابة، وللأسف الشديد أن أصحاب هذه الأسئلة هم أجهل الناس بدينهم.

جلست مع أحد الأطباء ذات مرة فقال: إن القرآن يحمل تناقضًا مع الحديث النبوي أو العكس. فقلت: كيف؟ قال: كيف يأمر الله تعالى بأن يمسك الكلب صيدًا وتأكله ﴿مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ (المائدة: ٦). ثم يأتي النبي ﷺ فيقول: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا إحداهن بالتراب»؟! والتمعت في عين الحضور بوادر الشك، وظن أنه قد وصل إلى بغيته، فقلت له: هل تشتري كل يوم آلات طبية جديدة؟ فقال لي: لا، بل هناك أدوات أعمل بها، أعيد تعقيمها كلما أردت استخدامها. قلت: وبماذا تعقم؟ قال: بالماء المغلي أو بعض الأدوات التي تقتل الميكروب والجراثيم. قلت: وهكذا ما يمسك الكلب. قال: كيف؟ قلت له: هل يأكل الإنسان صيدًا (طائرًا) مثلاً بريشه أم ينتفه؟ قال: بل ينتف ريشه. قلت: والحيوانات يأكلها بجلدها؟ قال: لا، بل يسلخها. قلت: هذه هي عملية التعقيم وقتل الميكروب والجراثيم عن طريق السلخ ونتف الريش بشي الصيد أو سلخه، فالنار كفيلة بقتل الجراثيم التي تركها الكلب على الفريسة التي صادها.

ولا فائدة، لقد هاج وماج وقال: فلسفوا الدين كما تشاءون!! ثم تركني وانصرف بعد أن أثبت أن العقل أعجز ما يكون عن فهم الشرع إذا ما استبد به الإنسان.

وما سبق لابد أن يقر في نفوس الآباء ليكون واقفًا على أرض صلبة وهو يحاور صغيره في هذه الأمور العقلية التي لابد فيها من جواب صريح ليزداد إيمان الصغير

بالله تعالى ولا يتزعزع أو يتزحزح، نقول للصغير كما قلنا في الوضوء: الصلاة أمر من عند الله تعالى، والمسلم يفرح بأمر ربه، وينتظره ويعمل من أجله، ويحب الصلاة التي كان النبي ﷺ يقول عنها: «وجُعلت قُرَّة عيني في الصلاة».

فكانت راحته ﷺ في الصلاة التي يراها المسلم صلة بينه وبين ربه، ويدعوه فيها ويتقرب منه خمس مرات كحد أدنى للضعفاء، فمن أراد الزيادة فليُصلٍّ في الليل أو النوافل أو الرواتب ليدخل على ربه تعالى في أي وقت شاء، فالصلاة حديث العبد لربه تعالى.

ثم إن الصلاة فرصة لتوحيد كلمة المسلمين وجمعهم في المسجد لتداول شئونهم وأمورهم، وهي طريق لمحبة الله تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»، وهي سبب في زيادة الصبر: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).

وهي- الصلاة- تعلم الثبات والكرم: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

وتكفر الذنوب، وترفع الدرجات، وهي أحب الأعمال إلى الله، وفي السجود قربٌ من الله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ (العلق: ١٩). وهي مفتاح الجنة، وبها النجاة من النار، ومن صلى كان في ذمة الله؛ يعني في عهده سبحانه، وهي خير من كل شيء.

كل هذه الفوائد توجد داخل الصلاة، وقد توعَّد الله تاركها والمتكاسل عنها بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، فما من عبد ترك الصلاة إلا ولقي ربه وهو عليه غضبان.

ثم لماذا نكرر في كل صلاة ما نفعله في الصلاة الأخرى؟ إن الصلاة هدية السماء إلى الأرض نزلت بهذه الكيفية على رسول الله ﷺ كما علمها الله تعالى له، وكما أمَّه فيها جبريل عليه السلام، ونحن نسمع ونطيع في هذه الناحية لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١). فنحن

نفعل مـا فعله ﷺ، ونحن لا نكرر إلا الفاتحـة والركوع والسجـود، لكننا نقرأ آيات أخرى من القرآن، ثم ندعو بأدعـية مختلفة داخل الصلاة، فقـد أدعو اليوم بالفلاح وغدًا بالفوز بالجنة، وبعـد غدٍ بالرحمة لي والشفاء من الأمـراض، وتكرار الحركات في الصلاة دليل على سهولة الإسـلام ويسره، ورفع الحرج عن المسلمين، فلو كانت كل صلاة تخالف الأخرى لاحتار الناس واختـلط الأمر عليهم، ولحاروا: ماذا نفعل في كل صلاة؟ ولقد علم الله ولم يزل عـالمًا سبحانه أن هناك ضعـفاء لا يقدرون إلا على هذا الشكل من الصلاة فجعلها كذلك.

(١١) لماذا نصوم في رمضان، ونعرض أنفسنا للجوع والعطش والحرمان؟

الصيام كالصلاة أمر إلهي يجب اتباعه، فقد قال سبحانه: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٤). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٢). فالصيـام فريضة كتبـها اللهُ تعالى على الأمم كلهم؛ لا على أمة الإسلام فحسب، وشرع مَن قبلنا شرع لنا، ثم الصيام له عدة فوائد، منها:

(أ) تأديب النفس وإشعـارها برقابة الله تعالى لهـا، فالصائم يكون أمامـه الطعام والشراب لكنه لا يأكل شيئًا خشية من الله تعالى، وإحساسًا برقابته سبحانه له.

(ب) الإحساس بالفقراء الذين يعيـشون طيلة العام بلا طعام ولا شراب أو القليل منهم، وهنا تسود روح المحبة بين المسلمين، فمن شعر بالجـوع يعرفه، فيتصدق على غيره ويعطيه من مال الله الذي جعله مؤتمنًا عليه.

(جـ) وفي الصيام راحة من شره الأكل والشرب طيلة العام فترتاح المعدة وتتخلص من أمراض كثيرة.

(د) وللصائمين عند الله أجرٌ عظيم:

- يدخلون من باب الريان في الجنة.
- ويضاعف لهم عملهم.
- وتُغفر لهم ذنوبهم.
- ويتدربون على الـصبر ومـواجهة النفس إلى غـير هذا الثـواب العظيم والأجر الوفير.

(١٢) هل توجد ملائكة؟ وأين هي؟نرجو الرجوع إلى ما أثبتناه في وجود الله تعالى.

(١٣) هل توجد عفاريت؟ انظر السابق.

(١٤) أين الجنة يا أبي؟ فقد حدثتني عنها كثيرًا، فهيا نزورها!!

الجنة موجودة يا ولدي بحمد الله لكنها جائزة للمتقين لا يعلم مكانها إلا الله سبحانه، ولو أراها الله للناس لما اشتاقوا إليها وما أحبوها ولزهدوا فيها لأنهم رأوها، فأراد الله تعالى أن يشوقهم إليها بالحديث عنها وإخفائها عن عيونهم.

ولله المثل الأعلى نقول: ماذا لو أنني أردت منك أن تنجح في الاختبار؟ أقول لك: ذاكر ولك عندي جائزة عظيمة لم تر مثلها قبل الآن. ساعتها ستشتاق لها، وتفكر في جمالها وتتمناها، وتعمل من أجل الحصول عليها.

لكن إذا قلتِ لك: ذاكر وسأعطيك هذا القلم- وتشير إليه-، تقول لي يا ولدي: لقد رأيت القلم وتشبعت منه، ولا داعي للعمل فالقلم أمامي كلما أردت النظر إليه نظرت. فإخفاء الجنة أمرٌ جميل يعود بالنفع على الناس، ولا يعلم مكان الجنة إلا الله تعالى الذي خلقها وجعلها للصالحين المؤمنين لا غير ذلك. ثم يا ولدي يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣).
فهذا حجم كبير عظيم، فعرضها ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ٢١).

فلا تسعها الأرض ولا يستطيع الإنسان الوصول إليها أو رؤيتها كاملة، وربما مات قبل أن يراها، أو ربما مات من شدة الفرح بما فيها، ففي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، وإذا كان الظل هكذا فكيف بالشجرة؟! وفي الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماوات والأرض، فمتى يقطع الإنسان هذه المسافة؟!

ويحرص الأب على تشويق أولاده للجنة وعرض نعيمها كما في كتب (التذكرة) للقرطبي محققًا ط دار الفجر للتراث، أو (البحر الرائق من الزهد والرقائق) للشيخ/ أحمد فريد.

(١٥) أين النار، لماذا لا نراها؟

انظر السؤال السابق، واعمد إلى التخويف لا إلى التشويق هذه المرة لكن لا تسترسلْ كثيرًا في هذا الأمر حتى لا ينقلب الأمر إلى بغض وكراهية.

وزد على ما في السؤال السابق بقولك: انظر إلى نار الدنيا إنها جزء من سبعين جزءًا من نار الآخرة، ومع ذلك لا يتحملها أحد ولا يطيقها، وهي تحرق كل شيء وتدمره، فكيف لو كانت نار الآخرة وهي مفضلة على نار الدنيا بسبعين جزءًا؟ كيف بها لو كانت في الدنيا؟ لا شكٍ كانت ستحرقنا وتقتلنا.

(١٦) لماذا يوجد ناس أغنياء وفقراء؟

هذه حكمة عظيمة لله تعالى في خلقه، فلو كان الجميع أغنياء لما احتاج أحد إلى أحد، ولاستغنى الإنسان بنفسه وطغى في الأرض، ولكن بحكمته سبحانه جعل بعضهم فقراء ليرى هل سيصبرون أم لا؟ وجعل بعضهم أغنياء ليرى هل يشكرون أم لا؟

ولم يخلقهم فقراء ويتركهم؛ بل جعل لهم رزقًا، وحقًّا في أموال الزكاة، وجعل الغني في حاجة إلى الفقير، فالغني يحتاج للفقير أكثر من حاجة الفقير إلى الغني، لأن الغني لا يستطيع أن يقوم بكل أعماله وأشغاله؛ بل يحتاج إلى فقير يعمل له، ومن هنا يزيد دخل الفقير الذي يحصل على المال.

وقد حكوا قديمًا أن رجلاً وجد بعض الذهب في جبل من الجبال في إحدى الجُزر، فعلم الناس بخبر الذهب، فراحوا جميعًا فوجدوا ذهبًا كثيرًا يكفي الجزيرة كلها، وأصبح أهل الجزيرة جميعًا أغنياء، وفي الصباح ذهب أحدهم إلى فرن الخبز لم يجد خبزًا لأن الخبَّاز صار غنيًّا صاحب ذهب، فلماذا يعمل؟ واحتاج الصغار إلى اللبن، فذهبت الأم تشتريه فوجدت الفلاح نائمًا قد تكاسل عن حلب بقرته، فقد صار صاحب ذهب، فلماذا يعمل؟ ونظر أحدهم فوجد الطريق قد امتلأت عفنًا وقمامة، لأن العامل صار غنيًّا صاحب ذهب، فلماذا يعمل؟

وهكذا تعطلت المصالح وزادت المفاسد، وهو ما سيحدث لو اغتنى الناس جميعًا، أو افتقروا جميعًا، فهذه حكمة بالغة.

ومن الناس مَن إذا اغتنى كان مفسدًا في الأرض، فالفقر له دواء، ومنهم من إذا افتقر اعترض على أمر ربه، فالغنى له علاج.

وعباد الله لا يصلحهم إلا ما قدَّر الله تعالى لهم، والمؤمن راضٍ بقضاء الله وقدره لا يعترض عليه، والغنى غنى النفس، وليس علينا إلا العمل والسعي والله تعالى هو الرزاق.

(١٧) لماذا رأينا القمر كبيرًا في الأقصر ولما جئنا إلى القاهرة وجدناه كما هو؟

أنت تعتقد يا ولدي أن المسافة التي قطعناها من الأقصر إلى القاهرة كبيرة، وهذا صحيح، ولكن بالنسبة لأحجامنا الصغيرة، لكن هناك مساحات أوسع وأحجام أكبر، وحجم الكرة الأرضية كبير للغاية، فالمسافة بين الأقصر والقاهرة فيها صغيرة جدًّا ولا تكاد تذكر، كما أن القمر عبارة عن كوكب على شكل كرة يدور حول الأرض- ونوضح له معنى الدائرة-، فالمسافة التي دارها القمر من الأقصر حتى القاهرة قليلة جدًّا، وكل ما حدث أننا نسير في مواجهة القمر فهو ثابت ونحن نتحرك فنتخيل أنه ينتقل معنا.

(١٨) زميلي أسود الوجه، وأنا أبيض الوجه، فلماذا؟

تتغير ألوان البشر وفقًا لما أراده الله تعالى، ففي قصة الخلق عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحَزَن وبين ذلك**»[١] . وإذا كنا قد خُلقنا من التراب، فالتراب يتغير لونه، فهناك تربة سوداء، وأخرى حمراء، وثالثة بيضاء، فاختلفت الوجوه والألوان على قدر ذلك.

ونحن نرى طائرًا فيه ريش أبيض وبعض الريش الأسود، فإذا ما باض وخرج الأفراخ من البيض وجدنا أن هناك طائرًا أسود تمامًا، والآخر أبيض تمامًا، والثالث فيه بياض وسواد، فجاءوا بنفس ألوان الأم أو الأب.

وكذلك كان آدم عليه السلام خلقه الله تعالى بيده فكان فيه الحمرة والبياض والسواد، فمن أولاده- ممن جاء بعده- الأبيض الذي يشبهه تمامًا، والأسود الذي

---

(١) صحيح: أحمد (٤/ ٤٠٠) في مسنده.

حمل السواد كله، ومن هو بين البياض والسواد وهكذا.

ويقول علماء الجولوجيا إنه قد حدث في وقت ما (يسميه العلماء بالزمن الجيولوجي الرابع) أن غطت الأرض كتل ضخمة من الثلوج فهلكت معظم النباتات وهربت الحيوانات متفرقين في جهات شتى، وكذلك اضطرت الجماعة الإنسانية إلى التفرق هي أيضًا بحثًا عن الأمان وعن الغذاء، وانتشروا في اتجاهات مختلفة، ونتج عن ذلك انعزال جماعات منهم في بعض المناطق وراء سلاسل الجبال العالية، أو المحيطات الواسعة، أو الصحاري الممتدة، أو الغابات الكثيفة، ولم يكن في وسع هذه الجماعات التغلب على هذه الموانع والحواجز الطبيعية، فانعزلت كل مجموعة عن الأخرى ولم يكن بينها أي اتصال أو اختلاط أو تزاوج.

ونتيجة لهذه العزلة التامة أخذت صفات كل مجموعة تتكيف مع البيئة التي تواجدت بها، وعبر مئات الألوف من السنين تحددت الصفات الجسمانية الخاصة بكل مجموعة، وتوارثتها الأجيال وكونت بذلك جنسًا من أجناس البشر.

ولشرح أثر البيئة التي يعيش فيها جنس من الأجناس البشرية على لون البشرة ينبغي أولاً معرفة السبب في تلون جسم الإنسان بلون معين.

إن جلد الإنسان يتلون بفعل خلايا صابغة تحت الجلد تسمى الميلانين أو الفيامين، وهي مادة صبغية معقدة التركيب لونها بني قاتم جدًا، ويحتوي كل ملليمتر مربع من الجلد على ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ ذرة من المادة الملونة، ويعتمد لون جلد الإنسان على كمية المادة الملونة التي تفرزها خلايا الأصباغ، وعلى معدل توزيعها في الجلد.

وهناك عوامل مهيجة لخلايا الأصباغ تدفعها إلى إفراز كمية أكبر من المادة الملونة، وبالتالي تؤثر على لون البشرة، وأهم هذه العوامل أشعة الشمس، أو بالتحديد الأشعة فوق البنفسجية التي تساعد على تهييج خلايا الأصباغ، حتى إن السكان المعرضين لأشعة الشمس بشكل دائم يكتسب جلدهم هذا اللون الأسود دائمًا، وهذا ما حدث لسكان المناطق الحارة كالأفارقة مثلاً.

ونتيجة دوام هذا الحال عبر مئات من السنين سجلت صفة السواد في ذاكرة الخلايا الوراثية التي لا يعلم سرها إلا الله تعالى، وأصبح هؤلاء جنسًا أسود البشرة منذ

الميلاد، وقبل تعرض الطفل الوليد منهم لأي أشعة شمسية.

أما سكان المناطق الأخرى التي لا تتعرض كثيرًا لأشعة الشمس فقد أخذت بشرتهم لونًا أفتح، واختلفت الأجناس حسب درجات تأثرهم بالمناخ أو الطقس أو البيئة الطبيعية حولهم، ولهذا يوجد من الناس البيض والسمر والصفر والسود، مع أنهم جميعًا أبناء أب واحد كما تعلم. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١). ويقول عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (البقرة: ٢١٣).

وتنقسم الأجناس البشرية الآن إلى ثلاث مجموعات إنسانية كبرى هي:

١- المجموعة السوداء (أو الزنجية).

٢- المجموعة البيضاء.

٣- المجموعة الصفراء.

ومن الناحية العلمية لا توجد فروق أو تمايز بين هذه الأجناس في التشريح بل كلها واحدة.

(١٩) لماذا نذبح كل عام خروفًا للعيد؟

خروف العيد الذي نذبحه في عيد الأضحى له قصة عظيمة سأحكيها لك:

فقد رأى سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل الذي كان صبيًا على عتبات مرحلة الفتوة والشباب، وكانت هذه الرؤيا التي رآها سيدنا إبراهيم اختبارًا من الله لأبي الأنبياء ولابنه إسماعيل ولأمه هاجر عليهم جميعًا السلام.

وقرر إبراهيم تنفيذ أمر الله، لأن أوامر الله واجبة الطاعة مهما كانت، وأخبر إسماعيل الصغير بما رآه في المنام وقال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (الصافات: ١٠٢). وهنا نطق إسماعيل بصوت الإيمان الكامل ووجوب طاعة الله فقال له: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

وفعلاً تهيأ إبراهيم لذبح ولده الغالي إسماعيل وقيده لينفذ أمر الله، وفي اللحظة

التي همَّ فيها بذبحه أنزل الله سبحانه من السماء خروفًا عظيمًا فداء لإسماعيل عليه السلام، وفهم إبراهيم أن الله لا يريد ذبح إسماعيل في الحقيقة، وأن المنام كان اختبارًا لهما من الله، ففرح فرحًا كبيرًا وذبح الخروف وفك القيود من حول إسماعيل عليه السلام، وناداه الله تعالى أن يا إبراهيم: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٥- ١٠٧) . وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى تذكر هذه الواقعة العظيمة بذبح خروف الأضحية كل عام، لنأكل منها ونطعم منها الفقراء والمحتاجين ونهدي منها للأقارب والأصدقاء.

(٢٠) لماذا يدخن بعض الناس، رغم أن علبة السجائر مكتوب عليها: التدخين ضار بالصحة؟

هؤلاء الناس يا عزيزي ضعاف الإرادة، استسلموا لعادة التدخين، حتى أصبح من الصعب عليهم ترك السجائر من أيديهم مع علمهم التام بأنها ضارة جدًا بالصحة.

والحقيقة يا عزيزي أن السبب في استمرارهم على عادة التدخين السيئة لا يرجع فقط إلى ضعف إرادتهم، بل يرجع أيضًا إلى ضعف الإيمان، فالمؤمن القوي لا يستسلم لعادة سيئة كالتدخين الذي كان علماء الدين يظنون أنه مكروه شرعًا قبل أن تتضح بالكامل أضراره الشديدة وخطورته البالغة على الصحة، ولكن مع ازدياد وضوح هذه المخاطر مع الأيام أيقن العلماء حرمة التدخين قطعًا وصرح كثيرون منهم بذلك، مما يوجب على المسلم الامتناع عن التدخين فورًا.

.ولكن الناس يستمرون مع ذلك في التدخين تحت تأثير العادة والأفكار الخاطئة عن مساعدة السجائر لهم على التركيز الذهني والهدوء النفسي، وتحت تأثير حملات الدعاية والإعلانات المغرضة، وتقليدًا لقدامى المدخنين في الأسرة أو في الشارع أو في العمل، وظنًا أن التدخين يعطي المدخن وجاهة اجتماعية موهومة.

يا بني العزيز لتعلم أن التدخين عادة ضارة جدًا بالصحة، كما هو مكتوب على علبة السجائر نفسها، وعادة التدخين منافية للنظافة، وخادشة في دين المدخن، ومضيعة لأمواله وأموال أولاده، ومضرة بالبيئة وبغير المدخنين أيضًا، فكلها شرور لا خير فيها من أي نوع.

ولقد ثبت أن التدخين من أكبر العوامل المتسببة في حدوث العجز المبكر والوفاة، وثبت أن معدل الوفيات بين مدخني علبة أو علبتين من السجائر يعادل ضعف المعدل بين غير المدخنين، وكذلك يمكن القول بأن خطر الموت على المدخن من سرطان الرئة يعادل عشرة أضعاف الخطر على غير المدخن، وبالأرقام يبلغ عدد الوفيات سنويًّا بسبب التدخين ما يصل إلى ٤٨٥٠٠٠ شخص في العالم، والثابت أنه يوجد حوالي ١٢٠٠ مادة كيماوية سامة على الأقل في الدخان الناتج من تدخين التبغ.

(٢١) لماذا يصغر القمر بعدما يصير كبيرًا؟

القمر ليس مثل الكائنات الحية (الإنسان والحيوان والنباتات) التي تكبر وتنمو باستمرار حتى تصل إلى حجمها النهائي، ثم تبدأ في الضمور والصغر، ثم تموت.

فالقمر هو مجرد كرة معتمة (أو كوكب) تدور حول الأرض، ولا يشع القمر بنفسه أي ضوء، ولكنه يعكس أشعة الشمس الساقطة عليه، فنراها نحن حين ننظر إليه كأنها آتية من القمر ذاته، ولذلك بينما نعرف أن الشمس كرة نارية ملتهبة فإن القمر على العكس من ذلك بارد، ولهذا تمكن الإنسان مؤخرًا من الصعود إلى القمر ومن المشي فوقه عن طريق سفن فضائية متقدمة.

والقمر كما نعلم يدور حول الأرض، والأرض هي الأخرى تدور حول الشمس، وينتج عن ذلك أن موقع القمر يتغير باستمرار بالنسبة للشمس، ويسمى كل تغير في موقع القمر بالنسبة للشمس في دورانه حولها مرحلة.

إن كل مرحلة من مراحل القمر تتغير فيها مساحة الجزء المعرض للضوء منه، والتي تبدو لنا مضيئة، وتعتمد المساحة المضيئة التي نراها من القمر على موقعه بالنسبة للشمس وبالنسبة للناظر إليه من الأرض.

ويبزغ القمر الوليد (الذي هو الهلال) حينما يكون القمر واقعًا بين الأرض والشمس فلا يظهر منه شيء في أول الأمر، ثم يبدأ ظهور الهلال كلما تحول القمر في مداره وانكشف طرف هذه الكرة (القمر) لأشعة الشمس.

وحين يكتمل القمر (ويكون بدرًا) تكون الأرض هي الواقعة بين الشمس والقمر، وباستمرار دوران القمر والأرض يعود القمر تدريجيًّا إلى الدخول بين الأرض

والشمس، وبالتالي يبقى الجزء العاكس لأشعة الشمس أمامنا، ويسمى القمر في هذه الحالة (محاقًا) وهو يشبه الهلال المعكوس، ووقت ظهوره أواخر الشهور الهجرية.

إن الفترة ما بين ميلادي هلالين متتاليين تبلغ ٢٩ يومًا و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة وتسمى شهرًا قمريًا، وهو أساس حساب الشهور الهجرية الاثني عشر: محرم- صفر- ربيع الأول- ربيع الثاني- جمادى الأولى- جمادى الآخرة- رجب- شعبان- رمضان- شوال- ذو القعدة- ذو الحجة.

وهكذا تعلم أن الله سبحانه وتعالى قد ألهم الناس أيضًا استعمال الأهلَّة (جمع هلال) في حساب الشهور والأيام، يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩)

(٢٢) من أين يأتي المطر؟

تتبخر المياه عند تلامس الهواء الجوي، فكل المياه المعرَّضة للهواء فوق سطح الأرض تفقد جزءًا منها باستمرار عن طريق التبخر، والتبخر هو سبب جفاف الملابس المغسولة التي نعلقها فوق حبال الغسيل مثلاً، وجفاف البرك ومياه الرش التي يرشها الناس أمام البيوت، وغير ذلك، سببه تبخر جزئيات الماء وصعودها إلى الجو.

ليس هذا فحسب، بل إن كل المسطحات المائية الكبيرة والصغيرة الموجودة فوق سطح الأرض تتعرض أيضًا لظاهرة تبخر الماء، فالبحار والمحيطات والأنهار والبحيرات يتبخر منها جميعًا كمية كبيرة من الماء، ويتصاعد البخار (الرطوبة) إلى الجو، وكلما ارتفعت درجة حرارة الجو ازدادت عملية البخر حتى يتشبع الهواء ببخار الماء، وعندما يصل الهواء إلى درجة التشبع يتحول البخار إلى قطرات دقيقة جدًا من الماء أو رقائق صغيرة من الثلج هي السحاب، ولذلك يمكن القول بأن السحاب يتكون من أعداد كبيرة جدًا جدًا من قطرات الماء الصغيرة جدًا جدًا والتي يبلغ حجم القطرة منها جزءًا من خمسة وعشرين ألف جزء من المليمتر معلقة في الهواء.

ومع ازدياد تجمع هذه القطرات مع بعضها البعض تزداد كتلتها، ويحدث المطر عندما تبلغ كتلة هذه القطرات درجة كافية لسقوطها دون أن تتبخر قبل وصولها إلى الأرض.

.وقد يسقط المطر أيضًا لأسباب أخرى كازدياد برودة الجو إلى درجة تزيد من تكثف البخار أو تكون بلورات ثلجية، وعندئذ تتساقط قطرات الماء، أو البلورات الثلجية المتكونة، وغالبًا ما تذوب بلورات الثلج قبل وصولها إلى الأرض، فتصل إلى الأرض على هيئة قطرات ماء أيضًا أي: أمطارًا.

ولكن في بعض الأحيان يكون حجم البلورات كبيرًا، ويكون الجو باردًا فلا تذوب هذه البلورات قبل وصولها إلى الأرض، وتسقط على هيئة حبات شبيهة بحبات الملح الأبيض، ويفرح باللهو بها الأطفال كثيرًا.

إن سقوط المطر بهذه الكيفية نعمة كبيرة من الله تعالى على البشر، وعلى كل الكائنات، فبواسطة هذا النظام تكفل الله سبحانه بتوفير المياه اللازمة للشرب والري، ولولا المياه لما قامت على الأرض حياة، فالماء هو أصل كل كائن حي، كما أخبرنا الله تعالى في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠)

(٢٣) لماذا تختفي النجوم في النهار؟

أولاً: إن النجوم لا تختفي فهي دائمًا موجودة هناك في الفضاء، وتشع ضوءها بنفس المقدار الذي تشعه في الليل، ولكن في الليل لا يكون ضوء الشمس ظاهرًا لنا، فيظهر ضوء النجم واضحًا جليًا لا يطمسه شيء، لأنه يكون هو الساطع وحده.

أما في النهار فإن الشمس حين تبزغ في الصباح يصلنا ضوؤها القوي جدًا بالنسبة لضوء النجوم، وهو أقوى بسبب أن الشمس أقرب إلينا من النجوم بكثير جدًا، لأننا نرى الضوء الاقوى ولا نرى الضوء الأقل، فنحن نرى ضوء الشمس ولا نرى ضوء النجوم، ويمكنك أن تقول على سبيل المجاز إن نور الشمس يغلب نور النجوم فلا نراها في النهار ويمكن إجراء تجربة بسيطة جدًا لتوضيح ذلك:

أحضر شمعة أو حتى عود ثقاب، وادخل غرفتك، وأغلق الشباك جيدًا وكذلك الباب، بحيث لا يصل إليها أي ضوء غير ضوء المصباح الكهربي، أنت ممسك الآن بالشمعة وعلبة الثقاب في يدك، أطفئ الآن المصباح الكهربائي فسيحل الظلام تمامًا بالغرفة، ثم أشعل عود الثقاب وأشعل به الشمعة فستجد أن نور الشمعة قوي وأنه قد أنار الغرفة بالفعل، والآن أشعل المصباح الكهربائي مرة أخرى فستجد أن نور

الشمعة لم يعد في نفس شدة ظهوره بسبب الضوء الغامر الذي أصدره المصباح رغم أن الشمعة نفسها لا زالت موجودة ولم يتغير فيها شيء، كل ما هنالك أن ضوء المصباح الأشد من ضوء الشمعة قد طغى عليه أو غلبه، فالمصباح هنا كأنه الشمس، والشمعة نشبهها بإحدى النجوم.

وطبعًا تحصل على نفس النتيجة بوضوح أكثر لو استعملت عود ثقاب بدلاً من الشمعة، ولكن في كل الأحوال ينبغي توخي الحذر التام حتى لا تتسبب يا عزيزي في نشوب حريق، ومن الأفضل ألا تقوم بهذه التجربة إلا في وجود الأب أو الأم أو أحد الكبار لضمان السلامة والأمان.

(٢٤) كيف يأتي الليل، وكيف يأتي النهار؟

أنت تعرف يا عزيزي أن الأرض التي نعيش عليها هي كرة كبيرة جدًّا تدور في الفضاء، ولأنها بالنسبة لنا كبيرة جدًّا فنحن لا نحس بكرويتها تمامًا كما لا تحس نملة صغيرة تمشي فوق بطيخة كبيرة جدًّا بأن البطيخة كروية.

ولكنك تستطيع أن تتأكد من كروية الأرض إذا راقبت سفينة في الميناء عند إبحارها، فإن الجزء السفلي منها هو الذي يختفي أولاً، وتستمر في الاختفاء من الأسفل حتى تختفي كلها كأنها (تغطس) تمامًا في النهاية وراء الأفق، إنها بهذا تصبح خلف الحافة المنحنية لسطح الأرض الكروي.

وإذا كنت مسافرًا في البراري المنبسطة فإنك ترى الأشجار البعيدة جدًّا بالتدريج، وأول ما يظهر منها أطرافها العليا وذلك قبل أن تظهر الأغصان التي تحتها، وبعد ذلك جذوع الشجر ثم تظهر الأرض نفسها أخيرًا، وهذا دليل آخر على كروية الأرض يشبه تمامًا الدليل السابق.

والآن تعال نعرف كيف يأتي الليل والنهار: إن هذه الكرة الكبيرة التي نعيش عليها تدور حول كرة أكبر منها بكثير هي الشمس، وتدور الأرض حول محورها أيضًا، وعندما يكون الجزء الذي نعيش عليه من الأرض مواجهًا للشمس يكون هذا الجزء مغمورًا بالنور الصادر من الشمس، ويكون الوقت نهارًا، في نفس الوقت يكون الجزء الآخر المقابل لنا من الناحية الأخرى لكرة الأرض محرومًا من النور،

أي: غارقًا في الظلام، فيكون الوقت ليلاً بالنسبة لمن يعيشون فيه.

ويمكن أن نجرب ما نقوله إذا أحضرنا مصباحًا من المصابيح التي تعمل بالبطارية، وسلطناه على كرة أو برتقالة مثلاً، فإن نصف الكرة أو البرتقالة المواجه للمصباح والذي تسقط عليه أشعة الضوء الصادرة من المصباح يكون منيرًا، بينما الجهة الأخرى البعيدة عن ضوء المصباح تكون مظلمة فيكون لدينا نهارًا في مواجهة المصباح وليلاً في الجزء البعيد عنه، وهذا بالنسبة للكرة أو البرتقالة التي نجري عليها التجربة.

نعود إلى ما يحدث بالنسبة لكوكب الأرض، وقد فهمنا أن النهار عندنا معناه أن الجزء الذي نعيش فيه مواجه للشمس، والليل عند الآخرين معناه أن الجزء الذي يعيشون فيه بعيدًا عن الشمس، ولو استمر هذا الوضع ثابتًا أثناء دوران الأرض حول الشمس لبقي النهار عندنا دائمًا، ولبقي الليل عندهم دائمًا، ولكن هذا لا يحدث.

فالأرض كما سبق أن قلت لك تتحرك حركتين لا حركة واحدة، الحركة الأولى هي التي فهمتها أنت جيدًا الآن، وهي حركة دورانها حول الشمس، أما الحركة الثانية فهي حركة دوران الأرض حول محورها، والتي بسببها ينتقل الجزء المواجه للشمس تدريجيًا إلى الجهة البعيدة عن الشمس، بينما يتجه في نفس الوقت الجزء البعيد عن الشمس تدريجيًّا باتجاهها، وهكذا بسبب دوران الأرض حول محورها يدور الجزء الذي نعيش فيه مبتعدًا عن النور، أي: يحل الظلام عليه، أي: يدخل الليل علينا، لأن الشمس لم تغرب أبدًا، إنها باقية دائمًا ولكننا نحن الذين ابتعدنا عن جهتها بسبب دوران الأرض حول محورها، كما أن الذين كانوا في الظلام فإنهم يدخلون بسبب دوران الأرض حول محورها إلى منطقة الإنارة الشمسية، ويتم الصباح، وأول رؤيتهم للشمس هو ما نقول عنه: الشمس قد بزغت أو أشرقت. ويظل هؤلاء في نهار حتى يأتي عليهم الدور مرة أخرى للدخول في الجهة المظلمة البعيدة عن الشمس فيدخلون في الليل.

وهكذا يتوالى الليل والنهار على جميع سكان الأرض ليتناوب عليهم وقت العمل اللازم لمعيشتهم، ووقت النوم اللازم لراحة أجسادهم، وهذا من تقدير الله الحكيم الذي يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١). ويقول أيضًا عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبأ: ١٠، ١١)

وهل تلاحظ يا عزيزي أن المساحة المعرَّضة لضوء النهار من الكرة الأرضية تأخذ شكل نصف الكرة، وأن المساحة المعرضة لظلام الليل تأخذ شكل نصف الكرة أيضًا، وتتعاقب المساحتان على سطح الأرض، فكأن الليل يتكور على النهار، والنهار يتكور على الليل، وهذا مصداقًا لما صوره الله أدق التصوير في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (الزمر: ٥).

ولولا خلق الله سبحانه وتعالى لليل والنهار لما أمكننا حساب الأيام والليالي والسنين، فهذا النظام الإلهي الدقيق البديع من فضل الله علينا.

ويقول عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ (الإسراء: ١٢)

(٢٥) كيف يُصدر الهواء خارج المنزل هذا الصفير الذي نسمعه؟

الهواء وحده ليس له صوت، كما ليس له صفير، ولكن التيار الهوائي الشديد عندما يغمر المكان كله، فإنه يمر من كل الشقوق والثقوب والفتحات التي يصادفها، ومن بين أوراق الأشجار وأغصانها، وبين البنايات والشرفات، وحتى من فتحات المفاتيح في الأبواب، ومن تحت عقب الباب أيضًا، إن تيار الهواء الشديد يعبر من كل فتحة تصادفه في طريقه يا عزيزي، وكلما مر الهواء من هذه الفتحات نسمع الصوت الذي تسأل عنه، لأن مرور الهواء من مكان ضيق فجأة يحدث عنه اهتزازات قوية (أي: أصوات) تنتقل بدورها على هيئة موجات حتى تصل إلى آذاننا.

ألا ترى أن مرور الهواء الذي تنفخه في الصفارة هو الذي يتسبب في مصدر الصفير؟ وهل تتذكر البالونة عندما تفتح فوهتها فجأة فيندفع الهواء من داخلها إلى الخارج؟ إن اندفاعه بهذا الشكل هو الذي يسبب الصوت الذي نسمعه حينئذ.

حتى أصواتنا التي نتكلم بها، فإن مصدرها اهتزاز حبال رقيقة خلقها الله سبحانه داخل الحنجرة وتسمى بالأحبال الصوتية والسبب في اهتزازها مرور الهواء بينها،

فنحن نتكلم بواسطة التحكم في الهـواء المار بهذه الأحبال الصوتـية، مع التحكم في الهواء المار في تجويف الفم كله.

ونعود إلى بداية السؤال: كيف يكون للهواء صفـير؟ فنقول: عندما تهب العاصفة فإن كل شق أو كل فتحـة تتعرض لمرور الهواء العاصف تقوم بـعمل صفارة من نوع مخـتلف طبعًا عن صفـارتك الصغيرة، وبالتـالي يختلف الصوت الصـادر عنها عن صفـيرك في الصفـارة، وعندما تخـتلط هذه الأصوات الصادرة مـن شتى الفتـحات والشقـوق والثغرات ينتـج عنها الصوت النهـائي المميز للـرياح، ذلك الصوت الذي تسمعه الآن آتيًا من خارج المنزل.

(٢٦) كيف نبتت هذه النخلة الصغيرة من نواة البلح الميتة هذه؟

لا تنس يا عزيزي أن الله تعـالى قادر على أن يُخـرج الحي من الميت، وأن يخرج الميت من الحي، وهو الذي يحيينا مرة أخرى يوم القيامة للحساب.

سبحانه القائل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٢٦، ٢٧).

ومع ذلكم يا عزيزي فإن نواة البـلحة الجافة- على غير مـا تعتقد- ليست مـيتة، فبـالرغم من أن لها تقريبًـا كل مظاهر الجماد الميت، إلا أن الحـياة كامنة فيـها، ولا يبديها الله سبحانه وتعالى إلا عندما تتوفر للنبات الظروف المناسبة لنموه، أي: تتوفر احتياجـاته من الماء والأكسجين ودرجة الحرارة الملائمة للإنبـات، وإلى أن تتوفر هذه الظروف تظل النواة- ككل بذور النباتات- في حالة خمـول لفترات تمتد لا تعجب يا عزيزي، فإن زهرة اللوتس المصرية قد أمكن استنباتها بعد ألف عام تقريبًا، وتستطيع حبة الفاصوليا احتمال حالة الخمول ثلاث سنوات على الأقل، والفول ست سنوات، والشيكوريا عشر سنوات، وهناك نبات الكاسيا الذي أمكن استنبات بذوره بعد كمون مائة وخمسين عامًا.

إن حالة الخـمول هذه هي حالة تكيف مع الجفـاف يهيئ الله البذرة لتحـملها عن

طريق تخفيض وظائفها الحيـوية إلى أدنى حد ممكن، وبالتالي تستطيع الانتظار طويلاً طويلاً حتى تتهيأ الظروف البيئية المناسبة للإنبات فتخرج إلى ممارسة الحياة مرة أخرى بإذن ربها.

سبحانه القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام: ٩٥).

(٢٧) لماذا تختلف أشكال أوراق الشجر والنباتات؟

تتنوع أوراق النباتات جدًّا في أشكالها وأحجامـها بسبب اختلاف طبيعـة البيئات الأصلية للنباتات أو اختلاف نوعية الوظائف الحيوية التي تقوم بها الورقة، أو الاثنين معًا.

وهكذا فإن المناخ البـارد الثلجي الذي تعصف فـيه الريح أوقاتًا طـويلة على مدار العام تناسبـه أكثر الأوراق ذات الشكل الإبري، كمـا تكون أوراق النباتات في المناخ الجاف أكثر استدارة حتى تكون مساحة سطح التعرق أقل ما يمكن ويقل فقد الماء.

وفي المناخ الجاف توجـد أيضًا الأوراق المتـراكبة والحـرشفيـة كأوراق الصنوبريات وغيـرها، ولأن هذا الشكل المتراكـب يقلل خسارة المـاء عن طريق التعـرق إلى الحد الأدنى، كما أن الصباريات التي تنمو في الأصل في البيئات الصحراوية الجافة يكون لها أوراق سميكة عـادة لتكون قادرة على اختزان كميات كبيـرة من الماء الذي تحتاجه لفترات الجفاف الطويلة إذا تعرضت لها.

ولعلك تلاحظ يا عزيزي أن أوراق نباتات الظل عندنا أغلبها عريض وذات سطح واسع، وما ذلك إلا للاسـتفـادة بأكبر قـدر ممكن من الضوء في الظل، حـيث يقل الضوء عن الجو الطبيعي المعرَّض لضوء الشمس المباشر.

(٢٨) لماذا كان الكذب حرامًا؟

أولاً: إن الذي يحـدد ما هو الحرام ومـا هو الحلال هو الله وحـده، ولم يعط الله هذه السلطة لأحد من خلقه، حتى رسول الله ﷺ حين أراد أن يحرم على نفسه شيئًا قال الله تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (التحريم: ١).

ولذلك فعندما يقول الله تعالى إن الكذب حرام، فلا نقاش في ذلك الأمر ونحاذر من أن نكذب على الله فنُحِل الحرام أو نُحرم الحلال. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٦). وقد أخبرنا الله تعالى أن الكذب لا يصلح أن يكون من صفات المؤمنين، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥).

وصرَّح رسول الله ﷺ أن الكذب من الصفات التي يُعرف بها المنافق حين قال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**.

وحذرنا من الكذب كما حثنا على الصدق، فقال ﷺ: **«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»**.

ولكن يا عزيزي بعد كل هذا: لماذا نكذب؟ الذي يكذب هو الذي يخاف من الناس، والمؤمن لا يخاف إلا الله، والذي يكذب يداري على خطأ ارتكبه، والمؤمن لا يرتكب خطأً، وإذا ارتكبه استغفر وندم وتاب.

ولا يمكن أن تستقيم الحياة مع الكذب، فالعلاقات تنهار بين الناس إذا انهارت الثقة، ولتتخيل أنت أن زميلك الكذاب أخبرك بأن الامتحان يوم الإثنين وإذا به يوم الأحد، وألف مثال من هذا القبيل يمكن ضربه.

أنت يا عزيزي لا تكذب لأنك لا تحب أن يكذب الآخرون عليك، ولو كذبت أنت وكذب الآخرون جميعًا لتحولت حياة الناس إلى جحيم، ولذلك حرَّم الله تعالى الكذب والخيانة، وحث على الصدق والأمانة، وكان رسول الله ﷺ الصادق الأمين، وإن لنا فيه ﷺ لأسوة حسنة.

(٢٩) لماذا تجري الأشجار إلى الخلف في حين يجري القطار إلى الأمام؟

طبعًا الأشجار ثابتة في مكانها لا تتحرك، وإنما (تبدو) كأنها تتحرك، ويأتي إحساسنا بحركتها ونحن نركب قطارًا أو سيارة مثلاً، من وجود فرق بين سرعتنا

(التي تكتسبها أجسامنا نتيجة ركوبنا في شيء متحرك) وسرعة هذه الأشياء الثابتة التي نراها من نافذة القطار أو السيارة كالأشجار والبيوت وأعمدة الإنارة.

عندما نكون وقوفًا على الأرض لا يأتينا الإحساس بالحركة، لأن أجسامنا تكون ثابتة كثبات الأرض، أي: لا فرق بين سرعة أجسامنا وسرعة الأرض.

وعندما نكون وقوفًا وتمر بنا سيارة مسرعة فإننا نحس بحركة السيارة نتيجة الفرق بين سرعتنا (نعتبرها صفرًا لأننا وقوف، وحالة الثبات هي حالة سرعة تقدر بصفر) وسرعة السيارة المتحركة.

أما عندما نركب السيارة أو القطار، فنصير كأننا جزء منه، ولا يكون هناك فرق بين سرعتنا وسرعة القطار، ولهذا نستطيع أن نقرأ الجريدة أو نشرب فنجانًا من الشاي، وأن نمسك الأشياء بسهولة، رغم أن أجسامنا تتحرك بهذه السرعة الكبيرة.

إن إحساسنا في هذه الحالة يكون أننا ثابتون، وأن الأشياء الخارجية التي نراها من نافذة القطار هي التي تتحرك، فالفارق بين سرعتنا وسرعة هذه الأشياء الواقفة في مكانها يعطينا الإحساس بالحركة، ولأننا لا نحس بحركتنا كما أوضحت لك فإن هذه الأشياء (تبدو) متحركة في الاتجاه المخالف لاتجاه القطار، ولهذا نرى الأشجار والبيوت وغيرها تجري كلها للخلف بسرعة كبيرة عند النظر إليها من نافذة القطار.

(٣٠) إذا كانت الأرض تدور، فلماذا لا نشعر بدورانها؟

نحن لا نشعر بدوران الأرض لأن كل ما عليها بما في ذلك نحن أنفسنا يدور معها، فالبيوت والشوارع والأنهار والأشجار تبقى جميعها في أماكنها على الأرض وتدور معها، ولهذا لا يمكن أن نحس بدورانها لأنها بالنسبة لنا لم تتحرك من مكانها.

ويمكن لتوضيح ذلك أن نضرب المثل السابق عن حركة النملة فوق بطيخة كبيرة، إذا كانت النملة تقف في مكان معين قرب علامة معينة فوق سطح البطيخة، فإنك تستطيع أن تلف البطيخة الكبيرة بما فوقها، ولكن النملة لا تشعر بدوران البطيخة لأن موقعها بالنسبة للعلامة المعينة لم يتغير.

وهكذا نحن لا نشعر بدوران الأرض حول محورها لأننا ندور معها، ومعنا كل ما حولنا من علامات، كالجبال والأنهار والشوارع والبنايات، كل ذلك معنا ندور جميعًا بدوران الأرض، أما إذا دُرنا حول موقع ثابت فوقها- جبل مثلاً- فإننا نشعر بذلك لأن الجبل لم يَدُر معنا.

مثال آخر: إذا ركبت السيارة أو القطار أو الطائرة، فأنت تعرف أنها تتحرك بسرعة كبيرة جدًّا، ولكنك داخلها لا تشعر بذلك لأنك تبدو حينذاك كأنك جزء منها، تتحرك بنفس سرعتها، ولهذا لا تحس بحركتها مع أنها تتحرك بسرعة كبيرة جدًّا تستطيع اكتشافها إذا نظرت من النافذة للأشياء الخارجية كالبيوت التي لا تتحرك معها مثلاً.

(٣١) ولماذا لا نقع من فوق هذه الكرة في الفضاء الواسع؟

لأن الأرض تجذب الأشياء نحوها ولا تتركها تنفصل عنها، وتسمى القوة التي تمسك بالأشياء فوق الأرض كي لا تهوي في الفضاء الواسع: بقوة الجاذبية الأرضية. وبسبب هذه القوة تسقط الأشياء التي نقذفها إلى أعلى وتعود مرة أخرى إلى الأرض، وبسببها تسقط الثمار إذا انفصلت عن الشجرة، وبسبب قوة الجاذبية إذا قفزت أنت من فوق هذا المقعد تجد نفسك ملقى على الأرض، هكذا ترى يا عزيزي أن الأرض تشد كل شيء نحوها، ولهذا لا نقع من فوقها، أما الطيور فلكي تبقى طائرة ولا تسقط يجب عليها أن تحرك أجنحتها باستمرار ليحملها الهواء، وأحيانًا لا يحرك الطائر جناحيه إذا كانا كبيرين بحيث يستطيع تيار الهواء أن يحمله، وكذلك الطائرة لابد وأن تبقى آلاتها في حالة تشغيل دائم حتى لا تسقط من الجو.

(٣٢) إذا كانت الأرض لديها خاصية الجاذبية، التي تجذب بها الأشياء نحوها، فلماذا لا تجذب القمر والشمس والنجوم أيضًا؟

قلنا: إن الأرض تتميز بقوة الجاذبية الأرضية، التي بها تجذب كل الأشياء الموجودة فوقها، إلا أن تلك القوة تقل كلما ابتعدنا عنها، وبما أن النجوم بعيدة جدًّا عن الأرض، فإن الأرض لا تستطيع جذبها.

أما القمر فإن الأرض تجذبه نحوها، ولكنه يدور حول الأرض باستمرار، فينشأ من دورانه حول الأرض قوة تبعده عنها، وتسمى بقوة الطرد، وقد ثُبِّت القمر في

مساره المعين حول الأرض، لأنه في هذا المسار بالذات تتعادل قوة جذب الأرض للقمر مع قوة طرده عنها.

وقوة الطرد هذه يمكنك ملاحظتها بنفسك إذا ربطت كتلة ثقيلة في حبل ربطًا محكمًا، ثم أمسكت طرف الحبل، وقمت بتدوير هذه الكتلة بسرعة في الهواء، إنك تحس عند ذلك أن الكتلة تشد نفسها كأنها تريد أن تفلت من يدك، وأن الحبل مشدود جدًّا كأن هناك أحدًا يجذبه. وفي الحقيقة فإن الذي يجذبه هو قوة الطرد الناشئة عن تدويرك للكتلة، وهي قوة كبيرة لأنك إذا تركت الحبل فجأة فستجد أن هذه الكتلة قد ابتعدت عنك مسافة كبيرة، فالقمر محكوم في حركته بتأثير قوتين: قوة جذب الأرض له، وقوة الطرد الناشئة من دورانه حولها.

وكذلك الأرض محكومة في حركتها حول الشمس بتأثير قوتين: قوة جذب الشمس لها، وقوة الطرد الناشئة من دورانها حول الشمس، وكل النجوم والكواكب تتخذ مسارات معينة حول بعضها البعض في هذا الفضاء الواسع نتيجة تأثير قوى الجذب والطرد فيما بينها.

(٣٣) من أين تأتي الرياح؟

الرياح ما هي إلا كمية كبيرة من الهواء مندفعة في اتجاه معين، أليس من المناسب أن نسمي ذلك تيارًا هوائيًّا كما يقول مقدم النشرة الجوية في التليفزيون؟

فالرياح إذن هي تيار هوائي يهبُّ فوق سطح الأرض، لكن ما السبب في هذا الهبوب؟ إن الأرض محاطة كلها كما تعلم بالهواء له ضغط معين، وقد يحدث انخفاض في ضغط الهواء في منطقة معينة نتيجة حرارة الشمس التي تُسخن الهواء وترفعه إلى أعلى مثلاً، وعند ذلك يتحرك الهواء المجاور لهذه المنطقة مندفعًا إليها ليعوض الانخفاض في ضغط الهواء فيها، وحركة الهواء هذه هي ما نسميه الرياح، ونتيجة تفاوت الاختلافات في الضغط الجوي تختلف سرعة الرياح من مكان إلى آخر، فأحيانًا تكون مجرد نسمة بسيطة رقيقة، وأحيانًا تصل سرعتها في بعض الأماكن إلى حد أن تصبح عاصفة أو رياحًا مدمرة، بل قد تصبح أحيانًا إعصارًا يقتلع ما يقابله من أشجار وبنايات.

(٣٤) كيف يمشي الثعبان دون أرجل؟

الصحيح أن نقول: يزحف، ولا نقول: يمشي، لأن المشي يلزمه أقدام أو أرجل، والثعبان ليس له من ذلك شيء، فالثعبان من فصيلة الزواحف عديمة الأرجل، وتتم حركته بالزحف على الأرض عن طريق التواءات جسمه، وتفيده في هذا الزحف قوة عضلاته، وعند الزحف يرتكز الثعبان بواسطة إحدى عضلات جسمه على الأرض ثم يلتوي قليلاً ويضغط على جزء آخر من الجسم فيندفع بسهولة وانسيابية إلى الأمام.

ويختلف الثعبان بذلك عن بعض أنواع الزواحف كالسحالي التي تساعدها قدمان جانبيتان على الحركة إلى الأمام، وإن كانت بعض السحالي تكون قدماها من الضعف بحيث لا تغنيها عن الزحف ببطنها على الأرض، فتفعل مثلما يفعل الثعبان: تزحف لا تمشي، مستخدمة الحركة الملتوية للجسم.

(٣٥) لماذا لا يموت الثعبان بالسم الموجود في فمه؟

أولاً يا عزيزي يجب أن تعرف أن الثعابين ليست كلها سامة، وأن سم الثعبان لا يكون له تأثير إلا إذا دخل جسم الضحية من خلال جرح غائر يحدثه الثعبان بأنيابه، ومن لحظة اللدغ يحقن الثعبان السم في هذا الجرح، فيختلط بدم الملدوغ ويصاب بالتسمم. وسم الثعبان إفراز سائل لا يوجد بشكل دائم في فم الثعبان، بل تفرزه الغدد الخاصة بذلك- وهما غدتان في فم كل ثعبان- لحظة اللدغ نفسها، لأن ضغط الثعبان بأنيابه على لحم الملدوغ يسبب ضغطًا عكسيًا على الغدد السُّمية فتفرز السُّم الذي يدخل إلى لحم الملدوغ في هذه الحالة مباشرةً.

وتستطيع بعض الثعابين بخ سمها في وجه مَن يهاجمها، ولا خطر في ذلك إلا عيون المهاجم، لأن العيون تتأثر بهذه السموم التي قد تصَيبها بالعمى، وكثيراً ما فقد كلاب الرعاة نظرها من جراء ذلك عند مهاجمتها لهذه الأنواع من الثعابين.

وسم الثعابين يمكن استخلاصه من الثعابين بالضغط على الغدد السمية بطرق خاصة ويستعمل في صناعة بعض الأدوية والعقاقير الطبية، وفي صنع مصل واقٍ من لدغة الثعبان.

وفائدة السم للثعبان تنحصر تقريبًا في مساعدته في تحصيل غذائه فكثيرًا ما يلدغ الثعبان فأرًا مثلاً، فيهرب الفأر الملدوغ مسرعًا، ولكنه ما يلبث بعد فترة أن يموت بفعل السم، وحينئذٍ يظهر الثعبان الذي كان يتابعه من بعيد ليلتهمه بأكمله مرة واحدة، وهذه هي الفائدة الأساسية للثعبان من سُمِّه.

وليس لسم الثعبان فائدة كبيرة في الدفاع عن نفسه، فإذا هاجم أي حيوان كالكلب مثلاً الثعبان، فلا مفر من هلاك الثعبان حتى وإن قام بلدغ الكلب لأن السم لا يظهر أثره إلا بعد فترة تكون كافية تقريبًا لقتل الثعبان، ثم ما يلبث الكلب بعدها أن يموت متأثرًا بالسم إذا كانت جرعته كافية.

وفي كثير من الحالات لا تكون كمية السم كافية لقتل حيوان كبير أو إنسان، ولكن ينبغي مع ذلك الحذر من لدغة الثعبان لأن خطرها يساوي خطر الموت، ومن أجل هذا أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الثعبان في أي وقت نراه وحيثما وجدناه، قال ﷺ: «اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في الصلاة».

(٣٦) ما هذه النجوم الكثيرة التي نراها في السماء؟

ربما لا تعلم يا عزيزي أن هذه النقاط الصغيرة المضيئة التي تتناثر في السماء ونسميها (النجوم) هي في حقيقتها شموس كبيرة جدًا مثل شمسنا، وربما أكبر حجمًا بكثير، ولكن لأنها بعيدة جدًا عنا، تبدو صغيرة كما تراها، لأننا نرى كل شيء بعيد أصغر من حجمه الحقيقي، وكلما زاد بعده عنا بدا أصغر وأصغر.

إن إحدى هذه الشموس -التي نسميها النجوم- يبلغ قطرها ثلاثمائة ضعف قطر شمسنا، وتسمى يد الجوزاء، ومع ذلك لا نستطيع التأكد من أنها أكبر الشموس في الفضاء.

هل جربَّت يا عزيزي أن تعد النجوم؟ لا شك أنها فكرة مجنونة، لأنك لن تستطيع عدَّها أبدًا لكثرتها، ومع ذلك يبلغ عدد النجوم الممكن رؤيتها بالعين المجردة- في رأي بعض العلماء- حوالي ستة آلاف نجم، فهل تستطيع أن تحصر مثل هذا العدد بالعين المجردة إذا نظرت إلى السماء؟

ولكن النجوم في السماء أكثر بكثير من هذا العدد، وتستطيع التأكد من ذلك إذا

استخدمت التلسكوب المقرب حيث ستجد أن عدد النجوم يتضاعف كلما كان التلسكوب أقوى، ولن تفاجأ إذا علمت أن السماء تحتوي على آلاف الملايين من النجوم التي لا يمكن رؤية معظمها إلا بتلسكوب قوي، والحقيقة أنه من المستحيل الادعاء بمعرفة عدد النجوم في السماء على سبيل الحصر، وبالتالي معرفة مواقع هذه النجوم.

وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى في قوله: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٥، ٧٦).

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى هذه النجوم بحكمته، وجعل لنا منها فوائد كالتي أشار إليها عز وجل في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٧). وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك: ٥). فسبحان الله أحسن الخالقين!

(٣٧) كيف يحدث قوس قزح؟

قوس قزح عبارة عن انعكاس أشعة الشمس في جو ممطر من خلال قطرات المطر، حيث يتكسر ضوء الشمس ويتحلل إلى ألوانه الرئيسية التي نشاهدها في السماء على هيئة قوس ملون يلف الأفق، وتكون ألوان هذا القوس مرتبة بترتيب معين سبق أن تحدثنا عنه في سؤال آخر قبل الآن، وهو: الأحمر، والبرتقالي، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والبنفسجي.

وكلما كان حجم قطرات المطر كبيرًا كان قوس قزح كبيرًا واضحًا، بينما حبيبات المطر الصغيرة الحجم ينكسر الضوء خلالها فيعطي قوس قزح رفيعًا لا يسهل أن تتبين ألوان الطيف كلها خلاله، وقد يحدث أحيانًا أن ينكسر الضوء مرة أخرى من خلال قطرات مائية أخرى، فيرى عندئذٍ قوس قزح آخر، وتكون ألوانه في ترتيب معكوس بالنسبة لقوس قزح الأصلي.

(٣٨) لماذا يختلف منقار كل طائر عن غيره من الطيور؟

إن الله الخالق يعطي كل كائن حي من الأعضاء ما يساعده على البقاء، وعلى تناول طعامه الضروري لاستبقاء حياته، ومناقير الطيور هي العضو الذي منحه الله

سبحانه للطيور ليساعدها في الحصول على غذائها، وكان منطقيًا أن تتنوع أشكال هذه المناقير حسب احتياج الطائر في بيئته الأصلية التي نشأ فيها. ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

فمثلاً: تكون مناقير الطيور التي تعيش في المياه الضحلة كالمستنقعات طويلة دقيقة لتساعدها على البحث عن طعامها من الديدان في الطين والوحل.

وللطيور البحرية كالنورس مثلاً مناقير تشبه شكل الملاقط لتساعدها على إحكام الإمساك بالأسماك التي تغامر بالصعود قريبًا من سطح الماء.

وبعض مناقير الطيور البحرية مزود بأسنان حادة كالمنشار حتى لا تنزلق الأسماك فتفلت إلى الماء مرة أخرى.

ويوجد تحت منقار طائر الرخمة المعروف كيس كبير، أو حويصلة تسع جالونين من الماء، وحين يفتح هذا الطائر منقاره، فإنه يستطيع أن يغرف من الماء بما فيه من أحياء داخل هذه الحويصلة ليحصل على صيد حافل من الأسماك.

أما الطيور الجارحة كالنسور والصقور فالجزء العلوي من منقارها قوي مقوَّس يشبه الخطاف ليساعدها في تمزيق الفريسة، وطائر الببغاء يستطيع بمنقاره تكسير البندق وتقشير قلب البندقة بمساعدة لسانه، ومنقار الدجاجة ملائم لتناول الحبوب ونقر أغلفتها، والبحث في الأرض عما يلائمها من غذاء، مثلها مثل العصافير تمامًا.

ومنقار البط عريض لأن البط في الأصل طائر يعيش قريبًا من المياه الضحلة والمستنقعات، ويتغذى إلى جانب ما يستطيع اصطياده من أسماك على الطحالب والنباتات المائية الدقيقة الطافية فوق السطح، فأنسب أشكال المناقير لأسلوب تغذيته هو هذا المنقار العريض المزود ببعض الأسنان الدقيقة.

(٣٩) إذا كان الببغاء يتكلم مثلما نتكلم، فهل يفهم كلامنا؟

الببغاء طائر جميل ويتميز عن كل أبناء جنسه من الطيور بتقليد الأصوات التي يسمعها تقليدًا جيدًا، يقلد الأصوات، ولكن لا يتكلم بالمعنى المفهوم للكلام الذي هو لغة البشر، ولقد بُهِر الإنسان بالببغاء من زمان بعيد، بسبب قدرته على تقليد الأصوات، ويمكن تدريب بعض أنواع الببغاء على نطق جمل قصيرة فتنجح في ذلك



دون أن تفهم من معناها شيئًا بطبيعة الحال، ولكن بعض المدربين ينجحون في تدريبه على نطق كلمة معينة عند إشارة معينة فيتخيل المتفرج أن الببغاء قد فهم الإشارة، وهذا غير صحيح، فالمؤكد أن الببغاء لا يفهم كلامنا ولا يعرف لغتنا، ولحُسن الحظ فإن الببغاوات من أكثر الطيور تكيفًا مع حياة الأسرة والعيش في الأقفاص، ولذلك يسهل تربيتها في البيوت وفي الحدائق والاستمتاع بتقليدها للأصوات.

والمعروف عن الببغاء أنه يحب الأشخاص الذين يقدمون إليه الطعام ويتعاطف معهم، غير أنه يكون عصبي المزاج في تعامله مع الأغراب الذين لم يعرفهم من قبل.

(٤٠) ما سبب هذا الضوء الخاطف في السماء (البرق)؟

وما هذا الصوت القوي الذي نسمعه بعده (الرعد)؟

لكي تعرف يا عزيزي ما هو البرق، وما هو الرعد، لابد أن أشرح لك معنى التفريغ الكهربي، فالكهرباء تنقسم إلى نوعين: كهرباء موجبة، وأخري سالبة، وعند حدوث اتصال بين سلك به كهرباء موجبة وآخر به كهرباء سالبة يحدث ما نسميه (التفريغ الكهربائي)، ونشاهده على هيئة شرارة منبعثة من نقطة الاتصال.

وسوف أريك مثالاً لهذا التفريغ الكهربائي عندما أضع سلكًا ما بين القطب الموجب والقطب السالب لبطارية السيارة، على ألا تُجري هذه العملية إلا في حضوري حتى لا تُعرِّض نفسك لأخطار الكهرباء.

والبرق يا عزيزي ما هو إلا تفريغ كهربائي كبير بين الشحنة الكهربية الموجبة التي تحملها السحابة والشحنة السالبة التي تحملها الأجزاء المتساقطة على هيئة مطر.

ومصدر هذه الكهرباء على السحابة يرجع إلى تكسير قطرات الماء في تيار الهواء القوي العالي الذي يحول دون هبوط قطرات الماء إلى الأرض، فهذا التصادم العنيف بين قطرات الماء وتيار الهواء العاصف ينتج عنه شحنة كهربية موجبة على السحابة، وشحنة كهربية سالبة على الهواء المحيط بها، وعندما يزيد فرق الجهد بين الشحنة الموجبة والشحنة السالبة عن حد معين، يحدث هذا التفريغ الذي يكون له وميض شديد جدًا هو (البرق).

ولاحظ يا عزيزي أن فرق الجهد الذي يحدث عنده البرق لا يقل عن ١٠٠ مليون فولت، وفي لحظة التفريغ الكهربائي الكبير يحدث مع الوميض الشديد صوت قوي جدًّا هو (الرعد) الذي سألت عنه أيضًا، وسبب هذا الصوت التمدد المفاجئ في الهواء عندما يُسخَّن بفعل التفريغ الكهربي، ويحل محله تيار قوي من الهواء البارد، فهذه الحركات المفاجئة تحدث اهتزازات قوية يصدر عنها تلك الفرقعة الكبيرة التي نسميها (الرعد).

وينتقل صوت الرعد من مكان حدوث التفريغ الكهربي عبر الهواء الجوي على هيئة اهتزازات شبيه بما ينتج عن إلقاء حجر في الماء الراكد، وتظل تنتقل هذه الاهتزازات أو الموجات الصوتية حتى تصل إلينا، ولكن بما أن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت فإننا نرى البرق قبل أن نسمع الرعد.

(٤١) لماذا يكون ماء البحر مالحًا؟

تعرف يا عزيزي أن الأنهار تصب في البحار باستمرار، وهذه المياه التي يصبها النهر في البحر كانت أمطارًا ساقطة على مساحات واسعة من الأراضي والجبال قبل أن تتجمع في مجرى النهر، وتقوم مياه الأمطار بإذابة الأملاح التي تصادفها في مناطق سقوطها وتحملها إلى النهر الذي يحملها بدوره إلى البحر، وفي البحر تستقر هذه الأملاح، ولكن حين يتبخر الماء من البحر بكميات كبيرة -لأن سطح الماء فيه كبير وواسع- فإن الأملاح تظل في البحر ولا تصعد مع جزئيات البخار إلى الجو، ثم يتكون السحاب من البخار الكثير المتجمع، وتدفع الرياح هذا السحاب بعيدًا، وحين يثقل وزن السحاب وينزل منه المطر، يتكون من هذه الأمطار أنهار، أو تمتلئ الأنهار مرة أخرى بالمياه الجديدة التي أذابت عند سقوطها ما صادفها من أملاح الجبال والوديان والأراضي التي سقطت عليها.

وهكذا حين تصب الأنهار المياه الجديدة في البحر فإنها تحمل إليه من خلالها كمية جديدة من الأملاح، وبتكرار هذه العملية تزداد ملوحة البحار باستمرار، وقد وصلت مياه البحر إلى ملوحتها الحالية نتيجة تكرار عملية نقاء الأمطار للأملاح عن طريق الأنهار إلى البحار، وذلك عبر مئات الألوف من السنين.

(٤٢) كيف يتمكن الثعبان من ابتلاع فريسة حجمها أكبر من حجم جسمه؟

والسر فيها أن الفك العلوي للثعبان غير ملتحم بالجمجمة، كما أن الفك السفلي مكون من جزئين متصلين بأربطة مطاطة، ولذلك يستطيع الثعبان أن يفتح فمه إلى درجة يصعب تخيلها، ويستطيع أن يبتلع فرائسه التي تظن استحالة قدرته على ابتلاعها.

وللمساعدة في هذه العملية فإن جلد الثعبان أيضًا يستطيع أن يتمدد بصورة كبيرة، فسبحان الله ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠).



قواعد تُراعى عند ضرب الصغير

والضرب لا يبدأ قبل العاشرة، وهو آخر الدواء كما سبق ووضحنا، وهذه بعض القواعد التي تُراعى عند ضرب الصغير:

عن أبي أمامة قال: أقبل النبي ﷺ معه غلامان، فوهب أحدهما لعلي، صلوات الله عليه، وقال: «**لا تضربه فإني نهيت عن ضرب أهل الصلاة وإني رأيته يصلي منذ أقبلنا...**»(١).

إن الغرض من العقوبة في التربية الإسلامية إنما هو الإرشاد والإصلاح، لا الانتقام والتشفي، ولهذا ينبغي أن يراعى طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته، ويُشجع على أن يشترك بنفسه في تفهُّم وإصلاح الخطأ الذي أخطأه، وتغفر أخطاؤه وهفواته بعد إصلاحها.

مضار القسوة في الضرب:

ذكر ابن خلدون رحمه الله في مقدمته ما يفيد أنه ضد استعمال الشدة والقسوة في تربية الأطفال، يقول: «مَن كان مُربَّاه (أي: تربيته) بالعسف والقهر من المتعلمين والمماليك أو الخدم، سطا (أي: سيطر) به القهر، وضيق القهر على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخُبث خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلَّمه القهر المكر والخديعة، فصارت له هذه عادة وخُلُقًا، وفسدت معاني الإنسانية التي له» اهـ.

«كما يجب ألا يمس نوع العقوبة كرامة الطفل، وألا يكون فيها إهانة له، كأن يُضرب أمام الناس، أو يُعلن عندهم أنه سرق أو نحو هذا، فإن للطفل شخصية يجب أن تُراعى، وكرامة يجب أن تُصان، كثيرًا ما أخطأ المربون الغرض من العقوبة فضلوا السبيل، وظنوا مخلصين أن الشدة على البنين والبنات قد تأتي في ظنهم بخير ما يرجون، وذلك لقلة يقظتهم للحقيقة المؤلمة، فقد أدت الشدة إلى كثير من البلايا

---

(١) حسن: صحيح الأدب المفرد (١٢١) للألباني.

التي ولَّدت بعض المشاكل الاجتماعية التي يتألم منها المجتمع الإنساني، فجعلت الطفل كائنًا ميت النفس، ضعيف الإرادة، نحيف الجسم، مضطرب الأعصاب خائر العزيمة، قليل الشاط والحيوية. وإن كثرة الضرب وشدته لا تزيد الطفل إلا بلادة وجمودًا، على أن الطفل إذا وجد بجانبه من يُبصِّره بالواجب بالحكمة والموعظة الحسنة، ويستميله دائمًا إلى العمل، لم تكن هناك حاجة إلى هذه العقوبات القاسية، وإذا كان الغرض من العقوبة الإصلاح فالضرب ليس بوسيلة للإصلاح، وإن التفاهم على انفراد يؤدي إلى نتيجة أحسن من نتيجة السوط والعصا، ومن الخطأ أن تهدد الطفل بعقاب لن تقوم بتنفيذه، أو لا يمكنك تنفيذه، فقد يعود الطفل إلى الخطأ، فتزداد الخطورة والمشكلة»[(١)] .

أقول: وإن هدي النبي ﷺ في ذلك هو أكمل الهَدي، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله»[(٢)] .

وهذا شيء لا يفعله إلا أولو العزم وأولو الصبر، فلكي يكظم الإنسان غيظه عن ولده أو خادمه أو امرأته، فهذا لا يقدر عليه إلا الأقوياء الأشداء الذين قال عنهم النبي ﷺ : «**ليس الشديد بالصرعة[(٣)] ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(٤)] .

أما عن قواعد الضرب:

١- ألا يكون قبل سن العاشرة، وهذا في شأن الصلاة التي هي الركن الأعظم بعد الشهادتين، فلا شك أن ما هو دون الصلاة من الأمور الحياتية والسلوكية والتربوية فلا يُضرب الطفل عليها قبل ذلك السن، إلا ضربًا هو أيضًا دون الضرب

---

(١) التربية الإسلامية، لمحمد عطية الإبراشي (ص١٥٤، ١٥٥) بتصرف.

(٢) مسلم، كتاب الفضائل (٤٢٦٩).

(٣) الذي يصرع الناس بقوته.

(٤) البخاري، كتاب الأدب (٥٦٤٩)، ومسلم كتاب البر والصلة (٤٧٢٤)، وأحمد، باقي مسند المكثرين (٦٩٢١)، ومالك في الموطأ، كتاب الجامع (١٤٠٩)

من أجل الصلاة، من باب التهذيب حتى لا يترك الطفل يميع إلى سن العاشرة ويراعى الاعتدال قدر الإمكان.

٢- أن يقلل منه ما أمكن بحيث يكون كالملح في الطعام، وهو قليل، لكنه يصلح الطعام، فإذا كثر أفسد، وكذلك فإن كثرة الضرب تقلل من هيبته ومفعوله، وتعوِّد الطفل عليه ثم على البلادة، قال ﷺ: «لا يُجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله»[(١)] . وعليه فإن أقصى الضرب عشر ضربات، وهذا في حق البالغ المكلف، فما بالنا بمن لم يبلغ سن التكليف؟ لا شك أنه لن يُضرب إلى العاشرة، وقد كان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله يكتب إلى الأمصار: لا يَقرِن المعلم (معلم القرآن) فوق ثلاث، فإنها مخافة للطفل[(٢)] . والضرب هنا يسمى تأديبًا وليس عقوبة.

ورأى القاضي شريح ألاَّ يُضرب الصبي على القرآن إلا ثلاثًا، كما غطَّ جبريل عليه السلام محمدًا ﷺ ثلاثًا.

٣- علماء التفسير على أن الضرب بالسوط ينبغي أن يصيب الجلد فقط، ولا يعدوه إلى اللحم، فكل ضرب يقطع اللحم أو ينزع الجلد أو يجرح اللحم فهو مخالف لحكم القرآن، والمقصود من قوله: ﴿فَاجْلِدُواْ﴾ (النور: ٢). وهو ظاهر البشرة من جسم الإنسان، وهو أن يُجلد، أي: يُضرب على جلده مائة جلدة عقوبة لما صنع[(٣)] . وهذا العدد بخصوص البالغين عند إقامة الحد عليهم.

٤- ألا يكون السوط غليظًا أو به عُقد لورود النهي عن ذلك، فعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله ﷺ، فدعا له رسول الله ﷺ بسوط، فأُتي بسوط مكسور، فقال: «فوق هذا». فأُتي بسوط جديد لم تُقطع ثمرته (عقدة طرفه) فقال: «دون هذا». فأُتي بسوط قد رُكب به (ذهبت عقدة طرفه) ولان (أي: صار لينًا)، فأمر به رسول الله ﷺ فجُلد ثم قال ﷺ: «أيها

---

(١) البخاري، كتاب الحدود (٦٣٤٢)، والترمذي كتاب الحدود (١٣٨٣)، وأبو داود كتاب الحدود (٣٨٤٩)، وأحمد مسند المدنيين (١٥٨٩٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، كتاب العيال (١/ ٥٣١).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (سورة النور) (ص٢٤٩).

الناس ! قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، مَن أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر الله، فإنه من يُبد لنا صفحته[١] ، نُقِم عليه كتاب الله»[٢] . (أي: نقيم عليه الحد).

٥- ألاَّ يرفع الضارب يده رفعًا عاليًا كما قال عمر رضي الله عنه للضارب: «لا ترفع إبطك»[٣] . والمقصود في هذا ألاَّ يكون الضرب مبرحًا أي: قويًا وشديدًا، لنهي النبي ﷺ عن ذلك كما سيأتي.

ويأمر ﷺ بوقف الضرب عن الطفل إذا استغاث بالله:

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، ينبغي على عباده إذا ذُكر اسم الله عندهم أن يخشعوا ويهجعوا، ويستحيوا ويرجعوا، فإذا ضُرب الطفل فاستغاث بالله، فينبغي لمؤدبه ومربيه أن يستجيب، وأن يوقف الضرب؛ تقديسًا لاسم الله وتعظيمًا لشأنه جل وعلا، ورحمةً بالطفل. قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومَن سألكم بالله فأعطوه»[٤] .

قال المباركفوري: قال الطيبي: «هذا إذا كان الضرب لتأديبه، وأما إذا كان حدًا فلا، وكذا إذا استغاث مكرًا» اهـ[٥] . ولا عبرة بقول أهل الجدل أن الطفل سيتخذها حيلة ومخرجًا من العقوبة في كل مرة، لأن البركة والتوفيق والهداية كلها في طاعة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٥٤).

وصحيح أنه يمكن أن يحتال بذلك بعض الأطفال، لكن مَن الذي أوصلهم إلى

---

(١) يعترف على نفسه بما استتر من أمره، ومعنى القاذورات هنا: الفواحش.

(٢) **صحيح**: موطأ مالك، كتاب الحدود (٢١٩٩)، والحاكم في المستدرك (ج٤/ ح٧٦١٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وانظر صحيح الجامع (ح١٤٩)، عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال المصطفى ﷺ بعد رجم الأسلمي: «**اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله وليتب إلى الله، فإنه من يُبد لنا صفحته، نُقم عليه كتاب الله**».

(٣) التمهيد لابن عبد البر (ج٥/ ص٣٣٤)، سنن البيهقي الكبرى (ج٨/ ص٣٢٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (ج٥/ ص٥٢٩).

(٤) **صحيح**: انظر صحيح الجامع (ح٦٠٢١) عن ابن عمر.

(٥) تحفة الأحوذي (ج٦/ ص٦٨).

هذه الدرجة واضطرهم إلى الدهاء والمكر؟ فلابد من التراجع من المربي، ومراجعة الأخطاء، والانطلاق من قاعدة شرعية تربوية علمية صحيحة، حتى لا يحدث التعارض والتصادم في الجانب التربوي.

وأعود فأقول: إنه لا ينبغي الإكثار من العقوبة لما يترتب على ذلك من الآثار السيئة، «فالشدة المستمرة مع الأطفال مضرة بهم جسميًا وخلقيًا ووجدانيًا، ولابد إذًا من الأخذ بالحكمة القائلة: الوقاية خير من العلاج. فالمربي الحازم هو الذي يبعد الطفل عن البيئة التي تشجعه على الأخطاء[1].

ويمنع ﷺ من ضربه في الأماكن الحساسة وعند الغضب:

لا شك أن الذي يعاقب طفله وهو غضبان ستكون العقوبة أولاً غير مجدية، ثانيًا منفرة وستورث في الطفل الكراهية، ثالثًا يكون الضرب ساعتها ليس للتربية وإنما للتشفي وإخراج غل الصدر كله على الطفل المسكين، رابعًا فإن الغاضب بهذا الوصف في الغالب أنه لن يراعي حدود الله تعالى في ضوابط الضرب، فربما ضرب الوجه، أو ضرب أماكن حساسة كالرأس والرقبة والفرج، فإنها أماكن لا يجوز ضربها، وربما سببت ضربة أليمة عاهة مستديمة، بل ربما أودت بحياة الطفل أو الطفلة، والأمثلة كثيرة، والمآسي مثيرة، وقد أُتي عليٌّ رضي الله عنه برجل سكران أو في حد، فقال: «اضرب وأعط كل عضو حقه، واتق الوجه والمذاكير»[2].

وقال ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه»[3]. ومن هنا ندرك قيمة تكرار النبي ﷺ الوصية لرجل كلما قال: أوصني، قال: «لا تغضب». قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال؛ فإذا الغضب يجمع الشر كله[4].

---

(١) كتاب: الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام (ص١٦٤)، ينقله عن كتاب: الطفل في الشريعة الإسلامية لمحمد صالح.

(٢) أحكام القرآن، للجصاص (٣/ ٣٢٢)، وابن أبي شيبة (ج٥/ ص٥٢٩).

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٤٧٢٩)، وأبو داود كتاب الحدود (٣٨٩٥)، وأحمد باقي مسند المكثرين (١٠٣١٤)، بلفظ: «**إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتق الوجه، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته**».

(٤) البخاري، كتاب الأدب (٥٦٥١)، وأحمد (٢٢٠٨٨)، وهذا لفظه.

ما بعد العاشرة
المراهقة والشباب
نصائح ووصايا

لقـد قدمت السنة المطهـرة إلى الشبـاب أفضل المقـومات وأرقى المؤهـلات وأقوم السبل لإيجـاد شباب سوي، مؤمـن جلد، قوي جاد، له شخـصيته المتـميزة، أهل لحمل الرسالة وتأدية الأمانة وقيادة سفينة النجاة لإنقاذ الإنسانية من حيرتها والوصول بها إلى طريق النور والهداية والرشاد والأمن والاستقرار والسعادة(1) .

قال تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(إبراهيم: ١) . وقال جل شأنه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾(طه: ١٢٣، ١٢٤) . وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(النور: ٤٠) .

وأهم تلك المقومات ما يأتي:

أولاً: تربيتهم على الجلد والرجولة والخشونة.

ثانيًا: تربيتهم على الرياضة والفروسية.

ثالثًا: تربيتهم على التنافس والتسابق في الخير.

رابعًا: تربيتهم على الاستقامة.

خامسًا: حسن تصريف طاقاتهم.

سادسًا: حسن استثمار الوقت.

سابعًا: الابتعاد عن المثيرات الجنسية.

ثامنًا: تزويجهم.

تاسعًا: نبذ التقليد.

---

(١) انظر: منهج السنة النبوية (ص٩٣ - ١٢٥).

أولاً: تربيتهم على الجلد والرجولة والخشونة(١):

١- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعث به إلى اليمن قال: «إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»(٢) . وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف: ١٨) . أي: يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم(٣) ومجاراة الرجال كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحتج به على من يخاصمه، وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهم عن فطرة الرجال، يقال: قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها، وفيها أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام، وأنه من صفات ربات الحجال(٤) ، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك، ويأنف منه، ويربأ بنفسه عنه، ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه: «اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا»(٥) . وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى(٦) .

٢- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ : «ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان»(٧)

---

(١) الجلد: القوة والشدة والصبر، والجلد الصلابة، والجلادة والتجلد تكلف الجلادة، وتجلد أظهر الجلد - لسان العرب (ص٦٥٤) بتصرف. والرجولة: الشدة والكمال، وإذا قلت هذا أرجل الرجلين، أي أشدهما: أو فيه رجلية ليست في الآخر - لسان العرب (ص١٥٩٦، ١٥٩٧) بتصرف. والخشونة: ضد اللين، وتخشن واخشوشن الرجل: لبس الخشن وتعوده، أو أكله أو تكلم به، أو عاش عيشًا خشنًا، وقال قولاً فيه خشونة- لسان العرب (ص١١٦٨) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣، ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٥٥)، وأورده المنذري في الترغيب (٣/ ١٥٥)، والهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٥٠) وقالا: رجاله ثقات.

(٣) مجاثاة الخصوم: من جثا يجثوا: جلس على ركبتيه للخصومة. لسان العرب (ص٥٤٦).

(٤) ربات الحجال: أي النساء ومنه أعروا النساء يلزمن الحجال والحجل مشي المقيد (اللسان ٧٨٨).

(٥) واخشوشب في عيشه: شظف وقالوا تمعددوا واخشوشبوا: أي اصبروا على جهد العيش، وقيل تكلفوا ذلك ليكون أجلد لكم، ويقال: اخشوشب الرجل: إذا كان صلبًا خشنًا في دينه وملبسه ومطعمه وجميع أحواله. لسان العرب (ص١١٦١) بتصرف.

(٦) الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٣)، والألوسي (٢٥/ ٧١) في روح المعاني.

(٧) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٩٣) (٤١٦١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٩) (٤١١٨)، وقال: البذاذة: القشافة يعني التقشف، والحاكم (١/ ٩)، وذكر في هامشه: البذاذة: هي رثاثة الهيئة: أراد التواضع في اللباس.

٣- وعن عبيد الله بن بريدة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر، فقدم عليه فقال: أما إني لم آتك زائراً ولكني سمعت أنا وأنت حديثًا من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما لي أراك شعثًا وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه[١].

والإرفاه: الاستكثار من الزينة وألا يزال يهيئ نفسه، وكره رسول الله ﷺ الإفراط في التنعم والتدلك والتدهن والترجيل في نحو ذلك من أمر الناس، فأمر بالقصد في ذلك وليس معناه ترك الطهارة والتنظيف، فإن الطهارة والنظافة من الدين[٢].

ولا تعارض بين هذه الأحاديث الداعية إلى التقشف والتواضع في اللباس وعدم الغلو في التطهر والتنظف، وبين الأحاديث الكثيرة الداعية إلى إظهار نعم الله وتجنب كتمانها وإلى التجمل والتطهر والتنظف، إنما المقصود من هذا هو خلوص القلب لله عز وجل وتصفيته من كل العلائق والشهوات فإن الغلو في التزين وما إلى ذلك، والاستمرارية عليه بدون انقطاع قد يصير في وقت عبودية، شعر الإنسان بذلك أم لم يشعر.

فيستحب التخلي عن ذلك بعض الوقت بين الحين والحين لله عز وجل كما يستحسن التطهر والتنظف والتجمل في معظم الأوقات لله أيضًا لا للمفاخرة ولا للمباهاة وكسر قلوب الضعفاء الفقراء، هذه ناحية.

والمقصود الآخر: هو ترويض النفس وتدريبها على تحمل المشقات والتجلد عند الشدائد قبل أن تأتي الفتن[٣]، فإذا جاءت كان الإنسان قد تهيأ لاستقبالها، وتروض على تحملها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٩٢، ٣٩٣) (٤١٦٠)، والنسائي في الزينة باب «الترجل غبًّا» (٨/ ١٣٢)، وفي روايته «قلنا وما الإرفاه؟ قال: الترجل كل يوم»، وأحمد (٦/ ٢٢).

(٢) قاله الخطابي في معالم السنن (٤/ ٣٩٣).

(٣) والفتن آتية لأن طريق الإيمان لابد لسالكه من الاختبار والابتلاء والامتحان قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» أخرجه البخاري في الرقاق باب حجبت النار بالشهوات (١١/ ٣٢٧) (٦٤٨٧)، ومسلم في الجنة (٤/ ٢١٧٤) (١) (٢٨٢٢) واللفظ له.

٤- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشرب قلبه حب الدنيا، التاط بثلاث: شقاء لا ينفد، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه، والدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا، حتى يستوفي منها رزقه»(١).

٥- وعن فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهم: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم، الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب، يتشدقون بالكلام»(٢). وفي رواية: «إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم، ونبتت عليه أجسامهم»(٣).

وقال قتادة: «وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون»(٤).

فطالبت السنة المطهرة بالتعود على التقشف لأن المتقلب في الترف والنعيم عندما يكبر يسترسل في الترف والملذات، فيختار دائمًا الطريق السهل، ولا يمكن أن يركب الصعاب، وقد يهرب من المسئولية، ويجبن عند لقاء الأعداء، بل قد يفر في معارك الرجال وذلك لأنه نشأ نشأة لينة طرية، لا رجولة فيها ولا خشونة، لا صبر فيها ولا مصابرة، وقد يشعر دائمًا بالعجز عن القيام بالأهداف العظام ومعالي الأمور، لأن ذلك يحتاج إلى بذل وجهد وتضحية لا طاقة له بها، وقد اعتاد الأخذ فقط، ولم يتعود على العطاء، وقد يتعرض للفشل تلو الآخر، لأنه لا طاقة له للعمل الدءوب الجاد، وإذا تزوج أصيبت قرينته بخيبة الأمل، إذ لا يمكن الاعتماد عليه، وقد تفشل الحياة الزوجية، وكذلك الزوجة المدللة المترفة لا يمكن لها أن تجابه الحياة بما فيها من

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٢٠) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٦) رواه الطبراني بإسناد حسن، ومعنى التاط: أي التصدق به النهاية (٤/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص٧٧)، وابن أبي الدنيا في الجوع (١/ ٩)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢٤٩)، وابن عساكر في التاريخ (٩/ ٦٠).

(٣) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٥٣) رواه البزار وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وقد وثق والجمهور على تضعيفه.

(٤) أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٣٢) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

بلاء وكبد ومشقات، والأمة التي تنشئ شبابها على الترف الزائد تنشئ جيلاً ناعمًا لا يصلح لشدائد الحياة.

مر النسيم يجرح خديه ★ ولمس الحرير يدمي بنانه

ولقد حرصت السنة على المظاهر الجسمية والنفسية في مجال الجنس، إنها تحب أن يكون الرجل واضح الرجولة، والأنثى واضحة الأنوثة، وتكره التخنث والميوع، وتكره المتشبهين بالنساء، والمتشبهات بالرجال، لأنها تحترم الطاقة الجنسية على فطرتها السليمة، تحترمها احترامًا جادًا لا على أنها وسيلة للفحش ولا على أنها وسيلة للتميع والانحلال، إنها لا تحتقر الجسم ولا تستقذره ولا تستنكره وأبلغ دليل على ذلك أن العبادات الإسلامية تشرك الجسم في العبادة ولا تسقطه من الحساب.

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[١] .

٧- وعنه رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المترجلات من النساء والمخنثين من الرجال، وقال: «**أخرجوهم من بيوتكم**» . قال: فأخرج رسول الله ﷺ فلانًا وأخرج عمر فلانًا»[٢] .

٨- وعن أبي مليكة قال: «قيل لعائشة رضي الله عنها: إن امرأة تلبس النعل. فقالت: لعن رسول الله ﷺ الرَّجلة من النساء»[٣] .

٩- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة - منهم - والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث**»[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري في اللباس باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال (١٠/ ٣٤٥) (٥٨٨٥) وأبو داود في اللباس (٤/ ٣٥٥) (٤٠٩٧)، والترمذي في الأدب باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء (٨/ ٦٩) (٢٩٣٥)، وابن ماجه في النكاح باب في المخنثين (١/ ٦١٤) (١٩٠٤)، وأحمد (١/ ٢٥٤/ ٣٢٠)، (٢/ ٢٠٠/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٤) (٢٠٠٦) شاكر وقال: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في اللباس باب في لباس النساء (٤/ ٣٥٥) (٤٠٩٩). والرجلة: يقال امرأة رجلة، إذا تشبهت بالرجال في زيهم وهيئاتهم.

(٤) أخرجه البزار في مسنده (١٨٧٦)، وأحمد (٢/ ١٣٤) - (٦١٨٠ شاكر) وقال: إسناده صحيح، =

ثانيًا: تربيتهم على الرياضة والفروسية:

حثت السنة المطهرة الشباب على فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك سائر أنواع استعمال السلاح والمسابقة بالخيل وغيرها، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدريب والتحذق فيه ورياضة الأعضاء بذلك.

١- فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: **«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»**(١).

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي أضمرت(٢) من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع(٣)، وسابق بين الخيل التي لم تُضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق»(٤).

وفي الحديث جواز المسابقة بين الخيل، وجواز تضميرها، وهما مجمع عليهما للمصلحة في ذلك وتدريب الخيل ورياضتها وتمرينها على الجري وإعدادها لذلك لينتفع بها عند الحاجة في القتال كرًّا وفرًّا(٥).

٣- وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالرمي فإنه خير لعبكم»**(٦).

= وفي رواية: **«ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة منها المرأة المترجلة والديوث»** أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢٣٥)، وابن حبان (٥٦)، والنسائي (١/ ٣٥٧).

(١) أخرجه مسلم في الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه (٣/ ١٥٢٢) (١٦٧) (١٩١٧)، وأبو داود في الجهاد باب في الرمي (٣/ ٣٠) (٢٥١٤)، والترمذي في التفسير (٨/ ٤٧٣) (٥٠٧٨)، وابن ماجه في الجهاد باب الرمي في سبيل الله (٢/ ٩٤٠) (٢٨١٣)، والدارمي في الجهاد باب فضل الرمي والأمر به (٢/ ٢٠٤)، وأحمد (٤/ ١٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣).

(٢) **أضمرت**: وهو أن يقلل علفها مدة وتدخل بيتًا كنينًا وتجلل فيه لتعرف ويجف عرقها فيجف لحمها وتقوى على الجري، قاله النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٤).

(٣) وأما ثنية الوداع فهي عند المدينة، سميت بذلك، لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها المصدر السابق (١٣/ ١٤).

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٧٠)، ومسلم (١٨٧٠)، ومالك في الموطأ (٢/ ٤٦٧).

(٥) قاله النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٤).

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط والبزار كما في الترغيب للمنذري (٢/ ١٧٠)، وقال: وإسنادها جيد =

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ وأسلم يرمون فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا، ارموا وأنا مع ابن الأدرع». فأمسك القوم قسيهم قالوا: مَن كنت معه غلب. قال: «ارموا وأنا معكم كلكم»(١) .

٥- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله(٢)، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحبُّ إليَّ مِن أن تركبوا، ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها- أو قال: كفرها-»(٣) .

وفي رواية: «كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة»(٤).

وفي هذا بيان أن جميع أنواع اللهو محظورة وإنما استثنى رسول الله ﷺ هذه الخلال من جملة ما حرم منها لأن كل واحد منها إذا تأملتها وجدتها معينة على حق أو ذريعة إليه، ويدخل في معناها ما كان من المثاقفة(٥) بالسلاح والشد على الأقدام

= قوي، وأورده الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٦٩) وقال رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبد الوهاب بن بخت وهو ثقة.

(١) أخرجه ابن حبان (١٦٤٦)، والحاكم (٢/ ٩٤) وصححه ووافقه الذهبي، وله شاهد عند البخاري (٦/ ١٠٧) (٢٨٩٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٥٠)، وابن ماجه في الجهاد (٢/ ٩٤١) (٢٨١٥) وقال في الزوائد إسناده صحيح.

(٢) وهو الذي يناول الرامي النبل، وقد يكون ذلك على وجهين أحدهما أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناوله واحد بعد واحد، والوجه الآخر أن يرد عنه النبل المرمى به، ذكره الخطابي في معالم السنن (٣/ ٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٨، ٢٩) (٢٥١٣)، والترمذي (٥/ ٢٦٥) (١٦٨٧)، وابن ماجه (٢/ ٩٤٠) (٢٨١١)، والنسائي (٦/ ٢٢٣)، والدارمي (٢/ ٢٠٥)، وأحمد (٤/ ١٤٤).

(٤) أخرجه النسائي كتاب عشرة النساء (٢/ ٧٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٨٩)، وذكره المنذري في الترغيب (٢/ ١٧٠)، والهيثمي في المجمع (٦/ ٢٦٩)، وقال رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبد الوهاب بن بخت وهو ثقة.

(٥) **والثقاف**: حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج اللسان (ص٤٩٢)، والثقاف العمل بالسيف يقال: فلان من أهل المثاقفة وهو مثاقف حسن الثقافة بالسيف. نفسه.

ونحوهما مما يرتاض به الإنسان فيتوقح[1] بذلك بدنه ويتقوى به على مجالدة العدو، فأما سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو كالنرد والشطرنج والمزاجلة بالحمام، وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به في حق، ولا يستجم به لدرك واجب فمحظور كله[2] .

وقال عمر رضي الله عنه: «علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبًا»[3] .

وقال رضي الله عنه: «لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم؛ نزعتم في القسي، ونزوتم على ظهور الخيل»[4] . وقال رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية»[5] .

زد على ذلك أن الرياضة والحركة من أقوى الأسباب في حفظ الصحة، فإنها تسخن الأعضاء، وتسيل فضلاتها، فلا تجتمع على طول الزمان، وتعود البدن الخفة والنشاط وتجعله قابلاً للغذاء، وتقوي الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منها في وقته، وكان باقي التدبير صوابًا، ووقت الرياضة انحدار الغذاء وكمال الهضم، والرياضة المعتدلة هي التي تحمر فيها البشرة وتربو ويتندى بها البدن، وأي عضو كثرت رياضته قوي، وخصوصًا على نوع تلك الرياضة، بل كل قوة فهذا شأنها، فإن استكثر من الحفظ قويت حافظته، ومن استكثر من الفكر قويت قوته المفكرة، ولكل عضو رياضة تخصه فللصدر القراءة، فليبتدئ فيها من الخفية إلى الجهر بتدريج، ورياضة السمع بسمع الأصوات والكلام بالتدريج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل، وكذلك رياضة اللسان في الكلام، وكذلك رياضة البصر وكذلك رياضة المشي بالتدريج شيئًا فشيئًا،

---

(١) يتوقح: أي يصلب ويقوي لسان العرب (ص٤٨٨٨).

(٢) قاله الخطابي في معالم السنن (٣/ ٢٨، ٢٩).

(٣) نثر الدر (٢/ ٢٦ - ٣٩)، وابن الجوزي في مناقب عمر (ص٢٨).

(٤) نثر الدر (٢/ ٣٩)، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٦/ ٢٧١)، وقسي جمع قوس لسان العرب (٣٧٧٣)، والقوس معروف وهي التي يرمى بها، والنزو: الوثبان لسان العرب (٤٤٠٢)، يقال نزوت على الشيء أنزو نزوًا إذا وثبت عليه، وانتزع الرمح: اقتلعه ثم حمل. لسان العرب (٤٣٩٥).

(٥) ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ١٦٨).

وأما ركوب الخيل ورمي النشاب والصراع والمسابقة على الأقدام فرياضة للبدن كله، وهي قالعة لأمراض مزمنة كالجذام والاستسقاء والقولنج(١).

وتهدف التربية الرياضية إلى تنمية اللياقة البدنية، والنمو الجسمي للشباب بما يكسبهم درجة عالية من التحمل لمشاق العمل، ومقاومة الإجهاد والتعب وكذلك استثمار أوقات الفراغ فيما يوظف طاقات الشباب، ويعمق في نفوسهم معاني الشجاعة والإقدام، فيكونوا قادرين على حماية مجتمعهم من الفساد والتحلل ووطنهم من الغزو بأنواعه، ويقاس على ذلك أنواع الرياضة المستخدمة التي تربي أجساد الشباب، وتزيدها قوة ومتانة على هدي أوامر الإسلام في أوقات الرياضة، وتعلم أنواع الرمي المختلفة، واستعمال أنواع الأسلحة المتعددة، وقيادة الطائرات والسفن الحربية، وكل أمر يتعلق بالإعداد الجسمي والنفسي والميداني للشباب.

إن الإسلام في حاجة إلى كيان سليم قوي فياض متحرك متمكن من الحياة، إن رسالته هي رسالة القوة في الحق، القوة في البناء والتعمير، القوة في حمل الأمانة، القوة في القيام بمقتضياتها، القوة في الجهاد في سبيلها، والمسلم المجاهد القوي من أزهد الناس في متاع الحياة الدنيا وزينتها إنما هي زهادة القوة لا زهادة اللامبالاة.

ثالثًا: تربيتهم على التنافس والتسابق في الخير:

المنافسة: الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه، ونافست في الشيء منافسة: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم(٢).

ولقد كان النبي ﷺ يأمر بالمبادرة إلى العمل الصالح قبل حلول العوائق والفتن.

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**(٣). والحديث يحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل

---

(١) ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) لسان العرب (٣٠٥ ٤) بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١/ ١١٠) (١٨٦) (١١٨)، والترمذي (٦/ ٤٣٨) (٢٢٩١)، وأحمد (٣/ ٣٠٤)، والبغوي في شرح السنة (١٥/ ١٥) (٤٢٢٣).

تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم الليل المظلم لا المقمر(١) .

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنظرون إلا إلى فقر منسٍ أو غنى مطغٍ أو مرض مفسد أو هَرَم مُفند، أو موت مجهز أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر»(٢) . وهذا الحديث خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في أمر دينهم، أي: متى تعبدون ربكم، فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن، فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف القوى(٣) . والقصد الحث على البدار بالعمل الصالح قبل حلول شيء من ذلك.

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»(٤) .

٤- وعن عابس الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستًا: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم، ما يقدمونه إلا ليغنيهم»(٥) .

٥- وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال الأعمش: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال: «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة»(٦) .

---

(١) قاله النووي في شرح مسلم (٢/ ١٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٦/ ٥٩٢) (٢٤٠٨)، وابن المبارك في الزهد (٣/ ٧)، وأورده النووي في رياض الصالحين (ص٥٨)، وقال رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٣) المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/ ٥٩٢، ٥٩٣).

(٤) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٤/ ٢٢٦٧) (١٢٨) (٢٩٤٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣٤٨) (٤٠٥٦)، وأبو داود الطيالسي (٢٧٧٠)، وأحمد (٢/ ٣٠٤، ٣٣٧، ٣٧٢، ٤٠٧).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٤٩٤)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٣٤)، وابن أبي الدنيا في العقوبات (١/ ٧٨)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٧٩).

(٦) أخرجه أبو داود (٥/ ١٥٧) (٤٨١٠)، والبيهقي في الزهد (١/ ٨٨)، والحاكم (١/ ٦٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

٦- وعن الفضل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة»[١] . وكان رسول الله ﷺ أسبق الناس إلى الخير وأسرعهم إلى فعل المعروف.

٧- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا». قال: وجدناه بحراً أو إنه لبحر وكان فرسًا يبطأ»[٢]. والمعنى: لما سمعوا صوتًا في الليل خافوا أن يهجم عليهم عدو فاستقبلهم النبي ﷺ بعد أن سبق إلى الصوت واستكشف الخبر فلم يجد ما يخاف منه فرجع يسكنهم ويهدئ من روعهم[٣] .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون إلى فعل الخيرات، ومن ذلك:

٨- ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»**. قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»**. قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا»[٤] .

وحثت السنة المطهرة على التنافس في طاعة الله عز وجل:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٤)، أبو داود (١٧٣٢)، وابن ماجه (٢٨٨٣)، والحاكم (١/ ٤٨٤)، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (٤/ ٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٧٠) (٦٠٣٣) في الأدب، ومسلم في الفضائل باب شجاعة النبي عليه الصلاة والسلام وتقدمه للحرب (٤/ ١٨٠٢) (٤٨) (٢٣٧)، والترمذي (٥/ ٣٣٣) (١٧٣٧)، وابن ماجه (٢/ ٩٢٦) (٢٧٧٢)، والبحر: الفرس الكثير العدو، قاله القاضي عياض في مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢١٤).

(٣) قاله الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٧٢) بتصرف.

(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ٣١٣) (١٦٧٨)، والترمذي (١٠/ ١٦١) (٣٧٥٧)، وقال حسن صحيح والحاكم (١/ ٤١٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

٩- فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في الهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»(١) .

والمراد الاستباق معنى لا حسًّا لأن المسابقة على الأقدام حسًّا مقتضى السرعة في المشي وهو ممنوع منه(٢) .

١٠- وعن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»(٣) . والمراد خلق وإيجاد روح التنافس والغبطة في فعل الخير وبذل المعروف بين أبناء المسلمين، وهذا شحذٌ للهمم وتربية للعزائم على استمرار الطاعة لله عز وجل وملء ميدان المسلمين بذكر الله ومن والاه.

وقال جل شأنه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨) . والآية تتضمن الحث على المبادرة والاستعجال بذكر الله ومن والاه(٤) .

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣) . أي: بادروا أو سابقوا إلى أسبابهما من الأعمال الصالحة، والظاهر العموم، ويدخل فيه سائر الأنواع(٥) من أداء الفرائض إلى الجهاد إلى التوبة إلى سائر أنواع البر.

ولا شك أن الموجب للمغفرة ليس إلا فعل المأمورات وترك المنهيات فكان هذا أمرًا بالمسارعة إلى فعل المأمورات وترك المنهيات، ثم إنه تعالى بين أنه كما تجب

---

(١) أخرج البخاري في الأذان (٢/ ١١٤) (٦١٥)، ومسلم في الصلاة (١/ ٣٢٥) (١٢٩) (٤٣٧)، والترمذي (٢/ ١٦) (٢٢٥)، والنسائي (١/ ٢٦٩)، وأحمد (٢/ ٣٠٣ - ٥٣٣).

(٢) شرح السيوطي على سنن النسائي (١/ ٢٦٩)، ونقله الحافظ في الفتح (٢/ ١١٥).

(٣) أخرجه البخاري في العلم (٨/ ٦٩٠) (٥٠٢٥)، ومسلم في صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (١/ ٥٥٨) (٢٢٦) (٨١٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٧) (٤٢٠٨) في الزهد، وأحمد (٢/ ٩)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١١٥) (٣٥٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨).

(٤) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٤).

(٥) الألوسي في روح المعاني (٤/ ٥٦) بتصرف.

المسارعة إلى المغفرة، فكذلك تجب المسارعة إلى الجنة، وإنما فصل بينهما لأن الغفران معناه إزالة العقاب والجنة معناها إيصال الثواب(١). وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦). أي: الراغبون في المبادرة إلى طاعة الله تعالى(٢). وقد أثنى الله عز وجل على بعض أنبيائه المصطفين الأخيار بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠). وذم المنافقين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ (النساء: ١٤٢). وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: ٥٤).

١١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»(٣). كما كان الشح غالبًا في الصحة، فالسماح فيه بالصدقة أصدق في النية وأعظم للأجر بخلاف من يئس من الحياة ورأى مصير المال لغيره(٤).

رابعًا: تربيتهم على الاستقامة:

والاستقامة: الاعتدال، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى(٥).

١- عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم»(٦). وهذا من جوامع

---

(١) الرازي في تفسيره (٩/ ٥).

(٢) الألوسي في روح المعاني (٣٠/ ٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة (٣/ ٣٣٤) (١٤١٩)، ومسلم في الزكاة باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (٢/ ٧١٦) (٩٢) (١٠٣٢)، والنسائي في الوصايا باب الكراهة في تأخير الوصية (٦/ ٢٣٧)، وابن ماجه في الوصايا (٢/ ٩٠٣) (٢٧٠٦)، وأحمد (٢/ ٢٣١، ٢٥٠).

(٤) قاله الحافظ في الفتح (٣/ ٣٣٥).

(٥) اللسان (٣٧٨٢) بتصرف.

(٦) أخرجه مسلم في الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام (١/ ٦٥) (٦٢) (٣٨)، والترمذي (٧/ ٩١) (٢٥٢٢)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤) (٣٩٧٢)، والدارمي (٢/ ٢٩٨)، والطيالسي (٢/ ٦٤) (٢٢٠٥)، وابن حبان في الزهد (٢٥٤٣)، وعبد الرزاق في كتاب جامع الإيمان والإسلام (١١/ ١٢٨) (٢٠١١)، وابن أبي الدنيا في الصمت (١/ ٣٥).

كلمه ﷺ، وهو مطابق لقـوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت: ٣٠). أي: وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك.

والاستقـامة لا يطيقهـا إلا الأكابر لأنها الخروج عـن المعهودات ومفارقـة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق[1].

وبينت السنة المطهرة أن الشبـاب الذي ينشأ في عبادة الله وطاعته، ويسـتقيم على أمره، ويجاهد نفسه وشهواته في ذات الله عز وجل سيكون في ظل الله عز وجل في يوم تكون أرض المحشر كلها ناراً، وليس فيها إلا ظله سبحانه وتعالى.

٢- فعن أبي سعيد الخـدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله،... منها: وشاب نشأ بعبادة الله»[2].

والله سبحانه وتعالى لم يرض لنبيه ﷺ أن يقضي فترة شبابه وقوته قبل البعثة في اللهو والعبث، إنما أراد له حياة الجد والاستقامـة، فكيف بعد بعثته ﷺ واختياره من بين العالمين رسولاً أسوة لهم؟!

٣- فعن علي بن أبي طالب رضي الله عـنه قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلاهما يعصمني الله تعالى منهما: قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلها تُرعى: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان. قال: نعم. فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناءً وصوت دفوف وزمر فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلانًا تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة، فلهوت بذلك الغناء والصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت فسمعت مثل ذلك فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت، وغلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت:

---

(١) النووي في شرح مسلم (٢/ ٩).

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة (٣/ ٣٤٤) (١٤٢٣)، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧١٥) (٩١) (١٠٣١)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٥٢) في الشعر، والبغوي في شرح السنة (٢/ ٣٥٤) (٤٧٠) والبيهقي (١٠/ ٨٧) (٤/ ١٩٠).

ما فعلت شيئًا». قال رسول الله ﷺ: «فوالله ما هممت بعدها أبدًا بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته»(١) .

٤- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة»(٢) . وشاب ليست له صبوة: أي: ميل إلى الهوى وهي المرَّة منه، وذلك لأنه إذا تاب وارعوى كان أشد لاجتهاده في الطاعة وأكثر لندمه على ما فرط منه، وأبعد له من أن يعجب بعمله أو يتكل عليه(٣) .

٥- وعن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير ودمه»(٤) .

٦- وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَن لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»(٥) . وقد رخَّص بعض العلماء في اللعب بالشطرنج، وزعم أنه قد يتبصر به في أمر الحرب ومكيدة العدو، فأما من قامر به فهو فاسق، ومَن لعب به على غير قمار وحمله الولوع بذلك على تأخير الصلاة عن وقتها، أو جرى على لسانه الخنا والفحش إذا عالج شيئًا منه، فهو ساقط المروءة، مردود الشهادة(٦) .

خامسًا: حسن تصريف طاقاتهم:

من المعلوم أن الشباب عنده طاقات هائلة، لو أحسن تصريفها وأُجيد إنفاقها،

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٤٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأشار ابن كثير إلى غرابته في البداية والنهاية، وضعفه الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٠)، وقال رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن.

(٣) لسان العرب (٢٣٩٨).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الشعر باب تحريم اللعب بالنردشير (٤/ ١٧٧٠) (١٠) (٢٢٦٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٢)، وأبو داود (٥/ ٢٣٠، ٢٣١) (٤٩٣٩) في الأدب، وابن ماجه (٢/ ١٢٣٨) (٣٧٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٤).

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦١)، وأبو داود (٥/ ٢٣٠) (٤٩٣٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٣٧) (٣٧٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٤، ٢١٥)، والمراد بالنارد: الطاولة.

(٦) الخطابي في معالم السنن (٣/ ٢٩).

ووجهت إلى أبواب الخير وميادين الصلاح كانت سببًا في إيجاد حضارة راشدة، وحياة آمنة سعيدة مستقرة، وعلى العكس لو أسيء تصريفها كانت سببًا في التدمير والهدم، وإيجاد جو كله قلق وتوتر، وجهل وتخلف، وفقر ومرض.

والإنسان مجبول علىَ أن غرائزه لا ترضى ولا تشبع، ومن هنا فلابد من مجاهدتها وتوجيهها الوجهة الراشدة.

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[١] . والمعنى: أن الآدمي مجبول على حب المال، وأنه لا يشبع من جمعه إلا من حفظه الله تعالى ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه، وقليل ما هم[٢] .

وفي ذكر التراب إشارة إلى أن الآدمي خلق من التراب، ومن طبعه القبض واليُبس، وأن إزالته ممكنة، بأن يمطر الله عليه ما يصلحه، حتى يثمر الخلال الزكية والخصال المرضية، قال تعالى: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا**﴾ (الأعراف: ٥٨). أي: إنَّ ذلك العسر الصعب يمكن أن يكون يسيرًا على من يسره الله تعالى عليه[٣] .

ويفهم من الحديث: أن الغرائز لا ترضى ولا تشبع ولا تقف عند حد، وأنه لا نجاة منها ولا حل أمثل من ضبطها وتحجيمها وتهذيبها وتوجيهها الوجهة القويمة الراشدة، وقال الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ (النساء: ٦٦- ٦٨). أي: لو أنهم فعلوا ما كلفوا به وأمروا به، لحصلت لهم أنواع من المنافع تشمل خير الدنيا والآخرة[٤] ، ولدامت لهم هذه النعم وزادت لأنهم أنفقوا هبات الله وقوته وآلاءه في

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (١١/ ٢٥٧) (٦٤٣٦)، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٢٥) (١١٦) (١٠٤٨)، والترمذي في الزهد (٦/ ٦٣٠) (٢٤٤٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٨٤) (٤٠٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٦١).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٦١).

(٤) الرازي في تفسيره (١٠/ ١٧٣) بتصرف.



سبل مراضيه وطرق طاعته سبحـانه وتعالى، فعلى الشباب أن يحافظوا على طاقاتهم ولا ينفقوها إلا في الطاعات، ويجنبوها المعاصي المهلكات.

إن هذه الطاقات الـتي يفرزها الكيان الإنسـاني هي طاقات حـيوية تصلح للخـير وتصلح للشر، تصلح للبناء وتصلح للهدم، والإسلام يوجهها وجهتها الصحيحة في سبيل الخير، وبذلك يقي النفس من كثـير من أنواع الانحراف، فيفرغ طاقة الكره في كره الشيطان وأتبـاعه، والشر الذي ينشئه وأتباعه على وجـه الأرض، وبهذه الطريقة لا يتحول الكره إلى طاقـة سامة لنشاط الإنسان وكيـانه، ويفرغ طاقة الحب في حب الله والناس والخيـر بوجه عـام، لأنه إن لم يفرغ، حـوله الإنسان إلى نفـسه وذاته، فيعشق نفـسه ويعبدها وينشأ الحب الفاسـد من الناس والأفكار والأشياء، وعلى هذا النحو يفرغ الطاقة الحـيوية في الجهاد والزرع والتعميـر والإنتاج تفريغًا بنائيًّا إنشائيًا، يهد الباطل ويزيل ما يخلفه من أنقاض، ويملأ فـراغ الإنسان بالعبادة وبذكر الله حتى لا يوجـد في حيـاة الإنسان فـراغ لا يشـغله شيء، أو فراغ يشـغله الشـر والفسـاد والتافه[١].

إن التعايش مع الغرائز الأساسية المزدوجة في الكيان الإنساني، وحسن توجيهها، ووضعها في مسارها الصحـيح له دوره الإيجابي وأثره الفعال في النفس البشرية وفي واقع الحـياة، أمـا إذا أهملت أو انحرفت عن مـسـارها الصحـيح فإنهـا تؤدي إلى التناقض والقلق في داخل النفس، والخلل والاضطراب في واقع الحياة.

سادسًا: حسن استثمار الوقت:

١- عن أبي برزة الأسلمي رضـي الله عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[٢].

---

(١) محمد قطب في منهج التربية الإسلامية (١/ ٢٥١، ٢٥٢) بتصرف.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيـامة (٧/ ١٠١) (٢٥٣٢)، وأبو يعلى في المسند (٢/ ٢٥٤)، والخطيب (١٢/ ٤٤٠)، وابن عدي في الكامل (١/ ٩٥)، وابن عساكر (٥/ ١٨٢)، والمنذري في الترغيب (٤/ ٧٥٧)، وقال رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح.

وجاءت السنة النبوية تؤكد قيمة الوقت، وتقــرر مسئولية الإنسان عنه أمام الله عز وجل يوم القـيامة حـتي إن الأسئلة الأربعـة الأساسـية التي توجـه إلى المكلف يوم الحساب يخص الوقت منها سؤالان رئيسيـان، وهكذا يسأل الإنسان عن عمره عامة، وعن شبـابه خاصة، والشبـاب جزء من العمر ولكن له قـيمة متـميزة باعتـباره سن الحيوية الدافقة والعزيمة الماضية، ومرحلة القوة بين ضعفين.

٢- وعن عمرو بن مـيمون الأودي قال: قـال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمسٍ: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[١].

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهمـا قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[٢].

فالزمن نعمة جُلَّى ومنحة كبرى، لا يدريها ويسـتفيد منها كل الفائدة إلا الموفقون الأفذاذ، كمـا أشار إلى ذلك لفظ الحديث الشـريف فقال: «**مغبون فيهما كثير من الناس**»، فأفاد أن المستفيدين قلة وأن الكثير مُفَرِّط مغبون.

وقال الحسن: «أدركت قـومًا كان أحدهم أشح على عـمره منه على درهمه»[٣].
وعن عبد الرحمن بن مهدي: «لو قيـل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد في العمل شيـئًا». وقال موسى بن إسماعيل التـبوذكي: «لو قلت لكم: إني ما رأيت حمـاد بن سلمة ضـاحكًا لصدقت، كـان مشغـولاً، إما يحـدث أو يقرأ، أو يسبح، أو يصلي، وقد قسم النهـار على ذلك». قال يونس المؤدِّب: «مات حماد بن

---

(١) أخرجه أبو نعـيم في الحلية (٤/١٤٨)، والخطيب في اقتضـاء العلم والعمل (ص١٠١)، والحاكم (٤/٣٠٦)، وصححه ووافقه الـذهبي، والبغوي في شرح السنة (١٤/٢٢٣) (٤٠٢١)، وابن المبارك في الزهد (ص٢).

(٢) أخرجـه البخاري (١١/٢٣٣) (٦٤١٢)، وأحـمد (١/٢٥٨)، والتـرمذي (٦/٥٨٩) (٢٤٠٥)، وابن مـاجـه (٢/١٣٩٦) (٤١٧٠)، والدارمي (٢/٢٩٧)، والبــغـوي في شـــرح السنة (١٤/٢٢١) (٤٠٢٠).

(٣) أورده البغوي في شرح السنة (١٤/٢٢٥).

سلمة وهو في الصلاة رحمة الله تعالى عليه»[١] .

فالوقت هو الحياة، وهو رأس مال المسلم، ولا ينبغي أن ينفقه في غير طاعة، حتى لا يغبن فيه، لأنه إن ضاع رأسماله بلا ربح، عاد بالخسران المبين، فيجب ملء الفراغ وشغل الوقت بكل ما هو نافع ومثمر يعود على المرء وعلى أهله ومجتمعه والإنسانية جمعاء بالخير في الدين والدنيا والآخرة.

والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وإن لم تشغله بالحق شغلك بالباطل، والليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ومن أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أدَّاه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه، فطوبى لمن ملأه بالخير والصلاح، وويل لمن ملأه بالشر والفساد.

٤- ولذا كان من دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل»[٢] . وأقسم الله تعالى بالعصر- الذي هو الزمن- لما فيه من الأعاجيب، لأنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، ولأن العمر لا يُقوَّم بشيء نفاسة وغلاءً. فلو ظلمت نفسك بتضييع كثير من عمرك فيما لا يعني، ثم تبت وثبتت لك السعادة في اللمحة الأخيرة من العمر، بقيت في الجنة أبد الآبدين، فعلمت أن أشرف الأشياء حياتك في تلك اللمحة، فكان الزمان من جملة أصول النعم، فلذلك أقسم الله به، ونبه سبحانه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها الإنسان، وأن الزمان أشرف من المكان فأقسم الله به، لكون الزمان نعمة خالصة لا عيب فيها إنما الخاسر المعيب هو الإنسان[٣] . قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ١ -٣).

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (١١/ ١٨٠) (٦٣٦٧) ومسلم في الذكر باب التعوذ من العجز والكسل وغيره (٤/ ٢٠٧٩) (٥٠) (٢٧٠٦)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٥٧) (١٣٥٦).

(٣) الرازي في تفسيره (٣٢/ ٨٤) بتصرف.

سابعًا: الابتعاد عن المثيرات الجنسية:

وتتلخص هذه المثيرات الجنسية في ضوء السنة المطهرة في الآتي:

١- النظر الحرام. ٢- لمس المرأة الأجنبية.

٣- الخلوة. ٤- الاختلاط.

٥- التبرج. ٦- سفر المرأة وحدها.

١- النظر الحرام: إن عملية الاستثارة المستمرة تنتهي بالإنسان إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري كلها لا تصنع شيئًا إلا أن تهيج ذلك السعار الشهواني المجنون، وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليمًا، وبقوة الطبيعة دون استثارة مصطنعة.

عن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**»(١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، يصدق ذلك الفرج ويكذبه**»(٢) . وعن جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**»(٣) . والنظرة الأولى إنما تكون له لا عليه إذا كانت فجأة من غير قصد أو تعمد، وليس له أن يكرر النظرة ثانية، ولا له أن يتعمد بدأ كان أو عودًا(٤) .

---

(١) أخرجه أبو داود في النكاح (٢/ ٦١٠) (٢١٤٩)، والترمذي (٨/ ٦١) (٢٩٢٧) في الأدب، وقال: حديث حسن غريب، والدارمي (٢/ ٢٩٨)، وأحمد (٥/ ٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري في الإستئذان باب زنا الجوارح دون الفرج (١١/ ٢٨) (٦٢٤٣)، ومسلم (٢/ ٢٠٤٧) (٢١) (٢٦٥٧) واللفظ له، وأبو داود في النكاح (٢/ ٦١٢) (٢١٥٢)، وأحمد (٢/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه مسلم في الإستئذان باب نظرة الفجأة (٣/ ١٦٩٩) (٤٥) (٢١٥٩)، والترمذي في الأدب (٨/ ٦٠) (٢٩٢٦)، وأحمد (٤/ ٣٥٨).

(٤) قاله الخطابي في معالم السنن (٢/ ٦١٠).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣٠، ٣١).

وبدأ سبحانه بالإرشاد إلى غض البصر، لما في ذلك من سد باب الشر، فإن النظر باب إلى كثير من الشرور، وهو بريد الزنا، ورائد الفجور، فلوقاية الإنسان مما قد يحرك غرائزه ويستثير شهواته أمرت السنة بغض البصر، وتجنب تتبع عورات الناس، فالنظرة هي النافذة التي تطل من خلالها عوامل الرغبة والميل، والبصر مرآة القلب، فإذا غض الإنسان بصره عف قلبه، والنظرة تفعل فعل السهم في الرمية إن لم تقتلها جرحتها، وهي بمنزلة الشرارة في الحطب، إن لم تحرقه كله أحرقت بعضه.

٢- لمس المرأة الأجنبية: إن رسول الله ﷺ لم يصافح أجنبية قط لا في البيعة ولا غيرها، وهو أملك لإربه وهو المعصوم ﷺ فما البال بغيره، وهو أبعد عصمة، إنه في حاجة إلى الكف عن لمس الأجنبية لما في ذلك من تهييج الغرائز وإثارة الكامن من الشهوات.

١- فعن ميمونة بنت رقيقة رضي الله عنها أنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة نبايعه على الإسلام فقلن: يا رسول الله نبايعك على ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف. فقال رسول الله ﷺ: «**فيما استطعتن وأطقتن**». قالت: فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة**»(١).

٢- وقالت عائشة رضي الله عنها: ولا والله ما مست يده ﷺ امرأة قط في المبايعة، ما بايعهن إلا بقوله: «**قد بايعتك على ذلك**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٠) (١٦٤٥)، والنسائي في البيعة باب بيعة النساء (٧/ ١٤٩)، وابن ماجه (٢/ ٩٥٩) (٢٨٧٤)، وابن حبان (١٤)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٨٢، ٩٨٣)، وأحمد (٦/ ٣٥٧ - ٣٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٤٨)، والدارقطني في السنن (٤/ ١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠٤) (٤٨٩١)، ومسلم في الإمارة باب كيفية بيعة النساء (٣/ ١٤٨٩)=

٣- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له»[١].

٣- الخلوة:

١- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان»[٢].

٢- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»[٣].

والمعنى: أن خلوة الحمو معها أشد من خلوة غيره من البعداء[٤]، لأن الشر يتوقع منه، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي[٥]، وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى.

وقيل: المراد أن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية، أو إلى الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجم، أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها إذا

= (٨٨) (١٨٦٦)، وأبو داود في الإمارة (٣/ ٣٥٢) (٢٩٤١)، والترمذي (٩/ ٢٠٢) (٣٣٦١)، وابن ماجه (٢/ ٩٦٠) (٢٨٧٥)، وأحمد (٦/ ١١٤، ١٥٣، ٢٧٠).

(١) أخرجه أبو نعيم في الطب (٢/ ٣٣، ٣٤)، والروياني في مسنده (٢/ ٢٢٧)، والطبراني والبيهقي كما في الترغيب (٣/ ٦٦)، وقال المنذري ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٦/ ٣٨٤) (٢٢٥٤)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، والطحاوي في شرح المعاني (٢/ ٢٨٤)، وابن حبان (٢٢٨٢)، والطيالسي (ص٧ رقم ٣١)، وأحمد (١/ ١٨)، (٣/ ٣٣٩)، وعند شاكر برقم (١١٤)، وقال: إسناده صحيح، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٤٥)، والحاكم (١/ ١١٤)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (٧/ ٩١).

(٣) أخرجه البخاري في النكاح (٩/ ٢٤٢) (٥٢٣٢)، ومسلم في السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها (٤/ ١٧١١) (٢٠) (٢١٧٢)، والترمذي في الرضاع باب في كراهية الدخول على المغيبات (٤/ ٣٣٤) (١١٨١)، والدارمي (٢/ ٢٧٨)، وأحمد (٤/ ١٤٩ - ١٥٣)، والبغوي في شرح السنة (٩/ ٢٦) (٢٢٥٢)، والحمو: قال يحيى قرابة للزوج، سنن الدارمي (٢/ ٢٧٨).

(٤) قاله البغوي في شرح السنة (٩/ ٢٧).

(٥) أورده الحافظ في الفتح (٩/ ٢٤٣) نقلاً عن القرطبي.

حملته الغيرة على تطليقها[١] .

٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم»[٢] . وإذا نهى عن الثيب التي يتساهل الناس في الدخول عليها في العادة فالبكر أولى وفي الحديث تحريم الخلوة بالأجنبية وإباحة الخلوة بمحارمها[٣] .

وقال ميمون: «ودعاني عمر فقال: إني أوصيك بوصية فاحفظها: إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم، وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن»[٤] .

٤- الاختلاط:

إن الاختلاط لا يؤدي إلا لإثارة الشهوة، وإغراء الجنسين بالفاحشة، والتحلل تدزيجيًا من قيود الحياء والعفة، لذا حذرت السنة المطهرة منه.

١- فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»[٥] . أما صفوف الرجال فهي على عمومها فخيرها أولها أبدًا، وشرها آخرها أبدًا، أما صفوف النساء فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال خير صفوفهن أولها وشرها آخرها.

والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثوابًا وفضلاً، وأبعدها من مطلوب الشرع وخيرها بعكسه، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم

---

(١) قاله النووي في شرح مسلم (١٥٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها (٤/ ١٧١٠) (١٩) (٢١٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٩٨).

(٣) قاله النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٥٣).

(٤) ابن الجوزي في سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (ص٢١٩، ٢٢٠).

(٥) أخرجه مسلم في الصلاة (١/ ٣٢٦) (١٣٢) (٤٤٠)، وأبو داود (١/ ٤٣٨) (٦٧٨)، والترمذي (٢/ ١٥) (٢٢٤)، والنسائي (٢/ ٩٣)، وابن ماجه (١/ ٣١٩) (١٠٠٠)، والدارمي (١/ ٢٩١)، وأحمد (٢/ ٢٤٧، ٤٨٥)، (٣/ ٢٩٣، ٣٩٨).

ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك[١] . وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ...﴾ (القصص: ٢٣). أي: عادتنا أن لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء، عجزًا عن مساجلتهم وحذرًا من مخالطة الرجال[٢].

والاختلاط من وسائل الإفساد في تمييع الشباب خلقيًا، وإثارته جنسيًّا وهو وسيلة مدمرة، وسبب من أسباب الهلكة، فقطعًا لدابر الفتنة، وسدًّا للذرائع حظرت السنة الاختلاط لغير مقاصده، ولا يخفى أن الاختلاط بين الجنسين كان الخطوة الأولى التي انتهت بالمجتمعات الغربية إلى ما هي عليه الآن من تهتك ومجون وسقوط في ميدان القيم، وإفلاس في ميدان سمو الروح والخلق، ولذا شددت السنة في تجنب الاختلاط، ولعل ذلك كان سببًا في قيام حضارة فاقت في عطائها الإنساني كل الحضارات.

٥- التبرج: التبرج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، وما يستدعي به شهوة الرجل. والتبرج: إظهار الزينة للناس الأجانب وهو مذموم فأما للزوج فلا[٣] ، وتجنبًا لإثارة الغرائز وتهيج الشهوات وإشاعة الفاحشة، حذرت السنة معشر النسوة من التبرج والسفور عصمة للرجل والمرأة معًا.

١- عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ثلاثة لا تسأل عنهم: ...منها: امرأة غاب عنها زوجها، وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم»**[٤] .

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار**

---

(١) قاله النووي في شرح مسلم (٤/ ١٥٩).

(٢) القاسمي في محاسن التأويل (١٣/ ٤٧٠١)، والمساجلة: المفاخرة، وساجل الرجل: باراه، بأن يصنع مثل صنيعه في جري أو سقي، وأصله أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحد منهما في سجله مثله ما يخرج الآخر، فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلاً للمفاخرة- لسان العرب (ص١٩٤٤، ١٩٤٥) بتصرف.

(٣) لسان العرب (٢٤٣) بتصرف.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٥٩٠)، وابن حبان (٥٠)، والحاكم (١/ ١١٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة (٨٩)، وابن عساكر في مدح التواضع وذم الكبر (٥/ ٨٨).



لم أرهما: أحدهما. . . . ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولايجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[١] .

ومعناه: كاسيات من نعمة الله عز وجل عاريات من شكرها. وقيل: معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا بحالها ونحوه. وقيل: تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها.

وأما مائلات: فقيل: معناه عن طاعة الله عز وجل وما يلزمهن حفظه. مميلات: أي: يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، وقيل: مائلات: يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل: مائلات: يمشطن المشطة المائلة، وهي مشطة البغايا، مميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة، ومعنى رءوسهن كأسنمة البخت أي: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها[٢] . وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب: ٣٢).

والله تعالى لما منعهن من الفاحشة، وهي الفعل القبيح، منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال، والانقياد في الكلام الفاسق[٣] .

وقال جل شأنه: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣). أن تخرج من محاسنها ما تستدعي به شهوة الرجال، وأن تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره، وأن تلقي خمارها على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها[٤] .

ففي سبيل درء المفاسد أوجبت السنة على المرأة لباسًا يستر جسدها ومفاتنها وفي ذلك تكريم لها وارتقاء وسمو بها عن البدائية التي خلقت بها، ووقاية لها من

---

(١) أخرجه مسلم في اللباس والزينة باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٣/ ١٦٨٠) (١٢٥) (٢١٢٨)، وأحمد (٢/ ٢٢٣، ٣٥٦)، والبغوي في شرح السنة (٢٧١١٠) (٢٥٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣٤).

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (١٤/ ١١٠)، والبغوي في شرح السنة بمعناه (١٠/ ٢٧٢).

(٣) تفسير الفخر الرازي (٢٥/٢٠٩).

(٤) الألولسي في روح المعاني (٢٢/٨) بتصرف.

النظرات العابثة، والسهام الطائشة، وبهذا تكون قد تعاونت مع الرجال على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وبها تستحق الأجر العظيم والثواب الجزيل من ربها سبحانه وتعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٦٠- سفر المرأة وحدها: إن سفر المرأة وحدها لعظيم المفسدة، التي تترتب على ذلك غالبًا، وهي استيلاء الفجرة وفسوقهم بها، فهو وسيلة إلى الزنا، وللوسائل حكم المقاصد، وأما الحرمة فلا تتقيد بذلك، بل يحرم عليها السفر مع غير محرم.

١- فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم»[1].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم»[2].

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يخطب يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا. قال: «انطلق وحج مع امرأتك»[3].

ثامنًا: تزويجهم:

حثت السنة المطهرة على المسارعة بتزويج الشباب، فالزواج سبب من أسباب الاستقرار النفسي والإشباع الغريزي الفطري عن طريق نظيف مشروع وذلك حتى يسلم الشباب من الانحلال الخلقي، وشيوع الفاحشة والاتصال بالحرام وتفشي

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٦٥٩) (١٠٨٦)، ومسلم في الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (٢/ ٩٧٥) (٤١٣) (١٣٣٨)، وأبو داود (٢/ ٣٤٨) (١٧٢٦)، والترمذي في الرضاع باب كراهية أن تسافر المرأة وحدها (٤/ ٣٣١) (١١٧٩)، وابن ماجه (٢/ ٩٦٨) (٢٨٩٨)، وأورده البغوي في شرح السنة (٤/ ١٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في الحج (٢/ ٩٧٧) (٤٢٠) (١٣٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٢٤٢) (٥٢٣٣)، ومسلم (٢/ ٩٧٨) (٤٢٤) (١٣٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٢٦).

الأمراض الفتاكة بطاقة الشباب من التي تقضي على النسل وتوهي القوة، وتنشر الوباء، وتكون سبب العداوة والبغضاء.

١- فعن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ شبابًا لا نجد شيئًا فقال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١] . وفيه أن الصوم قاطع لشهوة النكاح، واعترض بأن الصوم يزيد في تهييج الحرارة وذلك مما يثير الشهوة، وأجيب بأن ذلك إنما يقع في مبدأ الأمر، فإذا تمادى عليه واعتاده سكن ذلك، وشهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل، فإنه يقوى بقوتها ويضعف بضعفها[٢] .

واختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أصحها أن المراد معناها اللغوي، وهو الجماع، فتقديره: مَن استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه- وهي مؤن النكاح-، فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته، ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء، ولا ينفكون عنها غالبًا[٣] .

٢- وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا ويقول: «تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»[٤] .

٣- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى»[٥] . واهتم الصحابة رضي الله عنهم

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ١٤) (٥٠٦٦)، ومسلم في النكاح (٢/ ١٠١٨) (١) (١٤٠٠)، وأبو داود (٢/ ٥٣٩) (٢٠٤٦)، والترمذي (٤/ ١٩٩) (١٠٨٧)، وابن ماجه (١/ ٥٩٢) (١٨٤٥)، والنسائي (٦/ ٥٧)، والدارمي (٢/ ١٣٢)، وأحمد (١/ ٣٧٨)، وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٥٢) وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال الطبراني ثقات.

(٢) قاله العيني في عمدة القاري(٩/ ٣١).

(٣) قاله النووي في شرح مسلم (٩/ ١٧٣)، ونقله الحافظ في الفتح (٩/ ١٠).

(٤) أخرجه أبو داود في النكاح (٢/ ٥٤٢) (٢٠٥٠)، والنسائي (٦/ ٦٥)، وأحمد (٣/ ١٥٨)، وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٥٨) وقال رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٨)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٢٩)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٧٨٢).

بتزويج الشباب، فكانوا يحثون الآباء على تزويج أبنائهم فيقول عمر رضي الله عنه: «زوجوا أولادكم إذا بلغوا، ولا تحملوا آثامهم»(١). وعنه رضي الله عنه كان يقول: «تكثروا من العيال»(٢). وكان رضي الله عنه إذا أتاه مال العراق أو خمس العراق لم يدع رجلاً من بني هاشم عزبًا إلا زوجه(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لغلمانه: «مَن أراد منكم الباءة زوجناه، لا يزني منكم زانٍ إلا نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء أن يرده رده، وإن شاء أن يمنعه منعه»(٤). فلم يترك الإسلام فرصة إلا وحض فيها على الزواج، وحث على تيسيره وتسهيله دون قيود أو عراقيل، لأنه الحل العملي، والطريق السليم الفطري لصرف الغريزة.

٤- وقال شداد بن أوس: «زوجوني، فإن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا ألقى الله عز وجل عزبًا»(٥). وقال الإمام أحمد رحمه الله: «فالعزوبية ليست من أمر الإسلام في شيء، والنبي ﷺ تزوج أربع عشرة ومات عن تسع لو كان بشر الحافي تزوج كان تم أمره كله، ولو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا، ولم يكن كذا، وقد كان رسول الله ﷺ يصبح وما عند أحد من أهله شيء، وقد كان يختار النكاح ويحث عليه، وينهى عن التبتل، فمن رغب عن فعل النبي ﷺ فهو على غير الحق، ويعقوب عليه السلام في حزنه تزوج وولد له»(٦). ولروعة صاحب العيال أفضل من كذا وكذا، أين يلحق المتعبد العزَب من صاحب العيال(٧).

---

(١) ابن الجوزي في مناقب عمر (ص٢٠٨).

(٢) التمثيل والمحاضر (ص٢٩) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو.

(٣) الرياض النضرة (٢/ ٢٨).

(٤) أخرجه أحمد بسنده، وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٣٢، ٣٣).

(٥) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص٢٩٣)، وذكره السيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص٢٠٨).

(٦) ذكره السيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص٢١٠).

(٧) السيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص٢١١)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٢٩٤) نقلاً عن الإمام أحمد، ونقله عنه إبراهيم بن أدهم.

إن أنفع علاج وأنجع دواء وأدومه للغريزة الفطرية هو الزواج، لأنه ليس وراء ذلك إلا أمرين، أحدهما: قضاء العمل كله في مرارة الحرمان، وآخرهما: العبث بالشهوة في الحرام، وكلا الدواءين مر وإن كان الآخر أشر وأمر لتعدي ضرره، والحل العادل هو ما حكم به الإسلام، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).

ولكن مع هذا يحدث أن يتنكب بعض الناس الطريق، فيقترفون جريمة الزنا ويقعون تحت طائلة العذاب، ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: ٧).

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (القلم: ٣٣).

٨- نبذ التقليد: التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقية فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه، والتقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل[1].

١- فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»[2].

والإمَّعة: هو الذي يتابع كل ناعق، ويقول لكل أحد: أنا معك، لأنه لا رأي له يرجع إليه، ومعناه المقلد الذي يجعل دينه تابعًا لدين غيره، بلا رؤية ولا تحصيل برهان، وفي الحديث إشعار بالنهي عن التقليد المجرد حتى في الأخلاق، فضلاً عن الاعتقادات والعبادات[3]. وبيَّن الله تعالى في كتابه أن هذا التقليد الأعمى سبب من جملة أسباب حالت بين الناس وبين الإيمان، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (البقرة: ١٧٠).

---

(١) الجرجاني في التعريفات (ص٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي في البر (٦/ ١٤٥، ١٤٦) (٢٠٠٧)، وأورده البغوي في شرح السنة (١٣/ ٣٢)، وقد صح عن ابن مسعود موقوفًا انظر جامع بيان العلم (٢/ ١١٢). وقوله: «وطنوا أنفسكم»: وطن نفسه على الأمر وللأمر هيأها لفعله وحملها عليه. توطينها: تمهيدها تحفة الأحوذي (٦/ ١٤٦).

(٣) المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/ ١٤٦).

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الزخرف: ٢٢- ٢٥). ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٨).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: ١٠٤).

إن الله تعالى أمرهم بأن يتبعوا ما أنزل الله من الدلائل الباهرة، فهم قالوا: لا نتبع ذلك وإنما نتبع آباءنا وأسلافنا، فكأنهم عارضوا الدلالة بالتقليد، فيقال للمقلد: هل تعترف بأن شرط جواز تقليد الإنسان أن يعلم كونه محقًّا أم لا؟ فإن اعترف بذلك لم نعلم جواز تقليده، إلا بعد أن تعرف كونه محقًّا، فكيف عرفت أنه محق؟ وإن عرفته بتقليد آخر لزم التسلسل، وإن عرفته بالعقل فذاك كاف، فلا حاجة إلى التقليد، وإن قلت: ليس من شرط جواز تقليده أن يعلم كونه محقًّا، فإذًا قد جوزت تقليده وإن كان مبطلاً، فإذًا أنت على تقليدك لا تعلم أنك محق أو مبطل، هذا وجه.

والثاني: هب أن ذلك المتقدم كان عالمًا بهذا الشيء، إلا أنا لو قدرنا أن ذلك المتقدم ما كان عالمًا بذلك الشيء قط، وما اختار فيه البتة مذهبًا، فأنت ماذا كنت تعمل؟ فعلى تقدير أن لا يوجد ذلك المتقدم ولا مذهبه، كان لابد من العدول إلى النظر فكذا هاهنا.

الثالث: أنك إذا قلدت من قبلك، فذلك المتقدم كيف عرفته؟ أعرفته بتقليد أم لا بتقليد؟ فإن عرفته بتقليد لزم إما الدور وإما التسلسل، وإن عرفته لا بتقليد بل بدليل، فإذا أوجبت تقليد ذلك المتقدم وجب أن تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد لأنك لو طلبت بالتقليد لا بالدليل، مع أن ذلك المتقدم طلبه بالدليل لا بالتقليد كنت مخالفًا له، فثبت أن القول بالتقليد يفضي ثبوته إلى نفيه فيكون باطلاً[1].

---

(١) الرازي في تفسيره (٥/٧).

٢- عن أبي عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار قال: اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها؟ فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضًا، فلم يعجبه ذلك. قال: فذكر له القُنْ- يعني الشبور-، قال زياد: شبور اليهود، فلم يعجبه ذلك، وقال: «هو من أمر اليهود». قال: فذكر له الناقوس فقال: «هو من أمر النصارى». فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه، وهو مهتم لهمِّ رسول الله ﷺ فأُري الأذان في منامه قال: فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره فقال له: يا رسول الله إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آتٍ فأراني الأذان. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يومًا. قال: ثم أخبر النبي ﷺ فقال له: «ما منعك أن تخبرني؟». فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت. فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله». قال: فأذن بلال. قال أبو بشر: فأخبرني أبو عمير أن الأنصار تزعم أن عبد الله بن زيد لولا أنه كان يومئذٍ مريضًا لجعله رسول الله ﷺ مؤذنًا[1].

وفي الحديث أنه ينبغي أن يكون للمسلم شخصيته الفريدة المتميزة وأن لا يصبغ إلا بصبغة الله عز وجل ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨).

فلا يقلد المسلم في شعائره ولا في أخلاقه ولا في مظهره وعاداته وتقاليده غير المسلمين لا يقلد شرقيًّا ولا غربيًّا، لا يقلد يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا مجوسيًّا ولا هندوسيًّا أو غيرهم ممن على غير ملته ودينه.

وعلى الشباب دائمًا إعمال الفكر والنظر في كل ما يلقى عليهم، ويرونه أمامهم،

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (١/ ٣٣٦، ٣٣٧) (٤٩٨)، وابن ماجه بنحوه (١/ ٢٢٣) (٧٠٦)، والدارمي بنحوه (١/ ٢٦٨، ٢٦٩)، وأحمد (٤/ ٤٣)، وأخرجه البخاري في الأذان (٢/ ٩٣) (٦٠٤)، من رواية ابن عمر: «كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يومًا في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقًا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال: قم فناد بالصلاة» ورواه أيضًا مسلم في الصلاة (١/ ٢٨٥) (١) (٣٧٧)، والترمذي (١/ ٥٦٧) (١٩٠)، والنسائي (٢/ ٣٥٢)، وأحمد (٢/ ١٤٨).

ويعرضونه على دينـهم، فإن وافق فبها ونعـمت، وإلا فينبغي عليهم اجـتنابه والبعد عنه والتبري منه، وعليهم مخالفة أهل الباطل في أعمالهم.

٣- فعن ابن عمر رضي الله عنهـما قال: قال ﷺ: «...وجعل الذلة والصغار على مَن خالف أمري، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم»[١].

فالسـنة المطهرة هدفت إلى إيجـاد الفرد المسلم والبـيت المسلم والمجتـمع المسلم، وتريد أن تسود الفكرة الإسلاميـة، حتى تؤثر في كل هذه الأوضاع وتصبغهـا بصبغة الإسلام وبدون ذلك لن نصل إلى شيء، نريد أن نفكر تفكيرًا استـقلاليًّا يعتمد على أساس الإسـلام الحنيف المتمثل في كلمـة الوحي الأخيرة المحفـوظة المصونة لا على أساس الفكرة التـقليدية التي تجعلنا نتـقيد باتجـاهات الغير في كل شيء، ولا نتمـيز بمقوماتنا ومشخـصات حياتنا كأمة مجيدة عظيمـة، تجر وراءها أفضل وأقدم ما عرف التاريخ من مظاهر ودلائل الفخار والمجد.

☆☆☆

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠)، وقال شـاكر (٥١١٤): إسناده صحيح، وأبو داود في اللباس (٤/ ٤٠٣١)، وقال ابن تيمية سنده جيد، وقال الحافظ في الفتح: سنده حسن، راجع معالم السنن للخطابي (٤/ ٣١٤).

الملحق الطبي

بعض الأسئلة حول الأمراض التي قد تصيب الطفل، والوقاية منها

بعض الأسئلة الطبية الخاصة بالأم والوليد(١)

س: متى تبدأ العناية بالطفل؟ وما هو الوزن الطبيعي للطفل العادي؟ مع إعطائنا فكرة عن متى يبدأ النطق عند الأطفال؟ ومتى يبدأ في إخراج الضروس والأسنان؟

الجواب: نقول: إن وقاية الطفل من كل الأمراض التي تصيبه تبدأ من اللحظة التي يولد فيها عن طريق غسل عينيه بالماء والصابون وتقطير بعض قطرات من قطرة البنسلين أو مسحهما بمحلول نترات الفضة بنسبة ١ في المائة لوقايتهما من الأرماد الصديدية التي هي أكبر عوامل فقد البصر، وغسل جسمه بالماء الساخن والصابون وتبديره ببودرة البوريك والتلك، ومراعاة أن يكون رباط السُّرة معقمًا وغير ضاغط عليها، ومراعاة أن تكون ملابسه ملائمة لفصل ولادته وواسعة لا تعوق حركته، ويحسن أن ينام الطفل في فراش خاص به، وأحسن أوقات الاستحمام بين الساعة العاشرة والثانية صباحًا وقبل الرضاعة لا بعدها، وعلى أن يكن الحمام دافئًا لا تزيد درجة حرارته على حرارة الجسم الطبيعية.

والطفل المولود حديثًا لا يحتاج إلى غذاء إلا بعد ١٢ ساعة من ولادته، والرضاعة في اليوم الأول يجب أن تكون كل ٦ ساعات و٤ ساعات في اليومين الثاني والثالث وبعد ذلك كل ٣ ساعات يوميًّا، ومراعاة هذه المواعيد بدقة وتعويد الطفل عليها، ولا تعطى بين الرضعات سوى سوائل دافئة مثل الينسون أو الكراوية أو الماء العادي.

والغذاء الطبيعي للطفل هو لبن الأم، وهو يناسب هضم الطفل ويسد حاجاته الغذّائية، لذلك يجب على الأم أن ترضع طفلها بنفسها من يوم ولادته وأن تستمر

---

(١) هذا البحث مجموع من مجموعة كتب ورسائل طبية، ومجلات علمية، وبعض نصائح الأطباء ولا يفوتني أن أزجي شكري للأخوين الكريمين الدكتور/ سليمان عبد الدايم، طبيب أسنان، والدكتور/ أيمن شاشة طبيب أطفال.

على ذلك قدر طاقتها، ويوجه الأطباء نظر الأمهات إلى أن امتناعهن عن إرضاع أطفالهن من الثدي خوفًا من فقد رشاقتهن أمر له خطورته وفي إمكانهن المحافظة على رشاقتهن بتدليك الثدي ومزاولة بعض التمرينات الرياضية الخاصة.

إنما يجب أن يكون مفهومًا أن استمرار الرضاعة لا يمنع مطلقًا من إضافة الأغذية الخارجية المكملة للبن الأم عقب الشهر السادس.

وينصح بعض الأساتذة في أمراض الأطفال بالبدء في فطام الطفل بعد الشهر السادس تدريجيًّا بحيث يتم نهائيًا بعد ستة أشهر، فتسقط الأم رضعة ثدي ابتداءً من الشهر السابع وتستبدل بها أكلة خارجية مثل شوربة الخضراوات أو المهلبية وغيرها، المهم أن يحتوي الغذاء الخارجي على كمية من المواد الزلالية والدهنية والنشويات والفيتامينات والمعادن، ولا تضاف اللحوم إلا في العام الثاني، وينصح الأطباء بعدم إتمام الفطام في أشهر الصيف الحارة حيث تكثر النزلات المعوية التي تستوجب الاستمرار في الرضاعة الطبيعية لوقاية الطفل من خطرها.

متى يقول الطفل: ماما . . بابا؟

هذه مرحلة نمو الطفل سليمًا صحيحًا من الوجهة الجسمانية والعقلية فإن لم يكن طفلك يسير على صراط هذه المرحلة، ففي الأمر شيء أو مرض يحتاجان إلى فحص وعلاج الطبيب.

في أول سنة:

الشهر الأول: يزن الطفل عند ولادته ٣ كيلوغرام في المعدل ويبلغ طوله حوالي ٥٠ سنتيمترًا.

الشهر الثاني: يزن الطفل ٤ كيلوغرام، ويبدأ الابتسام.

الشهر الثالث: يزن الطفل ٥ كيلوغرام، ويبلغ طوله ٦٠ سنتيمترًا.

الشهر الرابع: يزن الطفل ٦ كيلوغرام، ويبدأ الضحك ويلتفت إلى مصدر الصوت.

الشهر الخامس. يزن الطفل ٥ أو ٦ كيلوغرام.

الشهر السادس: يبلغ الوزن ٧ كيلوغرام، والطول ٦٥ سنتيمترًا، ويستطيع الطفل في هذا الشهر الجلوس غير مسنود، ويبدأ القاطعان والأوسطان الأسفلان من أسنانه في الظهور.

الشهر السابع: يبلغ الوزن ٥ أو ٧ كيلوغرام، ويبدأ الطفل الزحف على يديه ورجليه كما يبدأ في محاولة الكلام (ماما.. بابا).

الشهر الثامن: يبلغ الوزن ٨ كيلوغرام، ويبدأ قاطعا الأسنان الأوسطان العلويان في الظهور.

الشهر التاسع: يبلغ الوزن ٥ أو ٨ كيلوغرام، ويتم ظهور القواطع الأربع العليا.

الشهر الحادي عشر: يبلغ من الوزن ٨ وثلاثة أرباع كيلوغرام، وقد يمشي الطفل بضع خطوات إذا أمسكنا بيده.

الشهر الثاني عشر: يبلغ الوزن ٩ كيلوغرام، والطول ٧٥ سنتيمترًا، ويتم ظهور القواطع الأربع السفلى، وبذلك يكون عند الطفل في نهاية العام الأول ٨ أسنان: ٤ للفك الأعلى، ومثلها في الفك الأسفل، ويستطيع معظم الأطفال البدء بالمشي بضع خطوات بدون مساعدة.

في السنة الثانية:

في بداية السنة الثانية من عمر الطفل السليم الصحيح تظهر الضروس الأمامية الأربع في فمه وفي منتصفها تظهر الأنياب الأربع وعند نهايتها يتم ظهور الضروس الأربع الخلفية وبذلك يستكمل بروز أسنان الطفل العشرين التي تسمى (الأسنان اللبنية)، وفي بداية السنة الثانية يمشي الطفل أيضًا بسهولة، وإذا تأخر حتى منتصفها دلَّ ذلك على وجود حالة مرضية كالكساح، ويغلق يافِوخ الطفل أيضًا في منتصف السنة الثانية من عمره فإن لم يغلق كان هذا دليل الإصابة بالكساح -عافاك الله وطفلك من شره-.

في السنة الثالثة:

ينطق الطفل أسماء كثير من الأشياء، ويغرم بالتقليد، ولذلك ينبغي على الوالدين

الحذر في أقوالهما وأفعالهما أمامه، ويكون ذا حركة دائمة، لا يعرف الهدوء، فإذا كان هادئًا ساكتًا فذلك غير طبيعي فيه، ولا يمكن أن يكون سليمًا معافى، فيُعرض على الطبيب، ويستمر نمو الطفل بعد ذلك سليمًا صحيحا مع استمرار الرعاية والعناية الصحية.

☆☆☆

كيفية الوقاية من أمراض الكبد والكلى

نريد تعريفًا وتقسيمًا للأمراض التي تصيب الكبد والكلى، وأعراضها، وكيف يؤثر ذلك على الجنين وهو في بطن أمه أو في الوليد بعد خروجه إلى الحياة، مع بعض النصائح.

الجواب: تنقسم الأمراض إلى: أمراض وراثية، وأمراض مكتسبة. أما أعراض الأمراض فهي كالآتي:

(١) أمراض وراثية تصيب الأم، وتؤثر على الجنين: وهي كالآتي:

أ- ارتفاع الحرارة، خاصة إذا استمرت أكثر من ثلاثة أيام، وظهر معها طفح جلدي، وهي الحصبة الألمانية، ويكون تأثيرها على الطفل كالآتي:

* ضمور في خلايا المخ- التخلف.

* التهاب في الكبد.

* أنيميا شديدة.

ب- التهاب الكبد الوبائي في الشهور الأخيرة من الحمل:

نوع (ب): يصبح الطفل حاملاً للفيروس مدة طويلة من عمره قد تؤدي إلى إحداث بعض السرطانات في الكبد. يمكن علاج هذه المشكلة بإعطاء المصل عند الولادة مباشرةً.

ج- الامتناع كلية عن تناول الأدوية في شهور الحمل إلا في الضرورة القصوى وتحت إشراف الأطباء المتخصصين.

(٢) الأعراض التي يجب الاهتمام بها عند الولادة:

أ- عدم أخذ الشهيق الأول بعد الولادة مباشرة.

ب- ظهور اللون الأصفر في العين في اليوم الأول.

ج- ظهور شحوب شديد في الوجه.

د- التأكد أن عملية الإخراج سواء للبول أو البراز قد تمت بعد الميلاد أو على الأقصى في خلال أربع وعشرين ساعة من الميلاد.

هـ- القيء المستمر.

الأعراض ذات الأهمية في الشهور الأولى من العمر:

١- الصفراء: طبيعية- مرضية.

علامات الصفراء المرضية:

* البراز لون الجير.

* البول لون الشاي.

* قلق مستمر نتيجة أكلان في الجلد.

* تأخر النمو.

٢- البكاء الشديد مع الرضاعة الطبيعية:

* حساسية للبن الأم.

* ارتجاع الحامض من المعدة إلى المريء.

٣- الإسهال المستمر منذ الولادة- حساسية للبن الأم.

٤- حساسية الصدر أو توقف النفس بالكلية- ارتجاع الحامض من المعدة إلى المريء.

٥- معدلات النمو غير متناسبة مع السن:

* أمراض الغدد الصماء.

* أمراض سوء التغذية- نقص في كمية اللبن.

٦- تأخر المشي- الكلام- أمراض الجهاز العصبي.

٧- النزلات المعوية:

* علامات خطرة- نقص في كمية البول.

* الحرارة.

* صديد مع البراز.

* قيء مستمر.

٨- آلام البطن المستمر:

قد تكون بسبب عضوي أو غير عضوي. كيف نفرق؟

* هل توجد في كل الأوقات أم خاصة في الليل؟

* أيام الدراسة أم الإجازات.

* الشهية مفتوحة أم لا.

٩- أعراض التهاب المسالك البولية: غير مثالية:

* مرات البول مستمرة.

* مغص في البطن.

١٠- الالتهاب الكبدي الوبائي:

* أعراض ظاهرة ومستمرة.

* عادات سيئة بالنسبة للعلاج- الكورتيزون- التغذية.

* التطعيم ضد فيروس (ب).

محظورات في العام الأول من حياة الطفل:

١- عدم شرب اللبن الحليب.

٢- عدم إكراه الطفل على الأكل بصورة مستمرة.

٣- الإقلال من الحلوى الكثيرة.

٤- عدم المبالغة في تأريخ المرض للطبيب بل يجب وصف المرض بدقة.

٥- عدم الالتجاء إلى الصف الثاني في الطابور الطبي- الممرضين وأمثالهم.

☆☆☆

س: ما هي الوصايا التي توصون بها كل أب وأم على وجه العموم؟

الجواب: هذه عشر وصايا لكل أب وأم وهي:

(١) إن للطفل الحق في أن يتطلب من والديه وراثة نظيفة من الأمراض السرية والأمراض العقلية والعيوب الوراثية، لذلك ينبغي على الوالدين ألا يقدما على الزواج أصلاً أو الإنجاب بعد الزواج إلا بعد التأكد من سلامتهما من هذه الأمراض والعيوب.

(٢) من الخطأ الشائع الاعتقاد بأن ارتفاع درجة حرارة الطفل وإصابته بالإسهال ينتجان عن ظهور الأسنان، والطبيب وحده هو الذي يشخِّص للأم الحالة ويقرر العلاج، فالخطر كل الخطر أن تُشخِّص الأم المرض وتتولى العلاج، وكل ما عليها أن تلم بأعراض كل مرض فإذا ما اشتبهت بمرض ما تلجأ إلى الطبيب وعليها التزام العلاج الذي يشير به وحسن تمريض الطفل.

(٣) إذا كان طفلك ما زال رضيعًا فتعلمي فن التغذية، لأن عدم اتباع النظام في إرضاع الطفل يؤدي إلى إصابته بتلبك معوي وإسهال، وحذار من أن تُسكتي صياح طفلك المستمر بإرضاعه، بل المفروض أن تبحثي عن سبب بكائه، فقد يكون بلَّل ملابسه أو أصابه مغص.

(٤) الفطام يجب أن يكون بإشراف الطبيب الذي يزن الطفل ويقرر ما إذا كان في حاجة إلى غذاء صناعي بجانب غذائه الطبيعي أم لا، ويرشد الأم إلى الوقت المناسب لفطام الطفل.

(٥) على كل أم ترضع أن تُكثر من شرب اللبن والحلبة، حتى تزيد كمية اللبن، وعليها الاعتناء بنظافة ثدييها وتلافي إصابتهما بتشققات حتى لا تعطل رضاعة الطفل.

(٦) الأمهات العاملات عليهن إرضاع أطفالهن في الصباح قبل الخروج إلى العمل، ويعتمد خلال فترة العمل على رضعة صناعية كمساعدة، ثم يرضعن أطفالهن من ثديهن مرة كل ثلاث ساعات بعد عودتهن من عملهن.

(٧) حذار من فطام الأطفال في فصل الصيف، لأن هذا يعرضهم لأكبر الأخطار وأسوأها عاقبة.

(٨) مقاومة الطفل الذي يعتمد على الرضاع الطبيعي توازي عشرة أضعاف مقاومة الطفل الذي يعتمد على الرضاع الصناعي.

(٩). تدل الإحصائيات على أن ٧٥ في المائة من نسبة الوفيات بين الأطفال تحدث في بداية فصل الصيف، وذلك بالنسبة للأطفال الذين لم يتجاوزوا عامهم الأول، وتنخفض هذه النسبة إلى ١٥ في المائة بين السنة الثانية والرابعة.

(١٠) أول ما يجب أن تقومي به إذا انتابك شك في أن طفلك مصاب بمرض معدٍ، هو أن تجعليه يلازم الفراش فوراً، وتستدعي الطبيب لزيارته أو قومي أنت بزيارة الطبيب فوراً.

☆☆☆

كيفية تنبيه الإدراك عند الصغار

س: كيف ننمي الإدراك عند الصغار؟

الجواب: يختلف إدراك الطفل عن إدراك الشخص الناضج، فإدراك الطفل يتعرف على عالم جديد كما أنه بمثابة تكوين مخزن من الذكريات، أما إدراك الناضج فيحمل جزءاً من استعادة ما سبق التعرف عليه لذلك فإن عنايتنا بعملية الإدراك عند الطفل شديدة الأهمية.

هذا ما يقوله أطباء وخبراء علم النفس والأمراض النفسية.

وأهم ما ينبغي الانتباه إليه هو:

- أن يكون كل شيء حول الطفل واضحًا والجمل المفيدة والنداء محدداً والاسم مميزاً وهكذا.

- كذلك بالنسبة للمرئيات والألوان المحددة والأماكن المميزة والأثاث الواضح.

ويضيف أطباء الخدمة الاجتماعية بقولهم: إن هناك علاقة بين ذكاء الطفل واعتكافه داخل البيت أو خروجه منه، لذلك يفضل ألا تترك الأم طفلها فترة طويلة داخل المنزل بمفرده.

- وعندما يكبر قليلاً تصطحبينه إلى رحلات خاصة في الحدائق والأماكن الآهلة

بالناس حتى يرى أعمالهم ويبدأ في استعمال ملاحظاته ويدقق بها.

وعلى الأم والأب أن يذكرا اسم كل شيء يقابله من أشجار وورود وحيوانات، كما أنه من المفيد أن يسمع الطفل القرآن الكريم وبعض الأناشيد، وأن تقرأ له الأم أثناء النوم حتى تنمي لديه حاسة السمع.

☆☆☆

كيفية الوقاية من أمراض المسالك البولية

س: يصاب صغيري ببعض الالتهابات البولية فما سببها؟ وكيف أتعامل معها؟

الجواب: هناك حالات التهاب بولي صديدي متكررة في الأطفال، وسبب أزمات الالتهاب وسبب تكرار الالتهاب هو وجود ارتجاع للبول من المثانة إلى الحالب لأنه في هذه الحالات يكون هناك بول مختزن في المثانة رغم نزول البول أكثر من اللازم، وهناك ضغط مرتفع للبول داخل المثانة، فهذا كله يدفع البول إلى الخلف إلى الحالب ثم إلى جيب الكلوة فيسبب الالتهاب المتكرر.

هذه الحالات تعالج بخفض البول داخل المثانة وطرد البول المختزن المتبقي بعد عملية التبول، وهناك طريقتان لذلك: الجراحة، وفيها يستكشف الجراح عنق المثانة ثم يعمل جرحًا في غشاء المثانة المخاطي دون أن يجرح العضلة وهذا الجرح على هيئة حرف Y الإنجليزي.

وهناك طريقة أخرى، وهي: أن نجعل الطفل يتبول كل ساعتين بحيث لا يتجمع بول داخل المثانة ويرفع ضغطها وبعد إتمام التبول بعشر دقائق نجعل الطفل يتبول مرة أخرى في هذه المرة الثانية ينزل البول المتجمع أو المختزن داخل المثانة وداخل الحالبين، الطفل الكبير يمكننا أن ندعوه ليعمل ذلك بنفسه، والطفل الصغير يمكننا أن نجعل الأم تضغط على عانة طفلها فيتبول.

والطريقة غير الجراحية (التبول مرتين متتاليتين كل ساعتين) تعطي تحسنًا ضعف نسبة التحسن من عملية جراحية، ولا نلجأ إلى الجراحة إلا عند فشلها، ومتابعة الحالة لمدة سنوات (١٥ سنة) ومتابعتها بأشعة الصبغة تثبت أن التحسن البسيط-

التبول مرتين كل ساعتين- طريقة مثمرة جداً.

إذن في كل حالات التهاب البول الصديدي في الأطفال يمكن فرصة وجود هذا الارتجاع واستعمال هذه الطريقة وسيحقق المعالج بذلك نتائج باهرة بلا أية تكاليف ودون استعمال مبيدات ميكروبية، هذا الخطر الجديد هو الشائع بين الناس حاليًا.

☆☆☆

كيف أحافظ على قلب الصغير؟

س: أصاب بقلق مستمر سببه خشيتي من إصابة قلب ولدي بمرض- لا قدَّر الله- يفقدني إياه، فحدثوني: كيف يصل الصغير إلى سن الشباب دون متاعب مرضية في قلبه؟

الجواب:

أولاً: عليك الاهتمام بوزن طفلك لأن السِّمنة وزيادة الوزن تعني إمكانية الإصابة بمرض في أي جزء من الجسد، ويخطئ من يظن أن السِّمنة دليل على الصحة، فإذا ما حدثت سمنة بشكل غير صحي وجب علاجها عند الطبيب فورًا.

ثانيًا: عليك علاج الصغير عند ارتفاع حرارته لئلا يكون الصغير مصابًا بحمى روماتيزمية تؤثر على القلب، أو على الأقل يصيبه ارتفاع الحرارة بإصابات في اللوزتين، أو التهاب المفاصل أو الحلق، مما يودي إلى مضاعفات خطيرة بالقلب.

☆☆☆

التبول الليلي (البوالة الليلية)

مشكلة المشاكل

س: طفلي يتبول ليلاً، وهذه كبرى المشاكل التي تواجهني، فما الحل؟

الجواب: على مدى الطفولة توجد علامات على الطريق تحدد نمو الطفل: الضحك، الوقوف، المشي، النطق، هذه كلها لها سيرة تكاد تكون محددة في معظم الأطفال إلا علامة واحدة: التبول ليلاً بدون إرادة، ولا يمكن أن نحدد سنًا بينما نقول: إن الحالة أصبحت مرضًا أو عاهة فمثلاً لو لم يتكلم الطفل بعد سنتين

لشككنا في سمعه أو في أنه أخرس ولكن لو ظل إلى سن ١٥ سنة لا يسيطر على البول لا نستطيع أن ندَّعي بوجود عيب عضوي في جهازه البولي.

السر في ذلك أن السيطرة على عضلة التبول مسألة صعبة فالتبول لا هو فعل إرادي بالكامل، ولا هو فعل لا إرادي بالكامل، وكلاًّ من الإرادة وعدم الإرادة ممكن تأثرها بعوامل عديدة طالما هو متيقظ، فإذا نام استراح من مَن هو المتعلم ويعكس القبول بما يتعلمه أثناء النوم وهو يتيقظ من غير أن يعلم كيف تعلم أو كيف تكلم أو كيف يمشي أي يتعلمه بنفس الوضوح والتقليد المباشر المنظور ثم هو في أثناء النوم وبالتالي غياب مدرسه يطلب منه أن يتعلم الدرس وهو فاهم بدون مدرس.

والفشل في السيطرة علي عضلة لا إرادية مثل عضلة حبس البول تسبب اضطرابًا للشخصية وللجهاز العصبي اللاإرادي أكثر كثيرًا مما يسببه غلط في نطق حرف بل أحيانًا يقابل غلط نطق الحرف بالضحك والطبطبة بينما تسبب إفلات عضلة البول دراما عنيفة وربما تكون تاريخية بالنسبة له.

والعجيب أن الطفل وهو في سن لا يطالب فيها بأن يعبر عن رغباته من حب أو كره أو انتقاد بالكلام مثلاً، مطلوب منه أن يتحكم في البول أي: يشعر بلذة التبول، لأنها لذة عضوية لدى الصغير والكبير والشيخ الفاني، يشعر بهذه اللذة قبل أن يشعر بلذة الحب والكره ثم أيضًا يكتم هذه اللذة ويسيطر عليها، لاحظ أن بعض الأطفال يشعرون بلذة شديدة من الإحساس «باللباس» المبلول حول فخذهم.

إذن بالأساس علاج البوالة الليلية هو التدريب المبكر للطفل بواسطة القصرية وعندما يحس الطفل بدائرة حافة القصرية يصدر فعل انعكاسي يؤدي إلى ارتخاء العضلة والتبول والتلذذ من هذا التبول إذن يجب استعمال القصرية بهذا الشكل قبل أن يتجمع لدى الطفل كمية كبيرة من البول تجعله يتبولَ أوتوماتيكيًّا بدون القصرية وبذلك ينسى عملية الفعل الانعكاسي، ولكن حذار من المغالاة في استعمال سلاح القصرية خصوصًا إذا كانت الظروف غير مساعدة مثل برودة حافتها التي تجعل الطفل يكره هذا السلاح ويسارع بالتبول قبل وصولها.

ما هو المطلوب من الأم؟

مطلوب من الأم أن تكون غير مبالغة وغير صارمة ودقيقة الملاحظة لطفلها من حيث موعد التبول وظروفه القصرية، وأن تتذكر أن العقاب لأي طفل حتى البلوغ أقل نتيجة من التدريب وإعطاء المثل، بل يقال: إن عصبية الأشخاص الكبار سببها قسوة الأم النشطة في تنظيف طفلها الرضيع من البول والبراز والقيء والاستحمام.

ويلاحظ أيضًا أن عقل الرضيع قد يكون أضعف من احتمال تدريب العضلة كأن يكون ذكاؤه متأخرًا مثلاً، هنا قد يتأخر سن السيطرة على العضلة وأحيانًا قد يستسهل مثل هذا المخ وأفكاره أو الذكاء وعدم النظافة بالكامل وإلى آخره.

كما يلاحظ أن البرد يجعل عضلة المثانة في الطفل والرجل الكبير لا تحتمل البول كثيرًا وتريد طرده وبناء عليه فبعد أن يتدرب الطفل جيدًا في الصيف قد تدخل موجة برد تضيع ما تعلَّمه لأن البرد لا يسمح بتجمع نفس الحجم الذي اعتاد أن يتركه يتجمع قبل أن يتبوله كما أن السيطرة على العضلات فيها ناحية وراثية تحدد في العائلة تجعله لا يسيطر على البول، لا يسيطر على أمعائه... إلخ.

ويعاني الأطفال من البوالة ليلاً ولكن أحيانًا أخرى ليلاً ونهارًا، ويعاني الذكور مثلما الإناث وإن كانت الإناث أسهل في التعلم والتدريب.

الأسباب العضوية للبوالة الليلية:

١- يجب الانتباه إلى سبب عضوي إذا كان هناك حرق أو كثرة في مرات التبول أو أعراض أعصاب في الساقين.

٢- نقص تكون فقرات الظهر التي كانت فيما مضى سببًا فقد تبين أنها شائعة في الذين يعانون من البوالة الليلية والذين لا يعانونها إطلاقًا.

٣- من الأسباب العضوية أيضًا التهابات مجاري البول خصوصًا إذا كان هناك عيب خلقي أو التهاب قديم في الكلى وكذلك ديدان الشرج وكذلك في الأعضاء التناسلية.

٤- عندما تكون البوالة متقطعة وفي الليل فقط يجب أن نتذكر الصرع وعلى

العموم عدم نظافة المنطقة من الأسباب الرئيسية أحيانًا كثيرة وطبيعية بحيث إن الطفل لا يهتم بها بعد.

٥-أحيانًا تسبب الحساسية بوالة ولذلك نلاحظ كثرة البوالة في أبناء الأمهات الذين يعانون من ربو شعبي أو إكزيما أو أرتكاريا.

الأسباب النفسية للبوالة:

قد تكون الغالبية العظمى من الحالات نفسية:

١-فقد تكون محاولة لجذب انتباه الأبوين بعيدًا عن مولود جديد تعلقا به ونسيا ابنهما الأول.

٢-وقد تعطيه إحساسًا بالتدليل والطفولة يفتقده من أهله.

٣-أي اضطراب نفسي للطفل قد يسبب تبولاً لا إراديًا سواء وهو نائم أو وهو يقظ.

٤-يلاحظ جيدًا أن تحطم الثقة بالذات لدى الصغير السن تجعله يصاب بهذه البوالة.

٥-كأن يلام الطفل باستمرار على أي شيء أو يوصف بالبلادة أو الغباوة أو يذكَّر بعيب جسماني مثل السمنة... إلخ.

وأحيانًا يؤدي مثل هذا إلى تثبيت حالة بوالة حتى تتكون يوميًا فتصبح شيئًا عاديًا.

العلاج:

في الحالات العضوية تعالج الأسباب القائمة مثل حموضة البول أو قلويته أو وجود أملاح أو حديد أو التهابات قديمة بالجهاز البولي، وكذلك تزال أي لحمية من الأنف أو ديدان من الشرج وأية التهابات بمنطقة الفرج، وتعالج إصابات الجهاز العصبي تبعًا للحالة، ويستلزم أحيانًا علاج بعض الحالات على أنها صرع.

أما الحالات الهرمونية الواضحة الاضطراب الهرموني فتعالج إذا كان على وشك البلوغ بخلاصة الغدة النخامية والدرقية، ويعالج انقباض عضلة المثانة بالبلادونا والأفدرين اللذين يسببان لها ارتخاءً، وتعالج حساسية الغشاء المخاطي الزائدة بإدخال

مجسمات ويعالج انقباض حجم المثانة بالنفخ ليزداد حجمها ويعالج النوم العميق بالأفدين ٥٠ ملغرام يوميًا لمدة ٣ شهور.

وهناك حالات رغم ذلك لا تتحسن إلا بإعادة تدريب المثانة وذلك بأن يتبول المصاب بالنهار في موعد ثابت محدد كل ٣ ساعات مثلاً، ويعتمد أن يقطع البول أثناء نزوله، ويعمل الوالدان على إيقاظ الطفل بعد استغراقه في النوم بساعة ليتبول على أن يوقظ تمام الإيقاظ لأن أطفالاً كثيرين يمكن أن يمشوا أو يتبولوا وهم نائمون، ويجب أن ينام الطفل على فراش لا هو لين ولا هو صلب، وأن تكون الأغطية لا هي ثقيلة ولا هي خفيفة.

٭٭٭

كيف نحافظ على لثة الصغير وأسنانه؟

صحة الفم والأسنان مرآة لصحة الإنسان:

وجه الإنسان هو أول ما يجذب الأنظار إليه، ونظرًا لأن الفم وما يحويه من أسنان يشغل مركز الوجه لذا فهو أكثر الأشياء جذبًا للانتباه، وكما نعلم فإن مختلف الأحاسيس والمشاعر التي تختلج داخل الإنسان يعبر عنها بحركات الفم والعضلات المتصلة به، وقد تعكس هذه الحركات الحالة النفسية التي يمر بها الإنسان من فرح أو حزن أو غضب، كما قد تنقل معاناته من علة مرضية عضوية.

فعلى سبيل المثال رائحة الأسنان الكريهة (البخر) والتي تسبب إزعاجًا كبيرًا لمن يعانون منها قد تكون نتيجة التهاب الأغشية المخاطية حول الأسنان (جيوب اللثة) وقد تكون في الأطفال على شكل التهاب تقرحي في اللثة وقد تكون نتيجة لشيء آخر مثل التهاب اللوزتين أو التهابات وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض الجهاز الهضمي ومنها على سبيل المثال الإمساك المزمن أو قد تكون نتيجة لارتفاع نسبة السكر في الدم.

ومثال آخر ظهور طبقة مبطنة للسان (مكونة من الخلايا غير الحية لسطح اللسان وكذلك بعض فضلات الطعام وميكروبات مختلفة) من العلامات المميزة للإصابة

ببعض الأمراض وخاصة تلك التي تسبب ارتفاعًا حادًا في درجة حرارة الجسم.

أيضًا قروح الفم التي تظهر على الأغشية المخاطية المبطنة للفم أو على جانبي اللسان أو طرفه وتكون عادة إما نتيجة للتوترات العصبية والنفسية، أو نتيجة اضطرابات الهرمونات في الجسم وخاصة في النساء أو نتيجة الإصابة بفقر الدم أو اللوكيميا أو بعض الأمراض الجلدية والمناعية.

وكما أن صحة الفم والأسنان تتأثر في كثير من الأحيان بالحالة العامة للإنسان سواء من الناحية النفسية أو العضوية فإن أمراض الفم والأسنان بدورها تؤثر عضويًّا ونفسيًّا في الإنسان.

فعلى سبيل المثال: إصابة الأسنان والفك بمرض «البيوريا» الذي يسبب تآكل عظام الفك بدرجات متفاوتة مما يسبب تخلخل الأسنان وترك الأسنان المخلخلة في مكانها يمكن أن يؤثر على الأسنان الملاصقة لها ويسبب فقدانها كما أن هذه الأسنان المخلخلة تكون عادة محاطة بجيوب صديدية تحتوي على ميكروبات وجراثيم كثيرة مما يحدث ضررًا بالغًا بأجهزة الجسم المختلفة.

تركيب الأسنان في سنوات العمر المختلفة:

يختلف عدد الأسنان تبعًا لمرحلة العمر التي يمر بها الإنسان، وهي تكتمل عادة في سن الحادية والعشرين بعد بزوغ ضرس العقل في الفم ليصبح عددها ٣٢ (ست عشرة بالفك العلوي وست عشرة بالفك السفلي) ويطلق عليها في هذه الحالة بالأسنان الدائمة.

ويسبق الأسنان الدائمة ظهور الأسنان اللبنية أو الأولية ابتداءً من عمر ستة شهور ويكتمل عددها عند بلوغ الطفل عمر سنتين (عشرون سنة لبنية: عشر في الفك العلوي وعشر في الفك السفلي) وتستمر هذه الأسنان اللبنية في فم الطفل حتى عمر السادسة حيث يبدأ تبديل القواطع الأمامية وعادة السفلية قبل العلوية ويصحبها بزوغ أول ضرس دائم أو قبلها بقليل وهنا يجب أن نشير أن الضروس الدائمة تظهر في الفم ولم يسبقها ضروس لبنية حيث إن الأسنان الدائمة أكثر باثني عشر من الأسنان اللبنية.

وهناك خطأ شائع فعند ظهور أول ضرس دائم ويكون الطفل في عمر السادسة ولم تر الأم تبديل ضروس ودائمًا يبدأ فيه التسوس في عمر مبكر نتيجة لعوامل كثيرة الخطأ الشائع أن معظم الأمهات تعتقد أنه ضرس لبني وتصر على خلعه وهذا له ضرر بالغ في ترتيب الأسنان الدائمة وانتظامها بعد ذلك.

فالنقطة الهامة التي يجب أن نشير إليها هو ضرورة الحفاظ على الأسنان اللبنية وعدم خلعها إلا في وقت تبديلها المحدد الذي يعرفه طبيب الأسنان المعالج، إذ إنها فضلاً عن أهميتها في مساعدة الطفل على المضغ الجيد للطعام ومساعدته على النطق السليم فإن فقد هذه الأسنان مبكرًا قبل الموعد المحدد لها يؤدي إلى ميل الأسنان المجاورة نحوها فتضيق المسافة المخصصة للسنة الدائمة التي سوف تظهر في مرحلة لاحقة مما يؤثر على شكل الفك ووضع الأسنان الدائمة فتكون في أوضاع معوجة وغير سليمة أو تظل مدفونة في الفك وتسبب أعراضًا وأمراضًا عديدة.

وكثيرًا ما يتعرض الطفل لمتاعب عند التسنين وتفاجأ الأم بصراخ طفلها وبكائه المستمر عندما يبلغ ستة شهور من العمر وقد ترتفع درجة حرارته أو يصيبه الإسهال، وقد يكون التسنين بالفعل مسئولاً عن جميع الأعراض التي يعاني منها الطفل ويمكن تفسير ذلك إذا علمنا أن مناطق التحكم في أجزاء الجسم المختلفة تكون متداخلة ومتشابكة داخل مخ الطفل ثم تتحدد وتتمايز عن بعضها البعض مع تقدم العمر، فقد تتأثر مستقبلات آلام الفم بمخ الطفل أثناء بزوغ الأسنان اللبنية ثم ينتقل الإحساس بالألم في المناطق المجاورة بالمخ، فإذا لمس الإحساس منطقة الأذن بالمخ شعر الطفل بألم في أذنه وظل يداوم على وضع يده على أذنه مما يوحي بإصابتها، وإذا ما تشعب الإحساس بالألم في منطقة البطن مثلاً شعر الطفل بالمغص وهكذا.

أما الاحتمال الآخر فهو أن يكون الطفل مصابًا بالفعل بعلة مرضية في أذنه أو أمعائه وصادف ذلك بداية ظهور الأسنان اللبنية، ومن هنا نشير إلى خطورة اعتبار التسنين مسئولاً عن أي آفة مرضية، وإنما ينبغي فحص الطفل لمعرفة السبب الحقيقي للمرض.

وينصح بعرض الطفل على طبيب الأسنان أولاً ليتأكد من أن عمر الطفل مطابق

لتاريخ بزوغ السنة اللبنية، ثم يقوم بفحص منطقة السنة، فإذا وجد ورمًا أو احمرارًا فيمكنه بتخدير سطحي أن يشق هذا التورم، وعندئذٍ يزول الضغط المسبب للألم عند الطفل وينقطع صراخه وتنخفض حرارته وتظهر السنة اللبنية بعد ذلك بيوم أو أكثر دون أي مشاكل.

أما إذا لم يوجد تورم أو احمرار بمنطقة بزوغ الأسنان فمعنى ذلك أن هناك سببًا آخر للألم لا علاقة له بالتسنين وفي هذه الحالة يلزم استشارة طبيب الأطفال.

الحفاظ على صحة الفم:

لا شك أن صحة الفم هي المدخل الطبيعي لصحة الإنسان وعدم تعرضها لأية إصابات مرضية، والعناية بصحة الفم لها شقان أساسيان أحدهما يعتمد على الشخص نفسه ونعني بذلك استخدام الفرشاة والمعجون أو المسواك الاستخدام الصحيح، وينصح باستخدام فرشاة الأسنان بعد الأكل مباشرة كلما أمكن ذلك، فإذا تعذر ذلك فلا أقل من تنظيف الأسنان بالفرشاة بعد وجبة العشاء لما لذلك من أهمية كبيرة في إزالة الترسيبات المتراكمة طوال اليوم وبالتالي الحد من التأثيرات الجرثومية على الأسنان خلال فترة النوم الطويلة بالليل.

والشِّق الثاني هو الاكتشاف المبكر لأمراض الفم والأسنان، فبالرغم من أهمية العناية الشخصية السابق ذكرها فإنها لا تكفي وحدها، فإذا كنا نقول إن «الوقاية خير من العلاج»، فإن السبيل إلى تحقيق ذلك هو الاكتشاف المبكر لأمراض الفم والأسنان قبل استفحالها، خاصة لأن غالبية هذه الأمراض لا تسبب أعراضًا واضحة في مراحلها الأولى، فكثير من أمراض الأسنان الشائعة مثل تسوس الأسنان (وهو أكثر أمراض الأسنان شيوعًا في الإنسان) والتهابات اللثة لا تصاحبها عادة أعراض ظاهرة ومحسوسة خاصة في بدايتها، ولا يشعر المريض بالألم وأعراض شديدة إلا في المراحل المتأخرة من المرض عندما يصبح العلاج إما معقدًا أو جذريًا يؤثر على صحة المريض العامة فيما بعد.

وقد يندهش القارئ إذا علم أن الزيارة الدورية للطبيب يجب أن تبدأ مع تكون الجنين في بطن أمه، وتستمر مرة واحد كل ستة أشهر أو على الأقل مرة واحدة سنويًا.

فالسيدة الحامل عندما تذهب إلى عيادة الأسنان للكشف الدوري المعتاد، فإن الطبيب يبدي اهتمامًا خاصًا بحالة اللثة التي قد تلتهب بسبب تغير نسب الهرمونات في الدم أثناء الحمل، كذلك فإن لعاب السيدة الحامل يكون مخاطي القوام أكثر منه في الظروف العادية وهذا من شأنه أن يشجع على تكوين طبقة البلاك وبالتالي يساعد على حدوث الالتهابات وزيادة نسبة تسوس الأسنان، بل قد يسبب الحمل ظهور بعض الأورام باللثة وتحتاج هذه الحالات عناية طبية خاصة وغالبًا ما تشفى مع انتهاء الحمل، فإذا أضفنا إلى ذلك بعض العوامل المرضية الأخرى مثل الترسيبات الجيرية وتراكم فضلات الطعام وتكون طبقة البلاك (اللطعة الجرثومية) فإن الحالة تزداد سوءًا حيث قد تتأثر عظام الفك المثبتة للأسنان وتتعرض للتآكل.

ودائمًا ينصح طبيب الأسنان مريضته الحامل بعدم تعاطي أي أدوية دون استشارة طبية ويحذرها من مخاطر ذلك على الجنين، فعلى سبيل المثال تناول عقار التتراسيكلين كمضاد حيوي أثناء الحمل يؤدي إلى إصابة الأجنة بمرض الأسنان المبقعة.

نأتي بعد ذلك للعناية بالطفل أثناء فترة التسنين وكما أسلفنا فإن شرط جراح الأسنان عندما يفتح طريقًا لبزوغ السنة اللبنية فإنه يقضي تمامًا على الأعراض والآلام المزعجة التي يعاني منها الطفل.

وتكتسب الزيارة الدورية للأطفال إلى طبيب الأسنان أهمية خاصة حيث يمكن للطبيب ملاحظة مواعيد تساقط الأسنان اللبنية، وقد يزيل الطبيب السنة اللبنية عندما يحين موعد سقوطها حتى يفسح الطريق لظهور السنة الدائمة التالية في مكانها الصحيح بالفك، وفي حالة اضطرار الطبيب إلى خلع سنة لبنية قبل الموعد المحدد لسقوطها فإنه يلجأ إلى وضع جهاز صغير في فم الطفل للحفاظ على مكان السنة المخلوعة من أجل استيعاب السنة الدائمة التالية عند ظهورها، كذلك فإن طبيب الأسنان يمكنه اكتشاف أي تسوس مبكر في الأسنان وعلاجه قبل أن يستفحل ويكون خراجًا قد يسبب تدمير السنة التالية في الفك.

الوقاية من العدوى في عيادات الأسنان:

يتعرض جسم الإنسان للإصابة بأمراض مختلفة تسببها أنواع عديدة من الفيروسات والميكروبات ويطلق على هذه الأمراض اسم «الأمراض المعدية»، حيث تنتقل من شخص لآخر إما عن طريق رذاذ الفم أو استخدام أي مواد ملوثة بإفرازات المريض المختلفة أو استنشاق الهواء المحمل بجراثيم المرض، أو نتيجة تناول أطعمة أو مشروبات ملوثة أو نقل دم ملوث بالمرض.

وبطبيعة الحال فإن عيادات الأطباء من مختلف التخصصات بمن فيهم أطباء الأسنان يمكن أن يكون مصدراً مهمًا من مصادر العدوى بهذه الأمراض، حيث يقصدها مئات المرضى من مختلف المستويات منهم المرضى بأمراض ظاهرة ومنهم من يحملون ميكروب المرض دون أن تظهر عليهم أعراض المرض (حامل الميكروب).

وقد تركزت الأضواء مؤخراً وبوجه خاص على عيادات الأسنان لأسباب كثيرة منها أنها تستقبل أعداداً من المرضى أكبر من العيادات التخصصية الأخرى نظراً للانتشار الكبير لأمراض الأسنان كذلك فإن معظم التدخلات العلاجية في طب الأسنان هي تدخلات جراحية صغرى أو كبرى.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نستعرض مرضين كثر الحديث عنهما في الفترة القصيرة الماضية، وهما: مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، ومرض التهاب الكبد الوبائي، وكلا المرضين من الأمراض الفيروسية، والفيروسان المسببان لهما مختلفان.

فمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) يسببه فيروس يعيش في دم الشخص المصاب فإذا تلوث دم شخص سليم بهذا الدم الملوث انتقل إليه المرض.

ومن رحمة الله عز وجل فإنه بالرغم من أن مرض الإيدز من الأمراض الخطيرة القاتلة، فإن الفيروس المسبب له يعتبر من الفيروسات الضعيفة التي لا تستطيع العيش لفترة طويلة خارج الوسط الذي تعود عليه وهو الدم، وبالتالي يسهل القضاء عليه باستعمال طرق التعقيم المختلفة المتعارف عليها.

أما الفيروس المسبب للالتهاب الكبدي الوبائي، فهو من الفيروسات التي يمكن أن تعيش لفترة أطول نسبيًا خارج الوسط الذي تعودت عليه، ومع ذلك يمكن القضاء

عليها باستعمال طرق تعقيم معروفة ومحددة لتنظيف وتجهيز وتعقيم الأجهزة والأدوات والمواد المستخدمة في طب الأسنان لضمان عدم انتقال العدوى.

مما سبق يتضح أن احتمالات العدوى واردة في أي مجال من المجالات الطبية بما فيها طب الأسنان، إذا لم يتخذ الطبيب كافة الاحتياطات الوقائية والضرورية بالنسبة للأجهزة والمعدات والمواد المستخدمة سواء في التشخيص أو العلاج.

☆☆☆

س: نرجو إعطاءنا بعض النصائح والمعلومات حول الأمراض الجلدية التي قد تصيب الأطفال وأعراضها وكيفية علاجها مبكرًا أو عند حدوثها.

الجواب: على كل الأمهات أن تفعل الآتي:

أولاً: الاهتمام بصحة الأم الجسمانية والنفسية هو البداية الحقيقية للاهتمام بصحة الطفل الجسمانية والنفسية بصفة عامة وبصحة جلده وشعره بصفة خاصة قبل وبعد ولادته.

جلد الطفل وملحقاته من الشعر والأظافر هو المرآة تعكس حالة جسمه وصحته فجدير بالأم متابعة وملاحظة أي تغيرات في الجلد والشعر والأظافر.

نظافة الطفل:

* يجب على الأم الاهتمام باستحمام الطفل بصفة دورية للحفاظ على جلده وأعضائه بصحة جيدة والأفضل دائمًا استعمال الماء الفاتر، وليس الاستحمام في حد ذاته هو سبب إصابة الطفل بالبرد، ولكن السبب الحقيقي هو: عدم تجفيف جلد وشعر الطفل جيدًا، أو التعرض لتيارات الهواء.

وأنسب المواعيد لاستحمام الطفل هو منتصف النهار أو في المساء ويُستحسن أن يكون في حجرة نومه، ويكون الحمام قبل الرضاعة حتى لا تتأثر معدة الطفل بحركته خلال الحمام فيتقيأ الرضاعة إذا كان الاستحمام بعدها، ويمكن استعمال بعض الشامبوهات الخاصة التي لا تؤذي العين عند التسرب إليها حتى لا يكره الطفل الحمام.

* كذلك على الأم المحافظة على ملابس الطفل جافة ونظيفة باستمرار حتى تتجنب حدوث التهابات بالجلد.

التهاب منطقة الكافولة:

وللوقاية من ذلك يجب تجنب استعمال الملابس الداخلية المصنوعة من الألياف الصناعية أو أي شيء آخر يمنع جفاف البلل أو يمنع التهوية، لأنها قد تضر الجلد ضررًا مباشرًا كأن يحدث منها حساسية لمسية من مكوناتها الصناعية، أو أنها تتسبب في قلة تهوية المكان وصعوبة التبخر مع وجود البكتيريا والفطريات، فتحدث الالتهابات في هذه المنطقة.

لهذا من المستحب استعمال الكافولة (اللفة) القطنية وتغييرها باستمرار عندما تبتل، ويمكن استعمال غسول البرمنجنات المخفف عند استبدال الملابس المبللة.

الطفح الجلدي:

هناك طفح جلدي مصحوب بارتفاع درجة الحرارة مثل: الجديري أو الجدري الكاذب أو الجدري المائي: يظهر فيه الطفح من أول بدء ارتفاع الحرارة، ويظهر ثم يمتد إلى الرأس والأطراف، ويظهر في أشكال متعددة: حبوب حمراء وحويصلات مائية وبثور، وتستمر حوالي أسبوعين أو ثلاثة لتمام الشفاء.

الحمى القرمزية:

يظهر فيه الطفح في اليوم التالي من بدء ارتفاع الحرارة، ويتميز الطفح ببهتان اللون حول الفم وأرنبة الأنف مع تورم واحمرار اللسان الذي يصبح شبيهًا بالفراولة ويتميز أيضًا بوجود خطوط حمراء على ثنايا الركبة والمرفق، وهذه الحالة تحدث بسبب الإصابة بالميكروبات السبحية- أي: تُشبه السبحة- وهي تفرز سموم كيميائية تُسبب هذا الطفح المميز.

الحصبة:

يظهر الطفح غالبًا في اليوم الرابع من بدء ارتفاع الحرارة، ويكون في صورة بقع حمراء، ويظهر أولاً في الوجه عند منابت الرأس، يبدأ خلف الأذن ثم ينزل إلى

الرقبة، ثم يمتد إلى باقي الجسم خلال ثلاثـة أيام، ويكون مصحوبًا بارتفاع شديد في درجة الحرارة يُصاحبه زكام ورشح وسـعال وعطس والتهاب العينين مع نزول الدموع وعدم القدرة على النظر في غرفة مضيـئة، وفي حالة الحصبة الألماني يُصاحب الطفح الوردي الذي يظهر في الوجه أولاً ثم ينتشر بسرعة إلى جميع أنحاء الجسم في خلال يوم واحد، تضخم في الغدد الليمفـاوية وبالذات في الرأس والرقبة مع ارتفاع بسيط في درجة الحـرارة، وأعراض خـفيفـة للبرد والرشح، وهنـا يجب التنبيـه على عدم تعرض الأمـهات الحوامل للمـرضى المصابين بالحـصبة الألماني لأن الإصـابة بها في الثلاثة شـهور الأولى من الحـمل قد تُسبب لـهن مضاعـفات خطيـرة وتشوهات في الجنين بل وقد تؤدي إلى الإجهاض.

وفي كل أحوال الطفح الجلدي المـصحوب بارتفاع درجـة الحرارة يجب استـشارة الطبيب على الفور لتحديد التشخيص المناسب وبالتالي العلاج المناسب.

وهناك طفح جلدي غيـر مصحـوب بارتفاع في درجة الحـرارة مثل: بعض أنواع الحساسية، ومن أشهرها:

إكزيما الأطفال:

وهي في الأطفـال الرُّضع تكون على شكل احمـرار والتهـاب بالجلد وقد تظـهر بعض الحبوب أو البثور أو الفقاقيع خـاصة في الوجه على الخدود وظهر اليدين، أما في الأطفال الأكبر سنًّا فتظهر في شـكل التهابات في ثنيات الجلد مـثل الرقبة وتحت الإبطين وبين الفخذين وخلف الركبتين مع حكة شديدة.

والعلاج سهل مـيسور بإذن الله مع مراعـاة عدم استعـمال أي أدوية أو مراهم إلا باستشارة الطبيب، ولأن جلد الطفل في هذه المرحلة حـساس ورقيق فيجب أن يكون التعامل معه برفق وحكمة.

الأرتكاريا:

وهي عبارة عن درنات حـمراء تظهر في أي مكان في الجسم وسرعان مـا تختفي دون أن تترك أي آثار لتظهر في مكان آخرو يُصاحبها حكة شديدة، وقد يحدث معها تورم حول العينين وفي الشفتين، وهي في الغـالب قد تنتج عن تناول بعض الأطعمة

مثل: البيض والسمك والعدس والموز والمانجو والفراولة والشيكولاته والمعلبات وكل ما يحتوي على مواد حافظة مثل: الشيبسي والكاراتيه وغير ذلك مما تعود عليه الأطفال، وأيضًا قد تحدث الأرتكاريا نتيجة تعاطي بعض الأدوية مثل السلفا ومشتقاتها والبنسلين ومشتقاته وغير ذلك من الأدوية.

والعلاج المبدئي للحالات البسيطة لحين العرض على الطبيب هو تناول دواء مضاد للحساسية، وتجنب مسبباتها بقدر المستطاع.

الأرتكاريا الحبيبية:

وهي عبارة عن درنات حمراء تعلوها حويصلات مائية أو حبوب أو بثور، وتظهر غالبًا في الأطراف والوجه وكذلك بعض الأماكن الداخلية مثل أسفل الظهر وفي منطقة الحزام، ويُصاحبها أيضًا حكة شديدة، وهي في الغالب تنتج عن لدغ الحشرات لهذا يجب أن تحرص على تجنب الأماكن التي تكثر فيها الحشرات وخاصة الناموس واستعمال نموسية عند النوم كوسيلة طبيعية لتجنب الناموس مع تجنب استعمال المبيدات الحشرية في ذلك لضررها البالغ على الصغار والكبار.

ويجب في كل الأحوال العرض على الطبيب المختص للتشخيص السليم، ولتفرقة أنواع الحساسية المختلفة من أمراض أخرى مثل عدوى الجرب مثلاً، وهذه الأخيرة تزداد في فصل الشتاء لقلة الاستحمام وتزاحم أفراد الأسرة تحت غطاء واحد.

وننبه هنا أن هناك أنواعًا من العدوى منها ما يصيب بعض الناس ذوي الجلد الحساس بالرغم من اهتمامهم بالنظافة.

ويصاحب ذلك حكة شديدة خاصة عند التدفئة والنوم وبخاصة في أماكن الثنيات والأعضاء التناسلية، ويصيب هذا المرض معظم أفراد الأسرة وعلاج ذلك سهل يسير بإذن الله باتباع تعليمات الطبيب بدقة، وعلاج كل أفراد الأسرة والمخالطين في نفس الوقت وللفترة المناسبة مع الاهتمام بغلي الملابس والفرش والملايات أو كيها أو عزلها وتطهيرها.

حمو النيل:

الذي يظهر أساسًا في فصل الصيف، وهو عبارة عن حبوب صغيرة حمراء لامعة

تحدث نتيجة تراكم العرق على الجلد فيسد مسام الغدد العرقية ويتجمع بداخلها مُحدثًا حمو النيل، ويشعر به الطفل وكأنه وخز الإبر فيبكي، وقد تحدث مضاعفات مثل الحصف والدمامل، والوقاية خير من العلاج، وذلك يتأتى بالمساعدة على تقليل إفراز العرق عند الطفل، بتخفيف الملابس جداً خلال الصيف، وأن تكون هذه الملابس مصنوعة من القطن حتى تمتص العرق من على جلد الطفل فتمنع انسداد الغدد العرقية، بعكس الملابس المصنوعة من الألياف الصناعية، وكذلك تهوية المكان جيدًا مع الإكثار من الاستحمام بالماء الفاتر أكثر من مرة في اليوم.

ونحذر كل أم من استعمال بودرة «حمو النيل» فهي تزيد من انسداد مسام الجلد وتساعد على زيادة حمو النيل.

ولأن الجلد هو مركز الإحساس، ليس فقط الإحساس المادي مثل الألم والحرارة والبرودة ولكنه أيضًا مركز للإحساس المعنوي الروحي كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣).

لهذا يجب ألا تغفل الأم عن حقيقة تأثر الطفل بالحالة النفسية والعصبية حتى قبل الولادة وهو جنين في بطنها، وانعكاس ذلك على صحته بصفة عامة وعلى حدوث بعض الأعراض المُعبرة عن ذلك في جلده وشعره وأظافره مثل: شد الشعر العصبي، الحكة حول فتحة الشرج والأعضاء التناسلية (مع استبعاد الأسباب العضوية مثل وجود ديدان أو التهابات)، قضم الأظافر ومص الأصابع (مما يؤدي إلى تشوهها وحدوث الالتهابات حولها)، وقد يصاحب هذه الأعراض ظواهر نفسية أخرى مثل اضطرابات النوم والتفزع والكوابيس والبكاء غير الطبيعي، وغير ذلك من الظواهر.



الإسهال عند الأطفال

س: كثيرًا ما يصاب الصغير بالإسهال، الرجاء إعطاء فكرة كاملة عن هذا المرض بأسبابه وأعراضه وكيفية الوقاية منه، وكيف يعالج الصغير منه حال إصابته به؟

الجواب: الإسهال مرض من أمراض الصيف التي يسهل الإصابة به عند الأطفال بسبب العدوى وعدم النظافة وتلوث البيئة أحيانًا، إصابة أطفالنا بأنيميا وهزال حاد وضعف عام بسبب الإهمال وعدم استشارة الطبيب في الوقت المناسب، لكن برغم هذه المضاعفات فإنه يمكن محاصرة هذا المرض والقضاء عليه في مهده وبذلك نحمي أطفالنا من متاعب الإسهال، لكن كيف؟

هذا ما يجيب عليه الأطباء الأخصائيون في طب الأطفال:

أولاً: ما هي مظاهر وأعراض الإسهال؟

أعراض ومظاهر الإسهال كثيرة ومنها كثرة عدد مرات التبرز والقيء وهبوط مع كثرة البكاء، وهزال شديد، وفقد للشهية وجفاف بالحلق وهذه الأعراض يمكن للأم ملاحظتها بسهولة عن طريق المشاهدة واللمس وبذلك تتأكد الأم أن طفلها مصاب بإسهال وعندئذ يمكن لها عرضه على الطبيب المختص.

ما هي أسبابه؟

ترجع الإصابة بالإسهال إلى أسباب كثيرة منها:

أولاً: ارتكاب الأم بعض الأخطاء في تغذية طفلها الرضيع دون أن تدري، مثلاً: قد تزيد الأم في كمية اللبن الصناعي إذا كان طفلها يرضع لبنًا صناعيًا، أو قد تزيد في كمية السكر أو الكراوية أو النشويات في طعام صغيرها، تكون نتيجة هذه الأخطاء أن يصاب الطفل بإسهال مفاجئ، ويظل في متاعب لحين عرضه على طبيب أخصائي.

ثانيًا: العدوى عن طريق الفيروسات والميكروبات قد تكون طريقًا سهلاً للإصابة

بالإسهال. إذا تعرضت أطعمة الطفل لميكروبات أو فيروسات بسبب الذباب قد تنتقل العدوى إلى الطفل مباشرة ويصاب بالإسهال، أو قد يختلط الطفل بأطفال آخرين مصابين بالإسهال.

ثالثًا: في حالات الإكثار في استعمال الأدوية والمضادات الحيوية ولمدة طويلة قد يؤدي إلى حدوث الإسهال.

رابعًا: سوء التغذية وحرمان الطفل من تناول وجباته الغذائية قد يصيبه بإسهال وضعف وهزال شديد.

ماذا تفعل الأم في مواجهة هذه الأعراض قبل عرض طفلها على الطبيب مباشرة؟

.على الأم إذا ما لاحظت ظهور علامات الإسهال أن تسارع بعمل هذه الاحتياطات وعلى وجه السرعة وهي:

١- أن تمنع عن طفلها اللبن بكل أنواعه طبيعيًّا كان أم صناعيًّا لمدة ٢٤ ساعة.

٢- أن تمنع عنه أي نوع من أنواع الفيتامينات وأيضًا عصير البرتقال.

٣- أن تحاول إرضاعه باستعمال بعض السوائل مثل الشاي بسكر وعصير الليمون.

٤- ضرورة تخفيف ملابس الصغير للحد من ارتفاع درجة الحرارة.

٥- تستطيع الأم بعد ذلك أن تعرض طفلها على الطبيب الأخصائي للاطمئنان والعلاج أيضًا.

ما هي النصائح التي يمكن بها مواجهة الإسهال كمرض من أمراض الصيف؟

أولاً: مراعاة أن تكون الرضاعة طبيعية وفي مواعيدها المحددة.

ثانيًا: مراعاة نظافة المياه المستعملة في تناول الألبان الصناعية.

ثالثًا: ضرورة مقاومة الذباب ومنعه من دخول حجرة الطفل الصغير.

رابعًا: ضرورة تخفيف ملابس الصغير بقدر الإمكان مع عدم تعريضه لتيارات الهواء.

خامسًا: مراعاة عدم اختلاط الأطفال إذا كان بينهم مريض، ويجب عزل المريض بعيدًا عنهم طوال مدة العلاج.

هذه هي بعض النصائح التي يمكن بها إذا حاولت الأم الأخذ بها، أن تحمي طفلها من شر ومتاعب أمراض الصيف وبالذات الإسهال.

س: حدثونا عن أمراض الصيف وكيفية تفاديها والوقاية منها.

الجواب: في الصيف تكثر الاضطرابات الهضمية لدى أطفالنا وبصفة خاصة في أطفالنا الرضع، أي: من لم يمض على مجيئه إلى هذه الدنيا العام الواحد، وهذه الاضطرابات هي في الغالب السبب الرئيسي في وفاة ثلث الأطفال الرضع كما يقول الأطباء المتخصصون، وترتفع النسبة في الأطفال الذين يعتمدون على الطعام الخارجي وليس على ثدي الأم.

وتسبب هذه الاضطرابات في الغالب تغيرات هامة في جسم الطفل، فيقل وزنه وطوله ويصبح الخط البياني للوزن أكثر استواءً من الحالة الطبيعية، وتتوقف زيادة وزن الطفل وقد يعقبه هبوط شديد وسريع في الوزن وهزال كبير، يصاحب هذا تأرجح بين درجات الحرارة صباحًا ومساءً، وقد تهبط أو ترتفع الحرارة ويشحب لون الوجه ويصبح رماديًا بدلاً من وردي وتغور العين وتجف شفتاه وينكمش جلده وتظهر تجاعيد على الوجه والفخذين نتيجة للضعف وقلة الدهن تحت الجلد.

ويضيف الأطباء الأخصائيون أن الطفل يصبح نومه مضطربًا وتصيبه نوبات طويلة من البكاء، وقد يصاب بتشنجات يعقبها سبات عميق، كما يلاحظ تغيرات في النبض وعدم انتظام التنفس.

وللوقاية من هذه الاضطرابات يقول الأطباء الأخصائيون إنها تتلخص في أمرين:

الأول: تحسن ظروف المعيشة ورفع المستوى الثقافي والاجتماعي للسكان وتحسين ظروف المسكن وتوفير الماء والهواء والاعتناء بنظافة السكن والملابس الداخلية واللوازم المنزلية ومكافحة الذباب.

الأمر الثاني: هو تغذية الطفل من لبن الأم، ويعتبر لبن الأم أكثر أمنًا من حيث النظافة والتعقيم وملاءمته لتغذية الطفل ونموه، وهو يزيد العلاقة بين الأم والطفل،

كما ثبت علميًّا أن لبن الأم يحتوي على مادة (لاكتوفرين) التي تحارب نمو الميكروبات في الأمعاء وخاصة ميكروب (الكولاي) الذي يسبب معظم حالات النزلات المعوية الخطيرة، ويُثبت ميكروب اللاكتوباسيلاس في أمعاء الطفل وهو الذي يساعد في هضم المواد السكرية.

ويضيف الأطباء الأخصائيون أن الرضاعة من لبن الأم تساعد على تحديد النسل إذ إن الأم المرضعة أقل عرضة للحمل أثناء الرضاعة وثبت إحصائيًّا أن نسبة إصابة ثدي الأم المرضعة بالأورام السرطانية أقل بكثير من غيرها التي لا ترضع طفلها، وقد عرف أخيرًا حقيقة علمية وهي أن الأم المرضع لا تصاب بتصلب الشرايين في أواخر عمرها.

وهكذا لابد أن تحمي طفلك من أمراض الصيف ومن أي أمراض ويكون نموه بتغذية سليمة لأن فصل الصيف مملوء بالأمراض، فالحرص على الأطفال وعلى تغذيتهم يعد أساسًا لهم ويعطيهم مناعة ضد الأمراض.

س: أرجو إعطاءنا بعض النصائح عن كيفية المحافظة على منطقة (الأنف والأذن والحنجرة) بالنسبة للأطفال وكيفية علاجها.

* يجب أن تضع الأم رضيعها أثناء الرضاعة في وضع مائل بحيث تكون رأسه أعلى من جسمه، ولا يكون في وضع أفقي كأن ترضعه وهو نائم بجوارها كما تفعل كثير من الأمهات، وذلك حتى لا يتسرب اللبن إلى الأذن الوسطى محدثًا التهابًا بها.

* كثيرًا ما يصاب الرضيع بارتفاع في درجة الحرارة وقيء وإسهال، وتشخص الحالة خطأً على أنها نزلة معوية، ولكن الأم قوية الملاحظة قد تلاحظ كثرة شد الطفل لأذنه، فهو يشير من حيث لا يدري إلى السبب الحقيقي لمرضه، وغالبًا ما يكون ذلك التهابًا بالأذن الوسطى، عندئذٍ يجب أن تسرع الأم بعلاجه عند طبيب مختص.

* إذا لاحظت الأم نزول سائل صديدي من الأذن- وهو غير الإفراز الشمعي الطبيعي الأصفر أو البني- يجب عليها أن تمنع دخول الماء إلى الأذن عند استحمام الطفل وذلك بوضع قطعة قطن مشبعة بالزيت أو الفازلين في أذنه وذلك حتى يتم علاجه.

* عندما يصاب الطفل بنزيف من الأنف، على الأم ألا تنزعج لأنه في كثير من الأحيان يكون الأمر بسيطًا ولا يدعو للقلق، ولكنها تسارع فتُجلس الطفل في وضع تكون رأسه لأعلى ووجهه لأسفل (مثل وضع التشهد في الصلاة مثلاً)، ولا تجعله ينام على ظهره كما تفعل بعض الأمهات، ثم تضع قطعة من القطن في الفتحة التي ينزل منها الدم وتضغط بأصابعها برفق على الأنف من الخارج لمدة ٣- ٥ دقائق حتى يقف النزيف ولا مانع من استخدام كمادات باردة على رأسه.

* كثير من الأطفال يُدخلون بعض الأجسام الغريبة في آذانهم أو أنوفهم أو حتى يبتلعون هذه الأجسام، وهذا يحتاج إلى بعض العناية من الأم كالتالي:

١- بالنسبة للأنف غالبًا تكون حبة فول أو قطعة أستيكة، وعلى الأم أن تضع قليلاً من الشطة أمام أنف صغيرها حتى إذا همَّ بالعطس تضغط على فتحة الأنف الأخرى فيندفع الجسم الغريب من الأنف مع تيار الهواء.

٢- بالنسبة للأشياء التي يبتلعها الطفل وتكون عادة عملة معدنية، عليها أن تسارع بإمساك الطفل من قدميه ورأسه لأسفل وتضرب بخفة على ظهره، فربما يندفع الجسم إلى الخارج.

٣- بالنسبة للأجسام الغريبة في الأذن أو في حالة فشل المحاولات السابقة على الأم أن تعرض الطفل على مختص ولا تحاول إخراجها بنفسها لأنها غالبًا سوف تدفعها أكثر إلى الداخل.

* قد يولد قليل- ولله الحمد- من الأطفال بعيوب تخليقية تستلزم التدخل الطبي، ولأهمية توقيت بدء العلاج نلفت نظر الأمهات إلى أكثرها شيوعًا وتأثيرًا على صحة الصغير:

١- الشفة الأرنبية: تُجرى عملية جراحية لإصلاحها في الشهر الثالث، وإذا كانت مصحوبة بشق في سقف الفم فيجب علاجه في الشهر الثامن عشر وذلك ليتمكن الطفل من النطق السليم والذي غالبًا ما يبدأ في هذه السن، وإلى أن يتم العلاج يجب إرضاع الطفل باستخدام قطارة.

٢- نقص السمع: مشكلة خطيرة يجب على الأم اكتشافها وعلاجها مبكرًا حتى لا

تؤثر على سلامة نطق الصغير، وهناك بعض الأشياء التي قد يؤدي حدوثها إلى هذا النقص، ومن ثم تساعد الأم على اكتشافه أو على الأقل توقع حدوثه، منها: زواج الأقارب، طول مدة الولادة، واستخدام الجفت أو الشفاط، تغير لون الوليد إلى الزرقة، إصابته بالحمى الشوكية أو الصفراء، استخدام بعض المضادات الحيوية مثل الجاراميسين لمدد طويلة.

فإذا تأكدت الأم أو حتى شكت في أن صغيرها يعاني من نقص السمع فعليها أن تبادر بعرضه على الطبيب المختص وعلاجه إما طبيًّا أو جراحيًّا أو باستخدام السماعة، وهذه الأخيرة يجب على الأم ألا تستنكف من استخدام ابنها أو ابنتها للسماعة لأنها مثل النظارة تمامًا، تكبر الصوت كما أن هذه تكبر الصورة، ولأن هذا- نقصد نقص السمع- من قضاء الله الذي من صميم الإيمان الرضا به، ومن غير شك فإن الطفل الذي يسمع ولو باستخدام السماعة أحسن حالاً من الذي لا يسمع ومن ثم لا ينطق!!

ثم نصيحة أخيرة.. تستطيع كل أم حماية صغارها بل والكبار من متاعب كثيرة في الأنف والجيوب الأنفية إذا التزموا بهدي الإسلام في الوضوء، وذلك بغسل الأنف ثلاث مرات والمبالغة في إدخال الماء ثم استنثاره بقوة فيخرج الماء من الأنف محملاً بما قد يوجد في الأنف من أتربة وجراثيم.

☆☆☆

كيفية معالجة النطق عند الصغار

س: طفلي لا ينطق نطقًا صحيحًا، فقد يتلعثم في نطق بعض الحروف والكلمات، فما هو سبب هذا التلعثم؟ وما هي كيفية علاجه للتخلص منه؟

الجواب: التلعثم ضد الطلاقة في الكلام وله أعراض كثيرة كظهور اللثغة في الراء، أو نطق السين (ثين) أو نطق العين (حاءً) وغيرها.

ونقول: إن التلعثم قد يكون سببًا في شهرة البعض، فواصل بن عطاء- كبير المعتزلة قبحهم الله- كان عنده عيب في النطق بالراء فكان ينشئ خطبًا خالية من

حرف الراء، فلا خوف من هذه الأمور، لكن هناك عدة أسباب للتلعثم يلخصها الأطباء في نظريتين هما:

نظرية تقول: إن هناك سببًا عضويًا لهذا المرض، مثل الوراثة والتغيرات في رسم المخ وما يترتب عليها من عدم السيطرة المخية، وذلك في حالات تفضيل أو عدم تفضيل اليد اليمنى أو اليسرى في حالات التلعثم، وقد أخذ بهذه النظرية عدة سنوات ثم أُلغي الاعتماد عليها.

ونظرية تقول: إن التلعثم (عصابي) أي: ظاهرة من ظواهر الاضطراب النفسي لكن هذه النظرية لم يأخذ بها لعدم كفاية الأدلة العلمية التي تستند إليها.

علاج التلعثم:

يتطلب خطة متكاملة في صورة تدريبات تخاطبية، ولا علاقة لهذه الظاهرة بالتخلف الذهني.

نظرية مقبولة للعلماء تفسير ظاهرة التلعثم على أنها سلوك يتعلمه المريض ويتأكد في سنوات نمو اللغة، يمر بمرحلة تغير طبيعية في هذا النمو، فيما بين سن الثانية والرابعة، وتتميز بتكرار بعض المقاطع والكلمات أو حتى الجمل، وتمر هذه المرحلة دون أي مضاعفات في الغالبية العظمى من الأطفال، لكن في بعض الحالات ونتيجة لرد فعل سيء في التعامل مع أي شخص قد يتطور هذا السلوك التخاطبي إلى إحداث مشكلة معقدة عند الشخص تنتهي بتفادي تنظيم من جهة هذا الشخص لمواقف الكلام المختلفة.

وعلى الرغم من ذلك فلا يعني هذا أن كل الأطفال الذين يمرون بهذه الظروف لرد الفعل السيء يصابون بالتلعثم وهذا يشير إلى أنه في النهاية تتبلور مشكلة التلعثم نتيجة تفاعل عوامل داخلية عضوية بيولوجية وعوامل خارجية.

ومن الممكن علاج حالات التلعثم في سهولة ويسر وفي مدة وجيزة بأحدث الأجهزة التدريبية التي تستخدم في علاج عيوب النطق، ولعدم معرفتنا الأسباب الحقيقية للتلعثم فإن العلاج له دروب مختلفة للوصول إلى نهايته السعيدة.

فهناك العديد من المحاولات للتدليل على صعوبة الكلام بالتركيز على العضو المرضي بحيث يتركز العلاج على العثرات التي يعاني منها الشخص كالتكرار أو الوقفة أو المد ولكن هذه الطريقة لم تؤد إلى نتيجة كبيرة أو تحسن سريع.

المشاعر والأحاسيس:

أما الطريقة الحديثة المؤثرة والتي حازت القبول عند جمهور العلماء والمعالجين فهي علاج جسم المشكلة، وهذا يعني المشاعر والأحاسيس للتعامل بين المصاب والشخص العادي، وذلك من خلال برنامج علاجي جيد.

وهذا البرنامج العلاجي الذي ينفذ الآن من أجل حالات التلعثم أسسه وطوره أحد كبار العلماء في هذا النوع وهو أميركي يدعى (فان رايبير) وكان يعاني من التلعثم أيضًا.

إن التلعثم أحيانًا يصاب به أناس كما قلنا من كبار الكتاب والأدباء والساسة والمفكرين، وعمومًا فإننا ننصح الوالدين بالآتي:

التنبه جيدًا أثناء مراحل نمو اللغة عند أطفالهم، ومحاولة تشجيع كل محاولاتهم الكلامية وألا يصححوها لهم مباشرة عن طريق إعطاء النصح والإرشاد، وعند تعقد المشكلة باشتداد عقدة اللسان على الوالدين استشارة الطبيب الأخصائي.

يجب مراعاة أنه كلما كان التشخيص مبكرًا كان العلاج المبكر حاسمًا وسريعًا في علاج ظاهرة التلعثم.

التلعثم لا يحتاج إلى علاج طبي أو جراحي ونادرًا ما نلجأ إلى بعض العقاقير ولكن العلاج الرئيسي يتضمن خطة متكاملة لحل المشكلة أو التدريب على التغلب عليها في صورة تدريبات تخاطبية.

ملحوظة:

كنا فيما مضى نعالج المصابين بعيب في نطق حرف الراء بقراءة سورة القمر، فنجد تقدمًا ملحوظًا، فليجرِّب هذا الأمر فإنه من مجربات الأمور التي أتت بفائدة، على أن تكون على يقين بالإصلاح إن شاء الله تعالى، وإلا فربك يفضح المجربين من غير الموقنين، نسأله تعالى السلامة والستر والمعافاة.

الأطفال والحمام

س: يقولون: الحمام من أهم أسباب مرض الأطفال، كيف هذا؟ وما هي الإرشادات التي ينصح بها الأطباء للوقاية من هذا كله؟

الجواب: من أكثر الأماكن التي يصاب فيها الإنسان بصفة عامة في المنزل هي الحمام والسبب هو أنها دائمًا تحتوي على أشياء كثيرة ويستعمل فيها الماء والصابون بكثرة ولهذا فنحن معرضون وليس الأطفال فقط لأن تنزلق قدمنا فنصاب بأي إصابة قد تكون كبيرة أو صغيرة، وهذا يتوقف على حجم الانزلاق نفسه وعلى تحكم الشخص في عدم الإخلال بتوازنه.

وهذه بعض الإرشادات البسيطة التي تساعدنا على الإقلال من حجم الإصابات في الحمام:

معظم أرضيات الحمامات تكون من البلاط الأملس الذي يساعد على سرعة التزحلق، ولكنه يساعد على سرعة النظافة أيضًا، وللوقاية من سرعة التزحلق لا تبقي أي ماء على أرضية الحمام بل إذا استطعت وضع قطع من مفارش الحمام المحتوية على الجلد اللازق فإنه أفضل من التي لا تحتوي على أي شيء وذلك لأن الأخيرة من الممكن أن تسهل عملية التزحلق.

في أرضية البانيو[1] من الأفضل أن تغطى بالجلدة اللازقة حتى لا يكون الصابون المستعمل في الحمام سببًا في التزحلق بالبانيو، وتوجد أنواع وأشكال كثيرة من هذه الجلدة، وإذا لم يتسن لربة البيت هذا فأقل شيء تستعملينه هو استعمال منشفة قديمة توضع في البانيو يقف عليها الطفل مع تعليمه كيف يمسك بيده مفاتيح المياه الموجودة في البانيو. إذا استطعت تثبيت مقبض في الحائط الذي به البانيو فهذا أفضل حتى يستطيع أي فرد أن يثبت فيه حينما تنزلق قدماه أو يساعده في إتمام استحمامه بدون أي إخلال في التوازن.

---

(١) البانيو: حمام السباحة.

لا تستخدمي أيًا من الأجهزة الكهربائية وأنت تأخذين حمامك أو أطفالك يأخذون حمامهم مثل الغسالة الكهربائية أو المدفأة أو جهاز راديو، بل من الأفضل في الأخير إذا كان ولابد فاستعمال الراديو البطارية، وذلك حتى لا تضطري إلى تشغيله ويديك مبللتين فتصعقين بالتيار الكهربائي.

لا تتركي أطفالك بمفردهم في الحمام حتى يصلوا إلى سن معقول وذلك حتى لا يستغرقوا في اللعب بأي شيء بالحمام بعيدًا عن نظرك مثل الأدوية في الأجزخانة أو إشعال الكبريت أو أي شيء آخر.

لا تملئي البانيو إلى أكثر من ارتفاع نصف الفخذ لطفلك إذا أردت أن تعطيه حمامه ويلعب بلعبة في نفس الوقت. والسبب هو أن هذا الارتفاع في الماء لا يشكل خطرًا إذا انزلقت رجل طفلك في الماء فتستطيعين بسرعة انتشاله.

من الأفضل عدم ترك ابنتك أو ابنك في الماء الدافئ فترة طويلة خصوصًا في الشتاء وذلك لأن الماء الدافئ يرخي الأعصاب ويصبح من الصعب عليهم القيام من البانيو وارتداء الملابس وقد يصابون بدوخة.

من الأفضل ملء وإقفال السخان إذا كانوا صغارًا.

باب الحمام لا تجعليه يغلق من الداخل فقط بل من الأفضل جعل إمكانية فتحه من الخارج أيضًا وتوجد أقفال تصلح لهذا، أما إذا لم يكن هذا النوع متوفرًا فمن الأفضل جعل الباب غير محكم الإغلاق حتى تسرعي في تلبية أي نداء لأطفالك.



الصغير وبعض المشاكل النفسية

(١) الطفل والكذب

يحار الوالدان في أمر طفلهما أحيانًا، مثلاً لماذا يكذب بدون سبب ظاهر بعد محاضرات طويلة عن فائدة الصدق المنجي من كل عقاب وبعد التأديب لدى كل كذبة مهما صغرت؟ قد تشعر الأم أو الأب بأنهما على حافة الجنون وهما يريان طفلهما أو طفلتهما يلجآن إلى الكذب.

دوافع الكذب:

(١) في أغلب الأحيان لا يكون إصرار الطفل على الكذب منبعثًا من دوافع شريرة، فالطفل مهما يكن رأينا فيه له شخصيته الكاملة وله وسائله الخاصة المؤثرة في التعبير عما يشعر به في دخيلة نفسه، والكذب قد يكون أحد هذه الوسائل.

على سبيل المثال: إذا شعر الطفل بأنه كتلة مهملة في المنزل بسبب انشغال والديه الدائم عنه فى أعمالهما وأوجه نشاطهما، فإن الكذب ولو رافقه الضرب والتأديب ربما كان وسيلة الطفل إلى استجماع مركز الاهتمام، إنه يفضل أن يضرب على أن يهمل، وهذا هو سبب الحيرة أحيانًا التي يشعر بها الآباء والأمهات من إصرار طفلهما على الكذب حتى ولو كان طفلاً هادئًا ذكيًّا حسن التربية والسلوك.

يقول أحد المختصين في تربية الأطفال إنه خلال الثلاثين عامًا التي قضاها في مهنته وهو يراجع الآباء والأمهات بصدد عيوب أطفالهم، ولا يذكر حادثة واحدة كذب فيها أحد الأطفال بدون سبب.

ولا يعني هذا أن عادة الكذب أمر طبيعي نقي ينبغي تقبله والإغضاء عنه، وإنما يقصد منه أن يُذكَّر الآباء والأمهات أن وراء الكذب سببًا مؤكدًا يجب معرفته وتقويمه.

والكذب كسائر الخلال السيئة التي يسعى الوالدان لتقويمها في الأطفال طوال فترة الطفولة ولا يمكن وقفه إلا إذا عرفنا السبب الكامن وراءه.

(٢)إن الطفل يحتاج إلى وقت طويل كي يفهم الفرق بين الحقيقة والخيال لذلك فإنه على الدوام فريسة إحساس طاغ عن طرق الأوهام والخيالات فإذا سكب الطفل كوب الحليب على الأرض مثلاً فإنه لا يقر بالذنب وإنما يضع اللوم على العصفور، وفي مثل هذه الحالة قد يوبخ الأب طفلته أو طفله لأنه كذب. وتصرف كهذا يشعر الطفل بالأسى ويوهمه بأنه مكروه، والتصرف الصحيح في مثل هذه الحالة أن يقر الوالدان بأن العصفور هو الذي سكب كوب اللبن فعلاً.

أو قد يأتي الطفل من المدرسة حاملاً معه علبة ألوان فيبادر والدته قائلاً: إن المعلمة أعطته إياها كجائزة وينظر إليه الأب متشككًا فهو يعلم أن طفله لا يملك كل هذه المواهب التي تجعله يستحق الجوائز فهو شيطان مريد في المنزل، ويبوح الوالد لطفله بشكوكه قائلاً: إن علبة الألوان هذه لأحد زملائك في الصف وغدًا ستعيدها إليه. ويضرب الطفل الأرض ويقول: إنه تلقى الجائزة لحسن صوته، وأن المعلمة لا تفتأ تمتدح حسن غنائه. يغضب الوالد لأن طفله قد تحداه ورفع صوته أمامه ويأكل الطفل (العلقة) وهكذا تتكون أزمة في العلاقات بين الاثنين.

(٣)وفي سن الرابعة يكون من الأمور الطبيعية أن يتخلق الطفل القصص ثم يؤمن بها إيمانًا راسخًا، فإذا سمعت الأم طفلها وهو يروي هذه القصص الخيالية أو الأكاذيب، كان عليها ألا تنهره بل ينبغي أن تجاريه قائلة: هذا شيء رائع ولكن أظن أنك قد نسيت كذا وكذا. أو: الحق معك بالطبع. فلنتحدث مع المعلمة غدًا بأمر هذه القصة.

(٤)إن الدوافع وراء كذب الطفل لا علاقة له بالدوافع التي تحدد سلوك الكبار عندما يلجأون إلى الكذب، فدوافع الصغير مرتبطة بمستوى فهمه وينبغي أن نذكر أن الطفل حتى سن السابعة أو الثامنة من عمره يكون مشوشًا في أمر ما هو صحيح وما هو غير صحيح. فمخاوف الأطفال من الإهمال بسبب قدوم مولود جديد مثلاً، وأحلامهم وانفعالاتهم بالقصص تكون في أكثر الأحيان أقوى من أي شيء في حياتهم، فالطفل الذي يمثل دور الإطفائي أو الشرطي يخيل إليه أنه فعلاً إطفائي أو شرطي وأن هذه الحقيقة لا تقل عن أية حقيقة أخرى.

ومع تقدم الأيام ومرور السنوات يأخذ الطفل عن طريق اللعب والتمثيل والملاحظة والاحتكاك بالكبار في إدراك الفروق الواضحة بين الحقيقة والخيال ويصبح الأطفال عندها أقل تأثرًا بدوافعهم الخاصة ويشرعون في التحكم برغباتهم المجنحة التي كثيرًا ما تخلق القصص الوهمية.

إن الخيال هو أعظم الهبات التي منحها الإنسان وعليه ألا يحاول تحطيم هذه الهبة وإنما يوجهها الوجهة الصحيحة.

كيفية مواجهة الكذب:

وما أروع أن تقول الأم لطفلها وهي تعلم أنه إنما يسرد قصة من صنع الخيال: ما أجمل قصتك اكتبها مع الرسوم التي تلائمها. وعلينا أن نعلم أطفالنا على أن الكذب ليس من الأمور التي يوجد فيها حد فاصل بين (الجيد) و(الرديء) وإنما هو شيء له علاقة بكيفية تعامل الناس مع بعضهم بعضًا، إن الكذب يقف حائلاً دون الحب والثقة بين الناس، إنه يؤذي علاقات الناس بعضهم بعضًا وما أن يبلغ الطفل السن التي تؤهله للمدرسة حتى يكون قد وعى مقدار رغبته في فرض الاحترام على الناس ومقدار رغبته هو أيضًا في أن يثق بغيره.

ولا يعني هذا أن الصغار يصبحون مبرئين من الوقوع في حبائل بعض الشطحات الخيالية بين الحين والحين حتى يصلوا إلى مرحلة البلوغ.

ونادرًا ما نرى إنسانًا يحاسب نفسه بعد كبره حسابًا صادقًا فلا تمر في ذاكرته لحظات وقع فيها فريسة الأقوال غير الصحيحة، مثل هذه اللحظات بالطبع يجب ألا تمر بدون محاسبة من قبل الوالدين ولكن الأمور كلها تحل بالنقاش الهادئ والمواجهة الصريحة والإصلاح. إن كذب الأطفال البريء يختلف تمامًا عن الأكاذيب الدائمة التي بلغت حد العادة المستمرة من العاشرة حتى مرحلة البلوغ، والكذب في مثل هذه السن يجب أن يقابل بالانتباه الشديد لمعرفة الأسباب والدوافع وراءه.

والطريقة التي يواجه بها الوالدان البوادر الأولى للاضطراب النفسي في غاية الأهمية، بحيث يظن الكثيرون أن العقاب الجسدي يفيد في تقويم حالة الطفل الذي يكون قد بدأ في الإكثار من الكذب وجنى ثماره المحرمة.

ولكن هذا الصبي قد أخذ يكذب بقصد جذب الانتباه إليه والعطف عليه، وإذا كذبت الطفلة لأنها تشعر أنها كانت مهملة وأن الكذب وحده هو يلفت النظر إليها، وإذا كذب الطفل عامدًا أن يحدث انطباعًا لا سبيل لإحداثه إلا بهذه الطريقة، فعندما يكون علينا ألا ندفعهم بالسوء ونوقع بهم العقاب، لأن العقاب لا يؤدي إلا إلى التركيز على الحاجات التي كانت السبب في بدء تلك السلسلة.

أهم ما في الأمر أن الأم يجب ألا تجزع إذا سمعت طفلها يكذب، إن كذب الأطفال نابع من فجاجتهم وما هو سن الفجاجة لدى الإنسان إن لم يكن سن الطفولة؟! وبعد ذلك ينشأ الكذب عن فقداننا المؤقت لضوابط الدوافع لدينا.

وفي حين أن الكذب في مثل هذه السن (ما بعد الطفولة) ينبغي ألا يترك بدون حساب فإن الصفح يمكن أن يقوي الضوابط المفقودة، وأهم من تصرفاتنا وأقوالنا للطفل عندما نرى أنه أخذ يكذب هو طريقة سلوكنا نحن، فنحن لا نستطيع أن نأمر أطفالنا بالصدق إذا كنا نسبقهم إلى الكذب.

فإذا غاب أحد الأحباب في المستشفى أسابيع أو أشهر فلا ينبغي أن نتظاهر بأنه قد ذهب في إجازة لأنه خير للصغير أن يعلم الحقيقة منذ البداية فذلك أدعى إلى تولد الشعور لديه بأنه يعامل على قدم المساواة مع الكبار، ثم إن له الحق في وداع المريض المشرف على الموت مثلاً.

أصعب المشاكل هنا مشكلة ما يعرف بالكذب الأبيض، والواقع أن هناك خطوطًا واقعية وإن تكن دقيقة تميز بين قول الحقيقة مهما يكن الثمن وبين إيذاء مشاعر الناس بلا ضرورة.

والحقيقة هي أن الطفل يسمع الكبار من حوله يسردون الأكاذيب منذ لحظة إدراكه لما هو صدق وما هو كذب، بل إننا نشجع الطفل على مجاراتنا، ما كان ينبغي أن تنقد خالتك بسبب كذا وكذا لأن ذلك يؤذي مشاعرها.

ولكن الخالة فيها ذلك العيب فعلاً، وقد يسمعنا الطفل فعلاً وقد يسمعها الطفل تعتذر عن حفلة غذاء أو عشاء بسبب إصابتها بالزكام، وليس بها زكام، وإنما تريد البقاء في المنزل لمشاهدة برنامج معين في التليفزيون.

إن الصغير قد يشعر بالحيرة من أمثال هذه التصرفات ولكنه عندما يكبر يدرك أن الكذب الأبيض له ما يبرره في بعض الأحيان شريطة ألا يلحق الأذى بإنسان آخر.

وقول الصدق أحيانًا قد يؤلم ولكن هذا الألم ضروري في سبيل إيجاد علاقة محبة وثقة وفي سبيل هذه الحالة يجب أن نقول الصدق برقة وصدق إحساس.

***

(٢) الطفل والعنف (الطفل العدواني)

هناك أطفال قساة لا حدود لقسوتهم فهم يستضعفون الأطفال الصغار في اللعب وفي باحة المدرسة وفي المنزل وفي أي مكان. إن قسوة الطفل أحيانًا هي جزء لابد منه في عملية نمو الطفل، ولكن القسوة قد تكون إشعاراً بوجود مشاكل سلوكية ينبغي أن تسترعي الانتباه.

والواقع أنه لا يسهل على الدوام معرفة ما هو مقبول أو طبيعي بالنسبة لأي سن، ولكن قد يحس الوالدان بغضب شديد إذا رأيا طفلهما يرتكب أعمالاً سيئة حقًّا في حق أخ أو أخت أو طفل آخر وعندها تقع العقوبة عليه بأقسى مما يقصدان إيقاعه.

وفي ظروف أخرى قد يرتكب الطفل نفس القسوة فلا يقابل بنفس العقاب بل نرى الأب أو الأم يعزيان نفسيهما بالقول: إن تلك مرحلة لابد منها في حياة الطفل، ومن حسن الحظ أن الأمر كذلك في معظم الأحايين.

فإذا أقدم الطفل على مشاجرة رفيق له أو استثار أخًا له أو أختًا استثارة شديدة لا رحمة فيها أو إذا استبد في معاملة طفل آخر في الصف فهذا لا يعني بالضرورة أن الطفل أو الطفلة عدوانيان، وأنهما سيظلان كذلك طوال حياتهما.

فالغضب والعداء هما صفتان موجودتان بين جميع الناس وفي كل الأعمار ولكن بالنظر إلى أن الطفل يفتقد الوسيلة للتحكم الذاتي في عواطفه ومشاعره أو لا يدري كيف يأتي بوسيلة أخرى فإننا نراه يعبر عن مشاعره بإبداء هذه الدوافع العدائية. إن قدرًا معينًا من القسوة عند الطفل هو مرادف لعملية النمو.

عندما يقسو أطفالنا بعضهم على البعض الآخر فإن سوء تصرفهم يمكن أن يكون

عابرًا قليل الأثر قصير الأجل لا يتجاوز العراك بالأيدي، وبعد ساعات قليلة نرى أن الاثنين قد تصالحا وعادا أصدقاء.

ولكن القسوة قد تكون خطيرة أحيانًا، فإذا كان من طبع الطفل انعدام الإحساس تجاه مشاعر غيره من الأطفال ويمنعه من التمتع بحياته، فإن ذلك قد يكون إشارة إلى مشاكل عنيفة في السلوك بل وقد يكون مصابًا بمرض عقلي.

إن الطفل لا يولد محبًّا للأذى والعداء ولكنه يصبح مؤذيًا نتيجة تجارب يصادفها في حياته وهذه تقاس بطبيعة علاقة الطفل بوالديه وبأخواته ورفاقه ومعلميه- أي: جميع الأشخاص الذين يملأون حياته-.

من الطبيعي أن يقسو الطفل على أخيه الرضيع أو أخته الرضيعة ويتمنى لو يقذف بهما من النافذة، فالطفل في هذه السن لا يستطيع أن يدرك أن الأم قادرة على أن تحب الطفلين في وقت واحد ولذلك يقع ضحية الغيرة من هذا المخلوق الصغير الذي جاء إلى الأسرة بغتة وبدون انتظار.

ومن مثل هذه الحالة إذا لم يبد الطفل الأكبر روحًا عدائية نحو الطفل الأصغر فمعنى ذلك أنه يكتم مشاعره العدوانية في ضلوعه ولا يكشف عنها وهذا أسوأ من أي قسوة محتملة.

ولكن إذا كان الطفلان كبيرين وظل الابن في الخامسة عشرة من عمره دائم التهديد والوعيد لأخته التي تصغره بسنوات قليلة فهذا شيء آخر لا ينبغي تجاهله أو الاستخفاف به، ومعاقبة الصبي على ذلك في مثل هذه السن لا تجدي.

خلال الأعوام القليلة الأولى من حياة الطفل لا يحس بالأفراد من حوله إلا بمقدار حاجته إليهم، والأطفال في مثل هذه السن المبكرة لا يتنظر أن يقدروا مشاعر الآخرين والطفل دون العام الثاني من عمره إذا تألم فإنه لا يستطيع تحديد مكان الألم أو التعرف إلى سبب الغضب أو الإحباط، ومع نمو إدراكهم بمن حولهم فإنهم يأخذون في تعلم كيفية التعبير عن غضبهم بطريقة مأمونة كمحاولة إيذاء القطة مثلاً.

وعندما يدنو الطفل من الثالثة نجد أن معظم الأطفال يتولد عندهم الإحساس بالأفراد الآخرين من حولهم بأن هؤلاء أيضًا لهم حاجاتهم الخاصة، ويزداد هذا

الشعور نقصًا بمرور السنين.

إن الطريقة التي يعالج بها الآباء والأمهات هذه العلامات المبكرة الدالة على السلوك العدواني تؤدي في كثير من الأحيان إلى تفادي المشاكل في المستقبل، ومقابلة القسوة بالتقريع تشعر الطفل بأنه مخلوق سيء فعلاً لا يستحق المحبة، لاسيما إذا كان مصحوبًا بعقاب شديد من شأنه أن يقوي الإحساس بالغضب والإحباط، ويحسن الوالدان صنعًا لو بصراه بنتيجة عمله مع تحذير من تكرار العمل.

ويكبر الأطفال ويخوضون تجارب الحياة فيزداد إدراكهم بمقتضياتها ويستطيعون عندئذٍ أن يصححوا أو يعدلوا أساليب معاملتهم، ولا ينبغي للوالدين أن يقلقا بسبب سوء سلوك طفلهما إلا إذا كان ذلك قد أصبح عادة متأصلة.

والصغار بين الثامنة وسن البلوغ أقل عرضة للتعبير عن مشاعرهم السلبية نحو الأطفال الآخرين بوسائل جسمانية، وهذا بالطبع لا يعني أنهم يصبحون في هذه السن معصومين عن المشاجرات، إنهم يتشاجرون بالطبع ولاسيما الصبية منهم، ولكنهم يكونون أقرب إلى استخدام وسائل القوة ومنها:

١- الشتم.
٢- الزجر.
٣- ترويج الشائعات.
٤- الحرمان من لعبة أو نشاط.

وبوجه عام فإن المراهقات أقدر من الشباب على إدارة ألسنتهم في نشر الأقاويل، وربما كان ذلك راجعًا إلى أن الفتيات كقاعدة ينشأن على استعمال اللسان أكثر من العضلات في الخصومة، وهناك ظاهرة يعرفها الآباء والأمهات وهي أن الفتاة إذا عادت فتاة أخرى فإنهما يتبادلان كراهية فظيعة، أما فيما يتعلق بالقصاص فإن ذلك يعتمد اعتمادًا مطلقًا على الوضع، وفي حالات معينة تساعد العقوبة إذا كانت عادلة وملائمة على إذكاء لغة المناقشة والحوار ويمكن أن ترسخ في نفس الطفل.

ولما كان الأطفال مقلدين لوالديهم ويحسنون تقليدهم فإن ما يحدث في البيت قد يعدهم لأن يكونوا قساة، وحتى الأطفال الصغار يستطيعون أن يدركوا ما يجري في البيت ويتخذوا آباءهم وأمهاتهم نماذج للسلوك.

وهناك آباء وأمهات يشجعون أطفالهم على القسوة دون أن يدروا، وذلك إذا امتنعوا عن التدخل لفض خصومة بين الصغار، وإذا كانت القسوة عادة متأصلة في نفوس الأشقاء والشقيقات فإن ذلك كثيرًا ما يرد إلى مشاعر الحسد والمنافسة والرغبة في جلب الانتباه أو الحصول على محبة الآباء والأمهات، ومن واجب الوالدين عدم إذكاء هذه المشاعر.

☆☆☆

(٣) الطفل العصبي

قد تشكو الأم من أن يثور الطفل ويبكي لأتفه الأسباب، قد يصرخ في تشنج أو يحطم ما أمامه، والأم يساورها القلق والضيق، هل تقسو عليه فتزيد من العوامل التي تؤثر عليه، أو تلبي للطفل رغباته الرعناء فتزيد الطفل المدلل رعونة وإصرارًا.

وهذا كله يحتاج إلى معرفة الدوافع والأسباب التي تؤدي بالطفل إلى مثل هذه الحالة، فقد تكون هذه الأعراض العصبية نتيجة مؤثرات نفسية أو عوامل فسيولوجية أو عضوية مرضية ولابد أن نميز بين كل منهما لأن العلاج يختلف في كل حالة من هذه الحالات.

والعوامل النفسية التي تؤثر على الطفل وتؤدي إلى سرعة ثورته وإحساسه السريع بالضيق والبكاء غالبًا ما تكون نتيجة اضطراب في العلاقات بينه وبين البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه ودوائرة المجتمع للطفل الرضيع هي أمه بطبيعة الحال.

وينمو الطفل وتتسع دائرة المجتمع لتشمل الأسرة ثم بعد ذلك المدرسة والشارع، وهكذا فالطفل الرضيع إذا حرم ثدي أمه أو حنانها فجأة، قطعًا سيتأثر سلوكه وتتوتر تصرفاته كذلك، فإن العلاقة بين الأبوين والأسرة وبقية الإخوة يربطها رباط وثيق أساسه الحب والحنان.

كذلك أيضًا الرعاية والتعاون، فإذا فُقد هذا الرباط أو ضعف بين الطفل وأحد أعضاء الأسرة فإن ذلك يؤثر على نفسيته ويؤدي إلى ما سمي بالطفل العصبي، والخلاف مستمر بين الأب وبين الأم أمام الطفل أو إيثار طفل على طفل ثم التدليل

الضار لطفل وتحقيق كل رغباته الرعناء من أهم الأسباب التي تخلق الطفل العصبي.

وباتساع دائرة البيئة المحيطة بالطفل فإنه يبدأ في تكوين علاقات جديدة وصداقات جديدة مع من حوله من الأطفال والكبار معتمدًا أساسًا على الخبرة التي اكتسبها والسلوك الذي تمرس عليه في علاقاته مع جو الأسرة الأول، فإذا كان جو العلاقات الأسرية طبيعيًّا فإن الطفل يصمد أمام الضغوط التي قد يتعرض لها عند تكوين علاقاته بالآخرين وأن ما يتعوده الطفل في سنيه الأولى يكون اللبنة والأساس السليم في حالته النفسية عندما يتعرض للمجتمع الواسع بكل ما فيه من ضغوط نفسية وذهنية.

والطفل المضطرب نفسيًّا يبدو عليه الحزن والبكاء المستمر لأقل سبب، قليل اللعب والحركة ملتصق بأبيه أو أنه يلتصق بأمه ويخاف أن يتواجد في الكلام، وقد تنتابه نوبة غضب شديدة لأقل سبب ويبكي في عنف وعصبية وقد يتبول على نفسه حين ينام، أو يكثر من قضم أظافره أو يمتص إصبعه في فمه في فترات متقطعة، ومثل هذا الطفل في حاجة إلى رعاية أسرية وطبية قبل أن يستفحل الداء ويزمن المرض.

وقد يصاب الطفل بالعصبية نتيجة اضطراب في ممارسة رغباته الفسيولوجية مثل الجوع لعدم تنظيم وجباته وخصوصًا في أشهر الصيف حيث يبكي من العطش نتيجة للعوامل التي يفقدها من الحر وهو لا يعرف التعبير عن ذلك، ولذلك يجب أن لا ننسى أن يُعطى الطفل جرعات من الماء خلال أشهر الصيف، وكذلك الأرق وعدم النوم الطبيعي نتيجة النوم في ضوء شديد أو القصص أو مشاهدة المناظر المزعجة أو أصوات عالية إذ تنتابه أحلام مزعجة نتيجة العوامل التي لا يتحملها الطفل.

وهناك حالات كثيرة من الأطفال المصابين بالأرق والعصبية نتيجة رؤيتهم أفلامًا مزعجة قبل النوم في التليفزيون كالقتل والحرق وغير ذلك، ويتكرر الحلم المزعج نتيجة الصدمة التي حدثت للطفل عند رؤيته الفيلم.

ومن الأسباب العضوية التي تؤثر على أعصاب الطفل سوء التغذية ونقص الكالسيوم والفيتامينات والأملاح ووجود آلام العضوية في الصدر أو البطن أو المفاصل أو بداية مرض لا يستطيع أن يفصح الطفل عن أعراضها ولذلك يجب أن

يوضع وجود أسباب عضوية لعصبية الطفل في الاعتبار حتى يمكن اكتشافها مبكرًا وعلاجها قبل أن تؤدي إلى مضاعفات.

☆☆☆

(٤) الطفل كثير الحركة والمشاغب ومتقلب المزاج (الطفل الشقي)

ويتساءل العديد من أولياء الأمور عن الطريق السليم لتربية الصغير على أسس راسخة ليصبح طفلاً مهذبًا يتمتع بالصفات والأخلاق الطيبة.

ويقول خبراء علم النفس في بحث نشرته مجلة بريطانية: إن شقاوة الأطفال وعقابهم مسألة تقديرية تختلف من أسرة إلى أخرى، فقد تشعر الأم بانزعاج شديد لأن ابنتها الصغيرة تتعمد وضع إصبعها في فمها وتحاول منع الصغيرة بالقوة بينما تأخذ أم أخرى نفس الموقف ببساطة وتشير إلى طفلتها ألا تحاول تقليد المولود الجديد وأنها ستقلع عن هذه العادة بعد فترة.

ولكن هناك تصرفات يرتكبها الأطفال الصغار تثير ضيق أولياء الأمور الذين يتفقون على كونها شقاوة مرهقة لأعصابهم مثل تكرار الأطفال لعملية إيذاء إخوتهم الأصغر منهم سنًّا أو سكب اللبن والمأكولات عمدًا على الأرض وكسر الأكواب واللعب والتبول أثناء اللعب وإلقاء الأشياء من الشرفات والإهمال في الممتلكات الخاصة وتخريب الأثاث والرسم على حوائط المنزل.

وينصح الخبراء بأنه في حالة اكتشاف أن الصغير يتصرف بعصبية ويتعمد ارتكاب أعمال تتسم بالشقاوة الزائدة بضرورة البحث عن الدافع الحقيقي وراء هذه التصرفات ثم محاولة معالجة الموقف بناءً على ذلك.

قد يكون الدافع محاولة الصغير لفت النظر إليه لأنه يشعر في قرارة نفسه أن والديه لا يعطونه الاهتمام الكافي والرعاية اللازمة أو يشعر بالغيرة من قدوم مولود جديد للأسرة أو يعاني من الضيق بسبب زيارة شخص قريب لقلب الأم يحظى باهتمامها طوال الفترة التي يقضيها معهم.

وأحيانًا يحاول الصغير المحروم من العطف والحنان أو الذي يشعر أن والده يستحوذ على الجزء الأكبر من عواطف أمه، التنفيس عن شعور الضيق الذي يعتريه بالشقاوة والإكثار من الحركات العصبية، وقد يجد الصغار مثل الكبار صعوبة في التكيف مع متغيرات الحياة والضغوط العصرية فيتولد لديهم إحساس بالإحباط ويحاولون التنفيس عنه بالشقاوة الزائدة.

وتشير بعض النظريات النفسية إلى أن الطفل يحاول اختبار قدرة والديه على التحمل فيتعمد ارتكاب أعمال تثير غضبهما ليرى رد الفعل عليهما، كما تكون الشقاوة في بعض الأحيان نوعًا من التحدي لأم متحكمة ومتسلطة أو لأب قاسٍ أو لجو أسرة مشحون بالمشاجرات التي لا تنتهي، أو يتصرف الطفل بطريق غير مهذبة لعدم وجود القدوة الحسنة من الوالدين.

وقد يتحول طفل هادئ الطباع إلى طفل عصبي بعد الالتحاق مباشرة بالمدرسة، لأنه يشعر بالغربة في المدرسة ويجد صعوبة في التكيف مع بقية زملائه كما أنه يشعر بأنه بحث طوال ساعات الدراسة عن حنان أمه.

وهناك عدة نصائح للتغلب على شقاوة الصغار وتساعد على تهذيب سلوكهم وتتلخص في النقاط التالية:

- تفهم طبيعة تصرفات الصغير وتقريب المسافة بين الطفل ووالديه على أن يكون الحب والحنان هما أساس العلاقة الأسرية.

- إظهار الغضب للصغير عندما يرتكب خطأً ومحاولة وضع عقاب رادع لفعلته حتى لا يكررها مع تجنب القسوة حتى لا يحاول الصغير تحدي سلطة الوالدين ويلجأ للعناد.

- عدم التردد في الثناء على الصغير عندما يقوم بعمل يستحق المديح ومكافأته بلمسة حنان أو قبلة صادقة.

- سؤال الطفل بحزم عن سبب ارتكابه لخطأ ما والاستماع إلى شكواه باهتمام، وعندما يبدأ الصغير في تبرير موقفه ينظر الوالد إلى عينيه ويستمع له جيدًا حتى يشعر الصغير بالاهتمام والارتباط الوثيق بينه وبين والديه.

- امتناع الوالدين عن التكرار على مسمع الصغير أن ابنهما غاية في الشقاوة وأنهما عجزا عن التغلب على هذه المشكلة لأن ذلك يدفع الصغير للتمادي في الشقاوة.

وأخيرًا يؤكد الخبراء أن الطفل الكثير الحركة عادة ما تكون هذه الصفة دليلاً على الذكاء.

ضرورة تخصيص وقت يلعب فيه الطفل خلال فترات الاستذكار:

مع بداية العام الدراسي يضغط كثير من الآباء والأمهات على أبنائهم في محاولة لجعلهم يجلسون ساعات طويلة للاستذكار ويمنعونهم من اللعب، ولكن هذا التصرف خاطئ كما يقول علماء النفس حيث إن اللعب ليس مضيعة للوقت كما قد يعتقدون بل على العكس فإنه مفيد جدًا للطفل لأن من خلالة ينمو ذكاؤه وتزداد قدرته على الابتكار والتكيف الاجتماعي، فاللعب له فوائد عديدة، منها:

- فوائد جسمية لأن المهارة التي يتعلمها عندما يتعلق بحبل أو يلقي الكرة تساعده على تحسين قدراته العقلية أيضًا.

- فوائد نفسية وعاطفية، حيث لوحظ أن الأطفال الذين يعرفون كيف يلعبون يكونون أكثر سعادة من غيرهم ويفرغون الطاقة الكامنة فيهم صحية وسليمة ويكونون الصداقات بسهولة.

- لذلك ينصح المتخصصون الآباء والأمهات بضرورة توفير مكان مناسب للأطفال يلعبون فيه دون قيود وإتاحة الفرصة لهم ومشاركتهم في اللعب وإعدادهم اللعب التعليمية.

☆☆☆

(٥) الطفل المصاب بالكوابيس والأحلام المزعجة

يقول علماء النفس: إن الأحلام أو الكوابيس عند الأطفال تعتبر تنفيسًا عن الرغبات المكبوتة أو المخاوف التي تحيط بعقولهم كما أنها تعتبر رد فعل للواقع الذي يجهلونه وللأحداث التي يخشون وقوعها.

والحقيقة أن الأحلام المزعجة التي يراها الطفل تكون نتيجة للانطباعات والمفاهيم

الخاطئة التي يستخلصها من تجاربه الشخصية، فمثلاً قد يرى مشادة عنيفة بين قط وكلب على الطبيعة أو يشاهد أسدًا يفترس حيوانًا في برامج التليفزيون، وهنا يأخذ الصورة على أنها المفهوم الطبيعي لطبيعة هذا الحيوان وفي هذا المجال يأتي دور الأم بأن تشرح لطفلها أن الإنسان له القدرة على مواجهة الحيوان والتحكم فيه حتى ولو كان حجمه كبيرًا، أما بالنسبة للحيوان المفترس فلا يمكنه النيل منه لأنه محبوس داخل قضبان، هذا بالإضافة إلى تعليم الصغير آداب النوم التي جاءت بها السُّنَّة المطهرة وقد ذكرناها في مواضعها فارجع إليها.

☆☆☆

(٦) الطفل والغيرة من شقيقه

تواجه بعض الأمهات أثناء فترة الحمل الثاني أو بعد الولادة طفل ثانٍ مشكلة غيرة الطفل الأول من شقيقه الجديد، فما هو السبب في هذه الغيرة، وكيف تعالج الأم هذا الموقف؟

يقول الأطباء الأخصائيون في الأمراض النفسية: إن الغيرة عند الأطفال أمر طبيعي يمكن أن تكون دلالة سوية لأنها تعلن أن الطفل يمر بمرحلة التعرف على العالم وعلى ذاته وعلى حقوقه وعلى معنى الامتلاك والتنافس فكلها مظاهر لازمة من مسيرة النمو وضرورة لتنمية العلاقة بالعالم الخارجي.

والطفل الصغير يشعر بأن العالم- وخاصة أمه- ملكية خاصة له وأي تدخل في ملكيته الخاصة يثير لديه حافزًا للدفاع والهجوم وتظهر الغيرة بشكل خاص حول سن الثالثة عندما يشعر أن دخيلاً يشاركه عواطف أمه.

وينصح الأطباء الأخصائيون تقبل الغيرة باعتبارها سلوكًا طبيعيًا، لذلك فعليها أن تحترم حقه في الغيرة ولا تنسى حقه في الرعاية، كما أن من واجبها أن تعدل بين القادم الجديد وبين الطفل الأكبر بل أن تسمح ببعض النكوص مثل العودة إلى التبول الليلي أو الرقاد في سرير المولود الجديد بشرط ألا يتمادى في ذلك.

ويضيف أطباء الخدمات الاجتماعية قائلين: إن دور الأب والأم هو تعويد الطفل

على أن يأنس للمولود الجديد، وهو يقوم ببعض مطالبـه خاصة أن الطفل يتمتع بميزة كبيرة وهي القدرة على توزيع حبه وكراهيته على أكثر من شخص، فالمسألة إذن أولاً وأخيرًا تعتمد على ذكاء الأم ولباقتها في تعديل جدولها بحيث يأخذ كل طفل حقه.

☆☆☆

(٧) الطفل الجبان

طفل يخاف من كل شيء

تعتـبر السنوات الأولى من حيـاة كل طفل أو ما يسمى بالطفـولة المبكرة هي أخطر سنوات عمره من خـلالها تتكون سمات شخـصيته ومعـالمها وفيها يتحـدد ما إذا كان سينشأ طفلاً آمـنًا مطمئنًا واثقًا من نفسه أم طفلاً قلقًـا خائفًا من كل شيء منطويًا على نفسـه لذا ركز علماء النفس في أوروبا وأمـريكا على ضرورة اهتمام الآباء والأمـهات بمعالجة كل نواحي القصـور في شخصية الطفل منذ الصغر حتى تجنبـه كثيرًا من المعاناة والآلام في حياته المقـبلة. والخوف مشكلة تواجه ملايين الأطفـال ويعاني منها آباؤهم وذووهم وقد يكون الخوف طبيعيًا أو معـتادًا فلا يخشى منـه على الطفل وقد يكون مرضيًا أي: شاذًا فيندفع الطفل إلى اتباع سلوك شاذ لتجنب مصادر خوفه والبعد عنها.

فمثلاً: خوف الطفل في عامه الأول من الأصوات الصاخبة الفجائية وبكاؤه نتيجة ذلك يعتبر خوفًا طبيعيًا بينما يعتبر شاذًا بالنسبة لطفل في السادسة مـثلاً وكلما كبر الطفل تنوعت معلوماته وتعـددت تجاربه وبالتالي تنوعت مصادر خـوفه، فالطفل في عامـه الأول قد لا يخـشى من الأشيـاء لأنه لا يعرف ضـررها ولا يدرك قوتـها أو خطورتها، بينما الطفل في عامه الرابع يصبح مـدركًا لكثير من الأمور التي يشاهدها وبالتـالي تزداد مخاوفـه وتتنوع بعكس الاعـتقاد السـائد بين الكثيـر من الآباء الذين يعتقـدون أن الطفل كلما تقدم في العـمر قلت مخاوفه. وهنـاك نوعان من المخاوف يتعرض لها الطفل: مخاوف موضوعية، ومخاوف غير موضوعية.

أولاً: المخاوف الموضوعية:

هي المخاوف المحسوسة التي يعبر عنها الطفل بوضوح، وتكشفها الأم بسهولة وقد

يكون لها مصادر حقيقية مثل خوفه من (العسكري) أو من المدرسة أو أصوات الحيوانات أو السيارات أو الطائرات أو المياه أو النار. وقد تكون عامة أو غير محددة مثل خوف الطفل من الكلب لأن أمه تخشاه ولا تحب رؤيته وليس لأنه يخشاه من نفسه، وخوفه من الطبيب لأنه رأى والدته أو شقيقته تتألم عند إعطائها (حقنة) فإنه بالتالي يصرخ بمجرد رؤيته للطبيب لأنه ارتبط في ذهنه بالألم الذي سببه لهما أي: إن الطفل بطبيعته يمتص خبرات الآخرين التي شاهدها وتترسب في أعماقه فيخاف من كل الأشياء التي يعتقد أنها تخيف من حوله.

ثانيًا: المخاوف غير الموضوعية:

مثل خوف الطفل من الزوار أو امتناعه من الكلام خشية الخطأ والنقد من والديه فإنها ترجع إلى ضعف ثقته بنفسه وعدم شعوره بالأمن والطمأنينة نتيجة انتقاد من حوله لمخاوفه وسخريتهم منها ومقارنته دائمًا بأقرانه وإشعاره بضآلته، كما قد تكون نتيجة قلق الوالدين وعصبيتهم أو تدليلهم الزائد وخوفهم عليه وشجارهم أمامه باستمرار مما يشعره بعدم الاستقرار وبحاجته للدفء العاطفي والحب المفقود في أسرته.

لكن كيف يمكننا علاج هذه المخاوف؟

إن علماء النفس ينصحون كل أم أن تحيط أطفالها بالحنان والرعاية والحزم عند اللزوم، وعدم الهرب من مناقشة مخاوف الطفل ومحاولة إقناعه بحقيقة الأمور توضيحًا له ومراقبته لمعرفة النتيجة وفي نفس الوقت عليها أن تعلمه الاعتماد على النفس كلما أمكنه ذلك وإشعاره بالتقدير إذا أحسن التصرف وإفهامه خطأه بهدوء دون انفعال وعدم السخرية من مخاوفه أو الضحك عليه أمام الآخرين أو مقارنته بزملائه ممن في سنه. كما أن عليها إبعاده عن مثيرات الخوف مثل مشاهدة أفلام العنف والجريمة والامتناع عن سرد الحكايات الخيالية مثل الساحرة الشريرة أو أبو رِجل مسلوخة، وكذلك حثه على التقرب إلى الله والاستعانة به في وقت الشدة، حتى ينعم بهدوء البال والاستقرار النفسي ويعيش مطمئنًا سعيدًا كما جاء ذلك في موضعه.

☆☆☆





فهرس الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة

تربية الصغار ما بعد ثلاث سنوات (من سن ٤- ١٠)



"جذور التربية مريرة ولكن ثمارها حُلوة"

- كيف يختار الأب الأم الصالحة؟
- كيف تختار الأم الأب الصالح ؟
- كيف يُستقبل المولود؟
- ما هى الخطوات الواجب إتخاذها نحوه ؟
- ما هى حقوق الصغار علينا ؟
- كيف نتعامل مع الصغار ؟
- كيف تجيب على أسئلة الطفل المحرجة ؟
- كيف نعلم أولادنا عقيدتهم وشريعتهم ؟
- الطريق إلى تنمية المواهب.
- نصائح طبية تشتمل على كافة أنواع الوقاية من الأمراض.
- نصائح طبية تشتمل على كيفية علاج الأمراض.
- برامج غذئية متكاملة لكل المراحل السنية ؟
- التربية في شكل سؤال وجواب.
- العلاج النفسي لأمراض الطفولة.

